

وَقَفَّ لِلَّهِ تَعَالَى

موارد اللفظ السمان لدروس الزمان خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز بن محمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء السادس

شِعْرًا: أَلَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ تَدُنُو مِنِّي
وَآخِرُ رَمَقٍ مِنْ حَيَاتِي خَتَامُهُ
آخر: أَقْلَبُ كِتَابًا طَالَمَا قَدْ جَمَعْتُهَا
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بِهَا وَتَمَشُّكِ
وَأَحْذَرُ جُهْدِي أَنْ تَنَالَ بِنَائِلِي
وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنِّي لَسْتُ بَاقِيَا
آخر: جَنَحَتْ شَمْسُ حَيَاتِي
وَتَوَلَّى لَيْلٌ رَأْسِي
رَبِّي خَلَّصَنِي فَيَانِي
وَأَنْلِنِي الْعَفْوِ يَا مَنْ
آخر: وَمِنَ الْمَصَائِبِ وَالْمَصَائِبُ جَمَّةٌ
وَالْإِنْكَبَابُ عَلَى صُحُفٍ قَدْ ائْتَلَتْ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْفَظْ ثَلَاثًا فَخَلَّه
فَأَوْلُهَا الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ وَخُدُّهُ
وَتَالِئُهَا جَنْبٌ هَوًا وَتَكْبُرًا
آخر: إِنَّي أَبْثُكَ مِنْ حَدِيثِي
عَيَّرْتُ مَرْقَدَ نَوْمِي
قُلْ لِي فَأَوْلُ لَيْلَةٍ
آخر: يَا مَنْ سَيْنَا عَنْ بَيْتِهِ
مَثَّلَ لِنَفْسِكَ قَوْلَهُ
وَتَحَلَّلُوا مِنْ ظُلْمِهِ

أَلَا زِمَ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
بِكَلِمَةٍ إِخْلَاصٍ لِبَارِي الْبَرِيَّةِ
وَأَفْنَيْتُ فِيهَا الْعَيْنَ وَالْعَيْنَ وَالْيَدَا
لِعَلِمِي بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيهَا مُنْضَدًا
مَهِينٍ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
فَيَأْتِيَتْ شِعْرِي مَنْ يُقَلِّبُهَا عَدَا
وَتَسَدَّتْ لِلْغُرُوبِ
وَبَدَ فَجْرُ الْمَشِيِّبِ
غَرِيقٌ بِخَرِّ الدُّنُوبِ
أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ قَرِيبِ
هَجَرَ كِتَابِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
بِالْمُنْكَرَاتِ وَتَضَيِّعٍ لِأَزْمَانِ
وَرَى الظَّهْرَ وَاصْحَبَ مُخْلِصًا لِإِلَهِهِ
وَتَأْنِيهَا تَابِعَ مَنْ أَتَى بِالرَّسَالَةِ
لِتَسْلَمَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ الْعَظِيمَةِ
وَالْحَدِيثُ لَهُ شُجُونُ
لَيْلًا فَنَافَرَنِي السُّكُونُ
فِي الْقَبْرِ تَرَى يَكُونُ
كَمَا نَأَى عَنْهُ أَبُوهُ
جَاءَ الْيَقِينُ فَوَجَّهْهُ
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَحَلَّلْهُ

آخر :

أَعْوَامٌ لَّهُوَ كَانَ يُحْزِنُ ذِكْرُهَا
قَلْبَ اللَّيِّبِ لِفَقْدِهَا لِلطَّاعَةِ
لَوْ أَنَّهَا مَلَأَتْ بِذِكْرِ إِلَهِنَا
وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ زَالَ نَدَامَتِي

آخر :

قَدَّمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ
تَزُودًا فَلَقَدْ تَفَارَقَهَا وَأَنْتَ مُودَعٌ
وَأَهْتَمَّ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
أَنَايَ مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
وَاجْعَلْ تَزُودَكَ الْمَخَافَةَ وَالتَّقَى
فَلَعَلَّ حَتْفَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوا : إِنَّا سَأَلُوكَ أَفْمَجِبِينَا أَنْتَ ؟ قَالَ : سَلُوا وَلَا تُكْثِرُوا ، فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَرِجَعَ وَالْعُمُرُ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّالِبَ حَيْثُ فِي طَلَبِهِ ، قَالُوا : فَأَوْصِنَا ، قَالَ : تَزَوَّدُوا عَلَى قَدَرِ سَفَرِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ الْبُعِيَّةَ ، ثُمَّ قَالَ : الْأَيَّامُ صَحَائِفَ الْأَعْمَارِ فَحَلِّدُوهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ الْفُرْصَ تَمُرٌ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِي مِنْ أَخْلَاقِ الْكُسَالَى وَالْحَوَالِفِ ، وَمَنْ اسْتَوَظَنَ مَرْكَبَ الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وَتَزَوَّجَ التَّوَانِي بِالْكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الْحُسْرَانُ . أ . ه . قَالَ بَعْضُهُمْ :

شِعْرًا : تَزَوَّجَتِ الْبَطَالَةَ بِالتَّوَانِي فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا مَعَ غُلَامِهِ
فَأَمَّا الْإِبْنُ سَمُوهُ بِفَقْرٍ وَأَمَّا الْبِنْتُ سَمُوهَا نَدَامَةً
آخِرُ : الذِّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فَافْهَمِ الْخَبْرَا لِأَنَّهُ قَوْلُ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ الْبَشْرَا
فَاعْمَلْ بِهِ إِنْ تُرِدَ فَهَمًّا وَمَعْرِفَةً يَا ذَا التَّهْيِ كَيْ تَنَالَ الْعِزَّ وَالْفَخْرَا
وَتَحْمِدَ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ إِذَا جَاءَ الْحِسَابُ وَعَمَّ الْخَوْفُ وَانْتَشَرَا
لِلَّهِ دُرٌّ رَجَالٍ عَامِلِينَ بِهِ فِيمَا يَدِيقُ وَمَا قَدْ جَلَّ وَاشْتَهَرَا
قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَيُّهَا الْأَخُ تَدَبَّرْ أَمْرَكَ فَإِنَّكَ فِي زَمَنِ الرَّيْحِ وَوَقْتِ الْبَدْرِ وَاحْذَرْ أَنْ يَخْدَعَكَ الْعَدُوُّ عَنْ نَفْسِي هَذَا الْجَوْهَرَ فَتُنْفِقُهُ بِكَفِّ التَّبْدِيرِ ، وَاللَّهُ لَيُنْفِقُ لَتَعْرَسَنَّ شَجَرَةَ النَّدَامَةِ فَيَتَسَاقَطُ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مِنْهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ وَاحْذَرْ مِنْ اخْتِلَاسِ الْأَعْدَاءِ لَهُ ، وَالْأَعْدَاءُ أَرْبَعَةٌ إِنْ لَيْسَ لَعْنَةُ اللَّهِ ، وَالدُّنْيَا ، وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ، وَالْهَوَى .

شِعْرًا : إِنِّي بُلِيْتُ بِأَرْبَعٍ مَا سُلِّطُوا إِلَّا لِأَجْلِ شِقَاوَتِي وَعَنَائِي
إِنْ لَيْسَ وَالِدُنِّيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُلاحَظَةٌ : لا يَسمحُ لأَيِّ إنسانٍ أنْ يَختَصِرَهُ أوْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بما يُسَمُّونَهُ تَحْقِيقًا لِأَنَّ
الاختصارَ سَبَبٌ لِتَعْطِيلِ الأَصْلِ والتَّحْقِيقِ أرى أَنَّهُ اتِّهَامٌ لِلْمُؤَلَّفِ ، ولا يُطَبَعُ إِلا وَقَمَّا اللهُ
تعالى على مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ مِنَ المُسْلِمِينَ .

(فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ النَّفْعُ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ)

ما أَنْعَمَ اللهُ على عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَفَهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَفَّقَهُ
لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، والدَّعْوَةَ إِلَيْهَا .

فوائد :

وَاعْجَبًا مِنْكَ يَضِيعُ الشَّيْءُ القَلِيلُ وَتَتَكَدَّرُ وَتَتَأَسَّفُ ، وَقَدْ ضَاعَ عُمْرُكَ الَّذِي لا عَوْضَ لَهُ
، وَأَنْتَ عِنْدَ قَتَلَاتِ الأَوْقَاتِ : الكُورَةُ والتَّلْفَازِ والمِذْياعِ ونحوها مِنْ قُطَاعِ الطَّرِيقِ عَنِ الأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ ، وَلَكِنْ سَتَنْدَمُ ❀ يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ
ذَلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ ❀ .

بسم الله الرحمن الرحيم

فائدة عظيمة النفع جدا لبعض العلماء رحمهم الله تعالى

(١)

الليل والنهارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالًا صَالِحَةً تَرْبِحَ وَتَحْمَدِ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ

إن شاء الله تعالى .

وَلَيْلِكَ شَطْرُ عُمْرِكَ فَاعْتَمِرْهُ وَلَا تَذْهَبْ بِشَطْرِ الْعُمْرِ نَوْمًا

آخر :

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُرُ

(٢)

الملائكةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلَفَّظُ بِهِ فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسُرُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

إِنَّ الشَّرَائِعَ أَلْقَتْ بَيْنَنَا حِكْمًا وَأَوْرَثَتْنَا أَفَانِينَ الْمَوَدَّاتِ

وَهَلْ رَأَيْتَ كَمِثْلِ الدِّينِ مَنْفَعَةً لِلْعَبْدِ تُوصِلُهُ أَعْلَى الْكِرَامَاتِ

(٣)

اعْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ عَلَيْهِ مَدَارٌ عَظِيمٌ ، وَحِصْنُ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَحِصْنُ حِصْنِهِ

ذِكْرُ فَجَاءَةِ الْمَوْتِ وَأَخْذُ الْإِنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَعَقْلَةٌ وَهُوَ فِي غُرُورٍ وَفُتُورٍ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ

. نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِظَ قُلُوبَنَا إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

وَسَلِّمْ .

فائدة :

الْعِلْمُ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ خَيْرٌ مِيرَاثٍ ، وَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ قَائِدٍ ، وَالاجْتِهَادُ فِي

طَاعَةِ اللَّهِ خَيْرٌ بِضَاعَةً ، وَلَا مَالَ أَحْسَنَ مِنْ عَمَلِ الرَّجُلِ بِيَدِهِ ، وَلَا مُصِيبَةً أَعْظَمَ مِنَ الْكُفْرِ

بِاللَّهِ ، وَلَا عَوِينَ أَوْثَقَ مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ

ثُمَّ مُشَاوَرَةَ أَصْحَابِ الرَّأْيِ وَالِدِّينِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا أَوْحَشَ مِنَ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَالنَّقَاقِ .

آخر :

سَلِ اللَّهَ عَقْلاً نَافِعاً وَاسْتَعِذْ بِهِ مِنْ الْجَهْلِ تَسْأَلُ خَيْرَ مُعْطٍ لِسَائِلِ
فَبِالْعَقْلِ تَسْتَوْفِي الْفَضَائِلَ كُلَّهَا كَمَا الْجَهْلُ مُسْتَوْفٍ جَمِيعَ الرِّذَائِلِ

تَنْبِيهِ :

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ ابْتِغَاءً وَجِهَ اللَّهُ لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضًا مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ أَدْنَى لَهُ وَجَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ طَبَعِهِ وَفَقًا أَوْ أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبَعِهِ وَتَوَزَّيَعَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ ρ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ » . رواه مسلم . وَوَرَدَ عَنْهُ ρ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ : صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ ، وَالرَّامِي بِهِ ، وَمُنْبَلَهُ » . الحديث رواه أبو داود . وَوَرَدَ عَنْهُ ρ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » . الحديث رواه مسلم .

(فَصْلٌ) فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ تَطَوُّعِ الْبَدَنِ ، وَعَدَّهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رُكْنًا سَادِسًا لِدِينِ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ ذِرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ ، وَمُوجِبُ الْهِدَايَةِ ، وَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ ، وَالرُّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَمَنَازِلُ أَهْلِهِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ فِي الْجَنَّةِ ، كَمَا هُمْ الرُّفَعَةُ فِي الدُّنْيَا ، فَهُمْ الْأَعْلَوْنَ فِي الْآخِرَةِ ، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَلَهَّفُونَ عَلَى الْجِهَادِ الَّذِي أُعْلِمَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ زَمَنِ بَعِيدٍ ، مِنْ عَهْدِ أَنْ كَانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ آمِلًا أَنْ يُنْفَقَ

كُلَّ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَنْ يَحْطَى بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِذَا رَجَعَ سَالِمًا إِلَى أَهْلِهِ ، رَجَعَ حَزِينًا عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ مَقَامِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَ يَحْرُسُ عَلَيْهَا كُلَّ الْحَرْصِ ، وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقَلِّيَّةً بَيْنَ الْأُمَمِ ، وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ فُقَرَاءَ مِنَ الْمَالِ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ ، بِمَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْبُطُولَةِ ، غِيَّ لَمْ يَرَوْا لَنَا التَّارِيخُ نَظِيرَهُ بَيْنَ ذَوِي الْبُطُولَاتِ ، يَعْتَمِدُونَ فِي تِلْكَ الْبُطُولَةِ عَلَى مَعُونَةِ مَوْلَاهُمْ لَهُمْ فِي كُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ .

وَلَقَدْ كَانَتْ أَحْوَالُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ تُبَيِّضُ الْوُجُوهَ وَتَمَلُّ الْقُلُوبَ سُرُورًا وَفَرَحًا ، كَانُوا إِذَا نَازَلُوا الْأَعْدَاءَ رَجَعُوا ظَافِرِينَ مُتَّصِرِينَ ، لَا يُرَى عَلَيْهِمْ أَثَرُ كَابَةِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا كَابَةُ الْحَزْنِ ، عَلَى أَنْ أَحَدَهُمْ لَمْ يَفُزْ بِمَقَامِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُمْ مُتْتَهَى الْأَمَالِ ، لِذَلِكَ دَوَّخُوا الدُّنْيَا ، وَكَانُوا عِنْدَ الْكُلِّ سَادَةَ الْأَعْرَاءِ ، كَانُوا لَا يَطْمَعُ فِيهِمْ طَامِعٌ ، مَعَ أَنَّهُمْ أَقَلِّيَّةٌ ، وَكَانُوا إِذَا نُسِبُوا لِعَبْرِهِمْ فُقَرَاءَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَغْنِيَاءُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى مَنْ بِيَدِهِ الْقُلُوبُ ، وَبِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ .

وَلَقَدْ كَانَ مَعَهُمْ صَفْوَةُ الْخَلْقِ ، وَعَنْ إِرْشَادَاتِهِ يُصْدِرُونَ مَا يَصْدِرُونَ مِنْ أَعْمَالٍ ، وَهُوَ كَانَ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، كَمَا أَحْبَبَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِذَلِكَ ، أَمَّا نَحْنُ فَعُدَّ مِنَّا بِمِمَّاتِ الْأُلُوفِ وَقُلْ مَا تُرِيدُ فِي غِنَانَا فَالْوَالِدُ مِنَّا يَمْلِكُ الْمَلَائِكِينَ ، وَمِنْ الْعَقَارَاتِ الشَّيْءَ الْكَثِيرِ ، وَلَكِنَّا مَعَ ذَلِكَ عُثَاءٌ كَعُثَاءِ السَّيْلِ ، نُحِبُّ هَذِهِ الْحَيَاةَ ، حُبًّا مَلِكٌ مَشَاعِرِنَا كُلَّهَا اللَّحْمَ وَالْعَظْمَ وَالْعُرُوقَ وَكُلَّ شَيْءٍ وَنَكْرَهُ الْمَوْتَ كَرَاهَةً شَدِيدَةً وَالسَّبَبَ فِي ذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -

أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا ، وَالتَّعَلُّقَ بِهَا هُوَ الَّذِي أَنْسَانَا ، وَأَلْهَانَا عَنْ تَذَكُّرِ الْجِهَادِ ، وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَتَمَنِّيهِ ، وَبَدَلِ النَّفِيسِ فِيمَا يُقَرَّبُ إِلَيْهِ ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِظَ قُلُوبَنَا ، وَيُوقِّعَنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ سَلَفِنَا . لِتَقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ ، وَجَعَلْنَا مِنْ أَنْصَارِ دِينِهِ ، وَحَزَبِهِ الْمُفْلِحِينَ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ ، وَالْحَثِّ عَلَيْهِ ، وَبَيَانِ عَظِيمِ ثَوَابِهِ ، آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ ، نَذَكُرُ طَرَفًا مِنْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَمِنَ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَرْغِيبٌ فِي الْجِهَادِ عَلَى أْبْلَغِ وَجْهِ ، وَأَحْسَنِ صُورَةٍ . قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ : فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ هَا هُنَا الْجَنَّةَ ثَمَنًا لِنُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، إِذَا بَدَلُوهَا فِيهِ اسْتَحَقُّوا الثَّمَنَ ، وَعَقَّدَ مَعَهُمْ هَذَا الْعَقْدَ ، وَأَكَّدَهُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ التَّأَكِيدَاتِ .

١- أَوَّلًا : إِخْبَارُهُمْ بِصِيعَةِ الْخَبَرِ الْمُؤَكَّدِ بِأَدَاءِهِ إِنَّ .

٢- ثَانِيًا : الْإِخْبَارُ بِذَلِكَ بِصِيعَةِ الْمَاضِي الَّذِي وَقَعَ وَثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ .

٣- ثَالِثًا : إِضَافَةُ هَذَا الْعَقْدِ إِلَى نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي اشْتَرَى هَذَا الْمَبِيعَ .

- ٤- رَابِعًا : أَنَّهُ أَخْبَرَ بَأَنَّهُ وَعَدَ بِتَسْلِيمِ هَذَا الثَّمَنِ ، وَعَدًّا لَا يُخْلِمُهُ وَلَا يَتْرُكُهُ .
- ٥- خَامِسًا : أَنَّهُ أَتَى بِصِيعَةِ (عَلَى) الَّتِي لِلْجُوبِ ، إِعْلَامًا لِعِبَادِهِ بِأَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ عَلَيْهِ ، أَحَقُّهُ هُوَ عَلَى نَفْسِهِ .
- ٦- سَادِسًا : أَنَّهُ أَكَّدَ ذَلِكَ بِكَوْنِهِ حَقًّا عَلَيْهِ .
- ٧- سَابِعًا : أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ مَحَلِّ هَذَا الْوَعْدِ ، وَأَنَّهُ فِي أَفْضَلِ كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَهِيَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ .
- ٨- ثَامِنًا : إِعْلَامُهُ لِعِبَادِهِ بِصِيعَةِ اسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِ ، وَأَنَّهُ لَا أَحَدَ أَوْفَى بَعْدِهِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ .
- ٩- تَاسِعًا : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُهُمْ أَنْ يَسْتَبَشِرُوا بِهَذَا الْعَقْدِ ، وَيُبَشِّرَ بِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، بِشَارَةَ مَنْ قَدْ تَمَّ لَهُ الْعَقْدُ وَلَزِمَ ، بِحَيْثُ لَا يَثْبُتُ فِيهِ خِيَارٌ ، وَلَا يَعْزِضُ لَهُ مَا يَنْفَسُحُهُ .
- ١٠- عَاشِرًا : أَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ إِخْبَارًا مُؤَكَّدًا بِأَنَّ ذَلِكَ الْبَيْعَ الَّذِي بَايَعُوهُ بِهِ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَالْبَيْعُ هَا هُنَا بِمَعْنَى الْمُبِيعِ الَّذِي أَخَذُوهُ بِهَذَا الثَّمَنِ ، وَهُوَ الْجَنَّةُ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ بَايَعْتُمْ بِهِ ﴾ أَيَّ عَاوَضْتُمْ وَثَامَنْتُمْ بِهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَهْلَ هَذَا الْعَقْدِ الَّذِي وَقَعَ الْعَقْدَ وَتَمَّ لَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَهُمْ التَّائِبُونَ إلخ . انتهى .

شِعْرًا :

وَضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ	إِذَا قَلَّ دِينَ قَلَّ بِهَاؤُهُ
أَقْدَامُهُ خَيْرٌ لَهُ أُمَّ وَرَأُوهُ	وَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي وَإِنْ كَانَ حَازِمًا
وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِهِ أَصْدِقَاؤُهُ	فَإِنْ كَانَ ذَا دِينَ عَلاهُ بِهَاؤُهُ

ويقول سيّد قطب رحمه الله على الآية المتقدمة قريّا : هذا النَّصُّ الَّذِي تَلَوْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَسَمِعْتُهُ أَلْفَ مَرَّةٍ أَوْ تَزِيدُ فِي أَثْنَاءِ حِفْظِي لِلْقُرْآنِ ، وَفِي أَثْنَاءِ تِلَاوَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَدِرَاسَتِهِ ، فِي أَكْثَرِ مِنْ رُبْعِ قَرْنٍ ، هَذَا النَّصُّ أَشْهَدُ أَنِّي أَدْرِكُ مِنْهُ اللَّحْظَةَ مَا لَمْ أُدْرِكْهُ فِي أَلْفِ مَرَّةٍ أَوْ تَزِيدُ ، إِنَّهُ نَصٌّ رَهِيْبٌ ، يَكْشِفُ عَن حَقِيْقَةِ الْعِلَاقَةِ الَّتِي تَرْتَبُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ بِاللَّهِ ، وَعَن حَقِيْقَةِ الْبَيْعَةِ الَّتِي فِي أَغْنَاقِهِمْ طُوْلَ الْحَيَاةِ ، فَمَنْ بَايَعَ الْبَيْعَةَ ، وَوَفَّى بِهَا فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْحَقُّ ، الَّذِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مَعْنَى الْمُؤْمِنِ وَحَقِيْقَتِهِ ، وَإِلَّا فَهِيَ دَعْوَى تَحْتَاجُ إِلَى التَّصْدِيقِ وَالتَّحْقِيقِ .

حَقِيْقَةُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ - أَوْ هَذِهِ الْمُبَايَعَةِ كَمَا سَمَّاهَا اللَّهُ كَرَمًا مِنْهُ وَفَضْلًا - أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اسْتَخْلَصَ لِنَفْسِهِ أَنْفُسَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَلَمْ يَعِدْ لَهُمْ مِنْهَا شَيْئًا ، لَمْ يَعِدْ لَهُمْ أَنْ يَسْتَبِقُوا مِنْهَا بَقِيَّةً ، لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَمْ يَعِدْ لَهُمْ خِيَارًا فِي أَنْ يَبْدُلُوا أَوْ يُسْكُوا ، كَلَّا إِنَّهَا بَيْعَةٌ كَامِلَةٌ ، فَالْتَمَنُ الْجَنَّةُ وَالطَّرِيقُ الْجِهَادُ ، وَالنَّهْيَةُ هِيَ النَّصْرُ أَوْ الِاسْتِشْهَادُ ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنْ جَعَلَ لِلصَّفَقَةِ ثَمَنًا ، وَإِلَّا فَهُوَ مَالِكُ الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَلَكِنَّهُ كَرَّمَ هَذَا الْإِنْسَانَ ، فَجَعَلَهُ مُرِيدًا ، وَكَرَّمَهُ فَجَعَلَ لَهُ أَنْ يَعْقِدَ الْعُقُودَ وَيُضَيِّعَهَا حَتَّى مَعَ اللَّهِ وَكَرَّمَهُ فَقَيَّدَهُ بِعُقُودِهِ وَعَهُودِهِ ، وَجَعَلَ وَفَاءَهُ بِهَا مَقْيَاسَ آدَمِيَّتِهِ الْكَرِيمَةِ ، كَمَا جَعَلَهُ مَنَاطَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ .

وَإِنَّهَا لَبَيْعَةٌ رَهِيْبَةٌ بِلا شَكٍّ ، وَلَكِنَّهَا فِي عُنُقِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، لَا تَسْقُطُ عَنْهُ إِلَّا بِسُقُوطِ إِيمَانِهِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ ، يَا اللَّهُ عَوْنَكَ ، فَإِنَّ الْعَقْدَ رَهِيْبٌ ، وَهَوْلَاءِ الْقَاعِدُونَ بِالْمَلَائِكِينَ ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ بِكَ ، وَهُمْ قَاعِدُونَ ، لَا يُقَاتِلُونَ لِإِعْلَاءِ

كَلِمَتِكَ ، ولا يُقْتُلُونَ ولا يُقْتَلُونَ ، ولا يُجَاهِدُونَ جِهَادًا مَا دُونَ الْقِتَالِ وَالْقَتْلِ ، يَسُدُّونَ بِهِ ثَغْرَهُ وَيُسَاهِمُونَ بِهِ فِي الدَّفَاعِ عَنِ دِينِكَ الَّذِي أَرَدْتَ لَهُ النَّصْرَ وَالِاسْتِعْلَاءَ ، قال :

ولقد كانت هذه الكماتُ تَدْخُلُ إلى قلوبِ مُسْتَمِعِيهَا الْأَوْلِيَيْنِ ، على عهدِ الرَسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَتَحَوَّلُ مِنْ فُورِهَا إِلَى وَقَعٍ مِنْ وَقَعِ حَيَاتِهِمْ ، وَلَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ مَعَانٍ يَتَمَلَّوْهَا بِأَذْهَانِهِمْ ، وَيُحْسِنُوهَا مُجَرَّدَةً فِي مَشَاعِرِهِمْ ، كَانُوا يَتَلَقَّوْنَهَا لِلْعَمَلِ الْمَبَاشِرِ بِهَا ، لِتَحْوِيلِهَا إِلَى حَرَكَةٍ مَنظُورَةٍ ، لا إلى صُورَةٍ مُتَأَمَّلَةٍ ، هَكَذَا أَدْرَكَهَا عَبْدُ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ .

قال محمد بن كعب القرظي : قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم -
يَعْنِي لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ - اشْتَرِطُ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ ، فَقَالَ : « اشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ » . قَالَ : فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : « الْجَنَّةِ » قَالُوا : رِيحَ الْبَيْعِ ، لا نُقِيلُ ولا نَسْتَقِيلُ فَنَزَلَتْ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ . انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ .

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، الْوَهَّابُ الَّذِي لا يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لا يَعْجَلُ ، لا رَادَّ لِأَمْرِكَ وَلا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

تَأَلَّفَ بَرَقَ الْحَقِّ فِي الْعَارِضِ النَّجْدِي فَعَمَّ جَمِيعَ الْكُونِ فِي الْغُورِ وَالنَّجْدِ
بِهِ زُعُوعَتْ أَرْكَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرِ
وَلَمْ يُجَدِّ مَا حَازَا مِنَ الْمَالِ وَالْجُنْدِ
وَأَمْثَالُهَا فِي السَّالِكِينَ طَرِيقَهُمْ
أَرْنَا كَمَا قَدْ قَالَهُ صَادِقُ الْوَعْدِ
فَلِلَّهِ حَمْدٌ يَرْتَضِيهِ لِنَفْسِهِ
عَلَى نِعْمٍ زَادَتْ عَنِ الْحَصْرِ وَالْعَدِّ
فَأَعْظَمَهُمَا بَعَثُ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ
أَمِينُ إِلَهِ الْحَقِّ وَاسِطَةُ الْعَقْدِ
دَعَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ دِينَ إِلَهِنَا
وَتَوْحِيدِهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْقَصْدِ
هَدَانَا بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى
وَأَنْقَذَنَا بَعْدَ الْغَوَايَةِ بِالرُّشْدِ
حَبَانَا وَأَعْطَانَا الَّذِي فَوْقَ وَهْمِنَا
وَأَمَكَّنَنَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ وَمُعْتَدِّ
وَأَيَّدَنَا بِالنَّصْرِ وَاتَّسَعَتْ لَنَا
مَمَالِكُ لَا تَدْعُوا سِوَى الْوَاحِدِ الْفَرْدِ
فَنَسْأَلُهُ إِتْمَامَ نِعْمَتِهِ بِأَنْ
يُثَبِّتَنَا عِنْدَ الْمَصَادِرِ كَالْوَرْدِ
فِيَا فَوْزَ عَبْدٍ قَامَ لِلَّهِ جَاهِدًا
عَلَى قَدَمِ التَّجْرِيدِ يَهْدِي وَيَسْتَهْدِي

وَجَرَّدَ فِي نَصْرِ الشَّرِيعَةِ صَارِمًا بَعَزَمَ يُرَى أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ الْهِنْدِيِّ
 وَتَابَعَ هَدْيَ الْمُصْطَفَى الطُّهْرَ مُخْلِصًا
 لِخَالِقِهِ فِيمَا يُسِرُّ وَمَا يُبْدِي
 وَيَا حَسْرَةَ الْمَخْرُومِ رَحْمَةً رَّبِّهِ
 بِاعْرَاضِهِ عَنِ دِينِ ذِي الْجُودِ وَالْمَجْدِ
 لَقَدْ فَاتَهُ الْخَيْرَ الْكَثِيرُ وَمَا دَرَى
 وَقَدْ خَابَ وَاخْتَارَ التُّحُوسَ عَلَى السَّعْدِ
 وَمَنْ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ أَزْكَى صَلَاتِهِ
 وَتَسْلِيمِهِ الْأَوْفَى الْكَثِيرِ بِلا حَادِ
 عَلَى الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْأَنْبَاءِ وَالْآلِ
 وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ السَّوَابِقِ وَالزُّهْدِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَاغْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ .
 اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا وَأَمِّنْ خَوْفَنَا وَاخْتِمِ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا
 وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَحَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

وَمِنْ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ ، وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ ، وَمُلَازِمَةِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ ، قَوْلُهُ
 تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ
 تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا
 آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ

يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٣﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ .

شِعْرًا :

أَطِيبُ الطَّيِّبَاتِ فِعْلُ الْفَرَاغِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِقَتْلِ الْأَعَادِي

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ
الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ .

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ ، وَالْحَثِّ عَلَيْهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ ، فَإِلَيْكَ مِنْهَا طَرَفًا
فَتَأَمَّلْهُ وَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ ، وَأَنْ يَزِدُّنَا وَإِيَّاكَ الشَّهَادَةَ ، وَأَنْ يُلْحِقَنَا
بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَيَجْمَعَنَا وَإِيَّاهُمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ . فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ : سئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
» . قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : « حَجٌّ مُبْرُورٌ »
. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؟
قَالَ : « الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا » . قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : « بِرُّ الْوَالِدَيْنِ » . قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟
قَالَ : « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وَعَنْ أَبِي دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : «
الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَعْدُوَةٌ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رُوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

شِعْرًا :

وَلَمْ أَرَى فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْجِهَادِ
جِهَادِ النَّفْسِ مَعَ قَتْلِ الْأَعَادِي لِذَيْنِ اللَّهِ فَافْهَمُ مِنْ مُرَادِ

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « مُؤْمِنٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ اللَّهَ ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ الْعَدُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ فِيهِ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْقَتَانُ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ فِتْنَةِ الْقَبْرِ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ . وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

اللَّهُمَّ اغْصِمْنَا عَنِ الْمَعَاصِي وَالزَّلَّاتِ وَوَقِّمْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَضَمَّنَ اللَّهُ
لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيمَانًا بِي وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي فَهُوَ ضَامِنٌ أَنْ
أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ
بِيَدِهِ مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كَلِمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ ، وَرِيحُهُ
رِيحُ مِسْكِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ
تَعْرُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً ، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا
عَنِّي ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَعْرُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ، ثُمَّ أَعْرُو فَأُقْتَلُ ، ثُمَّ أَعْرُو
فَأُقْتَلُ » . رواه مسلم . وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ مَكْلُومٍ
يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلِمُهُ يَدْمَى اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالرَّيْحُ رِيحُ مِسْكِ » .
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ
رَجُلٍ مُسْلِمٍ فَوَاقَ نَاقَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ جُرِحَ جَرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَعْزَرَ مَا كَانَتْ لَوْنُهَا الرَّعْفَرَانُ وَرِيحُهَا كَالْمِسْكِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِشَعْبٍ فِي عُيَيْنَةٍ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٍ ،

فَأَعْجَبْتُهُ فَقَالَ : لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشَّعْبِ وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ اغْرُؤُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » . رواه الترمذي . وقال : حديثٌ حسنٌ .

وعنه قال : قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « لا تستطيعونه » . فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : « لا تستطيعونه » . ثم قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله » . متفقٌ عليه ، وهذا لفظٌ مسلمٌ .

وفي روايةٍ للبخاري أنّ رجلاً قال : يا رسول الله ذلني على عمل الجهاد قال : « لا أجده » . ثم قال : « هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر » ؟ فقال : « ومن يستطيع ذلك ؟ »

وعنه أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « من خير معاش الناس لهم رجلٌ ممسكٌ بعنان فرسه في سبيل الله يطير على منته كَلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَرْعَةً طَارَ عَلَى مَنْتِهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ أَوْ الْمَوْتَ مَطَانَّةً أَوْ رَجُلًا فِي غُنَيْمَةٍ أَوْ شَعْفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ أَوْ بَطْنٍ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأُودِيَةِ يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ » . رواه مسلم .

شِعْرًا :

أَفَادَتْنِي الدِّيَانَةُ كُلَّ عَزْرٍ وَهَلْ شَيْءٌ أَعَزُّ مِنَ الدِّيَانَةِ

فَصَيَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَصَيَّرَ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَةً

آخر :

وَمَا نُبَالِي إِذَا أَدْيَانُنَا سَلِمَتْ بِمَا فَقَدْنَاهُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ نَسَبٍ
فَالْمَالُ مُكْتَسَبٌ وَالْعِزُّ مَطْلَبُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَا فِي الْمَالِ وَالنَّسَبِ

وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَائَةَ دَرَجَةٍ ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِنْ وَسْوَاسِ قُلُوبِنَا الْحَامِلَةِ عَلَى التَّوَرُّطِ فِي هُوَّةِ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَاجْعَلْ إِيْمَانَنَا إِيْمَانًا خَالِصًا صَادِقًا قَوِيًّا وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرِ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ عَيْشَنَا عَيْشًا رَعْدًا . وَلَا تُشِمْتِ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا وَارْزُقْنَا فِي مَحَبَّتِكَ عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا وَاسِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَحِفْظًا كَامِلًا وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَأَدَبًا مُرْضِيًّا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا الْقِيَامَ بِحَقِّكَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ ، وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ وَأَمَلْنَا يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ ، أَدِقْنَا بِرَدِّ عَفْوِكَ وَخِلَاوَةِ مَعْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » . فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ : أَعَدَّهَا عَلَيَّ يَا

رَسُولَ اللَّهِ . فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ ، قَالَ : « وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا الْعَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » . قَالَ : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . رواه مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ - يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ » . فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ فَقَالَ : يَا أَبَا مُوسَى أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ فَضْرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ . رواه مسلم .

وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ » . رواه البخاري .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَلْجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ ، وَلَا يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ » . رواه الترمذي ، وقال : حديثٌ حسنٌ صحيح .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . رواه الترمذي ، وقال : حديثٌ حسنٌ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ ، إِلَّا الشَّهِيدُ ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ » . وفي رواية : « لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ » .
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ » . رواه مسلم . وفي رواية له : « الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكْفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدَّيْنَ » .

اللَّهُمَّ اغصننا واحمنا عن الركون إلى عداك وارزقنا بغضهم وأعوانهم ووفقنا لمحبتك ومحبة رسلك وأوليائك واجعلنا هداة مهتدين .

اللَّهُمَّ بِنَحْنِ بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْحُزْنِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْأَوْلَادَ بِدُونِ تَرْبِيَةٍ لَا قِيمَةَ لَهُمْ بَيْنَ صُفُوفِ الْأَوْلَادِ ، بَلْ هُمْ بِدُونِ تَرْبِيَةٍ مُصِيبَةٌ كُبْرَى عَلَى الْوَالِدِينَ خَاصَّةً وَعَلَى الْمُجْتَمَعِ كُلِّهِ وَخَيْرٌ مِنْ وُجُودِهِمْ بِدُونِ تَرْبِيَةٍ أَوْ بِتَرْبِيَةٍ فَاسِدَةٍ عَدَمُهُمْ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي عَدَمِهِمْ ضَرَرٌ ، لَا عَلَى الْوَالِدِينَ وَلَا عَلَى الْجَمَاعَةِ وَلَا عَلَى الْأَفْرَادِ ، بَلْ فِي عَدَمِهِمْ مَصَالِحٌ مُتَعَدِدَةٌ ، هَذَا بَيَانُ حَالِهِمْ بِلَا تَرْبِيَةٍ أَوْ بِتَرْبِيَةٍ فَاسِدَةٍ ، فَلْيَعْلَمُهُ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ ، أَمَا التَّرْبِيَةُ فَشَيْءٌ هَيِّنٌ

يَسِيرٌ لِمَنْ وَقَّعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَمِنْ الْأَسْبَابِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَا تَعْمَلَ أَنْتَ وَرَوْحَتِكَ أَمَامَ
 أَوْلَادِكُمْ شَيْئًا يَكُونُ فَاعِلُهُ مُتَوَجِّهًا عَلَيْهِ قَدْرٌ مِنَ اللُّوْمِ ، بَلْ تَلْزِمَانِ الْآدَابِ السَّامِيَةِ وَالْأَخْلَاقِ
 الْفَاضِلَةِ لِيَقْتَدُوا بِكُمْ ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْوَلَدَ يُقَلِّدُ غَالِبًا أُمَّهُ وَأَبَاهُ تَقْلِيدًا مُطْلَقًا لَا عِقَالَ لَهُ وَلَا زِمَامَ
 وَيَتَحَدَّثُ عَنْ سِيرَةِ أَبِيهِ وَأَفْعَالِهِمَا وَيَفْتَحِرُ بِهِمَا وَبِمَا لُهُمَا مِنْ سَجَايَا وَيَمْدَحُهُمَا وَيَذُبُّ عَنْهُمَا
 بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ هَذَا فِي الْغَالِبِ كَمَا ذَكَرْنَا وَيَنْدُرُ خِلَافُهُ تَأْمَلْ مَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَتَعْلَمَ أَنَّ
 ذَلِكَ صِدْقٌ وَأَنَّ صِلَاحَ الْأَبَوَيْنِ وَتَوْجِيهَهُمَا تَوْجِيهًا حَسَنًا عَلَيْهِ مَدَارٌ عَظِيمٌ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ
 الْعَزِيزِ مَرَّاتٍ أَنَّ الرُّسُلَ بَعْدَ إِظْهَارِ الْمُعْجَزَاتِ يَدْعُونَ قَوْمَهُمْ لِلْكَمَالِ فَيُكذِّبُونَهُمْ فِي دَعْوَتِهِمْ
 وَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ بِحُجَّةٍ أَنَّ آبَائَهُمْ لَيْسَتْ أَعْمَالُهُمْ كَهَذِهِ الْأَعْمَالِ فَيُرْجِحُونَ عَمَلَ آبَائِهِمْ وَهُمْ كَفَرُوا
 عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ وَهُوَ دِينُ رَبِّنَا ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ قَالَ تَعَالَى عَنْ مَا قَالُوهُ : ﴿ إِنَّا
 وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ
 مُّهْتَدُونَ ﴾ هَكَذَا الْآبَاءُ عِنْدَ الْأَبْنَاءِ يَهْدِيهِ الْمَنْزِلَةُ الْعُظْمَى الَّتِي عِنْدَهُمْ لَا تُدَانِيهَا مَنْزِلَةُ عَظِيمٍ ،
 وَاسْمَعْ إِلَى قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ يَتَحَدَّى جَرِيرًا :

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْتِي بِمِثْلِهِمْ

إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ

ويقول الآخر :

إِنَّا نَبِيٌّ عَلَىٰ مَا شَيْدَتْهُ لَنَا

آبَاؤُنَا الْغُرُّ مِنْ مَجْدٍ مِنْ كَرَمِ

آخر :

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا

عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبُوهُ

حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَخْلِفُونَ بِأَبَائِهِمْ حَتَّى نَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَا تَخْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ » . وَكَذَلِكَ نَهَى عَنِ الْخُلْفِ بِغَيْرِ الْآبَاءِ ، وَلِذَلِكَ أَبْنَاءُ الْوَالِدِينَ الْكَامِلِينَ لَا يَعْمَلَانِ إِلَّا الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ الَّتِي رَأَوْا وَالِدَيْهِمْ يَعْمَلَانَهَا فَيَشْبُونَ وَيَشِيُونَ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا الْكَمَالَ وَلَوْ كَلَّمْتَهُمْ غَيْرَهُ قَالُوا : إِنَّ هَذَا وَالِدَانَا لَا يَعْرِفَانِهِ ، وَتَجِدُ أَبْنَاءَ الْمُنْحَرِفِينَ الْفَاسِدِينَ فَاسِدِينَ كَأَبَائِهِمْ غَالِبًا ، لِأَنَّهُمْ وَرِثُوا الْفَسَادَ مِنْ آبَائِهِمْ ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ أَبْنَاءَ الْفَاسِدِينَ الْفَاسِقِينَ يَحْكُونَ عَنْ آبَائِهِمْ مَا يَتَغَيَّرُ لَهُ وَجْهُ صَاحِبِ الدِّينِ وَمِنَ النَّادِرِ أَنْ تَجِدَ وَلَدَ الْفَاسِدِينَ لَيْسَ فَاسِدًا وَمِنَ الشُّذُودِ أَيْضًا أَنْ تَجِدَ وَلَدَ التَّقِيِّ وَالتَّقِيَّةِ شَقِيًّا فَاسِدًا هَذَا يُعْرَفُ قَدِيمًا قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى تَعْلِيمَ الشَّبَابِ ضِعَافُ الدِّينِ وَمَنْ لَا دِينَ لَهُمْ وَلَا أَخْلَاقَ وَإِنْ شِئْتَ فَاقْرَأْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴾ ﴿ وَمَ يُرِثَهَا قَوْمُهَا مِنَ الْفَاحِشَةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ بَرَّاهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَقِبَ الْوِلَادَةِ عَلَى لِسَانِ وَلَدِهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَفَ قَوْمُهَا أَنَّ الْوَلَدَ يَتَّبِعُ أَبَوَيْهِ فِي الْعَالِبِ حَسَبِ الْعَادَةِ الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَبْوَيْنِ فَاسْتَعْرَبُوا مِنْ مَرْيَمَ الطَّاهِرَةِ الْعَفِيفَةِ أَنْ تَفْعَلَ الْفَاحِشَةَ لَمَّا رَأَوْا بِأَعْيُنِهِمْ عَلَى كَتِفِهَا وَلَدًا مِنَ الْأَوْلَادِ وَيَحْسَبُ مَا أَجْرَى اللَّهُ مِنَ الْعَادَةِ أَنَّهُ لَا يَجِيءُ الْوَلَدُ إِلَّا مِنَ الْوَالِدِ لِذَلِكَ فَهَمَّ قَوْمُهَا فِيهَا أَنَّهَا جَاءَتْ هَكَذَا مِنَ الْوَالِدِينَ صَالِحِينَ عَلَى خِلَافِ الْمُعْتَادِ وَمَ يَعْرِفُوا أَنَّهَا جَاءَتْ كَالْعَادَةِ صَالِحَةً مِنَ الصَّالِحِينَ إِلَّا

بَعْدَ أَنْ كَلَّمَهُمْ وَلَدَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَقَبَ وَلَادَتِهِ بِمَا يُرْوَاهَا رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ
أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَتَرَكَ الرِّضَاعَ وَأَشَارَ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ يَتَكَلَّمُ فَوَصَفَ نَفْسَهُ بِجُمْلَةٍ صِفَاتٍ فَقَالَ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ
إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ
أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .

فَوَلَادَةُ عِيسَى عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَجِيبَةٌ حَقًّا بِالْقِيَاسِ إِلَى مَأْلُوفِ
الْبَشَرِ وَلَكِنْ لَا غَرَابَةَ فِيهَا عِنْدَمَا تُقَاسُ إِلَى خَلْقِ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ
عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ فالله جَلَّ وَعَلَا لَا يُعْجِزُهُ
شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَالْهَدَفُ الْمَقْصُودُ مِنْ مَا تَقَدَّمَ الْحِرْصُ وَالْجِدُّ وَالِاجْتِهَادُ عَلَى
تَوْجِيهِ الْأَوْلَادِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَأَنْ يَحْرِصُوا جَدًّا عَلَى مِلَاخِظَتِهِمْ
وَحِفْظَتِهِمْ عَنْ مُرَافَقَةِ الْأَشْرَارِ وَمَنْعِهِمْ مِنْ حُضُورِ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ كَالْتَلْفِيزِيُونَ مَقْبَرُهُ
الْأَخْلَاقِ وَالْفَيْدِيُّو مُعَلِّمِ الْمَسَادِ وَالْكُورَةِ مُورِثَةِ الْعَدَاوَةِ وَالْفُرْقَةِ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ وَمِنَ الْخُرُوجِ
لَيْلًا حَسَبَ الْاسْتِطَاعَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْهُدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ بِيَدِ اللَّهِ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَلَوْ كَانَ مِنْ دُرِّيَّةِ
الرُّسُلِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْفِرَاعِنَةِ وَالْكَفَرَةِ قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُخْلَقْ سَعِيدًا تَخَلَّفَتْ ظُنُونُ مُرِيٍّ وَخَابَ الْوَمَلُ

فَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ جِبْرِيلُ كَافِرٌ وَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ فِرْعَوْنُ مُرْسَلٌ

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَرِزْقًا وَاسِعًا نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ ، وَقَلْبًا خَاشِعًا ،
وَلِسَانًا ذَاكِرًا ، وَإِيمَانًا خَالِصًا ، وَهَبْ لَنَا إِنَابَةَ الْمُخْلِصِينَ وَخُشُوعَ الْمُخْبِتِينَ ، وَأَعْمَالَ
الصَّالِحِينَ ، وَيَقِينَ الصَّادِقِينَ ،

وَسَعَادَةَ الْمُتَّقِينَ ، وَدَرَجَاتِ الْفَائِزِينَ ، يَا أَفْضَلَ مَنْ رُجِّيَ وَقُصِدَ ، وَأَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ .
 اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَّتُظَنَّا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ وَبَبْهَنَا لِاعْتِنَامِ أَوْقَاتِ
 الْمُهَلَّةِ وَوَفُقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَأَعَصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا
 وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ .
 اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا إِتْبَاعَهُ ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ۝ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(فصل)

في هذه الآيات الكريمات ، والأحاديث الشريفة بيان فضل الجهاد والشهداء وكرامتهم ،
 وما من الله عليهم به من فضله وإحسانه ، وفي ضمنها تسليئة للأحياء عن قتالهم ، وتغزية لهم
 ، وتثبيط لهم على القتال في سبيل الله والمثابرة عليه ، والتعرض للشهادة ، والجِدِّ والاجتهاد
 في الحصول عليها ، نسأل الله الحي القيوم ، العلي العظيم ، أن يوفقنا لها إنَّه القادر على ذلك

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ
 إِلَى بَنِي مَعُونَةَ - قَالَ : لَا أَذْرِي أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ وَعَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ الْجَعْفَرِيُّ
 فَخَرَجَ أَوْلَتْكَ النَّفْرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَوْا غَارًا مُشْرِفًا عَلَى الْمَاءِ
 ، فَقَعَدُوا فِيهِ ثُمَّ قَالَ : بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَيُّكُمْ يُبَلِّغُ رِسَالَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ
 هَذَا الْمَاءِ ؟ فَقَالَ - أَرَاهُ - أَبُو مِلْحَانَ الْأَنْصَارِيُّ : أَنَا أُبَلِّغُ رِسَالَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى حَوْلَ بَيْتِهِمْ فَاخْتَبَأَ أَمَامَ الْبُيُوتِ ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ بَنِي مَعُونَةَ إِنِّي رَسُولُ
 رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،

وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ كَسْرِ الْبَيْتِ بِرُمَحٍ ، فَضَرَبَهُ فِي جَنْبِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ فَاتَّبَعُوا أَثَرَهُ حَتَّى أَتَوْا أَصْحَابَهُ فِي الْغَارِ فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ . وَقَالَ إِسْحَاقُ وَهُوَ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ : حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِيهِمْ قُرْآنًا (بَلَّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِي عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ) . ثُمَّ نُسِخَتْ فَرَفِعَتْ بَعْدَ مَا قَرَأَهَا زَمَانًا وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فَقَالَ : أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ لَهَا قِنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقِنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَطْلَاعَةً فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا ؟ قَالُوا : أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهُي وَنَحْنُ نَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا ففَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا : يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرْكَوَا » .

قال ابن القيم رحمه الله : عَزَى اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَوْلِيَاءَهُ عَمَّنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِهِ ، أَحْسَنَ تَعْزِيَةً وَأَلْطَفَهَا وَأَدْعَاهَا إِلَى الرِّضَا بِمَا قَضَاهُ لَهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ الآية فَجَمَعَ لَهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ مَنْزِلَةَ القُرْبِ مِنْهُ ، وَأَهَمَّ عِنْدَهُ ، وَجَرِيَانَ الرِّزْقِ الْمُسْتَمَرِّ عَلَيْهِمْ وَفَرَحَهُمْ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَهُوَ فَوْقَ الرِّضَا وَاسْتَبْشَارَهُمْ بِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ بَاجْتِمَاعِهِمْ بِهِمْ يَتَمُّ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ

وَاسْتَبَشَّرَهُمْ بِمَا يُجَدِّدُ لَهُمْ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ نِعْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسُرُّهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا إِلَّا الشَّهِيدُ فَإِنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى مِمَّا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ » . تَفَرَّدَ بِهِ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَعْلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَقَالَ لَهُ : تَمَنَّ . فَقَالَ لَهُ : أُرِدُّ إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى ، قَالَ : إِيَّيْ قَضَيْتُ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ » . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَبْكِي وَأَكْشِفُ التُّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ فَجَعَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَوْنِي وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْهَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَبْكِيهِ - أَوْ مَا تَبْكِيهِ - مَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظَلُّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا حَتَّى رُفِعَ » . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرْدُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَا كَلِمِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَحُسْنَ مَقِيلِهِمْ ، قَالُوا : يَا لَيْتَ إِخْوَانِنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِنَا لئَلَّا يَرْهَدُوا فِي الْجِهَادِ ، وَلَا يَنْكَلُوا عَنِ الْحَرْبِ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزِلَ هَذِهِ الْآيَاتِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الْآيَاتِ .

قال ابن القيم رحمه الله :

فالشَّانُ لِأَرْوَاحِ بَعْدَ فِرَاقِهَا

أَبَدَانِهَا وَاللَّهِ أَعْظَمُ شَانِ

إِمَّا عَذَابٌ أَوْ نَعِيمٌ دَائِمٌ

قَدْ نَعَّمْتَ بِالرُّوحِ وَالرِّيحَانِ

وَتَصِيرُ طَيْرًا سَارِحًا مَعَ شَكْلِهَا

تَجْنِي الثَّمَارَ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ

وَتَظَلُّ وَارِدَةً لِأَنَّهَا إِرْبَاهَا

حَتَّى تَعُودَ لِذَلِكَ الْجَنَّةِ

لِكِنَّ أَرْوَاحِ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا

فِي جَوْفِ طَيْرٍ أَخْضَرَ رِيَّانِ

فَلَهُمْ بِذَلِكَ مَرِيَّةٌ فِي عَيْشِهِمْ

وَنَعِيمُهُمْ لِلرُّوحِ وَالْأَبْدَانِ

بَذَلُوا الْجُسُومَ لِرَبِّهِمْ فَأَعَاضُهُمْ

أَجْسَامَ تِلْكَ الطَّيْرِ بِالْإِحْسَانِ

وَلَهَا قَنَادِيلٌ إِلَيْهَا تَنْتَهِي

مَأْوَى لَهَا كَمَا كَانَتِ الْإِنْسَانِ

فَالرُّوحُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَكْمَلُ حَالَةٍ

مِنْهَا بِهَذَا الدَّارِ فِي جُثْمَانِ

وَعَذَابٌ أَشَقَّهَا أَشَدُّ مِنَ الَّذِي قَدْ عَايَنْتِ أَبْصَارُهَا بَعِيَانِ

اللَّهُمَّ يَا فَالِقَ الحَبِّ والنَّوَى ، يَا مُنْشِئَ الأَجْسَادِ بَعْدَ البَلَى يَا مُؤَوِي المَنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَ المَتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انْقَطَعَ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ ، وَخَابَتِ الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ ، وَضَعَفَ الاِعْتِمَادُ إِلَّا عَلَيْكَ نَسَأُكَ أَنْ تُمَطَّرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا مِنْ سَحَائِبِ بَرِّكَ وَإِحْسَانِكَ وَأَنْ تُوفِّقَنَا لِمُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رُؤُوفٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسَأُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَنَسَأُكَ بَرَكَهَ الحَيَاةِ وَخَيْرِ الحَيَاةِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الحَيَاةِ ، وَشَرِّ الوَفَاةِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بِنُ عَمْرٍو بِنِ حَرَامٍ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ قَبْلَ أَحَدٍ مُبَشِّرٌ بِنِ عَبْدِ المُنْذِرِ يَقُولُ لِي : أَنْتَ قَادِمٌ عَلَيْنَا فِي أَيَّامٍ . فَقُلْتُ : وَأَيَّنَ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : فِي الجَنَّةِ نَسْرُحٌ فِيهَا حَيْثُ نَشَاءُ قُلْتُ لَهُ : أَلَمْ تُفْتَلِنِ يَوْمَ بَدْرٍ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، ثُمَّ أُحْيِيْتُ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « هَذِهِ الشَّهَادَةُ يَا جَابِرُ » . وَقَالَ حَيْثُمَةُ وَكَانَ ابْنُهُ قَدْ اسْتَشْهَدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ - : لَقَدْ أَخْطَأْتَنِي وَقَعُهُ بَدْرٍ ، وَكُنْتُ وَاللهِ عَلَيْهَا حَرِيصًا .

حَتَّى سَاهَمْتُ ابْنِي فِي الحُرُوجِ ، فَخَرَجَ سَهْمُهُ فَرَزَقَ الشَّهَادَةَ وَقَدْ رَأَيْتُ البَارِحَةَ ابْنِي فِي النَّوْمِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، يَسْرُحُ فِي ثَمَارِ الجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا ، يَقُولُ : الحَقُّ بِنَا تُرَافِقُنَا فِي الجَنَّةِ ، فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَ رَبِّي حَقًّا ، وَقَدْ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا إِلَى مُرَافَقَتِهِ فِي الجَنَّةِ ، وَقَدْ كَبُرَتْ سِيِّي ، وَرَقَّ عَظْمِي وَأَحْبَبْتُ لِقَاءَ رَبِّي ، فَادْعُ اللهُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَرزُقَنِي الشَّهَادَةَ وَمُرَافَقَةَ سَعْدِي فِي الجَنَّةِ ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ ، فَفُتِلَ بِأَحَدٍ شَهِيدًا ، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ

ابن جَحْشٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ أَلْمَى الْعَدُوَّ غَدًا فَيَقْتُلُونِي ثُمَّ يَبْتُمِرُوا بَطْنِي ، وَيَجْدَعُوا أَنْفِي وَأُذُنِي ، ثُمَّ تَسْأَلْنِي فِيهِمْ ذَلِكَ فَأَقُولُ : فِيكَ .

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ ، وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنِينَ شَبَابٌ يَغْرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَا ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى أَحَدٍ أَرَادَ أَنْ يَتَوَجَّهَ مَعَهُ فَقَالَ لَهُ بَنُوهُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً فَلَوْ قَعَدْتَ فَنَحْنُ نَكْفِيكَ وَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ عَنْكَ الْجِهَادَ فَأَتَى عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَنِي هَؤُلَاءِ يَمْنَعُونِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أُسْتَشْهَدَ فَأَطَّأَ بِعَرَجِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ عَنْكَ الْجِهَادَ » . وَقَالَ لِبَنِيهِ : « وَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْعُوهُ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ » . فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ ، لَعِنَ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيْرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ : يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ الْجَنَّةِ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ . قَالَ سَعْدٌ : فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ . قَالَ أَنَسُ : فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثْمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمِيَةً بِسَهْمٍ ، وَوَجَدْنَا قَدْ

قَتِلَ وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُه بِنَانِهِ . قَالَ أَنَسٌ : كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾ إِلَى آخِرِهَا . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ ، لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا ، قَالَا : أَمَا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ » . رواه البخاري .

شِعْرًا :

لَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كَانَ بَاكِيًا
 وَلَا تَنْسَ قَبْرًا بِالْمَدِينَةِ ثَاوِيًا
 جَزَى اللَّهُ عَنَّا كُلَّ خَيْرٍ مُحَمَّدًا
 فَقَدْ كَانَ مَهْدِيًا دَلِيلًا وَهَادِيًا
 وَلَنْ تَسْرِي الذِّكْرَى بِمَا هُوَ أَهْلُهُ
 إِذَا كُنْتَ لِلْبُرِّ الْمُطَهَّرِ نَاسِيًا
 أَنْتَسَى رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَلَ مَنْ مَشَى
 وَأَثَارُهُ بِالْمَسْجِدَيْنِ كَمَا هِيَا
 وَكَانَ أَبْرَ النَّاسِ بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ
 وَأَكْرَمَهُمْ بَيْتًا وَشِعْبًا وَوَادِيًا
 تَكْدَرُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا كَانَ صَافِيًا

فَكَمْ مِنْ مَنْارٍ كَانَ أَوْضَحَهُ لَنَا
وَمِنْ عَلَمٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ عَافِيَا
رَكَّنَا إِلَى الدُّنْيَا الدَّيِّبَةِ بَعْدَهُ
وَكَشَّفَتِ الأَطْمَاعُ مِنَّا الْمَسَاوِيَا
وَإِنَّا لَنُرْمَى كُلَّ يَوْمٍ بِعَبْرَةٍ
نَرَاهَا فَمَا نَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
نَسْرُ بِدَارٍ أَوْرَثْتَنَا تَضَاغُنَا
عَلَيْهَا وَدَارٍ أَوْرَثْتَنَا تَعَادِيَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ لِبَاسًا مِنَ التَّقَى
تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
أَخِي كُنْ عَلَى يَأْسٍ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
جَمِيعًا وَكُنْ مَا عِشْتَ لِلَّهِ رَاجِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَكْفِي عِبَادَهُ
فَحَسْبُ عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ كَافِيَا
وَكَمْ مِنْ هَنَاتٍ مَا عَلَيْكَ لَمَسْتَهَا
مِنَ النَّاسِ يَوْمًا أَوْ لَمَسْتَ الأَفَاعِيَا
أَخِي قَدْ أَبَى بُخْلِي وَبُخْلِكَ أَنْ يُرَى
لِيذِي فَاقَةَ مِنِّي وَمَنْكَ مُوَاسِيَا
كِلَانَا بَطِينٌ جَنْبُهُ ظَاهِرُ الكُوسَى
وَفِي النَّاسِ مَنْ يُمْسِي وَيُصْبِحُ طَاوِيَا
كَأَنَّا خُلِقْنَا لِلْبَقَاءِ وَإِنَّا

وَإِنْ مُدَّتِ الدُّنْيَا لَهُ لَيْسَ فَايَا
 أَبِي الْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِمَنْ تَوَى
 مِنَ الْخَلْقِ طَرًّا حَيْثُمَا كَانَ لَا قِيَا
 حَسَمْتَ الْمُنَى يَا مَوْتُ حَسَمًا مُبَرِّحًا
 وَعَلِمْتَ يَا مَوْتُ الْبُكَاءَ الْبَوَاكِيَا
 وَمَرَّقْتَنَا يَا مَوْتُ كُلِّ مَمَرِّقٍ
 وَعَرَفْتَنَا يَا مَوْتُ مِنْكَ الدَّوَاهِيَا
 أَلَا يَا طَوِيلَ السَّهْوِ أَصْبَحْتَ سَاهِيًا
 وَأَصْبَحْتَ مُعْتَرًّا وَأَصْبَحْتَ لَاهِيَا
 أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَلْقَى جِنَازَةً
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَسْمَعُ نَاعِيَا
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ نَرْتِي لِمَعْوِلٍ
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نُسْعِدُ بَاكِيَا
 أَلَا أَيُّهَا الْبَانِي لِيغْرِ بِلَاغِهِ
 أَلَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ أَصْبَحْتَ بَانِيَا
 أَلَا لِزَوَالِ الْعُمْرِ أَصْبَحْتَ جَامِعَا
 وَأَصْبَحْتَ مُخْتَالًا فَخُورًا مُبَاهِيَا
 كَأَنَّكَ قَدْ وَلَّيْتَ عَنْ كُلِّ مَا تَرَى
 وَخَلَّفْتَ مَنْ خَلَّفْتَهُ عَنْكَ سَالِيَا

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ وَاعْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ قَنِّعْنَا مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا
 كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَسْكِنْنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ

مَلَجُونًا وَمَلَاذِنًا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

في وقعة بدر

فَلَمَّا كَانَ فِي رَمَضَانَ فِي الْعَامِ الثَّانِي ، فِي سَبْعَةِ عَشَرَ ، فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَقَعَتْ بَدْرٌ
بَيْنَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَيْشِهِ ، وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَهِيَ قِصَّةٌ
مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ السِّيَرِ وَالتَّوَارِيخِ وَمُلَخَّصَتُهَا أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ الْعِيرِ الْمُقْبِلَةَ مِنَ الشَّامِ لِغُرَيْشٍ ، الْعِيرِ الَّتِي خَرَجُوا فِي طَلَبِهَا ، لَمَّا خَرَجَتْ مِنْ
مَكَّةَ ، وَكَانُوا نَحْوَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، وَفِيهَا أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ لِغُرَيْشٍ ، حَتَّى لَقِدَ قَيْلٌ إِنَّهُ قَوْمٌ مَا فِيهَا
بِنَحْوِ خَمْسِينَ أَلْفِ دِينَارٍ فَتَرَامَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْبَاؤُهَا ، بِأَنَّهَا قَدْ فَصَلَتْ مِنَ الشَّامِ ،
عَائِدَةً إِلَى مَكَّةَ ، فَندَبَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، لِلْخُرُوجِ إِلَيْهَا ، وَأَمَرَ مَنْ
كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا بِالنُّهُوضِ ، وَلَمْ يَنْتَظِرْ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ غَائِبًا ، وَلَمْ يَحْتَفِلْ لَهَا اخْتِفَالًا بَلِيغًا ،
لأنَّهُ خَرَجَ مُسْرِعًا وَمَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَسَارَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ بِيوتَ السُّفْيَا ، وَهِيَ أَبَارٌ عَذْبَةٌ الْمَاءِ ، عَلَى نَحْوِ مِيلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَانزَلَ
بِهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، فَضَرَبَ عَسْكَرَهُ هُنَاكَ .

ثُمَّ عَرَضَ الْجُنْدَ ، فَرَدَّ مِنْهُمْ صِغَارَهُمْ ، الَّذِينَ لَا يَقْوُونَ عَلَى حَمْلِ السَّلَاحِ ، فَكَانَ مِنْهُمْ
رَدَّهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَرَافِعُ بْنُ خُدَيْجٍ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بْنُ سَمَّاكٍ ،
وَزَيْدُ بْنُ

الأرقم ، وزيد بن ثابت ، وعرض عمير بن أبي وقاصٍ فاستصغره فبكى عمير ، فأجازه ، وسيره مع الجيش ، وروى الواقدي عن سعد ابن أبي وقاصٍ أنه قال : رأيت أخي عمير بن أبي وقاصٍ ، قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوارى ، فقلت مالك يا أخي ؟ قال : إني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستصغري فيردني ، وأنا أحب الخروج ، لعل الله يرزقني الشهادة ، قال : فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستصغره ، فقال : « ارجع » . فبكى عمير ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فكان سعد يقول : كنت أعتقد له حمائل سيفه .. فقتل بدير وهو ابن ست عشرة سنة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيوت السُّفيا في نحو خمسة عشر وثلاثمائة ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عد أصحابه يوم بدر ، وجدهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ففرح بذلك وقال : « عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهار » . وكان فيهم نحو سبعين من المهاجرين ، ونحو مائتين وأربعين من الأنصار ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان ، فرس للزبير بن العوام ، وفرس للمقداد بن الأسود الكندي ، وكان معهم سبعون بعيراً ، يعتقب الرجال والثلاثة على البعير الواحد ، والأربعة على بعير واحد ، يتبادلون الركوب عليه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي بن أبي طالب ، ومرثد بن أبي مرثد العنوي يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة ، وزيد بن حارثة ، وأبو كبشة ، وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا .
 وَهَكَذَا كَانَ كُلُّ جَمَاعَةٍ يَتَعَاقِبُونَ الْمَشْيِي ، وَيَتَبَادَلُونَ الرُّكُوبَ عَلَى بَعِيرِهِمْ ، وَكَانَ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي إِلَّا أَنْ يُشَارِكَ أَصْحَابُهُ فِي تَعَبِهِمْ وَرَاحَتِهِمْ ، وَإِلَّا أَنْ يَأْخُذَ دَوْرَهُ فِي
 الْمَشْيِ وَفِي الرُّكُوبِ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْتَهَتْ نَوْبَتُهُ فِي الرُّكُوبِ نَزَلَ
 فَيَقُولُ لَهُ رَفِيقَاهُ : إِرْكَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ . فَيَقُولُ لَهُمَا : « مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى
 مِنِّي عَلَى الْمَشْيِ ، وَمَا أَنَا بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمْ » .

وَكَانَ أَصْحَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ ، فَقَرَّ وَعُرِي ، وَلِذَلِكَ فَقَدَ رُؤْيَ أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى أَصْحَابِهِ حِينَ خَرَجُوا إِلَى بَدْرِ ، فَأَثَّرَ فِي نَفْسِهِ مَنْظَرُهُمْ ،
 فَدَعَا اللَّهَ لَهُمْ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ حُفَاةٌ فَاحْمِلُهُمْ ، وَعُرَاةٌ فَاسْكُسُهُمْ ، وَجِيَاعٌ فَاشْبِعُهُمْ ،
 وَعَالَةٌ فَاعْنِهِمْ مِنْ فَضْلِكَ » . وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَعَلَى الصَّلَاةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَلَمَّا
 كَانَ بِالرُّوحَاءِ رَدَّ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْدَرِ ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ .

شِعْرًا :

وَنَشَّهَدُ أَنَّ اللَّهَ خَاصَّ رَسُولَهُ

بِأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ فَضْلًا وَأَيَّدَا

فَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ

بِهِمْ يَقْتَدِي فِي الدِّينِ كُلُّ مَنْ أَقْتَدَا

وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ
 أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ذُو الْفَضْلِ وَالنَّيِّبِ
 لَقَدْ صَدَّقَ الْمُخْتَارَ فِي كُلِّ قَوْلِهِ
 وَأَمِنَ قَبْلَ النَّاسِ حَقًّا وَوَحْدًا
 وَفَادَاهُ يَوْمَ الْغَارِ طَوْعًا بِنَفْسِهِ
 وَوَأَسَاهُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى تَجَرَّدَا
 وَمِنَ بَعْدِهِ الْفَارُوقُ لَا تَنْسَ فَضْلَهُ
 لَقَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ حِصْنًا مُشِيدًا
 لَقَدْ فَتَحَ الْفَارُوقُ بِالسَّيْفِ عَنُودَهُ
 كَثِيرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَمَهَّجَدًا
 وَأَطْهَرَ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ خَفَائِهِ
 وَأَطْفَأَ نَارَ الْمُشْرِكِينَ وَأَخْمَدًا
 وَعُثْمَانَ ذُو الثُّورَيْنِ قَدْ مَاتَ صَائِمًا
 وَقَدْ قَامَ بِالْقُرْآنِ دَهْرًا تَهَجَّدًا
 وَجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرِ يَوْمًا بِمَالِهِ
 وَوَسَّعَ لِلْمُخْتَارِ وَالصُّحْبِ مَسْجِدًا
 وَبَايَعَ عَنْهُ الْمُصْطَفَى بِشِمَالِهِ
 مُبَايَعَةَ الرِّضْوَانِ حَقًّا وَأَشْهَدًا
 وَلَا تَنْسَ صِهْرَ الْمُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ
 فَقَدْ كَانَ حَبْرًا لِلْعُلُومِ وَسَيِّدًا
 وَفَادَى رَسُولَ طَوْعًا بِنَفْسِهِ

عَشِيَّةَ لَمَّا بِالْفِرَاشِ تَوَسَّادَا
 وَمَنْ كَانَ مَوْلَاهُ النَّبِيُّ فَقَدْ عَدَا
 عَلَيَّ لَهُ بِالْحَقِّ مَوْلَاً وَمُنْجِدَاً
 وَطَلَحَتْهُمْ ثُمَّ الرُّبَيْرُ وَسَعْدُهُمْ
 كَذَا وَسَعِيدٌ بِالسَّعَادَةِ أَسْعِدَا
 وَكَانَ ابْنُ عَوْفٍ بِإِذْلِ الْمَالِ مُنْفِقَاً
 وَكَانَ ابْنُ جَرَّاحٍ أَمِينًا مُؤَيَّدَاً
 وَلَا تَنْسَ بَاقِي صَاحِبِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ
 وَأَنْصَارَهُ وَالتَّابِعِينَ عَلَيَّ الْهُدَى
 فَكُلُّهُمْ أَنَّنِي الْإِلَهُ عَلَيْهِمْ
 وَأَنْنِي رَسُولَ اللَّهِ أَيُّضًا وَأَيَّدَا

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حَزْبِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهَلَّتْهُمْ لِحْدَمَتِكَ وَجَعَلْتَهُمْ مِمَّنْ قَبِلَتْ
 صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى غَيْرِ لَوَاءٍ مَعْقُودٍ ، وَلَكِنَّهُ مُنْذُ خَرَجَ مِنْ
 بُيُوتِ السُّقْيَا وَضَعَ رِجَالَهُ فِي تَشْكِيلِ حَرْبِيٍّ ، يُلَائِمُ ظُرْفَ السَّيْرِ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ ، فَقَدْ يَلْقَوْنَ
 عَدُوَّهُمْ فُجَاءَةً ، وَهُمْ عَلَى غَيْرِ أَهْبَةِ لِلْقِتَالِ ، وَقَدْ يَأْخُذُهُمْ عَدُوَّهُمْ عَلَى غِرَّةٍ مِنَ الْخَلْفِ ، وَهُمْ

كَلَّمَا بَعُدُوا عَنِ الْمَدِينَةِ تَقَدَّمُوا فِي أَرْضٍ يُسَيِّطِرُ عَلَيْهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَنْ يُشَاهِبُونَهُمْ فِي عِدَاوَةِ الْإِسْلَامِ ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَنْظِيمِ رِجَالِهِ ، عَلَى النَّحْوِ الَّذِي أَحْرَى أَنْ يَأْمَنَ بِهِ الْمُفَاجَأَةُ ، فَجَعَلَ عَلَى السَّاقَةِ قَيْسَ ابْنَ أَبِي صَعْصَعَةَ ، وَعَلَى الْمُقَدَّمَةِ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ ، وَأَظْهَرَ السَّلَاحَ ، وَعَقَدَ أَلْوِيَّةً ثَلَاثَةً لِيَوَاءِ أَبِيضَ يَحْمِلُهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَرَايَتَانِ سَوْدَاوَانِ ، إِحْدَاهُمَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْأُخْرَى لِلْأَنْصَارِ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ . وَسَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الصَّفْرَاءِ قَدَّمَ عَيْنِينَ لَهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ، يَتَحَسَّسَانِ أَخْبَارَ الْعِيرِ ، وَالْعَيْنَتَانِ بِنَبَسِ بْنِ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ ، وَعُغْدِيُّ بْنُ أَبِي الرَّغْبَاءِ الْجُهَنِيِّ ، فَأَنْتَهَيَا إِلَى مَاءِ بَدْرِ ، فَوَجَدَا هُنَاكَ جَارِيَتَيْنِ تَسْتَقِيَانِ مِنَ الْمَاءِ ، وَعَلِمَا مِنْ حِوَارِهِمَا أَنَّهُمَا تَتَرَقَّبَانِ عِيرَ قُرَيْشٍ ، وَأَنَّهَا تَصِلُ إِلَى بَدْرِ عَدًّا أَوْ بَعْدَ عَدٍّ فَرَجَعَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ بِذَلِكَ .

وَأَمَّا أَبُو سُفْيَانَ فَقَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ الْحَبْرُ بَأَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ يَتَرَصَّدُونَ عَوْدَتَهُ ، فَأَرْسَلَ عَلَى عَجَلٍ رَسُولًا إِلَى قُرَيْشٍ ، يُنَبِّئُهَا بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَصَحْبُهُ ، وَيَسْتَفِزُّهَا لِحِمَايَةِ أَمْوَالِهَا وَاسْتَأْجَرَ ضَمُضَمَ بْنَ عَمْرِو الْعِفَارِيِّ إِلَى مَكَّةَ ، مُسْتَصْرِحًا لِقُرَيْشٍ بِالنَّفِيرِ إِلَى عِيْرِهِمْ ، لِيَمْنَعُوهُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَوَصَّى رَسُولُهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِذَلِكَ كُلِّ وَسِيلَةً تُثِيرُ مَشَاعِرَ الْقَوْمِ ، وَتَسْتَنْهَضُ هِمَمَهُمْ لِلْعَوْتِ وَالنَّجْدَةِ ، فَأَتَّخَذَ رَسُولُهُ لِذَلِكَ كُلَّ مَظَاهِرِ الصَّارِخِ الْمَلْهُوفِ ، فَجَدَعَ بَعِيرَهُ ، وَحَوَّلَ رَحْلَهُ وَشَقَّ قَمِيصَهُ ، وَوَقَّفَ يَصْرُخُ بِبَطْنِ الْوَادِي ، قَائِلًا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ اللَّطِيمَةِ اللَّطِيمَةِ ، أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ ، قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ

وَأَصْحَابُهُ ، لَا أَرَى أَنْ تُدْرِكُوهَا ، الْعَوْتُ الْعَوْتُ ، فَبَلَغَ الصَّرِيحُ أَهْلَ مَكَّةَ ، فَهَضَمُوا وَأَوْعَبُوا فِي الْخُرُوجِ ، وَأَعَانَ قَوِيهِمْ ضَعِيفُهُمْ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا خَرَجَ ، أَوْ بَعَثَ مَكَانَهُ رَجُلًا ، وَيُثْمَلُ الرَّوَاهُ : إِنَّ أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ أَرَادَ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِ النَّعِيرِ ، فَجَاءَهُ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَمَعَهُ حِجْمَةٌ وَبُخُورٌ فَوَضَعَهَا أَمَامَهُ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَدْيِ الْقَوْمِ ، وَقَالَ لَهُ : اسْتَجِمِرْ أَبَا عَلِيٍّ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ فَحَجَلْ وَاسْتَحْيَا ، وَقَامَ مِنْ فَوْرِهِ ، فَتَجَهَّزَ وَسَارَ مَعَ النَّاسِ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهِمْ سِوَى أَبِي هَبٍ ، فَإِنَّهُ عَوَّضَ عَنْهُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ : الْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ ، كَانَ لِأَبِي هَبٍ عَلَيْهِ دَيْنٌ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ مِنْ بَطُونِ قُرَيْشٍ إِلَّا بَنِي عَدِيِّ فَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

وسار أبو سُفْيَانَ بِالْعَيْرِ يَتَشَمَّمُ الْأَخْبَارَ فِي طَرِيقِهِ ، حَتَّى إِذَا قَرَّبَ مِنْ بَدْرِ ، تَقَدَّمَ الْعَيْرَ حَدْرًا ، حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ ، فَسَأَلَ هُنَاكَ عَنِ أَخْبَارِ الْمُسْلِمِينَ ، فَعَلِمَ أَنَّ رَاكِبِينَ كَانَا قَدْ نَزَلَا عَلَى تَلٍّ هُنَاكَ ، فَأَنَاخَا رَاكِتَيْهِمَا سَاعَةً ، حَتَّى اسْتَقْيَا مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ رَحَلَا ، فَذَهَبَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى ذَلِكَ التَّلِّ ، وَنَظَرَ فِي مَنَاحِ الرَّاحِلَتَيْنِ ، فَأَخَذَ مِنْ أُبْعَارِهِمَا ، وَفَرَكَهُ فِي يَدِهِ ، فَوَجَدَ فِيهِ آثَارَ النَّوَى ، فَعَلِمَ أَنَّ الرَّاكِبِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفُ يَثْرِبَ ، وَهَذِهِ عُيُونُ مُحَمَّدٍ ، قَدْ أَقْبَلَتْ ، تَتَحَسَّسُ أَخْبَارَنَا وَرَجَعَ مُسْرِعًا إِلَى الْعَيْرِ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ وَجُوهَهَا وَيُحَوِّلُهَا عَنِ السَّبْرِ إِلَى بَدْرِ ، مُتَّجِهًا بِهَا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، تَارِكًا بَدْرًا إِلَى يَسَارِهِ فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَنْجُو بِأَمْوَالِ قُرَيْشٍ ، وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ قَدْ بَجَا وَأَحْرَزَ الْعَيْرَ

كَتَبَ إِلَى قَرِيشٍ أَنْ ارْجِعُوا ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا خَرَجْتُمْ لِتُحْرِزُوا عَيْرَكُمْ ، فَأَتَاهُمُ الْخَبْرُ وَهُمْ بِالْجُحْفَةِ ، فَهَمُّوا بِالرُّجُوعِ وَرَغِبَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِذَلِكَ ، وَلَكِنَّ أبا جَهْلٍ رَكِبَ رَأْسَهُ ، وَعَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعُوا ، فَتَضَعَفَ شَوْكُهُمْ بَيْنَ الْعَرَبِ ، وَيَطْمَعُ فِيهِمُ الْمُسْلِمُونَ وَعَيْرُهُمْ ، فَأَخَذَ يَصِيحُ فِي الْقَوْمِ وَيَقُولُ : وَاللَّهِ لَا تَرْجِعُ حَتَّى نَرِدَ بَدْرًا ، فَتُنْفِئِمَ بِهَا ، وَنُطْعِمَ مَنْ حَضَرْنَا مِنَ الْعَرَبِ وَنَسْقِي الْحُمْرَ ، وَتَعْرِفُ عَلَيْنَا الْقِيَانَ ، وَتَسْمَعُ الْعَرَبُ بِنَا ، وَبِمَسِيرِنَا ، وَجَمْعِنَا ، وَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا ، وَجَعَلَ يُحَرِّضُ النَّاسَ .

وَأَنْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى قِسْمَيْنِ ، فَرِيقٌ يَرَى أَنَّ الْخُرُوجَ إِنَّمَا كَانَ لِإِنْفَازِ الْعَيْرِ ، وَقَدْ بَجَّاهَا اللَّهُ ، فَلَا مَعْنَى إِذَا لِلسَّيْرِ ، وَفَرِيقٌ يَرَى رَأْيَ أَبِي جَهْلٍ ، فَيَدْعُو إِلَى مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ ، وَكَانَ مِنَ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ بَنُو عَدِيٍّ ، وَبَنُو زَهْرَةَ ، وَمِمَّنْ أَشَارَ بِالرُّجُوعِ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ فَعَصَوْهُ فَارْجَعَ هُوَ وَبَنُو زَهْرَةَ فَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا زُهْرِيُّ ، فَاعْتَبَطَتْ بَنُو زَهْرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَأْيِ الْأَخْنَسِ ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مُطَاعًا مُعْظَمًا ، وَأَمَّا الْفَرِيقُ الثَّانِي فَقَدْ وَاصَلُوا السَّيْرَ تَحْتَ ضَغْطِ أَبِي جَهْلٍ وَشِيعَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَسِيرُ عَلَى غَيْرِ مَا يَرَى مِنَ الرَّأْيِ ، وَمَا يُضْمِرُ مِنَ الْعَقِيدَةِ ، إِنَّمَا يَسِيرُ تَحْرُجًا ، وَمَدَارَاةً لِسَفَاهَةِ السُّفَهَاءِ ، وَمَا زَالُوا يَسِيرُونَ وَيَنْحَرُونَ ، وَيُطْمَعُونَ ، وَيَشْرَبُونَ الْحُمْرَ ، وَيُعْنُونَ وَيُصَفِّقُونَ وَيُعْلِنُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ وَالِدَّعَايَاتِ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى وَادِي بَدْرٍ ، فَنَزَلُوا بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى . اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَكَثُرَ الْأَنِيبُ وَأَيْسَ مِنَّا الْقَرِيبُ وَالطَّيِّبُ وَبَكَى عَلَيْنَا الصَّدِيقُ وَالْحَبِيبُ وَارْحَمْنَا يَا مَوْلَانَا إِذَا وَارَانَا الثُّرَابُ وَوَدَّعَنَا الْأَحْبَابُ وَفَارَقْنَا النَّعِيمَ وَانْقَطَعَ عَنَّا النَّسِيمُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ : وما بلغ رسول الله ﷺ خُرُوجَ قُرَيْشٍ اسْتِشَارَ أَصْحَابَهُ ، فَتَكَلَّمَ الْمُهَاجِرُونَ فَأَحْسَنُوا ، فَاسْتَشَارَهُمْ ثَانِيًا فَتَكَلَّمُوا أَيْضًا فَأَحْسَنُوا ، ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ ثَالِثًا ، ثُمَّ قَالَ : « أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ » . يُرِيدُ بِذَلِكَ الْأَنْصَارَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ الْقَوْمِ عَدَدًا ، وَكَانُوا قَدْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَمْنَعُوهُ فِي دِيَارِهِمْ ، أَمَا فِي خَارِجِ دِيَارِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ عَهْدٌ يُلْزِمُهُمْ بِذَلِكَ ، إِلَّا أَنْ يَرَوْا ذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَمُّوا أَنَّهُ يَعْجِبُهُمْ ، فَبَادَرَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ تُرِيدُنَا . قَالَ : « أَجَلٌ » . فَقَالَ سَعْدُ : إِنَّكَ عَسَى أَنْ تَكُونَ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ ، وَأَحَدْتَ اللَّهُ لَكَ غَيْرَهُ ، فَاَنْظُرِ الَّذِي أَحَدْتَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَاْمُضِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ غُھُودَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَلَعَلَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخْشَى أَنْ لَا تَكُونَ الْأَنْصَارِ تَرَى عَلَيْهَا ، أَنْ لَا يَنْصُرُوكَ إِلَّا فِي دِيَارِهِمْ ، وَإِنِّي أَقُولُ عَنِ الْأَنْصَارِ وَأَجِيبُ عَنْهُمْ ، فَاظْعَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتَ ، وَصِلْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ ، وَاقْطَعْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ ، وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ ، وَأَعْطِنَا مِنْهَا مَا شِئْتَ ، وَمَا أَخَذْتَ مِنَّا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا تَرَكْتَ ، وَمَا أَمَرْتَ فِيهِ مِنْ أَمْرٍ فَأَمَرْنَا تَبِعْ لِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ سِرْتَ حَتَّى تَبْلُغَ الْبِرْكَ مِنْ غُمْدَانَ لَنَسِيرَنَّ مَعَكَ ، وَاللَّهِ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضَّتْهُ لِحُضْنَاهُ مَعَكَ ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا عَدَاً ، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ ، صِدْقٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَلَعَلَّ اللَّهُ يُرِيكَ مِنَّا مَا تُقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَسِرَّ لِدَلِكِ وَجْهَهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَانْبَسَطْ وَجْهَهُ ، وَبَدَأْ عَلَيْهِ الْبِشْرَ وَالرِّضَى وَالنَّشَاطُ .

وَقَالَ لَهُ الْمِقْدَادُ : لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى

﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرُتُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ . ولكن ثَقَاتِلُ عَنِ يَمِينِكَ ، وَعَنْ شِمَالِكَ ، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ ، وَمِنْ خَلْفِكَ ، فَأَشْرُقْ وَجْهَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِرِّ بِمَا سَمِعَ ، وَقَالَ : « سِيرُوا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَصَارِعَ الْقَوْمِ » . فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَدْرِ حَتَّى نَزَلَ عِشَاءً أَدْنَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ بَدْرِ ، فَقَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْدِرِ - وَكَانَ خَيْرًا بِمِيَاهِ بَدْرِ - : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهَذَا مَنْزِلٌ أَنْزَلَكُهُ اللَّهُ ، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ مِنْهُ أَوْ نَتَأَخَّرَ ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ » . فَقَالَ الْحُبَابُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا بِمَنْزِلٍ ، فَاَنْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ ، فَنُنْزِلَهُ ، فَإِنِّي أَعْرِفُ عَزَارَةَ مَائِهِ وَكَثْرَتَهُ ، فَنُنْزِلُهُ وَنُعَوِّرُ مَا عَدَاهُ مِنَ الْآبَارِ ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا ، فَنَمْلُؤُهُ مَاءً ، فَنَشْرِبُ وَلَا يَشْرَبُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ أَشْرَتَ بِالرَّأْيِ » . وَنَهَضَ بِأَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلُوا ، ثُمَّ بَنُوا الْحَوْضَ عَلَى الْبِئْرِ ، حَيْثُ أَشَارَ الْحُبَابُ ، وَطَمَسُوا كُلَّ مَا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْآبَارِ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّلِيلِ وَوَفَّقَنَا لِصَالِحِ الْعَمَلِ وَهَدَانَا بِفَضْلِهِ سَبِيلَ الرَّشَادِ وَطَرِيقَ السَّدَادِ إِنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ اهْتَفُوا بِالْقُلُوبِ لَعَلَّهَا تَسْتَيْقِظُ مِنْ وَسَنِ الرُّقَادِ وَاصْرِفُوا نَفُوسَكُمْ عَنْ مَوَارِدِ الْإِبْعَادِ فِي دَارِ النُّقْلَةِ وَالزَّوَالِ آثَارَ السَّلَفِ الزُّهَادِ فَقَدْ نَاحَتْ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِهَا بِالْأَسْنِ الْإِنْقِلَابِ وَلَا حَتَّ لَكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ شَوَاهِدُ الْاِقْتِرَابِ وَأَنْتُمْ عَمَّا أَضَلَّكُمْ مِنْهَا غَافِلُونَ وَمَا غَرَّكُمْ

وَأَهْلَاكُمْ عَنْهَا مُتَشَاغِلُونَ كَأَنَّكُمْ بِحَقِيقَةِ مَعْرِفَتِهَا جَاهِلُونَ أَوْ كَأَنَّكُمْ إِلَى غَيْرِهَا رَاحِلُونَ فَإِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَاتَّبِعُوا مَا أَنْتُمْ عَنْهُ مُنْقَلِبُونَ وَأَنْهَضُوا فِي التَّرْوَدِ لِمَا أَنْتُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ ، فَإِنَّ
أَمَامَكُمْ صِيحَةً تُلْحِقُ الْأَحْيَاءَ مِنْكُمْ بِالْأَمْوَاتِ وَتَذْهَلُ مَعَهَا النُّفُوسُ عَنْ مَلَابَسَةِ اللذاتِ فَمَا
أَقْرَبَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا لِمَنْ مَطَايَاهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ الْمُبْلِيَانِ لِكُلِّ جَدِيدِ الْمُقَرَّبَانِ لِكُلِّ بَعِيدٍ قَالَ
بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي مَطَايَاهُ سَارَتْ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسِرْ . وَكَتَبَ بَعْضُ السَّلَفِ
إِلَى أَخٍ لَهُ فَقَالَ : اَعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّهُ يُحْيِلُ إِلَيْكَ أَنَّكَ مُقِيمٌ وَأَنْتَ دَائِبُ السَّيْرِ تُسَاقُ سَوْقًا حَثِيثًا
وَالْمَوْتُ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْكَ وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ وَرَائِكَ وَمَا مَضَى مِنْ عُمْرِكَ فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَيْكَ .
شِعْرًا :

تَمُرُّ اللَّيَالِي وَالْحَوَادِثُ تَنْقُضِي

كَأَضْغَاثِ أَحْلَامٍ وَنَحْنُ رُقُودُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهَُا كُلُّ سَاعَةٍ

تَجِدُ بِنَا سَيْرًا وَنَحْنُ قُعُودُ

آخر: وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاجِلُ

يَحُثُّ بِهَا حَادٍ مِنَ الْمَوْتِ قَاصِدُ

وَأَعْجَبُ شَيْءٍ لَوْ تَأَمَّلْتَ أَنَّهَا

مَنَازِلُ تُطْوَى وَالْمَسَافِرُ قَاعِدُ

آخر: أَتَحْسَبُ الْعُمَرَ مَرْدُودًا تَصَرُّمُهُ

هَيْهَاتَ أَنْ يَرْجِعَ الْمَاضِي مِنَ الْحُطْبِ

فَبَادِرِ الْعُمَرَ قَبْلَ الْفَوْتِ مُعْتَمِّمَا

مَا دُمْتَ حَيًّا فَإِنَّ الْمَوْتَ فِي الطَّلَبِ

فَالْعُمُرُ مُنْصَرِّمٌ وَالْوَقْتُ مُعْتَمِّمٌ

وَالدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ فَأَجْهَدُ بِهِ تُصَبِّ

كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ لِأَهْلِهِ : أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي الَّتِي لَا أَقُومُ مِنْهَا وَكَانَ هَذَا ذَابَهُ إِذَا أَرَادَ النَّوْمَ . وَقَالَ آخَرُ : إِنْ اسْتَطَاعَ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَبِيْتَ إِلَّا وَعَهْدُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ مَكْتُوبٌ فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ لَيْسَ فِي أَهْلِ الدُّنْيَا وَيُصْبِحُ فِي أَهْلِ الْآخِرَةِ . قُلْتُ : وَيَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ الْخُرُوجَ لِمَحَلٍّ تَطْرُقُهُ السَّيَّارَاتُ فِي وَفْتِنَا الَّذِي كَثُرَ فِيهِ مَوْتُ الْفَجَاءِ بِسَبَبِ الشَّرْعَةِ الْمُفْرَطَةِ مِنْ سَائِقِي السَّيَّارَاتِ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ حُرْمَةٌ لِلْمُسْلِمِ نَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ أَنْ يُوَفِّقَ وُلَاتِنَا لِلْأَخْذِ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَرَدِّعِهِمْ لِيَأْمَنَ الْمَشَاهُ وَيَطْمَئِنُّوا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى :

إِنِّي أَرَقْتُ وَذَكَرُ الْمَوْتِ أَرَقْنِي

وَقُلْتُ لِلدَّمْعِ أَسْعِدْنِي فَأَسْعِدْنِي

يَا مَنْ يَمُوتُ فَلَمْ تُحْزِنْهُ مَيِّتُهُ

وَمَنْ يَمُوتُ فَمَا أَوْلَاهُ بِالْحَزَنِ

تَبْعِي النَّجَاةَ مِنَ الْأَحْدَاثِ مُحْتَرِسًا

وَإِنَّمَا أَنْتَ وَالْعِلَالُ فِي قَرْنٍ

يَا صَاحِبَ الرُّوحِ ذِي الْأَنْفَاسِ فِي بَدَنِ

بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ مُرْتَهَنٍ

لَقَلَّمَا يَتَخَطَّأُكَ إِخْتِلَافُهُمَا

حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ

طِيبُ الْحَيَاةِ لَمَنْ خَفَّتْ مَثْوِيُّتُهُ

وَلَمْ تَطِبْ لِذَوِي الْأَثْقَالِ وَالْمُؤُونِ

لَمْ يَبْقَ مِمَّا مَضَى إِلَّا تَوْهُمُهُ
كَأَنَّ مَنْ قَدْ مَضَى بِالْأَمْسِ لَمْ يَكُنْ
وَإِنَّمَا الْمَرءُ فِي الدُّنْيَا بِسَاعَتِهِ
سَائِلٌ بِذَلِكَ أَهْلَ الْعِلْمِ بِالزَّمَنِ
مَا أَوْضَحَ الْأَمْرَ لِلْمُلْقِي بَعْبَرَتِهِ
بَيْنَ التَّفَكُّرِ وَالتَّجْرِبِ وَالْفِطْنِ
أَلَسْتَ يَا ذَا تَرَى الدُّنْيَا مُؤَلَّيَةً
فَمَا يَغُرُّكَ فِيهَا مِنْ هُنٍ وَهِنٍ
لَأَعْجَبَنَّ وَأَنْقِضِي بِنَقْضِي عَجَبِي
النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ وَالْمَوْتُ فِي سَنَنِ
وَوَطَائِنٍ مِنْ بَيَاضِ الرِّيطِ كَسَوْتُهُ
مُطَيَّبٍ لِلْمَنَائِمِ غَيْرِ مُدْهِنٍ
غَادِرْتُهُ بَعْدَ تَشْيِيعِهِ مُنْجَدِلًا فِي
قُرْبِ دَارٍ وَفِي بُعْدِ مِنَ الْوَطَنِ
لَا يَسْتَطِيعُ انْتِقَاصًا فِي مَحَلَّتِهِ
مِنَ الْقَبِيحِ وَلَا يَزْدَادُ فِي الْحَسَنِ
مَا بَالُ قَوْمٍ وَقَدْ صَحَّتْ عُقُولُهُمْ
فِيمَا ادَّعَوْا يَشْتَرُونَ الْغَيَّ بِالثَّمَنِ
لِتَجْذِبَنِي يَدُ الدُّنْيَا بِقُوَّتِهَا
إِلَى الْمَنَائِمِ وَإِنْ نَازَعْتَهَا رَسَنِي
وَأَيُّ يَوْمٍ لِمَنْ وَافَى مَنِيَّتَهُ

يَوْمٌ تَبَيَّنَ فِيهِ صُورَةُ الْغَبْنِ
 لَللَّهِ دُنْيَا أَنْسَابٍ دَائِنِينَ لَهَا
 قَدْ ارْتَعَوْا فِي رِيَاضِ الْغَيِّ وَالْفِتَنِ
 كَسَائِمَاتٍ رَوَاعٍ تَبْتَعِي سِمًا
 وَخُفَهَا لَوْ دَرَّتْ فِي ذَلِكَ السَّمَنِ

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النَّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسِّتْنَةِ مِنَ الْكُذْبِ اللَّهُمَّ وَقَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ
 وَنَوِّزْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاهُ مُهْتَدِينَ اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ
 وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَمِّنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

فصل: وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِيدَ الْحَرِصِ عَلَى كَيْفَانِ أَمْرِهِ عَنِ النَّاسِ ، حَتَّى لَا
 يَقِفَ عَلَى حَقِيقَتِهِمْ أَحَدٌ ، وَلَا يَعْرِفَ مَقْصَدَهُمْ أَحَدٌ فَجَعَلَ كُلَّمَا نَزَلَ مَنْزِلًا يَسْأَلُ عَنْ
 أَخْبَارِهِمْ ، وَيَبْحَثُ عَنْهُمْ فِي حَيْطَةِ وَحْدِهِ .

وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرِ ، فَرَكِبَ هُوَ وَرَجُلٌ
 مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا
 بَلَغَهُ عَنْهُمْ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : لَا أُخْبِرُكُمْ حَتَّى تُخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « أَوْ ذَاكَ بِذَاكَ » . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ
 كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ

الذي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، لِمَكَانٍ الَّذِي بِهِ قُرَيْشٌ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَبْرِهِ قَالَ : يَمُنُّ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَحْنُ مِنْ مَاءٍ » . ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ ، قَالَ : يَقُولُ الشَّيْخُ : مِنْ مَاءٍ أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ .

فَلَمَّا أَمْسَى بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَالزَّيْبُرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ ، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى مَاءِ بَدْرِ ، يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ ، فَوَجَدُوا سُقَاةَ قُرَيْشٍ يَسْتَقُونَ هُمْ فَأَمْسَكُوا بِغُلَامَيْنِ مِنْهُمْ ، فَجَاءُوا بِهِمَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَسْأَلُونَهُمَا لِمَنْ أَنْتُمَا ؟ وَهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يَكُونَا مِنْ سُقَاةِ الْعَيْرِ ، فَقَالَ الْغُلَامَانِ : نَحْنُ مِنْ سُقَاةِ قُرَيْشٍ ، بَعَثُونَا نَسْقِيهِمْ مِنَ الْمَاءِ ، فَظَنُّوا أَنَّهُمَا يَكْذِبَانِ ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُمَا ، ثُمَّ يَسْأَلُونَهُمَا فَيَقُولَانِ : نَحْنُ لِقُرَيْشٍ . فَلَمَّا أَوْجَعُوهُمَا ضَرْبًا قَالَا : نَحْنُ لِأَبِي سُفْيَانَ فَتَرَكُوهُمَا ، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ : « إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا ، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا ، صَدَقَا وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ » . ثُمَّ سَأَلَهُمَا عَنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَا : هُمْ وَاللَّهِ وَرَاءَ هَذَا الْكَثِيبِ الَّذِي تَرَى ، بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَمْ الْقَوْمُ » ؟ قَالَا : كَثِيرٌ ، قَالَ : « مَا عِدَّتُهُمْ » ؟ قَالَا : لَا نَدْرِي ، قَالَ : « كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ » ؟ قَالَا : يَوْمًا تِسْعًا وَيَوْمًا عَشْرًا مِنَ الْجُزْرِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التَّسْعِمَائَةِ وَالْأَلْفِ » . ثُمَّ قَالَ : « فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ » ؟ فَجَعَلَا يَذْكُرَانِ لَهُ ، فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : « هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلَقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلاذَ كِبِدِهَا » . فَعَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهَا الْحَرْبُ لَا مَحَالَةَ .

اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، اللَّهُمَّ أَهْمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَطَاعَتِكَ وَامْتِنَالِ أَمْرِكَ

وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(فَصْلٌ) وَكَمَا أَشَارَ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْدَرِ بْنِاءِ الْحَوْضِ ، أَشَارَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
أَنْ يَبْنُوا لَهُ عَرِيشًا ، يَشْرِفُ مِنْهُ عَلَى الْمَعْرَكَةِ وَيُوجِّهُهَا وَيَأْمَنُ غِرَّةَ الْعَدُوِّ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا
نَبِيَّ لَكَ عَرِيشًا ، تَكُونُ فِيهِ وَنُعَدُّ عِنْدَكَ رِكَائِبَكَ ، ثُمَّ نَلَقَى عَدُوَّنَا ، فَإِذَا أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى
عَدُوَّنَا ، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى جَلَسْتَ عَلَى رِكَائِبِكَ ، فَلَحِقْتِ بَيْنَ وَرَاءَنَا
مِنْ قَوْمِنَا ، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ مِنْهُمْ حُبًّا لَكَ وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا
تَخَلَّفُوا عَنْكَ ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ ، وَيُنَاصِحُونَكَ ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ ، فَأَتَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ ، ثُمَّ بَنِيَ الْعَرِيشَ عَلَى تَلٍّ ، كَمَا أَشَارَ سَعْدُ ، وَأَعَدَّتْ عِنْدَهُ
أَجْبُ الرِّكَائِبِ ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْوِي الصُّفُوفَ ، وَيَتَفَقَّدُ الرِّجَالَ ،
وَيُهَيِّئُ أَصْحَابَهُ لِلْقِتَالِ ، وَدَفَعَ رَايَتَهُ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، فَتَقَدَّمَ بِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا الَّذِي أَمَرَهُ
أَنْ يَضَعَهَا فِيهِ ، ثُمَّ وَقَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى الصُّفُوفِ ، فَاسْتَقْبَلَ الْعَرَبَ وَجَعَلَ
الشَّمْسَ وَرَاءَهُ ، وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ ، فَاسْتَقْبَلُوا الشَّمْسَ .

وَخَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، يُحْتُمُّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
وَيُرْعَبُهُمْ فِي الْأَجْرِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَتَنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَحْتَكُمُ عَلَى مَا حَكَّمَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ، يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ ، وَيُحِبُّ الصِّدْقَ ،
وَيُعْطِي الْخَيْرَ أَهْلَهُ ، عَلَى مَنَازِلِهِمْ عِنْدَهُ ، وَإِنَّكُمْ قَدْ أَصَبَحْتُمْ بِمَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْحَقِّ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ
فِيهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَا ابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ ، وَإِنَّ

الصَّبْرَ فِي مَوَاطِنِ الْبَأْسِ مِمَّا يُفْرَجُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ ، وَيُنْجِي بِهِ مِنَ الْعَمِّ ، وَتُدْرِكُ بِهِ النَّجَاةَ فِي الْآخِرَةِ ، فِيكُمْ نَبِيُّ اللَّهِ ، يُحَذِّرُكُمْ وَيَأْمُرُكُمْ ، فَاسْتَحْيُوا الْيَوْمَ أَنْ يَطَّلِعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكُمْ يَمُقَّتْكُمْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ مَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ وَأَبْلُوا رَبَّكُمْ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ أَمْرًا تَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الَّذِي وَعَدَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ ، فَإِنَّ وَعْدَهُ حَقٌّ ، وَقَوْلُهُ صِدْقٌ ، وَعِقَابُهُ شَدِيدٌ ، وَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ بِاللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، إِلَيْهِ أَلْجَأْنَا ظُهُورَنَا ، وَبِهِ اعْتَصَمْنَا ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلِلْمُسْلِمِينَ » .

وَأَقْبَلْتُ قُرَيْشٌ تَنْصَبُ إِلَى الْوَادِي مِنَ الْكَثِيبِ ، وَعَدَدْتُ الْمُشْرِكِينَ قَرِيبٌ مِنَ الْأَلْفِ مُقَاتِلٍ ، وَمَعَهُمْ مِائَةٌ فَرَسٍ ، وَسَبْعُمِائَةَ بَعِيرٍ ، وَرُويَ أَنَّ أَيْمَاءَ بَنِ رُحَصَةَ بَعَثَ إِلَى قُرَيْشٍ ابْنًا لَهُ بَعْشَرِ جَزَائِرٍ ، أَهْدَاهَا لَهُمْ ، وَقَالَ : إِنَّ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَمُدَّكُمْ بِسِلَاحٍ وَرِجَالٍ فَعَلْنَا ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَوْصَلْتِكَ رَحِمٌ ، فَلَمَّا كُنَّا إِنَّمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ فَمَا بِنَا ضَعْفٌ عَنْهُمْ ، وَإِنْ كُنَّا نُقَاتِلُ اللَّهَ كَمَا يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ فَمَا لِأَحَدٍ بِاللَّهِ طَاقَةٌ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثْرَتَهُمْ ، وَقَلَّةَ أَصْحَابِهِ ، تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ يَسْتَعِينُهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِحِيَالِهَا وَفَخَرَهَا ، تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ فَانصِرْكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ فَأَحْنِهِمُ الْعَدَّ » .

اللَّهُمَّ أَبْرِمْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ يُعَزُّ فِيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ وَيُذَلُّ فِيهِ أَهْلُ مَعْصِيَتِكَ وَيُؤْمَرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

اللَّهُمَّ مَكِّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِمْنَا

ذَكَرَكَ وَشَكَرَكَ بِحُضُورِ قَلْبٍ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَدِفْنَا عَفْوَكَ وَعُفْرَانَكَ وَاسْلُكْ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ . وَعَامِلْنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ واقطع عَنَّا مَا يُبْعَدُ عَن طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ وَتَبَّتْ حَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوَّهَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَأَرَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَسْتَوْثِقُوا مِنْ رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَبَلَ أَنْ يُنَارِلُوهُمْ ، فَأَرْسَلُوا عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ الْجُمَحِيَّ يَحْرُزُهُمْ أَعْدَادَ الْمُسْلِمِينَ تَقْرِبًا ، وَيَتَعَرَّفَ أَحْوَالَهُمْ ، فَلَمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ عُمَيْرٌ رَأَى الْمُسْلِمِينَ فِي مَنْظَرٍ يَبْعَثُ الرُّعْبَ وَالذُّعْرَ وَالْخَوْفَ وَيَسْتَوْجِبُ الْحَذَرَ الشَّدِيدَ ، قَوْمٌ قَلِيلٌ عَدَدَهُمْ ، وَلَكِنْ صُورُ الْمَوْتِ تَتَرَاءَى مِنْ مَنَاطِرِهِمْ ، قَدْ تَرَاصَتْ صُفُوفُهُمْ ، كَمَا يَتَرَاصُ البُنْيَانُ ، وَتَلَاحَمَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَا يَتَلَاحَمُ الْحَدِيدُ ، وَجَثُّوا عَلَى الرُّكَبِ مُسْتَوْفِرِينَ ، يَتَنَمَّرُونَ تَنَمَّرَ الأَسُودُ الضُّوَارِي ، وَيَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الأَفَاعِي ، وَيَدُورُونَ بِعُيُونٍ تَبْعَثُ الْمَوْتَ حَيْثُمَا دَارَتْ ، وَتَتَحَرَّكَ شِفَاهُهُمْ بِمَا لَا تَظْهَرُهُ أَصْوَاتُهُمْ ، يَسُودُهُمْ صَمْتُ رَهِيْبٍ وَتَصْمِيمٍ عَجِيبٍ ، وَعَزْمٌ صَارِمٌ عَلَى الاستِمَاتَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، حَتَّى لَكَأَنَّهُمْ بَاعُوا لَهَا نُفُوسَهُمْ ، فَلَا يُرِيدُونَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ ، فَأَخَذَ عُمَيْرٌ بِهَذَا الْمَنْظَرِ الْمُفْرِغِ الْمُقْلِقِ ، وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ البَلَايَا تَحْمِلُ المَنَايَا .. نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النَّاقِعَ ، قَوْمٌ لَيْسَ لَهُمْ مَنَعَةٌ ، وَلَا مَلْجَأٌ إِلَّا سُيُوفُهُمْ ، وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ رَجُلًا مِنْكُمْ ، فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ

أَعَدَّاهُمْ فَمَا خَيْرَ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَرُّوا رَأْيَكُمْ ، فَتَعَاظَمْتَ فِي أَعْيُنِ قُرَيْشٍ هَيْبَةُ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَأَنْهَارَتْ فُؤَاهُمْ الْمَعْنَوِيَّةَ ، وَحَلَّ الْخَوْفِ مَحَلَّ التَّكْبِيرِ وَالرَّهْوِ وَالطُّعْيَانِ وَالْاِحْتِقَارِ ، وَلَكِنْ ضَافَ
عَلَى الْخَوْفِ التَّحَلُّدَ وَالْمُجَامَلَةَ ، وَأَخَذَ الْخِلَافُ يَدَبُ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ مِنْ حَدِيدٍ ، وَجَعَلَ
بَعْضُهُمْ يَمْسِي إِلَى بَعْضٍ ، رَجَاءً أَنْ يَنْفُضُوا قَبْلَ أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ ، وَيَحْتَدِمَ الْقِتَالُ ، وَأَدْرَكَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يُعَذِرَ إِلَيْهِمْ مِنْ نَفْسِهِ ،
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ لَهُمْ : ارْجِعُوا فَإِنَّهُ يَلِي هَذَا مِنِّي غَيْرُكُمْ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
تَلُوهُ مِنِّي ، فَقَالَ حُكَيْمُ بْنُ حِرَامٍ : قَدْ عَرَضَ وَاللَّهِ نِصْفًا فَاقْبَلُوهُ وَمَشَى إِلَى عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فَقَالَ
لَهُ : يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَنْتَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدَهَا وَالْمُطَاعِ فِيهَا ، فَهَلْ لَكَ أَلَّا تَزَالَ تُذَكِّرُ مِنْهَا بِخَيْرٍ
آخَرَ الدَّهْرِ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا خَالِدٍ ؟ قَالَ : تَرْجِعُ بِالنَّاسِ ، وَتَحْمِلُ دَمَ حَلِيفِكَ ابْنِ
الْحَضْرَمِيِّ ، وَمَا أَصَابَ مُحَمَّدٌ مِنْ تِلْكَ الْعِيرِ بِبَطْنِ نَخْلَةَ ، قَالَ عُتْبَةُ : قَدْ فَعَلْتُ وَأَنْتَ عَلَيَّ
بِذَلِكَ ، ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ فِي الْمُشْرِكِينَ يَقُولُ : يَا قَوْمَ أَطِيعُونِي لَا تُقَاتِلُونِ هَذَا الرَّجُلَ وَأَصْحَابَهُ ،
اعْصِبُوا هَذَا الْأَمْرَ بِرَأْسِي ، وَاجْعَلُوا جُبْنَهَا بِي فَإِنَّ مِنْهُمْ رِجَالًا قَرَابَتَهُمْ قَرِيبَةٌ ، وَلَئِنْ أَصَبْتُمُوهُ لَا
يُرَالُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ يَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ أَبِيهِ وَأَخِيهِ فَيُورِثُ ذَلِكَ مِنْكُمْ شَحْنَاءً وَأَضْعَانًا ، وَلَنْ تَخْلَصُوا
إِلَى قَتْلِهِمْ حَتَّى يُصِيبُوا مِنْكُمْ عَدَدَهُمْ وَلَا آمَنْ أَنْ تَكُونَ الدَّيْرَةُ عَلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ لَا تَطْلُبُونَ إِلَّا دَمَ
هَذَا الرَّجُلِ ، وَالْعِيرِ الَّتِي أَصَابَ ، وَأَنَا أَحْتَمِلُ ذَلِكَ ، وَهُوَ عَلَيَّ ، يَا قَوْمُ إِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ كَاذِبًا
يَكْفِيكُمْوهُ دُوبَانُ الْعَرَبِ ، وَإِنْ يَكُنْ مَلَكًا أَكَلْتُمْ فِي

مُلكِ ابنِ أَخِيكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ نَبِيًّا كُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ ، يَا قَوْمُ لَا تَزُدُوا نَصِيحَتِي ، وَلَا تُسَفِّهُوا رَأْيِي .

وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ شَيْطَانُ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ ، فَجَعَلَ يُسَفِّهُ رَأْيَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَيَصِفُهُ بِالْجَبَنِ ، وَيُشِيْعُ فِي النَّاسِ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ مَا قَالَ إِلَّا خَوْفًا عَلَى ابْنِهِ أَبِي حَدَيْفَةَ ، فَقَدْ رَأَى أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ أَكَلَةَ جَزُورٍ ، فَخَافَ عَلَى ابْنِهِ أَنْ يُقْتَلَ مَعَهُمْ ، وَجَعَلَ يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الشَّرِّ ، وَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، وَاسْتَفْتَحَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ ، وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ فَأَحِنَهُ الْعِدَاةَ .

اللَّهُمَّ أَيُّنَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ ، وَأَرْضَى عِنْدَكَ ، فَاَنْصُرْهُ الْيَوْمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وَبَعَثَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ الَّذِي قُتِلَ أَخُوهُ فِي نَخْلَةَ ، فَجَعَلَ يُحَرِّضُهُ عَلَى أَنْ يَطْلُبَ ثَارَ أَخِيهِ ، فَقَامَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، (فَجَعَلَ يَحْتُوا عَلَى نَفْسِهِ التُّرَابَ وَيَصِيحُ وَأَعْمَرَاهُ وَأَعْمَرَاهُ) فَحَمِيَ النَّاسُ وَاسْتَوْتَفُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ وَأَخَذُوا أَهْبَةَ الرَّحْفِ ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(مَوْعِظَةٌ)

عِبَادَ اللَّهِ انْتَبَهُوا لِلْمَوَاعِظِ وَأَعْمَلُوا بِهَا فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ اللَّهِ فِي دِينِهِ فَإِنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سَيَقْتُ إِلَيْهِ فَإِنْ قَبِلَهَا بِشُكْرِ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللَّهِ

عَلَيْهِ لِيَزِدَادَ بِهَا إِثْمًا وَيَزِدَادُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سُخْطًا .

عِبَادَ اللَّهِ كَمْ قَدْ تُهَيْتُمْ عَنِ الْإِثَارِ لَهَا عَلَى الْآخِرَةِ وَالْأَشْتِعَالِ بِهَا عَنْهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَعَى * وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَزْتَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَزْتِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَزْتَ الدُّنْيَا نُوتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ وَإِنَّ دَارًا يَا عِبَادَ اللَّهِ أَوْصَافِهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ إِهْمَا غُرُورٌ وَمَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَعِبٌ وَهَوٌّ وَمَمَرٌ وَطَرِيقٌ إِلَى الْآخِرَةِ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ دَارٌ مَمْلُوءَةٌ بِالْأَكْدَارِ وَالْمَصَائِبِ وَالْآلَامِ وَالْأَحْزَانِ دَارٌ مَا أَضْحَكَتْ إِلَّا وَأَبْكَتْ وَلَا سَرَّتْ إِلَّا وَأَسَاءَتْ دَارٌ نَهَائِيَّةٌ قُوَّةٌ سَاكِنِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَنَهَائِيَّةٌ شَبَابِيَّةٌ إِلَى الْهَرَمِ وَنَهَائِيَّةٌ حَيَاتِيَّةٌ إِلَى الْمَوْتِ .

اللَّهُمَّ يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ أَصْلِحْ فُسَادَ قُلُوبِنَا وَاسْتُرْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عُيُوبَنَا وَاعْفِرْ بَعْفُوكَ وَرَحْمَتِكَ ذُنُوبَنَا ، وَهَبْ لَنَا مُوبِقَاتِ الْجَرَائِرِ وَاسْتُرْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا فَاضِحَاتِ السَّرَائِرِ ، وَلَا تُخْلِنَا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ وَعُفْرَانِكَ وَلَا تَتْرُكْنَا مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَإِحْسَانِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: أَيَا بَنِي الدُّنْيَا لِعَيْرِكَ تَبْتَيِي وَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا لِعَيْرِكَ تَجْمَعُ
أَرَى الْمَرْءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا مَحَالَءَ مَصْرَعُ

آخر :

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ إِصْبَاحٌ وَإِمْسَاءٌ
وَحَبْنًا هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الدَّاءُ
كَمْ أَيْقَضَتْ بِصُرُوفٍ مِنْ حَوَادِثِهَا
وَكُنْنَا لِصُرُوفِ الدَّهْرِ نَسَاءُ
أَيُّنَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ وَمَنْ
قَادُوا الْجُنُودَ وَنَالُوا كُلَّ مَا شَاءُوا
وَأَيُّنَ عَادُوا وَأَقْبَالَ الْمُلُوكِ وَمَنْ
كَانَتْ لَهُمْ عِزَّةٌ فِي الْمُلُوكِ قَعَسَاءُ
قَدْ مُتِعُوا بِقَلِيلٍ مِنْ زَخَارِفِهَا
فِي عِزَّةٍ فَإِذَا النِّعْمَاءُ بِأَسَاءُ
نَالُوا يَسِيرًا مِنَ اللَّذَاتِ وَأَنْصَرَفُوا
عَنْ دَارِهَا وَاقْتَفَى اللَّذَاتِ أَسْوَاءُ

دَارٌ هَذَا وَصَفُهَا وَوَأَقْعُهَا فَهَلْ يَعْتَرُّ بِهَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ هَلْ يَأْمَنُهَا أَوْ يَطْمَعُنُ إِلَيْهَا دُو عَقْلٍ
رَزِينِ هَلْ يُعَادِي وَيُشَاحِنُ وَيُؤَالِي مِنْ أَجْلِهَا إِلَّا نَاقِصُ الْعَقْلِ وَالِدِّينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا عِبَادَ اللَّهِ
وَكُونُوا مِنْ تَقْلِبِهَا عَلَى غَايَةِ الْحَذَرِ وَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَذَلُّوا دُنْيَاكُمْ لِأَخْرَجِكُمْ وَاسْتَحْدِمُوهَا
فِي الَّذِي يُرْضِي رَبَّكُمْ فَإِنَّ الدُّنْيَا نِعْمَ الْمَطِيئَةُ لِمَنْ اسْتَحْدَمَهَا لِلْآخِرَةِ وَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانُ إِذَا
فَارَقَهَا وَانْتَقَلَ مِنْهَا إِلَّا مَا قَدَّمَهُ فِيهَا مِنْ صَالِحٍ

الأعمال ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ هُجُومِ هَازِمِ اللَّذَاتِ وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » . فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ . وَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : « اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فُقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ » .

عَسَى تَوْبَةٌ تُمَحِي بِهَا كُلُّ زَلَّةٍ

وَتَغْسِلُ أَدْرَانَ الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ ۝

أَجَدَّكَ مَا الدُّنْيَا وَمَا دَا نَعِيمُهَا

وَهَلْ هِيَ إِلَّا دَارُ بُؤْسٍ وَحَسْرَةٍ

وَلَمْ أَرَى فِيهَا مَا يَرُوقُ بَلَى بِهَا

تُرِيْقُ دَمَ الْأَعْمَارِ أَسْيَاقُ غَفْلَةٍ

إِذَا أُدْرِكْتَ فِيهَا مَسْرَةٌ سَاعَةٍ

أَتَتْكَ إِسَاءَاتُ تُنْسِيكَ بِأَلَّتِي

وَإِنْ عَطَفْتُ فَالْعَطْفُ عَطْفَ تَوْهْمٍ
 فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ مِنْهَا بِعَطْفَةٍ
 رَأَيْنَا أَنَا سَا قَدْ أَنَا حَتَّ بِسَوْحِهِمْ
 وَقَالَتْ خُذُوا مِنْ زَهْرَتِي كُلِّ مُيَةِ
 فَعَرَّتْهُمْ حَتَّى اسْتَبَاخُوا حَرِيمَهَا
 وَحَطُّوا بِهَا الْأَثْقَالَ مِنْ كُلِّ شَهْوَةِ
 فَمَا هِيَ إِلَّا أَنْ أَرْتَهُمْ نَعِيمَهَا
 وَمَدَّدُوا أَعْنَاقًا إِلَى كُلِّ لِدَّةٍ
 أَتَيْتُهُمْ فَاجَلَّتْ عَنْهُمْ كُلِّ شَهْوَةِ
 أَرَادُوا وَأَخَلَّتْ مِنْهُمْ كُلِّ غُرْفَةِ
 فَصَارُوا أَحَادِيثًا لِكُلِّ مُحَادِثٍ
 وَهُمْ سَمْرُ السُّمَارِ فِي كُلِّ سَمْرَةٍ
 وَلِلْعَيْنِ كَانُوا قُرَّةً ثُمَّ أَصْبَحُوا
 وَهُمْ عِبْرَةٌ تَجْرِي بِهَا كُلُّ عِبْرَةٍ
 تَبَدَّلَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ بِضِدِّهِ
 فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ فِيهَا بِرُتْبَةِ
 فَصَحَّتْهَا وَالْعِزُّ وَالْمَالُ بَعْدَهَا
 سَقَامٌ وَذُلٌّ وَافْتِقَارٌ بِقَلَّةٍ
 أَرَى هَذِهِ الْأَعْمَارَ أَحْلَامَ نَائِمٍ
 وَلَذَتْهَا طَيْفًا أَلَمٌ بِمُقَلَّتِي
 أَلَسْتَ تَرَى الْأَتْرَابَ قَدْ رَحَلُوا إِلَى

تُرَابٍ وَحَلَّوْا فِي مَنَازِلٍ وَخَشَاةٍ
 مُقِيمِينَ فِيمَا يَنْظُرُونَ مَتَى مَتَى
 تَرُوحُ إِلَيْهِمْ فِي عَشِيِّ وَبُكْرَةٍ
 وَتُقْبَلُ فِي جَيْشٍ قُصَارَى مَرَامِهِمْ
 نُزُولِكَ فَزِدَا حُفْرَةً أَيْ حُفْرَةً
 وَيَحْتُو عَلَيْكَ التُّرْبَ كُلُّ مُشَيِّعٍ
 ثَلَاثًا وَهَذَا مِنْ فِعَالِ الْأَحْبَةِ
 فَتَنْزِلُ دَارَ لَا أَنْيَسَ بِهَا وَلَا
 خَلِيلَ بِهَا تُفْضِي إِلَيْهِ بِخُلَّتِي
 سِوَى رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ يَا خَيْرَ رَاحِمٍ
 أَسَأْنَا فَقَابِلْنَا بِعَفْوٍ وَرَحْمَةٍ
 وَصَلِّيْ عَلَى الْمُخْتَارِ وَالْآلِ إِنَّهَا
 لِحُسْنِ خِتَامٍ فِي نِظَامِ الْقَصِيدَةِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ الْمُتَّقِينَ وَحَصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَوَفِّقْنَا لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالْإِنَابَةِ وَثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا تَثْبِيتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَثَبَّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالِ أَمْرِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

وَعَبَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ تَعْبِئَةٍ لِأَصْحَابِهِ ، وَحَثَّهِمْ عَلَى الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ ، وَقَالَ لَهُمْ : « لَا تَحْمِلُوا حَتَّى أَمْرُكُمْ ، وَإِنْ اكْتَنَفَكُمُ الْقَوْمُ فَاتَّصَنَحُوا عَنْكُمْ بِالنَّبْلِ ، وَلَا تَسْلُوا السُّيُوفَ حَتَّى يَعْشُوكُمْ » . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْعَرِيشِ ، فَدَخَلَهُ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَقَامَ سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ وَاقِفًا عَلَى الْبَابِ بَابِ الْعَرِيشِ ، مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ ، وَمَعَهُ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، يَحْرِسُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَوْفًا عَلَيْهِ أَنْ يَدْهُمَهُ الْعَدُوُّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالنَّجَائِبِ مُهَيَّأَةً لَهُ إِنْ احتِجَّ إِلَيْهَا رَكْبَهَا وَبَدَأَتْ قُرَيْشُ الرَّحْفَ ، فَاَنْدَفَعَ مِنْ صُفُوفِهَا الْأَسْوَدُ ابْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِي ، إِلَى حَوْضِ الْمَاءِ الَّذِي أَقَامَهُ الْمُسْلِمُونَ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَشْرَبَنَّ مِنْ حَوْضِهِمْ ، أَوْ لِأَهْدِمَتَهُ ، أَوْ لِأَمُوتَنَّ مِنْ دُونِهِ ، فَتَلَقَاهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِضَرْبَةٍ مِنْ سَيْفِهِ أَطَنَّ بِهَا سَاقَهُ ، فَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ اسْتَمَرَ يَرْحَفُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْحَوْضِ ، فَجَعَلَ حَمْزَةُ يُتَابِعُهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ ، وَحَمَى عَثْبَةَ بِنْتُ رَبِيعَةَ مِنْ قَوْلِ أَبِي جَهْلٍ ، فَاَنْدَفَعَ مِنَ الصَّفِّ بَيْنَ أَحِيهِ شَيْبَةَ ، وَابْنِهِ الْوَلِيدِ ، يَدْعُونَ إِلَى الْمُبَارَزَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَعَوْفُ وَمُعَوَّذُ أَبْنَاءِ عَفْرَاءَ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا : مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالُوا : أَكْفَاءُ كِرَامَ ، وَإِنَّمَا نُرِيدُ بَنِي عَمَّنَا ، وَنَادَوْا يَا مُحَمَّدُ أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَعُجْبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي

طَالِبٍ فَبَارَزَ عُبَيْدَهُ عُتْبَةَ ، وَبَارَزَ حَمْرَةَ شَيْبَةَ ، وَبَارَزَ عَلِيَّ الْوَلِيدَ ، فَأَمَّا حَمْرَةُ وَعَلِيٌّ فَلَمْ يَلْبَثْ كُلُّ مِنْهُمَا أَنْ قَتَلَ صَاحِبَهُ ، وَأَمَّا عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ فَقَدْ اخْتَلَفَا فِيمَا بَيْنَهُمَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَوَقَعَ كِلَاهُمَا عَلَى الْأَرْضِ ، فَكَّرَ حَمْرَةُ وَعَلِيٌّ بِأَسْيَافِهِمَا عَلَى عُتْبَةَ ، فَدَفَقَا عَلَيْهِ ، وَحَمَلَا عُبَيْدَةَ فَجَاءَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قُطِعَتْ سَافُهُ ، وَجَعَلَ مُحُّهَا يَسِيلُ ، فَأَفْرَشَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَمَهُ الشَّرِيفَةَ ، وَبَشَّرَهُ بِالشَّهَادَةِ ، وَهَنَا حَمِي الْمَشْرُكُونَ ، وَهَجَمُوا عَلَى صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، هُجُومَ السَّيْلِ الْجَارِفِ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْسِرُوا هَجَمَاتِهِمْ بِالنَّبْلِ ، وَهُمْ مُرَابِطُونَ فِي أَمَاكِنِهِمْ ، فَلَمَّا أَوْشَكَ الصَّفَانِ ، أَنْ يَتَلَاَحَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَيْهِمْ وَنَادَى قَائِلًا : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمَ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ » . فَهَجَمَ الْمُسْلِمُونَ بِقُلُوبِ مِلْؤُهَا الْإِيمَانَ بِالْحَقِّ ، وَالرَّغْبَةَ فِي الشَّهَادَةِ ، وَالطَّمَعُ فِي ثَوَابِ اللَّهِ ، وَجَعَلُوا أَهْدَافَهُمْ رُؤُوسَ الْكُفْرَةِ ، يَتَصَيَّدُونَهُمْ وَسَطَ الْجُمُوعِ الرَّاحِفَةِ ، ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَلَيْهِمْ كَالصَّوَاعِقِ ، وَهُمْ يَتَصَايْحُونَ تَصَائِحَ الْأَسُودِ : يَا مَنْصُورُ أَمِتْ أَمِتْ .

ثُمَّ حَمِيَ الْوَطِيسُ وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَهَانَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْحَيَاةُ ، وَلَدَّتْ لَهُمُ الشَّهَادَةُ ، وَاسْتَعَجَلُوا الْمَوْتَ فِي سَبِيلِهَا ، حَتَّى إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ الْحَمَامِ لَيَصِيحُ مِنْ فَرْطِ سُرُورِهِ وَيَقُولُ : بَخِ بَخِ أَفَمَا بَنِي وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ ؟ ثُمَّ يَرْمِي مِنْ يَدِهِ تَمْرَاتٍ كَانَ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَيَقُولُ : لَيْتَ أَنَا حَيِّتُ

حَتَّى أَكَلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٍ ، ثُمَّ يَنْدَفِعُ إِلَى الْمَعْرَكَةِ انْدِفَاعَ السَّهْمِ ، وَحَتَّى إِنَّ عَوْفَ
 بِنِ الْحَارِثِ لَيَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا يَضْحَكُ الرَّبُّ مِنْ عَبْدِهِ فَيَقُولُ لَهُ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « غَمَسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا » . فَيَنْزِعُ دِرْعَهُ فَيَقْدِفُهَا ، ثُمَّ
 يَأْخُذُ سَيْفَهُ ، وَيُحَوِّضُ فِي الْمَعْرَكَةِ لَا يُبَالِي أَوْقَعَ عَلَى الْمَوْتِ ، أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَاءَ كَفِّهِ مِنَ الْحَصَى ، فَرَمَى بِهَا وُجُوهَ الْعَدُوِّ ، فَلَمْ تَتْرِكْ رَجُلًا
 مِنْهُمْ إِلَّا مَلَأَتْ عَيْنَيْهِ ، وَشَعَلُوا بِالتَّرَابِ فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَشَعَلِ الْمُسْلِمُونَ بِمِثْلِهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي
 شَأْنِ هَذِهِ الرَّمِيَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى
 ﴾ وَكَانَتْ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَئِذٍ تُبَادِرُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَتْلِ أَعْدَائِهِمْ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : بَيْنَمَا رَجُلٌ
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ ،
 وَصَوْتِ الْفَارِسِ فَوْقَهُ ، يَقُولُ : أَقْدِمْ حَيْرُومُ ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ مُسْتَلْقِيًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ
 فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشَقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَأَخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ
 فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « صَدَقْتُ ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ
 الثَّلَاثَةِ » . وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الْأَنْصَارِيُّ : إِنِّي لَأَتَّبِعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِأَضْرِبَهُ ، إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ
 أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي ، وَجَاءَ رَجُلٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا ،
 فَقَالَ الْعَبَّاسُ : إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ مَا أَسْرَنِي ، لَقَدْ أَسْرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا عَلَى
 فَرَسٍ أَبْلَقَ ، وَمَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : أَنَا أَسْرَنُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : « اسْكُتْ
 فَقَدْ أَيْدَكَ اللَّهُ بِمَلِكٍ كَرِيمٍ ، وَأُسِرَ مِنْ بَنِي

عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ثَلَاثَةً ، الْعَبَّاسُ ، وَعَقِيلٌ ، وَتَوْفَلُ بْنُ الْحَرْثِ .
 وَذَكَرَ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ قَالَ : لَمَّا رَأَى إِبْلِيسُ مَا يَفْعَلُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمُشْرِكِينَ يَوْمَ
 بَدْرِ أَشْفَقَ أَنْ يَخْلُصَ الْقَتْلُ إِلَيْهِ ، فَتَشَبَّثَ بِهِ الْحَرْثُ بْنُ هِشَامٍ هَارِبًا ، حَتَّى أَلْقَى نَفْسَهُ فِي
 الْبَحْرِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَظْرَتَكَ إِنِّي يَا ، فَأَقْبَلَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ :
 يَا مَعْشَرَ النَّاسِ لَا يَهْزِمَنَّكُمْ خَدْلَانُ سُرَاقَةَ إِيَّاكُمْ ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى مِيعَادٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَلَا
 يَهْوِلَنَّكُمْ قَتْلُ عُتْبَةَ ، وَشَيْبَةَ ، وَالْوَلِيدِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَجَلُوا فَوَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَقْرِنَهُمْ
 بِالْحِبَالِ ، وَلَا أَلْفَيْنَ رَجُلًا مِنْكُمْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا ، وَلَكِنْ خُدُوهُمْ أَخَذًا ، حَتَّى نَعْرِفَهُمْ سُوءَ
 صَبِيْعِهِمْ ، وَلَا تَزَالَ نُضَاعَفُ شَجَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَتَزْدَادُ قُوَاهُمْ الْمَعْنَوِيَّةَ وَالْحِسِّيَّةَ وَتَزْدَادُ
 حِمَاسَتُهُمْ ، حَتَّى لِيَحِسُّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ أَنَّهُ كُفَّةٌ لِعَشْرَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَتَضَاعَلَتْ فِي أَعْيُنِ
 الْمُؤْمِنِينَ كَثْرَةُ الْمُشْرِكِينَ ، فَجَعَلُوا يَفْتَرِسُونَهُمْ كَمَا تَفْتَرِسُ الذَّنَابُ الْعَنَمَ ، وَيَكْتَسِحُونَهُمْ كَمَا
 يَكْتَسِحُ السَّيْلُ الْعُنَاءَ ، وَانْعَقَدَ فَوْقَ الْمَعْرَكَةِ جَوْ رَهَيْبٍ ، مَلَأَ قُلُوبَ الْمُشْرِكِينَ بِالرُّعْبِ ، كَمَا
 مَلَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُوَّةِ وَالثَّبَاتِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .

وَرُوي أَنَّ حُبَيْبَ بْنَ يَسَافٍ كَانَ رَجُلًا شَجَاعًا ، وَكَانَ يَأْتِي الْإِسْلَامَ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَدْرِ ، خَرَجَ هُوَ وَقَيْسُ بْنُ مَخْرَبَةَ ، فَعَرَضَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْرُجَا مَعَهُ ، فَقَالَ : « لَا يَخْرُجُ مَعَنَا رَجُلٌ لَيْسَ عَلَى دِينِنَا » . فَقَالَ حُبَيْبٌ :
 قَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ عَظِيمَ الْعُنَاءِ فِي الْحَرْبِ ، فَأَقَاتِلْهُ مَعَكَ لِلْغَنِيمَةِ ، قَالَ : « لَا ، وَلَكِنْ
 أَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ » .

اللَّهُمَّ يَا فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، يَا مُنْشِئَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْبَلَى يَا مُؤَيِّ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا
 كَافِيَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انْقَطَعَ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ ، وَحَابَتِ الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ ، وَضَعُفَ الْاعْتِمَادُ إِلَّا
 عَلَيْكَ نَسَأَلُكَ أَنْ تُمَطِّرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا

مِنْ سَحَائِبِ بَرِّكَ وَإِحْسَانِكَ وَأَنْ تُوفِّقَنَا لِمُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ .
 اللَّهُمَّ ارزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ اللَّهُمَّ أَهْمِنَا ذِكْرَكَ
 وَوَفِّقْنَا لِشُكْرِكَ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالْدُنْيَا وَالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَعَدُوِّكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ إِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَرِيشِهِ ، يُتَابِعُ الْمَعْرَكَةَ ، وَقَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِاللَّهِ عَزَّ
 وَجَلَّ ، فَتَارَةً يَنْزِلُ إِلَيْهِمْ ، فَيَنْهَضُ هَمَمَهُمْ ، وَيُقْوِي بِإِذْنِ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ، وَيَحْتُثُّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ
 وَتَارَةً يَصْعَدُ إِلَى الْجَبَلِ يَدْعُو رَبَّهُ ، وَيُكْرِرُ دُعَاءَهُ وَابْتِهَالَهُ لِلَّهِ ، وَمُنَاشَدَتُهُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، حَتَّى
 سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنِ مَنْكَبِيهِ ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ : بَعْضُ مُنَاشَدَتِكَ رَبِّكَ ،
 فَإِنَّهُ مُنْجِرٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَعْفِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِعْفَاءَةً وَاحِدَةً ، وَأَخَذَ الْقَوْمُ
 النُّعَاسُ فِي حَالِ الْحَرْبِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ فَقَالَ : « أَبَشِّرْ يَا أَبَا
 بَكْرٍ ، هَذَا جَبْرِيلُ عَلَى ثَنَائِيهِ النَّقْعُ ، وَجَاءَ النَّصْرُ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ جُنْدَهُ ، وَأَيَّدَ رَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ،
 وَمَنْحَهُمْ أَكْتِافَ الْمُشْرِكِينَ أَسْرًا وَقِتْلًا ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ ،
 يَشُدُّ عَزَائِمَهُمْ ، وَيُبَشِّرُهُمْ بِنَصْرِ اللَّهِ وَيَقُولُ لَهُمْ : « شُدُّوا ، ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ »
 .. مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ ، وَمَنْ أَسْرًا أَسِيرًا فَهُوَ لَهُ » ، فَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ حَمَلَةً صَادِقَةً
 ، تَصَدَّعَتْ لَهَا جُمُوعُهُمْ ، وَانْهَارَتْ أَمَامَهَا قُوَاهُمْ وَرَأَى الْمُشْرِكُونَ مَا أَصَابَ سَادَتِهِمْ ، فَأَلْقَى
 الرُّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَخَذُوا يُلْفُونَ بِأَنْفَالِهِمْ ، وَيَنْفِرُونَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ ، بِنَجَاهٍ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ

الْمَوْتِ ، فَأَنْقَضَ الْمُسْلِمُونَ يَأْسِرُونَ وَيَهْرَمُونَ وَيَعْنَمُونَ ، وَلَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ يَأْسِرُونَ ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَرَأَى فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهَةَ لِمَا يَصْنَعُونَ ، فَقَالَ : « لَكَأَنَّكَ يَا سَعْدُ تَكَرَّهُ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ » ؟ فَقَالَ : أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَانَتْ أَوَّلَ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ ، فَكَانَ الْإِثْحَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِيقَاءِ الرِّجَالِ ، وَهَكَذَا تَصَدَّعَتْ جُمُوعُ الشِّرْكِ ، أَمَامَ قُوَّةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَبْجَلَتِ الْمَعْرَكَةُ عَنْ سَبْعِينَ قِتِيلًا وَسَبْعِينَ أُسِيرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ كُلَّ مَا خَلَفَ الْمُشْرِكُونَ وَرَاءَهُمْ ، مِنْ زَادٍ وَعَتَادٍ ، أَمَّا الَّذِينَ فَازُوا بِالشَّهَادَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَكَانُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ ، فَبَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ فِي الصَّبَاحِ ، وَانْتَهَتْ فِي عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ السَّابِعُ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُدْفَنَ الشُّهَدَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ يُوَارِيَ الْقَتْلَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي قَلْبٍ هُنَاكَ مَهْجُورَةٍ ، فَلَمَّا وُضِعُوا فِي الْقَلْبِ ، وَقَفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا أَهْلَ الْقَلْبِ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا » . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُخَاطَبُ مِنْ أَقْوَامٍ قَدْ جَافُوا . فَقَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعٍ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْجَوَابَ » .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ : إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ ، إِذْ التَّفْتُ فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَنِيَانِ حَدِيثَا السَّنِّ ، فَكَأَنِّي لَمْ أَمِنْ بِمَكَانِهِمَا إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ : يَا عَمُّ ، أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ ، فَقُلْتُ : يَا ابْنَ أَخِي فَمَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا . فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ ، قَالَ : فَعَمَزَنِي الْآخِرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ ، فَقُلْتُ : أَلَا تَرِيَانِ هَذَا صَاحِبُكُمْ الَّذِي تَسْأَلَانِي عَنْهُ . قَالَ : فَأَبْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَيُّكُمْ قَتَلَهُ » ؟ . فَقَالَ كُلُّ مِنْهُمَا : أَنَا قَتَلْتُهُ . قَالَ : « هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا » ؟ . فَقَالَ : لَا . فَتَنَظَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّيْفَيْنِ فَقَالَ : « كِلَاكُمَا قَتَلَهُ » . وَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَلْبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ . وَالرَّجُلَانِ مُعَاذَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ وَمُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ :

بُغْضِ الْحَيَاةِ وَخَوْفِ اللَّهِ أَخْرَجَنِي

وَبِيعِ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنًا

إِنِّي وَرَزْنْتُ الَّذِي يَبْقَى لِيَعْدِلُهُ

مَا لَيْسَ يَبْقَى فَلَا وَاللَّهِ مَا وَرَزْنَا

وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

(مِنْ مَوَاعِظِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَصَايَاهُ)

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَلُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَةِ ، وَاللِّسُوهَا قِنَاعَ الْمَخَافَةِ ، وَاجْعَلُوا آخِرَتَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِالطَّاعَةِ ، لِمُسْتَقَرَّتْكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ ، وَإِلَى اللَّهِ صَائِرُونَ وَلَا يُعْنِي عَنْكُمْ هُنَالِكَ إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدَّمْتُمُوهُ ، أَوْ حُسْنُ ثَوَابٍ حَزُمْتُمُوهُ » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَيَّامَ تُطْوَى ، وَالْأَعْمَارَ تَفْنَى ، وَالْأَبْدَانَ فِي الشَّرِّ تَبْلَى ، وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

يَتَرَكَضَانَ تَرَكَضَ الْبَرِيدِ ، يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيُخْلِقَانِ كُلَّ حَدِيدٍ ، وَفِي ذَلِكَ عِبَادَ اللَّهِ مَا أَلْهِىَ
عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَرَغَبَ فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ نَهَايَةً ، فَانْتَهُوا إِلَى
نَهَائِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَالِمًا ، فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ : أَجَلٍ قَدْ مَضَى
، لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ ، وَأَجَلٍ قَدْ بَقِيَ ، لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ فَلْيَتَزَوَّدِ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ
مِنْ نَفْسِهِ ، وَمَنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ ، وَأَنْتُمْ
خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعَدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ، وَلَا بَعَدَ الدُّنْيَا إِلَّا
الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ وَكَأَنَّ الْحَقَّ عَلَى
غَيْرِنَا وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُشَيِّعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَانَهُمْ ،
وَنَأْكُلُ ثُرَاتَهُمْ ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ ، نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ ، وَأَمَّا كُلُّ جَائِحَةٍ طُوبَى لِمَنْ شَعَلَهُ
عَيْبُهُ عَنِ غُيُوبِ النَّاسِ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالًا اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفِقْهِ
وَالْحِكْمَةِ وَخَالَطَ أَهْلَ الدِّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ طُوبَى لِمَنْ ذَلَّتْ نَفْسُهُ ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ
سَرِيرَتُهُ ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرُّهُ طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفُضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفُضْلَ مِنْ قَوْلِهِ
وَوَسِعَتُهُ السُّنَّةُ ، وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ » . أ . ه .

قِيلَ : إِنَّ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي خَمْسِ خِصَالٍ وَهِيَ : غِنَى النَّفْسِ ، وَكَفِّ الْأَذَى ،
وَكَسْبِ الْحَلَالِ ، وَلِبَاسِ التَّقْوَى وَالثَّقَةِ بِاللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَقَدْ

نَظَمَهَا أَحَدُ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ :

أَرَى خَيْرِي الدَّارَيْنِ يُجَمَعُ كُلُّهُ

بِخَمْسِ خِلَالٍ يَا لَهَا مِنْ لَطَائِفِ

غِنَى النَّفْسِ مَعَ كَفِّ الْأَذَى وَاتِّسَابِ مَا

يَحِلُّ وَمَلْبُوسِ الثَّقَى حِصْنِ خَائِفِ

عَلَى كُلِّ حَالٍ كُنْ بِرَبِّكَ وَاثِقَا

بِنَفْعِ وَكَشْفِ الضُّرِّ عِنْدَ الْمَخَاوِفِ

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا سَبِيلِ أَهْلِ الطَّاعَةِ ، وَوَقَّفْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَيْهَا وَالِاسْتِقَامَةِ ، وَعَافِنَا مِنْ مُوجِبَاتِ
الْحُسْرَةِ وَالتَّدَامَةِ ، وَأَمَّنَّا مِنْ فِرْعَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا .

اللَّهُمَّ اكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيِّدْنَا بِنُورِ مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، اللَّهُمَّ وَافْتَحْ
لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَلَمَّا بَرَدَتِ الْحَرْبُ ، وَوَلَّى الْقَوْمُ مُنْهَزِمِينَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ
يَنْظُرُ لَنَا مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ ؟ فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ أَبْنَاءُ عَقْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ ،
فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ ، وَقَالَ : أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ . فَقَالَ : لِمَنْ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ ، فَقَالَ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ ، وَهَلْ
أَخْرَاكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ ؟ فَقَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : قَتَلْتُهُ . فَقَالَ : « اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » . فَرَدَدَهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ
قَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحَدَّهُ ،
انْطَلَقَ أَرْنِيهِ » . فَانْطَلَقْنَا فَأَرَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ : « هَذَا فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةُ » .

وَأَسَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ ، وَابْنَهُ عَلِيًّا ، فَأَبْصَرَهُ بِلَالٌ ، وَكَانَ أُمَيَّةُ يُعَدِّبُ بِلَالًا بِمَكَّةَ ، فَقَالَ : رَأْسُ الْكُفْرِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، لَا بَجَوتُ إِنْ نَجَا ، ثُمَّ اسْتَصْرَحَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَاشْتَدَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِهِمَا يَحْرُزُهُمَا مِنْهُنَّ ، فَأَذْرَكُوهُنَّ فَشَعَلَهُنَّ عَنْ أُمَيَّةَ بَابِنِهِ ، فَفَرَعُوا مِنْهُ وَلِحْفُوهُمَا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : أُبْرِكَ . فَبَرَكَ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، فَضَرَبُوهُ بِالسَّيْفِ مِنْ تَحْتِهِ فَقَتَلُوهُ ، وَأَصَابَتْ بَعْضُ السُّيُوفِ رِجْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .

وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَتَهُ بِوَادِي بَدْرٍ ، ثُمَّ أَصْبَحَ مُرْتَحِلًا بِأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَمَعَهُ الْأَسَارَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَالتَّفْلُ الَّذِي أَصَابَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْكُفَّارِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، نَزَلَ فَفَسَمَ النَّقْلَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِالسَّوَاءِ وَجَعَلَ لِلْفَرَسِ نَصِيبًا ، وَلِلْفَارِسِ نَصِيبًا ، وَجَعَلَ لَوَرَثَةِ مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِصَّةً ، وَكَانَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَحْضُرُوا الْوَقْعَةَ ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَّفَهُمْ أَعْمَالًا غَيْرَ أَعْمَالِ الْقِتَالِ ، وَفَرِيقٌ حَاجَزَهُ عُدْرٌ قَاهِرٌ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُهُ ، فَأَسْهَمَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكَانُوا كَمَنْ حَضَرَ الْقِتَالَ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ لَقِيَهُ الْمُسْلِمُونَ يُهْنِئُونَهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلُوا يَعْتَدِرُونَ لَهُ عَمَّا كَانَ مَنْ تَأَخَّرَهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَكَ ، وَأَقَرَّ عَيْنَكَ ، وَاللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ تَخْلُفِي عَنْ بَدْرٍ ، وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّكَ تَلَقَى عَدُوًّا ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا عَيْرٌ وَلَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا عَدُوٌّ مَا تَخَلَّفْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقْتَ » وَمَا يَنْطَبِقُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا يَلِي :

شِعْرًا تَكَامَلَتْ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِصَتْ بِهَا فَكُنْتُ بِكَ مَسْرُورٌ وَمُعْتَبِرٌ
السَّنُّ ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِحَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ

آخر: صَفُوحٌ عَنِ الْإِجْرَامِ حَتَّى كَانَهُ مِنَ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا
ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّيْرِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَثِيلَ ، اسْتَعْرَضَ
الْأَسْرَى هُنَا ، فَأَمَرَ بِأَثْنَيْنِ مِنْهُمْ أَنْ يُقْتَلَ ، وَهُمَا النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ،
وَكَانَ كِلَاهُمَا شَيْطَانًا مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ ، وَمَنْ أَشَدَّ الْمُشْرِكِينَ إِيْدَاءَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَلَا صَحَابِهِ ، وَأَفْطَعَهُمْ تَقُولًا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَعَلَى رَسُولِهِ ، لَا يَفْتَرَانِ مِنَ الْإِيْدَاءِ لَا
لَيْلًا وَلَا نَهَارًا ، أَمَّا النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَدْ نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظْرَةً هَلَعَ
لَهَا قَلْبُهُ ، وَأَيْسَ مِنَ الْبَقَاءِ بَعْدَهَا ، فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ : مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ قَاتِلِي ، فَقَدْ نَظَرَ إِلَيَّ
بِعَيْنَيْنِ فِيهِمَا الْمَوْتُ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : مَا هَذَا وَاللَّهِ مِنْكَ إِلَّا رُعْبٌ ، وَجَعَلَ النَّضْرُ يَلْتَمِسُ
شَفِيعًا لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَعَلَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُ ، فَذَهَبَ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ،
وَكَانَ أَقْرَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ رَحْمًا ، فَقَالَ لَهُ : كَلِّمْ صَاحِبَكَ أَنْ يَجْعَلَ لِي كَرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَهُوَ
وَاللَّهِ قَاتِلِي إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ، فَقَالَ مُصْعَبٌ : إِنَّكَ تَقُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَفِي نَبِيِّهِ كَذَا وَكَذَا ، وَكُنْتَ
تُعَذِّبُ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ لَهُ النَّضْرُ : لَوْ أَسْرَتَكَ قُرَيْشٌ مَا قَتَلْتِكَ وَأَنَا حَيٌّ أَبَدًا ، قَالَ مُصْعَبٌ :
اللَّهُ إِلَيَّ لِأَرَاكَ صَادِقًا ، ثُمَّ إِلَيَّ لَسْتُ مِثْلَكَ ، فَقَدْ قَطَعَ الْإِسْلَامُ الْعُهُودَ ، وَكَانَ قَائِلًا : النَّضْرُ
أَسِيرًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اضْرِبْ عُنُقَهُ ، وَاللَّهِمَّ أَعْنِ الْمُقْدَادَ مِنْ
فَضْلِكَ » . فُقْتِلَ ضَرْبًا بِالسَّيْفِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ وَهُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِ وَهُوَ بِعِزْقِ الطَّبِيبَةِ ، وَرَوَى أَنَّهُ

لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ عُثْبَةَ قَالَ : أَتُقْتَلِي يَا مُحَمَّدُ مِنْ بَيْنِ قُرَيْشٍ ؟ قَالَ « نَعَمْ . أَتَدْرُونَ مَا صَنَعَ هَذَا بِي ؟ جَاءَ وَأَنَا سَاجِدٌ خَلْفَ الْمَقَامِ ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَيَّ عُثْبِي وَغَمَزَهَا ، فَمَا رَفَعَهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ عَيْبِي سَتَنْدُرَانِ ، وَجَاءَ مَرَّةً أُخْرَى بِسِلَا شَاةٍ فَأَلْقَاهُ عَلَيَّ رَأْسِي وَأَنَا سَاجِدٌ ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَعَسَلَتْهُ عَنِ رَأْسِي » . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقْتِلَ .

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
فَوَضِعَ النَّدَا فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا

آخر: أَكْرَمَ لِنَامًا بِالْهَوَانَ فَإِنَّهُمْ إِنْ أَكْرَمُوا فَسَدُوا عَلَى الْإِكْرَامِ
لَا تَلْطَفَنَّ بِيذِي لُؤْمٍ فَتَطْعِيَهُ أَهْنُهُ يَأْتِيكَ مَطْوَعًا وَمِدْعَانَا
إِنَّ الْحَدِيدَ ثَلَيْنِ النَّارِ فَسَوْتَهُ وَلَوْ صَبَبَتْ عَلَيْهِ الْبَحْرَ مَا لَانَا
آخر: أَهْنُ عَامِرًا تَكْرُمَ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَخُو عَامِرٍ مَنْ مَسَّهُ بِهِوَانِ
آخر: وَمَا شَيْءٌ أَسْرَّ إِلَى لَيْئِمٍ إِذَا شَتَمَ الْكِرَامَ مِنَ الْجَوَابِ
مُتَارِكُهُ اللَّئِيمِ بِلَا جَوَابٍ أَشَدُّ عَلَيْهِ مَنْ مَرَّ الْعَذَابِ
آخر: وَتَرَى الْكَرِيمَ يَعْزُّ حِينَ يَهُونُ وَتَرَى اللَّئِيمَ يَهُونُ حِينَ يَهُانُ

ثُمَّ مَضَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَدَخَلَهَا قَبْلَ الْأَسَارَى بَيَوْمٍ ، وَكَانَ دُخُولُهُ مِنْ بَنِيَّةِ الْوَدَاعِ ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الثَّانِي وَالْعُشْرُونَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَتَلَقَّاهُ الْمُسْلِمُونَ يُهَيِّئُونَهُ بِفَتْحِ اللَّهِ ، فَقَدِمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا مُظْفَرًا ، مَكْبُوتًا عَدُوَّهُ ، مَسْرُورًا صَدِيقُهُ ، فَدَ أَعْلَى كَلِمَةَ اللَّهِ ، وَمَكَنَ لَهُ رَبُّهُ ، وَنَصَرَهُ وَأَعَزَّهُ .

وَمِنْ اللَّطَائِفِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا أَقْبَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهَيِّئُونَهُ ، قَالَ لَهُمْ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ : مَا الَّذِي

تُهَيِّئُونَنَا بِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ لَقِينَا إِلَّا عَجَائِزًا صُلْعًا ، كَالْبُدْنِ الْمُعَقَّلَةِ فَنَحْرَنَاهَا ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيُّ ابْنِ أَخِي أَوْلَيْكَ الْمَلَا » . أَيُّ هُمْ الْأَشْرَافُ وَالسَّادَةُ الَّذِينَ لَا يُسْتَهَانُ بِبِلَائِهِمْ فِي الْقِتَالِ ، وَلَا بِمَكَانِهِمْ فِي الْقَوْمِ وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ :

وَمَا عَدِمَ اللّٰفُوكَ بِأَسَا وَشِدَّةً

وَلَكِنَّ مَنْ لَاقُوا أَشَدُّ وَأَنْجَبُ

وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ وَعَبْدُ اللَّهِ أَنَّ عَاتِكَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا وَقَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ فُرَيْشٌ بِثَلَاثِ لَيَالٍ - أَنْ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى فُرَيْشٍ ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا آلَ عُذْرٍ ، انْفِرُوا إِلَى مَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ ، وَظَلَّ يُكْرِرُهَا هُنَا وَهُنَاكَ ، وَالنَّاسُ يُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً فَرَمَى بِهَا مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِأَسْفَلِهِ ، تَنَاطَرَتْ أَجْزَاؤُهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ وَلَا دَارٌ بِمَكَّةَ إِلَّا دَخَلَتْهُ مِنْهَا فَلَقَةٌ ، وَبَعْدَ ثَلَاثِ مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا جَاءَ رَسُولُ أَبِي سُفْيَانَ بِصَيْحٍ بِالْقَوْمِ ، وَيَسْتَفْرِزُهُمْ لِيُنْقِدُوا عِيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .

وَرَوَى أَنَّ جُهَيْمَ بْنَ الصَّلْتِ رَأَى وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى بَدْرِ - كَأَنَّ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَمَعَهُ بَعِيرٌ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ : قُتِلَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، وَأُسِرَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، لِرِجَالٍ سَمَّاهُمْ مِنْ فُرَيْشٍ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِخَنْجَرِهِ فِي لَبَّةِ بَعِيرِهِ ، وَأَرْسَلَهُ فِي الْعَسْكَرِ ، فَمَا بَقِيَ خِבَاءٌ مِنْ أَحْبَابِهِمْ إِلَّا أَصَابَهُ مِنْ دَمِهِ .

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرٍو جَاءَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ ، فَقَالَ

لَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا كَرِهْتُهَا ، رَأَيْتُ - وَأَنَا كَأَلَيْفُظَانٍ عَلَى رَاحِلَتِي - كَأَنَّ وَاِدِيًّا يَسِيلُ دَمًا ، فَقَالَ الْحَارِثُ : لَوْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْكَ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مَا خَرَجْتُ ، أَوْ قَالَ : مَا سِرْتُ خَطْوَةً ، فَاطُورِ هَذَا الْحَبْرَ أَنْ تَعَلَّمَهُ قُرَيْشٌ ، فَإِنَّهَا تَتَّبِعُهُمْ كُلَّ مَنْ عَوَّقَهَا عَنِ الْمَسِيرِ اللَّهُمَّ عَمِّقْ إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

عِبَادَ اللَّهِ تَأَمَّلُوا كَيْفَ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي زَمَنٍ قَلِيلٍ ، وَكَيْفَ آثَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ شَغَلَتْهُمْ الْأَمْوَالُ وَالْأَهْلُ ، وَالْأَوْلَادُ وَالْمَلَاهِي ، وَالْمُنْكَرَاتِ ، عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ مَهْمَا عَاشُوا وَمَهْمَا نَالُوا مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَهْمَا تَلَذَّذُوا فَإِنَّهُمْ رَاحِلُونَ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ زَائِلٌ عَنْهُمْ وَخَالِفُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَأَنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَمَنْ اشْتَرَى الْعَاجِلَ بِالْآجِلِ وَلَمْ يَتَّخِذِ الدُّنْيَا مَطِيئَةً تُوصِلُهُ إِلَى الْمَقْصَدِ الَّذِي يَرْضَاهُ وَالْمُسْتَقَرِّ الْآخِرِ الَّذِي يَهْوَاهُ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، فَذَلِكُمْ الَّذِي لَا تُفِيدُهُ الْمَوَاعِظُ ، وَلَا يُجَدِّي فِيهِ النَّصَائِحُ وَلَا تَرُدُّهُ الْعِزُّ عَنْ عَيْهِ ، وَافْتِحَامِهِ الْقَبَائِحُ ، وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، عِبَادَ اللَّهِ حَلَالٌ هَذِهِ الدُّنْيَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ، وَمَالَهَا إِلَى الدَّمَارِ وَالْحَرَابِ ، وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا إِلَّا جَاهِلٌ مُرْتَابٌ ، قَدْ فَقَدَ الرُّشْدَ وَأَبْعَدَ عَنِ الصَّوَابِ ، فَكَمْ مِنْ ذَهَابٍ بِلا إِيَابٍ ، وَكَمْ مِنْ حَيْبٍ عَلَى الرَّغْمِ قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَابِ ، وَتَرَكَ الْأَهْلَ وَالْأَصْحَابَ ، وَانْتَقَلَ إِلَى ثَوَابِ جَزِيلٍ أَوْ عِقَابٍ ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمُعَقَّلُ الْمَخْدُوعُ عَلَى جَمْعِهَا حَرِيصٌ مَعَ مَا تُشَاهِدُهُ مِنَ الْأَكْذَارِ وَالتَّنْغِيصِ ، وَكَانَ يَكْفِيكَ مِنْهَا الْقَلِيلُ .

شِعْرًا : يَا مُحِبَّ الدُّنْيَا الْعُرُورِ إِغْتِرَارًا رَاكِبًا فِي طِلَابِهَا الْأَخْطَارًا

شِعْرًا: يَبْتَغِي وَصَبَهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ وَتَرَى أُنْسَهُ فَنَبِيْدِي نَفَارًا
 آخِر: خَابَ مَنْ يَبْتَغِي الْوَصَالَ لَدَيْهَا جَارَةٌ لَمْ تَزَلْ تُسِيءُ الْجَوَارًا
 كَمْ مُحِبًّا أَرْتَهُ أَنْسًا فَلَمَّا حَاوَلَ الزُّورَ أَرْتَهُ أَزُورًا

آخِر: وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَأَغْتَيْهُ بُلْغَةً

مِنَ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَكُ يَجْشَعُ

إِلَى أَنْ تَوَافِيهِ الْمَنِيَّةُ وَهُوَ بِالْفِنَاعَةِ فِيهَا آمِنًا لَا يَرُوعُ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ ، وَقَالَ
 تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ
 رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

نَعَمْ لَا بَأْسَ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَاكْتِسَابِ الْحَلَالِ لِلتَّمَتُّعِ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ
 ذَلِكَ شَاغِلًا عَنِ عِبَادَةِ اللهِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ لَا سِيمَا إِذَا كَانَ مِنْ وَقْفِهِ اللهُ لِانْتِقَائِهِ فِي
 الْمَشَارِيعِ الدِّيْنِيَّةِ كِبْنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَتَرْمِيمِهَا وَوَضْعِ الْمَاءِ لِلشَّارِبِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ بَلْ كَسَبَ الْمَالِ
 فَرِيضَةً عَلَيْكَ لِأَنَّ عَلَيْكَ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى حَيَاتِكَ وَعَلَى حَيَاةِ مَنْ نَجِبُ لَهُمْ عَلَيْكَ التَّفَقَّاتِ
 وَأَنْتَ لَا تُحَافِظُ عَلَى تِلْكَ الْأَنْفُسِ إِلَّا بِإِعْطَائِهَا مَا لِلْحَيَاةِ مِنْ ضَرُورِيَّاتٍ وَهَذِهِ الضَّرُورِيَّاتِ لَا
 يُمَكِّنُكَ أَنْ تُحْصَلَ عَلَيْهَا إِلَّا بِمَالٍ تَبْدِلُهُ عِنْدَ الْمُبَادَلَاتِ إِذَنْ كَسَبَ الْمَالِ لِلْمَحَافِظَةِ عَلَى الْحَيَاةِ
 فَرِيضَةٌ وَإِذَا أَرَدْتَ هَذَا الْكَسْبَ فَانُو عِنْدَ طَلْبِكَ لَهُ الْقِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ وَالتَّقْوَى بِهِ عَلَى
 طَاعَةِ اللهِ حَتَّى تَنْقَلِبَ عَادَاتُكَ عِبَادَاتٍ وَمِنْ أَفْضَلِ مَا تَأْكُلُ مَا كَسَبْتَهُ بِيَدِكَ وَتَحَرَّ الْحَلَالَ فِي
 كَسْبِهِ فَإِنَّهُ يُبِيرُ الْقَلْبَ وَسَبَبُ لِقَبُولِ الدُّعَاءِ بِإِذْنِ اللهِ وَتَوَقُّ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ يُظْلِمُ الْقُلُوبَ وَيُنْقَلِ
 الْأَبْدَانَ عَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ سَبَبٌ لِعَدَمِ قَبُولِ الدُّعَاءِ وَابْتِعْدُ عَنِ الشُّبُهَاتِ فِي كَسْبِكَ
 وَاجْتَنِبِ الْعِشَّ وَالْكَذِبَ وَالْإِيمَانَ فِي كُلِّ مُعَامَلَاتِكَ وَكُنْ صَادِقًا سَمِيحًا

لَيْتَ الْجَانِبِ لِلْمُسْلِمِينَ مُحِبًّا هُمْ مَا نُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَكُنْ قَانِعًا فِي الدُّنْيَا رَاضِيًا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ صَارِفًا جُلًّا أَوْقَاتِكَ لِالْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظُنَّا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ وَنَبَّهَنَا لِاعْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقَّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصَمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحِّهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: لَا تَأْسَفَنَّ أَحَا عِلْمٍ لِفَائِتَةٍ

فَكُلُّ مَا لَيْسَ مِنْ رِزْقِ الْفَتَى فَاتَا

كَمْ مِنْ فَتَى وَاصَلَ الْأَسْفَارَ مُجْتَهِدًا

مِنْ أَرْضِ دَارِينَ حَتَّى حَلَّ أَغْمَاتَا

لَمْ يُسْعِفِ الرِّزْقُ بِالْأَقْدَارِ بُعِيْتَهُ

وَلَوْ أَقَامَ أَتَاهُ الرِّزْقُ مِيقَاتَا

مَوْلَاكَ يَكْفِيكَ فَالزَّمْ بَابَ طَاعَتِهِ

فَقَدْ كَفَى النَّاسَ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتَا

آخر: وَيَلُّ لِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ مَاذَا يُقَاسُونَ مِنَ النَّارِ
تَنْقُدُ مِنْ غَيْظٍ فَتَغْلِي بِهِمْ كَمِرجَلٍ يَغْلِي عَلَى النَّارِ
فَيَسْتَعِيثُونَ لِكَيْ يُعْتَبُوا أَلَا لَعَا مِنْ عَثْرَةِ النَّارِ
وَكُلُّهُمْ مُعْتَرِفٌ نَادِمٌ لَوْ تُقْبَلُ التَّوْبَةُ فِي النَّارِ
يَهْوِي بِهَا الْأَشْقَى عَلَى رَأْسِهِ فَالْوَيْلُ لِلْأَشْقَى مِنَ النَّارِ
فَتَارَةً يَطْفُو عَلَى جَمْرِهَا وَتَارَةً يَرْسُبُ فِي النَّارِ

وَكَلَّمَا رَامَ فِرَارًا بِهَا
 يَطُوفُ مِنْ أَفْعَى إِلَى أَرْقَمِ
 وَكَمْ بِهَا مِنْ أَرْقَمٍ لَا يَبِي
 لَا رَاحَةَ فِيهَا وَلَا فَتْرَةَ
 أَنْفَاسُهَا مُطَبَّقَةٌ فَوْقَهُمْ
 سُبْحَانَ مَنْ يُمَسِّكُ أَرْوَاحَهُمْ
 وَلَوْ جَبَّالُ الْأَرْضِ تَهْوِي بِهَا
 طُوبَى لِمَنْ فَازَ بِدَارِ الثُّقَى
 وَوَيْلٌ مَنْ عَمَّرَ دَهْرًا وَلَمْ
 يَأْتِهَا النَّاسُ خُنُودًا حِذْرُكُمْ
 فَإِنَّهَا مِنْ شَرِّ أَعْدَائِكُمْ
 وَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ مَوْلَاكُمْ
 وَاعْجَبَا مِنْ مَرِحٍ لِأَعْبٍ
 يُوقِنُ بِالنَّارِ وَلَا يَزَعُوي
 وَهُوَ بِهَا فِي خَطَرٍ بَيِّنٍ
 إِنَّ الْأَلْبَاءَ هُمْ قَلَّةٌ
 وَطَلَّفُوا الدُّنْيَا بِنَاتَا وَلَمْ
 وَأَبْصَرُوا مِنْ عَيْبِهَا أَنَّهَا
 وَاللَّهِ لَوْ أَعْقَلَ لَمْ تَكْتَحِلْ
 وَلَا رَقَا دَمْعِي وَلَا عَلِمَ لِي
 وَلَمْ أَرِدْ مَاءً وَلَا سَاعَ لِي

فَرَّ مِنَ النَّارِ إِلَى النَّارِ
 وَسُمُّهَا أَقْوَى مِنَ النَّارِ
 يَلْسَعُ مَنْ يُسْحَبُ فِي النَّارِ
 هَيْهَاتَ لَا رَاحَةَ فِي النَّارِ
 وَهَكَذَا الْأَنْفَاسُ فِي النَّارِ
 فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ فِي النَّارِ
 ذَابَتْ كَذُوبِ الْقَطْرِ فِي النَّارِ
 وَلَمْ يَكُنْ مِنْ حَصَبِ النَّارِ
 يُرْحَمُ وَلَمْ يُعْتَقْ مِنَ النَّارِ
 وَحَصَّنُوا الْجَنَّةَ لِلنَّارِ
 مَا فِي الْعِدَا أَعْدَى مِنَ النَّارِ
 فَذِكْرُهُ يُنْجِي مِنَ النَّارِ
 يَلْهُو وَلَا يَخْفِلُ بِالنَّارِ
 كَأَنَّهُ يَرْتَابُ فِي النَّارِ
 لَوْ كَاسَ مَا خَاطَرَ بِالنَّارِ
 فَارُوا إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّارِ
 يَلُؤُوا عَلَيْهَا حَذَرَ النَّارِ
 فَتَانَةٌ تَدْعُو إِلَى النَّارِ
 بِالنُّومِ عَيْنِي خَيْفَةَ النَّارِ
 أَنِّي فِي أَمْنٍ مِنَ النَّارِ
 إِذَا ذَكَرْتُ الْمُهْلَ فِي النَّارِ

وَلَمْ أَجِدْ لَذَّةَ طَعْمٍ إِذَا فَكَرْتُ فِي الزُّقُومِ فِي النَّارِ
 أَيُّ التِّبْذَانِ بِنِعِيمٍ إِذَا أَدَى إِلَى الشَّقْوَةِ فِي النَّارِ
 أَمْ أَيُّ خَيْرٍ فِي سُرُورٍ إِذَا أَعْقَبَ طُورَ الْحُزَنِ فِي النَّارِ
 فَفَكَّرُوا فِي هَوْلِهَا وَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ
 فَإِنَّهَا رَاصِدَةٌ أَهْلُهَا تَدْعُهُمْ دَعَا إِلَى النَّارِ
 فَلَيْسَ مِثْلِي طَالِبًا حَبَّةً إِلَّا الْمَعَاوَاةَ مِنَ النَّارِ
 وَطَالَ مَا اسْتَرَحَمْتُهُ ضَارِعًا يَا رَبُّ حَرِّمَنِي عَلَى النَّارِ
 فَأَنْتَ مَوْلَايَ وَلَا رَبَّ لِي غَيْرَكَ أَعْتَقِنِي مِنَ النَّارِ
 وَلَمْ تَزَلْ تَسْمَعُنِي قَائِلًا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ فِي الْآخِرَةِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
 وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا سَبِيلَ الْأَعْمَالِ
 الصَّالِحَاتِ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ الْعُظْمَى لَنَا سَنَدًا وَاحْشُرْنَا إِذَا تَوَفَّيْتَنَا مَعَ
 عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصلٌ في غزوة أُحُد

أُحُدُ جَبَلٌ مَشْهُورٌ بِالْمَدِينَةِ ، عَلَى أَقْلٍ مِنْ فَرَسِخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَوَحُّدِهِ
 وَانْقِطَاعِهِ عَنِ الْجِبَالِ الْأُخْرَى هُنَاكَ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُحُدٌ
 جَبَلٌ يُجْبِنَا وَنُحِبُّهُ » . وَكَانَتْ عِنْدَهُ الْوَقْعَةُ الْمَشْهُورَةُ فِي شَوَّالٍ ، بِالِاتِّفَاقِ يَوْمَ السَّبْتِ لِأَحَدَى
 عَشَرَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَوَّالٍ ، وَقِيلَ : لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْهُ وَقِيلَ : فِي نِصْفِهِ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ .
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا رَجَعُوا مِنْ بَدْرٍ ، وَقَدْ قُتِلَ أَشْرَافُهُمْ ، وَأَصِيبُوا بِتِلْكَ الْمُصِيبَةِ الَّتِي لَمْ
 يُصَابُوا بِمِثْلِهَا ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بِعَيْرِهِ ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رُبَيْعَةَ ، وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ،

وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ بَحَارَةً ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَمْ ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ ، فَلَعَلَّنَا أَنْ نُدْرِكَ مِنْهُ ثَأْرًا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّا فَفَعَلُوا ، وَفِيهِمْ - كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَعَبْرُهُ - نَزَلَتْ الْآيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ .

وَأَخَذَتْ قُرَيْشٌ نِعْدُ لِدَلِكِ الْعُدَّةِ ، وَتَرَصَّدُ الْأَمْوَالَ ، وَتُعْبِي الْقُوَى ، وَتَجْمَعُ السَّلَاحَ ، وَبَعَثَتْ رُسُلَهَا فِيمَنْ حَوْلَهَا مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ تَسْتَنْصِرُهُمْ ، وَتَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى تَمْكِينِ الضَّرْبَةِ ، وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ أَبُو عَزَّةَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُمَحِيُّ ، قَدْ مَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ فَقِيرًا ، ذَا عِيَالٍ وَحَاجَةٍ ، فَأَطْلَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلا فِدَاءٍ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا يُظَاهِرَ عَلَيْهِ أَحَدًا ، وَلَا يَكْتُرُ عَلَيْهِ جَمْعًا ، فَتَقَضَّى الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ ، وَذَهَبَ مَعَ الذَّاهِبِينَ إِلَى كِنَانَةَ وَتَهَامَةَ يُحَرِّضُ عَلَى الْقِتَالِ ، قِتَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُكْتِرُ عَلَيْهِ .

وَهَكَذَا ظَلَّتْ قُرَيْشٌ طَوَالَ عَامِهَا تَبْدِلُ مِنْ أَمْوَالِهَا ، وَتَجْمَعُ مِنْ أَنْصَارِهَا ، وَتُعِدُّ مِنْ قُوَّتِهَا ، حَتَّى بَلَغَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا أَرَادَتْ وَغَدَتْ فِي أَتَمِّ أَهْبَةِ ، وَأَكْمَلِ اسْتِعْدَادٍ ، فَلَمْ تَلْبَثْ حَتَّى حَصَلَتْ عَلَى جَيْشٍ لَجِبٍ ، مِنْ رِجَالِهَا ، وَمِمَّنْ خَالَفَهَا مِنَ الْأَحَابِيشِ ، مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، وَبَنِي الْهُونِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حِمَاسَةِ الْمُؤْتَوِّرِ ، وَسُورَةِ الْمُغِيزِ الْمُحَنِقِ ، لِتَضْرِبَ الضَّرْبَةَ الْقَاضِيَةَ فِي زَعْمِهَا ، وَأَبَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ إِلَّا أَنْ يَكُنَّ مَعَ الْجَيْشِ يُحْمَسْنَ الرِّجَالَ ، وَيُثْرَنَ الْحُمِيَّةَ ، فَخَرَجَ مِنْهُنَّ مِنْ رِبَاتِ الْخُدُورِ نَحْوُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ امْرَأَةً ، عَلَى رَأْسِهِنَّ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَخَرَجَ مَعَ الْجَيْشِ أَبُو عَامِرٍ الْأَوْسِيُّ الْفَاسِقُ ، وَكَانَ مُقَاوِمًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُبَاعِدًا لَهُ ، وَمُنْكَرًا لِنُبُوتِهِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَهَبًا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَنْتَظِرُ النَّبِيَّ الْمُبْعُوثَ ، وَيَذْكُرُ لِلنَّاسِ كَثِيرًا مِنْ صِفَاتِهِ ، يَقُولُ

لَهُمْ : أَنَّهُ قَدْ قَرَّبَ خُرُوجَهُ ، فَلَمَّا هَاجَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَاتَّضَحَّتْ صِفَاتِهِ لِلْأَنْصَارِ وَاتَّبَعُوهُ حَسَدَهُ أَبُو عَامِرٍ وَأَنْكَرَ نُبُوتَهُ ، وَكَانَ رَئِيسًا فِي الْأَوْسِ قَبْحَهُ اللَّهُ ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فِي الْخُزْجِ ، فَكُلُّ مَنْهُمَا حَسَدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا وَهُوَ مَعَ الْكُفَّارِ بَاطِنًا وَأَبُو عَامِرٍ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَافِرًا مُبَاعِدًا ، وَخَرَجَ مَعَهُ خَمْسُونَ مِنْ شِيعَتِهِ ، مِنْ شَبَابِ الْأَوْسِ وَعِلْمَانِهِمْ ، فَأَقَامَ فِي مَكَّةَ مُنَاصِرًا لِقُرَيْشٍ مُحَرِّضًا لَهَا عَلَى قِتَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا عَزَمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْأُحُدِ ، مَنَّاها أَبُو عَامِرٍ أَنْ يُخَدَّلَ لَهَا قَوْمَهُ الْأَوْسَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْ يُخْرَجَ مِنْ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَى صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا تَقَى الْجُمُعَانَ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ مُعْتَمِدًا عَلَى مَا كَانَ لَهُ مِنْ سَابِقِ الْمَكَانَةِ فِي قَوْمِهِ ، مُعْتَقِدًا أَنَّهُ بِهَذِهِ الْمَكَانَةِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْدِثَ مَا يَشَاءُ مِنَ التَّفْرِيقِ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَكْفِي لَذَلِكَ أَنْ يَظْهَرَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَأَنْ يُسْمِعَهُمْ صَوْتَهُ ، فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِقُرَيْشٍ ، فِي يَقِينِ الْوَاتِقِ الْمُطْمَئِنِّ - لَوْ قَدِمْتُ عَلَى قَوْمِي لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ رَجُلَانِ ، وَهَؤُلَاءِ مَعِيَ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ واجتمع الناسُ خَطَبَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَحَمَدَ اللَّهُ ، وَأَتَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي رُؤْيَا ، رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعِ حَصِينَةٍ وَرَأَيْتُ كَأَنَّ سَيْفِي ذُو الْفُقَارِ انْفَصَمَ مِنْ عِنْدِ ظَبَّتِهِ ، وَرَأَيْتُ بَقْرًا تُدْبِحُ ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا » .

فَقَالَ النَّاسُ : فَمَا أَوْلَتْهَا ؟ قَالَ : « أَمَّا الدِّرْعُ الْحَصِينَةُ فَهِيَ الْمَدِينَةُ ، فَاْمَكُثُوا فِيهَا ، أَمَّا انْفِصَامُ سَيْفِي مِنْ عِنْدِ ظَبَّتِهِ فَمُصِيبَتِي فِي نَفْسِي ، وَأَمَّا الْبَقْرُ فَقَتْلِي فِي أَصْحَابِي ، وَأَمَّا أَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا ، فَكَبْشُ الْكُتَيْبَةِ ، نَفْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . وَفِي رِوَايَةٍ : « وَأَمَّا انْفِصَامُ سَيْفِي ، فَقَتْلُ رَجُلٍ مِنْ بَيْتِي

. «

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَانِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَفِي أَوَائِلِ شَهْرِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ وَقِيلَ : فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ ، خَرَجَ الْجَيْشُ الْجَزَّازُ مِنْ مَكَّةَ يُفُودُهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَيَحْمِلُ لِيَأْهُهُ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَعَلَى رِجَالِهِ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ .. وَعَدَدَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ فِي أَكْمَلِ اسْتِعْدَادٍ ، وَأَحْسَنَ تَعْيِثَةٍ ، مِنْ بَيْنِهِمْ مَائَتَانِ مِنَ الْفُرْسَانِ الْمُدْرَبِينَ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ وَسَبْعُمِائَةٍ مِنَ الدَّارِعِينَ الْمُحْصَنِينَ بِالزُّرْدِ وَالذُّرُوعِ الْوَاقِيَةِ ، يَحْمِلُهُمْ عَدَدٌ وَافٍ مِنَ الرِّكَائِبِ وَيَتَّبِعُهُمْ حَشْدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْعُلَمَانِ يَفْضُونَ حَوَائِجَهُمْ ، وَيَحْرَسُونَ مَتَاعَهُمْ ، وَكَانَ مَعَ الْعَبِيدِ عَبْدُ حَبَشِيِّ اسْمُهُ وَحَشِيٌّ ، وَكَانَ يُجِيدُ الرِّمَاطَةَ بِالْحِرَابِ عَلَى طَرِيقَةِ الْحَبَشَةِ ، فَأَغْرَاهُ سَيِّدُهُ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ بِقَتْلِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ قَتَلْتَهُ فَأَنْتَ عَتِيقٌ . وَكَذَلِكَ أَعْرَثَهُ بِهِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ وَوَعَدَتْهُ عَلَى قَتْلِهِ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَكَانَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ قَتَلَ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ عَمِّ جُبَيْرِ ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ بْنَ أَبِي هِنْدٍ .

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ فِيمَا يَبْدُوا قَدْ خَرَجَتْ عَلَى خُطَّةٍ مَوْضُوعَةٍ ، هِيَ أَنْ

تُفَاجِئُ الْمُسْلِمِينَ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدُّوا فَإِنْ أَخْفَقُوا فِي هَذِهِ الْحُطَّةِ بِأَنْ لَمْ يَخْضُلْ لَهُمْ مَفَاجِئُ الْمُسْلِمِينَ وَعَلِمَ الْمُسْلِمُونَ بِخُرُوجِهِمْ ، وَاسْتَعَدُّوا لَهُمْ فَالْحُطَّةُ الثَّانِيَةُ هِيَ التَّخْذِيلُ وَالْإِرْحَافُ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ اللَّقَاءِ فَإِنْ أَخْفَقَتْ هَذِهِ الْحُطَّةُ وَلَمْ يَنْجَحُوا فِيهَا ، فَالْحُطَّةُ الثَّلَاثَةُ هِيَ الْفَتْكُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ بِرُؤُوسِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، كَمَا فَتَكَ الْمُسْلِمُونَ بِرُؤُوسِهِمْ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَمَتْ قُرَيْشٌ أَمْرَهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَخَرَجَتْ تَوَاصِلِ السَّيْرِ فِي سِرٍّ حَتَّى نَزَلَتْ بِوَادِي أُحُدٍ ، عَلَى أَقْلٍ مِنْ فَرَسَخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَلَكِنْ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِرَسُولِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ، أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَتَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا أَخْبَرَهُ فِيهِ بِمَخْرَجِ قُرَيْشٍ هَذَا ، وَبِمَا أَعَدَّتْ لَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالْعَتَادِ ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ هَذَا مَعَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَفَّارٍ ، فَوَاصِلِ السَّيْرِ بِهِ حَتَّى بَلَغَ الْمَدِينَةَ فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهَا عَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثُبَاءٍ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ فَسَلَّمَهُ الْكِتَابَ ، فَدَفَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَن كَعْبٍ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ ، فَاسْتَكْتَمَهُ الْخَبْرَ ، ثُمَّ دَخَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ الْكِتَابِ فَقَالَ سَعْدُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ خَيْرًا ، وَأُرْجِفَ الْيَهُودَ وَالْمُنَافِقُونَ بِأَمْرِ الْكِتَابِ ، فَشَاعَ الْخَبْرُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَهَذَا مَا كَانَتْ تَخْشَاهُ قُرَيْشٌ .

رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَبِي حَكِيمَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : لَمَّا أَصْبَحَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ : أَخْلَفُ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ جَاءُوا مُحَمَّدًا فَخَبَرُوهُ مَسِيرَنَا وَحَدْرُوهُ ، وَأَخْبَرُوهُ بِعَدَدِنَا ، فَهُمْ الْآنَ يَلْزَمُونَ صِيَابِيهِمْ ، فَمَا أَنْ نُصِيبُ مِنْهُمْ شَيْئًا فِي وَجْهِنَا ، فَقَالَ صَفْوَانُ : إِنْ لَمْ يُصْحِرُوا لَنَا عَمَدَنَا إِلَى نَحْلِ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ فَقَطَعْنَاهُ ، فَتَرَكْنَاهُمْ وَلَا أَمْوَالَ لَهُمْ فَلَا يَجْتَرِبُونَهَا أَبَدًا ، وَإِنْ أَصْحَرُوا لَنَا فَعَدَدْنَا أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَسِلَاحُنَا أَكْثَرَ مِنْ سِلَاحِهِمْ ، وَلَنَا

خَيْلٌ وَلَا خَيْلَ مَعَهُمْ ، وَنَحْنُ نُقَاتِلُ عَلَى وَتَرٍ عِنْدَهُمْ ، وَلَا وَتَرَ لَهُمْ عِنْدَنَا .
 اللَّهُمَّ أَظْلَنَّا تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ وَلَا بَاقٍ إِلَّا وَجْهَكَ .
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلَنَا ، وَتُلَمِّمُ بِهَا شَعَثَنَا ،
 وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدَنَا ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبَنَا ، وَتُرَكِّي بِهَا أَعْمَالَنَا ، وَتُلَهِّمُنَا بِهَا رُشْدَنَا ، وَتَعْصِمُنَا بِهَا
 مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَهْمُنَا الْقِيَامَ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ
 مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ
 وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بِرِدِّ
 عَفْوِكَ وَحِلَاوَةِ مَغْفِرَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِيُونَهُ يَسْتَطْلِعُونَ لَهُ خَبَرَ الْقَوْمِ ، فَجَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ
 بِمَنْزِلِهِمْ مِنْ وَادِي أُحُدٍ ، وَحَزَرُوا لَهُ عَدَدَهُمْ وَعِتَادَهُمْ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ أَطْلَعُوا خِيُوهُمْ
 وَإِنْبَلَهُمْ فِي مَزَارِعِ الْمَدِينَةِ فَجَعَلَتْ تَأْكُلُ الزَّرْعَ وَالشَّجَرَ حَتَّى أَوْشَكَتْ أَنْ تَدْخُلَ الْمَدِينَةَ وَبَاتَ
 الْحَطَرُ جَائِحًا عَلَى الْأَبْوَابِ ، وَعَدَا الْأَمْرُ لَا يَقْبَلُ التَّسْوِيفَ ، وَصَارَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
 أَنْ يَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَيَسْتَعِدُّوا ، وَحُرِسَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا طَوَالَ اللَّيْلِ ، فَبَاتَ وُجُوهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ
 أَهْلِهَا فِي الْمَسْجِدِ ، وَعَلَيْهِمُ السَّلَاحُ خَوْفًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ .
 فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَجَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ كَيْفَ يَلْقَوْنَ عَدُوَّهُمْ
 اللَّدُودَ .

رَوَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « أَشِيرُوا عَلَيَّ » . فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْسٍ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ نُقَاتِلُ فِيهَا وَنَجْعَلُ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ فِي هَذِهِ الصِّيَاصِي ، وَنَجْعَلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ ، وَنَشْبِكُ الْمَدِينَةَ بِالْبُنْيَانِ ، فَتَكُونُ كَالْحِصْنِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَتَرْمِي الْمَرْأَةَ وَالصَّبِيَّ مِنْ فَوْقِ الصِّيَاصِي وَالْآطَامِ ، وَنُقَاتِلُ بِأَسْيَافِنَا فِي السِّكِّكِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مَدِينَتَنَا عَدْرَاءُ ، مَا فَضَّتْ عَلَيْنَا قَطُّ ، وَمَا خَرَجْنَا إِلَى عَدُوِّ قَطُّ مِنْهَا إِلَّا أَصَابَ مِنَّا ، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا قَطُّ إِلَّا أَصَبْنَاهُ ، فَدَعُوهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ إِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَحْبَسٍ ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ مَغْلُوبِينَ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا .

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَطْعِنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَاعْلَمْ أَنِّي وَرَثْتُ هَذَا الرَّأْيَ مِنْ أَكَابِرِ قَوْمِي وَأَهْلِ الرَّأْيِ مِنْهُمْ ، فَهُمْ كَانُوا أَهْلَ الرَّأْيِ وَالتَّجْرِبَةِ .

وَكَانَ هَذَا الرَّأْيُ هُوَ رَأْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ أَنْ لَا يُخْرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَأَنْ يَتَحَصَّنُوا بِهَا فَإِنْ دَخَلُوهَا قَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَفْوَاهِ الْأَرْقَةِ وَالنِّسَاءِ مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ ، وَهُوَ رَأْيُ الْأَكَابِرِ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « امْكُثُوا فِي الْمَدِينَةِ وَاجْعَلُوا النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ فِي الْآطَامِ فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِي الْأَرْقَةِ ، فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْهُمْ وَرَمَوْا النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ مِنْ فَوْقِ الصِّيَاصِي وَالْآطَامِ » . فَبَادَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ قَاتَلَهُمُ الْخُرُوجُ يَوْمَ بَدْرٍ وَرَغَبُوا فِي الشَّهَادَةِ ، وَأَحْبَبُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ ، وَأَلْحُوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ .

وَقَالَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ النَّبِيِّ الْحَسَنَةِ : إِنَّا نَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَظُنَّ عَدُونَنَا أَنَّا كَرِهْنَا الْخُرُوجَ إِلَيْهِمْ جُبْنًا عَنْ لِقَائِهِمْ ، فَيَكُونُ هَذَا جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَيْنَا وَقَدْ كُنْتَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ فَظَفَّرَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ

خَلَقَ كَثِيرٌ ، وَقَدْ كُنَّا نَتَمَتَّى هَذَا الْيَوْمَ وَنَدْعُو اللَّهَ بِهِ ، فَقَدْ سَأَقَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا فِي سَاحَتِنَا .
 وَقَالَ مَالِكُ بْنُ سِنَانَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ بَيْنَ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ ، إِمَّا يُظْفِرُنَا اللَّهُ بِهِمْ فَهَذَا هُوَ الَّذِي نُرِيدُ ، وَالْأُخْرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ يَرْزُقُنَا اللَّهُ بِهَا الشَّهَادَةَ ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَبَالِي أَيُّهُمَا كَانَ ، إِنَّ كُلًّا لَفِيهِ خَيْرٌ .
 وَقَالَ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَا أَطْعَمُ الْيَوْمَ طَعَامًا حَتَّى أُجَالِدَهُمْ بِسَيْفِي خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ .
 وَقَالَ النَّعْمَانُ بْنُ مَالِكٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ نُحْرِمْنَا الْجَنَّةَ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَأَدْخَلْنَاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بِمِ ؟ » فَقَالَ : إِنِّي أَمْرٌ أَحَبُّ إِلَيَّ وَرَسُولُهُ ، وَلَا أَفِرُّ يَوْمَ الرَّحْفِ .
 وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ أَوْسٍ : لَا أَحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ قُرَيْشٌ إِلَى قَوْمِهَا فَيَقُولُونَ حَصْرْنَا مُحَمَّدًا فِي صِيَاصِي يَثْرِبَ وَإِطَامِهَا فَتَكُونُ هَذِهِ جُرْأَةً لِقُرَيْشٍ عَلَيْنَا وَقَدْ وَطِئُوا سَعَفَنَا فَإِذَا لَمْ نَدَبْ عَنْ غَرْسِنَا لَمْ يُزْرَعِ .
 وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْحُرُوجَ هُوَ الرَّغْبَةُ الْعَالِيَةُ ، وَأَنَّ كَثْرَةَ النَّاسِ تَدْعُوا إِلَيْهِ فَصَلَّى بِهِمِ الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالْجِهَادِ .
 وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ مَا صَبَرُوا ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِالشُّخُوصِ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا كَرِهُوا ذَلِكَ الْمُخْرَجَ ، لِمَا رَأَوْا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكَرَاهَةِ لَهُ .
 وَأَخَذَ النَّاسُ يَتَأَهَّبُونَ لِلْقِتَالِ ، فَيَلْبِسُونَ دُرُوعَهُمْ وَسِلَاحَهُمْ وَيَتَوَافَدُونَ عَلَى

مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا كَانَ الْعَصْرُ كَانَ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا وَاحْتَشَدُوا فَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْعَصْرِ وَأَمَرَ أَنْ يُرْفَعَ النَّسَاءُ وَالْأَوْلَادُ فِي الْآطَامِ وَالْحُصُونِ ، ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ لِيَلْبَسَ لَامَتَهُ ، وَالنَّاسُ فِي خَارِجِ الْبَيْتِ يَتَنَاقَشُونَ وَيَتَحَادِلُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَلَا يَزَالُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْبَقَاءَ هُوَ الْأَصَوَّبُ ، وَأَنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَكْرَهُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْخُرُوجِ فَعَزَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ كَارِهِ لَهُ .

وَجَاءَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَا : قُلْتُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُلْتُمْ ، وَاسْتَكْرَهُتُمُوهُ عَلَى الْخُرُوجِ وَالْأَمْرُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ ، فَرُدُّوا الْأَمْرَ إِلَيْهِ ! فَمَا أَمَرَكُمْ فَأَفْعَلُوهُ ، وَمَا رَأَيْتُمْ لَهُ فِيهِ هَوَى أَوْ رَأْيًا فَأَطِيعُوهُ .

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ لَبَسَ لَامَةَ الْحَرْبِ ، فَقَالَ الَّذِينَ كَانُوا يُلْحُونَ فِي الْخُرُوجِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَكَ فَقَالَ : « قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ فَأَبَيْتُمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لَامَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَيَبَيِّنَ أَعْدَائِهِ .

انظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ ، وَامْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، فَلَكُمْ النَّصْرُ مَا صَبَرْتُمْ » .
 وَعَقَدَ ثَلَاثَةَ أَلْوِيَةِ : لِوَاءَ بَيْدِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، وَلِوَاءَ لِلْمُهَاجِرِينَ بَيْدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ،
 وَقَيْلٍ : بَيْدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَدَفَعَ لِوَاءَ الْخُرُوجِ ، بَيْدِ الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ .
 وَقَيْلٍ : بَيْدِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، ثُمَّ دَعَا بِفَرَسِهِ ، فَرَكِبَهُ وَخَرَجَ فِي أَلْفٍ

مِنْ أَصْحَابِهِ ، فِيهِمْ مَائَةٌ دَارِعٌ ، وَالنَّاسُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَالسَّعْدَانِ يَعْدُونَ أَمَامَهُ ، سَعْدُ بْنُ
عُبَادَةَ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، لِسِتِّ خَلَوْنَ مِنْ شَوَالٍ ، بَعْدَ أَنْ أَمَرَ عَلَى
الْمَدِينَةَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، يُصَلِّي بِالنَّاسِ .

اللَّهُمَّ أَقِمْ عَلَمَ الْجِهَادِ وَاقْمَعْ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالرِّبِّغِ وَالْعِنَادِ وَأَنْشُرْ رَحْمَتَكَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْعِبَادِ يَا
مَنْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَإِلَيْهِ الْمَعَادُ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا اللَّهُمَّ انْظِمْنَا فِي سِلْكِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ،
وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ هُمْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

موعظة : عِبَادَ اللَّهِ كَانَ سَلْفُنَا فِي أَرْقَى دَرَجَةٍ ، وَأَصْبَحْنَا بَعْدَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ فِي حَالَةٍ يُرْتَى لَهَا
مِنَ التَّهَالُكِ عَلَى الدُّنْيَا وَاهْمَالِ الْآخِرَةِ ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ الْآخِرَةَ لَا تَنْتَهِي حَيَاتُهَا ، وَأَنَّ
الدُّنْيَا تَنْتَهِي فِي أَيَّامٍ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ مَتَاعِهَا أَنَّهُ قَلِيلٌ ، فَوَضَعُوا حَيَاةَ
الْأَبَدِ نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ ، وَجَدُّوا وَاجْتَهَدُوا فِي الْعَمَلِ لَهَا ، كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ ، فَلَا تَكَاذُ تَرَاهُمْ فِي
لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ إِلَّا وَهُمْ بَعْمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ يَعْمَلُونَ وَذَلِكَ الْعَمَلِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْآخِرَةِ .
وَلَقَدْ كَانُوا فِي كُلِّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ النَّفْسَ الْأَخِيرَ ، الَّذِي تَنْتَهِي بِهِ آجَالُهُمْ ،
فَلَوْ قِيلَ لَهُمْ إِنَّكُمْ بَعْدَ سَاعَةٍ تَنْتَهِي حَيَاتُكُمْ مَا زَادُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِكْتَارِ مِنَ الْبَاقِيَاتِ
الصَّالِحَاتِ .

أَمَّا اشْتَغَالُهُمْ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ فَمَا كَانَ إِلَّا لِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي

تُدْنِي إِلَى الْجَنَّاتِ ، وَتُبْعِدُ عَنِ النَّارِ ، لِهَذَا كَانُوا لَا يَخَافُونَ الْمَوْتَ ، وَيَجْرِصُونَ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَعَلَّهُمْ يَنَالُونَ الشَّهَادَةَ ، وَيَبْكُونَ إِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُمُ الْخُرُوجُ إِلَى الْجِهَادِ ، كَمَا أَحْبَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَكَمَا مَرَّ عَنْهُمْ فِي الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ ، لِذَلِكَ بَلَّغُوا مِنَ الشَّجَاعَةِ مُنْتَهَاهَا ، وَعَاشُوا وَمَاتُوا وَهُمْ سَادَةُ الْعَالَمِينَ .

أَمَّا زُهْدُهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَكَانَ مَوْضِعَ الْعَجَبِ لِأَنَّ مَقْصُودَهُمْ غَيْرَهَا ، وَلِهَذَا كَانُوا أَشْرَفَ أُمَّةٍ تَحَلَّى بِرُؤْيَيْهَا الزَّمَانُ .

أَمَّا نَحْنُ فَقَصُرَ نَظْرُنَا قَصْرًا مِنَ الْعَارِ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى عُقَلَاءِ الرِّجَالِ وَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنَّ الْعَاقِلَ تَمَلَّكَ قَلْبُهُ وَقَالِبَهُ الدُّنْيَا وَحِطَامِهَا الْفَاقِي ، فَيَجْعَلُ كُلَّ مَقْصُودِهِ الْمَالُ ، مَعَ أَنَّهُ يَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ مِنَّا فَالْآخِرَةُ لَا تَخْطُرُ لَنَا عَلَى بَالٍ ، فَلِلدُّنْيَا أَبْدَانُنَا وَقُلُوبُنَا ، وَلَهَا رِضَانَا وَسَخَطُنَا ، وَإِنْ زُجِرْنَا عَنْهَا إِزْدَادَ وَلَعْنَا بِهَا وَزَادَ إِقْبَالُنَا عَلَيْهَا وَتَضَاعَفَ جُهْدُنَا لَهَا .
عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَإِذَا زَجَرْتُ النَّفْسَ عَنِ شَغْفٍ بِهَا

فَكَأَنَّ زَجَرَ عَوِيَّهَا إِغْرَاؤُهَا

لِهَذَا كَرِهْنَا الْمَوْتَ كَرَاهَةً شَدِيدَةً فَفَقَدْنَا الشَّجَاعَةَ وَأَصَابَنَا الْوَهْنُ وَالْحَوْرُ وَالضَّعْفُ وَالْجُبْنُ .
شِعْرًا: نَهَاكَ عَنِ الْبَطَالَةِ وَالتَّصَايِي نُحُولُ الْجِسْمِ وَالرَّأْسِ الْخَضِيبُ
إِذَا مَا مَاتَ بَعْضُكَ فَأَبْلَكَ بَعْضًا فَبَعْضُ الشَّيْءِ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبٌ

ولهذا وصلت بنا الحال إلى أن منَعنا الرِّكَاةَ أو بَعْضَهَا وَهِيَ قَرِينَةُ الصَّلَاةِ ، وَمِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا دَاهِنًا ، وَتَمَلَّقْنَا لِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَقُلْنَا لَهُ : يَا سَيِّدُ ، أَوْ يَا مُعَلِّمُ ، أَوْ يَا أَسْتَاذُ ، هَذَا حِطَابُنَا لِأَعْدَاءِ اللَّهِ مَعَ أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا نَحْوَهُمْ هَجْرَانُهُمْ وَالْإِبْتِعَادُ عَنْهُمْ وَبُغْضُهُمْ لِلَّهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، هَذَا يَا أَخِي هُوَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ فِي انْحِطَاطِنَا ، وَفِي عِزِّ سَلْفِنَا الْأَجْلَاءِ الْكِرَامِ ، وَلَوْ سَلَكْنَا طَرِيقَهُمْ مَا أَصَابَنَا هَذَا الدُّلُّ وَالهُوَانُ .

قَصِيدَةُ زُهْدِيَّةٌ فِي غُرْبَةِ الدِّينِ وَالْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ وَالتَّقَلُّبِ مِنَ الدُّنْيَا

إِلَى اللَّهِ نَشْكُوا غُرْبَةَ الدِّينِ وَالْهُدَى

وَفُقْدَانَهُ مِنْ بَيْنِ مَنْ رَاحَ أَوْ عَدَا

فَعَادَ غَرِيبًا مِثْلَ مَا كَانَ قَدْ بَدَا

عَلَى الدِّينِ فَلْيُبْكِي ذُوو الْعِلْمِ وَالْهُدَى

فَقَدْ طَمَسَتْ أَعْلَامُهُ فِي الْعَوَالِمِ

حَوَى الْمَالَ أَنْذَالَ الْوَرَى وَرَذَالَهُمْ

وَقَدْ عَمَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ ضَلَالَهُمْ

وَلَا تَرْتَضِي أَقْوَالَهُمْ وَفَعَالَهُمْ

وَقَدْ صَارَ إِقْبَالَ الْوَرَى وَاحْتِيَالَهُمْ

عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا وَجَمَعَ الدَّرَاهِمِ

فَدُوَ الْمَالِ لَا تَسْأَلُ أَخْصُ خَدِيْبِهِمْ
وَقَدْ نَفَقَ الْجَهْلُ الْعَظِيمُ بِحِيْنِهِمْ
بِاعْرَاضِهِمْ عَنْ دِيْنِهِمْ وَمَدِيْنِهِمْ
وَإِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ بِإِفْسَادِ دِيْنِهِمْ
وَتَحْصِيلِ مَلْدُودَاتِهِمْ وَالْمَطَاعِمِ
مُحِبُّونَ لِلدُّنْيَا مُحِبُّونَ قِيْلَهَا
وَلَوْ مُعْرِضًا عَنْ دِيْنِهِ وَلَهَا لَهَا
وَكُلُّهُمْ لَا شَكَّ دَنَدَنَ حَوْلَهَا
يُعَادُونَ فِيهَا بَلْ يُوَالُونَ أَهْلَهَا
سَوَاءٌ لَدَيْهِمْ ذُو التُّقَى وَالْجَرَائِمِ
إِلَى اللَّهِ فِي هَذَا الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ
نَبْتُ الدُّعَا فَالْقَلْبُ لَا شَكَّ قَدْ قَسَا
وَحُبُّ الْوَرَى الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ قَدْ رَسَى
إِذَا انْتَقَصَ الْإِنْسَانُ مِنْهَا بِمَا عَسَى
يَكُونُ لَهُ ذَخْرًا أَتَى بِالْعِظَائِمِ
بَكَى وَاعْتَرَاهُ الْمَسُّ مِنْ عُظْمِ مَا حَسَى
وَخَرَّ صَرِيْعًا إِذْ بَدَا النِّقْصُ وَأَفْلَسَا
وَأَنْحَلَ جِسْمًا نَاعِمًا قَبْلُ مَا عَسَى
وَأَبْدَى أَعَاجِيْبًا مِنَ الْحُزْنِ وَالْأَسَى
عَلَى قَلِيَّةِ الْأَنْصَارِ مِنْ كُلِّ حَازِمِ

وَنَادَى بِصَوْتٍ مَزَعَجٍ مُتَكَلِّمًا
 وَبَاتَ حَزِينًا قَلْبُهُ مُتَكَلِّمًا
 وَقَامَ عَلَى سَاقٍ لِحَرَّاهُ مُعَلِّمًا
 وَنَاحَ عَلَيْهَا آسِفًا مُتَظَلِّمًا
 وَبَاتَ بِمَا فِي صَدْرِهِ غَيْرَ كَاتِمٍ
 فَذَا شَأْنُ أَهْلِ الْعَيِّ وَالْجَهْلِ وَالرَّدَى
 إِذَا انْتَقَصُوا الدُّنْيَا أَصَارُوا الشَّرَى نَدَى
 وَبُكُوا وَأَبْكُوا كُلٌّ مِّن رَّاحٍ أَوْ عَدَا
 فَأَمَّا عَلَى الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ وَالْهُدَى
 وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ذَاتِ الدَّعَائِمِ
 وَلَوْ قُطِّعَتْ فِي كُلِّ أَرْكَانِهَا الْقُوَى
 وَلَوْ سَلَكَتْ كُلُّ الْوَرَى سُبُلَ مَنْ غَوَى
 أَوْ اتَّخَذَ الْمَخْلُوقُ مَعْبُودَهُ الْهُوَى
 فَلَيْسَ عَلَيْهَا وَالذِّي فَلَقَ النَّوَى
 مِنَ النَّاسِ مَنْ بَاكَ وَأَسِ وَنَادِمٍ
 بُنُودٌ لَهَا فِيمَا مَضَى بَيْنَنَا انْتَفَتْ
 وَكُلُّ مُحَامِيٍّ لَهَا مَالٌ وَانْتَفَتْ
 وَمَحْبُوبُنَا مَنْ أَبْغَضَتْهُ وَمَنْ نَفَتْ
 وَقَدْ دَرَسَتْ مِنْهَا الْمَعَالِمُ بَلْ عَفَتْ
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْإِسْمُ بَيْنَ الْعَوَالِمِ

وَقَدْ ظَهَرَتْ تِلْكَ الْفَوَاحِشُ وَالْجَفَا
 وَلَا شَكَّ فِي فِعْلِ اللُّوَاطِ مَعَ الزَّيِّ
 وَقَلْبِي إِذَا مَمَّا بَدَى مَسَّهُ الضَّنَى
 فَلَا آمِرٌ بِالْعُرْفِ يُعْرِفُ بَيْنَنَا
 وَلَا زَاجِرٌ عَنِ مُعْضَلَاتِ الْجَرَائِمِ
 بِحَارِ الْمَعَاصِي قَدْ طَمَى الْآنَ لُجْهَهَا
 وَمُتَّسِعُ بَيْنِ الْبِرِّيَّةِ ثَجُّهَا
 وَقَدْ لَاحَ مِنْ فَوْقِ الْبَسِيطَةِ فَجُّهَا
 وَمَلَّةُ إِبْرَاهِيمَ غُودِرَ نَهْجُهَا
 عَفَاءً وَأَضَحَّتْ طَامِسَاتِ الْمَعَالِمِ
 نَوَاطِرُنَا كَلَّتْ وَأَنْوَارُهَا طَفَّتْ
 وَأَلْسُنُنَا عَنْ بَحْثِ مِنْهَا جَهَا حَفَّتْ
 مَنَاهِجُهَا وَاللَّهِ مِنْ بَيْنِنَا عَفَّتْ
 وَقَدْ عُدِمَتْ فِينَا وَكَيْفَ وَقَدْ سَفَّتْ
 عَلَيْهَا السَّوَافِي مِنْ جَمِيعِ الْأَقَالِمِ
 تَنْظُنُونَ أَنَّ الدِّينَ لَبَيْكَ فِي الْفَلَا
 وَفَعَلَ صَلَاةٍ وَالسُّكُوتَ عَنِ الْمَلَا
 وَسَالِمٍ وَخَالِطُ مَنْ لَدَا الدِّينَ قَدْ قَلَا
 وَمَا الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ وَالْوَلَا
 كَذَاكَ الْبِرِّ مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَآئِمِ

فَأَفْرَادُنَا ظَنُّوْا النَّجَا فِي التَّنَسُّكِ
وَعَالِبِنَا مِنْهُمَا جُهُمْ فِي التَّسَلُّكِ
وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ خَيْرِ مَسَلِكِ
وَلَيْسَ لَهَا مِنْ سَالِكِ مُتَمَسِّكِ
بِدِينِ النَّبِيِّ الْأَبْطَحِيِّ بْنِ هَاشِمِ
فَلَسْنَا نَرَى مَا حَلَّ فِي الدِّينِ وَامَّحَتْ
بِهِ الْمِلَّةَ السَّمْحَاءِ إِحْدَى الْقَوَائِمِ
عَسَى تَوْبَةٌ تَمْحُو ذُنُوبًا لِمُرْتَجِي
عَسَى نَظْرَةٌ تَسْلُكُ بِنَا خَيْرَ مَنْهَجِ
عَسَى وَعَسَى مِنْ نَفْحَةٍ عَلَّهَا تَجِي
فَنَأْسَى عَلَى التَّقْصِيرِ مِنَّا وَنَلْتَجِي
إِلَى اللَّهِ فِي مَحْوِ الذُّنُوبِ الْعِظَائِمِ
فَكُلُّ الْوَرَى فِي كَثْرَةِ الْمَالِ نَافَسَتْ
وَرَأَتْ ذُنُوبٌ فِي الْقُلُوبِ وَقَدْ رَسَتْ
وَفِي النَّهْيِ عَنِ كُلِّ الْمَعَاصِي تَنَاعَسَتْ
فَنَشْكُوا إِلَى اللَّهِ الْقُلُوبَ الَّتِي قَسَتْ
وَرَأْنَ عَلَيْهَا كَسْبُ تِلْكَ الْمَآثِمِ
نُرَاعِي أَخَا الدُّنْيَا فَذَلِكَ هُوَ الْأَخُ
وَلَوْ كَانَ فِي كُلِّ الْمَعَاصِي مُلَطَّخُ
أَلْسِنَا بِأَوْضَارِ الْحَطَا نَتَضَمَّخُ
أَلْسِنَا إِذَا مَا جَاءَنَا مُتَضَمَّخُ

بَأَوْضَارِ أَهْلِ الشَّرْكِ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ
أَتَيْنَاهُ نَسْعَى مِنْ هُنَاكَ وَمِنْ هُنَا
وَفِي عَصْرِنَا بَعْضٌ يُرَدُّ وَلَوْ عَنِّي
أَتَيْنَا سِرَاعًا وَالرَّضَى عَنْهُ حَتْنَا
نَهَشُ إِلَيْهِمْ بِالتَّحِيَّةِ وَالشَّنَا
وَنَهْرَعُ فِي إِكْرَامِهِمْ بِالْوَلَائِمِ
إِذَا يُرْتَضَى فِي الدِّينِ هَلْ مِنْ مُعَلِّمٍ
أَفِئِقُ أَيُّهَا الْمَعْبُونُ هَلْ مِنْ تَنْدِيمٍ
أَيْرِضَى بِهِذَا كُلُّ أَبْسَلٍ ضَائِعٍ
وَقَدْ بَرِي الْمَعْصُومُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
يُقِيمُ بَدَارِ الْكُفْرِ غَيْرَ مُصَارِمٍ
وَلَا مُنْكَرٍ أَقْوَالَهُمْ يَا ذَوِي الْهُدَى
وَمُبْعِضِ أَفْعَالٍ مَنْ ضَلَّ وَأَعْتَدَى
وَلَا آمِرٍ بِالْعُرْفِ مِنْ بَيْنِهِمْ غَدَا
وَلَا مُظْهِرٍ لِلدِّينِ بَيْنَ ذَوِي الرَّدَى
فَهَلْ كَانَ مِنَّا هَجْرُ أَهْلِ الْجَرَائِمِ
وَهَلْ كَانَ فِي ذَاتِ الْمُهَيِّمِينَ وَدُنَا
وَهَلْ نَحْنُ قَاتِلْنَا الَّذِي عَنْهُ صَدْنَا
وَهَلْ نَحْنُ أَبْعَدْنَا غَدَا وَالَّذِي دَنَا
وَلَكِنَّمَا الْعَقْلُ الْمَعِيشِيُّ عِنْدَنَا
مُسَالِمَةٌ الْعَاصِينَ مِنْ كُلِّ آثِمِ

أَيَا وَخَشَةً مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْمَازِلِ
 وَيَا وَصَمَةً لِلدِّينِ مِنْ كُلِّ نَازِلِ
 تَكَلَّمْتُ الْأَوْبَاشُ وَسَطَ الْمَحَافِلِ
 فِيَا مِخْنَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ كُلِّ جَاهِلِ
 وَيَا قَلَّةَ الْأَنْصَارِ مِنْ كُلِّ عَالِمِ
 فَفَنَفْسَكَ فَاخْزِمِ إِذَا كُنْتَ حَازِمًا
 وَمَنْ بَابِهِ لَا تَلْتَفِتْ كُنْ مُلَازِمًا
 وَصَبْرُ فَرَبُ الْعَرْشِ لِلشُّرْكِ هَازِمًا
 وَهَذَا أَوَانُ الصَّبْرِ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا
 عَلَى الدِّينِ فَاصْبِرْ صَبْرَ أَهْلِ عَزَائِمِ
 وَمُدُّ يَدًا لِلَّهِ كُلَّ عَشِيَّةِ
 وَسَلْ رَبَّكَ التَّيِّبَتِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
 عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ أَزْكَى الْبَرِيَّةِ
 فَمَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْحَنِيفِيَّةِ الَّتِي
 أَتْتَنَا عَنِ الْمَعْصُومِ صَفْوَةِ آدَمِ
 وَعُضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوْاجِدِ إِذْ غَدَا
 وَحِيدًا مِنَ الْخِلَافِ مَا تَمَّ مُسْعِدًا
 عَلَى قَلَّةِ الْأَنْصَارِ أَصْبَحَ وَاحِدًا
 لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ أَمْرًا مِنْ ذَوِي الْهُدَى
 مِنَ الصَّحْبِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْأَكْرَامِ
 وَكُنْ عَنْ حَرَامٍ فِي الْمَأْكَلِ سَاغِبًا

(فَصْلٌ)

وَمَضَى ρ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الشَّيْخَيْنِ ، فَعَسَكَرَ بِهِ ، ثُمَّ اسْتَعْرَضَ الْجَيْشَ ، فَرَدَّ مَنْ اسْتَصْعَرَهُ مِنْ جُنُودِهِ .

وَكَانَ فِيْمَنْ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ρ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّعَّارِ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ وَسَمْرَةَ بْنُ جُنْدَبٍ ، فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ρ : إِنْ رَافِعًا يُحْسِنُ الرِّمَايَةَ فَأَجَازَهُ فَبَكَى سَمْرَةَ ابْنَ جُنْدَبٍ ، وَقَالَ : أَجَازَ رَافِعًا وَرَدَّنِي مَعَ أَبِي أَصْرَعُهُ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ρ فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَتَصَارَعَا فَكَانَ الْعَالِبُ سَمْرَةَ ، فَأَجَازَهُ .

وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ρ لَيْلَتَهُ تِلْكَ بِالشَّيْخَيْنِ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى حَرَسِ الْجَيْشِ مُحَمَّدَ بْنَ سَلَمَةَ ، وَعَلَى حَرَسِهِ ، ذَكْوَانَ بْنَ قَيْسٍ .

وَنَامَ ρ حَتَّى إِذَا كَانَ السَّحْرُ ، قَالَ : « أَيْنَ الْأِدْلَاءُ ، مَنْ رَجُلٌ يَدُلُّنَا عَلَى الطَّرِيقِ ، يُخْرِجُنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَتَبٍ » . فَقَامَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْحَارِثِيُّ ، فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَلَمَّا بَلَغَ ρ الشَّوْطَ ، وَهُوَ بُسْتَانٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ ، انْشَقَّ الْجَيْشُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ρ ، فَرَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَثَلَاثَمَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَطَاعَ الْعُلَمَانَ وَعَصَانِي ، فَعَلَامَ نَقُتُلُ أَنْفُسَنَا هَا هُنَا ، فَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ يُحَاوِلُ أَنْ يَشْتِيَهُمْ عَنْ عَزْمِهِمْ هَذَا ، وَيُنَاشِدُهُمُ اللَّهَ أَلَا يَشْفُقُوا عَصَا الْجَمَاعَةِ ، وَأَنْ لَا يَخْدُلُوا قَوْمَهُمْ وَنَبِيَّهُمْ فِي حَضْرَةِ الْعَدُوِّ ، فَيَقُولُونَ لَهُ مُتَهَكِّمِينَ بِهِ ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ ﴾ .

وَقَدْ أَحَدَتْ هَذِهِ الْفِعْلَةَ الشَّنِيعَةَ ، خَلْخَلَةً عَظِيمَةً فِي بِنَاءِ الْجَيْشِ ، فِي هَذَا الْوَقْتِ الْحَرِجِ ، وَأَحَدَتْ زَلْزَلَةً شَدِيدَةً فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى لَقَدْ هَمَّتْ بَنُو حَارِثَةَ مِنَ الْحَزْرَجِ ، وَبَنُو سَلَمَةَ الْأَوْسِ ، أَنْ تَفْعَلَا كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُ ابْنِ أُبَيٍّ ، وَلَكِنْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ ، فَعَادُوا إِلَى صُفُوفِ الْجَمَاعَةِ ، وَسَارُوا مَعَ الْجَيْشِ ، كَمَا يَسِيرُونَ .

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ρ إِلَى أُحُدٍ ، وَهُوَ جَبَلٌ كَثِيرُ الْمَسَالِكِ ، وَالشَّعَابِ ، تَقَطَّعُهُ عِدَّةٌ وَدِيَانٍ ، وَيُدُورُ دَوْرَةً وَاسِعَةً فِي مُوَاجِهَةِ السَّهْلِ الضَّيِّقِ .

الذي وَقَفَتْ عِنْدَهُ قُرَيْشٌ ، كَمَا أَنَّ تَعَرَّجَاتِ الْأَرْضِ جَعَلَتْ فِي انْحِدَارِهِ فَجَوَاتٍ ، تُشْبِهُ الْحَفَرَ ، تَصْلُحُ لِلإِخْتِفَاءِ فِي الْحَرْبِ الدَّفَاعِيَّةِ ، لِقَدْفِ النَّبَالِ .

فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَعْبٍ عَلَى عُدْوَةِ الْوَادِي ، إِلَى جَانِبِ تَلٍّ مُشْرِفٍ ، يُقَالُ لَهُ : جَبَلٌ عَيْنَيْنِ ، وَهَنَاكَ أَخَذَ ﷺ يَصِفُ أَصْحَابَهُ ، وَيُعَبِّئُهُمْ لِلْقِتَالِ ، فَجَعَلَ ظُهُورَهُمْ إِلَى الْجَبَلِ بِحَيْثُ يَخْتَمُونَ بِهِ مِنْ خَلْفِهِمْ وَجَعَلَ وَجُوهَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، بِحَيْثُ يَسْتَقْبِلُونَ الْوَادِي ، وَيُشْرِفُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْلَاهُ وَجَعَلَ خَمْسِينَ مِنَ الرُّمَاتِ عَلَى جَبَلِ عَيْنَيْنِ .

وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْمُوا ظُهُورَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ الْقِتَالِ ، وَأَنْ لَا يُكْتَبُوا الْعُدُوَّ مِنْ إِفْتِحَامِ هَذَا الْحِصْنِ ، وَأَنْ لَا يَبْرَحُوا مَكَانَهُمْ هَذَا ، سِوَاءِ أَكَانَ النَّصْرُ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ عَلَّمَهُمْ أَنْ يَنْضَحُوا الْحَيْلَ كُلَّمَا أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمْ بِالنَّبْلِ ، وَأَكَّدَ الْوَصِيَّةَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُعَادِرُوا مَوَاضِعَهُمْ ، وَإِنْ رَأَوْا أَصْحَابَهُمْ تَتَخَطَّفُهُمُ الطَّيْرُ .

فَلَمَّا انْتَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَعْدِيلِ الصُّفُوفِ ، وَإِعْدَادِ الْمَوَاضِعِ ، خَطَبَ فِي النَّاسِ يُحَرِّضُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، وَيُحْتِثُهُمْ عَلَى الصَّبْرِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَبْدَأُوا بِقِتَالٍ حَتَّى يُؤَاذِنَهُمْ ، وَبَيْنَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَعِلاً بِصَفِّ جُنُودِهِ ظَهَرَ الْفَرَسِيُّونَ فِي السَّهْلِ الْمُنْبَسِطِ ، تَحْتَ التَّلِّ ، وَصَارَ الْجَيْشَانِ وَجْهًا لَوَجْهِ .

وظَهَرَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، يَمْشِينَ بَيْنَ الصُّفُوفِ ، وَيَضْرِبْنَ بِالْدُّفُوفِ وَيُنْشِدْنَ الْأَنَاشِيدَ ، تَحْرِيطًا عَلَى الْقِتَالِ ، وَإِنَارَةً لِلْحَمِيَّةِ بَيْنَ الرَّجَالِ .

اللَّهُمَّ بِنَا بَرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْحِزْبِيِّ وَالْبَوَارِ ، وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا عَفَّارُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

فَلَمَّا التَّقَى الْجُمُعَانَ ، بَدَأَ أَبُو سُفْيَانَ حُطَّةَ التَّخْذِيلِ ، بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ ، فَنَادَى :
يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، خَلُّوا بَيْنَ وَبَيْنَ عَمَّنَا وَنَنْصِرْ عَنْكُمْ ، فَذَهَبَ نِدَاؤُهُ صَرْخَةً فِي
الْفَضَاءِ .

فَأَعْقَبَهُ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ ، فَبَرَزَ بَيْنَ الصُّفُوفِ يُنَادِي قَوْمَهُ الْأَوْسَ : يَا لَأَوْسٍ إِلَيَّ إِلَيَّ ،
فَمَا كَانَ جَوَابُهُ مِنْهُمْ إِلَّا اللَّعْنُ وَالسَّبُّ وَالشَّتْمُ وَالرَّمْيُ بِالْحِجَارَةِ وَالطَّرْدُ حَتَّى وَلَّى مُخْتَزِبًا حَجَلَانِ
، يَقُولُ : لِقُرَيْشٍ لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ .

وَأَخْفَقَتْ حُطَّةُ التَّخْذِيلِ ، كَمَا أَخْفَقَتْ حُطَّةُ الْمُفَاجَأَةِ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْقِتَالِ مَفْرٌ ، وَهُنَا
حَاوَلَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تُطَوَّقَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَضُمَّ عَلَيْهِمْ جَنَاحَيْهَا بِحَرَكَةِ التِّغَافِ سَرِيعَةً .

فَتَحَرَّكَ لِوَاءُ عِكْرَمَةَ مِنَ الْمَيْسِرَةِ ، يُرِيدُ أَنْ يَدُورَ حَوْلَ عَسْكَرِهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ .
فَحَاوَلَ مِثْلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنَ الْمَيْمَنَةِ ، فَأَمْطَرَهُ الرُّمَاهُ وَأَبْلَأَ مِنَ النَّبَالِ ، فَارْتَدَّتْ الْحَيْلُ
عَلَى أَعْقَابِهَا مُسْرِعَةً .

فَعَادَ الْكُفَّارُ إِلَى أَمَاكِنِهِمْ كَمَا كَانُوا أَوَّلًا وَبَدَأَ الْقِتَالُ بِالْمُبَارَزَةِ . فَخَرَجَ مِنْ صُّفُوفِ
الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ يَطْلُبُ الْمُبَارَزَةَ ، فَبَرَزَ لَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، فَقَتَلَهُ ، فَسَرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَكَبَّرَ فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ .

وَشَدُّوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَهُمْ يَتَصَايِحُونَ صَيْحَةَ الْحَرْبِ ، (أَمْتُ أَمْتُ) فَهَجَمَ عَلَيَّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ عَلَى حَامِلِ لِوَائِهِمْ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ فَقَتَلَهُ ، فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ ، وَسَرَّ النَّبِيُّ ﷺ
بِقَتْلِهِ ، فَإِنَّهُ هُوَ كَبَشُ الْكَتِيبَةِ .

وَكَانَ فَرْمَانٌ يُعْرَفُ بِالشَّجَاعَةِ ، وَقَدْ تَأَخَّرَ ، فَعَيَّرْتُهُ نِسَاءُ بَنِي ظَفَرٍ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ يُسَوِّي الصُّفُوفَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَكَانَ عَلَى مَا قِيلَ أَوَّلَ مَنْ رَمَى فِي صَفِّ الْمُسْلِمِينَ بِسَهْمٍ ، فَحَعَلَ يُرْسِلُ نَبْلًا كَأَنَّهَا الرِّمَاحُ ، وَيَكْتُ كَتَيْتَ الْجَمَلِ ، ثُمَّ فَعَلَ بِالسَّيْفِ الْأَفَاعِيلَ حَتَّى قَتَلَ سَبْعَةً .

وَأَصَابَتْهُ جِرَاحٌ فَوَقَعَ ، فَنَادَاهُ فَتَادَهُ بِنُوعِ بْنِ النُّعْمَانَ : أَبَا الْعَيْدِاقِ هَنِيئًا لَكَ الشَّهَادَةُ ، فَقَالَ : إِيَّيَ وَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُ يَا أَبَا عَمْرٍو عَلَى دِينٍ ، مَا قَاتَلْتُ إِلَّا عَلَى الْحِقَاطِ ، أَنْ تَسِيرَ قُرَيْشٌ إِلَيْنَا حَتَّى تَطَأَ سَعْفَنَا ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ » .

ثُمَّ أَخَذَ اللُّوَاءَ أَخُو طَلْحَةَ عُثْمَانُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ حِمْرَهُ فَقَتَلَهُ ، فَأَخَذَ اللُّوَاءَ أَخُوهُمَا سَعِيدٌ ، فَرَمَاهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ فَتَنَاوَبَ اللُّوَاءَ بَعْدَهُ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ طَلْحَةَ ، وَكُلُّهُمْ يُقْتَلُونَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، فَحَمَلَ اللُّوَاءَ غُلَامٌ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ صُوءَابُ ، فَقُتِلَ ، وَسَقَطَ اللُّوَاءُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ الْمُشْرِكُونَ بِذَلِكَ أَخْذًا شَدِيدًا وَانْكَسَرَتْ شُوكَتُهُمْ ، وَانْفَرَجَتْ صُفُوفُهُمْ فَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ حَمَلَةً صَادِقَةً ، وَأَمْنَعُوا فِيهِمْ ضَرْبًا بِالسُّيُوفِ ، وَطَعْنَا بِالرِّمَاحِ ، وَرَمَيْنَا بِالسَّهَامِ ، فَانْكَشَفُوا وَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ وَجَعَلَتْ نِسَاءُهُمْ تَصِيحُ وَتُؤَلُّوْا ، وَأَخَذَنَ فِي الْهَرْبِ وَالْفِرَارِ ، مِنْ الْأَسْرِ مُشَمَّرَاتٍ عَنِ أَسْيَاقِهِنَّ ، وَخَلَّاحِيَلِهِنَّ ، وَتَتَبَعَ الْمُسْلِمُونَ أَعْدَاءَهُمْ يَضْعُونَ فِيهِمُ السَّلَاحَ حَيْثُ شَاءُوا ، حَتَّى أَبْعَدُوا عَنْ مُعَسْكَرِهِمْ .

اللَّهُمَّ إِنَّ نَوَاصِينَا بِيَدَيْكَ ، وَأُمُورُنَا تَرْجِعُ إِلَيْكَ ، وَأَحْوَالُنَا لَا تَخْفَى

عَلَيْكَ ، وَالْأَمْنَا وَأَحْزَانُنَا وَهُمُومُنَا وَعُمُومُنَا كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ لَدَيْكَ ، اللَّهُمَّ قَدْ عَجَزْتَ قُدْرَتُنَا ، وَقَلَّتْ حِيلَتُنَا ، وَضَعَفَتْ قُوَّتُنَا ، وَتَاهَتْ فِكْرَتُنَا ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْنَا هُمُومُنَا وَأَوْصَابُنَا ، وَأَنْتَ مَلْجُؤُنَا ، وَمَلَاذُنَا وَمَوْلَانَا ، وَسَيِّدُنَا وَإِلَيْكَ نَرْفَعُ بَنَانَنَا وَحُزْنَنا ، وَشِكَايَتُنَا ، يَا مَنْ يَعْلَمُ سِرَّتَنَا وَعَلَايَتُنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ ، وَأَمَّنْ خَوْفَنَا إِذَا وَصَلْنَا إِلَيْكَ ، وَلَا تُخَيِّبْ رَجَاءَنَا إِذَا صِرْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَسُوْقُهُ الضَّرُورَاتُ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، وَجُدْ عَلَيْنَا بِإِحْسَانِكَ الْعَمِيمِ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ .

اللَّهُمَّ مَكَّنْ حُبَّكَ فِي قُلُوبِنَا وَأَهْمِنَّا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لَامْتِنَالِ طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

ثُمَّ وَقَعُوا عَلَى الْعُنَائِمِ وَالْأَسْلَابِ يَجْمَعُونَهَا وَيَنْتَهِبُونَهَا وَهُمْ مُطْمَئِنُونَ إِلَى أَنَّ ظُهُورَهُمْ لَا تَزَالُ مَحْمِيَةً بِرُمَاهِهِمْ ، أَمَّا الرُّمَاهُ فَقَدْ خِيَلْ لَهُمْ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ انْتَهَتْ . وَأَنَّ الْهَزِيمَةَ قَدْ تَمَّتْ ، وَخَشَوْا أَنْ يَسْبَقَهُمْ إِخْوَانُهُمْ فِي جَمْعِ الْعُنَائِمِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا بَقَاؤُنَا هُنَا ، وَقَدْ هَزَمَ اللهُ الْعَدُوَّ ، هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكُمْ يَعْنُمُونَ ، فَادْخُلُوا فَاغْنَمُوا مَعَ إِخْوَانِكُمْ ، فَذَكَرَهُمْ أَمِيرُهُمْ عَهْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَوَصِيَّتَهُ لَهُمْ ، وَحَدَّرَهُمْ عَاقِبَةَ الْخِلَافِ وَالْعِصْيَانِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ ، وَظَنُّوا أَنَّ لَيْسَ لِلْمُشْرِكِينَ رَجْعَةٌ ، فَذَهَبُوا فِي طَلَبِ الْغَنِيمَةِ وَأَخْلَوْا الشَّعْرَ ، وَتَرَكُوا أَمِيرَهُمْ فِي نَقْرِ مَنْ أَصْحَابِهِ لَا يُجَاوِزُونَ الْعِشْرَةَ فَانْكَشَفَ بِذَلِكَ الْحِصْنِ الَّذِي كَانَ يَحْمِي ظُهُورَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَتَفَهَّرُ وَعَيْنُهُ إِلَى التَّلِّ لَا تُفَارِقُهُ ، فَلَمَّا رَأَى الرُّمَاهُ يَتَرَكُونَ مَوَاقِفَهُمْ انْقَلَبَ رَاجِعًا فِي دَوْرَةِ ، وَاسِعَةٍ مُتَّخِذًا مِنَ الْأَرْضِ الْمَسْتُورَةِ دَرْبًا وَطَرِيقًا ،

لَهُ ، وَجَاءَ فِي أَعْقَابِهِ عِكْرَمَةُ بِلَوَائِهِ ، فَتَسَلَّلُوا فَوْقَ الْجَبَلِ وَأَزَاحُوا الرُّمَاهُ الْبَاقِينَ مِنْ أَمَاكِنِهِمْ
وَأَفْتَحُوا حُطُوطَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخَلْفِ ، وَجَعَلُوا يَتَنَادُونَ بِشَعَارِهِمْ ، يَا لِلْعَزَى ، يَا لِهَبْلِ ،
فَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ بَعْدَ إِذْبَارِهِمْ ، وَأَخَذَتْ عُمَرُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةُ اللَّوَاءَ فَرَفَعَتْهُ ، فَجَعَلُوا
يَلُودُونَ بِهِ وَفُوجِي الْمُسْلِمُونَ بِأَعْدَائِهِمْ قَدْ حَاصَرُوهُمْ وَأَوْجَعُوا فِيهِمْ قِتْلًا ذَرِيعًا فَاضْطَرَبَ أَمْرُهُمْ
وَأَنْتَقَضَتْ صُفُوفُهُمْ ، وَجَعَلُوا يُقَاوِمُونَ عَلَى غَيْرِ نِظَامٍ وَيُقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ شِعَارٍ ، وَتَرَكُوا مَا
انْتَهَبُوا وَخَلُّوا مِنْ أَسْرُوا ، وَتَفَرَّقُوا فِي كُلِّ وَجْهِ . وَهَذِهِ عَاقِبَةُ الْحَرْصِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْعَجَلَةُ الْمُثْمِرَةَ
لِلنَّدَامَةِ .

شِعْرًا: وَمُسْتَعْجِلٍ وَالْمُكْثِ أَدْنَى لِرُشْدِهِ وَلَمْ يَدِرْ مَا يَلْقَاهُ حِينَ يُبَادِرُ

وَنَظَرَ حُدَيْفَةَ إِلَى أَبِيهِ الْيَمَانِ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ قِتْلَهُ وَهُمْ يَظُنُّونَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ :
أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَبِي ، فَلَمَّ يَفْهَمُوا قَوْلَهُ حَتَّى قَتَلُوهُ ، فَقَالَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
أَنْ يَدِبَهُ ، فَقَالَ : قَدْ تَصَدَّقْتُ بِدَيْتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَرَادَ ذَلِكَ حُدَيْفَةَ خَيْرًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ .
وَقَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَطْلُبُ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ ، فَقَالَ لِي : « إِنَّ
رَأَيْتَهُ فَأَقْرَأْهُ مِنِّي السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : فَجَعَلْتُ
أَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ بِأَحْرَ رَمَقٍ وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةِ بِرْمَجٍ وَضَرْبَةِ بِسَيْفٍ
وَرَمِيَةٍ بِسَهْمٍ .

فَقُلْتُ : يَا سَعْدُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : «
أَخْبِرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ » فَقَالَ : وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ السَّلَامَ ، قُلْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَجِدُ رِيحَ
الْجَنَّةِ ، وَقُلْ لِقَوْمِي الْأَنْصَارِ : لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ خُلِصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِيكُمْ عَيْرٌ
تَطْرُفُ وَفَاضَتْ نَفْسُهُ مِنْ وَفْتِهِ .

شِعْرًا: وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَقْضِي حَيَاتَهُ لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ لَا لِلتَّكَاثُرِ
آخِر: وَمَا الْبَأْسُ إِلَّا فِي لِحْدِيدِ مُرْكَبٍ وَمَا الْعِزُّ إِلَّا فِي التَّقَى وَالِدِّيَانَةِ

وَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ فَقَالَ : يَا فُلَانُ أَشَعَرْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ؟ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : إِنْ كَانَ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَقَدْ بَلَغَ فَقَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ فَنَزَلَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ الآية .

وَأَكْرَمَ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ مَنْ أَكْرَمَ وَهُمْ سَبْعُونَ ، وَفِي وَسْطِ هَذِهِ الدَّهْشَةُ الْبَالِغَةُ صَرَخَ إِبْلِيسَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، وَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَفَرَّ أَكْثَرُهُمْ ، وَكَانَ أَمْرَ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا .

وَمَرَّ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ بِقَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ : مَا تَنْتَظِرُونَ ، فَقَالُوا : قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ قَوْمُوا مُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ .

وَخَلَصَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَبَّتْ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ ، وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا فَظَلَّ يَرْمِي بِالنَّبْلِ حَتَّى فِي نَبْلِهِ ، وَانْكَسَرَتْ سِيئَةُ قَوْسِهِ ، وَانْقَطَعَ وَتَرُّهُ ، ثُمَّ ظَلَّ يَرْمِيهِمْ بِالْحِجَارَةِ ، حَتَّى وَقَعَ لِشِقِّهِ .

وَتَبَّتْ مَعَهُ نَفْرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، قِيلَ : إِنَّهُمْ دُونَ الْعَشْرَةِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُمْ فَوْقَ الْعَشْرَةِ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ ، وَأَحَاطُوا بِهِ ، يَصُدُّونَ عَنْهُ هَجَمَاتِ الْعَدُوِّ ، الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ .

وَشَدُّوا عَلَيْهِ يَرِيدُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ فَمَا زَالَ هُوَ لَاءِ النَّفْرِ يَدُودُونَ عَنْهُ وَيُقَاتِلُونَ دُنَهُ ، وَيتَلَقُونَ ضَرَبَاتِ الْعَدُوِّ ، وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ جَرَحَ وَجْهَهُ ﷺ وَكَسَرَ رِنَاعِيَّتَهُ وَهَشَمُوا الْبَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ ، حَتَّى وَقَعَ وَسَقَطَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحُفْرِ الَّتِي كَانَ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ يَكِيدُ بِهَا الْمُسْلِمِينَ

فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ ، وَاحْتَضَنَهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى آدَاهُ ρ عَمْرُو بْنُ قَمِيَّةَ ، وَعُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَقِيلَ : إِنَّ الَّذِي شَجَّهَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ عُمُ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ ، وَقُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَدَفَعَ اللُّوَاءَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَنَشَبَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حَلَقِ الْمُعْفَرِ فِي وَجْهِهِ ، فَانْتَزَعَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَعَضَّ عَلَيْهِمَا حَتَّى سَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ مِنْ شِدَّةِ غَوْصِهِمَا فِي وَجْهِهِ ρ .

اللَّهُمَّ انْظِمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَانِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَقَدْ أَبْلَى النَّفْرُ الَّذِينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ρ فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ أَحْسَنَ الْبَلَاءِ وَامْتَارَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ فِي دِفَاعِهِ بِالصُّدُقِ وَالشَّجَاعَةِ ، فَقَدْ قَاتَلَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَصَارَ يَدُودُ عَنْهُ بِالسَّيْفِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، وَيَدُورُ حَوْلَهُ يُرْسِسُ بِنَفْسِهِ دُونَهُ ، وَالسَّيُوفُ تَعْشَاهُ ، وَالنَّبْلُ يَأْتِيهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ .

شِعْرًا: كَفَانِي فَخْرًا أَنْ أُمُوتَ مُجَاهِدًا وَحُبُّ إِلَهِي قَائِدِي مُنْذُ نَشَأْتِي

فَلَمْ يَزَلْ يَقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَجْهَضَهُمْ عَنْهُ ، فَأَنْكَشَفُوا عَنْهُ ، فَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ
 غِنَاءً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلَ ﷺ يَقُولُ : ((قَدْ أُوجِبَ طَلْحَةُ)) .
 وَفِي مَعَاذِي الْأَمْوِيِّ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ صَعَدُوا عَلَى الْجَبَلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَعْدٍ : « أَجْبُنُهُمْ
 » . - يَقُولُ أَرْدُدُهُمْ - فَقَالَ : كَيْفَ أَرْدُهُمْ وَحَدِي ، قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا .
 فَأَخَذَ سَعْدٌ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَرَمَى بِهَا رَجُلًا فَقَتَلَهُ ، قَالَ : ثُمَّ أَخَذْتُ سَهْمِي أَعْرِفُهُ فَرَمَيْتُ
 بِهِ آخَرَ فَقَتَلْتُهُ ، ثُمَّ أَخَذْتُهُ أَعْرِفُهُ فَرَمَيْتُ بِهِ آخَرَ فَقَتَلْتُهُ ، فَهَبَطُوا مِنْ مَكَانِهِمْ ، فَقُلْتُ : هَذَا
 سَهْمٌ مُبَارَكٌ فَجَعَلْتُهُ فِي كِنَانَتِي فَكَانَ عِنْدَ سَعْدٍ حَتَّى مَاتَ ، ثُمَّ كَانَ عِنْدَ بَنِيهِ .
 وَقَاتَلَتِ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ
 قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ ، كَأَشَدِّ
 الْقِتَالِ ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ .
 وَقَالَ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ : سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ يَقُولُ : شَهِدْتُ أُحُدًا فَنظَرْتُ إِلَى النَّبْلِ
 يَأْتِي مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَطَهَا كُلُّ ذَلِكَ يُصْرَفُ عَنْهُ .
 وَرَمَى حِجَابُ بْنُ الْعَرِقَةِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ ذَيْلَ أُمِّ أَيْمَنَ - وَقَدْ جَاءَتْ تَسْقِي الْجُرْحَى -
 فَأَنْكَشَفَ عَنْهَا فَاسْتَعْرَقَ فِي الضَّحِكِ .
 فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَفَعَ إِلَى سَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ سَهْمًا لَا نَصْلَ لَهُ فَقَالَ : «
 ازِمِ » . فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي نُحْرِ حِجَابَ فَوَقَعَ مُسْتَلْقِيًا وَبَدَتْ عَوْرَتُهُ .

فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ . ثُمَّ قَالَ : « اسْتَقَادَ لَهَا سَعْدٌ أَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَسَدَّدَ رَمِيَّتَكَ » .

وَكَانَ شَمَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ الشَّرِيدِ الْمَخْزُومِي لَا يَزِمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصْرَهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا رَأَاهُ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ بِسَيْفِهِ حَتَّى عُشِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَرَسَ بِنَفْسِهِ دُونَهُ حَتَّى قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ .
وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَامِيًا شَدِيدَ الرَّمْيِ فَتَنَّرَ كِنَانَتَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَارَ يَزِمِي عَنْهُ وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ كِنَانَةً يَقُولُ لَهُ : أَنْتُزَهَا لِأَبِي طَلْحَةَ .
وَكُلَّمَا رَمَى أَبُو طَلْحَةَ سَهْمًا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ وَرَائِهِ لِيَرَى مَوْقِعَ السَّهْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تَنْظُرْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ وَوَجْهِي لِوَجْهِكَ فِدَاءً .

وَتَرَسَ أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ النَّبْلُ يَفْعُ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَاوِلُهُ النَّبْلَ وَهُوَ يَقُولُ : « اِرْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » . حَتَّى إِنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ السَّهْمَ مَا لَهُ نَصْلٌ فَيَقُولُ لَهُ : « اِرْمِ بِهِ » فَيَزِمِي بِهِ .

وَدَافَعَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمُّ عِمَارَةَ وَهِيَ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبِ الْمَازِنِيَّةِ وَكَانَتْ تَسْقِي النَّاسَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمَّا رَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُحِيطَ بِهِ وَأَنْهَزَمَ عَنْهُ النَّاسُ وَضَعَتْ سِقَاءَهَا وَأَخَذَتْ سَيْفًا فَجَعَلَتْ تُقَاتِلُ أَشَدَّ الْقِتَالِ وَإِنَّهَا لِحَاجِرَةٌ

ثَوْبَهَا عَلَى وَسَطِهَا حَتَّى جُرِحَتْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا وَظَلَّ عَلَى عَاتِقِهَا مِنْ هَذِهِ الْجِرَاحِ جُرْحٌ
أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ أَصَابَهَا بِهِ ابْنُ قَمِيئَةَ .

وَقَدْ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ : « مَا التَّفْتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا أَنَا أَرَاهَا تُدَافِعُ دُونِي »

وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ خَرَجَتْ نُسَيْبَةُ يَوْمَ أُحُدٍ وَرَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ عَاصِمٍ وَابْنَاهَا : حَبِيبٌ ، وَعَبَدُ اللَّهِ
. وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ » . فَقَالَتْ لَهُ نُسَيْبَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
: ادْعُ اللَّهَ أَنْ تُرَافِقَكَ فِي الْجَنَّةِ .

فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ » .

وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : مَا أَبَالِي مَا أَصَابَنِي مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَهَذِهِ حَقًّا شَجَاعَةٌ
مُدْهِشَةٌ لِامْرَأَةٍ وَقَدْ تَحَمَّلَتْ مَا أَصَابَهَا مِنَ الْجِرَاحِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ مَا يَعْجَزُ عَنْ تَحْمُلِهِ الرَّجَالُ
فَضْلًا عَنِ النِّسَاءِ ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبَشَرُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا
وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا وَأَرْضِنَا وَأَرْضَ عَنَّا ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُؤَفِّقَنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِنَا
وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَكَانَ الْحَبَّابُ بْنُ الْمُنْذِرِ يَحُوشُ الْمُشْرِكِينَ كَمَا تُحَاشُ الْغَنَمُ وَاشْتَمَلُوا عَلَيْهِ مَرَّةً حَتَّى قِيلَ : قُتِلَ .

ثُمَّ بَرَزَ وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ ، وَقَدْ افْتَرَقُوا عَنْهُ وَجَعَلَ يَحْمِلُ عَلَى فِرْقَةٍ مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَهْرَبُونَ .
 وَقَامَ زِيَادُ بْنُ السَّكَنِ فِي نَعْرِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ رَجَلًا وَهُمْ
 يُقْتَلُونَ دُونَهُ حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادُ فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَهُ الْجِرَاحُ فَوَسَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِجْلَهُ حَتَّى
 مَاتَ .

وَمَاتَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَلَقَّى عَنْهُ ضَرْبَةً قَدْ سُدِدَتْ إِلَيْهِ قَتَلَهُ ابْنُ
 قَمِيَّةَ وَهُوَ يَحْسِبُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ يُذِيعُ بَيْنَ الْكُفَّارِ .
 وَقَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَلْقٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يُفَدِّيهِ بِنَفْسِهِ وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ
 حَتَّى يُصْرَعَ .

وَرَوَى الْوَأْقِدِيُّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ : لَقَدْ أُصِيبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ نَحْوٌ مِنْ
 ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَجِيءُ حَتَّى يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ : وَجْهِي لَوَجْهِكَ الْفِدَاءُ وَنَفْسِي لِنَفْسِكَ
 الْفِدَاءُ وَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ .

ثُمَّ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَزَالُ حَيًّا فَاحْطَاطُوا بِهِ حَتَّى كَشَفُوا عَنْهُ الْعَدُوَّ .
 وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ : عَرَفْتُ عَيْنِيهِ تَزْهُرَانِ مِنْ تَحْتِ
 الْمِعْفَرِ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَبْشِرُوا هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ أَنْ أَنْصِتَ .

وَفَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَنَهَضُوا بِهِ إِلَى الشَّعْبِ فَاحْتَمَى بِهِ مَعَ مَنْ
 كَانَ يَحْتَمِي هُنَاكَ مِنْ أَصْحَابِهِ .

وَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى صَخْرَةٍ مِنَ الْجَبَلِ لِيَعْلُوهَا فَلَمْ يَقْدِرْ لِكثْرَةِ التَّزْيِفِ الَّذِي خَرَجَ مِنَ الْجِرَاحِ فَجَلَسَ تَحْتَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَنَهَضَ بِهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَيْهَا .
 وَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَصَلَّى بِهِمْ جَالِسًا وَصَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ الْيَوْمَ تَحْتَ لُؤَاءِ الْأَنْصَارِ وَشَدَّ حَنْظَلَةَ الْعَسِيلِ - وَهُوَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ - عَلَى أَبِي سُفْيَانَ . فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهُ حَمَلَ عَلَى حَنْظَلَةَ شَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَقَتَلَهُ وَكَانَ جُنْبًا . فَإِنَّهُ سَمِعَ الصَّيْحَةَ وَهُوَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَقَامَ مِنْ فُورِهِ إِلَى الْجِهَادِ فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُعَسِّلُهُ ثُمَّ قَالَ : « سَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ » . فَسَأَلُوا امْرَأَتَهُ فَأَخْبَرَتْهُمْ الْحَبْرَ . وَعِنْدَمَا امْتَدُّوا صُعودًا فِي الْجَبَلِ أَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبِي بَنٍ خَلْفٍ عَلَى جَوَادٍ لَهُ اسْمُهُ الْعُودُ كَانَ يُطْعِمُهُ فِي مَكَّةَ وَيَقُولُ أَقْتُلْ عَلَيْهِ مُحَمَّدًا ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « بَلْ أَنَا أَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . فَلَمَّا أَدْرَكَهُ تَنَاوَلَ ﷺ ؛ الْحَرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ ، وَطَعَنَ بِهَا عَدُوَّ اللَّهِ فِي تَرْفُوتِهِ فَكَرَّرَ عَدُوَّ اللَّهِ مُنْهَرِمًا ، فَقَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ : وَاللَّهِ مَا بَكَ مِنْ بَأْسٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا بِي بِأَهْلِ الْمَجَازِ لَمَاتُوا أَجْمَعِينَ ، وَمَاتَ فِي طَرِيقِهِ بِسَرِفٍ مَرَجَعُهُ إِلَى مَكَّةَ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ ابْنِي لِأَسِيرٍ بِيَطْنِ رَابِعٍ بَعْدَ هُوي مِنَ اللَّيْلِ إِذَا نَارٌ تَأَجَّجَ لِي فَيَمَّمْتُهَا فَإِذَا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا فِي سِلْسِلَةٍ يَجْتَذِبُهَا بِصَيْحٍ : الْعَطَشُ الْعَطَشُ وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ : لَا تَسْقِهِ هَذَا قَتِيلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا أَبِي بَنٍ خَلْفٍ .

وَضَنَّ الْمُشْرِكُونَ أَنَّهُمْ قَدْ انْتَقَمُوا لِيَوْمِ بَدْرٍ وَشَفُّوا نُفُوسَهُمْ وَأَخَذَتِ الْمَعْرَكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ تَهْدَأُ حَدِيثُهَا وَتَحْمُدُ حَرَارَتُهَا ، فَأَنْحَارَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى مُعَسِّكَرِهِمْ ، وَشَعَلُوا بِدَفْنِ قَتْلَاهُمْ ، وَأَخَذَتِ نِسَاؤُهُمْ يُمْتَلِنَ بِالْقَتْلَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمُتَلَّتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بِحَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْطَعَ تَمَثِيلَ حَتَّى

بَقَرَتْ بَطْنَهُ وَأَخْرَجَتْ كَبِدَهُ وَلَا كَتَبَهَا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُسَيِّعَهَا وَلَفَظَتْهَا .
 وَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ تَأَثَّرَ تَأَثُّرًا شَدِيدًا وَقَالَ ﷺ : « لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ
 أَبَدًا وَمَا وَقَفْتُ قَطُّ مَوْقِعًا أَغْيِظُ مِنْ هَذَا » .
 ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَكَلْتُ شَيْئًا » . قَالُوا : لَا . قَالَ : « مَا كَانَ اللَّهُ لِيُدْخِلَ شَيْئًا
 مِنْ حَمْرَةَ فِي النَّارِ » .

وَقَالَ ﷺ لَوْحِشِي الَّذِي قَتَلَ حَمْرَةَ : « هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي » . قَالَ وَحِشِي :
 : فَخَرَجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَرَجَ مُسَيِّمَةَ الْكَذَّابُ قُلْتُ لِأَخْرَجَنَّ إِلَيْهِ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ
 فَأَكْفِيئُ بِهِ حَمْرَةَ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ ثُمَّ رَمَيْتُهُ بِحَرْبِي فَأَضَعَهَا بَيْنَ نَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ
 بَيْنِ كَتِفَيْهِ ، قَالَ : وَوُثِبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَبَلَغَنِي أَنَّ وَحِشِيًّا لَمْ يَزَلْ يُحَدِّثُ فِي الْحُمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِنَ الدِّيَوَانِ .
 فَكَانَ عُمَرُو بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ قَاتِلَ حَمْرَةَ .
 وَرَوَى الدَّارِقُطَنِيُّ بِإِسْنَادٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ : كُنْتُ أَعْجَبُ
 لِقَاتِلِ حَمْرَةَ كَيْفَ يَنْجُو حَتَّى أَنَّهُ مَاتَ غَرِيبًا فِي الْحُمْرِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ بْنُ خُرَيْمَةَ الْأَسَدِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ
 تَرَى ، وَقَدْ سَأَلْتُ اللَّهَ فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ نَلْقَى الْعَدُوَّ عَدَاً ، فَيَقْتُلُونِي ،
 وَيَبْغُرُونِي وَيُمْتَلُونَ بِي ، فَأَلْفَاكَ مَقْتُولًا قَدْ صَنَعَ هَذَا بِي فَتَقُولُ : فِيمَ صُنِعَ هَذَا بِكَ ، فَأَقُولُ
 فِيكَ ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ أُخْرَى ، أَنْ

تلي تركتي من بعدي ، فقال : نعم فخرج ، حتى قُتِل ، ومثَّلَ به ودُفِنَ هو وحمزُه رضي الله عنهما في قبرٍ واحدٍ .

وولي تركته رسول الله ﷺ فاشترى لابنه مالا بجيبر ، فأقبلت أخته حمته بنت جحش فقال لها رسول الله ﷺ : « يا حمته احتسي » . قالت : من يا رسول الله ، قال : « خالك حمزة » . قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ورحمه هنيئا له الشهادة .

ثم قال لها : « احتسي » . قالت : من يا رسول الله ، قال : « مضعب بن عمير » . قالت : وأحزناه . وفي رواية أنها قالت : وأعقره ، فقال ﷺ : « إن للزوج من المرأة مكانا ما هو لأحد » .

ثم قال لها : « لم قلت هذا » . قالت : يا رسول الله ذكرتُ يتم بنيه فراغني ، فدعا رسول الله ﷺ لولده أن يحسن عليهم الخلف فتزوجت طلحة ، فولدت له محمد بن طلحة ، فكان أوصل الناس لولدها ، وكانت حمته خرجت يومئذ إلى أحد مع النساء يسقين الماء رضي الله عنها وأرضاها .

شِعْرًا :

تَبَارَكَ مَنْ عَمَّ الْوَرَى بِنَوَالِهِ

وَأَوْسَعَهُمْ فَضْلاً بِإِسْبَاغِ نِعْمَتِهِ

وَقَدَّرَ أَرْزَاقَ لَهُمْ وَمَعَايِشَها

وَدَبَّرَهُمْ فِي كُلِّ طَوْرٍ وَنَشْأَةٍ

أَحَاطَ بِهِمْ عِلْمًا وَأَخْصَى عَدِيدَهُمْ

وَصَرَّفَهُمْ عَنِ حِكْمَةٍ وَالْمَشِيئَةِ

وَلِلَّهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنَهُمْ
 بِكُلِّ زَمَانٍ كَمِ مُنِيبٍ وَمُخْبِتٍ
 وَكَمِ سَائِلِكِ كَمِ نَاسِكٍ مُتَعَبِّدٍ
 وَكَمِ مُخْلِصٍ فِي غَيْبِهِ وَالشَّهَادَةِ
 وَكَمِ صَابِرٍ كَمِ صَادِقٍ مُتَبَتِّلٍ
 إِلَى اللَّهِ عَنِ قَصْدٍ صَحِيحٍ وَنِيَّةٍ
 وَكَمِ قَانِتٍ أَوَّابٍ فِي غَسَقِ الدُّجَى
 مِنَ الْخَوْفِ مَحْشُورِ الْفُؤَادِ وَمُهْجَةِ
 يُنَاجِي بِآيَاتِ الْقُرْآنِ إِلَهُهُ
 بِصَوْتِ حَزِينٍ مَعَ بُكَاءٍ وَخَشْيَةٍ
 وَكَمِ ضَامِرٍ الْأَخْشَاءِ يَطْوِي نَهَارَهُ
 بِحَرِّ هُجَيْرٍ مَا تَهَنَّا بِشَرِيَّةٍ
 وَكَمِ مُقْبِلٍ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ
 عَلَى طَاعَةِ الْمَوْلَى بِجَدِّ وَهَمَّةٍ
 وَكَمِ زَاهِدٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ مُعْرِضٍ
 وَمُقْتَصِرٍ مِنْهَا عَلَى حَدِّ بُلْغَةِ
 تَرَيَّنَتْ الدُّنْيَا لَهُ وَتَرَحَّرَفَتْ
 فَعَضُّ وَلَمْ يَغْتَرَّ مِنْهَا بِزِينَةٍ
 وَكَمِ عَالِمٍ بِالشَّرْعِ لِلَّهِ عَامِلٍ
 بِمَوْجِبِهِ فِي حَالِ عُسْرِ وَيُسْرَةٍ
 وَكَمِ أَمْرٍ بِالرُّشْدِ نَاهٍ عَنِ الرَّدَى

سَرِيعٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُوقِّفًا
وَتَحْظَى بِقُوْزٍ عِنْدَ نَشْرِ الصَّحِيفَةِ
فَحَافِظٌ عَلَى الْمَفْرُوضِ مِنْ كُلِّ طَاعَةٍ
وَأَكْثَرُ مِنَ النَّفْلِ الْمَفِيدِ لِقُرْبَةٍ
بُكُنْتُ لَهُ سَمْعًا إِلَى آخِرِ النَّبَا
عَنِ اللَّهِ فِي نَصِّ الرَّسُولِ الْمُثَبَّتِ
وَكُنْ فِي طَعَامٍ وَالْمَنَامِ وَخُلْطَةٍ
وَنُطْقٍ عَلَى حَدِّ اقْتِصَارٍ وَقَلَّةِ
وَجَالِسِ كِتَابِ اللَّهِ وَاحْلُلْ بِسَوْحِهِ
وَدُمُ ذَاكِرًا فَالذِّكْرُ نُورُ السَّرِيرَةِ
عَلَيْكَ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالَةٍ
وَبِالْفِكْرِ إِنَّ الْفِكْرَ كُحْلُ الْبَصِيرَةِ
وَكُنْ أَبَدًا فِي رَغْبَةٍ وَتَضَرُّعٍ
إِلَى اللَّهِ عَنِ صِدْقِ اقْتِصَارٍ وَفَاقَةٍ
وَوَصْفِ اضْطِرَارٍ وَانْكِسَارٍ وَذَلَّةِ
وَقَلْبٍ طَفُوحٍ بِالطُّنُونِ الْجَمِيلَةِ
وَبَعْدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَفْضَلُ مَسْأَلِكِ
سَأَلْتُ وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ بَضَاعَةٍ
وَمَنْ ضَيَّعَ التَّقْوَى وَأَهْمَلَ أَمْرَهَا
تَعَشَّيْتُ فِي الْعُقْبَى فُنُونُ النَّدَامَةِ

وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا قُصَارَى مُرَادِهِ
 فَقَدْ بَاءَ بِالْخُسْرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ شُغْلُهُ
 عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا يَفُوزُ بِبُعِيَّةٍ
 وَمَنْ أَكْثَرَ الْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ
 فَذَاكَ طَرِيحٌ فِي فَيَافِي الْغَوَايَةِ
 بَعِيدٌ مِنَ الْخَيْرَاتِ حَلٍّ بِهِ الْبَلَا
 وَوَجْهَهُ الْخُذْلَانُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
 عَجِبْتُ لِمَنْ يُوصِي سِوَاهُ وَإِنَّهُ
 لِأَجْدَرُ مِنْهُ بِاتِّبَاعِ الْوَصِيَّةِ
 يَقُولُ بِلا فِعْلٍ وَيَعْلَمُ عَامِلًا
 عَلَى ضِدِّ عِلْمٍ يَا لَهَا مِنْ خَسَارَةٍ
 عُلُومٌ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ تَلَاطَمَتْ
 وَأَعْمَالُهُ فِي جَنِبِهَا مِثْلُ قَطْرَةٍ
 وَقَدْ أَنْفَقَ الْأَيَّامَ فِي غَيْرِ طَائِلٍ
 كَمِثْلِ اللَّيَالِي إِذَا تَقَضَّصَتْ وَوَلَّتِ
 عَلَى السَّوْفِ وَالتَّسْوِيفِ شَرُّ مُصَاحِبٍ
 وَقَوْلِ عَسَى عَنْ فِتْرَةٍ وَبَطَالَةٍ
 تَنْكَبُ عَجْرًا عَنْ طَرِيقِ عَزِيمَةٍ
 وَمَالٍ لِتَأْوِيلِ ضَعِيفٍ وَرُخْصَةِ

يَهُمُّ بِبَلَا جَدِّ وَلَيْسَ بِنَاهِضٍ ِ
عَلَى قَدَمِ التَّشْمِيرِ مِنْ فَرَطِ غَفْلَةٍ
وَقَدْ سَارَ أَهْلُ الْعَزْمِ وَهُوَ مُخَلَّفٌ
وَقَدْ ظَفِرُوا بِالْقُرْبِ مِنْ خَيْرِ حَضْرَةٍ
وَقَدْ أَدْرَكُوا الْمَطْلُوبَ وَهُوَ مُقَيَّدٌ
بِقَيْدِ الْأَمَانِيِّ وَالْحُطُوطِ الْخَسِيسَةِ
وَلَمْ يَنْتَهِزْ مِنْ فَائِتِ الْعُمْرِ فُرْصَةً
وَلَمْ يَغْتَنِمْ حَالِي فَرَاغٍ وَصِحَّةٍ
وَلَمْ يَخْشَى أَنْ يَفْجَأَهُ مَوْتُ مُجَهَّزٌ
فَإِنَّ مَجِيءَ الْمَوْتِ غَيْرُ مُؤَقَّتٍ
وَلَمْ يَتَأَهَّبْ لِلرُّجُوعِ لِرَبِّهِ
وَلَمْ يَتَزَوَّدْ لِلطَّرِيقِ الْبَعِيدَةِ
وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمَوْتُ وَالْقَبْرُ وَالْبَلَى
وَبَعَثَتْ وَمِيْرَانٌ وَأَخَذَ الصَّحِيفَةَ
وَجَسَرَ عَلَى مَتْنِ الْجَحِيمِ وَمَوْقِفٌ
طَوِيلٌ وَأَخْوَالُ الْحِسَابِ الْمُهَوْلَةِ
وَلَكِنَّهُ يَرْجُو الَّذِي عَمَّ جُودُهُ
وَإِحْسَانُهُ وَالْفَضْلُ كُلُّ الْخَلِيقَةِ
إِلَيْهِ رَحِيمٌ مُخْسِنٌ مُتَجَاوِزٌ
إِلَيْهِ رُجُوعِي فِي رَحَائِي وَشِدَّتِي

غِيَاثِي إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَازَاهِي
 وَمِنْهُ أَرْجَى كَشْفُ ضُرِّي وَمَحْتِي
 يَا رَبُّ نَبْتَنَا عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى
 وَيَا رَبَّنَا اقْبِضْنَا عَلَى خَيْرِ مَلَّةٍ
 وَعُغْمٍ أَصُولًا وَالْفُرُوعَ بِرَحْمَةٍ
 وَأَهْلًا وَأَصْحَابًا وَكُلَّ قَرَابَةٍ
 وَسَائِرِ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
 أَقَامَ لَكَ التَّوْحِيدَ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ
 وَصَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمَ الدَّهْرِ سَرْمَدًا
 عَلَى خَيْرِ مَبْعُوثٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْعِبَادِ فَضْلُهُ وَنَعَمَائُهُ وَوَسِعَ الْبَرِيَّةَ جُودُهُ وَعَطَاؤُهُ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِامْتِثَالِ
 أَمْرِكَ وَاجْتِنَابِ نَهْيِكَ وَأَنْ تُلْهِمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَنْ تَرْزُقَنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ
 الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ وَاعْفِرْ لَنَا .

اللَّهُمَّ وَتَوَزَّ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَتَبَيَّنْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَفِي الْآخِرَةِ ،
 وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتُوفِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ مَشَى أَبُو سُفْيَانَ يَتَفَقَّدُ الْقَتْلَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَعَرَّفَتْ وُجُوهُهُمْ ، فَلَمَّا وَجَدَ
 حَمَزَةَ صَرِيحًا بَيْنَهُمْ ، جَعَلَ يَضْرِبُ فِي شِدْقِهِ بِكَعْبِ الرُّمَحِ ، وَيَقُولُ : ذُقْ عَقَقُ ، فَرَأَاهُ الْخَلِيسُ
 سَيْدُ الْأَحَابِيثِ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِابْنِ عَمِّهِ ، وَهُوَ مَيِّتٌ ، فَاسْتَحْيَا أَبُو سُفْيَانَ مِنْ
 هَذِهِ الزَّلَّةِ ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُمَهَا عَلَيْهِ ، وَلَا يُذِيعَهَا فِي النَّاسِ ، لِأَنَّهَا سَخَافَةٌ وَسَمَاجَةٌ وَقَضَا

عَاجِزٍ وَكَانَ هُمُ أَبِي سُفْيَانَ أَنْ يَجِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَتْلِ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ بَيْنَهُمْ ، أَخَذَ الشَّكَّ يُخَامِرُهُ فِي أَنَّهَمْ قَتَلُوهُ ، فَذَهَبَ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّعْبِ الَّذِي اعْتَصَمَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، وَجَعَلَ يُنَادِي : أَيْكُمْ مُحَمَّدٌ ، أَيْكُمْ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، أَيْكُمْ ابْنُ الْخَطَّابِ ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ ، فَلَمَّا لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَمَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ كَفَيْتُمُوهُمْ ، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ أَنْ قَالَ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، قَدْ أَبْقَى اللَّهُ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ ، وَكَأَنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْتَذِرَ مِمَّا فَعَلَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ بِقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ : إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مِثْلَهُ لَمْ أَمْرٌ بِهَا وَمَ تَسُوْنِي ، ثُمَّ جَعَلَ يَرْتَجِزُ قَائِلًا نِعْمَتَ فِعَالٍ ، إِنَّ الْحَرْبَ سِحَالٌ ، أَعْلَى هَبْلٌ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُولُوا لَهُ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ » . قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَنَا الْعُرَى وَلَا عُرَى لَكُمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُولُوا لَهُ ؛ اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ » . قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَوْمَ يَوْمِ بَدْرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا لَهُ : « لَا سَوَاءَ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلْنَاكُمْ فِي النَّارِ » .

ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُدْفَنَ الْقَتْلَى حَيْثُ صُرِعُوا وَقَالَ لِقَوْمِهِمْ فِي ثِيَابِهِمْ ، وَدِمَائِهِمْ ، وَجِرَاحِهِمْ ... وَانظُرُوا أَيُّهُمْ أَكْثَرَ أَخَذًا لِلْقُرْآنِ ، فَإِذَا أَشَارُوا إِلَى رَجُلٍ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ .

وَكَانَ يُدْفَنُ الْإِثْنَيْنِ ، وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ ، لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْإِعْيَاءِ وَالضَّعْفِ ، وَالْجِرَاحِ ، فَيَعَجِزُوا أَنْ يَحْمِلُوا لِكُلِّ وَاحِدٍ قَبْرًا ، وَدُفِنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ، وَعَمْرٍو ابْنُ الْجُمُوحِ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ، لِمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَحَبَّةِ فَقَالَ : « اذْفُنُوا هَذَيْنِ الْمُتَحَابِّينِ فِي الدُّنْيَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ، ثُمَّ حُفِرَ عَنْهُمَا بَعْدَ زَمَنِ طَوِيلٍ وَيَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرَامٍ عَلَى جِرَاحَتِهِ كَمَا

وَضَعَهَا حِينَ جُرِحَ ، فَأَمِطَتْ يَدَهُ عَنِ جِرَاحَتِهِ ، فَانْبَعَثَتِ الدَّمُ فَرُدَّتْ إِلَى مَكَانِهَا ، فَسَكَرَ الدَّمُ وَمَا تَعَيَّرَ مِنْ حَالِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، قِيلَ لَهُ : أَفَرَأَيْتَ أَكْفَانَهُ فَقَالَ : إِنَّمَا دُفِنَ فِي نَمْرَةٍ خُمَّرَ بِهَا وَجْهَهُ وَعَلَى رِجْلَيْهِ الْحَزْمَلِ فَوُجِدَتِ النَّمْرَةُ كَمَا هِيَ وَعَلَى رِجْلَيْهِ الْحَزْمَلِ عَلَى هَيَأْتِهِ وَبَيْنَ ذَلِكَ سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً .

وَلَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ دَفْنِ أَصْحَابِهِ رَكِبَ فَرَسَهُ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ حَوْلِهِ ، أَكْثَرَهُمْ جَرَحَى ، يَتَحَامَلُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، مِمَّا بِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْجُهْدِ ، وَيَتَلَاوَمُونَ عَلَى الرِّلَّةِ وَيَتَحَاوَرُونَ هُنَّ عَنْهَا .

وَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَجَدَ النِّسَاءَ عِنْدَ بَابِهَا يَبْكِينَ قَتْلَاهُنَّ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ مُقْبِلًا نَسِينَ مَا هُنَّ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ ، وَأَسْرَعْنَ إِلَيْهِ ، يَنْظُرْنَ إِلَى سَلَامَتِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ فِي سَلَامَةٍ ، هَانَتْ عَلَيْهِنَّ الْمُصِيبَةُ .

وَجَاءَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ تَعْدُو نَحْوَهُ ، وَتَتَأَمَّلُهُ حَتَّى إِذَا اطْمَأَنَّتْ عَلَى سَلَامَتِهِ ، قَالَتْ : أَمَا إِذَا رَأَيْتُكَ سَالِمًا فَقَدْ اشْتَوَتِ الْمُصِيبَةُ فَعَزَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِابْنِهَا عَمْرٍو بْنِ مُعَاذٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : « يَا أُمَّ سَعْدِ ، أَبْشِرِي وَبَشِّرِي أَهْلِيهِمْ أَنَّ قَتْلَاهُمْ تَرَأَفُوا فِي الْجَنَّةِ جَمِيعًا » . قَالَتْ : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَبْكِي عَلَيْهِمْ بَعْدَ هَذَا .

ثُمَّ قَالَتْ : ادْعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ خَلَّفُوا ، قَالَ : « اللَّهُمَّ أَذْهَبْ حُزْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَاجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ ، وَأَحْسِنِ الْخَلْفَ عَلَى مَنْ خَلَّفُوا ثُمَّ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ ، مِنَ الْجُرْحَى أَنْ يَرْكَنُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ ، وَلْيُؤَدُّوا جِرَاحَهُمْ ، فَتَخَلَّفَ عَنْهُمْ كُلُّ مَجْرُوحٍ ، وَبَاتُوا يُوقِدُونَ النَّارَ ، وَيُكَمِّدُونَ بِهَا الْجِرَاحَ .

وَمَضَى ρ ، حَتَّى جَاءَ بَيْتَهُ ، فَمَا نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ إِلَّا حَمَلًا ، ثُمَّ مَشَى يَتَحَامِلُ عَلَى السَّعْدَيْنِ ،
 سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ ، فَلَمَّا أَذَّنَ بِلَالٌ لِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ خَرَجَ عَلَى مِثْلِ
 تِلْكَ الْحَالِ ، يَتَوَكَّأُ عَلَى السَّعْدَيْنِ ، فَصَلَّى ثُمَّ عَادَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَبَاتَ وَجْهُهُ الْأَوْسِ ، وَالْخَزْرَجِ عَلَى بَابِهِ
 فِي الْمَسْجِدِ ، يَخْرُسُونَهُ ، مَخَافَةَ أَنْ تَكْرُرَ فُرَيْشٌ ، وَهُمْ عَافِلُونَ .

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ يَبْكِي حَمَزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ :

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالزُّقَادُ مُسَهَّدُ	وَجَزَعْتَ أَنْ سُلِّخَ الشَّبَابُ الْأَغْيَدُ
وَدَعْتَ فُؤَادَكَ لِلْهَوَى ضَمْرِيَّةُ	فَهَوَاكَ غُورِيٍّ وَصَحْبِكَ مُنْجِدُ
فَدَعِ التَّمَادِي فِي الْعَوَايَةِ سَادِرًا	قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْعَوَايَةِ تُفْنَدُ
وَلَقَدْ أَتَى لَكَ أَنْ تَنَاهِي طَائِعًا	أَوْ تَسْتَفِيقُ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمَزَةَ هُدَّةُ	ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرْعُدُ
وَلَوْ أَنَّهُ فَجَعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ	لَرَأَيْتَ رَأْسِي صَاخِرَهَا يَتَبَدَّدُ
قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُنُوبَةِ هَاشِمٍ	حَيْثُ النَّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّوْدُ
وَالْعَاقِرُ الْكُومِ الْجِلَادِ إِذَا غَدَتْ	رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمَدُ
وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ الْكَمِيِّ مُجَدَّلًا	يَوْمَ الْكَرْبِهِةِ وَالْقَنَا يَتَفَصَّدُ
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ	ذُو لِبْدَةٍ شَشْنُ الْبَرَاثِنِ أَرَبْدُ
عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيهِ	وَرَدَ الْحِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرِدُ
وَأَتَى الْمَنِيَّةَ مُعَلِّمًا فِي أُسْرَةٍ	نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشْهِدُ
وَلَقَدْ أَخَالَ بِذَاكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ	لثُمَيْتَ دَاخِلَ غُصَّةٍ لَا تَبْرُدُ
مِمَّا صَبَحْنَا بِالْعَقَنْقَلِ قَوْمَهَا	يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيهِ عَنْهَا الْأَسْعَدُ
وَبِيْرٍ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وَجُوهَهُمْ	جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتِهِمْ	قَسَمِينَ نَقُتْلُ مَنْ نَشَاءُ وَنَطْرُدُ

فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعْطَنِ مِنْهُمْ
 وَابْنُ الْمَغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً
 وَأُمِّيَّةُ الْجَمْحِيِّ قَوْمَ مَيْلِهِ
 فَآتَاكَ فَلَ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ
 شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًا
 شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًا

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ يُجِيبُ هَبِيرَةَ بِنَ أَبِي وَهَبٍ :

وَلَكِنْ يَدْرٍ سَائِلُوا مَنْ لَقِيتُمْ
 وَإِنَّا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا
 إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ
 فَمَهْمَا يَهُمُّ النَّاسَ مِمَّا يُكِيدُنَا
 فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ الـ
 نُجَالِدُ لَا تَبْغَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ
 وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعِرْضِ قَالَتْ سَيُوفُنَا
 وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَتَّبَعُ أَمْرَهُ
 تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
 نَشَاوَرَهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصَرْنَا
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَا لَنَا
 وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقَرُّبًا
 وَلَكِنْ خُذُوا مِيثَاقَكُمْ وَتَوَكَّلُوا
 فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رَحَالِهِمْ

مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءُ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ
 سَوَانًا لَقَدْ أَجْلُوا بَلِيلٍ فَأَقْشَعُوا
 أَعِدُّوا لِمَا يُرْجَى ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُوا
 فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
 بَرِيَّةٌ قَدْ أَعْطُوا يَدًا وَتَوَرَّعُوا
 مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَانُوا وَيَفْطَعُوا
 عِلَامٌ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ الْعِرْضَ نَزْرَعُ
 إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا نَتَظَلَّعُ
 يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
 إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ
 ذَرُوا عَنكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
 إِلَى مَلِكٍ يُحْيِي لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ
 عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
 ضُحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا نَتَخَشَّعُ

إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوَرَّعُ
أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمَقْنَعُ
ثَلَاثُ مِئِينَ إِنْ كَثَرْنَا فَأَرْبَعُ
نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنِيَا وَنَشْرَعُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَثْرِيُّ الْمُقَطَّعُ
يُنذِرُ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةَ تَصْنَعُ
تَمُرُّ بِأَعْرَاضِ الْبَصَارِ تَقَعَّقِعُ

بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السَّنَوْرُ وَالْقَنَا
فَجَنْنَا إِلَى مَوْجِ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ عِصَابَةٌ
نُغَوِّرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
تَهَادَى قِسِيَّ النَّبَعِ فِينَا وَفِيهِمْ
وَمَنْجُوفَةٌ حَرَمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ
تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرَّجَالِ وَتَارَةٌ

وقال حسان بن ثابت :

كَخَطِّ الْوَحَى فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ
مِنَ الْوَسْمِيِّ مُنْهَمِرٍ سَكُوبِ
يَبَابًا بَعْدَ سَاكِنِهَا الْحَيِيبِ
وَرَدَّ حَرَارَةَ الصَّدْرِ الْكَيْبِ
بِصِدْقٍ غَيْرِ إِخْبَارِ الْكَذُوبِ
لَنَا فِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
بَدَتِ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الْغُرُوبِ
كَأَسَدِ الْغَابِ مُرْدَانَ وَشَيْبِ
عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي لَفْحِ الْحُرُوبِ
وَكُلُّ مُجَرَّبٍ خَاطِي الْكُعُوبِ
بَنُوا النَّجَارِ فِي الدِّينِ الصَّلِيبِ
وَعَتَبَةٌ قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ
إِذَا نَسَبُوا ذَوِي حَسَبٍ حَسِيبِ

عَرَفْتَ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَئِيبِ
تَدَاوَلَهَا الرِّيحُ وَكُلُّ جَوْنِ
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلَقًا وَأَمْسَتْ
فَدَعَ عَنْكَ التَّدَكُّرُ كُلَّ يَوْمِ
وَوَجَّبَ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِيكَ غَدَاةَ بَدْرِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حِرَاءُ
فَلَا قَيْنَاهُمْ مَنَّا بِجَمْعِ
أَمَامَ مُحَمَّمٍ قَدْ وَازْرورُهُ
بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتِ
بَنُو الْأَوْسِ الْغَطَارِفِ آزْرَتْهَا
فَغَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيْعًا
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رَجَالِ

قَدَفْنَا هُمْ كَبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ
 مَاذَا لَقِينَا وَمَا لَاقُوا مِنَ الْهَرَبِ
 مَا أَنْ نَرَاكِبَ مِنْ إِلٍّ وَلَا نَسَبِ
 حَامِي الذِّمَارِ كَرِيمِ الْجَدِّ وَالْحَسَبِ
 نُورٌ مُضِيءٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهُبِ
 فَمَنْ يُجِبُّهُ إِلَيْهِ يَنْجُ مِنْ تَبِّ
 حِينَ الْقُلُوبِ عَلَى رَجَبٍ مِنَ الرُّعْبِ
 كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبَعِ عَلَى الْكَذِبِ
 وَكَذَّبُوهُ فَكُنَّا أَسْعَدَ الْعَرَبِ
 وَنَحْنُ نَتَّقُنُهُمْ لَمْ نَأَلْ فِي الطَّلَبِ
 حِزْبُ الْإِلَهِ وَأَهْلُ الشَّرِكِ وَالنُّصَبِ

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا
 وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَيْضًا فِي يَوْمٍ أَحَدٍ :
 سَائِلٌ قَرِيشًا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ أَحَدٍ
 كُنَّا الْأَسْوَدَ وَكَانُوا التُّمُورَ إِذْ زَحَفُوا
 فَكَمْ تَرَكْنَا بِهَا مِنْ سَيِّدٍ بَطَلٍ
 فِيْنَا الرَّسُولَ شِهَابٌ ثُمَّ نَتَّبَعُهُ
 الْحَقُّ مَنْطِقُهُ وَالْعَدْلُ سِيرَتُهُ
 نَجَدُ الْمَقْدَمِ مَاضِي الْهَمِّ مُعْتَزِمٍ
 نَمْضِي وَيَذْمُرُنَا مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ
 بَدَا لَنَا فَاتَّبَعْنَاهُ نَصَدَّقُهُ
 جَالُوا وَجَلْنَا فَمَا فَاءُوا وَلَا رَجَعُوا
 لَيْسَا سِوَاءَ وَشَتَى بَيْنَ أَمْرِهِمَا
 وَلِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ :

وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ
 أَحْمَزَةٌ ذَاكُمْ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ
 هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
 وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
 مُخَالَطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
 فَكُلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
 بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ
 فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ
 وَقَائِعُنَا بِهَا يُشْفَى الْعَلِيلُ

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا
 عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا
 أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا
 أَبَا يَعْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ
 عَلَيْكَ سَلَامٌ رَبِّكَ فِي الْجَنَانِ
 أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخْيَارِ صَبْرًا
 رَسُولُ اللَّهِ مِصْطَبٌ كَرِيمٌ
 أَلَا مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي لَوْيَا
 وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا

نَسِيْتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلِيْبٍ بَدْرٍ غَدَاةَ أَتَاكُمْ الْمَوْتُ الْعَجِيْلُ
 غَدَاةَ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيْعًا عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ
 وَعُتْبَةُ وَابْنُهُ خَرًّا جَمِيْعًا وَشَيْبَةُ عَضَّهُ السَّيْفُ الصَّقِيْلُ

وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أباها حمزة بن عبد المطلب :

أسائلة أصحاب أحد مخافة بنات أبي من أعجم وخير
 فقال الخبير أن حمزة قد ثوى وزير رسول الله خير وزير
 دعاه إله الحق ذو العرش دعوة إلى جنة يحيى بها سرور
 فذلك ما كنا نرجى ونرتجى لحمزة يوم الحشر خير مصير
 فوالله لا أنساك ما هبت الصبا بكاء وحننا محضري ومسيري
 على أسد الله الذي كان مدرها يذود عن الإسلام كل كفور
 فيا ليت شلوى عند ذاك وأعظمى لدى أصبغ تعادني ونسور
 أقول وقد أعلى النعى عشيرتي جزى الله خير من أخ ونصير

شِعْرًا:

فَلَا يَغُرَّنْكُمْ لَمَّا جَرَى قَدْرٌ
 فَرُبَّمَا فِيهِ تَأْدِيْبٌ وَتَيَّانُ
 لِيَنْتَبِهَ غَافِلًا أَوْ قَائِلًا زَلَالًا
 وَمُعْجَبٌ غَرَّهُ بِالْعُجْبِ شَيْطَانُ
 كَمَا جَرَى فِي حُنَيْنٍ إِذَا قَالَ قَائِلُهُمْ
 الْيَوْمَ مِنْ كَثْرَةِ يَأْتِي لَنَا شَانُ
 فَأَذْبُرُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْهَزُمُوا
 لَمْ يَلُومُوا مِنْ أَحَدٍ وَالْكَؤُفُ فُرْسَانُ

لَمْ يَيْقَ إِلَّا نَبِيُّ اللَّهِ يَطْعُنُهُمْ
أَنَا ابْنُ مُطَلِّبٍ وَالْجَدُّ عَدْنَانُ
حَتَّى إِذَا قَالَ يَا أَصْحَابَ سَمْرَتَنَا
هَلُمَّ إِنَّ عَلَيَّ الرَّضْوَانَ رِضْوَانَ
جَاؤُوا يُلْبَسُونَ وَالْأَسْيَافُ مُصَلَّتَةٌ
كَأَنَّ هُنَّ بِأَيْدِي الْقَوْمِ نِيرَانُ
تَلِكِ الْأُمُورِ مِنَ الْبَارِي يُدَاوِلُهَا
فَكُلَّ يَوْمٍ لَهُ فِي خَلْقِهِ شَأْنُ
لَمْ يَأْتِ مِنْ خَلَلٍ إِلَّا لَهُ سَبَبٌ
فَانظُرْ فَمِنْ أَيِّ بَابٍ جَاءَ نَقْصَانُ
اجْعَلْ مُرَادَكَ دِينَ اللَّهِ تَنْصُرُهُ
فَالْمَلِكُ بِالذِّينِ لَا بِالْجُنْدِ يُنْصَانُ
وَكُنْ مَعَ اللَّهِ لَا تَخْشَى الْمَالَ أَبَدًا
يَكُنْ لَكَ اللَّهُ وَالْأَمْلاكُ أَعْوَانُ
وَالنَّاسُ إِلَّا قَلِيلٌ قَالَ أَكْثَرُهُمْ
إِذَا رَأَوْا نَاصِحًا قَالُوا بِهِ جَانُ
عَنْ نُصْرَةِ الذِّينِ أَمْوَاتٌ بِهِمْ وَهُنَّ
وَنُصْرَةُ الْمَالِ فُرْسَانٌ وَشُجْعَانُ
صَلِّحْ لِدُنْيَاكَ مَا يَخْصُصُكَ مِنْ أَحَدٍ
لِلنَّاسِ وَادِّ وَقَدْ آوَتْكَ وَدِيَانُ
تُنْفَرُ النَّاسَ وَالْإِخْوَانَ قَدْ سَكَنُوا

أَعْرِضْ وَكُنْ مِثْلَهُمْ وَدِنْ بِمَا دَانُوا
 كُنْ لِلْمُلُوكِ عَلَى الْأَهْوَاءِ تَعِشْ مَعَهُمْ
 فَاللَّهُ فِي جَنْبِهِ عَفْوٌ وَغُفْرَانٌ
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ مَنْ هَذَا مَقَاتِلُهُ
 هَذَا ابْنُ إِبْلِيسَ غَشَّاشٌ وَقَتَّانٌ
 يَا حَسْرَةَ الدِّينِ مِنْ هَذَا وَشِيعَتِهِ
 إِنْ سُوِّعِدُوا لَمْ يَقُمْ لِلدِّينِ بُنْيَانٌ
 (وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ كَمْ تَبَطُّوا أُمَّمًا
 عَنْ نَصْرِ دِينِ وَلِلشَّيْطَانِ أَعْوَانُ)
 (فِي كُلِّ وَقْتٍ فَكُنْ مِنْهُمْ عَلَى حَذِرٍ
 لَا يَخْدَعُوكَ فَهُمْ فِي الْمَكْرِ فُرْسَانُ)
 (وَاصْحَبْ أَخَا الرُّهْدِ لَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا)
 النَّاصِرَ الدِّينِ لِلتَّوْحِيدِ مِعْوَانُ)

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَقَّفْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا
 مُقَصِّرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ فَأَنْتَ تَعَلَّمْ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رِفْدِكَ وَخَالِصَ وِدِّكَ ،
 اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا ، فَبِكَمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَانٍ كَمَا تَرَوْنَ قَدْ كَثُرَ فِيهِ الشَّرُّ وَوَسَائِلُهُ وَانْتَشَرَ فِي الْأَرْضِ انْتِشَارًا لَا يَحْطُرُ
 عَلَى الْأَفْكَارِ فَإِذَا رُمْتُمْ حَاجَةً مِنَ السُّوقِ فَأَقْضُوهَا بِسُرْعَةٍ مُنْكَرِينَ فِي قُلُوبِكُمْ وَفِي أَلْسِنَتِكُمْ حَسَبَ
 قُدْرَاتِكُمْ عَلَى مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَعْمَلُ الْمُنْكَرَاتِ وَاتْرَكُوا الاجْتِمَاعَ مَعَ مَنْ لَا تَسْلَمُونَ مِنَ الْإِثْمِ إِذَا اتَّصَلْتُمْ

به لاسيما وقد كثر من لا تؤمن شروءه وأضراره ومفاسده وأحرصوا على غض أبصاركم فإنكم إن أطلتكم لها العنان رأيتم من البليات ما لا يخصيه العد ولا يأتي عليه البيان ترون النساء في حالة تؤلم قلب كل مؤمن ذي مروءة وشيمة وغيره دينية وترون العيش السائد في كل المعاملات بدرجة قل أن ينجو منها أدكى الناس وأيقظهم وأفواهم فإساسة وتري الدخان عن يمينك ويسارك تؤذيك رائحته الكريهة وتري خلقي اللحي ومصلي التوائيات والحنافس وتري النساء تزكب مع أي واحد بدون محرم وتدخل على الحياط يقيس عليها وترون الكثير من الناس لا يعرجون على المساجد أوقات الصلاة وترون المجاهرين بالمعاصي يدورون في الأسواق ليس لهم شغل إلا ما يحزن قلب كل غير لدينه وتراهم نبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم وأقبلوا على الملاهي والمنكرات إقبالا فوق ما يتصوره العاقل اللبيب وتراهم إذا قضوا مآزهم من كتب تحتوي على الدين وغيره فيها آيات وأحاديث ألقوها في الأسواق والمزابيل مع الثمام وكذلك باقي النعم بجدها ملقاة مع القادورات وتراهم دائما في مطالعة الجرائد والمجلات ولو ناولت أحدهم مصحفا أو البخاري أو مسلما يقرأ شيئا منه لسارع إلى الضحك أو النوم واسترخت مفاصله كأنك ناولته ما يذهب العقول ويترقد الأبدان وتراه ينهر كل ليله في صنوف المعاصي وعند الملاهي لكن ينقل عليه جدا أن ينهر ساعة في طاعة مولاه وتراهم أمام التلفزيون مقابلين له ومقابلين بقلوبهم وأبصارهم وأسماعهم ولو نودي أحدهم لستم المنادي وسبه بل ربما لعنه وقذفه خوفا من فوات ما يظهر فيه من منكرات من نساء سافرات وتمثليات خليعة وأغاني مهيجة للفساد ونحو ذلك تمر الساعات لا يملون بل هم مرتاحون له وأما أمام رب العالمين الذي خلقهم ورزقهم فعشر الدقائق التي يقفونها في الصلاة أنقل من رضوى وأحد ويتسابقون إلى الذي يمرها مر السحاب وإذا تأخر الإمام ولو دقيقة رأيتهم يتلفتون ويبحثون عنه فإن كان حاضرا أكثروا من الاستغفار والحوقة والتهيل ليفهموه أنهم يريدون أن يعجل فيصلى كأن على رؤوسهم جملا أو على أظهرهم حتى الذي يتأخر بعد الصلاة ويقعد يتكلم في أمور الدنيا المنهي عنه في المسجد وهذه حالة والله يرثي لها قال ابن القيم :

يَا ناصِرَ الإسلامِ وَالسُّنَنِ التِّي

جَاءَتْ عَنِ المَبْعُوثِ بِالْفِرْقَانِ

يَا مَنْ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَقَوْلُهُ
 وَلَقَدْ آتَاهُ وَرَسُولُهُ بِبَيِّنَاتٍ
 اشْرَحَ لِدِينِكَ صَدْرَ كُلِّ مُوَحَّدٍ
 شَرْحًا يَنَالُ بِهِ ذُرَى الْإِيمَانِ
 وَاجْعَلْهُ مُؤْتَمًّا بِوَحْيِكَ لَا بِمَا
 قَدْ قَالَهُ ذُو الْإِفْكَ وَالْبُهْتَانِ
 وَأَنْصُرْ بِهِ حِزْبَ الْهُدَى وَاكْتِبْ بِهِ
 حِزْبَ الضَّلَالِ وَشَيْعَةَ الشَّيْطَانِ
 وَأَنْعِشْ بِهِ مَنْ قَصَدَهُ إِحْيَاؤُهُ
 وَأَعْصِمُهُ مَنْ كَيْدِ امْرِئٍ فَتَّانِ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحُولِ عَافِيَتِكَ وَفَجَاءَةِ نِعْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ وَنَسْأَلُكَ أَنْ
 تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

فِي ذِكْرِ بَعْضِ الْحِكَمِ الَّتِي كَانَتْ فِي وَفْعَةِ أُحُدٍ

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى أُمَّهَاتِهَا وَأُصُولِهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ حَيْثُ
 افْتَتِحَ الْفَصَّةُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ إِلَى تَمَامِ سِتِّينَ آيَةٍ ،
 قَالَ فَحِينَهَا : تَعْرِيفُهُمْ بِسُوءِ عَاقِبَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَالْفَشْلِ وَالتَّنَازُعِ ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ إِنَّمَا هُوَ بِشُؤْمِ
 ذَلِكَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى (٣ : ١٥٢) : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا
 فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ
 الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ .

فَلَمَّا ذَاقُوا عَاقِبَةَ مَعْصِيَتِهِمْ لِلرَّسُولِ وَتَنَازَعِهِمْ وَفَشَلِهِمْ كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدَّ حَذَرًا وَيَقْظَةً وَتَحَرُّزًا مِنْ أَسْبَابِ الْخُذْلَانِ .

وَمِنْهَا : أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ . وَسُنَّتَهُ فِي رُسُلِهِ ، وَأَتْبَاعِهِمْ : حَرَّتْ بَأْنَ يُدَالُوا مَرَّةً ، وَيُدَالُ عَلَيْهِمْ أُخْرَى ، لَكِنْ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ ، فَإِنَّهُمْ لَوْ انْتَصَرُوا دَائِمًا دَخَلَ مَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَمَ يَتَمَيَّزُ الصَّادِقُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَوْ انْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ دَائِمًا ، لَمْ يَحْضِلِ الْمَقْصُودُ مِنَ الْبِعْثَةِ وَالرَّسَالَةِ ، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ أَنْ جَمَعَ لَهُمُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ، لِيَتَمَيَّزَ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ وَيُطِيعُهُمْ لِلْحَقِّ وَمَا جَاءُوا بِهِ ، مِمَّنْ يَتَّبِعُهُمْ عَلَى الظُّهُورِ وَالْعَلْبَةِ خَاصَّةً ۝ .

وَمِنْهَا : أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْلَامِ الرُّسُلِ كَمَا قَالَ هِرَقْلُ لِأَبِي سُفْيَانَ : (هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ) ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَيْفَ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ؟ قَالَ : سِحَالٌ نُدَالُ عَلَيْهِ الْمَرَّةَ ، وَيُدَالُ عَلَيْنَا الْأُخْرَى ، قَالَ : كَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَمِنْهَا : أَنَّ يَتَمَيَّزُ الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ مِنَ الْمُنَافِقِ الْكَاذِبِ ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا أَظْهَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَطَارَ لَهُمُ الصَّيْتُ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا مَنْ لَيْسَ مَعَهُمْ فِيهِ بَاطِنًا ، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ سَبَبَ لِعِبَادِهِ ، مِحْنَةً مَيَّزَتْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ فَأَطْلَعَ الْمُنَافِقُونَ رُؤُوسَهُمْ فِي هَذِهِ الْعَزْوَةِ ، وَتَكَلَّمُوا بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ ، وَظَهَرَتْ مُحْبَاتُهُمْ ، وَعَادَ تَلْوِيحُهُمْ تَصْرِيحًا وَانْقِسَامَ النَّاسِ إِلَى كَافِرٍ ، وَمُؤْمِنٍ ، وَمُنَافِقٍ ، انْقِسَامًا ظَاهِرًا لَا يُفَارِقُهُمْ ، فَاسْتَعَدُّوا لَهُمْ ، وَتَحَرَّزُوا مِنْهُمْ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (٣ : ١٧٩) : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾
 أَيُّ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ التَّبَاسِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمَنَافِقِينَ ، حَتَّىٰ يُمَيِّزَ أَهْلَ الْإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ كَمَا مَيَّزَهُمْ بِالْمَحْنَةِ يَوْمَ أُحُدٍ ﴾ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾
 الَّذِي يُمَيِّزُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ مُتَمَيِّزُونَ فِي عِلْمِهِ وَغَيْبِهِ .

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُرِيدُ أَنْ يُمَيِّزَهُمْ تَمَيِّزًا مَشْهُودًا ، فَيَقَعُ مَعْلُومُهُ الَّذِي هُوَ غَيْبٌ شَهَادَةٌ ، وَقَوْلُهُ :
 ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ اسْتِدْرَاكٌ لِمَا نَفَاهُ ، مِنْ إِطْلَاعِ خَلْقِهِ عَلَى الْغَيْبِ
 كَمَا قَالَ : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾
 فَحَظَّكُمْ أَنْتُمْ وَسَعَادَتُكُمْ فِي الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ الَّذِي يُطْلَعُ عَلَيْهِ رُسُلُهُ ، فَإِنْ آمَنْتُمْ بِهِ وَاتَّقَيْتُمْ كَانَ
 لَكُمْ أَعْظَمُ الْأَجْرِ وَالْكَرَامَةِ .

وَمِنْهَا : اسْتِخْرَاجُ عُبُودِيَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَحَزْبِهِ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ وَفِيمَا يُجْبُونَ وَمَا يَكْرَهُونَ ، وَفِي
 حَالِ ظَفَرِهِمْ ، وَفِي حَالِ ظَفْرِ أَعْدَائِهِمْ بِهِمْ ، فَإِذَا ثَبَتُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ فِيمَا يُجْبُونَ وَمَا
 يَكْرَهُونَ ، فَهُمْ عَبِيدُهُ حَقًّا وَلَيْسُوا كَمَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنَ السَّرَاءِ وَالنِّعْمَةِ وَالْعَافِيَةِ .

وَمِنْهَا : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوْ نَصَرَهُمْ دَائِمًا ، وَأَظْفَرَهُمْ بَعْدُوهُمْ ، فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ، وَجَعَلَ لَهُمْ
 التَّمَكُّنَ ، وَالْقَهْرَ لِأَعْدَائِهِمْ أَبَدًا لَطَعَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَشَمَخَتْ وَارْتَفَعَتْ ، فَلَوْ بَسَطَ لَهُمُ النَّصْرَ
 وَالظَّفَرَ لَكَانُوا فِي الْحَالِ الَّتِي يَكُونُوا فِيهَا لَوْ بَسَطَ لَهُمُ الرِّزْقَ فَلَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ إِلَّا السَّرَاءُ وَالضَّرَاءُ ،
 وَالشَّدَّةُ وَالرِّخَاءُ ، وَالقَبْضُ وَالْبَسْطُ فَهُوَ الْمَدْبُورُ لِأَمْرِ عِبَادِهِ كَمَا يَلِيْقُ بِحِكْمَتِهِ إِنَّهُ بِهِمْ خَبِيرٌ
 بِصِيرٍ .

وَمِنْهَا : أَنَّهُمْ إِذَا امْتَحَنَهُمْ بِالْغَلْبَةِ ، وَالْكَسْرَةِ وَالْهَزِيمَةِ ، وَذُلُّوا وَانْكَسَرُوا وَخَضَعُوا ؛ فَاسْتَوْجَبُوا مِنْهُ الْعِزَّةَ وَالنَّصْرَ ، فَإِنَّ خِلْعَةَ النَّصْرِ إِتْمَا تَكُونُ مَعَ وِلَايَةِ الدُّلِّ وَالانْكِسَارِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ، ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ فَهُوَ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُعِزَّ عَبْدَهُ وَيَجْبُرَهُ وَيَنْصُرَهُ ، كَسْرُهُ أَوْلَى وَيَكُونُ جِبْرُهُ لَهُ وَنَصْرُهُ عَلَى مِقْدَارِ ذُلِّهِ وَانْكِسَارِهِ .

وَمِنْهَا : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هَيَأُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَنَازِلَ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ لَمْ تَبْلُغْهَا أَعْمَالُهُمْ ، وَلَمْ يَكُونُوا بِالْغَيْبِ إِلَّا بِالْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ ، فَقَبِضَ لَهُمُ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُوصِلُهُمْ إِلَيْهَا ، مِنْ ابْتِلَائِهِ وَامْتِحَانِهِ ، كَمَا وَقَفَهُمْ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِ وُصُولِهَا .

وَمِنْهَا : أَنَّ النَّفْسَ تَكْتَسِبُ مِنَ الْعَافِيَةِ الدَّائِمَةِ ، وَالنَّصْرِ وَالْغِنَى طُغْيَانًا وَرُكُونًا إِلَى الْعَاجِلَةِ ، وَذَلِكَ مَرَضٌ يَعُوقُهَا عَنْ جِدِّهَا فِي سَيْرِهَا إِلَى اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ ، فَإِذَا أَرَادَ بِهَا رَبُّهَا وَمَالِكُهَا وَرَاحِمُهَا كَرَامَتَهُ ، قَبِضَ لَهَا مِنَ الْإِبْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ مَا يَكُونُ دَوَاءً لِذَلِكَ الْمَرَضِ الْعَائِقِ عَنِ السَّيْرِ الْحَثِيثِ إِلَيْهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ وَالْمِحْنَةُ بِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ يَسْقِي الْعَلِيلَ الدَّوَاءَ الْكَرِيمَ وَيَقْطَعُ مِنْهُ الْعُرُوقَ الْمُؤَلِّمَةَ ، لاسْتِخْرَاجِ الْأَدْوَاءِ مِنْهُ ، وَلَوْ تَرَكَهُ لَعَلَبَتْهُ الْأَدْوَاءُ ، حَتَّى يَكُونَ فِيهَا هَالِكُهُ .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ حَزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمَخْلُصِينَ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَإِنَّ ذَوِي الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالنَّهْيِ
 هُمْ الْغُرَبَاءُ طُوبَى لَهُمْ مَا تَغَرَّبُوا
 أَنْاسٌ قَلِيلٌ صَالِحُونَ بِأُمَّةٍ
 كَثِيرِينَ لَكِنَ بِالضَّلَالَةِ أُشْرِبُوا
 وَقِيلَ لَهُمُ النَّزَاعُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ
 عَلَى حَزْبِهِمْ أَهْلُ الضَّلَالِ تَحَزَّبُوا
 وَلَكِنَ لَهُمْ فِيهَا الظُّهُورُ عَلَى الْعِدَا
 وَإِنْ كَثُرَتْ أَعْدَاؤُهُمْ وَتَأَلَّبُوا
 وَكَمْ أَصْلَحُوا مَا أَفْسَدَ النَّاسُ بِالْهَوَى
 مِنَ السُّنَّةِ الْغَرَّاءِ فَطَابُوا وَطَيَّبُوا
 وَقَدْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ مِنْ كُلِّ بَدْعَةٍ
 وَقَامَ بِذَا فَوْقَ الْمَنَابِرِ يَخْطُبُ
 فَقَالَ عَلَيْكُمْ بِاتَّبَاعِي وَسُنَّتِي
 فَعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوْجِذِ وَارْعَبُوا
 وَإِبَّاءُكُمْ وَالْإِتِّدَاعَ فَإِنَّهُ
 ضَلَالٌ وَفِي نَارِ الْجَحِيمِ يُكَبِّبُ
 فَدُومُوا عَلَى مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدِ
 لِكِي تَرُدُّوا حَوْضَ الرَّسُولِ وَتَشْرَبُوا
 فَإِنَّ لَهُ حَوْضًا هَبِيئًا شَرَابُهُ
 مِنَ الدُّرِّ أَنْقَى فِي الْبَيَاضِ وَأَعْدَبُ
 لَهُ يَرُدُّ السُّنِّيَّ مِنْ حِزْبِ أَحْمَدِ

وَعَنْهُ يُنْحَى مُحَدِّثٌ وَمُكَذِّبٌ
 وَكَمْ حَدَّثْتُ بَعْدَ الرَّسُولِ حَوَادِثُ
 يَكَادُ لَهَا نُورُ الشَّرِيعَةِ يُسَلِّبُ
 وَكَمْ بَدَعَةٍ شَنْعَاءَ دَانَ بِهَا الْوَرَى
 وَكَمْ سُنَّةٍ مَهْجُورَةٍ تُتَجَنَّبُ
 لِنَا أَصْبَحَ الْمَعْرُوفُ فِي الْأَرْضِ مُنْكَرًا
 وَذُو التُّكْرِ مَعْرُوفٌ إِلَيْهِمْ مُحَبَّبٌ
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِإِنْدِرَاسِ مَعَالِمِ
 مِنَ الْعِلْمِ إِذْ مَاتَ الْهُدَاتُ وَغُيِّبُوا
 وَلَيْسَ اغْتِرَابُ الدِّينِ إِلَّا كَمَا تَرَى
 فَسَلْ عَنْهُ يَنْبِيكَ الْخَيْرُ الْمُجَرَّبُ
 وَقَدْ صَحَّ أَنَّ الْعِلْمَ تَعْفُو رُسُومُهُ
 وَيَفْشُو الزَّنَا وَالْجَهْلُ وَالْخَمْرُ تُشْرَبُ
 وَتِلْكَ أَمَارَاتٌ يَدُلُّ ظُهُورُهَا
 عَلَيَّ أَنَّ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ أَقْرَبُ
 فَسَارِعْ لِمَا يُرْضِي الْإِلَهَ بِفِعْلِهِ
 وَدَعْ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ يُغْضِبُ
 وَخُذْ إِنْ طَلَبْتَ الْعِلْمَ عَنْ كُلِّ عَالِمٍ
 تَرَاهُ بِآدَابِ الْهُدَى يَتَأَدَّبُ
 لِأَهْلِ السُّرَى تَهْدِي نَجُومُ عُلُومِهِ
 وَتُرْمِي الْعِدَى مِنْ شُهْبَهَا حِينَ تُثَقَّبُ

فَلَا زِمَهُ وَاسْتَصْبَحَ بِمَصْبَاحِ عِلْمِهِ
 لِيَتَخَلَّصَ مِنْ جَسْرِ عَلَى النَّارِ يُضْرَبُ
 فَخَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَى الْهُدَى
 وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُخْدَنَاتِ فَجَبَّوْا
 وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ
 وَغَيْرُهُمَا جَهْلٌ صَارِيحٌ مُرَكَّبٌ
 فَخُذْ بِهِمَا وَالْعِلْمَ فَاطْلُبْهُ مِنْهُمَا
 وَدَعْ عَنْكَ جُهَالًا عَنِ الْحَقِّ أَضْرِبُوا
 خَفَافِيشُ أَعْشَاهَا النَّهَارِ بِضَوْوِهِ
 فَوَافَقَهَا مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ غَيْهَبٌ
 فَظَلَّتْ تُحَاكِي الطَّيْرَ فِي ظُلْمَةِ الدُّجَا
 وَإِنْ لَاحَ ضُوءُ الصُّبْحِ لِلْعَيْشِ تَهَرَّبُ
 وَخَتِمْتُمْ نِظَامِي بِالصَّلَاةِ مُسَلِّمًا
 مَدَى الدَّهْرِ مَا دَامَتْ مَعَدُّ وَيَعْرَبُ
 عَلَى خَاتَمِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ مُحَمَّدٍ
 بِهِ طَابَ خَتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَطَيَّبُوا
 كَذَا الْأَلِ وَالصَّحْبِ الْأَلَى بِجَهَادِهِمْ
 أَضَاءَ بِيَدَيْنِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبُ

اللَّهُمَّ امْنُنْ عَلَيْنَا بِالْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالتَّوْفِيقِ وَأَعِدْنَا مِنَ الْخُدْلَانِ وَالتَّعْوِيقِ ، وَفَرِّجْ عَنَّا كُلَّ هَمٍّ
 وَغَمٍّ وَضِيقٍ ، وَلَا تُحْمَلْنَا مَا لَا نَقْوَى وَلَا نُطِيقُ ، يَا مَنْ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى جُودِهِ انْفَتَحَتْ ، اللَّهُمَّ
 جَلَلْنَا بِسِتْرِكَ وَاعْفُ عَنَّا بِكَرَمِكَ .

اللَّهُمَّ وَقَّفْنَا للاستعدادِ لِمَا أَمَانَا ، اللَّهُمَّ وَقَّوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبُرُسُلِكَ
وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَوَقَّفْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ
وَأَهْمُنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَعَامِلْنَا بِلُطْفِكَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَعِدْنَا مِنْ أَلَمِ الْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدِّينِ وَعَلَبَةِ الرَّجَالِ ،
وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَمِنْهَا : أَنَّ الشَّهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ أَوْلِيَائِهِ وَالشُّهَدَاءُ هُمْ خَوَاصُّهُ الْمُقَرَّبُونَ مِنْ
عِبَادِهِ وَلَيْسَ بَعْدَ دَرَجَةِ الصِّدِّيقِيَّةِ إِلَّا الشَّهَادَةُ وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ عِبَادِهِ شُهَدَاءَ
تُرَاقِ دِمَائِهِمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَمَرْضَاتِهِ وَيُؤَثِّرُونَ رِضَاهُ وَمَحَابَّتَهُ عَلَى نَفْسِهِمْ وَلَا سَبِيلَ إِلَى نَيْلِ هَذِهِ
الدَّرَجَةِ إِلَّا بِتَقْدِيرِ الْأَسْبَابِ الْمُفْضِيَّةِ إِلَيْهَا مِنْ تَسْلِيطِ الْعَدُوِّ .

وَمِنْهَا : أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ أَعْدَاءَهُ وَيَمْحَقَّهُمْ فَيُضِلُّ لَهُمُ الْأَسْبَابَ الَّتِي
يَسْتَوْجِبُونَ بِهَا هَلَاكَهُمْ ، وَمَحَقَّهُمْ ، وَمَنْ أَعْظَمَهَا بَعْدَ كُفْرِهِمْ بَعِيْهِمْ ، وَطَعْنَائِهِمْ ، وَمُبَالَغَتِهِمْ
، فِي أَدَى أَوْلِيَائِهِ ، وَمُحَارَبَتِهِمْ ، وَقِتَالِهِمْ ، وَالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِمْ ، فَيَتَمَحَّصُ بِذَلِكَ أَوْلِيَاؤُهُ ، مِنْ
ذُنُوبِهِمْ ، وَعُيُوبِهِمْ ، وَيَزْدَادُ بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ ، مِنْ أَسْبَابِ مَحَقِّهِمْ وَهَلَاكِهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ
تَعَالَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (٣ : ١٣٩ - ١٤١) : ﴿ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحَّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ
الْكَافِرِينَ ﴾ .

فَجَمَعَ لَهُمْ فِي هَذَا الْخُطَابِ بَيْنَ تَشْجِيْعِهِمْ وَتَقْوِيَةِ نَفْسِهِمْ وَإِحْيَاءِ عَزَائِمِهِمْ وَهَمَمِهِمْ ،
وَبَيْنَ حُسْنِ التَّسْلِيَةِ وَذِكْرِ الْحِكْمِ الْبَاهِرَةِ

الَّتِي اقْتَضَتْ إِدَالَةَ الْكُفَّارِ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾
 فَقَدْ اسْتَوَيْتُمْ فِي الرِّجَاءِ وَالرَّجَاءِ ، كَمَا قَالَ (٤ : ١٠٤) : ﴿ إِنَّ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ
 يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ فَمَا بِالْكُمْ تَهْنُونَ وَتَضَعِفُونَ عِنْدَ الْقَرْحِ
 وَالْأَلَمِ فَقَدْ أَصَابُوا ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ وَأَنْتُمْ أَصَبْتُمْ فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي .
 ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُدَاوِلُ أَيَّامَ هَذِهِ الْحَيَاةِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَنَّهَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَفْسِمُهَا دَوْلًا بَيْنَ
 أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ ، بِخِلَافِ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ عَزَّهَا وَنَصَرَهَا وَرَجَاءَهَا خَالِصٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا .
 ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةً أُخْرَى وَهِيَ اتِّخَاذُهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ الشُّهَدَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ،
 وَقَدْ أَعَدَّ لَهُمْ أَعْلَى الْمَنَازِلِ ، وَأَفْضَلَهَا وَقَدْ اتَّخَذَهُمْ لِنَفْسِهِ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُبَيِّلَهُمْ دَرَجَةَ الشَّهَادَةِ .
 وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ تَنْبِيهُ لَطِيفُ الْمَوْقِعِ جِدًّا عَلَى كِرَاهَتِهِ وَبُغْضِهِ
 لِلْمُنَافِقِينَ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا عَنْهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَلَمْ يَشْهَدُوهُ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ ، لِأَنَّهُ لَمْ
 يُجِبَّهُمْ فَأَرْكَسَهُمْ وَرَدَّهُمْ ، لِيَحْرِمَهُمْ مَا خَصَّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَمَا أَعْطَاهُ مَنْ
 اسْتَشْهَدَ مِنْهُمْ ، فَتَبَطَّ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي وَفَّقَ لَهَا أَوْلِيَائِهِ وَحَزْبَهُ .
 ثُمَّ حِكْمَةٌ أُخْرَى فِيمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الدُّنُوبِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَهِيَ تَمْحِصُ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُوَ
 تَنْفِيتُهُمْ وَتَخْلِيفُهُمْ مِنَ الدُّنُوبِ ، وَمِنْ آفَاتِ النُّفُوسِ .
 وَمِنْهَا : أَنَّ وَقْعَةَ أُحُدٍ كَانَتْ مُقَدِّمَةً وَإِرْهَاصًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَبَأْتَهُمْ وَوَجَّهَهُمْ عَلَى
 انْقِلَابِهِمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ إِنْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، أَوْ قُتِلَ

بَلِ الْوَاجِبِ لَهُ عَلَيْهِمْ : أَنْ يَتَّبِعُوا عَلَى دِينِهِ ، وَتَوَحَّيْدِهِ ، وَيَمُوتُوا عَلَيْهِ ، أَوْ يُقْتَلُوا ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ رَبَّ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، فَلَوْ مَاتَ مُحَمَّدٌ أَوْ قُتِلَ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَصْرِفَهُمْ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَمَا جَاءَ بِهِ فَكُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .

وَمَا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَيْهِمْ لِيُخَلِّدَ لَا هُوَ وَلَا هُمْ ، بَلْ لِيَمُوتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ ، فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ ، سَوَاءً مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ بَقِيَ وَهَذَا وَبِحُكْمِهِمْ عَلَى رُجُوعِ مَنْ رَجَعَ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ لَمَّا صَرَخَ الشَّيْطَانُ بِأَنَّ : مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَقَالَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

وَالشَّاكِرُونَ هُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا قَدْرَ النِّعْمَةِ فَتَبَتُوا عَلَيْهَا حَتَّى مَاتُوا أَوْ قُتِلُوا ، فَظَهَرَ أَثَرُ هَذَا الْعِتَابِ وَحُكْمِ هَذَا الْخِطَابِ يَوْمَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَازْتَدَّ مِنْ اِزْتَدَّ عَلَى عَقْبَيْهِ ، وَتَبَتَ الشَّاكِرُونَ عَلَى دِينِهِمْ ، فَانصَرَهُمُ اللَّهُ وَأَعَزَّهُمْ وَأَظْفَرَهُمْ بِأَعْدَائِهِمْ وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ لَهُمْ .

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلًا لَا بُدَّ أَنْ تَسْتَوِفِيَهُ تَنَوَّعَتْ أَسْبَابُهُ ، وَيَصْدُرُونَ عَنْ مَوْرِدِ الْقِيَامَةِ ، مَصَادِرَ شَتَّى ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ .

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ أَنْبِيَائِهِ قُتِلُوا ، وَقُتِلَ مَعَهُمْ أَتْبَاعٌ لَهُمْ كَثِيرُونَ ، فَمَا وَهَنَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ ، لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَمَا وَهِنُوا عِنْدَ الْقَتْلِ ، وَلَا ضَعُفُوا وَلَا اسْتَكَانُوا ، بَلْ تَلَّفُوا الشَّهَادَةَ بِالْقُوَّةِ وَالْعَزِيمَةِ وَالْإِقْدَامِ ، فَلَمْ يَسْتَشْهَدُوا مُدْبِرِينَ مُسْتَكِينِينَ أَدْلَةً

بَلْ اسْتَشْهِدُوا آعِزَّةً كِرَامًا مُقْبِلِينَ غَيْرَ مُدْبِرِينَ وَالصَّحِيحُ : أَنَّ الْآيَةَ تَتَنَاوَلُ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا ، ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَمَّا اسْتَنْصَرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَأَمَمِهِمْ عَلَى قَوْمِهِمْ مِنْ اعْتِرَافِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ وَاسْتِعْفَارِهِمْ وَسُؤَالِهِمْ رَبَّهُمْ أَنْ يُثَبِّتَ أَقْدَامَهُمْ وَأَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فَقَالَ : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

لَمَّا عَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَدُوَّ إِنَّمَا يُدَالُ عَلَيْهِمْ بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَسْتَرْهُمُ وَيَهْرِمُهُمْ بِهَا ، وَأَنَّهَا نَوْعَانِ تَقْصِيرٍ فِي حَقِّ ، أَوْ تَجَاوُزٍ لِحَدِّ ، وَأَنَّ النَّصْرَ مَنْوُطٌ بِالطَّاعَةِ ، ﴿ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ ثُمَّ عَلِمُوا أَنَّ رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، إِنْ لَمْ يُثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ وَيَنْصُرَهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا هُمْ عَلَى تَثْبِيتِ أَقْدَامِ أَنْفُسِهِمْ ، وَنَصْرَهَا عَلَى أَعْدَائِهِمْ ، فَسَأَلُوهُ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ بِيَدِهِ دُونُهُمْ ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ وَيَنْصُرَهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا ، وَلَمْ يَنْتَصِرُوا .

ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةً أُخْرَى وَهِيَ : أَنَّ يَتَمَيَّزُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَيَعْلَمُهُمْ عِلْمَ رُؤْيَةِ وَمُشَاهَدَةٍ ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَعْلُومِينَ فِي غَيْبِهِ ، وَذَلِكَ الْعِلْمُ الْعَيْبِيُّ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ ثَوَابٌ ، وَلَا عِقَابٌ ، وَإِنَّمَا يَتَرْتَّبُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ عَلَى الْمَعْلُومِ ، إِذَا صَارَ مُشَاهِدًا وَاقِعًا فِي الْحِسِّ .

فَوْقُوا الْمَقَامَيْنِ حَقَّهُمَا ، مَقَامَ الْمُقْتَضِي ، وَهُوَ : التَّوْحِيدُ وَالتَّجَاؤُ إِلَى سُبْحَانِهِ ، وَمَقَامَ إِزَالَةِ الْمَنَاعِ مِنَ النُّصْرَةِ ، وَهُوَ : الذُّنُوبُ وَالْإِسْرَافُ ، وَحَدَّرَهُمْ مِنْ طَاعَةِ عَدُوِّهِمْ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ إِنْ أَطَاعُوهُمْ خَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ .

شِعْرًا : لَعْمَرِي مَا الرِّزْيَةُ فَقَدْ مَالٍ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مِنْ مُعْدِمِينَا
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ فَقَدْ دِينٍ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مِنْ كَافِرِينَا

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ فَمَنْ وَالَاهُ فَهُوَ الْمَنْصُورُ ، ثُمَّ
 أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ، الَّذِي يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْهُجُومِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِقْدَامِ
 عَلَى حَرْبِهِمْ ، فَإِنَّهُ يُؤَيِّدُ حِزْبَهُ بِجُنْدٍ مِنَ الرُّعْبِ ، يَنْتَصِرُونَ بِهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ ، وَذَلِكَ الرُّعْبُ
 بِسَبَبِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ وَعَلَى قَدْرِ الشَّرِكِ يَكُونُ الرُّعْبُ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا
 إِيمَانَهُمْ بِالشَّرِكِ ، لَهُمُ الْأَمْنُ وَالْهُدَى وَالْفَلَاحُ ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ صَدَقَ وَعْدُهُ فِي النَّصْرَةِ عَلَى عَدُوِّهِ ،
 وَهُوَ الصَّادِقُ الْوَعْدِ ، وَأَتَتْهُمْ لَوْ اسْتَمَرُّوا عَلَى الطَّاعَةِ وَلُزُّومِ مَرَكَزِهِمْ امْتِثَالًا لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ
 لاسْتَمَرَّتْ نُصْرَتُهُمْ ، وَلَكِنْ انْخَلَعُوا عَنِ الطَّاعَةِ وَفَارَقُوا مَرَكَزَهُمْ فَانْخَلَعُوا عَنْ عِصْمَةِ الطَّاعَةِ ،
 فَفَارَقَتْهُمْ النَّصْرَةُ فَصَرَفَتْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ عَقُوبَةً وَإِبْتِلَاءً وَتَعْرِيفًا لَهُمْ بِسُوءِ عَاقِبَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَحُسْنِ
 عَاقِبَةِ الطَّاعَةِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ عَفَا عَنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَأَنَّ ذُو فَضْلِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . انْتَهَى
 بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

اللَّهُمَّ أَحِينَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
 قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرِيدُ نَجَاتَهُ

اسْمَعْ مَقَالَةً نَاصِحَةً مَعْرُوفَةً

كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكًا

بِالْوَحْيِ لَا بِزَخَارِفِ الْهَذْيَانِ

وَأَنْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ النَّبَوِيَّةَ

جَاءَتْ عَنْ الْمُبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

وَاضْرِبْ بِسَيْفِ الْوَحْيِ كُلَّ مُعْطَلٍ
 ضَرْبَ الْمَجَاهِدِ فَوْقَ كُلِّ بَنَانٍ
 وَاحْمِلْ بِعِزِّ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ
 مُتَجَرِّدٍ لِلَّهِ غَيْرِ جَبَانٍ
 وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى
 فَإِذَا أَصِيبْتَ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
 وَاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي
 ثَبَّتْ سِلَاحَكَ ثُمَّ صِخِّ بِجَنَانٍ
 مَنْ ذَا يُبَارِزُ فَلْيَقْدِمْ نَفْسَهُ
 أَوْ مَنْ يُسَاقِبُ يُبْدُ فِي الْمِيدَانِ
 وَاصْدَعْ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ وَلَا تَخَفْ
 مِنْ قَلِيلَةِ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
 فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ
 وَاللَّهُ كَافٍ عَبْدَهُ بِأَمَانٍ
 لَا تَخَشَّ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ وَمَكْرِهِمْ
 فَقَتَّالُهُمْ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ
 فَجُنُودُ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ مَلَائِكُ
 وَجُنُودُهُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ
 شَتَّانَ بَيْنَ الْعَسَاكِرَيْنِ فَمَنْ يَكُنْ
 مُتَحَيِّيًا فَلْيَنْظُرْ الْفِتْنَانَ

وَاثْبُتْ وَقَاتِلْ تَحْتَ رَايَاتِ الْهُدَى
 وَأَصْبِرْ فَصَبْرُ اللَّهِ رَبُّكَ دَانٍ
 وَادْكُرْ مَقَاتِلَهُمْ لِفُرْسَانِ الْهُدَى
 لِلَّهِ دُرٌّ مَقَاتِلِ الْفُرْسَانِ
 وَادْرَأْ بِالْفِطْرِ النَّصِّ فِي نَحْرِ الْعِدَى
 وَارْجُمُهُمْ بِثَوَاقِبِ الشُّهْبَانِ
 لَا تَخْشَى كَثْرَتَهُمْ فَهُمْ هَمَجُ الْوَرَى
 وَذُبَابُهُ أَتَخَافُ مِنْ ذُبَّانِ
 وَاشْغَلْهُمْ عِنْدَ الْجِدَالِ بَعْضِهِمْ
 بَعْضًا فَذَاكَ الْحَزْمُ لِلْفُرْسَانِ
 وَإِذَا هُمُومًا حَمَلُوا عَلَيْكَ فَلَا تَكُنْ
 فِرْعَانَ لِحَمَلَتِهِمْ وَلَا بَجَبَانَ
 وَاثْبُتْ وَلَا تَحْمِلْ بِمَا جُنْدٍ فَمَا
 هَذَا بِمَحْمُودٍ لَدَى الشُّجْعَانِ
 فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَةَ الْإِسْلَامِ قَدْ
 وَافَتْ عَسَاكِرُهَا مَعَ السُّلْطَانِ
 فَهَنَّاكَ فَاخْتَرِقِ الصُّفُوفَ وَلَا تَكُنْ
 بِالْعَاجِزِ الْوَانِي وَلَا الْفِرْعَانِ
 وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسُهُمَا
 يَلْقَى الرَّدَى بِمَدْمَمَةٍ وَهَوَانِ

ثوبٍ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرْكَبِ فَوْقَهُ
 ثُوبُ التَّعَصُّبِ بِسَاتِ الثَّوْبَانِ
 وَتَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرَ حُلَّةٍ
 زِينَتٌ بِهَا الْأَعْطَافُ وَالْكَفِّفَانِ
 وَاجْعَلْ شِعَارَكَ خَشْيَةَ الرَّحْمَنِ مَعُ
 نُصْحِ الرَّسُولِ فَحَبِّذَا الْأُمْرَانَ
 وَتَمَسَّكَنَّ بِحَبْلِهِ وَبِوَحْيِهِ
 وَتَوَكَّلَنَّ حَقِيقَةَ الْيُكْلَانِ
 فَالْحَقُّ وَصَفُ الرَّبِّ وَهُوَ صِرَاطُهُ أَلِ
 — هَادِي إِلَيْهِ لِصَاحِبِ الْإِيمَانِ
 وَهُوَ الصِّرَاطُ عَلَيْهِ رَبُّ الْعَرْشِ أَيْ
 — ضًا وَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَّحَنٌ فَلَا
 تَعْجَبْ فَهَذَا سُنَّةُ الرَّحْمَنِ
 وَبِذَاكَ يَطْهَرُ حَزْبُهُ مِنْ حَزْبِهِ
 وَلَا جَلَّ ذَاكَ النَّاسُ طَائِفَتَانِ
 وَلَا جَلَّ ذَاكَ الْحَرْبُ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالِ
 كُفَّارٍ مُذْ قَامَ الْوَرَى سِجْلَانِ
 لَكِنَّمَا الْعُقْبَى لِأَهْلِ الْحَقِّ إِنْ
 فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدِّيَانِ
 وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ وَلَا تَنْمَ

فَهُمَا عَلَى كُلِّ امْرٍءٍ فَرَضَانِ
فَالْهَجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِالِ
إِخْلَاصٍ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ
فَالْقَصْدُ وَجْهٌ لِلَّهِ بِالْأَقْوَالِ وَالِ
أَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ وَالشُّكْرَانِ
فَبِذَلِكَ يَنْجُو الْعَبْدُ مِنْ إِشْرَاكِهِ
وَيَصِيرُ حَقًّا عَابِدَ الرَّحْمَنِ
وَالْهَجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمُبْعُوثِ بِالِ
حَقِّ الْمُبِينِ وَوَاضِحِ الْبُرْهَانِ
فَيَدُورُ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِعْلِهِ
نَفِيًّا وَائْتِبَاتًا بِأَلَا رَوْغَانِ
وَيُحَكِّمُ الْوَحْيَ الْمُبِينَ عَلَى الَّذِي
قَالَ الشُّيُوخُ فَعِنْدَهُ حَكَمَانِ
لَا يَحْكُ مَانَ بَبَاطِلٍ أَبَدًا وَكُلُّ
الْعَدْلِ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الْحَكَمَانِ
وَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ أَعْدَلُ حَاكِمِ
فِيهِ الشُّفَا وَهَدَايَةُ الْحَيْرَانِ
وَالْحَاكِمُ الثَّانِي كَلَامُ رَسُولِهِ
مَا تَمَّ غَيْرُهُمَا لِذِي إِيمَانِ
فَإِذَا دَعَاكَ لِغَيْرِ حُكْمِهِمَا فَلَا
سَمْعًا لِذَاعِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ

فُلْ لَّا كَرَامَةً لَّا وَلَا نُعْمًا وَلَا
 طَوْعًا لِمَنْ يَدْعُو إِلَى طُغْيَانِ
 وَإِذَا دُعِيَ إِلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُمْ
 سَمْعًا وَطَوْعًا لَسْتُ ذَا عِصْيَانِ
 وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْخُصُومُ وَصَيَّحُوا
 فَاتَّبُتْ فَصَيَّحْتُهُمْ كَمَا شِئْتَ دُخَانِ
 يَرْقَى إِلَى الْأَوْجِ الرَّفِيعِ وَبَعْدَهُ
 يَهْوِي إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّنِي
 هَذَا وَإِنْ قِيلَ حِزْبِ اللَّهِ بِالِ
 أَعْمَالِ لَا بِكُتَابِ الشُّجْعَانِ
 وَاللَّهُ مَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِكُفْرَةٍ
 أَنَّى وَأَعْدَاهُمْ بِإِلَاحِ حُسْبَانِ
 وَكَذَلِكَ مَا فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِهَذِهِ الِ
 آرَاءِ بَلْ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 وَشَجَاعَةِ الْفُرْسَانِ نَفْسِ الزُّهْدِ فِي
 نَفْسٍ وَذَا مَحْذُورٌ كُلِّ جَبَانِ
 وَشَجَاعَةِ الْحُكَّامِ وَالْعُلَمَاءِ زُهْدِ
 دُ فِي الشَّنَائِ مِنْ كُلِّ ذِي بَطْلَانِ
 فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِقَلْبٍ صَادِقِ
 شُدَّتْ رِكَائِبُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ
 وَأَفْصَدَ إِلَى الْأَقْرَانِ لَأَطْرَافِهَا

فَالْعُرُّ تَحْتَ مَقَاتِلِ الْأَقْرَانِ
وَأَسْمَعُ نَصِيحَةً مَنْ لَهُ خَبْرٌ بِمَا
عِنْدَ الْوَرَى مِنْ كَثْرَةِ الْجَوْلَانِ
مَا عِنْدَهُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ غَيْرَمَا
أَخَذُوهُ عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
وَالْكُلُّ بَعْدُ فَبِدْعَةٍ أَوْ فِرْيَةٍ
أَوْ بَحْثُ تَشْكِيكِ وَرَأْيُ فُلَانِ
فَأَصْدَعُ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا تَخْشَى الْوَرَى
فِي اللَّهِ وَآخِشَاهُ تَفُزُ بِأَمَانِ
وَاهْجُرْ وَلَوْ كَلَّ الْوَرَى فِي ذَاتِهِ
لَا فِي هَوَاكَ وَنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ
وَاصْبِرْ بغيرِ تَسَخُّطٍ وَشِكَايَةٍ
وَاصْفَحْ بغيرِ عِتَابٍ مَنْ هُوَ جَانِ
وَاهْجُرْهُمْ الْهَجْرَ الْجَمِيلَ بِلا أذى
إِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْهَجْرَانِ
وَأَنْظِرْ إِلَى الْأَقْدَارِ جَارِيَةً بِمَا
قَدْ شَاءَ مِنْ غَيٍِّ وَمِنْ إِيْمَانِ
وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ مُقَاتِلِينَ كِلَاهِمَا
بِالْحَقِّ فِي ذَا الْخَلْقِ نَاطِرَتَانِ
فَأَنْظِرْ بَعَيْنِ الْحُكْمِ وَارْحَمُهُمْ بِهَا
إِذْ لَا تُرَدُّ مَشِيئَةُ الْوَالِدِيَانِ

وَأَنْظُرُ بَعَيْنِ الْأَمْرِ وَاحْمِلُهُمْ عَلَى
 أَحْكَامِهِ فَهَمَّأَ إِذَا نَظَرَانِ
 وَاجْعَلْ لَوَجْهِكَ مُقَلَّتَيْنِ كِلَاهُمَا
 مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَانِ
 لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ أَيضًا مِثْلَهُمْ
 فَالْقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ
 وَاحْذِرْ كَمَا نَفْسِكَ اللَّاتِي مَتَى
 خَرَجْتَ عَلَيْكَ كُسِرَتْ كَسْرَ مُهَانَ
 وَإِذَا انْتَصَرْتَ لَهَا فَأَنْتَ كَمَنْ بَعَى
 طَفِي الدُّخَانَ بِمَوْقِدِ النَّيرانِ
 وَاللَّهُ أَخْبَرَ وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ
 أَنْ سَوْفَ يَنْصُرُ عَبْدَهُ بِأَمَانِ
 مَنْ يَعْمَلِ الشُّوءَ سَيُجْزَى مِثْلَهَا
 أَوْ يَعْمَلِ الْحُسْنَى يَفُزْ بِجَنَانِ
 هَذَا وَصِيَّةٌ نَاصِحَةٌ وَلِنَفْسِهِ
 وَصَّى وَيَعْدُ لِسَائِرِ الْإِخْوَانِ

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَعْظَمُ الْمُعَاقِبَةِ أَنْ لَا يُجِسَ الْمَعَاقِبُ بِالْعُقُوبَةِ ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَقَعَ الشُّرُورُ بِمَا هُوَ عُقُوبَةٌ ،
 كَالْفَرَحِ بِالْمَالِ الْحَرَامِ ، وَالتَّمَكُّنِ مِنَ الذُّنُوبِ . وَمَنْ هَذِهِ حَالُهُ لَا يَقُورُ بِطَاعَةٍ .
 وَإِنِّي تَدَبَّرْتُ أَحْوَالَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَزَهِّدِينَ فَرَأَيْتُهُمْ فِي عُقُوبَاتٍ لَا يُحْسُونَ بِهَا ، وَمُعْظَمَهَا مِنْ
 قَبْلِ طَلَبِهِمْ لِلرِّيَاسَةِ . فَالْعَالِمُ مِنْهُمْ يَعْضِبُ إِنْ رُدَّ عَلَيْهِ خَطْوُهُ ، وَالْوَاعِظُ مُتَصَنِّعٌ بِوَعْظِهِ ، وَالْمُتَزَهِّدُ

مُنَافِقٌ أَوْ مُرَائٍ . فَأَوَّلُ عُقُوبَاتِهِمْ ، إِعْرَاضُهُمْ عَنِ الْحَقِّ شُغْلًا بِالْحَلْقِ ، وَمِنْ خَفِيِّ عُقُوبَاتِهِمْ سَلْبُ حِلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ ، وَلَذَةِ التَّعْبُدِ .

إِلَّا رِجَالَ مُؤْمِنُونَ ، وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٌ ، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمِ الْأَرْضَ ، بِوِطَانِهِمْ كَطَوَاهِرِهِمْ بَلْ أَحَلَّى ، وَسَرَائِرِهِمْ كَعَلَانِيَتِهِمْ بَلْ أَحَلَّى ، وَهَمَمَهُمْ عِنْدَ الشَّرِّ بَلْ أَعْلَى ، إِنْ عُرِفُوا تَنَكَّرُوا وَإِنْ رُئِيَ لَهُمْ كَرَامَةٌ أَنْكَرُوا . فَالنَّاسُ فِي عَفْلَاتِهِمْ ، وَهُمْ فِي قَطْعِ فَلَاحِهِمْ ، تَجِبُهُمْ بِقَاعِ الْأَرْضِ ، وَتَفْرَحُ بِهِمْ أَمْلاكُ السَّمَاءِ . نَسَأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ التَّوْفِيقَ لِاتِّبَاعِهِمْ ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ .

وَسَلِ الْعِيَاذَ مِنَ التَّكْبُرِ وَالْهَوَى
فَتَرَى هَوَاهُ يَمْنَعُهُ تَارَةً
وَاللَّهِ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ
آخِرُ : تَوَاضَعْ إِذَا مَا نِلْتَ فِي النَّاسِ رِفْعَةً
وَدَاوِمْ عَلَى حَمْدِ الْإِلَهِ وَشُكْرِهِ
فَهَمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَانِ
وَالكِبَرُ أُخْرَى ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ
هَازِنِ فَاسْأَلِ سَاكِنِي النَّيْرَانِ
فَإِنَّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ يَتَوَاضَعُ
وَذِكْرُ لَهُ فَهُوَ الَّذِي لَكَ رَافِعُ

وَقَالَ ابْنُ الْجُوزِيِّ : اعْتَبَرْتُ عَلَى أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ وَالرُّهَادِ أَنَّهُمْ يُعْطِنُونَ الْكِبَرَ فَهَذَا يَنْظُرُ فِي مَوْضِعِهِ وَازْتِفَاعِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ ، وَهَذَا لَا يَعُودُ مَرِيضًا فَقِيرًا يَرَى نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْهُ . حَتَّى أَنِّي رَأَيْتُ جَمَاعَةً يَوْمًا إِلَيْهِمْ ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ لَا أَذُقُ إِلَّا فِي دِكَّةِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ فِي ذَلِكَ كَسْرَ عِظَامِ الْمَوْتَى ، ثُمَّ يَرَى نَفْسَهُ أَهْلًا لِذَلِكَ التَّصَدُّرِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : اذْفُنُونِي إِلَى جَانِبِ مَسْجِدِي ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ يَصِيرُ بَعْدَ مَوْتِهِ مُرُورًا كَمَعْرُوفِ الْكَرْحِيِّ .

وَهَذِهِ خِلَّةٌ مُهْلِكَةٌ وَلَا يَعْلَمُونَ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهِ فَقَدْ تَكَبَّرَ » وَقَلَّ مَنْ رَأَيْتُ إِلَّا وَهُوَ يَرَى نَفْسَهُ .

وَالعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِمَّنْ يَرَى نَفْسَهُ ، أتراه بماذا ؟ إِنْ كَانَ بِالْعِلْمِ فَقَدْ سَبَقَهُ الْعُلَمَاءُ ، وَإِنْ كَانَ بِالتَّعْبُدِ فَقَدْ سَبَقَهُ الْعِبَادُ ، أَوْ بِالْمَالِ فَإِنَّ الْمَالَ لَا يُوجِبُ بِنَفْسِهِ فَضِيلَةً دِينِيَّةً . فَإِنْ قَالَ : قَدْ عَرَفْتُ مَا لَمْ يَعْرِفْ غَيْرِي مِنَ الْعِلْمِ فِي زَمَنِي فَمَا عَلَيَّ مِمَّنْ تَقَدَّمَ .

قيل له : ما نأمرك يا حافظ القرآن أن ترى نفسك في الحفظ كمن يحفظ النصف ، ولا يا فقيه أن ترى نفسك في العلم كالعامي ، إنما نخذرك عليك أن ترى نفسك خيراً من ذلك الشخص المؤمن وإن قل علمه ، فإن الخيرية بالمعاني لا بصورة العلم والعبادة . ومن تلمح خصال نفسه ودنوبها علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير .

شِعْرًا: يَا صِحَاحَ الْأَجْسَادِ كَيْفَ بَطَلْتُمْ لَا لِعُذْرٍ عَنِ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
لَوْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْبَطَالََةَ تُجَدِّي حَسْرَةً فِي مَعَادِكُمْ وَالْمَالِ
لَتَبَادَرْتُمْ إِلَى مَا يَقِيكُمْ مِنْ جَحِيمٍ فِي بَعْثِكُمْ وَنَكَالِ
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ لَا أَبَدًا تُطْمَعُ الْوَرَى فِي الْمَحَالِ
كَيْفَ يَهْنِيكُمُ الْفَرَارُ وَأَنْتُمْ بَعْدَ تَمْهِيدِكُمْ عَلَى الْارْتِحَالِ
كَيْفَ يَهْنِيكُمُ الْفَرَارُ وَأَنْتُمْ بَعْدَ تَمْهِيدِكُمْ عَلَى الْارْتِحَالِ
الْهُدَى وَاضِحٌ فَلَا تَعْدِلُوا عَنْهُ لَهُ وَلَا تَسْلُكُوا سَبِيلَ الضَّلَالِ
وَأَنْبِئُوا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَتُوبُوا تَسَلَّمُوا فِي غَدٍ مِنَ الْأَهْوَالِ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقُبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .
اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الْمَخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِجَرَائِمِنَا وَمَا وَقَعَ مِنَّا مِنَ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ ،
وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

غزوة حنين

حنين واد قرب ذي الحجاز بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف وتسمى غزوة أوطاس
سُمِّيَتْ الْغَزْوَةُ بِاسْمِ الْمَكَانِينَ .

لم ينقص شهر على مغادرة النبي ﷺ للمدينة ، حتى ترامت إليه الأخبار أن قبيلة هوزان
النازلة شرق مكة ، تحشد رجالها ، وتستعد لهجوم مفاجئ على المسلمين .

وذلك لقلقها المتزايد من زيادة عدد المسلمين لا سيما بعد توقيع صلح الحديبية ، وقد كانوا يعلمون - من قبل فتح مكة بزمن طويل - على إتارة مختلف قبائل العرب ضد الإسلام ، أما وقد فتحت مكة ، فقد أصبح لزامًا عليهم في رأيهم أن يوجهوا إلى الإسلام ضربة قاتلة ، قبل أن يستفحل أمره ، ويصبح من المحال القضاء عليه .

وهم رجال حرب بطيعتهم ، فما كانوا يحتاجون لأكثر من أيام معدودات لحشد جيش كبير . ترامت إلى النبي ﷺ أخبارها ، فأوفد من يتبين له الأمر ، وعاد الرسول يؤيد الخبر فأمر النبي ﷺ على التو - أي على الفور - بتجهيز جيش قوي لسحق هوزان .

وسرعان ما إلتف عشرة آلاف مقاتل ساروا وعلى رأسهم النبي ﷺ إلى وادي حنين حيث احتشدت جنود هوزان .

وقد أمدت مكة المسلمين بكميات وافرة من السلاح والعتاد بجانب الألفين من المقاتلين . وكانت هوزان حاذقة في الرماية بالسهم والنبال ، يضاف إلى هذه أنها احتلت المراكز الممتازة كلها وقد وزعت زهرة رماثها فوق التلال والمرتفعات ، واضطر المسلمون إلى النزول بالمراكز غير الملائمة ، فكانت السهام تنزل عليهم من كل صوب وحذب أشبه بالمطر .

بينما تقدمت ساقه هوزان لمهاجمة قلب جيش المسلمين ، والتقى الجمعان وجهًا لوجه ، وكانت طليعة المسلمين تحت إمرة خالد بن الوليد وهي مكونه من المكيين وفيهم غير المسلمين . فكانوا أول من خاض غمار المعركة . ولكنهم لم يتحملوا عنف القتال المرير فتقهقروا ، وأدى تقهقرهم إلى اضطراب النظام بين صفوف المسلمين ، فارتدوا جميعًا في غير نظام ، وتقهقرت فيالق المهاجرين والأنصار هي الأخرى ، وبقي النبي ﷺ ومعه عمه العباس في فئة قليلة من المقاتلين وحدهم في العراء عرضة لسهام المهاجمين المحتشدين .

رأى النبي ﷺ جيش المسلمين يرتد فثبت في مركزه المحفوف بالخطر في رباطة جأش تدعوا إلى الإعجاب الشديد . كان العدو يتقدم في سرعة خاطفة ، وكاد يكون بمفرده ، ولكن ذلك لم

يؤثر فيه أي تأثير . ألم يكن في أمان ترعاه عناية الله العلي القدير ! . نفس الشعور الذي لا يخونه ، والثقة التي لا حد لها في معونة الله والإيمان بالنصر النهائي لقضيته .

بقي وحده في الميدان وعاصفة العدو تدوي من حوله ، ونادى بأعلى صوته : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » وصرخ العباس بصوته الجمهوري : (يا معشر الأنصاري الذين آووا ونصروا ، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة . إن محمداً حي فلهما) وكرر العباس النداء حتى تجاوزت في كل جنبات الوادي أصداؤه .

وأجاب المسلمون من كل جانب : (لبيك ! لبيك !) وعادت جموعهم تلتئم من جديد . وترجل نفر منهم عن أفراسهم وجمالهم وشدوا على العدو بعنف وجرأة ، فلم يستطع العدو الثبات في وجههم وأخذ فريق منهم في الفرار ، وبقي نفر آخر يقاوم وقتاً ما ، ولكن عندما سقط حامل اللواء ، ولوا جميعاً الأدبار .

وعندما اعتزمت هوزان الخروج للقتال أمر كبيرها مالك - وهو فتى متهور في الثلاثين من عمره - أن يخرج النساء والأطفال مع الجيش ، ظناً أن وجود هؤلاء يكون مشجعاً ومثيراً لعواطف رجاله ، وحاتاً لهم ، إن دارة الدائرة ، على أن لا يتقهقروا ويولوا أعقابهم ، ولكن لما أزفت الساعة الرهيبة تركوا وراءهم كل شيء : النساء ، والأطفال ، والغنم ، فوقع في يد المسلمين أربعة وعشرون رأس من الغنم ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، غير ستة آلاف أسير .

وبعد أن وضع المسلمون غنائمهم في مكان حريز ، أخذوا في السير للحاق بعدوهم المتقهقروا ، وقد احتسى فريق منهم في قلعتهم في أوطاس ، فأوفد إليهم النبي ρ سرية من المسلمين لتشتيتهم ، بينما احتمت ساقاتهم بأسوار الطائف المحصنة تحصيناً متيناً مسلحاً ، كانوا رجال حرب محنكين خبيرين بالأسلحة الحديثة بالمنجنيق ، وكانوا قد اختزنوا مئونة عام كامل داخل الأسوار ، وأقاموا عليها حراسة وفيرة العدد ، ووزعوا حامياتها حول أسوار المدينة .

فخف النبي ρ إلى حصونهم وضرب الحصار عليها ، وقد استعان المسلمون بالأسلحة الحديثة التي أمددتهم بها بعض القبائل الأخرى ، وثقل الحصار عليهم جميعاً فجمع النبي ρ أصحابه للمشورة ، واقترح أحد الشيوخ المخنكين تركهم وشأنهم فقد عاد الذئب إلى جحره وليس من الهين اصطياده ، خصوصاً وأن المسلمين ما خرجوا إلا لرد العدوان ، وها هو العدو أعجز من أن يضربهم ، فأمر النبي برفع الحصار إذا لم يكن للمسلمين من هدف سوى إبعاد الخطر ، وقد كان .

وفي طريق عودتهم طلب بعضهم من النبي في نفس المكان الذي قذف فيه بالحجارة من قبل ، أن يستنزل غضب الله على الأعداء . ولكنه بدلاً من أن يلعنهم ويستنزل غضب ربه ، أخذ يصلي ويتضرع من أجلهم ، ويتهل إلى الله أن يهدي ثقيفاً إلى الإسلام ، وأن تنضم إلى لواء النبي ρ . وقبل الله دعاءه ، فلم ينقض وقت طويل حتى دخل الجميع في دين الله أفواجا ، طوعاً ومن تلقاء أنفسهم . انتهى .

شعراً: أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ

لَهُ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالَفٌ

قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً

وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنْ اللَّهِ خَائِفٌ

تَزِيدُ سِنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضَلَّةً

فَهَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفٌ

تَطَّلَعُ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلَمٌ

فَمَا طَافَ فِيهِ مِنْ سَنَا الْحَقِّ طَائِفٌ

ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَانَتْهَا

حُلُومٌ مَتَامٍ أَوْ بُرُوقٌ خَوَاطِفٌ

وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْذِرُ الْمَرءَ أَنَّهُ

إِذَا ارْتَحَلْتَ عَنْهُ الشَّيْبَةَ تَأَلَّفُ
 فَيَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ قَدْ أَدْبَرَ الصَّبَا
 وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفُ
 فَهَلْ أَرَقَّ الطَّرْفَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى
 وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
 فَخُذْ بِالذُّمُوعِ الْحُمُرِ حُزْنًا وَحَسْرَةً
 فَادْمَعُكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ

نَسْأَلُ أَنْ يُوقِّعَنَا لِتَدْبِيرِ آيَاتِهِ وَفَهَمِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْعَمَلِ بِهِمَا وَأَنْ يَرِزُقَنَا الْإِنْتِفَاعَ بِمُرُورِ الزَّمَنِ عَلَى خَيْرِ وَجْهِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَوَقِّعْنَا لِإِتِّبَاعِ ذَوِي النُّفُوسِ الْمُحْسِنَةِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ وَآتِنَا أَفْضَلَ مَا تُؤْتِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجُوهَنَا عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ فَصُنْ وَجُوهَنَا عَنِ الْمَسْأَلَةِ لِغَيْرِكَ . اللَّهُمَّ مَنْ كَانَ عَلَى هَوَىٍّ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ فَرُدَّهُ إِلَى الْحَقِّ حَتَّى لَا يَظَلَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ . اللَّهُمَّ لَا تَشْعَلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكْفَلْت لَنَا بِهِ وَلَا تَجْعَلْنَا فِي رِزْقِكَ خَوَلًا لِغَيْرِكَ وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

صفات المنافقين للإمام ابن القيم

(فَصْلٌ)

وَأَمَّا النِّفَاقُ : فَالِدَاءُ الْعُضَا ، وَالْبَاطِنُ الَّذِي يَكُونُ الرَّجُلُ مُمْتَلِئًا مِنْهُ ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ . فَإِنَّهُ أَمْرٌ خَفِيٌّ عَلَى النَّاسِ وَكَثِيرٌ مَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَلَبَّسَ بِهِ فَيَزَعُمُ أَنَّهُ مُصْلِحٌ وَهُوَ مُفْسِدٌ .

وَهُوَ نَوْعَانِ : أَكْبَرُ ، وَأَصْغَرُ . فَالْأَكْبَرُ : يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ فِي دَرْكِهَا الْأَسْفَلِ وَهُوَ أَنْ يُظَهَرَ لِلْمُسْلِمِينَ إِيمَانَهُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مُنْسَلِخٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مُكَذِّبٌ بِهِ . لَا يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ أَنْزَلَهُ عَلَى بَشَرٍ جَعَلَهُ رَسُولًا لِلنَّاسِ ، يَهْدِيهِمْ بِإِذْنِهِ ، وَيُنذِرُهُمْ بِأَسْئِهِ ، وَيُخَوِّفُهُمْ عِقَابَهُ .

وَقَدْ هَتَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَسْتَارَ الْمُنَافِقِينَ وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ فِي الْقُرْآنِ ، وَجَلَّى لِعِبَادِهِ أُمُورَهُمْ لِيَكُونُوا مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا عَلَى حَذَرٍ ، وَذَكَرَ طَوَائِفَ الْعَالَمِ الثَّلَاثَةِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ : الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْكَفَّارَ ، وَالْمُنَافِقِينَ ، فَذَكَرَ فِي الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعَ آيَاتٍ ، وَفِي الْكَفَّارِ آيَتَيْنِ ، وَفِي الْمُنَافِقِينَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ آيَةً لِكَثْرَتِهِمْ وَعُمُومِ الْإِبْتِلَاءِ بِهِمْ ، وَشِدَّةِ فِتْنَتِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، فَإِنَّ بَلِيَّةَ الْإِسْلَامِ بِهِمْ شَدِيدَةٌ جِدًّا ، لِأَنَّهُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَيْهِ ، وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَمُؤَالَاتِهِ ، وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ فِي الْحَقِيقَةِ ، يُخْرِجُونَ عِدَاوَتَهُ فِي كُلِّ قَالِبٍ ، يَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنَّهُ عَلِمَ وَإِصْلَاحٌ وَهُوَ عَايَةُ الْجُهْلِ وَالْإِفْسَادِ .

فَلِلَّهِ كَمٍ مِنْ مَعْقِلٍ لِلْإِسْلَامِ قَدْ هَدَمُوهُ؟! وَكَمٍ مِنْ حِصْنٍ لَهُ قَدْ قَلَعُوا أَسَاسَهُ وَخَرَّبُوهُ؟! وَكَمٍ مِنْ عِلْمٍ لَهُ قَدْ طَمَسُوهُ؟! وَكَمٍ مِنْ لُؤَاءٍ لَهُ مَرْفُوعٌ قَدْ وَضَعُوهُ؟! وَكَمٍ ضَرَبُوا بِمَعَاوِلِ الشَّبِيهِ فِي أَصُولِ غِرَاسِهِ لِيَقْلَعُوهَا؟! وَكَمٍ عَمَّوا عُيُونَ مَوَارِدِهِ بِأَرَائِهِمْ لِيَدْفِنُوهَا وَيَقْطَعُوهَا؟! فَلَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ وَلَا يَزَالُ يَطْرُقُهُ مِنْ شَبِيهِهِمْ سَرِيَّةٌ بَعْدَ سَرِيَّةٍ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ مُصْلِحُونَ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ .

اتَّقُوا عَلَى مُفَارَقَةِ الْوَحْيِ ، فَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْإِهْتِدَاءِ بِهِ مُجْتَمِعُونَ ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ ، ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ .

وَأَجَلِ ذَلِكَ ﴿ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ .

دَرَسَتْ مَعَالِمُ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ فَلَيْسُوا يَعْرِفُونَهَا ، وَدَثَّرَتْ مَعَاهِدُهُ عِنْدَهُمْ فَلَيْسُوا يَعْمُرُونَهَا ، وَأَفَلَتْ كَوَاكِبُهُ النَّيِّرَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ فَلَيْسُوا يُحْيَوْنَهَا ،

وَكَسَفَتْ شَمْسُهُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ ظُلْمِ آرَائِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ فَلْيَسُوا يُبْصِرُونَهَا ، لَمْ يَقْبَلُوا هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ . وَلَمْ يَرْفَعُوا بِهِ رَأْسًا ، وَلَمْ يَرَوْا بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ إِلَى آرَائِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ بِأَسَا ، خَالَعُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ عَنِ سُلْطَنَةِ الْحَقِيقَةِ ، وَعَزَلُوهَا عَنِ وِلَايَةِ الْيَقِينِ وَشَتُّوا عَلَيْهَا غَارَاتِ التَّأْوِيلَاتِ الْبَاطِلَةِ ، فَلَا يَزَالُ يُخْرَجُ عَلَيْهَا مِنْهُمْ كَمِينٌ بَعْدَ كَمِينٍ ، نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ نُزُولَ الضَّيْفِ عَلَى أَقْوَامٍ لِيَامٍ ، فَقَابَلُوهَا بِغَيْرِ مَا يَنْبَغِي لَهَا مِنَ الْقَبُولِ وَالْإِكْرَامِ ، وَتَلَقَّوهَا مِنْ بَعِيدٍ ، وَلَكِنْ بِالذَّفْعِ فِي الصُّدُورِ مِنْهَا وَالْأَعْجَازِ ، وَقَالُوا : مَا لِكَ عِنْدَنَا مِنْ عُبُورٍ - وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ - فَعَلَى سَبِيلِ الْاجْتِيَازِ ، أَعَدُّوا لِدَفْعِهَا أَصْنَافَ الْعُدَدِ وَضُرُوبَ الْقَوَانِينِ ، وَقَالُوا - لَمَّا حَلَّتْ بِسَاحَتِهِمْ - مَا لَنَا وَلِظَوَاهِرِ لَفْظِيَّةٍ لَا تُفِيدُنَا شَيْئًا مِنَ الْيَقِينِ ، وَعَوَامُّهُمْ قَالُوا : حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ خَلْفَنَا مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ ، فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ بِهَا مِنَ السَّلْفِ الْمَاضِينَ ، وَأَقْوَمُ بِطَرَائِقِ الْحُجَجِ وَالْبُرَاهِينِ ، وَأَوْلَيْكَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ السَّنْدَاجَةُ وَسَلَامَةُ الصُّدُورِ وَلَمْ يَتَفَرَّعُوا لِتَمْهِيدِ قَوَاعِدِ النَّظَرِ ، وَلَكِنْ صَرَفُوا هَمَّهُمْ إِلَى فِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ ، فَطَرِيقَةُ الْمُتَأَخِّرِينَ : أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ ، وَطَرِيقَةُ السَّلْفِ الْمَاضِينَ : أَجْهَلُ ، لَكِنَّهَا أَسْلَمُ .

أَنْزَلُوا نُصُوصَ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ مَنزِلَةَ الْخَلِيفَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، اسْمُهُ عَلَى السُّكَّةِ وَفِي الْخُطْبَةِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ مَرْفُوعٌ ، وَالْحُكْمُ النَّافِذُ لِغَيْرِهِ ، فَحُكْمُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ وَلَا مَسْمُوعٍ ، لَبَسُوا ثِيَابَ أَهْلِ الْإِيمَانِ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْحُسْرَانِ ، وَالْغُلِّ وَالْكَفْرَانِ ، فَالظُّوَاهِرُ ظَوَاهِرُ الْأَنْصَارِ ، وَالْبَوَاطِنُ قَدْ تَحَيَّرَتْ إِلَى الْكُفَّارِ ، فَالْسُّنَّةُ الْمُسَالِمِينَ ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْمُحَارِبِينَ ، وَيَقُولُونَ :

﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

رَأْسُ مَا لَهُمُ الْحَدِيثُ وَالْمَكْرُ ، وَبِضَاعَتُهُمُ الْكَذِبُ وَالْحَتْرُ ، وَعِنْدَهُمُ الْعَقْلُ الْمَعِيشِي : أَنَّ
الْفَرِيقَيْنِ عَنْهُمْ رَاضُونَ ، وَهُمْ بَيْنَهُمْ آمِنُونَ ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

قَدْ أَنْهَكَتْ أَمْرَاضُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ قُلُوبَهُمْ فَأَهْلَكَتْهَا وَعَلَبَتْ الْقُصُورَ السَّيِّئَةَ عَلَى
إِرَادَاتِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ فَأَفْسَدَتْهَا ، فَفَسَادُهُمْ قَدْ تَرَامَى إِلَى الْهَلَاكِ ، فَعَجَزَ عَنْهُ الْأَطِبَّاءُ الْعَارِفُونَ ﴿
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ .

مَنْ عَلَقَتْ مَخَالِبُ شُكُوكِهِمْ بِأَدِيمِ إِيْمَانِهِ مَرَّقَتْهُ كُلُّ مَمْزِيقٍ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَرُّ فِتْنَتِهِمْ بِقَلْبِهِ أَلْقَاهُ
فِي عَذَابِ الْحَرِيقِ ، وَمَنْ دَخَلَتْ شُبُهَاتٌ تَلْبِيسِيهِمْ فِي مَسَامِعِهِ حَالَتْ بَيْنَ قَلْبِهِ وَبَيْنَ التَّصَدِيقِ ،
فَفَسَادُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ .

الْمُتَمَسِّكُ عِنْدَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ صَاحِبُ ظَوَاهِرٍ ، مَبْخُوسٌ حَظٌّ مِنَ الْمَعْقُولِ ، وَالذَّائِرُ
مَعَ النُّصُوصِ عِنْدَهُمْ كَحِمَارٍ يَحْمِلُ أَسْفَارًا فَهْمُهُ فِي حَمْلِ الْمَنْقُولِ وَبِضَاعَةُ تَاجِرِ الْوَحْيِ لَدَيْهِمْ
كَاسِدَةٌ ، وَمَا هُوَ عِنْدَهُمْ بِمَقْبُولٍ ، وَأَهْلُ الْأَتْبَاعِ عِنْدَهُمْ سُفَهَاءُ فَهْمٌ فِي خَلَوَاتِهِمْ وَبِحَالِيسِهِمْ بِهِمْ
يَتَطَيَّرُونَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ . قَالَ الشَّاعِرُ : (رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلَّتْ) .

لِكُلِّ مِنْهُمْ وَجْهَانِ : وَجْهُ يَلْقَى بِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَجْهُ يَنْقَلِبُ بِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُلْحِدِينَ ،
وَلَهُ لِسَانَانِ : أَحَدُهُمَا يَقْلِبُهُ بِظَاهِرِ الْمُسْلِمِينَ وَالْآخَرَ يترجمُ بِهِ عَنْ سِرِّهِ الْمَكْنُونِ ﴿ وَإِذَا لَقُوا
الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اسْتِهْزَاءً بِأَهْلِهِمَا وَاسْتِحْقَارًا ، وَأَبَوْا أَنْ يَنْقَادُوا لِحُكْمِ
الْوَحْيَيْنِ فَرَحًا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ إِلَّا سِرًّا وَاسْتِكْبَارًا فَتَرَاهُمْ أَبَدًا
بِالْمُتَمَسِّكِينَ بِصَرِيحِ الْوَحْيِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ .

خَرَجُوا فِي طَلَبِ التَّجَارَةِ الْبَائِرَةِ فِي بَحَارِ الظُّلُمَاتِ ، فَرَكِبُوا مَرَاقِبَ الشُّبُهَةِ وَالشُّكُوكِ تَجْرِي بِهِمْ
فِي مَوْجِ الْحَيَالَاتِ ، فَلَعِبَتْ بِسُفُنِهِمُ الرِّيحُ الْعَاصِيفُ ؛ فَأَلْقَتْهَا بَيْنَ سُنَنِ الْهَالِكِينَ ﴿أُولَئِكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رِيحَتْ بُحَارُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ .

أَضَاءَتْ لَهُمْ نَارُ الْإِيمَانِ فَأَبْصَرُوا فِي ضَوْئِهَا مَوَاقِعَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ ثُمَّ طَفِعَ ذَلِكَ النُّورُ ،
وَبَقِيَتْ نَارًا تَتَأَجَّجُ ذَاتَ هَبٍّ وَاشْتِعَالٍ ، فَهُمْ بِتِلْكَ النَّارِ مُعَذَّبُونَ ، وَفِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ
يَعْمَهُونَ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي
ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ .

أَسْمَاعُ قُلُوبِهِمْ قَدْ أَثْقَلَهَا الْوَقْرُ ، فَهِيَ لَا تَسْمَعُ مُنَادِيَ الْإِيمَانِ ، وَعُيُونُ بَصَائِرِهِمْ عَلَيْهَا
غَشَاوَةٌ الْعَمَى ، فَهِيَ لَا تُبْصِرُ حَقَائِقَ الْقُرْآنِ ، وَاللَّسْتُهُمْ بِهَا خَرَسٌ عَنِ الْحَقِّ ، فَهُمْ بِهِ لَا
يَنْطِقُونَ ﴿صُمُّ بُكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ .

صَابَ عَلَيْهِمْ صَيْبُ الْوَحْيِ ، وَفِيهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ ، فَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ إِلَّا رَعْدَ
التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ وَالتَّكْلِيفِ الَّتِي وُظِّفَتْ عَلَيْهِمْ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ ، فَجَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي
أَذَانِهِمْ ، وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ ، وَحَدُّوا فِي الْهَرَبِ ، وَالطَّلَبِ فِي آثَارِهِمْ وَالصِّيَاحِ ، فَنُودِيَ عَلَيْهِمْ
عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَكُشِفَتْ حَالُهُمْ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ ، وَضُرِبَ لَهُمْ مَثَلَانِ بِحَسَبِ حَالِ

الطَائِفَتَيْنِ مِنْهُمُ : الْمُنَاطِرِينَ ، وَالْمُعَلِّدِينَ ، فَقِيلَ : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ
 وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ .
 ضَعُفَتْ أَبْصَارُ بَصَائِرِهِمْ عَنِ احْتِمَالِ مَا فِي الصَّيْبِ مِنْ بَرُوقِ أَنْوَارِهِ وَضِيَاءِ مَعَانِيهِ ،
 وَعَجَزَتْ أَسْمَاعُهُمْ عَنِ تَلْقَى رُغُودِ وَعُودِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ، فَقَامُوا عِنْدَ ذَلِكَ حَيَارَى فِي أُوْدِيَةِ
 التِّيهِ ، لَا يَنْتَفِعُ بِسَمْعِهِ السَّامِعُ ، وَلَا يَهْتَدِي بِبَصَرِهِ الْبَصِيرُ ﴿ كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْئُورٌ فِيهِ وَإِذَا
 أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ سَاءَ لَدَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فصل

لَهُمْ عِلْمَاتٌ يُعْرِفُونَ بِهَا مُبَيَّنَةٌ فِي السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ ، بَادِيَةٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا مِنْ أَهْلِ بَصَائِرِ الْإِيمَانِ
 ، قَامَ بِهِمْ - وَاللَّهُ - الرِّيَاءُ ، وَهُوَ أَفْبَحُ مَقَامٍ قَامَهُ الْإِنْسَانُ ، وَقَعَدَ بِهِمُ الْكَسَلُ عَمَّا أُمِرُوا بِهِ مِنْ
 أَوْامِرِ الرَّحْمَنِ ، فَأَصْبَحَ الْإِخْلَاصُ عَلَيْهِمْ لِذَلِكَ ثَقِيلاً ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى
 يُرَأُّوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ .

أَحَدُهُمْ كَالشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمِينَ ، تَبْعُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَلَا تَسْتَقِرُّ مَعَ إِحْدَى
 الْفِئَتَيْنِ ، فَهَمْ وَاقْفُونَ بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ ، يَنْظُرُونَ أَيُّهُمُ أَقْوَى وَأَعَزُّ قَبِيلاً ﴿ مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا
 إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ .

يَتَرَبَّصُونَ الدَّوَائِرَ بِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ . فَإِنْ كَانَ لَهُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا : أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ؟
 وَأَقْسَمُوا عَلَى ذَلِكَ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ لِأَعْدَاءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ النُّصْرَةِ نَصِيبٌ ،
 قَالُوا : أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ عَهْدَ الْإِخَاءِ بَيْنَنَا مُحْكَمٌ ، وَأَنَّ النَّسَبَ بَيْنَنَا قَرِيبٌ ؟ فَيَا مَنْ يُرِيدُ مَعْرِفَتَهُمْ
 ، خُذْ صِفَاتِهِمْ

مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَلَا تَحْتَاجُ بَعْدَهُ دَلِيلًا : ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ .
يُعْجِبُ السَّامِعَ قَوْلَ أَحَدِهِمْ لِحِلَاوَتِهِ وَلِيْنِهِ ، وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ كَذِبِهِ وَمَيْنِهِ ، فَتَرَاهُ عِنْدَ الْحَقِّ نَائِمًا ، وَفِي الْبَاطِلِ عَلَى الْأَقْدَامِ فَحُذْ وَصَفَهُمْ مِنْ قَوْلِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ .

أَوَامِرُهُمُ الَّتِي يَأْمُرُونَ بِهَا أَتْبَاعَهُمْ مُتَضَمِّنَةٌ لِفَسَادِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ، وَنَوَاهِيهِمْ عَمَّا فِيهِ صَلَاحُهُمْ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ ، وَأَحَدُهُمْ تَلْقَاهُ بَيْنَ جَمَاعَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَالرُّهْدِ وَالْاجْتِهَادِ ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ .

فَهُمْ جِنْسٌ بَعْضُهُ يُشْبِهُ بَعْضًا ، يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ بَعْدَ أَنْ يَفْعَلُوهُ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ بَعْدَ أَنْ يَنْتَرِكُوهُ ، وَيَبْخُلُونَ بِالْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ أَنْ يُنْفِقُوهُ ، كَمَا ذَكَرَهُمُ اللَّهُ بِنِعْمِهِ فَأَعْرَضُوا عَنْ ذِكْرِهِ وَنَسُوهُ ؟ وَكَمْ كَشَفَ حَالَهُمْ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَجْتَنِبُوهُ ؟ فَاسْمَعُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

إِنْ حَاكَمْتَهُمْ إِلَى صَرِيحِ الْوَحْيِ وَجَدْتَهُمْ عَنْهُ نَافِرِينَ ، وَإِنْ دَعَوْتَهُمْ إِلَى حُكْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتَهُمْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ فَلَوْ شَهِدْتَ حَقَائِقَهُمْ لَرَأَيْتَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْهُدَى أَمَدًا بَعِيدًا ، وَرَأَيْتَهَا مُعْرِضَةً عَنِ

الْوَحْيِ إِعْرَاضًا شَدِيدًا ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ .

فَكَيْفَ لَهُمْ بِالْفَلَاحِ وَالْهُدَىٰ ! بَعْدَ مَا أُصِيبُوا فِي عُقُوبِهِمْ وَأَذْيَانِهِمْ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّخَلُّصُ مِنَ الضَّلَالِ وَالرَّدَىٰ ؟ وَقَدْ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِإِيمَانِهِمْ ؟ فَمَا أَخْسَرَ تِجَارَتَهُمُ الْبَائِثَةَ ! وَقَدْ اسْتَبَدُّوا بِالرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ حَرِيقًا ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ .

نَشَبَ زُقُومُ الشُّبُهَةِ وَالشُّكُوكِ فِي قُلُوبِهِمْ . فَلَا يُجِيدُونَ لَهُ مَسِيغًا ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعِظُهُمْ وَقُلَّ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ .

تَبَّأَ لَهُمْ ، مَا أَبْعَدَهُمْ عَنِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ ! وَمَا أَكْذَبَ دَعْوَاهُمْ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعُرْفَانِ ، فَالْقَوْمُ فِي شَأْنٍ وَإِتْبَاعِ الرَّسُولِ فِي شَأْنٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

فَصْلٌ

لَقَدْ أَفْسَمَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِي كِتَابِهِ بِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ قَسَمًا عَظِيمًا يَعْرِفُ مَضْمُونَهُ أَوْلُوا الْبَصَائِرِ ، فَعُلُوبُهُمْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ إِجْلَالًا لَهُ وَتَعْظِيمًا ، فَقَالَ تَعَالَى تَحْذِيرًا لِأَوْلِيَائِهِ وَتَنْبِيْهًُا عَلَى حَالِ هَؤُلَاءِ وَتَفْهِيمًا : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

تَسْبِقُ يَمِينُ أَحَدِهِمْ كَلَامَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْتَرِضَ عَلَيْهِ ، لِعِلْمِهِ أَنَّ قُلُوبَ أَهْلِ الْإِيمَانِ لَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ، فَيَتَبَرَّأَ يَمِينِهِ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ وَكَشَفَ مَا لَدَيْهِ ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الرِّيْبَةِ يَكْذِبُونَ ، وَيَخْلِفُونَ لِيَحْسَبَ السَّمِيعُ أَنَّهُمْ صَادِقُونَ قَدْ ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

قَالَ الشَّاعِرُ :

أَمْسَى النَّفَاقُ دُرُوعًا يَسْتَجِنُّ بِهَا عَنِ الْأَذَى وَيُقَوِّي سَرْدَهَا الْحَلْفُ

تَبَّ لَهُمْ بَرَزُوا إِلَى الْبَيْدَاءِ مَعَ رَكْبِ الْإِيمَانِ ، فَلَمَّا رَأَوْا طُولَ الطَّرِيقِ وَبُعْدَ الشُّقَّةِ نَكَّصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَرَجَعُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَتَمَتَّعُونَ بِطَيِّبِ الْعَيْشِ وَلَذَّةِ الْمَنَامِ فِي دِيَارِهِمْ ، فَمَا مَتَّعُوا بِهِ وَلَا بِتِلْكَ الْمُهْجَعَةِ انْتَفَعُوا ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ صَاحَ بِهِمُ الصَّائِحُ فَقَامُوا عَنْ مَوَائِدِ أَطْعِمَتِهِمْ وَالْقَوْمِ جِيَاعٌ مَا شَبِعُوا ، فَكَيْفَ حَالُهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ ؟ وَقَدْ عَرَفُوا ثُمَّ أَنْكَرُوا ، وَعَمُوا بَعْدَ مَا عَايَنُوا الْحَقَّ وَأَبْصَرُوا ❀ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ❀ .

أَحْسَنُ النَّاسِ أَحْسَمًا وَأَخْلَبُهُمْ لِسَانًا وَالْأَطْفَهُمْ بَيَانًا وَأَخْبَثُهُمْ قُلُوبًا وَأَضْعَفُهُمْ جَنَانًا ، فَهُمْ كَالْحَشَبِ الْمُسْنَدَةِ الَّتِي لَا ثَمَرَ لَهَا ، قَدْ فُيَعَتْ مِنْ مَعَارِسِهَا فَتَسَانَدَتْ إِلَى حَائِطٍ يُقِيمُهَا لِئَلَّا يَطَّأَهَا السَّالِكُونَ ❀ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَحْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ فَإِنَّهُمْ اللَّهُ أَلَى يُؤْفَكُونَ ❀ !

يُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا الْأَوَّلِ إِلَى شَرْقِ الْمَوْتَى ، فَالضُّبْحُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَالْعَصْرُ عِنْدَ الْغُرُوبِ ، وَيَنْفُرُونَهَا نَفْرَ الْغُرَابِ ، إِذْ هِيَ صَلَاةُ الْأَبْدَانِ لَا صَلَاةُ الْقُلُوبِ ، وَيَلْتَفِتُونَ فِيهَا التَّفَاتَةَ التَّغَلَبِ ، إِذْ يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ مَطْرُودٌ مَطْلُوبٌ ، وَلَا يَشْهَدُونَ الْجَمَاعَةَ ، بَلْ إِنْ صَلَّى أَحَدُهُمْ فِي الْبَيْتِ أَوْ الدُّكَّانِ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا ائْتَمَنَ خَانَ ، هَذِهِ مُعَامَلَتُهُمْ لِلْخَلْقِ ، وَتِلْكَ مُعَامَلَتُهُمْ لِلْخَالِقِ ، فَخُذْ وَصْفَهُمْ مِنْ أَوَّلِ (الْمُطَفِّينَ) وَآخِرِ (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ)

فَلَا يُنَبِّئُكَ عَنْ أَوْصَافِهِمْ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ المَصِيرُ ﴿١٠٥﴾ .

فَمَا أَكْثَرَهُمْ ! وَهُمْ الْأَقْلُونَ ، وَمَا أَجْبَرَهُمْ ! وَهُمْ الْأَذْلُونَ ، وَمَا أَجْهَلُهُمْ ! وَهُمْ الْمُتَعَالِمُونَ ، وَمَا أَعْرَهُم بِاللَّهِ ! إِذْ هُمْ بِعِظَمَتِهِ جَاهِلُونَ ﴿١٠٦﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ ، وَمَا هُمْ مِنْكُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿١٠٧﴾ .

إِنْ أَصَابَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَافِيَةٌ وَنَصْرٌ وَظُهُورٌ سَاءَهُمْ ذَلِكَ وَعَمَّهُمْ وَإِنْ أَصَابَهُمْ آيِتَاءٌ مِنَ اللَّهِ وَامْتِحَانٌ يُمَحِّصُ بِهِ ذُنُوبَهُمْ وَيُكْفِّرُ بِهِ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ أَفْرَحَهُمْ بِذَلِكَ وَسَرَّهُمْ وَهَذَا يُحَقِّقُ إِزْتِهَامَهُمْ وَإِرْتِثَ مَنْ عَدَاهُمْ ، وَلَا يَسْتَوِي مَنْ مَوْرُوثُهُ الرَّسُولُ وَمَنْ مَوْرُوثُهُمُ الْمُنَافِقُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُوْهُمُ ، وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ ، وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ * قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ، هُوَ مَوْلَانَا ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ السَّلَفِينَ الْمُخْتَلِفِينَ ، وَالْحَقُّ لَا يَنْدَفِعُ بِمَكَابِرَةِ أَهْلِ الزِّنْعِ وَالتَّخْلِيطِ : ﴿١١٠﴾ إِنْ تَمَسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوْهُمُ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِبرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١١١﴾ .

كَرِهَ اللَّهُ طَاعَاتِهِمْ لِحُبِّ قُلُوبِهِمْ وَفَسَادِ نِيَّاتِهِمْ ، فَتَبَّطَهُمْ عَنْهَا وَأَقْعَدَهُمْ ، وَأَبْعَضَ قُرْبَهُمْ مِنْهُ وَجَوَّازَهُ ، لِمَيْلِهِمْ إِلَى أَعْدَائِهِ ، فَطَرَدَهُمْ عَنْهُ وَأَبْعَدَهُمْ ، وَأَعْرَضُوا عَنْ وَحْيِهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ ، وَأَشْقَاهُمْ وَمَا أَسْعَدَهُمْ ، وَحَكَمَ عَلَيْهِمْ بِحُكْمِ عَدْلِ لَا مَطْمَعَ لَهُمْ فِي الْفَلَاحِ بَعْدَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مِنَ التَّائِبِينَ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿١١٢﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَتَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١١٣﴾ . ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَتَهُ فِي تَشْيِيطِهِمْ

وَإِقْعَادِهِمْ ، وَطَرْدِهِمْ عَنْ بَابِهِ وَإِبْعَادِهِمْ ، وَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ لُطْفِهِ بِأَوْلِيَائِهِ وَإِسْعَادِهِمْ ، فَقَالَ وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا حِجَالَكُمْ بَيْنُنَاكُمْ أَلَقْنَاهُمْ سِنِينَ وَيَوْمَ نَسْفَعُ بِالنِّفَالِ الْفَالِقِينَ ﴾ .

ثَقُلْتُ عَلَيْهِمُ النَّصُوصُ فَكَرِهُوا ، وَأَعْيَاهُمْ حَمْلُهَا فَأَلْفُوها عَنْ أَكْتَفِيهِمْ وَوَضَعُوا ، وَتَقَلَّتْ مِنْهُمْ السُّنُنُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَأَهْمَلُوهَا ، وَصَالَتْ عَلَيْهِمُ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَوَضَعُوا لَهَا قَوَانِينَ رَدُّوهَا بِهَا وَدَفَعُوا ، وَلَقَدْ هَتَكَ اللَّهُ أَسْتَارَهُمْ ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ ، وَضَرَبَ لِعِبَادِهِ أَمْثَالَهُمْ ، وَاعْلَمَ أَنَّهُ كُلَّمَا انْقَرَضَ مِنْهُمْ طَوَائِفُ خَلْفِهِمْ أَمْثَالُهُمْ ، فَذَكَرَ أَوْصَافِهِمْ لِأَوْلِيَائِهِ لِيَكُونُوا مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ ، وَبَيْنَهَا لَهُمْ فَقَالَ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) .

فصل : هَذَا شَأْنٌ مَنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ النَّصُوصُ ، فَرَأَاهَا حَائِلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَدْعَتِهِ وَهَوَاهُ ، فَهِيَ فِي وَجْهِهِ . كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ ، فَبَاعَهَا بِمَحْصَلٍ مِنَ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ ، وَاسْتَبَدَّلَ مِنْهَا بِالْفُصُوصِ فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ أَنْ أَفْسَدَ عَلَيْهِمْ إِعْلَانُهُمْ وَإِسْرَارَهُمْ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

أَسْرُوا سَرَائِرَ النَّفَاقِ ، فَأَظْهَرَهَا اللَّهُ عَلَى صَفْحَاتِ الْوُجُوهِ مِنْهُمْ وَفَلَتَاتِ اللِّسَانِ ، وَوَسَمَّهِمْ لِأَجْلِهَا بِسِيمَاءٍ لَا يَخْفُونَ بِهَا عَلَى أَهْلِ الْبَصَائِرِ وَالْإِيمَانِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِذْ كَتَمُوا كُفْرَهُمْ وَأَظْهَرُوا إِيمَانَهُمْ رَاجِعًا عَلَى الصِّيَارِفِ وَالنُّقَادِ ،

كَيْفَ؟ وَالتَّاقِدُ البَصِيرُ قَدْ كَشَفَهَا لَكُمْ ﴿﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَלَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿﴾ .

فَكَيْفَ إِذَا جُمِعُوا لِيَوْمِ التَّلَاقِ ، وَتَجَلَّى اللَّهُ - جَلَّ جلاله - لِلْعِبَادِ وَقَدْ كَشَفَ عَنْ سَاقِي؟ وَدُعُوا إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿﴾ .

أَمْ كَيْفَ بِهِمْ إِذَا حُشِرُوا إِلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ؟ وَهُوَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ ، وَأَحَدٌ مِنَ الحُطَامِ ، وَهُوَ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، مُظْلِمٌ ، لَا يَقْطَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِنُورٍ يُبْصِرُ بِهِ مَوَاطِئَ الأَقْدَامِ ، فَفُتِّمَتْ بَيْنَ النَّاسِ الأَنْوَارُ ، وَهُمْ عَلَى قَدَرٍ تَفَاوُتْهَا فِي المُرُورِ وَالدَّهَابِ ، وَأَعْطُوا نُورًا ظَاهِرًا مَعَ أَهْلِ الإسلامِ ، كَمَا كَانُوا بَيْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّائِرَةِ يَأْتُونَ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَالحِجِّ وَالصِّيَامِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا الجِسْرَ عَصَفَتْ عَلَى أَنْوَارِهِمْ أَهْوِيَةُ النَّفَاقِ . فَأَطْفَأَتْ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ المَصَابِيحِ فَوَقَفُوا حَيَارَى لَا يَسْتَطِيعُونَ المُرُورَ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الإِيمَانِ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، وَلَكِنْ قَدْ حِيلَ بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ المَفَاتِيحِ ، بَاطِنُهُ - الَّذِي يَلِي المُؤْمِنِينَ فِيهِ الرَّحْمَةُ - ، وَمَا يَلِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِمُ العَذَابِ وَالنَّعْمَةُ ، يُنَادُونَ مِنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنْ وَفْدِ الإِيمَانِ ، وَمَشَاعِلِ الرِّكَبِ تَلُوحٌ عَلَى بُعْدِ كَالنُّجُومِ تَبْدُو لِناظِرِ الإِنْسَانِ ﴿﴾ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴿﴾ لِتَمَكَّنَ فِي هَذَا المَضِيقِ مِنَ العُبُورِ ، فَقَدْ طَفَشَتْ أَنْوَارُنَا ، وَلَا جَوَازَ اليَوْمِ إِلَّا بِمِصْبَاحِ مِنَ النُّورِ ﴿﴾ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴿﴾ حَيْثُ فُتِّمَتْ الأَنْوَارُ ، فَهَيْهَاتَ الوُقُوفُ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المِضْمَارِ ! كَيْفَ نَلْتَمِسُ الوُقُوفَ فِي هَذَا المَضِيقِ؟ فَهَلْ يَلُوي اليَوْمَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ؟ وَهَلْ يَلْتَمِسُ اليَوْمَ رَفِيقٌ إِلَى رَفِيقٍ؟ فَذَكِّرُوهُمْ

باجتماعهم معهم وصحبتهم لهم في هذه الدار ، كما يُذكرُ العريبُ صاحبَ الوطنِ بصحبته في الأسفارِ ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ﴾ ؟ نَصُومُ كَمَا تَصُومُونَ ، وَنُصَلِّي كَمَا تُصَلُّونَ ، وَنَقْرَأُ كَمَا تَقْرَأُونَ ، وَنَتَصَدَّقُ كَمَا تُصَدِّقُونَ ، وَنَحُجُّ كَمَا تُحُجُّونَ ؟ فَمَا الَّذِي فَزَقَ بَيْنَنَا الْيَوْمَ حَتَّى انْفَرَدْتُمْ دُونَنَا بِالْمُرُورِ ؟ ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾ وَلَكِنَّكُمْ كَانَتْ ظَوَاهِرُكُمْ مَعَنَا وَبَوَاطِنُكُمْ مَعَ كُلِّ مُلْجِدٍ ، وَكُلِّ ظُلُومٍ كَفُورٍ ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

لا تَسْتَطِيعُ أَوْصَافَ الْقَوْمِ ، فَالْمَتْرُوكُ - وَاللَّهُ - أَكْثَرُ مِنَ الْمَذْكُورِ كَادَ الْقُرْآنُ أَنْ يَكُونَ كُفْلَهُ فِي شَأْنِهِمْ ، لِكَثْرَتِهِمْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَفِي أَجْوَابِ الْقُبُورِ ، فَلَا خَلَتْ بِقَاعِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ لَعَلَّا يَسْتَوْحِشُ الْمُؤْمِنُونَ فِي الطَّرِيقَاتِ ، وَتَتَعَطَّلَ بِهِمْ أَسْبَابُ الْمَعَاشِ ، وَتَخَطَّفَهُمُ الْوُحُوشُ وَالسَّبَاعُ فِي الْفَلَوَاتِ ، سَمِعَ حَدِيثَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَهْلِكَ الْمُنَافِقِينَ ، فَقَالَ : (يَا ابْنَ أَحْيَى ، لَوْ هَلَكَ الْمُنَافِقُونَ لَأَسْتَوْحِشْتُمْ فِي طَرِيقَاتِكُمْ مِنْ قِلَّةِ السَّالِكِ) .

تَاللَّهِ لَقَدْ قَطَعَ خَوْفُ النِّفَاقِ قُلُوبَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ لَعَلِمَهُمْ بِدِقَّةِ وَجْهِهِ ، وَتَفَاصِيلِهِ وَجَمَلِهِ ، سَاءَتْ ظُنُونُهُمْ بِنُفُوسِهِمْ ، حَتَّى خَشُوا أَنْ يَكُونُوا مِنْ جُمْلَةِ الْمُنَافِقِينَ ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِحَدِيثِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (يَا حَدِيثَةَ ، نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ ، هَلْ سَمَّيْتِ لَكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَا أُزْكِ بِعَدِكَ أَحَدًا ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ : إِنَّ إِيْمَانَهُ كِإِيْمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ) . ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَذَكَرَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ (مَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ، وَمَا خَافَهُ إِلَّا)

(مُؤْمِنٌ) وَلَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ : أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ خُشُوعِ النَّفَاقِ ، قِيلَ : وَمَا خُشُوعِ النَّفَاقِ ؟ قَالَ : أَنْ يَرَى الْبَدَنُ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ) .

تَاللَّهِ لَقَدْ مَلِئْتُ قُلُوبَ الْقَوْمِ إِيمَانًا وَيَقِينًا ، وَخَوْفُهُمْ مِنَ النَّفَاقِ شَدِيدٌ وَهُمْهُمْ لِدَلِكِ ثَقِيلٌ ، وَسَوَاهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ ، وَهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّ إِيمَانَهُمْ كِإِيمَانِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ .

زَرَعُ النَّفَاقِ يَنْبُتُ عَلَى سَاقِيَتَيْنِ : سَاقِيَةُ الْكَذِبِ ، وَسَاقِيَةُ الرِّيَاءِ وَمَخْرَجُهُمَا مِنْ عَيْنَيْنِ : عَيْنِ ضَعْفِ الْبَصِيرَةِ ، وَعَيْنِ ضَعْفِ الْعَزِيمَةِ ، فَإِذَا تَمَّتْ هَذِهِ الْأَرْكَانُ الْأَرْبَعُ ، اسْتَحْكَمَ نَبَاتُ النَّفَاقِ وَبُنِيَائِهِ ، وَلَكِنَّهُ بِمَدَارِجِ السُّيُولِ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ ، فَإِذَا شَاهَدُوا سَيْلَ الْحَقَائِقِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرِ ، وَكُشِفَ الْمُسْتُورُ وَبُعِثَ مَا فِي الصُّدُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ تَبَيَّنَ حَيْثُ لِمَنْ كَانَتْ بِضَاعَتُهُ النَّفَاقُ ، أَنَّ حَوَاصِلَهُ الَّتِي حَصَلَهَا كَانَتْ كَالسَّرَابِ ﴿ يَخْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

قُلُوبُهُمْ عَنْ الْخَيْرَاتِ لَاهِيَةٌ ، وَأَجْسَادُهُمْ إِلَيْهَا سَاعِيَةٌ ، وَالْفَاحِشَةُ فِي فَجَاجِهِمْ فَاشِيَةٌ ، وَإِذَا سَمِعُوا الْحَقَّ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ سَمَاعِهِ قَاسِيَةً . وَإِذَا حَضَرُوا الْبَاطِلَ وَشَهِدُوا الرُّورَ ، انْفَتَحَتْ أَبْصَارُ قُلُوبِهِمْ ، وَكَانَتْ آذَانُهُمْ وَاعِيَةً .

فَهَذِهِ - وَاللَّهِ - أَمَارَاتُ النَّفَاقِ ، فَاحْذَرَهَا أَيُّهَا الرَّجُلُ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ بِكَ الْقَاضِيَةُ ، إِذَا عَاهَدُوا لَمْ يَفُوا ، وَإِنْ وَعَدُوا أَخْلَفُوا وَإِنْ قَالُوا لَمْ يُنصِفُوا ، وَإِنْ دُعُوا إِلَى الطَّاعَةِ وَقَفُوا ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ

صَدَقُوا ، وَإِذَا دَعَتْهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ إِلَىٰ أَغْرَاضِهِمْ أَسْرَعُوا إِلَيْهَا وَانصَرَفُوا فَذَرَهُمْ وَمَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْهَوَانِ ، وَالْحَزِي وَالْحُسْرَانِ ، فَلَا تَثِقُ بِعُهُودِهِمْ ، وَلَا تَطْمَئِنَّ إِلَىٰ وَعُودِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ فِيهَا كَاذِبُونَ ، وَهُمْ لِمَا سِوَاهَا مُخَالِفُونَ ﴿١٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَجُلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١١﴾ .

اللَّهُمَّ اٰمِنُنْ عَلَيْنَا بِاِصْلَاحِ عُيُوبِنَا وَسِتْرِ زَلَاتِنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

غزوة الأحزاب

وكانت قريش تستعد لهجوم جديد على المدينة لما كان النبي ﷺ مهتمًا في إخماد ثورات القبائل ، قبل أن يتطور أمرها فيصبح حربًا عوانًا عليه ، وتحالف يهود خيبر مع قريش ، وقد نجحوا في إثارة القبائل العربية القاطنة بضواحي مكة ، فانضمت إلى المناهضين للإسلام . وبذلك اتفق اليهود وقريش وسائر قبائل العرب على توجيه الضربة للإسلام ، فجمعوا جيشًا عدته عشرة آلاف مقاتل ، وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة . ونكثت القبائل اليهودية القاطنة في داخل المدينة عهدهما في اللحظة الأخيرة وانضمت إلى أعداء الإسلام ، فأصبح مركز المسلمين حربًا وبات أملهم في النجاة ضعيف .

ثم تَرَامَتِ الْأَنْبَاءُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِخَبَرِ هَذَا الْجَمْعِ الْحَاشِدِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مِثْلُ فِدْعَا أَصْحَابِهِ وَاسْتِشَارِهِمْ فِيمَا يَنْبَغِي عَمَلَهُ . لَقَدْ كَانَتْ الْمَدِينَةُ مَحْصَنَةً

من جهة تحصيناً طبيعياً بالصخور ، وكانت تحميها أسوار المنازل الحجرية من جهة أخرى ، وهذه الأسوار ممتدة فكانت حصناً متيناً بطبيعتها ، فلم يبق إلا جهة واحدة مفتوحة لهجوم العدو ، فاقترح سلمان الفارسي ، حفر خندق عميق في هذه الجهة ، فشرع في حفر الخندق فوراً وقسم المؤمنون إلى فرق ، تتكون كل فرقة من عشرة ، وعمل النبي ρ معهم فكان يضرب الأرض ويحمل التراب ويقول :

((اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشَ الْآخِرَةِ فَأَغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ)) .

فيردد المسلمون خلفه :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا

عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِيَْنَا أَبَدًا

شخصية كبيرة سيطرت على شعب عظيم روحياً وسياسياً ثم تقوم بما يقوم به الرجل العادي في ساعات الحرج ، عندما يتعرض الوطن للخطر ، إنه عمل فريد في التاريخ ، وإنما لناحية ممتازة في شخصية النبي ρ ، إنه ليبهر البصر بأعماله ، فما قام بعمل إلا أداه بطريقة مُشْرِفة ، وتواضع كريم نبيل ، كان أقرب الزعماء قرناً من الرجل العادي ، وكان أرفعهم مكانة ، وأعزهم نفراً .

بينما كانوا يحفرون الخندق صادفوا كُذْبِيَّةً شديدة استعصت عليهم فجاءوا النبي فقالوا : هذه كذبية عرضت في الخندق ، واستأذنوه في تغيير مجرى الخندق ، فقال : ((أنا نازل)) ، وتناول معوله ، وأخذ يضربها حتى صارت رملاً لا يتماسك وكان كلما ضربها ضربة تطايرت شرارة فيصوت النبي ρ : ((الله أكبر)) .

وقال : إنه رأى في الشرارة الأولى أنه أعطى مفاتيح سورية ، وأنه رأى في الشرارة الثانية أنه أعطى مفاتيح فارس ، وفي الشرارة الثالثة ، أنه أعطى مقاليد

اليمن ، وشرح لهم كيف شاهد قصور القياصرة ، وقصر كسرى وصنعاء ، وبشرهم بأنهم سيسيطرون على هذه الممالك جميعها .

فَيَا لَهَا مِنْ ظَاهِرَةٍ عَجِيبَةٍ ! يرى النبي ρ من خلال السحب القائمة وجيوش الأعداء تحيط به من كل جانب ، عازمة على إبادتهم ، مستقبلاً سعيداً عزيزاً للإسلام ! أليس هذا بعجيب ، فوق ما يتصور البشر ، ومن غير الله علام الغيوب ، يستطيع أن يكشف للنبي ρ عن المستقبل ، وما يدخره لهم من عزة وسلطان ، في مثل هذه اللحظة العسيرة ، التي يهدد الأعداء فيها الإسلام بالانقراض والدمار؟!!

كانت ساعة رهيبة ، تلك الساعة التي إنقضت فيها جموع الأحزاب على المدينة ، ارتجت المدينة ، وقد وصف في القرآن ما انتاب أهلها من قلق وفتنة : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ .

وعلى الرغم من مناظر الفزع والهلع ، فإن المسلمين كانوا مطمئنين إلى تحقيق ما وعدهم الله ورسوله ، وقد وصف القرآن شعورهم : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ .

وفطن المسلمون إلى أن هذه المحاولة هي محاولة يائسة لعدو متهالك ، على الرغم من البلايا التي حاقت بهم ، ونزلت بساحتهم ، وأحسوا أن هذه هي المحاولة الأخيرة ، وستختضد شوكة الأعداء بها إلى الأبد ، وأنها بداية عهد عز الإسلام ، ونشره وانتصاره .

احتاط المسلمون للأمر ، فقد كانوا يخشون خيانة اليهود أو هجوم العدو

المفاجئ ، فوضعوا نساءهم وأطفالهم في مكان أمين ، واستمر الحصار شهرًا ذاق المسلمون خلاله ألوان العذاب والحرمان .

وقد شاركهم النبي ﷺ في مصيرهم ، فجاعت بطونهم ، وكادوا يهلكون ، وعصبوا بطونهم بالحجارة ، ولكن روحهم المعنوية لم تهن ولم تتزعزع . ولو أن غطفان أخذت ثلث الثمار لما انضمت إلى الأعداء ، ولنقصت قوات الأعداء كثيرًا .

ولكن الأنصار رفضوا على الرغم من جوعهم الشديد الذي بلغ حد الهلاك ، فقد أبوا أن يقبلوا عملاً يعتبرونه مأسًا لكرامتهم ، فكيف يدفعون خراجًا لغطفان بعد أن شرفهم الله بالإسلام ، وما كانوا يدفعون له شيئًا أيام الجاهلية ، فليكن ما يكون ، وليذودوا عن أنفسهم حتى آخر رجل ، وإنهم لصابرون حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً .

كان اليهود والمنافقون ينتظرون هجوم الأعداء من الخارج ، ليثيروا الشغب في الداخل ، وابتدأت منازعات فردية داخلية ، انتصر فيها المسلمون ، وَقَتَلَ عَلِيٌّ بن أبي طالب عمرو بن عبد ود ، الذي كان يزعم أنه كفاء لمنازلة ألف رجل والانتصار عليهم ، وهجمت قريش بكل قواها ولكنها لم تستطع اجتياز الخندق .

ونزل على المسلمين وابل من السهام والحجارة ، ولولا ثباتهم الرائع الذي أمدهم الله به ، وإيمانهم العميق الذي ثبته الله ، لتمكنت قريش منهم . وأخيرًا جاء الفرج من السماء ، وجوزوا على ثباتهم خير جزاء ، فبعد أن أخفق جيش الأعداء العظيم في اقتحام الخندق ، وبعد أن قلت المتونة ، وسئمو الحصار ، أرسل الله عليهم ريحًا صرصرًا عاتية ، قلبت قدورهم ، واقتلعت خيامهم ، فوقع الاضطراب في صفوفهم .

وقد أشار القرآن إلى هذا : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ ونجحت ريح الله بإذن الله فيما عجزت عنه أسلحة المسلمين ، فلما رأت الأحزاب أن الطبيعة نفسها التي خلقها الله ودبرها وأجراها قد تألبت عليهم ، تطيروا ، فدب القنوط في قلوبهم ، وملئوا رعبًا . فقفلوا راجعين عن المدينة في نفس الليلة ، فلما لاح الصباح ، كان سرور المسلمين عظيمًا ، فقد رحل الأعداء جميعًا ، وما بقي منهم أحد ، فهل يتسرب إلى أحد أدنى شك في هذا النصر من عند الله ، وأن يد الله العليا هي التي حالت دون أن يتمكن هذا الجيش المتفوق تفوقًا ظاهرًا ، من أن ينال من تلك الفئة القليلة ويسحقها ، لقد تآمر المنافقون واليهود على الإسلام ، وانضموا إلى أعدائه ، ولكن الله نصره ، وهكذا انتهت أقوى حملة وجهت إلى الإسلام بالخبيثة والفشل والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

لشيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي رحمه الله

سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى

وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ

فَهُمُ الَّذِينَ قَدْ أَخْلَصُوا فِي مَشِيهِمْ

مُتَشَرِّعِينَ بِشَرْعَةِ الْإِيمَانِ

وَهُمُ الَّذِينَ بَنُوا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ

بَيْنَ الرَّجَا وَالْخَوْفِ لِلدِّيَانِ

وَهُمُ الَّذِينَ مَلَأُوا قُلُوبَهُمْ

بِوَدَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ

وَهُمْ الَّذِينَ قَدْ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ
 فِي السِّرِّ وَالْإِغْلَانِ وَالْأَخْيَانِ
 يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِكِ بِفِعْلِهِمْ
 طَاعَاتِهِ وَالتَّشْرِكِ لِلْعِصْيَانِ
 فَعَلُوا الْفَرَائِضَ وَالتَّنَوَّافِلَ دَابُّهُمْ
 مَعَ رُؤْيَا التَّقْصِيرِ وَالتَّقْصَانِ
 صَبَرُوا التُّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا
 شَوْقًا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ
 نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهَمُّوا بِهَا
 قَدْ أَصْبَحُوا فِي جُنَّةٍ وَأَمَانِ
 شَكَرُوا الَّذِي أَوْلَى الْخَلَائِقَ فَضْلَهُ
 بِالْقَلْبِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَرْكَانِ
 صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ
 مَعَ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ
 عَبَدُوا إِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ
 فَتَبَوَّءُوا فِي مَنْزِلِ الْإِحْسَانِ
 نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ
 بِالْعِلْمِ وَالْإِرْشَادِ وَالْإِحْسَانِ
 صَحِبُوا الْخَلَائِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا
 أَرْوَاهُمْ فِي مَنْزِلِ فَوْقَانِي

عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا
 قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ
 حَرَكَاتُهُمْ وَهُمْ وَمُهُمْ وَعَزُومُهُمْ
 اللَّهُ لَا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ
 نِعَمَ الرَّفِيقِ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي
 تَقْضِي إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِنَا
 وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْمُصْطَفِينَ الَّذِينَ أَوْرَثَهُمُ اللَّهُ الْكِتَابَ : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ
 وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ اشْتَرَكْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ فِي أَصْلِ الْإِيمَانِ وَفِي اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ
 الْخَلِيقَةِ وَفِي أَنَّهُ مَنْ عَلَيْهِمُ بِالْكِتَابِ وَفِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَافْتَرَقُوا فِي تَكْمِيلِ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ وَفِي
 مَقْدَارِ الْأَصْطِفَاءِ مِنَ اللَّهِ وَمِيرَاثِ الْكِتَابِ وَفِي مَنَازِلِ الْجَنَّةِ وَدَرَجَاتِهَا بِحَسَبِ أَوْصَافِهِمْ .
 أَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، وَتَرَكَ مِنْ وَاجِبَاتِ
 الْإِيمَانِ مَا لَا يُزُولُ مَعَهُ الْإِيمَانُ بِالْكُلِّيَّةِ وَهَذَا الْقِسْمُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ .
 أَحَدُهُمَا : مَنْ يَرِدُ الْقِيَامَةَ وَقَدْ كُفِّرَ عَنْهُ السَّيِّئَاتِ كُلُّهَا إِمَّا بِدُعَاءٍ أَوْ شَفَاعَةٍ أَوْ آثَارِ خَيْرِيَّةٍ
 يُتَنَفَّعُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَوْ عَذَابٍ فِي الْبَرْزَخِ بِقَدْرِ دُنُوبِهِ ، ثُمَّ زُفِعَ عَنْهُ الْعِقَابُ ، وَعَمِلَ الثَّوَابَ عَمَلَهُ
 . فَهَذَا مِنْ أَعْلَى هَذَا الْقِسْمِ وَهُوَ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ .

القِسْمُ الثَّانِي : مَنْ وَرَدَ الْقِيَامَةَ وَعَلَيْهِ سَيِّئَاتٌ فَهَذَا تُوزَنُ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ ثُمَّ هُمْ بَعْدَ هَذَا ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ : أَحَدُهَا مَنْ تَرْجَحُ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ . فَهَذَا لَا يَدْخُلُ النَّارَ بَلْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِحَسَنَاتِهِ وَهِيَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .

ثَانِيهَا : مَنْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ وَهِيَ مَوْضِعٌ مُرْتَفِعٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَكُونُونَ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ .

ثَالِثُهَا : مَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ فَهَذَا قَدْ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ إِلَّا أَنْ يَمْتَنِعَ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ مِنْ شَفَاعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ أَوْ شَفَاعَةِ أَحَدٍ مِنْ أَقَارِبِهِ أَوْ مَعَارِفِهِ مِمَّنْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ شَفَاعَةً لِعُلُوِّ مَقَامَاتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِمْ عَلَيْهِ ، أَوْ تُدْرِكُهُ رَحْمَةُ اللَّهِ الْمَحْضَةَ بِلَا وَسِطَةٍ وَإِلَّا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ دُخُولِ النَّارِ يُعَذَّبُ فِيهَا بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ .

ثُمَّ مَالَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا يَبْقَى فِي النَّارِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِنْ ثِقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلْفُ الْأُمَّةِ وَأَتَمَّتْهَا .

وَأَمَّا الْمُفْتَصِدُ فَهُوَ الَّذِي أَدَّى الْوَاجِبَاتِ وَتَرَكَ الْمُحَرَّمَاتِ وَلَمْ يُكَيِّزْ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ وَإِذَا صَدَرَ مِنْهُ بَعْضُ الْهَفَوَاتِ بَادَرَ إِلَى التَّوْبَةِ فَعَادَ إِلَى مَرْتَبَتِهِ فَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْيَمِينِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ فَهَؤُلَاءِ سَلِمُوا مِنْ عَذَابِ الْبَرَزِخِ وَعَذَابِ النَّارِ وَسَلَّمَ اللَّهُ لَهُمْ إِيمَانُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ فَأَدْخَلَهُمْ بِهَا الْجَنَّةَ كُلُّ عَلَى حَسَبِ مَرْتَبَتِهِ .

وَأَمَّا السَّابِقُ إِلَى الْخَيْرَاتِ فَهُوَ الَّذِي كَمَلَ مَرَاتِبَ الْإِسْلَامِ وَقَامَ بِمَرْتَبَةٍ

الإحسان فَعَبَدَ اللهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ ، وَبَدَلَ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ النَّفْعِ لِعِبَادِ اللهِ فَكَانَ قَلْبُهُ مَلَانًا مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ وَالتُّصْحِحِ لِعِبَادِ اللهِ فَأَدَّى الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ وَتَرَكَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَفُضُولَ الْمُبَاحَاتِ الْمُنْقِصَةَ لِذَرَجَتِهِ هَهُؤُلَاءِ هُمْ صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ ، وَهُمْ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ إِلَى اللهِ وَهُمْ أَهْلُ الْفَرْدُوسِ الْأَعْلَى فَإِنَّ اللهُ كَمَا أَنَّهُ رَحِيمٌ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ فَإِنَّهُ حَكِيمٌ يُنَزِّلُ الْأُمُورَ مَنَازِلَهَا وَيُعْطِي كُلَّ أَحَدٍ بِحَسَبِ حَالِهِ وَمَقَامِهِ فَكَمَا كَانُوا هُمْ السَّابِقِينَ فِي الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ كَانُوا فِي الْآخِرَةِ فِي أَعْلَى الْمَنَازِلِ وَكَمَا تَخَيَّرُوا مِنَ الْأَعْمَالِ أَحْسَنَهَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ أَحْسَنَهُ وَلِهَذَا كَانَتْ عَيْنُ التَّسْنِيمِ أَعْلَى أَشْرِبَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّتِي لَا نَقْصَ فِيهَا بِوَجْهِ مَنْ الْوُجُوهِ .

كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ وَهَكَذَا بَقِيَّةَ الْوَأَنِ وَأَصْنَافِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ هَهُؤُلَاءِ السَّابِقِينَ مِنْهُ أَعْلَاهُ وَأَكْمَلُهُ وَأَنْفُسُهُ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ دِينِي وَلَا نَقْصٌ وَلَا كَدْرٌ بِوَجْهِ مَنْ الْوُجُوهِ بَلْ كَانَ مَنْ تَنَعَّمَ بِأَيِّ نَعِيمٍ مِنْ نَعِيمِهَا لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ أَعْلَى مِنْهُ .

فَإِنَّ اللهُ أَعْطَاهُمْ وَأَرْضَاهُمْ وَخَيَّرَ هَهُؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ثُمَّ الصَّادِقِينَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا فَسُبْحَانَ مَنْ فَاءَتْ بَيْنَ عِبَادِهِ هَذَا التَّفَاوُتِ الْعَظِيمِ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . انْتَهَى .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِتَذَكِيرِكَ مُنْتَفِعِينَ وَلِكِتَابِكَ وَرَسُولِكَ مُتَّبِعِينَ وَعَلَى طَاعَتِكَ مُجْتَمِعِينَ وَتَوَفَّنَا يَا رَبَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا .

اللَّهُمَّ ارْحَمْ عِبَادًا غَرَّهْمُ طُولُ إِمْمَالِكَ وَأَطْمَعَهُمْ دَوَامُ إِفْضَالِكَ وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى كَرَمِ نَوَالِكَ وَتَيَقَّنُوا أَنَّ لَا غِنَى لَهُمْ عَنْ سُؤْلِكَ ، وَجُدْ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَهُمْ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة عمير بن سعد الأنصاري

وَمَا يَحْسُنُ سِيَّافُهُ وَيَحْلُو ذِكْرُهُ قِصَّةُ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ ، كَانَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ يَتِيمًا مَاتَ أَبُوهُ وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ مَالًا وَلَا مُعِيلاً لَكِنَّ أُمَّهُ لَمْ تَلْبَثْ إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً ثُمَّ تَزَوَّجَتْ بِالْجَلَّاسِ بْنِ سُؤَيْدٍ فَكَفَلَ ابْنَهَا عُمَيْرًا وَضَمَّهُ إِلَيْهِ .

وَقَدْ لَقِيَ عُمَيْرٌ مِنْ بَرِّ الْجَلَّاسِ وَرِعَايَتِهِ وَجَمِيلِ عَطْفِهِ بِهِ مَا جَعَلَهُ يَنْسَى أَنَّهُ يَتِيمٌ فَأَحَبَّ عُمَيْرُ الْجَلَّاسَ حُبَّ الْإِبْنِ لِأَبِيهِ وَكَذَلِكَ الْجَلَّاسُ وَلِعَ بِعُمَيْرٍ وَأَحَبَّهُ حُبَّ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ .

وَكَانَ كُلَّمَا شَبَّ عُمَيْرٌ أَزْدَادَ الْجَلَّاسِ لَهُ حُبًّا وَأَزْدَادَ بِهِ إِعْجَابًا لِمَا يَتَخَيَّلُ فِيهِ مِنْ أَمَارَاتِ الْفِطْنَةِ وَالنَّجَابَةِ الَّتِي تَبْدُو فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ وَتَبْدُو فِي شَمَائِلِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ .

وَقَدْ أَسْلَمَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ وَهُوَ صَغِيرٌ لَمْ يُجَاوِزِ الْعَاشِرَةَ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا قَلِيلًا فَوَجَدَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ الْعِزَّ مَكَانًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَ مِنْهُ وَأَلْفَى الْإِسْلَامُ فِي نَفْسِ عُمَيْرِ الصَّافِيَةِ ثُرْبَةً خَصْبَةً فَتَعَلَّلَ فِيهَا .

فَكَانَ عَلَى صِعْرِ سِنِّهِ لَا يَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ أُمُّهُ تُسَرُّ وَتَعْمُرُهَا الْفَرَحَةُ إِذَا رَأَتْهُ ذَاهِبًا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاجِعًا مِنْهُ .

وَسَارَتْ حَيَاتُهُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ هَانِئَةً هَادِئَةً وَادِعَةً لَا يُعَكِّرُ صَفْوَهَا مُعَكِّرٌ إِلَى أَنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَى عُمَيْرٍ حِجَّةً مِنْ أَشَدِّ الْمِحْنِ قَلَّمَا مَرَّتْ عَلَى فَتَى مِثْلِهِ فِي السَّنِّ .

فَفِي غَزْوَةِ تَبُوكَ لِمَا رَأَى بَذَلَ الْمُسْلِمِينَ أَمْوَالَهُمْ عِنْدَمَا حَتَّهْمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجِهَادِ وَأَمْرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَتَّهْمُ عَلَى النَّفَقَةِ وَرَغِبَ أَهْلُ الثَّرْوَةِ بِالْخَيْرِ وَحَتَّ الْمُسِيرِينَ عَلَى تَجْهِيزِ الْمُعْسِرِينَ ، وَأَبْصَرَ أَبَا بَكْرٍ يَجِيءُ بِمَا عِنْدَهُ ، وَعُمَرَ يَأْتِي بِنِصْفِ مَالِهِ ، وَعُثْمَانَ يَأْتِي بِجِرَابٍ فِيهِ أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبًا وَيُقَدِّمُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَحْمِلُ عَلَى عَاتِقِهِ مَائِيَّةً أَوْقِيَّةً مِنَ الذَّهَبِ وَيُلْقِيهَا بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَنِسَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَنْزِعْنَ حُلِيِّهِنَّ وَيُلْقِيهِنَّ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُجَهَّزَ بِثَمَنِهِ الْجَيْشُ الْعَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، بَلْ رَأَى رَجُلًا يَعْزُضُ فِرَاشَهُ لِلْبَيْعِ لِيَشْتَرِيَ بِثَمَنِهِ سَيْفًا يُجَاهِدُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

فَتَعَجَّبَ عُمَيْرٌ مِنْ تَأَخُّرِ الْجُلَاسِ وَتَبَاطُئِهِ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلرَّحِيلِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَأَخَّرِهِ عَنِ الْبَدَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قُدْرَتِهِ وَغِنَاهُ .

وَأَرَادَ عُمَيْرٌ أَنْ يَسْتَشِيرَ هَمَّةَ الْجُلَاسِ وَيَبْعَثَ الْحَمِيَّةَ وَالْمُرُوءَةَ فِي نَفْسِهِ فَشَرَعَ يُقْصُ عَلَى الْجُلَاسِ أَخْبَارَ مَا رَأَى وَمَا سَمِعَ وَخَاصَّةً الْبُكَائِينَ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَحْمِلَهُمْ وَاعْتَدَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مَا يَحْمِلُهُمْ فَتَوَلَّوْا وَأَعْيَنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزْنًا أَلَا يَجِدُوا مَا يُبَلِّغُهُمْ أَمْنِيَّتَهُمْ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

لَكِنَّ الْجُلَاسَ مَا كَادَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ عُمَيْرٍ مَا سَمِعَ حَتَّى تَكَلَّمَ

بِكَلِمَةٍ أَطَارَتْ عَقْلَ الْفَتَى عُمَيْرٍ مِنْ كِبَرِهَا إِذَا سَمِعَهُ يَقُولُ وَالْعِيَادُ بِهِ : (إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنَ النَّبُوءَةِ فَنَحْنُ شَرٌّ مِنْ الْحَمِيرِ) لَقَدْ انْدَهَشَ عُمَيْرٌ بِمَا سَمِعَ فَمَا كَانَ يَظُنُّ أَنَّ رَجُلًا عَاقِلًا كَبِيرَ السِّنِّ يَنْطِقُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الَّتِي تُخْرِجُ قَائِلَهَا عَنِ الْإِيمَانِ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَتُدْخِلُهُ فِي الْكُفْرِ .

ذَهَبَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ يُفَكِّرُ فِي تَجَاهِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ الْفُطَيْعَةِ الْمُوبِقَةِ فَرَأَى أَنَّ السُّكُوتَ عَنِ الْجُلَاسِ وَالسَّتْرَ عَلَيْهِ خِيَانَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِضْرَارًا بِالْإِسْلَامِ الَّذِي يَكِيدُ لَهُ الْمُنَافِقُونَ .

وَرَأَى أَنَّ فِي إِخْبَارِهِ فِيمَا سَمِعَ مِنَ الْجُلَاسِ عُقُوقًا بِالرَّجُلِ الَّذِي يُنْزِلُهُ مِنْ نَفْسِهِ مَنَزَلَةَ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ فَالْجُلَاسُ هُوَ الَّذِي كَفَلَهُ يَتِيمًا وَرَبَّاهُ وَعَوَّضَهُ عَنْ فَقْدِ أَبِيهِ .

فَاخْتَارَ النَّصِيحَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَالتَّمَّتْ إِلَى الْجُلَاسِ : وَقَالَ وَاللَّهِ يَا جُلَاسُ مَا كَانَ عَلَيَّ ظَهْرُ الْأَرْضِ أَحَدٌ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ ، فَأَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَجْلُهُمْ إِلَيَّ يَدًا وَأَعْظَمُهُمْ نِعْمَةً عَلَيَّ .

وَلَقَدْ قُلْتُ مَقَالََةً إِنْ ذَكَرْتُهَا فَضَحْتُكَ ، وَإِنْ أَحْفَيْتُهَا خُنْتُ أَمَانَتِي وَأَهْلَكَتُ نَفْسِي وَدِينِي وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَمْضِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُخْبِرَهُ بِمَا قُلْتُ فَكُنْ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ أَمْرِكَ . ثُمَّ مَضَى عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى الْمَسْجِدِ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْجُلَاسِ بْنِ سُؤَيْدٍ فَأَقْعَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ وَأَرْسَلَ أَحَدَ أَصْحَابِهِ إِلَى الْجُلَاسِ يَدْعُوهُ أَنْ يَأْتِيَ .

وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَ الْجُلَاسُ فَحَيَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((مَا مَقَالَةُ سَمِعَهَا مِنْكَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ)) وَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَهُ فَقَالَ : كَذِبَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَافْتَرَى فَمَا تَفَوَّهْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

وَجَعَلَ الصَّحَابَةُ يُدِيرُونَ أَبْصَارَهُمْ فِي الْجُلَاسِ وَعُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ كَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَفْرَعُوا عَلَيَّ صَحِيْفَتَيَّ وَجْهَيْهِمَا مَا يُكْنُهُ صَدْرَاهُمَا وَجَعَلُوا يَتَهَامَسُونَ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : فَتَى عَاقُ أَبِي إِلَّا أَنْ يُسِيءَ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ إِنَّهُ غُلَامٌ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَإِنَّ مَلَامِحَ وَجْهِهِ لَتَنْطِقُ بِصِدْقِهِ ، وَالتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُمَيْرٍ فَرَأَى وَجْهَهُ قَدْ اخْتَقَنَ بِالدَّمِ وَالدُّمُوعِ تَنَحَدِرُ مِدْرَارًا مِنْ عَيْنَيْهِ فَتَسَاقَطُ عَلَى خَدَّيْهِ وَصَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيَّ نَبِيَّكَ بَيَانَ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ يُكْرِرُهَا فَأَنْبِرَى الْجُلَاسُ وَقَالَ : إِنَّ مَا ذَكَرْتَهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَإِنْ شِئْتَ تَخَالَفْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَإِنِّي أَخْلِفُ بِاللَّهِ أَيُّ مَا قُلْتَ شَيْئًا مِمَّا نَقَلَهُ لَكَ عُمَيْرٌ فَمَا أَنْتَ مِنْ حَلِيفِهِ وَأَخَذَتْ عُيُونَ النَّاسِ تَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ حَتَّى غَشِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّكِينَةُ .

فَعَرَفَ الصَّحَابَةُ أَنَّهُ الْوَحْيُ فَلَزِمُوا أَمَاكِنَهُمْ وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ وَلَاذُوا بِالصَّمْتِ وَتَعَلَّقَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَنَا ظَهَرَ الْخَوْفُ وَالْوَجَلُ عَلَى الْجُلَاسِ وَبَدَأَ التَّلَهُّفُ وَالتَّشَوُّقُ عَلَى عُمَيْرٍ ثُمَّ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾

إلى قوله : ﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .

فَارْتَعَدَ الْجُلَاسُ مِنْ هَوْلِ مَا سَمِعَ وَكَادَ يَنْعَقِدُ لِسَانَهُ مِنَ الْجَزَعِ وَالرَّوَعَةِ ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : بَلْ أَتُوبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أَتُوبُ ، صَدَقَ عُمَيْرٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتِي جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
وَهُنَا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ فَمَدَّ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ إِلَى أُذُنِهِ وَأَمْسَكَهَا بِرَفِقٍ وَقَالَ : ((وَفَتْ أُذُنَكَ يَا غُلَامُ مَا سَمِعْتَ ، وَصَدَقَكَ رَبُّكَ)) .

لَيْسَ السَّفِيهِ مَنْ انْتَهَى أَبْوَاهُ مِنْ هَمِّ الْحَيَاةِ وَخَلَّفَاهُ ذَلِيلًا
فَأَصَابَ تَوْفِيقًا وَحُسْنَ رِعَايَةٍ مِنْ رَبِّهِ يَا حُسْنَ هَذَا بَدِيلًا
إِنَّ السَّفِيهِ هُوَ الَّذِي أَوْقَاتَهُ عِنْدَ الْمَلَاهِي قَتَلَتْ تَقْتِيلًا
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

قِصَّةُ لِعُمَيْرِ : كَانَ أَهْلُ حَمْصٍ شَدِيدِي التَّدْمُرِ مِنْ وُلَاتِهِمْ كَثِيرِي الشَّكْوَى مِنْهُمْ ، فَمَا جَاءَ مِنْ وَالٍ إِلَّا ذَكَرُوا لَهُ عُيُوبًا وَأَخْصُوا لَهُ ذُنُوبًا وَرَفَعُوا أَمْرَهُ إِلَى خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ وَطَلَبُوا مِنْهُ بَدْلَهُ خَيْرًا مِنْهُ .

فَعَزَمَ عُمَيْرُ بْنُ الْحَطَّابِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ بَوَالٍ لَا يَجِدُونَ فِيهِ مَطْعَنًا وَلَا يَرُونَ فِي سِيرَتِهِ مَعْمَرًا فَاخْتَارَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ وَعَهَدَ إِلَيْهِ بِوِلَايَةِ حَمْصٍ وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا فَقَبِلَ الأَمْرَ عَلَى إِعْمَاضٍ مِنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُؤَثِّرُ شَيْئًا عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَلَمَّا بَلَغَ عُمَيْرٌ جِمَصًا جَمَعَ النَّاسَ وَخَطَبَهُمْ وَبَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ
قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْإِسْلَامَ حِصْنٌ مَنِيعٌ وَبَابٌ وَثِيقٌ وَحِصْنُ الْإِسْلَامِ الْعَدْلُ ، وَبَابُهُ الْحَقُّ فَإِذَا
دُكَّ الْحِصْنُ وَحُطِّمَ الْبَابُ اسْتُبِيحَ حِمَى الدِّينِ .

وَإِنَّ الْإِسْلَامَ مَا يَزَالُ مَنِيعًا مَا اشْتَدَّ السُّلْطَانُ وَلَيْسَتْ شِدَّةُ السُّلْطَانِ ضَرْبًا بِالسُّوْطِ وَلَا
قِتْلًا بِالسَّيْفِ ، وَلَكِنْ قِضَاءٌ بِالْعَدْلِ وَأَخْذًا بِالْحَقِّ . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى عَمَلِهِ لِيُنْفِذَ مَا اخْتَطَّهُ لَهُمْ

قَضَى عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ حَوْلًا كَامِلًا فِي حِمَصَ لَمْ يَكْتُبْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كِتَابًا
وَلَمْ يَبْعَثْ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنَ الْفِيءِ وَلَا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا .

فَقَالَ عُمَرُ لِكَاتِبِهِ : اكْتُبْ لِعُمَيْرٍ وَقُلْ : إِذَا جَاءَكَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَقْبِلْ وَاتْرُكْ حِمَصَ
وَأَقْبِلْ عَلَيْهِ وَاحْمِلْ مَعَكَ مَا جَبَيْتَ مِنْ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ .

وَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ عُمَرَ إِلَى عُمَيْرٍ أَخَذَ جِرَابَ زَادِهِ وَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَحَمَلَ قَضَعَتَهُ وَوِعَاءَ
وُضُوئِهِ وَانْطَلَقَ يَمْشِي إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْمَدِينَةَ وَإِذَا لَوْنُهُ مُتَعَيِّرٌ وَبَدَنُهُ مُتَضَعِّعٌ قَدْ هَزُلَ
جِسْمُهُ وَطَالَ شَعْرُهُ وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ وَعَثَاءُ السَّفَرِ وَكَأَبُهُ الْمَنْظَرِ .

وَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَهَشَ وَتَأَلَّمَ مِنْ حَالَتِهِ وَقَالَ : مَا بِكَ يَا عُمَيْرُ ؟ فَقَالَ
: مَا بِي شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَنَا صَحِيحٌ بِحَمْدِ اللَّهِ أَحْمِلُ مَعِيَ الدُّنْيَا كُلَّهَا وَأَجْرُهَا .

فَقَالَ : وَمَا مَعَكَ مِنَ الدُّنْيَا ؟ (وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ مَعَهُ مَالًا يَحْمِلُهُ لَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ) فَقَالَ : مَعِيَ جِرَابِي وَقَدْ وَضَعْتُ فِيهِ زَادِي وَمَعِيَ فَصَعْتِي أَكُلُ فِيهَا وَأَعْسِلُ عَلَيْهَا ثِيَابِي وَمَعِيَ قِرْبَةٌ لِيُوضُوئِي وَشِرَابِي .

ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَبِعَ لِهَذَا الْمَتَاعِ لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا غَيْرَ هَذَا . فَقَالَ عُمَرُ : وَهَلْ أَتَيْتَ مَا شِئْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : أَمَا أُعْطِيتَ مِنَ الْإِمَارَةِ دَابَّةً تَرْكَبُهَا ؟ فَقَالَ : هُمْ لَمْ يَعْطُونِي وَأَنَا لَمْ أَطْلُبْ مِنْهُمْ .

فَقَالَ : وَأَيْنَ مَا أَتَيْتَ بِهِ لَيْتَ الْمَالِ ؟ فَقَالَ : لَمْ آتِ بِشَيْءٍ . فَقَالَ عُمَرُ : وَلِمَ لَمْ تَأْتِ بِشَيْءٍ .

فَقَالَ : لِمَا وَصَلْتُ إِلَى حِمصَ جَمَعْتُ صُلَحَاءَ أَهْلِهَا وَوَلَّيْتُهُمْ جَمِيعَ فَيْئِهِمْ وَكَانُوا كُلُّمَا جَمَعُوا شَيْئًا اسْتَشَرْتُهُمْ فِي أَمْرِهِ وَوَضَعْتُهُ فِي مَوَاضِعِهِ وَأَنْفَقْتُهُ عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ مِنْهُمْ .

فَقَالَ عُمَرُ لِكَاتِبِهِ : جَدِّدْ عَهْدًا لِعُمَيْرٍ عَلَى وِلَايَةِ حِمصَ . فَقَالَ عُمَيْرٌ : هَيْهَاتَ فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ لَا أُرِيدُهُ وَلَنْ أَعْمَلَ لَكَ وَلَا لِأَحَدٍ بَعْدَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى قَرْيَةٍ فِي ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ يُقِيمُ بِهَا أَهْلُهُ فَأَذِنَ لَهُ ، لَمْ يَمُضِ عَلَى عُمَيْرٍ إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً بَعْدَ ذَهَابِهِ لِلْقَرْيَةِ حَتَّى أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَخْتَبِرَهُ فَقَالَ لِوَاحِدٍ مِنْ ثِقَاتِهِ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ : انْطَلِقْ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ وَأَنْزِلْ عِنْدَهُ كَأَنَّكَ ضَيْفٌ فَإِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهِ آثَارَ نِعْمَةٍ فَعَدَّ كَمَا أَتَيْتَ ، وَإِنْ وَجَدْتَ حَالًا شَدِيدَةً فَأَعْطِهِ هَذِهِ الدَّنَانِيرَ وَنَاوَلَهُ صِرَّةً فِيهَا مِائَةٌ دِينَارٍ .

انطلق الحارث حتى بلغ القرية التي فيها عمير بن سعد فسأل عنه فدل عليه فلما لقيه سلم عليه فرد عليه السلام ، وسأله من أين قدم فقال الحارث : من المدينة . فقال : كيف تركت المسلمين ، فقال : بخير .

فقال : كيف أمير المؤمنين ؟ قال : صحيح صالح . فقال : أليس يقيم الحدود ؟ قال : بلى فقال : اللهم أعز عمري فإني لا أعلمه إلا شديد الحب لك .

أقام الحارث في ضيافة عمير ثلاث ليال فكان يخرج له كل ليلة قرصاً من الشعير فلما كان اليوم الثالث قال للحارث رجل من القوم : لقد أجهدت عميراً وأهله فليس لهم إلا هذا القرص من الشعير الذي يؤثرونك به على أنفسهم وقد أضربهم الجوع والجهد فإن رأيت أن ترحل عنهم فافعل .

عند ذلك أخرج الحارث الدنانير ودفعها إلى عمير فقال : ما هذه ؟ فقال الحارث : بعث بها أمير المؤمنين إليك فقال : ردها إليه وقل لا حاجة لعمير بها . فقالت له امرأته : خذها يا عمير فإن احتجت إليها أنفقتها وإلا وضعتها في مواضعها فالمحتاجون هنا كثير فلما سمع الحارث قولها ألقى الدنانير بين يدي عمير . وانصرف .

فأخذها عمير وجعلها في صرر صغيرة ولم يبت تلك الليلة إلا وقد فرقتها على الفقراء وخص منهم أبناء الشهداء ، ولما عاد الحارث إلى المدينة وواجه عمر قال له : ما رأيت يا حارث ؟ فقال : حالاً شديداً يا أمير المؤمنين . فقال : أدفعت إليه الدنانير ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال عمر : وما صنع بها عمير ؟ فقال : لا أدري وما أظنه يبقي لنفسه منها شيئاً منها ولا درهما .

فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عُمَيْرٍ يَقُولُ : إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي فَلَا تَضَعُهُ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُقْبَلَ عَلَيَّ . فَتَوَجَّهَ
عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ وَدَخَلَ عَلَى عُمَرَ فَحَيَّاهُ وَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَى بِمَجْلِسِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا
صَنَعْتَ بِالدَّانِيَةِ يَا عُمَيْرُ ؟ فَقَالَ : وَمَا عَلَيْكَ مِنْهَا يَا عُمَرُ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجْتَهَا لِي عَنْكَ .
فَقَالَ : عَزِمْتُ عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَنِي بِمَا صَنَعْتَ بِهَا ؟ فَقَالَ : ادَّخَرْتُهَا لِنَفْسِي لِأَنْتَفِعَ بِهَا يَوْمَ لَا
يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ .

ثُمَّ أَمَرَ بِوَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ وَثَوْبَيْنِ ، فَقَالَ : أَمَّا الطَّعَامُ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ
تَرَكْتُ عِنْدَ أَهْلِي صَاعَيْنِ مِنْ شَعِيرٍ وَإِذَا أَكَلْنَاهُمَا يَأْتِي اللَّهُ لَنَا بِرِزْقٍ ، وَأَمَّا الثَّوْبَيْنِ فَآخِذْهُمَا لِأُمَّ
فُلَانٍ يُرِيدُ زَوْجَتَهُ فَقَدْ بَلِيَّ وَخَلَقَ ثَوْبُهَا وَكَادَتْ تَعْرَى .

فَمَضَى عُمَيْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ فِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ وَادَعَ النَّفْسِ وَاتَّقَى الْخَطُوبَ لَا يُثْقِلُهُ شَيْءٌ مِنْ أَحْمَالِ
الدُّنْيَا وَأَمْتَعَتَهَا ، وَلَمَّا بَلَغَ عُمَرُ رِضْيَ اللَّهِ عَنْهُ وَفَاهَا عُمَيْرٌ حَزَنَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَدِدْتُ أَنْ لِي
رِجَالًا مِثْلَ عُمَيْرٍ أَسْتَعِينُ بِهِمْ فِي أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ . انْتَهَى مِنْ صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ
بِتَصَرُّفٍ .

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
شِعْرًا :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مَدَى الْعُمُرِ
وَتَسْكُنَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي رَوْضَةِ الْقَبْرِ
وَتُبْعَثَ عِنْدَ النَّفْخِ فِي الصُّورِ آمِنًا
مِنَ الْخَوْفِ وَالتَّهْدِيدِ وَالطَّرْدِ وَالْخُسْرِ

وَتُعْرَضَ مَرْفُوعًا كَرِيمًا مُبَجَّلًا
 تُبَشِّرُكَ الْأَمْلاكُ بِالْفَوْزِ وَالْأَجْرِ
 وَتَرْجَحُ عِنْدَ الْوَزْنِ أَعْمَالَكَ الَّتِي
 تُسَرُّ بِهَا فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ
 وَتَمْضِي عَلَى مَثَنِ الصِّرَاطِ كَبَارِقِ
 وَتَشْرَبُ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الطُّهْرِ
 وَتَخْلُدُ فِي أَعْلَى الْجَنَانِ مُنَعَّمًا
 حَظِيًّا بِقُرْبِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْوَتْرِ
 عَلَيْكَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ فَإِنَّهُ
 إِذَا تَمَّ فَازَ الْعَبْدُ بِالْقُرْبِ وَالْأَجْرِ
 وَخُذْ مِنْ غُلُومِ الدِّينِ حَظًّا مُوقِّرًا
 فَبِالْعِلْمِ تَسْمُو فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْحَشْرِ
 وَوَاطِبْ عَلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّ فِي
 تِلَاوَتِهِ الْأَرْبَاحَ وَالشَّرْحَ لِلصَّدْرِ
 أَلَا إِنَّهُ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ وَغَيْرُهُ
 مِنْ الْكُتُبِ أَنْهَارٌ تَمَدُّ مِنَ الْبَحْرِ
 تَدَبَّرْ مَعَانِيَهُ وَرَتِّلْهُ خَاشِعًا
 تَفُوزُ مِنَ الْأَسْرَارِ بِالْكَنْزِ وَالذُّخْرِ
 وَكُنْ رَاهِبًا عِنْدَ الْوَعِيدِ وَرَاغِبًا
 إِذَا مَا تَلَوْتَ الْوَعْدُ فِي غَايَةِ الْبَشْرِ

بَعِيدًا عَنِ الْمَنَهِيِّ مُجْتَنِبًا لَهُ
 حَرِيصًا عَلَى الْمَأْمُورِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 وَإِنْ رُمْتَ أَنْ تَحْظَى بِقَلْبِ مَنْوَرٍ
 نَقِيٍّ مِنَ الْأَغْيَارِ فَاغْكُفْ عَلَيَّ الذِّكْرَ
 وَوَاطِبْ عَلَيْهِ فِي الظَّلَامِ وَفِي الضِّيَا
 وَفِي كُلِّ حَالٍ بِاللِّسَانِ وَبِالسِّرِّ
 وَصَفِّ مِنَ الْأَكْذَارِ سِرِّكَ إِنَّهُ
 إِذَا مَا صَفَا أَوْلَاكَ مَعْنَى مِنَ الْفِكْرِ
 وَبِالْجِدِّ وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَحِلُّ فِي
 فَسِيحِ الْعُلَى فَاسْتَوْصِ بِالْجِدِّ وَالصَّبْرِ
 وَكُنْ شَاكِرًا لِلَّهِ قَابًا وَقَالِبًا
 عَلَى فَضْلِهِ إِنَّ الْمَزِيدَ مَعَ الشُّكْرِ
 تَوَكَّلْ عَلَى مَوْلَاكَ وَارْضَ بِحُكْمِهِ
 وَكُنْ مُخْلِصًا لِلَّهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
 قَنُوعًا بِمَا أَعْطَاكَ مُسْتَغْنِيًا بِهِ
 لَهُ حَامِدًا فِي حَالِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 وَكُنْ بَاذِلًا لِلْفَضْلِ سَمَحًا وَلَا تَخَفْ
 مِنَ اللَّهِ إِقْتَارًا وَلَا تَخْشَ مِنْ فَقْرٍ
 وَإِيَّاكَ وَالِدُنْيَا فَإِنَّ حَلَالَهَا
 حَسَابٌ وَفِي مَحْظُورِهَا الْهَيْتُكَ لِلْسِّرِّ

وَلَا تَكُ عِيَابًا وَلَا تَكُ حَاسِدًا
 وَلَا تَكُ ذَا غِشٍّ وَلَا تَكُ ذَا غَدْرِ
 وَلَا تَطْلُبَنَّ الْجَاهَ يَا صَاحِ إِنَّهُ
 شَهِيٌّ وَفِيهِ السُّمُّ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي
 وَإِيَّاكَ وَالْأَطْمَاعَ إِنَّ قَرِينَهَا
 ذَلِيلٌ خَسِيسٌ الْقَصْدِ مُتَضِعُ الْقَدْرِ
 وَإِنْ رُمْتَ أَمْرًا فَاسْأَلِ اللَّهَ إِنَّهُ
 هُوَ الْمُفْضَلُ الْوَهَّابُ لِلْخَيْرِ وَالْوَفِرُ
 وَأَوْصِيكَ بِالْخَمْسِ الَّتِي هُنَّ يَا أَحْي
 عِمَادٌ لِـلِدِينِ اللَّهِ وَاسِطَةٌ الْأَمْرِ
 وَحَافِظٌ عَلَيْهَا بِالْجَمَاعَةِ دَائِمًا
 وَوَاطِبٌ عَلَيْهَا فِي الْعِشَاءِ وَفِي الْفَجْرِ
 وَقُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ لِلَّهِ قَانِتًا
 وَصَلِّ لَهُ وَاخْتِمِ صَلَاتَكَ بِالْوَتْرِ
 وَكُنْ تَائِبًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَتَيْتَهُ
 وَمُسْتَغْفِرًا فِي كُلِّ حِينٍ مِنَ الْوُزْرِ
 عَسَى الْمُفْضَلُ الْمَوْلَى الْكَرِيمُ بِمَنْنِهِ
 يَجُودُ عَلَى ذَنْبِ الْمُسِيئِينَ بِالْغُفْرِ
 فَاخْسَأْنَهُ عَمَّ الْأَنْبَاءِ وَجُودُهُ
 عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ وَإِفْضَالُهُ يَجْرِي
 وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

مُحَمَّدُ الْمُبْعُوثِ بِالْبِشْرِ وَالتَّنْذِرِ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَطَعْنَا قُلُوبَنَا عَنْ ذِكْرِكَ ، وَاعْفُ عَن تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدِمْ لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَاسْأَلُكَ بِنَا سَبِيلَ أَهْلِ مَرْضَاتِكَ وَأَقْطَعْ عَنَّا كُلَّ مَا يُبْعِدُنَا عَنْ سَبِيلِكَ ، وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَهْمِنَا رُشْدَنَا وَحَقِّقْ بِكَرَمِكَ قَصْدَنَا .

اللَّهُمَّ قَنَعْنَا مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ وَسَهَّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ ، وَوَفَّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَسْكِنْنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ مَلْجَأُنَا وَمَلَاذُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا ، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عبد الرحمن بن عوف

هُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدُ عَمْرٍو فَلَمَّا أَسْلَمَ دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ .

أَسْلَمَ بَعْدَ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِيَوْمَيْنِ فَقَطَّ وَلَقِيَ مِنَ التَّعْذِيبِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَهُ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُونَ فَصَبَرَ كَمَا صَبَرُوا وَتَبَتَ كَمَا تَبَتُوا وَصَدَّقَ كَمَا صَدَّقُوا وَفَرََّ بِدِينِهِ إِلَى الْحَبَشَةِ كَمَا فَرََّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِدِينِهِ مِنْهُمْ .

وَلَمَّا أُذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ فِي طَلِيعَةِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمَّا آخَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ آخَى بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ سَعْدُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : أَيُّ أَحْيَى أَنَا أَكْثَرُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَالًا وَعِنْدِي بُسْتَانَانِ وَبِي امْرَأَتَانِ فَاَنْظُرْ أَيُّ بُسْتَانِي أَحَبُّ إِلَيْكَ وَأَيُّ امْرَأَتِي أَرْضَى عِنْدَكَ أَطْلَقَهَا لَكَ .

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي مَالِكَ وَأَهْلِكَ وَلَكِنْ ذُلِّي عَلَى السُّوقِ فَدَلَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَ يَتَجَرَّ وَبَعْدَ مُدَّةٍ اجْتَمَعَ لَدَيْهِ مَالٌ فَتَزَوَّجَ وَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الطَّيِّبِ فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَهَيْمٌ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ » . (وَهِيَ كَلِمَةٌ يَمَانِيَّةٌ تُفِيدُ التَّعَجُّبَ) فَقَالَ : تَزَوَّجْتُ . فَقَالَ : ((وَمَا أَعْطَيْتَ زَوْجَتَكَ مِنَ الْمَهْرِ)) . قَالَ : وَزَنَ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ .

قَالَ : ((أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي مَالِكَ)) . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَقْبَلَتْ الدُّنْيَا عَلَيَّ حَتَّى رَأَيْتُنِي لَوْ رَفَعْتُ حَجْرًا لَتَوَقَّعْتُ أَنْ أَجِدَ تَحْتَهُ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً وَقَدْ جَاهَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنُ عَوْفٍ يَوْمَ بَدْرٍ وَفِي يَوْمٍ أُحُدٍ ثَبَتَ حَتَّى زُلْزِلَتْ أَقْدَامُ الْمُشْرِكِينَ وَصَمَدَ حِينَ فَرَ الْمُنْهَرِمُونَ وَخَرَجَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَفِيهِ بَضْعَةٌ وَعِشْرُونَ جُرْحًا .

وَلَكِنَّ جِهَادَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِنَفْسِهِ قَلِيلٌ إِذَا قِيسَ بِجِهَادِهِ بِمَالِهِ ، فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَهِّزَ سَرِيَّةً وَقَالَ : « تَصَدَّقُوا فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُبْعَثَ بَعْثًا » .

فَبَادَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَنْطَلَقَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَعَادَ مُسْرِعًا وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ عِنْدِي أَرْبَعَةُ آلَافٍ أَلْفَانٍ مِنْهُمَا أَفْرَضْتُهَا رَبِّي وَالْأَلْفَانِ تَرَكْتُهُمَا لِعِيَالِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَبْقَيْتَ)) .

وَلَمَّا عَزَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَزْوَةِ تَبُوكٍ كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى الْمَالِ لَا تَقِلُّ عَنْ الْحَاجَةِ إِلَى الرِّجَالِ فَجَيْشُ الرُّومِ وَافِرُ الْعَدَدِ كَثِيرُ الْعَدَدِ وَالسَّنَةُ فِي الْمَدِينَةِ سَنَةٌ جَدْبٍ وَالسَّفَرُ طَوِيلٌ وَالْمُؤْنَةُ قَلِيلَةٌ وَالرَّوَاحِلُ أَقَلُّ .

حَتَّى إِذَا نَفَرَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ فِي حُرْقَةَ أَنْ يَأْخُذَهُمْ مَعَهُ فَرَدَّهُمْ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ

وَهُمُ الْبَكَاءُونَ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ .
وَأُطْلِقَ عَلَى الْجَيْشِ جَيْشَ الْعُسْرَةِ عِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ
بِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاحْتِسَابِ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ .

فَهَبَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ الْمُتَصَدِّقِينَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَتَصَدَّقَ بِمَائِي أَوْقِيَّةٍ ذَهَبًا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : إِيَّيْ لَا أَرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ إِلَّا مُرْتَكِبًا إِثْمًا فَمَا تَرَكَ لِأَهْلِهِ شَيْئًا .
فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : ((هَلْ تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئًا)) ؟ فَقَالَ :
نَعَمْ تَرَكْتُ لَهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْفَقْتُ وَأَطَيْبُ . قَالَ : ((كَمْ)) ؟ قَالَ : مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ
الرِّزْقِ وَالْخَيْرِ وَالْأَجْرِ .

وَمَضَى الْجَيْشُ إِلَى تَبُوكَ وَهَنَّاكَ أَكْرَمَ اللَّهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدْ دَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَائِبٌ فَأَمَّ الْمُسْلِمِينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَمَا كَادَتْ تَتِمُّ
الرُّكْعَةُ الْأُولَى حَتَّى لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُصَلِّينَ وَافْتَدَى بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ
وَصَلَّى خَلْفَهُ .

وَلَمَّا لَحِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى جَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَقُومُ
بِمَصَالِحِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَكَانَ يَنْهَضُ مَعَهُنَّ وَيَخْرُجُ لِحَاجَتِهِنَّ إِذَا خَرَجْنَ وَيَحْجُبُ مَعَهُنَّ إِذَا
حَاجْنَ وَيَجْعَلُ عَلَى هَوَادِجِهِنَّ الطِّيَالِسَةَ وَيَنْزِلُ بِهِنَّ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَسْرُهُنَّ .

وَتِلْكَ مَنْقَبَةٌ مِنْ مَنَاقِبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ بَرِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ
بِالْمُسْلِمِينَ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ بَاعَ أَرْضًا بَارِيعِينَ أَلْفِ

دِينَارٍ فَقَسَمَهَا كُلِّهَا فِي بَنِي زُهْرَةَ وَفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بَعَثَ إِلَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : مَنْ بَعَثَ هَذَا الْمَالَ ؟ فَقِيلَ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ . فَقَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((لَا يَخُونُوا عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ)) .

بَقِيَتْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِأَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ لَهُ حَتَّى صَارَ أَعْنَى الصَّحَابَةِ فَقَدْ أَخَذَتْ تِجَارَتُهُ تَنْمُو وَتَزْدَادُ وَصَارَتْ قَوَافِلُهُ تَتَرَدَّدُ ذَاهِبَةً مِنَ الْمَدِينَةِ أَوْ رَاجِعَةً إِلَيْهَا تَحْمِلُ الْبُرِّ وَالذَّقِيقَ وَالذَّهْنَ وَالثِّيَابَ وَالْأَيَّاتَةَ وَالطَّيِّبَ وَكُلَّ مَا يَخْتَاجُونَ إِلَيْهِ .

وَلَا غَرَابَةَ فَقَدْ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي مَالِهِ ، لَكِنَّ ذَلِكَ الْمَالَ لَمْ يَفْتِنِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَلَمْ يُغَيِّرْهُ فَكَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْهُ بَيْنَ مَمَالِكِهِ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَفِي يَوْمٍ مَا أُتِيَ بِطَعَامٍ وَهُوَ صَائِمٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي فَمَا وَجَدْنَا لَهُ إِلَّا كَفَنًا إِنْ عَطَى رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ وَإِنْ عَطَى رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسَطَ وَإِنِّي لِأَخْشَى أَنْ يَكُونَ ثَوَابُنَا قَدْ عَجَّلَ لَنَا ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي وَيَنْشَجُ حَتَّى عَافَ الطَّعَامَ طُوبَى لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَالْفُ غِبْطَةَ .

فَقَدْ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَمَلُ جَنَازَتِهِ خَالُ رَسُولِ اللَّهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ .

وَصَلَّى عَلَيْهِ ذُو النُّورَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ وَشَيْعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ يَقُولُ : لَقَدْ أَدْرَكْتَ صَفْوَهَا وَسَبَقْتَ زَيْفَهَا يَرْحَمُكَ اللَّهُ . انْتَهَى .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ مَكَنَّ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا

وَقَوَّهَا وَأَهْمَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَعِنَّا عَلَى الْقِيَامِ بِطَاعَتِكَ وَالْإِنْتِهَاءِ عَنِ مَعْصِيَتِكَ اللَّهُمَّ افْتَحْ
لِدُعَائِنَا بَابَ الْقُبُولِ وَالْإِجَابَةِ فَإِنَّا نَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَتَصَرَّمَتْ أَمَالِهِ وَبَقِيَتْ آثَامُهُ
وَأَنْسَبَلَتْ دِمَعَتُهُ وَانْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ دُعَاءَ مَنْ لَا يَرْجُو لِذَنْبِهِ غَافِرًا غَيْرَكَ وَلَا لِمَا يُؤْمَلُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ
مُعْطِيًا سِوَاكَ ، وَلَا لِكَسْرِهِ جَابِرًا إِلَّا أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الْمَوْتُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ
أَنْهَاكَ أَنْهَاكَ لَا أَلْوَكُ مَوْعِظَةٌ
فَالْعُمُرُ يَفْنَى وَإِنْ طَالَتْ مُسَالِمَةٌ
وَلَا هَوَادَةَ بَيْنَ الرَّأْسِ تَأْخُذُهُ
فَلَا تَغُرَّنَكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا
مَا لِلْيَالِي أَقَالَ اللَّهُ عَشْرَتَنَا
فِي كُلِّ حِينٍ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
تَسْرُ بِالشَّيْءِ لَكِنْ كَيْ تَغُرَّ بِهِ
كَمْ دَوْلَةٍ وُلِّيَتْ بِالنَّصْرِ خَدْمَتُهَا
هَوَتْ بِدَارًا وَفَلَّاتٌ غَرَبَ قَاتِلُهُ
وَاسْتَرْجَعَتْ مِنْ بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبَتْ
وَأَلْحَقَتْ أُخْتَهَا طُمَسًا وَعَادَ عَلَى
وَمَا أَقَالَتْ ذَوِي الْهَيْئَاتِ مِنْ يَمَنِ
وَمَرَّقَتْ سَبًّا فِي كُلِّ قَاصِيَةٍ
وَأَنْفَذَتْ فِي كُلِّبِ حَكْمَهَا وَرَمَتْ
وَلَمْ تَرُدَّ عَلَى الصَّلِيلِ صِحَّتَهُ
وَدَوَّخَتْ آلَ دُيَّانٍ وَإِخْوَاتَهُمْ
فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّورِ
عَنْ نَوْمَةٍ نَابَ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ
وَالْبَيْضِ وَالسُّودِ مِثْلَ الْبَيْضِ وَالسَّمْرِ
يَدُ الصَّرَابِ وَبَيْنَ الصَّارِمِ الذُّكْرِ
فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى السَّهْرِ
مِنَ اللَّيَالِي وَغَالَتْهَا يَدُ الْغَيْرِ
مِنَّا جِرَاحٌ وَإِنْ زَاغَتْ عَنِ النَّظْرِ
كَالْأَيْمِ تَارَ إِلَى الْجَانِي مِنَ الرَّهْرِ
لَمْ تَبْقَ مِنْهَا وَسَلْ دُنْيَاكَ عَنْ خَبْرِ
وَكَانَ غَضَبًا عَلَى الْأَمْلَاكِ ذَا أَثَرِ
وَلَمْ تَدَعْ لِنَبِيِّ يُونَانَ مِنْ أَثَرِ
عَادٍ وَجُرْهُمُ مِنْهَا نَاقِضُ الْمَرْرِ
وَلَا أَجَارَتْ ذَوِي الْغَايَاتِ مِنْ مُضَرِّ
فَمَا التَّقَى رَائِحٌ مِنْهُمْ بِمُبْتَكِرِ
مُهْلَهْلًا بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَالْبَصْرِ
وَلَا تَنْتَ أَسَدًا عَنْ رَبِّهَا حَجَرِ
عَبَسًا وَغَصَّتْ بَنِي بَدْرِ عَلَى النَّهْرِ

وَأَلْحَقْتُ بِعَدِيَّ بِالْعِرَاقِ عَلَى
 وَأَهْلَكْتُ إِبْرَوَيْزًا بِابْنِهِ وَرَمَتُ
 وَبَلَّغْتُ يَزْدَجْرَدَ الصِّينَ وَاخْتَزَلْتُ
 وَلَمْ تَرُدِّ مَوَاضِي رُسْتِمِ وَقَنَا
 يَوْمَ الْقَلِيبِ بَنُو بَدْرِ فَنُؤَا وَسَعَى
 وَأَخْفَرْتُ فِي الْأَمِينِ الْعَهْدِ وَانْتَدَبْتُ
 وَمَا وَقَفْتُ بِعُهُودِ الْمُسْتَعِينِ وَلَا
 وَأَوْتَقَفْتُ فِي عُرَاهَا كُلِّ مُعْتَمِدِ
 وَرَوَّعْتُ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمُؤْتَمِنِ
 وَأَعَثَرْتُ آلَ عَبَّادٍ لَعَالَهُمْ
 بَنِي الْمُظْفَرِ وَالْأَيَّامِ - لَا نَزَلْتُ
 سُحْقًا لِيَوْمٍ كُمْ يَوْمًا وَلَا حَمَلْتُ
 مَنْ لِلْأَسِرَّةِ أَوْ مَنْ لِلْأَعْنَةِ أَوْ
 مَنْ لِلطَّبَا وَعَوَالِي الْحَطِّ قَدْ عُقِدْتُ
 وَطَوَّقْتُ بِالْمَنَايَا السُّودِ بِيضَهُمْ
 مَنْ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ مَنْ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ
 أَوْ دَفَعِ كَارِثَةَ أَوْ رَدِّعِ آزِفَةَ
 وَيَبِ السَّمَّاحِ وَوَيْبِ الْبَاءِ لَوْ سَلِمَا
 سَقَّتْ ثَرَى الْفُضْلِ وَالْعَبَّاسِ هَامِيَّةُ
 ثَلَاثَةٌ مَا رَأَى السَّعْدَانُ مِثْلَهُمْ
 ثَلَاثَةٌ كَذَوَاتِ الدَّهْرِ مُنْذُ نَأَوَا

يَدِ ابْنِهِ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرِ
 يَزْدَجْرَدِ إِلَى مَرٍ فَلَمْ يُحْرِ
 عَنْهُ سِوَى الْفَرَسِ جَمَعَ التُّرْكَ وَالْحَزْرِ
 ذِي حَاجِبٍ عَنْهُ سَعْدًا فِي ابْنِهِ الْغَيْرِ
 قَلِيبُ بَدْرِ بِمَنْ فِيهِ إِلَى سَقْرِ
 لَجَعْفَرٍ بِابْنِهِ وَالْأَغْبَدِ الْغُدْرِ
 بِمَا تَأَكَّدَ لِلْمُعْتَزِّ مِنْ مَرٍ
 وَأَشْرَفْتُ بِقَذَاهَا كُلِّ مُقْتَدِرِ
 بِذِيلِ رَبَاءٍ لَمْ تَنْفِرْ مِنْ الدُّعْرِ
 وَأَسَلَمْتُ كُلِّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرِ
 مَرَّاحِلٍ وَالْوَرَى مِنْهَا عَلَى سَفَرِ
 بِمِثْلِهِ لَيْلَةٌ فِي غَابِرِ الْعُمْرِ
 مَنْ لِلْأَسِنَّةِ يُهْدِيهَا إِلَى الثُّغْرِ
 أَطْرَافُ أَلْسِنِهَا بِالْعِيِّ وَالْحَصْرِ
 فَأَعْجَبَ لِدَاكِ وَمَا مِنْهَا سِوَى الذِّكْرِ
 مَنْ لِلسَّمَّاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَالضَّرْرِ
 أَوْ قَمْعِ حَادِثَةِ تَعْيِي عَلَى الْبَشْرِ
 وَحَسْرَةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى عُمْرِ
 تُعْزَى إِلَيْهِمْ سَمَاحًا لَا إِلَى الْمَطْرِ
 وَأَخْبَرَ وَلَوْ عَزَّزَا فِي الْحُوتِ بِالْقَمَرِ
 عَنِّي مَضَى الدَّهْرُ لَمْ يَرْبِعْ وَلَمْ يَحْرِ

وَمَرَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطْيَبُهُ
 أَيْنَ الْجَلَالِ الَّذِي غَضَّتْ مَهَابَتُهُ
 أَيْنَ الْإِبَاءِ الَّذِي أَرْسُوا قَوَاعِدَهُ
 أَيْنَ الْوَفَاءِ الَّذِي أَصْفَوْا شَرَائِعَهُ
 كَانُوا رَوَاسِي أَرْضِ اللَّهِ مُنْذُ مَضُوا
 كَانُوا مَصَابِيحَهَا دَهْرًا فَمُنْذُ خَبُوا
 مَنْ لِي مَنْ بِهِمْ إِنْ أَظْلَمَتْ نُوبٌ
 مَنْ لِي وَلَا مَنْ بِهِمْ إِنْ أَطْبَقَتْ مِحْنٌ
 عَلَى الْفَضَائِلِ إِلَّا الصَّبْرُ بَعْدَهُمْ
 يَرْجُو عَسَى وَلَهُ فِي أُخْتِهَا أَمَلٌ
 رَزَّطَتْ آذَانَ مَنْ فِيهَا بِفَاضِحَةٍ
 سَيَّارَةٌ فِي أَقَاصِي الْأَرْضِ قَاطِعَةٌ
 مُطَاعَةٌ الْأَمْرِ فِي الْأَبَابِ قَاضِيَةٌ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَتَفْتَحُ بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْزَافَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

موعظة :

عن معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهما ، أنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي خُطْبَةٍ فِي أَحَدِ الْعِيدَيْنِ : « الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ وَمَنْزِلَ قَلْقٍ وَعِنَاءٍ ، وَقَدْ نَزَعَتْ عَنْهَا نَفُوسُ السُّعْدَاءِ ، وَانْتَزَعَتْ بِالْكُفْرِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ ، فَأَسْعَدُ النَّاسَ بِهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا ، وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا ، هِيَ الْغَاشِيَةُ لِمَنْ أَنْتَصَحَهَا ، وَالْمُعْوِيَةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا ، وَالْحَاتِرَةُ لِمَنْ انْقَادَ لَهَا . فَالْفَائِزُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا ، وَالْهَالِكُ مَنْ رَاغَبَ فِيهَا . طُوبَى لِعَبْدٍ اتَّقَى فِيهَا رَبَّهُ ، وَنَاصَحَ نَفْسَهُ ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، وَأَخَّرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفِظَهُ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ ، فَيُصْبِحَ فِي بَطْنِ مُوحِشَةٍ غِبْرَاءَ ، مُدْهِمَةً ظُلْمَاءَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزِيدَ فِي

حَسَنَةً ، وَلَا يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ ، ثُمَّ يُنْشَرُ فَيُحْشَرُ إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا ، وَإِمَّا إِلَى نَارٍ لَا يَنْقُذُ عَذَابُهَا .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الدَّارُ دَارُ التَّوَاءِ لَا دَارَ اسْتِوَاءٍ ، وَمَنْزِلُ تَرْحٍ ، لَا مَنْزِلَ فَرْحٍ . مَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَفْرَحِ لِرِخَائِهَا ، وَلَمْ يَحْزَنْ لَشِقَاؤِهَا أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الدُّنْيَا دَارَ بَلْوَى ، وَالْآخِرَةَ دَارَ عُمَى فَجَعَلَ بَلْوَى الدُّنْيَا لِثَوَابِ الْآخِرَةِ سَبَبًا وَثَوَابِ الْآخِرَةِ مِنْ بَلْوَى الدُّنْيَا عَوْضًا ، فَيَأْخُذُ لِيُعْطِيَ ، وَيُبْتَلَى لِيُجْزَى . إِنَّهَا لَسَرِيعَةٌ الدَّهَابِ ، وَشِيكَةٌ الانْقِلَابِ ، فَاحْذَرُوا حَلَاوَةَ رِضَاعِهَا لِمَرَارَةِ فِطَامِهَا ، وَاهْجُرُوا لَدِيدَ عَاجِلِهَا لِكَرْبِهِ آجِلِهَا وَلَا تَسْعُوا فِي عُمُرَانِ دَارٍ قَدْ قَضَى اللَّهُ خَرَابَهَا وَلَا تُوَاصِلُوهَا ، وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ مِنْكُمْ اجْتِنَابَهَا ، فَتَكُونُوا لِسُخْطِهِ مُتَعَرِّضِينَ ، وَلِعُقُوبَتِهِ مُسْتَحَقِّينَ .

هُوَ الْمَوْتُ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ لِهَارِبٍ

وَهَلْ هَرَبِي يَوْمًا مِنَ اللَّيْلِ يَنْفَعُ

وَأَيُّ اجْتِمَاعٍ لَا يُبَدِّدُ شَمْلَهُ

وَأَيُّ فُؤَادٍ بِالرَّدَى لَا يُرْوَعُ

حَيَاتِكَ كَالْأَضْغَاثِ وَالْحِلْمِ مُزَعَجٍ

وَيَعْقِبُهُ الْمَوْتُ الَّذِي لَيْسَ يُدْفَعُ

لَقَدْ جِئْتَ مُضْطَرًا وَتَرَجَعُ كَارِهًا

وَلَمْ يَخْتَلِفْ شَأْنًا مَجِيءٌ وَمَرْجِعُ

إِذَا اتَّسَخَ السَّرْبَالُ أَوْرَثَ نَسْجَهُ

فَلَا بُدَّ لِلسَّرْبَالِ بِالتَّنْزِعِ يُخْلَعُ

أَرَى الرُّوحَ تَأْوِي الْجِسْمَ مَا دَامَ عَامِرًا

وَتُخْلِيهِ مِنْ بَعْدِ إِنْهِيَارٍ وَتُقْلَعُ

إِذَا طَالَ عُمُرُ الْمَرْءِ طَالَ عَنَاؤُهُ

وَأَشَقَّاهُ مِنْ أَحْبَابِهِ مَنْ يُودَعُ
 وَعَائَتْ تَصَاريفُ الزَّمَانِ بِجِسْمِهِ
 فَفِي كُلِّ يَوْمٍ جَانِبٌ يَتَضَعُضَعُ
 تَسَاقَطُ أَسْنَانٌ وَيَضْعَفُ نَاطِرٌ
 وَتَقْصُرُ حُطُوتٌ وَيَثْقُلُ مَسْمَعُ
 أَرَى الْوَقْتَ وَالِدَاءِ الْعُظْمَاءِ يُلَوِّكُنَا
 لَتَبْلَعَنَا الْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ تَشْبَعُ
 نَوَائِبُهُ الْأَنْيَابُ تَفْرِي قُلُوبَنَا
 وَفِيهَا أَمَانِينَا سَرَابٌ مُشْعِشِعُ
 وَمَاذَا يُرْجِي الْحَيُّ إِنْ جُدَّ أَصْلُهُ
 وَشُدَّ عَنْهُ فَرْعُهُ الْمُتَفَرِّعُ
 وَمَا عُذْرُ مَنْ تُؤَدِي اللَّيَالِي بِبَعْضِهِ
 إِذَا كَانَ بِالْأُنْيَابِ يُعْرُزُ وَيُخْدَعُ
 وَلَمْ أَرَى كَالْأُنْيَابِ وَلَمْ أَرَى كَلْبَهَا
 تَجُورُ عَلَيْهِ وَهُوَ بِالْأَمِّ مُوَلَّعُ
 إِذَا عَرَفَ الْأُنْيَابُ لَيْبَ أَهَانِهَا
 وَيَخِيحِي حَيَاةَ الرَّاهِدِينَ وَيَقْنَعُ
 تَوَالَتْ مَلَائِكَةُ الْمَلَائِكِينَ قَبْلَنَا
 عَلَى سُنَنِ الْأَجْيَالِ تَقْفُوا وَتَتَّبِعُ
 قَوَائِلُ يَخْدُوهَا الزَّمَانُ بِلَحْنِهِ
 وَمَا لِحْنُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ الْمُرْجَعُ

أَرَى الْمَوْتَ لَا يَشِيهِ نَبْلٌ وَسُودٌ
 وَلَا مَحْتَدٌ زَاكِ وَشَأْنٌ مُرْفَعٌ
 وَلَا خُلُقٌ زَاكِ وَلَا عَبَقْرِيَّةٌ
 وَهَلْ خَلَقَ عِنْدَ الْمَنِيَّةِ يَشْفَعُ
 وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا قُوَّةٌ تَنْحِي لَهَا
 ظُهُورَ جَمِيعِ الْأَقْوِيَاءِ وَتَرْكِعُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قِصَّةُ لثَابِتِ بْنِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ

هُوَ أَحَدُ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي يَثْرِبَ إِذْ مَا كَادَ يَسْتَمِعُ إِلَى آيِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ يُرْتَلُّهَا
 الدَّاعِيَةُ الْمَكِّيُّ الشَّابُّ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ بِصَوْتِهِ الشَّجِيِّ وَجَرَسِهِ النَّدِيِّ حَتَّى أَسَرَ الْقُرْآنُ سَمْعَهُ
 بِحَلَاوَةٍ وَقَعَهُ ، وَمَلَكَ قَلْبَهُ بِرَائِعِ بَيَانِهِ ، وَخَلَبَ لُبَّهُ بِمَا حَفَلَ بِهِ مِنْ هَدْيٍ وَتَشْرِيعٍ .
 فَشَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِيمَانِ وَأَعْلَى قَدْرَهُ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ بِالْإِنْضِوَاءِ تَحْتَ لُؤَاءِ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ .
 وَلَمَّا قَدِمَ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا اسْتَقْبَلَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي
 كَوْكَبَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ فُرْسَانِ قَوْمِهِ أَكْرَمَ اسْتِقْبَالٍ ، وَرَحَّبَ بِهِ وَبِصَاحِبِهِ الصِّدِّيقِ أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ
 وَخَطَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ خُطْبَةً بَلِيغَةً افْتَتَحَهَا بِحَمْدِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى
 نَبِيِّهِ ...

وَاخْتَمَمَهَا بِقَوْلِهِ :

(وَإِنَّا نُعَاهِدُكَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - عَلَى أَنْ نَمْنَعَكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَوْلَادَنَا وَنِسَاءَنَا فَمَا
 لَنَا لِقَاءَ ذَلِكَ) ؟ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

((الْجَنَّةُ)) ...

فَمَا كَادَتْ كَلِمَتُهُ « الْجَنَّةِ » تُصَافِحُ آذَانَ الْقَوْمِ حَتَّى أَشْرَقَتْ وَجُوهَهُمْ بِالْفَرَحَةِ وَرَهَتْ
فَسَمَاتُهُمْ بِالْبَهْجَةِ ، وَقَالُوا :

رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ... رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ...

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ جَعَلَ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ثَابِتَ بْنِ قَيْسٍ خَطِيبَهُ ، كَمَا كَانَ حَسَّانُ
بْنُ ثَابِتٍ شَاعِرَهُ .

فَصَارَ إِذَا جَاءَتْهُ وَفُودُ الْعَرَبِ لِنَفَاحِرِهِ أَوْ تُنَازِرُهُ بِاللِّسِنَةِ الْفُصْحَاءِ الْمَقَاوِلِ مِنْ خُطَبَائِهَا
وَشِعْرَائِهَا نَدَبَ لَهُمْ ثَابِتَ بْنِ قَيْسٍ لِمُصَاوَلَةِ الْخُطَبَاءِ وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ لِمُفَاخِرَةِ الشُّعْرَاءِ .

وَلَقَدْ كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مُؤْمِنًا عَمِيقَ الْإِيمَانِ تَقِيًّا صَادِقَ التَّقْوَى ، شَدِيدَ الْحَشِيَّةِ مِنْ رَبِّهِ ،
عَظِيمَ الْحَذَرِ مِنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ .

فلقد رآه رسول الله ﷺ ذات يوم هلعًا جزعًا ترتعد فرائضه خوفًا وخشية .

فقال : ((ما بك يا أبا محمد)) ؟!

فقال : أخشى أن أكون قد هلكت يا رسول الله ...

قال : ((ولم)) ؟!

قال : لقد نهانا الله جلَّ وعزَّ عن أن نُحِبَّ أَنْ نُحْمَدَ بِمَا لَمْ نَفْعَلْ ، وَأَجِدُنِي أَحِبُّ الْحَمْدَ ...

ونهاننا عن الخيلاء وأجدني أحبُّ الزُّهْمَ .

فَمَا زَالَ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يُهْدِي مِنْ رُوعِهِ حَتَّى قَالَ : ((يَا ثَابِتُ ، أَلَا

تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا ...

وَتُقْتَلَ شَهِيدًا ...

وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ)) ... ؟

فَأَشْرَقَ وَجْهُ ثَابِتٍ بِهَذِهِ الْبُشْرَى وَقَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ... بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ((إِنَّ لَكَ ذَلِكَ)) .

وَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ حَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .
 بَحَبَّ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَجَالِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عَلَى الرَّغْمِ مِنْ شِدَّةِ حُبِّهِ لَهُ ، وَفَرَطِ تَعَلُّقِهِ بِهِ . -

وَلَزِمَ بَيْتَهُ حَتَّى لَا يَكَادُ يَبْرَحُهُ إِلَّا لِأَدَاءِ الْمَكْتُوبَةِ . فَافْتَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : ((مَنْ يَأْتِينِي بِخَبْرِهِ)) ؟

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . وَذَهَبَ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي مَنْزِلِهِ مَحْزُونًا مُنْكَسًا رَأْسَهُ فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟ . قَالَ : شَرٌّ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟! قَالَ : إِنَّكَ تَعْرِفُ أَنِّي رَجُلٌ جَهِيْرُ الصَّوْتِ ، وَأَنَّ صَوْتِي كَثِيرًا مَا يَعْلُو عَلَى صَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا تَعْلَمُ ، وَمَا أَحْسَبُنِي إِلَّا قَدْ حَبِطَ عَمَلِي وَأَنْتِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى وَمَا سَمِعَ فَقَالَ : ((اذْهَبْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)) . فَكَانَتْ هَذِهِ بَشَارَةً عَظْمَى لِثَابِتٍ ظَلَّ يَرْجُو خَيْرَهَا طَوَالَ حَيَاتِهِ .

وَقَدْ شَهِدَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا سِوَى بَدْرٍ ، وَأَفْحَمَ نَفْسَهُ فِي غِمَارِ الْمَعَارِكِ طَلِبًا لِلشَّهَادَةِ الَّتِي بَشَّرَهُ بِهَا النَّبِيُّ ، فَكَانَ يَخْطِئُهَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ ، وَهِيَ قَابَ قَوْسَيْنِ مِنْهُ أَوْ أَدْنَى ...

إِلَى أَنْ وَقَعَتْ حُرُوبُ الرِّدَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَمُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ عَلَى عَهْدِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَلَقَدْ كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ إِذْ ذَاكَ أَمِيرًا لَجُنْدِ الْأَنْصَارِ ، وَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ أَمِيرًا لَجُنْدِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَائِدًا لِلْجَيْشِ كُلِّهِ : أَنْصَارِهِ وَمُهَاجِرِيهِ وَمَنْ فِيهِ مِنْ أَبْنَاءِ الْبَوَادِي .

وَلَقَدْ كَانَتْ الرِّيحُ وَالِدَّوْلَةُ فِي جُلِّ المَعَارِكِ لِمُسَيْلَمَةَ وَرِجَالِهِ عَلَى جُيُوشِ المُسْلِمِينَ ، حَتَّى بَلَغَ بِهِمُ الأَمْرُ أَنْ اِفْتَحَمُوا فُسْطَاطَ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ ، وَهَمُّوا بِقَتْلِ زَوْجَتِهِ أُمِّ تَمِيمٍ ، وَقَطَعُوا حِبَالَ الفُسْطَاطِ وَمَرَّقُوهُ شَرَّ مَمْرَقٍ .

فَرَأَى ثَابِتُ بنُ قَيْسٍ يَوْمَ ذَلِكَ مَنْ تَضَعُضِعُ المُسْلِمِينَ مَا شَحَنَ قَلْبُهُ أَسَىً وَكَمَدًا وَسَمِعَ مِنْ تَنَابُرِهِمْ مَا مَلَأَ صَدْرَهُ هَمًّا وَعَمًّا ...

فَأَبْنَاءُ المُدُنِ يَرْمُونَ أَهْلَ البَوَادِي بِالجُبْنِ ، وَأَهْلُ البَوَادِي يَصِفُونَ أَبْنَاءَ المُدُنِ بِأَنَّهُمْ لَا يُحْسِنُونَ القِتَالَ وَلَا يَدْرُونَ مَا الحَرْبُ ... عِنْدَ ذَلِكَ تَحَنَّنَ ثَابِتٌ وَتَكَفَّنَ وَوَقَفَ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ .

وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ ، مَا هَكَذَا كُنَّا نُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ . بِئْسَ مَا عَوَّدْتُمْ أَعدَاءَكُمْ مِنَ الجُرْأَةِ عَلَيْكُمْ ...

وَبِئْسَ مَا عَوَّدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنَ الأَخْذَالِ لَهُمْ ...

ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ مِنَ الشَّرِكِ (يَعْنِي مُسَيْلَمَةَ وَقَوْمَهُ) . وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ (يَعْنِي المُسْلِمِينَ) .

ثُمَّ هَبَّ هَبَّةَ الأَسَدِ الضَّارِي كَتِفًا لِكَتِفِ مَعَ العُرِّ الميامين : البراء بن مَالِكِ الأَنْصَارِيِّ ، وَزَيْدِ بنِ الحُطَّابِ أَحْيَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الحُطَّابِ ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ ، وَعَظِيمِ وَعَظِيمِ مِنَ المُؤْمِنِينَ السَّابِقِينَ ... وَأَبْلَى بلاءً عَظِيمًا مَلَأَ قُلُوبَ المُسْلِمِينَ حَمِيَّةً وَعَزْمًا ، وَشَحَنَ أَفئِدَةَ المُشْرِكِينَ وَهَنًا وَرُعبًا .

وَمَا زَالَ يُجَالِدُ فِي كُلِّ ابْتِجَاهٍ وَيُضَارِبُ بِكُلِّ سِلَاحٍ حَتَّى أَثَخَنَتْهُ الجِرَاحُ فَخَرَّ صَرِيحًا عَلَى أَرْضِ المَعْرَكَةِ فَرِيرَ العَيْنِ بِمَا كَتَبَ اللهُ لَهُ مِنَ الشَّهَادَةِ الَّتِي بَشَّرَ بِهَا حَبِيبُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، مَثْلُوحِ الصِّدْرِ بِمَا حَقَّقَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ

لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ النَّصْرِ ...

وَكَانَتْ عَلَى ثَابِتٍ دِرْعٌ نَفِيسَةٌ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَزَعَرَهَا عَنْهُ وَأَخَذَهَا لِنَفْسِهِ .
وَفِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ لاسْتِشْهَادِهِ رَأَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ لِلرَّجُلِ : أَنَا ثَابِتُ بْنُ
قَيْسٍ ، فَهَلْ عَرَفْتَنِي ؟

فَقَالَ : إِنِّي أَوْصِيكَ بِوَصِيَّةٍ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا حُلْمٌ فَتُضَيِّعَهَا ...
إِنِّي لَمَّا قُتِلْتُ أَمْسٍ مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ صِفْتُهُ كَذَا وَكَذَا ، فَأَخَذَ دِرْعِي وَمَضَى بِهَا
نَحْوَ حَبَائِهِ فِي أَقْصَى الْمُعَسْكَرِ مِنَ الْجِهَةِ الْفُلَانِيَّةِ ، وَوَضَعَهَا تَحْتَ قَدْرِ لَهُ ، وَوَضَعَ فَوْقَ الْقَدْرِ
رَحْلاً فَأَتَتْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَقُلْنَ لَهُ : أَنْ يَبْعَثَ إِلَى الرَّجُلِ مَنْ يَأْخُذُ الدَّرْعَ مِنْهُ فَهِيَ مَا تَزَالُ فِي
مَكَانِهَا .

وَأَوْصِيكَ بِأُخْرَى ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا حُلْمٌ نَائِمٍ فَتُضَيِّعَهَا ...
قُلْ لِحَالِدٍ : إِذَا قَدِمْتَ عَلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ فَقُلْ لَهُ : إِنَّ عَلَى ثَابِتِ بْنِ
قَيْسٍ مِنَ الدِّينِ كَذَا وَكَذَا ... وَإِنَّ فُلَانًا وَفُلَانًا مِنْ رَقِيقِهِ عَتِيقَانِ ، فَلْيَقْضِ دِينِي وَلْيَحَرِّرْ غُلَامِي
... فَاسْتَيْقِظَ الرَّجُلُ ، فَأَتَى خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ وَمَا رَأَى ...

فَبَعَثَ خَالِدٌ مَنْ يُحْضِرُ الدَّرْعَ مِنْ عِنْدِ أَخِيذِهَا فَوَجَدَهَا فِي مَكَانِهَا وَجَاءَ بِهَا كَمَا هِيَ .
وَلَمَّا عَادَ خَالِدٌ إِلَى الْمَدِينَةِ حَدَّثَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِخَبْرِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ وَوَصِيَّتِهِ
فَأَجَّازَ الصَّدِيقُ وَصِيَّتَهُ وَمَا عُرِفَ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أُجِيزَتْ وَصِيَّتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ سِوَاهُ .

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَأَلْبِسْنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَخُصَّصْنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ
وَوَقَّفْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيَّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا
وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ،
وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا ، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة للنعمان بن مقرن المزني

كانت قبيلة مُزَيْنَةَ تَتَّخِذُوا مَنَازِلَهَا قَرِيبًا مِنْ يَثْرِبَ عَلَى الطَّرِيقِ الممتدة بين المدينة ومكة .
وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد هاجر إلى المدينة ، وَجَعَلَتْ أَخْبَارُهُ تَصِلُ تَبَاعًا
إِلَى مُزَيْنَةَ مَعَ الْعَادِيْنَ وَالرَّائِحِينَ فَلَا تَسْمَعُ عَنْهُ إِلَّا خَيْرًا .
وفي ذاتِ عَشِيَّةٍ ، جَلَسَ سَيِّدُ الْقَوْمِ ، النعمانُ بن مقرنِ المَزْنِيِّ فِي نَادِيهِ مَعَ إِخْوَتِهِ وَمَشِيخَةِ
قَبِيلَتِهِ فَقَالَ لَهُمْ : يَا قَوْمِ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا خَيْرًا ، وَلَا سَمِعْنَا مِنْ دَعْوَتِهِ إِلَّا مَرْحَمَةً
وَإِحْسَانًا وَعَدْلًا ، فَمَا بَالُنَا نُبْطِئُ عَنْهُ وَالنَّاسُ إِلَيْهِ يُسْرِعُونَ ؟!
ثم أَتْبَعَ يَقُولُ : أَمَا أَنَا فَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَعْدُوَ عَلَيْهِ ، إِذَا أَصْبَحْتُ ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ
يَكُونَ مَعِيَ فَلْيَتَّجِهْ .
وَكَمَا مَسَّتْ كَلِمَاتُ النُّعْمَانِ وَتَرَا مُرْهَفًا فِي نَفُوسِ الْقَوْمِ ، فَمَا إِنْ طَلَعَ الصَّبَاحُ حَتَّى وَجَدَ
إِخْوَتَهُ الْعَشْرَةَ ، وَأَرْبَعَمِائَةَ فَارِسٍ مِنْ فَرَسَانِ مُزَيْنَةَ قَدْ جَهَّزُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْمُضِيِّ مَعَهُ إِلَى يَثْرِبَ
لِلِقَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالذُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ .

بَيَدَ أَنَّ التَّعْمَانَ اسْتَحْيَا أَنْ يَفِدَ مَعَ هَذَا الْجَمْعِ الْحَاشِدِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دُونَ أَنْ يَحْمِلَ لَهُ
وَلِلْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فِي يَدِهِ .

لَكِنَّ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ الْمُجَدِبَةَ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا مُزَيْنَةُ لَمْ تَتْرُكْ لَهَا ضَرَعًا وَلَا زَرْعًا .
فَطَافَ النُّعْمَانُ بِبَيْتِهِ وَبُيُوتِ إِخْوَتِهِ وَجَمَعَ كُلَّ مَا أَبْقَاهُ لَهُمُ الْفَحْطُ مِنْ غُنَيْمَاتٍ وَسَاقَهَا
أَمَامَهُ وَقَدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَعْلَنَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ إِسْلَامَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ .
اهْتَزَّتْ يَثْرُبُ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا فَرَحًا بِالنُّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّرٍ وَصَحْبِهِ ، إِذْ لَمْ يَسْبِقْ لِبَيْتِ
مِنْ بُيُوتِ الْعَرَبِ أَنْ أَسْلَمَ مِنْهُ أَحَدٌ عَشَرَ أَخًا مِنْ أَبِي وَاحِدٍ وَمَعَهُمْ أَرْبَعُمِائَةٍ فَارِسَ .
وَسَرَّ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ بِإِسْلَامِ النُّعْمَانِ أَبْلَغَ الشُّرُورِ .

انْضَوَى النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّرٍ تَحْتَ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَشَهِدَ مَعَهُ غَزَوَاتِهِ كُلَّهَا غَيْرَ وَإِنْ وَلَا
مُقَصِّرٍ .

وَلَمَّا أَلَّتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الصِّدِّيقِ وَقَفَ مَعَهُ هُوَ وَقَوْمُهُ مِنْ بَنِي مُزَيْنَةَ وَقَفَّةً حَازِمَةً كَانَ لَهَا أَثَرٌ
كَبِيرٌ فِي الْفُضَاءِ عَلَى فِتْنَةِ الرَّدَّةِ .

وَلَمَّا صَارَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى الْفَارُوقِ كَانَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّرٍ فِي عَهْدِهِ شَأْنٌ مَا يَزَالُ التَّارِيخُ
يَذْكُرُهُ بِلِسَانٍ نَدِيٍّ بِالْحَمْدِ رَطِيبٍ بِالثَّنَاءِ .

فَقَبِيلُ الْقَادِسِيَّةِ أَرْسَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ قَائِدُ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ وَقُدَّا إِلَى كِسْرَى يَزْدَجُرِدَ
بِرِئَاسَةِ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّرٍ لِيَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ .

ولما بلغوا عاصمة كِسْرَى في المدائن استأذنوا بالدُخُولِ عليه فَأَذِنَ لهم ، ثم دَعَا التَّرْجُمَانَ
فَقَالَ لَهُ : سَلُّهُمْ ما الذي جاءَ بِكُمْ إلى دِيَارِنَا وَأَعْرَاكُمْ بِعَزْوِنَا؟! لَعَلَّكُمْ طَمِعْتُمْ بِنَا وَاجْتَرَأْتُمْ
عَلَيْنَا لِأَنَّنا تَشَاغَلْنَا عَنْكُمْ ، ولم نَشَأْ أَنْ نَبْطِشَ بِكُمْ .

فالتفتَ النَّعْمَانُ بنُ مُقَرَّرٍ إلى مَنْ مَعَهُ وَقَالَ : إِنَّ شَيْئًا أَجَبْتُهُ عَنْكُمْ ، وَإِنْ شَاءَ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَتَكَلَّمَ آثَرْتُهُ بِالْكَلامِ .

فَقَالُوا : بَلْ تَكَلَّمْ ، ثم التفتوا إلى كِسْرَى وَقَالُوا : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِنَا فَاسْتَمِعْ إلى
مَا يَقُولُ .

فَحَمِدَ النَّعْمَانُ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللهَ رَحِيمًا فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا
رَسُولًا يَدُلُّنَا عَلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُنَا بِهِ ، وَيُعَرِّفُنَا الشَّرَّ وَيَنْهَانَا عَنْهُ . وَوَعَدَنَا - إِنَّ أَجْبَنَاهُ إلى مَا
دَعَانَا إِلَيْهِ - أَنْ يُعْطِينَا اللهَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى بَدَّلَ اللهُ ضَيْقَنَا سَعَةً ، وَذَلَّلْنَا عِزَّهُ ، وَعَدَاوَاتِنَا إِخَاءً وَمَرَحَمَةً .
وَقَدْ أَمَرْنَا أَنْ نَدْعُو النَّاسَ إلى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَأَنْ نَبْدَأَ بِمَنْ يُجَاوِرُنَا . فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ إلى
الدُّخُولِ فِي دِينِنَا وَهُوَ دِينُ حَسَنَ الْحَسَنِ كُلَّهُ وَحَضَّ عَلَيْهِ ، وَقَبَّحَ الْقَبِيحَ كُلَّهُ وَحَدَّرَ مِنْهُ ، يَنْقُلُ
مُعْتَبِقِيهِ مِنْ ظَلامِ الْكُفْرِ وَجُورِهِ إلى نُورِ الْإِيمَانِ وَعَدْلِهِ .

فَإِنْ أَجَبْتُمُونَا إلى الْإِسْلَامِ خَلَقْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ وَأَقَمْنَاكُمْ عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا
بِأَحْكامِهِ ، وَرَجَعْنَا عَنْكُمْ وَتَرَكْنَاكُمْ وَشَأْنَكُمْ .

فَإِنْ أَبَيْتُمْ الدُّخُولَ فِي دِينِ اللهِ أَحَدْنَا مِنْكُمْ الْجَزِيَةَ وَحَمِينَاكُمْ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِعْطَاءَ الْجَزِيَةَ
حَارَبْنَاكُمْ .

فَاسْتَشَاطَ يَزْدَجُرْدُ غَضَبًا وَغَيْظًا مِمَّا سَمِعَ ، وَقَالَ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ أُمَّةً فِي الْأَرْضِ كَانَتْ أَشَقَى مِنْكُمْ وَلَا أَقَلَّ عَدَدًا ، وَلَا أَشَدَّ فُرْقَةً ، وَلَا أَسْوَأَ حَالًا .

وَقَدْ كُنَّا نَكِلُ أَمْرَكُمْ إِلَى وُلاةِ الضَّوَاحِي فَيَأْخُذُونَ لَنَا الطَّاعَةَ مِنْكُمْ ...
ثُمَّ خَفَّفَ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ وَقَالَ : فَإِنْ كَانَتْ الْحَاجَةُ هِيَ الَّتِي دَفَعْتُمْ إِلَى الْمَجِيءِ إِلَيْنَا أَمَرْنَا لَكُمْ بِعُقُوتٍ إِلَى أَنْ تُخْصِبَ دِيَارَكُمْ ، وَكَسُونَا سَادَتَكُمْ وَوُجُوهَ قَوْمِكُمْ ، وَمَلَكْنَا عَلَيْكُمْ مَلَكًا مِنْ قِبَلِنَا يَرْفُقُ بِكُمْ .

فَرَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْوَفْدِ رَدًّا أَشْعَلَ نَارَ غَضَبِهِ مِنْ جَدِيدٍ فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكُمْ .

قُومُوا فَلَيْسَ لَكُمْ شَيْءٌ عِنْدِي ، وَأَخْبِرُوا قَائِدَكُمْ أَيُّ مُرْسِلٍ إِلَيْهِ (رُسُومٌ) حَتَّى يَدْفِنَهُ وَيَدْفِنَكُمْ مَعَهُ فِي خَنْدَقِ الْقَادِسِيَّةِ .

ثُمَّ أَمَرَ فَأُتِيَ لَهُ بِحِمْلِ تُرَابٍ وَقَالَ لِرِجَالِهِ : حَمَلُوهُ عَلَى أَشْرَفِ هَؤُلَاءِ وَسُوِّقُوهُ أَمَامَكُمْ عَلَى مَرَأَى مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ أَبْوَابِ عَاصِمَةِ مُلْكِنَا .

فَقَالُوا لِلْوَفْدِ : مَنْ أَشْرَفُكُمْ ؟ فَبَادَرَ إِلَيْهِمْ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ وَقَالَ : أَنَا فَحَمَلُوهُ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمَدَائِنِ ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى نَاقَتِهِ وَأَخَذَهُ مَعَهُ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَبَشَّرَهُ أَنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ دِيَارَ الْفُرْسِ وَيُمْلِكُهُمْ تُرَابَ أَرْضِهِمْ .

ثُمَّ وَقَعَتْ مَعْرَكَةُ الْقَادِسِيَّةِ ، وَاکْتَنَظَّ خَنْدَقُهَا بِجُنُودِ آلِ الْفُتَيْلَى ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا مِنْ جُنُودِ كِسْرَى .

لَمْ يَسْتَكِنِ الْفُرسُ لِهَرِيمَةَ الْقَادِسِيَّةِ ، فَحَمَعُوا جُمُوعَهُمْ وَجَيَّشُوا جُيُوشَهُمْ .

حَتَّى اكْتَمَلَ لَهُمْ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفًا مِنْ أَشِدَّاءِ الْمُقَاتِلِينَ .
فَلَمَّا وَقَفَ الْقَارِئُ عَلَى أَخْبَارِ هَذَا الْحَشْدِ الْعَظِيمِ ، عَزَمَ عَلَى أَنْ يَمْضِيَ إِلَى مُوَاجَهَةِ هَذَا
الْحَطَرِ الْكَبِيرِ بِنَفْسِهِ .

وَلَكِنَّ وُجُوهَ الْمُسْلِمِينَ تَنَوَّهَ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يُرْسِلَ قَائِدًا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي مِثْلِ
هَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ .

فَقَالَ عُمَرُ : أَشِيرُوا عَلَيَّ بِرَجُلٍ أَوْلِيهِ ذَلِكَ الشَّرُّ .

فَقَالُوا : أَنْتَ أَعْلَمُ بِجُنْدِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ : وَاللَّهِ لِأَوْلِيِّ عَلَى جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ رَجُلًا يَكُونُ - إِذَا التَّقَى الْجُمُعَانَ - أَسْبَقَ مِنْ
الْأَسِنَّةِ ، وَهُوَ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّرِ الْمُرِّيِّ .

فَقَالُوا : هُوَ لَهَا .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى النُّعْمَانَ بْنِ مُقَرَّرِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ جُمُوعًا مِنَ الْأَعَاجِمِ ، كَثِيرَةً قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ بِمَدِينَةِ (نَهَاوَنْد) فَإِذَا
أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَسِرْ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَبِعَوْنِ اللَّهِ ، وَبِنَصْرِ اللَّهِ بِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تُوْطِئْهُمْ
وَعَرًّا فَتُوْذِبَهُمْ ... فَإِنَّ رَجُلًا وَاحِدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكُمْ .

هَبَّ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّرِ بِجَيْشِهِ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ ، وَأَرْسَلَ أَمَامَهُ طَلَائِعَ مِنْ فُرْسَانِهِ لِتَكْشِفَ لَهُ
الطَّرِيقَ ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ الْفُرْسَانُ مِنْ (نَهَاوَنْد) تَوَقَّفتْ خِيُوهُمْ ، فَدَفَعُوهَا فَلَمْ تَنْدَفِعْ ، فَزَلُّوا
عَنْ ظُهُورِهَا لِيَعْرِفُوا الْحَبَرَ فَوَجَدُوا فِي حَوَافِرِ الْحَيْلِ شَطَلَايَا مِنَ الْحَدِيدِ تُشْبِهُ رُؤُوسَ الْمَسَامِيرِ
فَنظَرُوا فِي الْأَرْضِ فَإِذَا الْعَجْمُ قَدْ نَثَرُوا فِي الدُّرُوبِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى (نَهَاوَنْد) حَسَكَ الْحَدِيدِ ،
لِيَعْوِقُوا الْفُرْسَانَ وَالْمُشَاةَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا .

أَخْبَرَ الْفُرْسَانَ النُّعْمَانَ بِمَا رَأَوْا ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُدْهِمَ بِرَأْيِهِ ، فَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَقِفُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ ، وَأَنْ يُوقِدُوا النَّيْرَانَ فِي اللَّيْلِ لِيَرَاهُمْ الْعَدُوُّ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَظَاهَرُونَ بِالْحَوْفِ مِنْهُ وَالْهَزِيمَةَ أَمَامَهُ لِيُعْزَوْهُ بِاللَّحَاقِ بِهِمْ وَإِرَالَةَ مَا زَرَعَهُ مِنْ حَسَكِ الْحَدِيدِ .

وَجَارَتْ الْحِيَلُ عَلَى الْفُرْسِ ، فَمَا إِنْ رَأَوْا طَلِيعَةَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ تَمْضِي مُنْهَرِمَةً أَمَامَهُمْ حَتَّى أَرْسَلُوا عُمَّالَهُمْ فَكَنَسُوا الطَّرِيقَ مِنَ الْحَسَكِ فَكَرَّرَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ وَاحْتَلَوْا تِلْكَ الدُّرُوبَ .

عَسَكَرَ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّرٍ بِحَيْشِهِ عَلَى مَشَارِفِ (نِهَاوَنْد) وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُبَاغِتَ عَدُوَّهُ بِالْمُحْجُومِ ، فَقَالَ جُنُودِهِ : إِنِّي مُكَبَّرٌ ثَلَاثًا ، فَإِذَا كَبَّرْتُ الْأُولَى فَلْيَتَهَيَّأْ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَهَيَّأَ ، وَإِذَا كَبَّرْتُ الثَّانِيَةَ فَلْيَشْدُدْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ سِلَاحَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَإِذَا كَبَّرْتُ الثَّلَاثَةَ ، فَإِنِّي حَامِلٌ عَلَى أَعْدَائِ اللَّهِ فَاحْمِلُوا مَعِيَ .

كَبَّرَ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّرٍ تَكْبِيرَاتِهِ الثَّلَاثَ ، وَأَنْدَفَعَ فِي صِفُوفِ الْعَدُوِّ كَأَنَّهُ اللَّيْثُ عَادِيًا ، وَتَدَفَّقَ وَرَاءَهُ جُنُودُ الْمُسْلِمِينَ تَدْفُقُ السَّيْلَ وَدَارَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ رَحَى مَعْرَكَةٍ ضُرُوسٍ فَلَمَّا شَهِدَ تَارِيخُ الْحُرُوبِ لَهَا نَظِيرًا .

فَتَمَرَّقَ جَيْشُ الْفُرْسِ شَرَّ مُمَرِّقٍ وَمَلَّاتْ فِتْلَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ وَسَالَتْ دِمَاؤُهُ فِي الْمَمَرَّاتِ وَالدُّرُوبِ فَوَلِقَ جِوَادُ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّرٍ بِالْذِّمَاءِ فَصُرِعَ وَأُصِيبَ النُّعْمَانُ نَفْسُهُ إِصَابَةً قَاتِلَةً ، فَأَخَذَ أَخُوهُ الْوَاءَ مِنْ يَدِهِ ، وَسَجَّاهُ بِبُرْدَةٍ كَانَتْ مَعَهُ وَكَتَمَ أَمْرَ مَصْرَعِهِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ .

وَلَمَّا تَمَّ النَّصْرُ الْكَبِيرُ الَّذِي سَمَّاهُ الْمُسْلِمُونَ (فَتْحُ الْفُتُوحِ) ...

سَأَلَ الْجُنُودَ الْمُتَنْصِرُونَ عَنْ قَائِدِهِمُ الْبَاسِلِ النَّعْمَانَ بْنِ مُقَرَّرٍ ، فَرَفَعَ أَخُوهُ الْبُرْدَةَ عَنْهُ وَقَالَ : هَذَا أَمِيرُكُمْ ، قَدْ أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ بِالْفَتْحِ ، وَخَتَمَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ .

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النَّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسِّتْنَةِ مِنَ الْكَذِبِ وَأَعِينْنَا مِنَ الْحِيَانَةِ وَآذَانَنَا عَنِ الْاسْتِمَاعِ إِلَى مَا لَا يُرْضِيكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(وداع راحل)

أَهَاجَكَ الْوَجْدَ أَمْ شَافَتَكَ آثَارُ
وَمَا لِعَيْنِكَ تَبْكِي حُرْقَةً وَأَسَى
عَلَى الْأَحْبَةِ تَبْكِي أُمَّ عَلَى طَلَلٍ
وَهَلْ مِنَ الدَّهْرِ تَشْكُو سُوءَ عِشْرَتِهِ
هَيْهَاتَ يَا صَاحِبِي آسَى عَلَى زَمَنِ
أَوْ أَذْرِفُ الدَّمْعَ فِي حُبِّ يُفَارِقُنِي
فَمَا سَبْتِي قَبْلَ الْيَوْمِ غَانِيَةٌ
أَمْتُ فِي اللَّهِ نَفْسًا لَا تُطَاوِعُنِي
وَبَعْتُ فِي اللَّهِ دُنْيًا لَا يَسُودُ بِهَا
وَأِنَّمَا حُزْنِي فِي صَبِيَّةٍ دَرَجُوا
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو زَمَانًا أَنْ أَقُودَهُمْ
وَالآنَ قَدْ سَارَعَتْ دَرْبِي إِلَى كَفَنِ
بِاللَّهِ يَا صَبِيَّتِي لَا تَهْلِكُوا جَزَعًا
تَرَكْتُمْ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ يَكَلُّوَكُمْ
وَأَنْتُمْ يَا أَهْيَلِ الْحَيِّ صَبِيَّتِكُمْ
أَفْدِي بِنَفْسِي أُمًّا لَا يُفَارِقُهَا
فَكَيْفَ تَسْكُنُ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ شَجَنِ
وَزَوْجَةٍ مَنَحْتِي كُلَّ مَا مَلَكَتْ
عِشْنَا زَمَانًا هَنِيئًا مِنْ تَوَاصُلْنَا

كَانَتْ مَعَانِي نِعَمَ الْأَهْلِ وَالِدَارُ
وَمَا لِقَلْبِكَ قَدْ ضَجَّتْ بِهِ النَّارُ ؟
لَمْ يَبْقَ فِيهِ أَحْبَاءٌ وَسُمَّارُ ؟
لَمْ يُوَفِّ عَهْدًا وَلَمْ يَهْدَأْ لَهُ نَارُ ؟
سَادَ الْعَيْدُ بِهِ وَاقْبِيدَ أَحْرَارُ
أَوْ فِي اللَّذَائِدِ وَالْآمَالِ تَنْهَارُ
وَلَا دَعَانِي إِلَى الْفَحْشَاءِ فُجَّارُ
فِي الْمَكْرُمَاتِ لَهَا فِي الشَّرِّ إِضْرَارُ
حَقٌّ وَلَا قَادَهَا فِي الْحُكْمِ أَبْرَارُ
غُفِّلَ عَنِ الشَّرِّ لَمْ يُوقَدْ لَهُمْ نَارُ
لِلْمَكْرُمَاتِ فَلَا ظَلَمٌ وَلَا عَارُ
يَوْمًا سَيَلْبَسُهُ بَرٌّ وَجَبَّارُ
عَلَى أَبِيكُمْ طَرِيقَ الْمَوْتِ أَقْدَرُ
مَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ لَا يُوثِقُهُ أَوْزَارُ
أَمَانَةٌ عِنْدَكُمْ هَلْ يُهْمَلُ الْجَارُ ؟
هُمْ وَتَنْهَارُ حُزْنًا حِينَ أَنْهَارُ
يَا لَوْعَةَ الثُّكُلِ مَا فِي الدَّارِ دِيَارُ
مَنْ صَادِقِ الْوِدِّ : تَخَانٌ وَإِثَارُ
فَكَمْ يُورِّقُ بَعْدَ الْعِزِّ إِذْبَارُ

وَإِخْوَةٌ جَعَلُونِي بَعْدَ فَقْدِ أَبِي أَبَا لَأْمَالِهِمْ رَوْضٌ وَأَزْهَارُ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ صَاحِبًا كُنْتَ أَذْخَرُهُمْ لِلنَّائِبَاتِ لَنَا أَنْسٌ وَأَسْمَارُ
الْمُلْتَقَى فِي جِنَا الْخُلْدِ إِنْ قُبِلْتُ مِّنَّا صَلَاةٌ وَطَاعَاةٌ وَأَذْكَارُ

وَفَقَّنَا اللَّهُ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِلتَّمَسُّكِ بِكِتَابِهِ ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى امْتِنَالِ أَمْرِهِ ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ ،
وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَدِّهِ ، وَالْفَكْرِ فِي أَمْثَالِهِ وَمُعْجَزِهِ ، وَالتَّبَصُّرِ فِي نُورِ حِكْمِهِ ، وَأَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قِصَّةُ لِسُهَيْبِ الرُّومِيِّ

لَا نَتَسَابُ صُهَيْبٍ إِلَى الرُّومِ قِصَّةٌ مَا تَزَالُ تَعِيهَا ذَاكِرُهُ التَّارِيخُ ، وَتَرْوِيهَا أَسْفَارُهُ .
فَقَبِلَ الْبُعْثَةَ بِحَوَالِي عَقْدَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ كَانَ يَتَوَلَّى مُلْكَ (الْأَبْلَةَ) سَنَانُ بْنُ مَالِكِ النُّمَيْرِيِّ ،
مِنْ قَبْلِ كِسْرَى مَلِكِ الْفُرْسِ .

وَكَانَ أَحَبَّ أَوْلَادِهِ إِلَيْهِ طِفْلٌ لَمْ يُجَاوِزِ الْخَامِسَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، دَعَاهُ صُهَيْبًا . كَانَ صُهَيْبٌ أَزْهَرَ
الْوَجْهِ ، أَحْمَرَ الشَّعْرِ ، مُتَدَفِّقَ النَّشَاطِ ذَا عَيْنَيْنِ تَتَقَدَّانِ فِطْنَةً وَجَاهَةً .
وَكَانَ إِلَى ذَلِكَ مِمْرَاحًا ، عَذِبَ الرُّوحِ ، يُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى قَلْبِ أَبِيهِ وَيَنْتَزِعُ مِنْهُ هُمُومَ
الْمُلْكِ انْتِزَاعًا .

مَضَتْ أُمُّ صُهَيْبٍ مَعَ ابْنِهَا الصَّغِيرِ وَطَائِفَةٍ مِنْ حَشَمِهَا وَخَدَمِهَا إِلَى قَرْيَةٍ (الثَّنِيَّ) مِنْ
أَرْضِ الْعِرَاقِ طَلَبًا لِلرَّاحَةِ وَالِاسْتِحْمَامِ ، فَأَغَارَتْ عَلَى الْقَرْيَةِ سَرِيَّةٌ مِنْ سَرَايَا جَيْشِ الرُّومِ ،
فَقَتَلَتْ حُرَّاسَهَا ، وَنَهَبَتْ أَمْوَالَهَا ، وَأَسْرَتْ ذُرَارِيهَا .
فَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مَنْ أَسْرَتْهُمْ صُهَيْبٌ .

بِيعَ صُهَيْبٌ فِي أَسْوَاقِ الرَّقِيقِ بِبِلَادِ الرُّومِ ، وَجَعَلَتْ تَتَدَاوُلُهُ الْأَيْدِي فَيَنْتَقِلُ

مِنْ خِدْمَةِ سَيِّدٍ إِلَى آخَرَ شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ كَشَأْنِ الْآلَافِ الْمُؤَلَّمَةِ مِنَ الْأَرْقَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَمْلَأُونَ
فُصُورَ بِلَادِ الرُّومِ .

وَقَدْ أَتَاكَ ذَلِكَ لِصُهَيْبٍ أَنْ يَنْفُذَ إِلَى أَعْمَاقِ الْمُجْتَمَعِ الرُّومِيِّ ، وَأَنْ يَقِفَ عَلَيْهِ مِنْ دَاخِلِهِ
، فَرَأَى بَعَيْنَيْهِ مَا يُعَشِّشُ فِي فُصُورِهِ مِنَ الرَّذَائِلِ وَالْمُوبِقَاتِ وَسَمِعَ بِأُذُنَيْهِ مَا يُرْتَكَبُ فِيهَا مِنْ
الْمَظَالِمِ وَالْمَآثِمِ . فَكَّرَهُ ذَلِكَ الْمُجْتَمَعِ وَازْدَرَاهُ .

وَكَانَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ :

إِنَّ مُجْتَمَعًا كَهَذَا لَا يُطَهَّرُهُ إِلَّا الطُّوفَانُ .

وَعَلَى الرَّعْمِ مِنْ أَنَّ صُهَيْبًا قَدْ نَشَأَ فِي بِلَادِ الرُّومِ وَشَبَّ عَلَى أَرْضِهَا وَبَيَّنَّ أَهْلِيهَا .
وَعَلَى الرَّعْمِ مِنْ أَنَّهُ نَسِيَ الْعَرَبِيَّةَ أَوْ كَادَ يَنْسَاهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ بَالِهِ قَطُّ أَنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ
أَبْنَاءِ الصَّحْرَاءِ ، وَلَمْ تَفْتُرْ أَشْوَاقُهُ لِحُظَّةٍ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَنْحَرِرُ فِيهِ مِنْ عُبُودِيَّتِهِ ، وَيَلْحَقُ بِبَنِي
قَوْمِهِ .

وَقَدْ زَادَهُ حَيْنًا إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ فَوْقَ حَيْنِهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ كَاهِنًا مِنْ كَهَنَةِ النَّصَارَى يَقُولُ لِسَيِّدِ
مِنْ أَسْيَادِهِ :

لَقَدْ أَطْلَقَ زَمَانٌ يُخْرِجُ فِيهِ مِنْ مَكَّةَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ نَبِيًّا يُصَدِّقُ رِسَالََةَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَيُخْرِجُ
النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

ثُمَّ أُتِيحَتْ الْفُرْصَةُ لِصُهَيْبٍ قَوْلًا هَارِبًا مِنْ رِقِّ أَسْيَادِهِ ، وَيَمَّ وَجْهَهُ شَطْرَ مَكَّةَ أُمَّ الْقُرَى
وَمَوْئِلِ الْعَرَبِ ، وَمَبْعَثِ النَّبِيِّ الْمُرْتَقِبِ .

وَلَمَّا أَلْقَى عَصَاهُ فِيهَا أَطْلَقَ النَّاسُ عَلَيْهِ اسْمَ صُهَيْبِ الرُّومِيِّ لِلْكِنَةِ لِسَانِهِ وَحُمْرَةِ شَعْرِهِ .

وقد حالف صُهَيْبٌ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ مَكَّةَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جُدَعَانَ وَطَفِقَ يَعْمَلُ فِي التَّجَارَةِ ، فَدَرَّتْ عَلَيْهِ الْخَيْرُ الْوَفِيرَ وَالْمَالَ الْكَثِيرَ .

غَيْرَ أَنَّ صُهَيْبًا لَمْ تُنْسِهْ تِجَارَتُهُ وَمَكَاسِبُهُ حَدِيثَ الْكَاهِنِ النَّصْرَانِيِّ فَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ كَلَامُهُ بِخَاطِرِهِ يُسَائِلُ نَفْسَهُ فِي لَهْفَةٍ : مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ؟! وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَهُ الْجَوَابُ .

فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ عَادَ صُهَيْبٌ إِلَى مَكَّةَ مِنْ إِحْدَى رِحَالَتِهِ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ بُعِثَ وَقَامَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحَدَهُ ، وَيُحْضُّهُمْ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ .

فَقَالَ : أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يُلَقَّبُونَهُ بِالْأَمِينِ؟!

فَقِيلَ لَهُ : بَلَى .

فَقَالَ : وَأَيْنَ مَكَانَهُ .

فَقِيلَ لَهُ : فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ عِنْدَ الصَّفَا ... وَلَكِنْ حَذَارِ مَنْ أَنْ يَرَاكَ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَإِنْ رَأَوْكَ فَعَلُوا بِكَ ... وَفَعَلُوا ، وَأَنْتَ رَجُلٌ غَرِيبٌ لَا عَصِيَّةَ لَهُ تَحْمِيهِ ، وَلَا عَشِيرَةَ عِنْدَهُ تَنْصُرُهُ .

مَضَى صُهَيْبٌ إِلَى دَارِ الْأَرْقَمِ حَذَرًا يَتَلَفَّتُ ، فَلَمَّا بَلَغَهَا وَجَدَ عِنْدَ الْبَابِ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ ، وَكَانَ يَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ ، فَتَرَدَّدَ لِحِظَةٍ ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَقَالَ : مَا تُرِيدُ يَا عَمَّارُ؟

فَقَالَ عَمَّارٌ : بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ؟

فَقَالَ صُهَيْبٌ : أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ ، فَأَسْمَعَ مِنْهُ مَا يَقُولُ . فَقَالَ عَمَّارٌ : وَأَنَا أُرِيدُ ذَلِكَ أَيْضًا .

فَقَالَ صُهَيْبٌ : إِذَنْ نَدْخُلُ مَعًا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .

دَخَلَ صُهَيْبُ بْنُ سَنَانَ الرُّومِيُّ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَمَعَا إِلَى مَا يَقُولُ ، فَاشْرَقَ نُورُ الْإِيمَانِ فِي صَدْرَيْهِمَا ، وَتَسَابَقَا فِي مَدِّ أَيْدِيهِمَا إِلَيْهِ ، وَشَهِدَا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَمْضِيَا سَحَابَةَ يَوْمِهِمَا عِنْدَهُ ، يَنْهَلَانِ مِنْ هَدْيِهِ وَيَنْعَمَانِ بِصُحْبَتِهِ .
ولما أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، وَهَدَّاتِ الْحُرُكَةُ ، خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ ، وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمَا مِنْ النُّورِ فِي صَدْرِهِ مَا يَكْفِي لِإِضَاءَةِ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا .

تَحَمَّلَ صُهَيْبُ نَصِيْبَهُ مِنْ أَدَى قُرَيْشٍ مَعَ بِلَالٍ وَعَمَّارٍ وَسُمَيَّةَ وَحَبَّابٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عَشْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَاسَى مِنْ نَكَالِ قُرَيْشٍ مَا لَوْ نَزَلَ بِجَبَلٍ لَهَدَّهَ ، فَتَحَمَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ صَابِرَةٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ طَرِيقَ الْجَنَّةِ مَخْفُوفٌ بِالْمَكَارِهِ .

ولما أذن الرسول لأصحابه بالهجرة إلى المدينة ، عَزَمَ صُهَيْبٌ عَلَى أَنْ يَمْضِيَ فِي صُحْبَةِ الرَّسُولِ وَأَبِي بَكْرٍ ، وَلَكِنَّ قُرَيْشًا شَعَرَتْ بِعَزْمِهِ عَلَى الْهَجْرَةِ فَصَدَّتْهُ عَنْ غَايَتِهِ ، وَأَقَامَتْ عَلَيْهِ الرُّقْبَاءَ حَتَّى لَا يَفْلِتَ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَيَحْمَلَ مَعَهُ مَا دَرَنَتْهُ عَلَيْهِ التِّجَارَةُ مِنْ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ .

ظَلَّ صُهَيْبٌ بَعْدَ هَجْرَةِ الرَّسُولِ وَصَاحِبِهِ يَتَحَيَّنُ الْفُرْصَ لِلْحَاقِ بِهَمَا فَلَمَّ يُفْلِحْ إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُ الرُّقْبَاءِ سَاهِرَةً عَلَيْهِ مُتَبَيِّنَةً لَهُ ، فَلَمَّ يَجِدُ سَبِيلًا غَيْرَ اللُّجُوءِ إِلَى الْحِيلَةِ .

فَفِي ذَاتِ لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ أَكْثَرَ صُهَيْبٌ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْخَلَاءِ كَأَنَّهُ يَفْضِي الْحَاجَةَ ، فَكَانَ لَا يَرْجِعُ مِنْ قَضَاءِ حَاجَتِهِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا .

فَقَالَ بَعْضُ رُقْبَائِهِ لِبَعْضٍ : طَيَّبُوا نَفْسًا فَإِنَّ اللَّاتَ وَالْعُزَّى شَعْلَاهُ يَبْطِنُهُ ، ثُمَّ أَوُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَأَسْلَمُوا عُيُوثَهُمْ إِلَى الْكُرَى .

فَتَسَلَّلَ صُهَيْبٌ مِنْ بَيْنِهِمْ وَيَمَّمُ وَجْهَهُ شَطْرَ الْمَدِينَةِ .
 لَمْ يَمُضْ غَيْرُ قَلِيلٍ عَلَى رَحِيلِ صُهَيْبٍ حَتَّى فَطِنَ لَهُ رُقْبَاؤُهُ ، فَهَبُّوا مِنْ نَوْمِهِمْ مَذْعُورِينَ ،
 وَامْتَطَوْا خِيُولَهُمُ السَّوَابِقَ ، وَأَطْلَقُوا أَعْنَتَهَا خَلْفَهُ حَتَّى أَدْرَكُوهُ .
 فَلَمَّا أَحْسَسَ بِهِمْ ، وَقَفَ عَلَى مَكَانٍ عَالٍ وَأَخْرَجَ سِهَامِهِ مِنْ كِنَانَتِهِ وَوَتَرَ قَوْسَهُ وَقَالَ :
 يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، لَقَدْ عَلِمْتُمْ - وَاللَّهِ - أَيُّ مَنْ أَرَمَى النَّاسَ وَأَحْكَمِهِمْ إِصَابَةً .
 وَوَاللَّهِ لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَ بِكُلِّ سَهْمٍ مَعِيَ رَجُلًا مِنْكُمْ .
 ثُمَّ أَضْرِبُكُمْ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي شَيْءٌ مِنْهُ .
 فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : وَاللَّهِ لَا نَدْعُكَ تَفُوزُ مِنَّا بِنَفْسِكَ وَبِمَالِكَ ... لَقَدْ أَتَيْتَ مَكَّةَ صُغُلُوكًا
 فَقِيرًا فَأَعْتَنَيْتَ وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ .
 فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ تَرَكْتُ لَكُمْ مَالِي ، أَتُخْلُونَ سَبِيلِي ؟
 قَالُوا : نَعَمْ .
 فَدَلَّهْمُ عَلَى مَوْضِعٍ مَالِهِ فَأَخَذُوهُ مِنْهُ ، ثُمَّ أَطْلَقُوا سَرَاحَهُ .
 أَخَذَ صُهَيْبٌ يُعِدُّ السَّيْرَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَأَرَا بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ .
 غَيْرَ آسِفٍ عَلَى الْمَالِ الَّذِي أَنْفَقَ فِي جَنِيهِ زَهْرَةَ الْعُمُرِ .
 وَكَانَ كُلَّمَا أَدْرَكَهُ الْوَنَى وَأَصَابَهُ التَّعَبُ اسْتَفَزَّهُ الشَّقُوقُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَعُودُ إِلَيْهِ نَشَاطُهُ ،
 وَيُؤَاصِلُ سَيْرَهُ .

فَلَمَّا بَلَغَ قُبَاءَ رَأَى الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا فَهَشَّ لَهُ وَبَشَّ وَقَالَ :

« رِيحَ الْبَيْعِ يَا أَبَا يَحْيَى رِيحَ الْبَيْعِ » . وَكَرَّرَهَا ثَلَاثًا .

فَعَلَّتِ الْفَرْحَةَ وَجَهَ صُهَيْبٍ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا سَبَقَنِي إِلَيْكَ أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَمَا أَخْبَرَكَ بِهِ إِلَّا جَبْرِيلُ .

حَقًّا لَقَدْ رِيحَ الْبَيْعِ ...

وَصَدَّقَ ذَلِكَ وَحْيُ السَّمَاءِ ...

وَشَهِدَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ ... حَيْثُ نَزَلَ فِي صُهَيْبٍ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي

نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ فَطُوبَى لِصُهَيْبِ بْنِ سَنَانِ الرَّؤُمِيِّ ، وَحُسْنُ

مَا ب .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الْجَوَارِحَ وَنَبِّهْنَا مِنْ رَقَدَاتِ الْعَقَلَاتِ فَأَنْتَ الْحَلِيمُ

الْمُسَامِحُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ

مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَانَتْ بِفِرَاقِ فَيَا وَيْحَ مَنْ كَانَ بِهَا جُلَّ اشْتِعَالِهِ ، كَيْفَ

يَطْمَئِنُّ الْعَاقِلُ إِلَيْهَا مَعَ تَحَقُّقِهِ بِدُنُوِّ ارْتِحَالِهِ . كَيْفَ يَنْخَدِعُ الْيَوْمَ بِبَوَارِقِهَا مَنْ هُوَ غَدًا مُرْتَهِنٌ

بِأَعْمَالِهِ كَيْفَ يَغْتَرُّ فِيهَا بِإِمْتِهَالِهِ وَإِمْتِهَالِهِ لَمْ يَنْشَأْ إِلَّا عَنِ إِهْمَالِهِ .

كَيْفَ يَبِيثُ أَمْنًا فِي تَوْسَعِ آمَالِهِ . وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا يَطْرُقُ مِنْ بَعْتَةِ آجَالِهِ أَفَمَا تَرَوْنَ طَيْفَ

الشَّيْبَةِ قَدْ رَحَلَ ؟ وَكَثِيرًا مَا حَلَّ بِالشَّبَابِ الْمُنُونِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَوْعِظَةٌ : الْعُمُرُ أَمَانَةٌ أَتَلَفْتَ شَبَابَهُ فِي الْخِيَانَةِ ، وَكُتُهَوَّلَتْهُ فِي الْبَطَالَةِ ، وَفِي الشَّيْخُوخَةِ تَبْكِي

وَتَقُولُ : عُمْرِي قَدْ ضَاعَ ، مَتَى أَفْلَحَ الْحَائِثُ فِيمَا اشْتَرَى أَوْ

بَاعَ ، أَنْتِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا صَاحِحَ الْجِسْمِ ، وَفِي طَلَبِ الآخِرَةِ بِكَ أَوْجَاعٍ كَمْ تُعْرِجُ عَنْ سُبُلِ التَّقْوَى يَا أَعْرَجَ الْهَمَّةِ ، يَا مَنْ يَبْقَى فِي الْقَاعِ ، يَا مَنْ عَلَى عُمْرِهِ لَيْلُ الْعُقْلَةِ طَلَعَ فَجْرُ الْمَشِيبِ

أَمَّا تَرَوْنَ الشَّيْبَ قَدْ نَزَلَ وَقَبِيحٌ مَعَ الشَّيْبِ الْمُجُونُ . أَمَّا تَرَوْنَ سَيْفَ الْأَجْلِ قَدْ قَطَعَ الْأَمَلَ فَإِلَى مَتَى تُؤْمَلُونَ فِي الْبَقَاءِ وَتَطْمَعُونَ .

أَمَّا تَرَوْنَ رِيَّاحَ الرَّحِيلِ تَهْبُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَسَبِيلٍ فَلِمَ لَا تَرْكَبُونَ سُفْنَ التَّوْبَةِ وَتُقْلِعُونَ .
أَمَّا تَرَوْنَ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ فِي كُلِّ حَالٍ تُنَادِي بِفَصِيحِ الْمَقَالِ : يَا أَهْلَ الدُّنْيَا لَا مَقَامَ لَكُمْ فَإِلَى مَتَى لَا تَرْجِعُونَ . هَلْ الْأَعْمَارُ فِي الْإِعْتِبَارِ إِلَّا أَعْوَامٌ . وَهَلْ الْأَعْوَامُ إِلَّا أَيَّامٌ .

وَهَلْ الْأَيَّامُ إِلَّا سَاعَاتٌ كَالسُّفُوفِ يُنَادِي لِسَانُ سَيْرِهَا : يَا أَهْلَ الدُّنْيَا لَا مَقَامَ . وَهَلِ السَّاعَةُ إِلَّا أَنْفَاسٌ تُحْصِيهَا الْحَفْظَةُ بِأَمْرِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ .

فَمَنْ كَانَ هَذَا أَسَاسَهُ كَيْفَ يَفْرُحُ بِدَارِ عَمَارِهَا فِي الْحَقِيقَةِ خَرَابٌ .
فَالسَّعِيدُ مَنْ أَضْمَرَ نَفْسَهُ مِنَ الْمَحْوِ وَأَخَفَّ ظَهْرَهُ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالتَّيْبَعَاتِ وَاعْتَبَرَ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ أُولَى النَّجْدَةِ وَالْهَمَمِ الْعَالِيَةِ .

نُتِرَ : وَاللَّهِ سَلَكْتُمْ بَعْدَ انْتِظَامِهِ . وَتَفَرَّقَ شَمْلُهُمْ بَعْدَ الْإِتِّمَامِ وَعَادُوا كَمَنْ مَضَى مِنَ الْأَقْرَانِ كَأَنَّمَا يَقْظَتْهُمْ كَانَتْ مَنَامٌ . هَكَذَا الدُّنْيَا ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ .

فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَقْبَلَ عَلَى الْبَاقِي وَأَعْرَضَ عَنِ الْفَاقِي مِنَ الْخُطَامِ . وَجَعَلَ لِشَارِدِ النَّفْسِ مِنَ التَّقْوَى أَقْوَى زِمَامٍ . وَاجْتَنَبَ الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ يُخْرِجُ مِنَ النُّورِ إِلَى الظَّلَامِ . فَسَأَلْكَ اللَّهُمَّ تَوْفِيقًا يُفَرِّقُنَا مِنَ الْحَلَالِ وَيُبْعِدُنَا عَنِ الْحَرَامِ . وَطَرِيقًا إِلَى الْخَيْرَاتِ لِنَتَمَسَّكَ بِالزَّمَامِ . وَأَمْنَا يَوْمَ الْفُرْعِ الْأَكْبَرِ يُبَلِّغُنَا غَايَةَ الْمَتَى . قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا
نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَنْغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ
وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ ، وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزِّنْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ ،
وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: فِيمَ الرُّكُونِ إِلَى دَارِ حَقِيقَتِهَا

كَالطَّيْفِ فِي سِنَةِ وَالظَّلِّ مِنْ مُزْنِ
دَارِ الْغُرُورِ وَمَأْوَى كُلِّ مُرْزِيَةٍ
وَمَعْدِنِ الْبُؤْسِ وَاللَّوَاءِ وَالْمَحَنِ
الرُّزُورِ ظَاهِرُهَا وَالْغَدْرِ حَاضِرُهَا
وَالْمَوْتُ آخِرُهَا وَالْكَوْنُ فِي الشَّطَنِ
تُبِيدُ مَا جَمَعْتَ تُهِينُ مَنْ رَفَعْتَ
تَضُرُّ مَنْ نَفَعْتَ فِي سَالِفِ الزَّمَنِ
النَّفْسُ تَعَشِقُهَا وَالْعَيْنُ تَرْفُقُهَا
لِكَوْنِ ظَاهِرِهَا فِي صُورَةِ الْحَسَنِ
سِحَارَةٌ تُحَكِّمُ التَّخْيِيلَ حَتَّى يُرَى
كَأَنَّهُ الْحَقُّ إِذْ كَانَتْ مِنَ الْفِتَنِ
إِنَّ الْإِلَهَ بَرَاهَا كَيْ يُمَيِّزُ بِهَا
بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ أَهْلِ الْحُمُقِ وَالْفِطَنِ
فَدُو الْحِمَاقَةِ مَنْ قَدْ ظَلَّ يَجْمَعُهَا
يُعَانِي السَّعْيَ مِنْ شَامٍ إِلَى يَمَنِ

مَشْمَرًا يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ مُجْتَهِدًا
 لِأَجْلِهَا يَسْتَلِينُ الْمَرْكَبَ الْخَشِينِ
 وَذُو الْحِجَا يَقْلِبُهَا زُهْدًا وَيُنْبِذُهَا
 وَرَاءَهُ نَبْذَةُ الْأَقْدَارِ فِي الدَّمَنِ
 يَرْمِي بِقَلْبٍ بَصِيرٍ فِي مَصَائِرِهَا
 فَلَا يُصَادِفُ غَيْرَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
 يَجُولُ بِالْفِكْرِ فِي تَذْكَارٍ مَنْ صَرَعَتْ
 مِنْ مُؤَثِّرِيهَا بِسَعْيِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ
 مِمَّنْ أَشَادَ مَبَانِيهَا وَأَحْكَمَهَا
 لَيْسْتِيَجِنُّ مِنَ الْأَقْدَارِ بِالْجُنَنِ
 نَالُوا مَكَارِمَهَا أَحْيَاوَا مَعَالِمَهَا
 سَأَلُوا صَوَارِمَهَا لِلْبَغْيِ وَالطَّغْنِ
 رَقُوا مَنَابِرَهَا قَادُوا عَسَاكِرَهَا
 بِقُوَّةٍ وَابْتَنَوْا الْأَمْصَارَ وَالْمُدُنِ
 وَعَبَدُوا النَّاسَ حَتَّى أَصْبَحُوا ذُلًّا
 لِأَمْرِهِمْ بَيْنَ مَغْلُوبٍ وَمُمْتَنِّهِنِ
 وَجَمَعُوا الْمَالَ وَاسْتَصَفَوْا نَفَائِسَهُ
 لِمُتَعَةِ النَّفْسِ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَنِ
 حَتَّى إِذَا امْتَلَأُوا بِشَرًّا بِمَا ظَفَرُوا
 وَمُكِّنُوا مِنْ غُلَاهَا أَبْلَغَ الْمَكْنِ
 نَادَاهُمَا هَادِمُ اللَّذَاتِ فَافْتَحِمُوا

سُئِلَ الْمَمَاتِ فَأَضْحَوْا عِبْرَةَ الْفُطْنِ
تِلْكَ الْقُبُورُ وَقَدْ صَارُوا بِهَا رِمَمًا
بَعْدَ الصَّخَامَةِ فِي الْأَجْسَامِ وَالسَّمَنِ
بَعْدَ التَّشَهِّيِّ وَأَكْلِ الطَّيِّبَاتِ غَدَا
يَأْكُلُهُمُ الدُّودُ تَحْتَ الثُّرْبِ وَاللَّبَنِ
تَغَيَّرَتْ مِنْهُمْ الْأَلْوَانُ وَانْمَحَقَتْ
مَحَاسِنُ الْوَجْهِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْوُجُنِ
خَلَّتْ مَسَاكِينُهُمْ عَنْهُمْ وَأَسْلَمَهُمْ
مَنْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ
وَعَافَهُمْ كُلُّ مَنْ قَدْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ
مِنْ الْأَقَارِبِ وَالْأَهْلِيْنَ وَالْحَدَنِ
مَا كَانَ حَظُّهُمْ مِنْ عَرَضٍ مَا اكْتَسَبُوا
غَيْرَ الْحُنُوطِ وَغَيْرَ الْقُطَنِ وَالْكَفَنِ
تِلْكَ الْقُصُورُ وَتِلْكَ الدُّورُ خَاوِيَةٌ
يَصِيحُ فِيهَا غُرَابُ الْبَيْنِ بِالْوَهَنِ
فَلَوْ مَرَزْتَ بِهَا وَالْبُومُ يَنْدُبُهَا
فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ لَمْ تَلْتَدَّ بِالْوَسَنِ
وَلَا تَجَمَّلْتَ بِالْأَرْيَاشِ مُفْتَحِرًا
وَلَا افْتَسَنْتَ بِحُبِّ الْأَهْلِ وَالسَّكَنِ
وَلَا تَلْدُذْتَ بِالْمَطْعُومِ مِنْهُمْ كَمَا
وَلَا سَاعَيْتَ لِدُنْيَا سَاعِي مُفْتَسِنِ

وَلَا اعْتَبَرْتُ إِذَا شَاهَدْتَ مُعْتَبِرًا
 تَرَاهُ بِالْعَيْنِ أَوْ تَسْمَعُهُ بِالأُذُنِ
 إِنَّ المَوَاعِظَ لَا تُغْنِي أَسِيرَ هَوَى
 مُثْقَلِ القَلْبِ فِي حَيْدٍ عَنِ السُّنَنِ
 مُسْتَكْبِرًا يَبْطُرُ الحَقَّ الصَّرِيحَ إِذَا
 يُلْقَى إِلَيْهِ لِفَرْطِ الجَهْلِ وَالشُّنَنِ
 يَمْتَنِي النَفْسَ أَمْرًا لَيْسَ يُدْرِكُهُ
 إِنَّ الأَمَانِيَّ مِقْطَاعٌ عَنِ المِنَنِ
 يَكْفِي اللِّيبَ كِتَابُ اللّهِ مَوْعِظَةً
 كَمَا أَتَى فِي حَدِيثِ السَّيِّدِ الحَسَنِ
 مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِ اللّهِ قُدُوتَنَا
 مُطَهَّرِ الجَيْبِ عَنِ عَيْبٍ وَعَنْ دَرَنِ
 عَلَيْهِ مَنَّا صَلَاةُ اللّهِ دَائِمَةً
 مَا سَارَتْ الرِّيحُ بِالأَمْطَارِ وَالسُّفُنِ
 وَالأَلِ وَالصَّحْبِ مَا غَنَّتْ مُطَوَّقَةً
 وَمَا بَكَتْ عَيْنٌ مُشْتَاقٍ إِلَى وَطَنِ

قِصَّةُ لَزِيدِ بنِ حَارِثَةَ

مَضَتْ سَعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ تَبْتَعِي زِيَارَةَ قَوْمِهَا بَنِي مَعْنٍ ، وَكَانَتْ تَصْحَبُ مَعَهَا غُلَامَهَا زَيْدَ
 بَنَ حَارِثَةَ الكَعْبِيِّ .

فَمَا كَادَتْ تَحُلُّ فِي دِيَارِ قَوْمِهَا حَتَّى أَعَارَتْ عَلَيْهِمْ خَيْلٌ لِبَنِي القَيْنِ فَأَخَذُوا المَالَ وَاسْتَأْفُوا
 الإِبِلَ ، وَسَبَّوْا الدَّرَارِي ، وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مَنِ احْتَمَلُوهُ مَعَهُمْ وَلَدَهَا زَيْدُ بَنُ حَارِثَةَ .

وَكَانَ زَيْدٌ - إِذْ ذَاكَ - غُلَامًا صَغِيرًا يَدْرُجُ نَحْوَ الثَّامِنَةِ مِنْ عُمْرِهِ ، فَأَتَوْا بِهِ سُوقَ عُكَاظٍ وَعَرَضُوهُ لِلْبَيْعِ فَاشْتَرَاهُ ثَرِيٌّ مِنْ سَادَةِ قُرَيْشٍ هُوَ حَكِيمُ بْنُ حِرَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ بَأَرْبَعِمِائَةٍ دِرْهَمٍ .
وَاشْتَرَى مَعَهُ طَائِفَةً مِنَ الْعُلَمَانِ ، وَعَادَ بِهِمْ إِلَى مَكَّةَ .
فَلَمَّا عَرَفَتْ عَمَّتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ بِمَقْدِمِهِ ، زَارَتْهُ مُسَلِّمَةً عَلَيْهِ ، مُرَحَّبَةً بِهِ ، فَقَالَ لَهَا :
يَا عَمَّةَ ، لَقَدْ ابْتَعْتُ مِنْ سُوقِ عُكَاظٍ طَائِفَةً مِنَ الْعُلَمَانِ فَاخْتَارِي أَيًّا مِنْهُمْ تَشَائِينَهُ ، فَهُوَ هَدِيَّةٌ لَكَ .

فَتَفَرَّسَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ وَجُوهَ الْعُلَمَانِ ... وَاخْتَارَتْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، لِمَا بَدَأَ لَهَا مِنْ
عَلَامَاتِ نَجَابَتِهِ ، وَمَضَتْ بِهِ .
وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَزَوَّجَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَرَادَتْ أَنْ
تُطْرِفَهُ وَتُهْدِي لَهُ ، فَلَمْ تَجِدْ خَيْرًا مِنْ غُلَامِهَا الْأَثِيرِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، فَأَهْدَتْهُ إِلَيْهِ .
وَفِيمَا كَانَ الْغُلَامُ الْمَحْظُوظُ يَتَقَلَّبُ فِي رِعَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَيَحْظَى بِكَرِيمِ صُحْبَتِهِ ،
وَيَنْعَمُ بِجَمِيلِ خِلَالِهِ .

كَانَتْ أُمُّهُ الْمَفْجُوعَةُ بِفَقْدِهِ لَا تَرْفَأُ لَهَا عَبْرَةٌ وَلَا تَهْدَأُ لَهَا لَوْعَةٌ وَلَا يَطْمَئِنُّ لَهَا جَنْبٌ .
وَكَانَ يُزِيدُهَا أَسَىً عَلَى أَسَاهَا أَنَّمَا لَا تَعْرِفُ أَحِيًّا هُوَ فَتَرْجُوهُ أُمٌّ مَيِّتٌ فَتَيَأْسُ مِنْهُ .
أَمَّا أَبُوهُ فَأَخَذَ يَتَحَرَّاهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ ، وَيُسَائِلُ عَنْهُ كُلَّ رَكْبٍ وَيَصُوعُ حَنِينَهُ إِلَيْهِ شِعْرًا حَزِينًا
تَتَفَطَّرُ لَهُ الْأَكْبَادُ حَيْثُ يَقُولُ :

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلَ
 أَحْيِي فَيَرْجِي أَمْ أَتَى دُونَهُ الْأَجَلَ ؟
 فَوَ اللَّهُ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلٌ
 أَغَالِكَ بَعْدِي السَّهْلُ أَمْ غَالِكَ الْجَبَلُ
 تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا
 وَتُعْرِضُ ذَاكَرَاهُ إِذَا غَرُبَتْهَا أَفَلَنْ
 سَأَعْمَلُ نَصَّ الْعَيْسِ فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا
 وَلَا أَسْأَمُ التَّطَوَّافَ أَوْ تَسْأَمُ الْإِبِلُ
 حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي
 فَكُلُّ أَمْرِي فَإِنْ وَإِنْ غَرَّهُ الْأَمَلُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : وفي موسمٍ من مواسم الحج قصد البيت الحرام نفرٌ من قوم زيدٍ وفيما كانوا يطوفون بالبيت العتيق ، إذا هم بزيدٍ وجهًا لوجه ، فعرفوه وعادوا إلى ديارهم أخبروا حارثةً بما رأوا وحدّثوه بما سمعوا .

فَمَا أَسْرَعَ أَنْ أَعَدَّ حَارِثَةُ رَاحِلَتَهُ ، وَحَمَلَتْ مِنَ الْمَالِ مَا يَفْدِي بِهِ فَلَدَّةَ الْكَبِدِ ، وَفَرَّةَ الْعَيْنِ ، وَصَحَبَ مَعَهُ أَخَاهُ كَعْبًا ، وَأَنْطَلَقَا مَعًا يُعِدَّانِ السَّيْرَ نَحْوَ مَكَّةَ . فَلَمَّا بَلَغَاهَا دَخَلَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَا لَهُ :

يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَنْتُمْ حَيْرَانُ اللَّهِ ، تَفُكُّونَ الْعَايِنِ ، وَتُطْعِمُونَ الْجَائِعَ ، وَتُعِينُونَ الْمَلْهُوفَ .

وَقَدْ جِئْنَاكَ فِي ابْنِنَا الَّذِي عِنْدَكَ وَحَمَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْمَالِ مَا يَفِي بِهِ . فَاْمُنْ عَلَيْنَا وَفَادِهِ لَنَا بِمَا تَشَاءُ .

فَقَالَ مُحَمَّدٌ : ((وَمَنْ ابْنُكُمْ الَّذِي تَعِينَانِ)) ؟

فَقَالَ : غُلَامُكَ زَيْدٌ بِنُ حَارِثَةَ .

فَقَالَ : ((وَهَلْ لَكُمْ فِيمَا هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْفِدَاءِ)) ؟

فَقَالَا : وَمَا هُوَ ؟!

فَقَالَ : ((أَدْعُوهُ لَكُمْ ، فَخَيَّرُوهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، فَإِنْ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ بِعَيْرِ مَالٍ وَإِنْ

اخْتَارَنِي فَمَا أَنَا - وَاللَّهِ - بِالَّذِي يَرْغَبُ عَمَّنْ يَخْتَارُهُ)) .

فَقَالَا : لَقَدْ أَنْصَفْتَ وَبَالَغْتَ فِي الْإِنْصَافِ .

فَدَعَا مُحَمَّدٌ زَيْدًا وَقَالَ :

((مَنْ هَذَا)) ؟

قَالَ : هَذَا أَبِي حَارِثَةُ بْنُ شُرَاحِيلَ ، وَهَذَا عَمِّي كَعْبٌ .

فَقَالَ : ((قَدْ خَيَّرْتُكَ : إِنْ شِئْتَ مَضَيْتَ مَعَهُمَا ، وَإِنْ شِئْتَ أَقَمْتَ مَعِي)) .

فَقَالَ - فِي عَيْرٍ إِبْطَاءٍ وَلَا تَرْدُدٍ - : بَلْ أُقِيمُ مَعَكَ .

فَقَالَ أَبُوهُ : وَيْحَكَ يَا زَيْدُ ، أَلَمْ تَخْتَارِ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى أَبِيكَ وَأُمَّكَ ؟!

فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي يُفَارِقُهُ أَبَدًا .

فَلَمَّا رَأَى مُحَمَّدٌ مِنْ زَيْدٍ مَا رَأَى ، أَخَذَ يَدَهُ وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَوَقَفَ بِهِ بِالْحِجْرِ

عَلَى مَلَاءٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَقَالَ :

((يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْهَدُوا أَنَّ هَذَا ابْنِي يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ)) ...

فَطَابَتْ نَفْسُ أَبِيهِ وَعَمِّهِ ، وَخَلَفَاهُ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَادَ إِلَى قَوْمِهِمَا مُطْمَئِنِّي

النَّفْسَ مُرْتَاحِي الْبَالِ .

وَمُنْدُ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَصْبَحَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يُدْعَى بِزَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَظَلَّ يُدْعَى كَذَلِكَ حَتَّى بُعِثَ

الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَبْطَلَ الْإِسْلَامَ التَّبَيُّ حَيْثُ نَزَلَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ اذْعُوهُمْ

لِآبَائِهِمْ ﴾ فَأَصْبَحَ يُدْعَى : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ .

وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ زَيْدٌ - حِينَ اخْتَارَ مُحَمَّدًا عَلَى أُمَّهِ وَأَبِيهِ - أَيَّ غُنْمٍ غَنِمَهُ .
وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي أَنَّ سَيِّدَهُ الَّذِي آثَرَهُ عَلَى أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ هُوَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَرَسُولُ
اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ .

وَمَا خَطَرَ لَهُ بِيَالٍ أَنَّ دَوْلَةَ لِلْسَّمَاءِ سَتَقُومُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَتَمَلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ بَرًّا وَعَدْلًا ، وَأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ سَيَكُونُ اللَّيْنَةَ الْأُولَى فِي بِنَاءِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعَظْمَى ...
لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ يَدُورُ فِي خَلْدِ زَيْدٍ ... وَإِنَّمَا هُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ... وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَمُضِ عَلَى حَادِثَةِ التَّخْيِيرِ هَذِهِ إِلَّا بِضِعْ سِنِينَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا بِدِينِ
الْهُدَى وَالْحَقِّ ، فَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ .
وَهَلْ فَوْقَ هَذِهِ الْأَوْلِيَّةِ أَوْلِيَّةٌ يَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ ؟!

لَقَدْ أَصْبَحَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَمِينًا لِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ، وَقَائِدًا لِيُغُوثِهِ وَسَرَايَاهُ وَأَحَدَ خُلَفَائِهِ عَلَى
الْمَدِينَةِ إِذَا غَادَرَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَكَمَا أَحَبَّ زَيْدُ النَّبِيَّ وَآثَرَهُ عَلَى أُمَّهِ وَأَبِيهِ ، فَقَدْ أَحَبَّهُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَوَخَلَطَهُ بِأَهْلِهِ وَبَنِيهِ ، فَكَانَ يَشْتَأِقُ إِلَيْهِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ، وَيَفْرَحُ بِقُدُومِهِ إِذَا عَادَ إِلَيْهِ ، وَيَلْقَاهُ
لِقَاءً لَا يَحْطَى بِمِثْلِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ .

فَهَا هِيَ ذِي عَائِشَتُهُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا تُصَوِّرُ لَنَا مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ فَرَحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
بِلِقَاءِ زَيْدٍ فَتَقُولُ : (قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ

ρ فِي بَيْتِي فَفَرَعَ الْبَابَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ عُرْيَانًا - لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا مَا يَسْتُرُ مَا بَيْنَ سُرَّتِهِ وَرُكْبَتِهِ - وَمَضَى إِلَى الْبَابِ يَجُرُّ ثَوْبَهُ ، فَأَعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ . وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ عُرْيَانًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ . وَقَدْ شَاعَ أَمْرُ حُبِّ النَّبِيِّ لِرَيْدِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتَفَاضَ ، فَدَعَوْهُ (بَرِيدِ الْحُبِّ) وَأَطْلَمُوا عَلَيْهِ لَقَبَ (حَبِّ) رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَقَّبُوا ابْنَهُ أُسَامَةَ مِنْ بَعْدِهِ بِحَبِّ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنِ حَبِّهِ .

وفي السنة الثامنة من الهجرة شاء الله - تَبَارَكَتْ حِكْمَتُهُ - أَنْ يَمْتَحِنَ الْحَبِيبَ بِفِرَاقِ حَبِيبِهِ . ذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، بَعَثَ الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَزْدِيَّ بِكِتَابٍ إِلَى مَلِكِ بَصْرَى يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَارِثُ (مُؤْتَةَ) بِشَرْقِي الْأُرْدُنِ ، عَرَضَ لَهُ أَحَدُ أَمْرَاءِ الْغَسَاسِنَةِ شُرْحَبِيلُ بْنُ عَمْرٍو فَأَخَذَهُ ، وَشَدَّ عَلَيْهِ وَثَاقَهُ ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ .

فاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يُقْتَلْ لَهُ رَسُولٌ غَيْرُهُ .

وَجَهَّزَ جَيْشًا مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ لِعَزْوِ مُؤْتَةَ وَوَلَّى عَلَى الْجَيْشِ حَبِيبَهُ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَقَالَ : إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَتَكُونُ الْقِيَادَةُ لَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ كَانَتْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، فَإِنْ أُصِيبَ عَبْدُ اللَّهِ فَلْيَخْتَرِ الْمُسْلِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ رِجَالًا مِنْهُمْ .

مضى الجيش حتى وصل إلى (معان) بشَرْقِي الْأُرْدُنِ .

فَهَبَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ لِلدِّفَاعِ عَنِ الْعَسَاسِنَةِ وَانضَمَّ إِلَيْهِ مِائَةُ أَلْفٍ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ ، وَنَزَلَ هَذَا الْجَيْشُ الْجَرَّارُ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنْ مَوَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ .

بَاتَ الْمُسْلِمُونَ فِي (مَعَانَ) لَيْلَتَيْنِ يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا يَصْنَعُونَ .

فَقَالَ قَائِلٌ : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنَا وَنَنْتَظِرُ أَمْرَهُ .

وَقَالَ آخَرٌ : وَاللَّهِ - يَا قَوْمَ - إِنَّا لَا نُقَاتِلُ بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ وَإِنَّمَا نُقَاتِلُ بِهَذَا الدِّينِ .

فَانْطَلَقُوا إِلَى مَا خَرَجْتُمْ لَهُ .

وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ لَكُمْ الْفُوزَ بِإِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : إِمَّا الظَّفَرَ وَإِمَّا الشَّهَادَةَ .

ثُمَّ التَّقَى الْجَمْعَانَ عَلَى أَرْضِ مِوْتَةَ ، فَقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ قِتَالًا أَذْهَلَ الرُّومَ وَمَلَأَ قُلُوبَهُمْ هَيْبَةً لِهَذِهِ الْأَلْفِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَصَدَّتْ لِجَيْشِهِمُ الْبَالِغِ مِائَتِي أَلْفٍ .

وَجَالِدُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ عَنْ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَلَادًا لَمْ يَعْرِفْ لَهُ تَارِيخُ الْبُطُولَاتِ مِثْلًا حَتَّى خَرَقَتْ جَسَدَهُ مِائَتُ الرِّمَاحِ فَخَرَّ صَرِيحًا يَسْبِخُ فِي دِمَائِهِ .

فَتَنَاولَ مِنْهُ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَطَفِيقٌ يُدَوِّدُ عَنْهَا أَكْرَمَ الذُّودِ حَتَّى لَحِقَ بِصَاحِبِهِ .

فَتَنَاولَ مِنْهُ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَنَاضَلَ عَنْهَا أَبْسَلَ النَّضَالِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ صَاحِبَاهُ .

فَأَمَرَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ - وَكَانَ حَدِيثَ إِسْلَامٍ - فَانْحَازَ بِالْجَيْشِ ، وَأَنْقَذَهُ مِنَ الْفَنَاءِ الْمُحْتَمِّ .

بلغت رسول الله ﷺ أبناء مؤتة ، ومصرع قادته الثلاثة فحزن عليهم حزناً لم يحزن مثله قط .
ومضى إلى أهلهم يعزيهم بهم .
فلما بلغ بيت زيد بن حارثة لاذت به ابنته الصغيرة وهي مجهشة بالبكاء فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب .

فقال له سعد بن عبادة :

ما هذا يا رسول الله !؟

فقال عليه الصلاة والسلام :

((هذا بكاء الحبيب على حبيبه)) .

اللهم ثبت محبتك في قلوبنا وقوهنا وازرقنا القيام بطاعتك وجننا ما يسخطك وأصلح نياتنا
وذرياتنا وأعدنا من شر نفوسنا وسيئات أعمالنا وأعدنا من عدوك واجعل هوانا تبعاً لما جاء
به رسولك صلى الله عليه وسلم وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين
، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مَوْعِظَةٌ

عباد الله إن طاعة الله صلاح في الأرض لهذا أمر عز وجل بالطاعات ، وهذه الطاعات
ترضي الله سبحانه لأنها شكر له على نعمه المتواليات ، فينبغي لنا أن نحث عليها وأن نأمر
من ترك الطاعة أضن يعود إليها إذا كانت من فرائض الدين كالصلاة والزكاة والصيام والحج ،
وأن ننكر على من رأيناه يقترف معصية من المعاصي ، لأن المعاصي بكل أنواعها شروء
وأضرار

وَفَسَادٌ وَلَهَا سُؤْمٌ قَدْ يَعُمُّ الدُّنْيَا وَيَفْعَلُ الْأَفَاعِيلَ الْعِظَامَ فِي بَنِي الْإِنْسَانِ وَمِنْ آثَارِهَا الْمُضْرَّةُ بِالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ : أَنَّهَا إِفْسَادٌ لِلْعَقْلِ فَإِنَّ الْعَقْلَ نُورٌ وَالْمَعْصِيَةَ تُطْفِئُ نُورَ الْعَقْلِ وَمِنْهَا أَنَّ الْمَعَاصِيَ مَدَدٌ مِنَ الْإِنْسَانِ يَمُدُّ بِهَا عَدُوَّهُ عَلَيْهِ وَحَيْشٌ يُعَوِّبُهُ بِهِ عَلَى حَرَبِهِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُوهِنُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ وَمِنْهَا أَنَّهَا تَزْرَعُ أَمْثَالَهَا مِنَ الْمَعَاصِي وَمِنْهَا أَنَّهَا تَمَحِّقُ بَرَكَةَ الْعُمْرِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسَبِّبُ سَمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُعَسِّرُ عَلَى الْإِنْسَانِ أُمُورَهُ ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسَبِّبُ الْوَحْشَةَ بَيْنَ الْعَاصِي وَبَيْنَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُذْهِبُ الْحَيَاءَ وَمِنْهَا أَنْ تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللَّهِ لِعِبْدِهِ وَتَرْكِهِ ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُطْفِئُ مِنَ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُضْعِفُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُعْمِي بِصِيرَةِ الْقَلْبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسْقِطُ الْجَاهَ وَالْمَنْزِلَةَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ مِنَ الْأَضْرَارِ لِهَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْهَى عَنِ الْمَعَاصِي لِاسِيْمًا إِذَا كَانَتْ مِنْ كِبَارِ الْمَعَاصِي ، وَلَا تَنْسَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ لَمَّا فَقدُوا الْغَيْرَةَ عَلَى انْتِهَاكِ الْحُرْمَاتِ وَلَا تَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتَأَمَّلْ أَحْوَالَ الْأُمَّمِ وَمَا حَلَّ بِهَا مِنَ الْعُقُوبَاتِ بِأَسْبَابِ الذُّنُوبِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِدَنِيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

وَذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ٥٩٧ اشْتَدَّ الْعَلَاءُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ جَدًّا مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ ثُمَّ أَعْقَبَهُ فَنَاءٌ عَظِيمٌ حَتَّى حَكَى الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ فِي الدَّيْلِ أَنَّ الْعَادِلَ كَفَّرَ مِنْ مَالِهِ فِي مُدَّةِ شَهْرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ نَحْوًا مِنْ مَائَتِي أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفٍ مِيتٍ (٢٢٠٠٠٠) وَأُكْلَتِ الْكِلَابُ وَالْمَيْتَاتُ فِيهَا بِمِصْرَ وَأُكِلَ مِنَ الصَّغَارِ وَالْأَطْفَالِ خَلْقٌ كَثِيرٌ يَشْوِي الصَّغِيرَ وَالِدَاهُ وَيَأْكُلَانِهِ وَكَثُرَ فِي النَّاسِ هَذَا جَدًّا حَتَّى صَارَ لَا يُنْكَرُ بَيْنَهُمْ ،

فَلَمَّا فَرَعَتْ الْأَطْفَالَ وَالْمَيْتَاتُ غَلَبَ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ فَذَبَحَهُ وَأَكَلَهُ وَكَانَ الرَّجُلُ يَحْتَالُ عَلَى الْفَقِيرِ فَيَأْتِي بِهِ لِيُطْعِمَهُ أَوْ لِيُعْطِيَهُ شَيْئًا ثُمَّ يَذْبَحُهُ وَيَأْكُلُهُ وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَذْبَحُ امْرَأَتَهُ وَيَأْكُلُهَا وَشَاعَ هَذَا بَيْنَهُمْ بِلَا انْكَارٍ وَلَا شَكْوَى بَلْ عَذَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَوُجِدَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَرْبَعُمِائَةَ رَأْسٍ وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَطِبَّاءِ الَّذِينَ يُسْتَدْعَوْنَ إِلَى الْمَرْضَى فَكَانُوا يَذْبَحُونَ وَيُؤْكَلُونَ كَانَ الرَّجُلُ يَسْتَدْعِي الطَّبِيبَ ثُمَّ يَذْبَحُهُ وَيَأْكُلُهُ . وَقَدْ اسْتَدْعَى رَجُلٌ طَبِيبًا حَاذِقًا وَكَانَ الرَّجُلُ مُوسِرًا مِنْ أَهْلِ الْمَالِ فَذَهَبَ الطَّبِيبُ مَعَهُ عَلَى وَجَلٍ وَخَوْفٍ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَصَدَّقُ عَلَى مَنْ لَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ وَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيُسَبِّحُهُ وَيُكْتِرُ مِنْ ذَلِكَ فَارْتَابَ بِهِ الطَّبِيبُ وَتَحَيَّلَ مِنْهُ وَمَعَ هَذَا حَمَلَهُ الطَّمَعُ عَلَى الاستِمْرَارِ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ دَارَهُ فَإِذَا هِيَ خَرِبَةٌ فَارْتَابَ الطَّبِيبُ أَيْضًا فَخَرَجَ صَاحِبُهُ فَقَالَ لَهُ :

وَمَعَ الْبُطْءِ جِئْتُ لَنَا بِصَيْدٍ فَلَمَّا سَمِعَهَا الطَّبِيبُ هَرَبَ فَخَرَجَا خَلْفَهُ سِرَاعًا فَمَا خَلَصَ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ وَشَرٍّ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَنَةَ ٥٩٧ وَقَعَ وَبَاءٌ شَدِيدٌ بِبِلَادِ عَنَزَةَ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَكَانُوا عِشْرِينَ قَرْيَةً فَبَادَتْ مِنْهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ لَمْ يَبْقَ دِيَّارٌ وَلَا نَافِخُ نَارٍ وَبَقِيَتْ أَنْعَامُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ لَا قَائِي لَهَا . وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْكُنَ تِلْكَ الْقُرَى وَلَا يُدْخِلَهَا . بَلْ كَانَ مَنْ اقْتَرَبَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْقُرَى هَلَكَ مِنْ سَاعَتِهِ .

نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ بَأْسِهِ وَعَذَابِهِ وَغَضَبِهِ وَعِقَابِهِ أَمَّا الْقَرِيَّتَانِ الْبَاقِيَتَانِ فَلَمْ يَمُتْ مِنْهَا أَحَدٌ وَلَا عِنْدَهُمْ شُعُورٌ بِمَا جَرَى عَلَى مَنْ حَوْهَهُمْ بَلْ هُمْ عَلَى حَالِهِمْ لَمْ يُفْتَقِدْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَسُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ . انْتَهَى كَلَامُهُ .

وذكر السيوطي رحمه الله في تاريخ الخلفاء أن في سنة ٥٢٤ ارتفع سحابٌ

أَمْطَرَ بَلَدَ الْمُؤَصِّلِ نَارًا أَحْرَقَتْ مِنَ الْبَلَدِ مَوَاضِعَ كَثِيرَةً وَدُورًا كَثِيرَةً وَظَهَرَ فِيهَا بِبَعْدَادِ عِقَابٌ
طَيَّارَةٌ لَهَا شَوْكَتَانِ وَخَافَ النَّاسُ مِنْهَا وَقَدْ قَتَلَتْ جَمَاعَةَ أَطْفَالٍ .

هَذَا كُلُّهُ مِنْ آثَارِ الْمَعَاصِي قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ وَمَنْ نَظَرَ إِلَى الْحَالَةِ الْيَوْمِ وَمَا ظَهَرَ وَانْتَشَرَ مِنَ الْمَعَاصِي انْتَشَارَ
الْوَبَاءِ وَرَأَى النِّعَمَ فِي الْمَزَابِلِ وَرَأَى الْكُتُبَ الدِّينِيَّةَ تُطْرَحُ كَذَلِكَ مَعَ الْقِمَامَةِ فِي الشُّوَارِعِ تُدَاسُ
وَلَا آمَرَ وَلَا نَاهِيَ مَلَأَ الْخَوْفُ مِنَ الْعُقُوبَةِ صَدْرَهُ وَإِنْ كَانَ قَوِيَّ الدِّينِ وَعِنْدَهُ غَيْرَةٌ لِدِينِهِ مَرَضَ
بِمَا رَأَى وَسَمِعَ نَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يُخْصَّ بِالْعُقُوبَةِ مَنْ فَعَلَهَا وَمَنْ رَضِيَ بِهَا وَمَنْ عَلِمَ بِهَا وَقَدِرَ عَلَى
إِزَالَتِهَا وَلَمْ يَفْعَلْ .

اللَّهُمَّ ابرِّمْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ يُعْزُ فِيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ وَيُذَلُّ فِيهِ أَهْلُ مَعْصِيَتِكَ وَيُؤْمَرُ فِيهِ
بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُرْزَأُ فِيهِ مَا حَدَثَ مِنْ بَدْعٍ وَمُنْكَرَاتٍ وَمَعَاصِي وَيُحْيَا بِهِ
بَدَلُهَا مَا أُمِيتَ مِنْ سُنَّةٍ وَغَيْرَةٍ وَشِيْمَةٍ كَرِيمَةٍ وَمُرُوءَةٍ جَمِيلَةٍ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ
جَدِيدٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وقال الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن مُعَمَّر

يَرْتِي أَهْلَ الدَّرْعِيَّةِ بَعْدَ مَا هَدَمَهَا الظَّالِمُ الطَّاعِنِيُّ وَجُنُودُهُ إِبْرَاهِيمُ بَاشَا جَارَاهُ اللَّهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ هُوَ
وَأَعْوَانُهُ .

إِلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ أَشْكُو تَضَرُّعًا

وَأَدْعُوكَ فِي الضَّرَّاءِ رَبِّي لِتَسْمَعَا

فَكَمْ قَتَلُوا مِنْ فِتْيَةِ الْحَقِّ عُصَبَةً

هُدَاةً وَضَاةً سَاجِدِينَ وَرُكَّعًا

وَكَمْ دَمَّرُوا مِنْ مَرَبَعٍ كَانَ أَهْلًا
 وَقَدْ تَرَكُوا الدَّارَ الْأَيْسَةَ بَلَقَعَا
 فَأَصْبَحَتْ الْأَمْوَالُ فِيهِمْ نَهَائِيًا
 وَأَصْبَحَتْ الْأَيَّامُ غَرَثِيَّ وَجُوعًا
 وَفَرَّ عَنِ الْأَوْطَانِ مَنْ كَانَ قَاطِنًا
 وَفُرِّقَ الْإِلْفُ كَانَ مُجْتَمِعًا مَعَا
 مَضَوْا وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ حِينَ أوردُوا
 ثَنَاءً وَذِكْرًا طِيْبُهُ قَدْ تَضَوَّعَا
 فَجَارَاهُمُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ
 جِنَانًا وَرِضْوَانًا مِنْ اللَّهِ رَافِعَا
 فَإِنْ كَانَتْ الْأَشْبَاحُ مِمَّا تَبَاعَدَتْ
 فَإِنَّ الْأَرْوَاحَ الْمُحِبِّينَ مَجْمَعَا
 عَسَى وَعَسَى أَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ دِينَهُ
 وَيَجْبِرَ مِمَّا مَأْمَنَّا قَدْ تَصَدَّعَا
 وَيُظْهِرَ نُورَ الْحَقِّ يَغْلُو ضِيَاؤُهُ
 فَيُضْحِي ظِلَامَ الشُّرْكِ وَالشَّكِّ مُقَشَّعَا
 إِلَهِي فَحَقِّقْ ذَا الرَّجَاءِ وَكُنْ بِنَا
 رُؤْفًا رَحِيمًا مُسْتَجِيبًا لَنَا الدُّعَا
 أَلَا أَيُّهَا الْإِخْوَانِ صَبْرًا فَإِنِّي
 أَرَى الصَّبْرَ لِلْمَقْدُورِ خَيْرًا وَأَنْفَعَا

فَلَا تَيَأْسُوا مِنْ كَشْفِ ثَابٍ إِنَّهُ
 إِذَا شَاءَ رَبِّي كَشَفَ كَرْبٍ تَمَرَّعَا
 وَمَا قُلْتُ إِذَا أَشْكُو إِلَى الْخَلْقِ نَكْبَةً
 وَلَا جَزَعاً مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
 فَمَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا
 بِهَا قَهَرَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ أَجْمَعَا
 وَذَلِكَ عَنِ ذَنْبٍ وَعِصْيَانِ خَالِقِ
 أَخَذْنَا بِهِ حِيناً فَحِيناً لِنَرْجِعَا
 وَقَدْ آتَى أَنْ نَرْجُو رِضَاهُ وَعَفْوَهُ
 وَأَنْ نَعْرِفَ التَّقْصِيرَ مِمَّا فُتِقَلَعَا
 فَيَا مُحْسِناً قَدْ كُنْتَ تُحْسِنُ دَائِماً
 وَيَا وَاسِعاً قَدْ كَانَ عَفْوُكَ أَوْسِعَا
 نَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوءِ صُنْعِنَا
 فَإِنَّ لَنَا فِي الْعَفْوِ مِنْكَ لَمَطَمَعَا
 أَغْنِنَا أَغْنِنَا وَارْفَعْ الشَّدَّةَ الَّتِي
 أَصَابَتْ وَصَابَتْ وَاكْشِفِ الضُّرَّ وَارْفَعَا
 وَجُدْ وَتَفَضَّلْ بِالذِّي أَنْتَ أَهْلُهُ
 مِنَ الْعَفْوِ وَالْعُفْرَانِ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَا
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهَلَّتْهُمْ لِحْدَمَتِكَ وَجَعَلْتَهُمْ
 آمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ فَاعِلِينَ لَهُ ، وَنَاهِيْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجُنْتَيْنِ لَهُ .

اللَّهُمَّ مَكَّنْ حُبَّكَ فِي قُلُوبِنَا وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لَامْتِنَالِ طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ وَأَغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

نُبْدَةُ مِنْ حَيَاةِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ هُوَ أَخُو عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ سُمُوِّ شَرَفِهِ فِي قُرَيْشٍ وَعُلُوِّ
مَنْزِلَتِهِ فِي قَوْمِهِ رَقِيقُ الْحَالِ كَثِيرُ الْعِيَالِ وَقَدْ زِدَادَتْ حَالُهُ سُوءًا بِسَبَبِ تِلْكَ السَّنَةِ الْمُجْدِبَةِ الَّتِي
نَزَلَتْ بِقُرَيْشٍ فَأَهْلَكَتِ الزَّرْعَ وَأَيَّبَسَتْ الضَّرْعَ وَأَكَلَ بَعْضُ النَّاسِ الْعِظَامَ الْبَالِيَةَ .

وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي هَاشِمٍ يَوْمَئِذٍ أَيْسَرُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَمِنْ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ : ((يَا عَمُّ إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا
تَرَى مِنْ شِدَّةِ الْقَحْطِ وَمَضَضِ الْجُوعِ فَاَنْطَلَقْ بِنَا إِلَيْهِ حَتَّى نَحْمِلَ عَنْهُ بَعْضَ عِيَالِهِ فَاخُذْ أَنَا فَتَى
مِنْ بَيْنِهِ وَتَأْخُذْ أَنْتَ فَتَى آخَرَ فَتَكْفِيهِمَا عَنْهُ)) .

فَقَالَ الْعَبَّاسُ : لَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى خَيْرٍ وَحَضَضْتَ عَلَيَّ بِرُّ ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا أَبَا طَالِبٍ فَقَالَا
لَهُ : إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفِّفَ عَنْكَ بَعْضَ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ عِبَاءِ عِيَالِكَ حَتَّى يَنْكَشِفَ هَذَا الضَّرُّ الَّذِي
مَسَّ النَّاسَ فَقَالَ لَهُمَا : إِذَا تَرَكْتُمَا عَقِيلًا فَاَصْنَعَا مَا شِئْتُمَا .

فَاخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفَرًا وَجَعَلَهُ فِي عِيَالِهِ فَلَمْ
يَزَلْ عَلِيٌّ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ بِدَيْنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ
بِهِ مِنَ الْفِتْيَانِ .

وَبَقِيَ جَعْفَرٌ مَعَ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ حَتَّى شَبَّ وَأَسْلَمَ وَاسْتَعْنَى عَنْهُ ، انْضَمَّ جَعْفَرٌ إِلَى رَكْبِ النُّورِ
هُوَ وَزَوْجَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُنْذُ أَوَّلِ الطَّرِيقِ فَقَدْ أَسْلَمَا عَلَى يَدَيْ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَعَنْهُمَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَارَ الْأَرْقَمِ وَلَقِيَ جَعْفَرٌ وَزَوْجَتَهُ مِنْ أَدْيِ
قُرَيْشٍ وَنَكَحَاهَا مَا لَقِيَهُ

المُسْلِمُونَ الْأَوْلُونَ فَصَبِرَا عَلَى الْأَذَى لِأَنَّهُمَا كَانَ يَعْلَمَانِ أَنَّ طَرِيقَ الْجَنَّةِ مَفْرُوشٌ بِالْأَشْوَاكِ مَخْشُوفٌ بِالْمَكَارِهِ .

وَلَكِنْ الَّذِي كَانَ يَنْعِصُهُمَا وَيَنْعِصُ عَلَى إِخْوَانِهِمَا فِي اللَّهِ أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَحُولُ دُونَهُمْ وَدُونَ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَتَحْرِمُهُمْ مِنْ أَنْ يَتَذَوَّفُوا لَذَّةَ الْعِبَادَةِ فَقَدْ كَانَتْ تَقِفُ لَهُمْ فِي كُلِّ مَرْصِدٍ .
عِنْدَ ذَلِكَ اسْتَأْذَنَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُهَاجِرَ مَعَ زَوْجَتِهِ وَنَفَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَأَذِنَ لَهُمْ وَهُوَ حَزِينٌ فَقَدْ كَانَ يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُرْعَمَ هَؤُلَاءِ الْأَطْهَارِ عَلَى مُفَارَقَةِ دِيَارِهِمْ وَمُبَارَحَةِ مَرَائِعِ طَفُولَتِهِمْ وَدِيَارِهِمْ دُونَ ذَنْبِ جَنُوهُ إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا : رَبَّنَا اللَّهُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَدْفَعُ بِهِ أَدَى قُرَيْشٍ .

مَضَى رَكْبُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاسْتَفْرُوا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ الْمَلِكِ الصَّالِحِ فَتَذَوَّفُوا مِنْذُ اسْتَلَمُوا طَعْمَ الْأَمْنِ وَاسْتَمْتَعُوا بِحَلَاوَةِ الْعِبَادَةِ دُونَ أَنْ يُكَدَّرَ عَلَيْهِمْ مُكَدَّرٌ .

لَكِنْ قُرَيْشٌ مَا كَادَتْ تَعْلَمُ بِرَحِيلِ هَذَا النَّفَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَتَقَفَ عَلَى مَا نَالُوهُ فِي حِمَى مَلِيكِهَا مِنَ الطَّمَأْنِينَةِ عَلَى دِينِهِمْ ، وَالْأَمْنِ عَلَى عَقِيدَتِهِمْ ، حَتَّى جَعَلَتْ تَأْتِمُرُ بِهِمْ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ لَقِينَا فِيهَا خَيْرَ جَوَارٍ فَأَمِنَّا عَلَى دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ أَنْ نُؤَذَى .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشٌ ائْتَمَرَتْ بِنَا فَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ مِنْ رِجَالِهَا أَحَدُهُمَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَالثَّانِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَبَعَثَتْ

فَرِيشٌ مَعَهُمَا هِدَايَا كَثِيرَةٌ لِلنَّجَاشِيِّ وَلِبَطَارِقَتِهِ - الْبَطْرِيقُ رَجُلٌ الدِّينِ عِنْدَ النَّصَارَى -
ثُمَّ أَوْصَتْهُمَا بِأَنْ يَدْفَعَا لِكُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّةً قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا مَلِكَ الْحَبَشَةِ فِي أَمْرِ الْمُهَاجِرِينَ ،
فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُو وَعَبْدُ اللَّهِ عَلَى الْحَبَشَةِ لَقِيَا بَطَارِقَةَ النَّجَاشِيِّ وَدَفَعَا إِلَى كُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ .
وَقَالَا : إِنَّهُ قَدْ حَلَّ فِي أَرْضِ الْمَلِكِ غِلْمَانٌ مِنْ سَفَهَائِنَا صَبَبُوا عَنْ دِينِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ
وَفَرَّقُوا كَلِمَةَ قَوْمِهِمْ فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِي أَمْرِهِمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا دُونَ أَنْ يَسْأَلَهُمْ
عَنْ دِينِهِمْ فَإِنَّ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ أَبْصَرُوا بِهِمْ وَأَعْلَمَ بِمَا يَعْتَقِدُونَ .
فَقَالَ الْبَطَارِقَةُ لهُمَا : نَعَمْ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : وَمَ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ أَكْرَهُ لِعَمْرٍو وَصَاحِبِهِ
مَنْ أَنْ يَسْتَدْعِيَ أَحَدًا مِنَّا وَيَسْمَعَ كَلَامَهُ ثُمَّ أَتِيَا النَّجَاشِيَّ وَقَدَمَا إِلَيْهِ الْهَدَايَا فَاسْتَحْسَنَهَا
وَأُعْجِبَ بِهَا .
ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَى مَمْلَكَتِكَ طَائِفَةٌ مِنْ شِرَارِ غِلْمَانِنَا قَدْ جَاءُوا
بِدِينٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ فَفَارِقُوا دِينَنَا وَمَ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ
مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِيُرَدِّدَهُمْ إِلَيْهِمْ وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسَ بِمَا أَحَدْتُوهُ مِنْ فِتْنَةٍ .
فَنظَرَ النَّجَاشِيَّ إِلَى بَطَارِقَتِهِ فَقَالَ الْبَطَارِقَةُ : صَدَقَا أَيُّهَا الْمَلِكُ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَبْصَرُوا بِهِمْ وَأَعْلَمَ
بِمَا صَنَعُوا فَرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ لِيَرَوْا رَأْيَهُمْ فِيهِمْ فَعَضَبَ النَّجَاشِيَّ غَضَبًا شَدِيدًا مِنْ كَلَامِ بَطَارِقَتِهِ .
وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُهُمْ لِأَحَدٍ حَتَّى أَدْعُوهُمْ وَأَسْأَلَهُمْ عَمَّا نُسِبَ إِلَيْهِمْ

فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولُ هَذَانِ الرَّجُلَانِ أَسْلَمْتُهُمْ لهُمَا وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ حَمَيْتُهُمْ وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَيْنَا يَدْعُونَا لِلِقَائِهِ فَاجْتَمَعْنَا قَبْلَ الذَّهَابِ إِلَيْهِ وَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : إِنَّ الْمَلِكَ سَيَسْأَلُكُمْ عَنْ دِينِكُمْ فَاصْدَعُوا بِمَا تُؤْمِنُونَ بِهِ وَلِيَتَكَلَّمَ عَنْكُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ غَيْرُهُ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : ثُمَّ ذَهَبْنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ فَوَجَدْنَاهُ قَدْ دَعَا بَطَارِقَتَهُ فَجَلَسُوا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَدْ لَبَسُوا طَيِّبَاتِهِمْ وَاعْتَمَرُوا قَلَانِسَهُمْ وَنَشَرُوا كُتُبَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَوَجَدْنَا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ .

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِنَا الْمَجْلِسُ التَّفَتَ إِلَيْنَا النَّجَاشِيُّ وَقَالَ : مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي اسْتَحَدْتُمُوهُ لِأَنْفُسِكُمْ وَفَارَقْتُمْ بِسَبَبِهِ دِينَ قَوْمِكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي ؟

فَتَقَدَّمَ مِنْهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجَوَارَ وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنْ الضَّعِيفِ وَبَقِينَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَقَافَتَهُ .

فَلَمَّا دَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنُخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ .

وَقَدْ أَمَرْنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَحَقْنِ الدِّمَاءِ - أَيُّ حِفْظِهَا وَعَدَمِ سَفْكِهَا .

نَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَدْفِ الْمُحْصَنَاتِ

وَأَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَأَنْ نُقِيمَ الصَّلَاةَ وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَنَصُومَ رَمَضَانَ .
فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ
عَلَيْنَا فَمَا كَانَ مِنْ قَوْمِنَا أُيُّهَا الْمَلِكُ إِلَّا أَنْ عَدَوْا عَلَيْنَا فَعَدَّوْنَا أَشَدَّ الْعَذَابِ لِيَفْتِنُونَنَا عَنْ دِينِنَا
وَيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ .

فَلَمَّا ظَلَمُونَا وَقَهَرُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ
سِوَاكَ وَرَغَبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَالْتَفَتَ النَّجَاشِيُّ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ : هَلْ مَعَكَ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا
جَاءَ بِهِ نَبِيِّكُمْ عَنْ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ فَقَرَأَ عَلَيْهِ ﴿ كَهَيْعِص * ذَكَرَ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ حَتَّى
أَتَمَّ صَدْرًا مِنَ السُّورَةِ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَبَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ بِالذُّمُوعِ - أَيِ تَبَلَّلَتْ - وَبَكَى
أَسَافِقْتُهُ حَتَّى بَلَّلُوا كُتُبَهُمْ لِمَا سَمِعُوا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَهَنَا قَالَ النَّجَاشِيُّ : إِنَّ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ
نَبِيِّكُمْ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عَيْسَى لِيَخْرُجَ مِنْ مَشْكَاتٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ التَّفَتَ النَّجَاشِيُّ إِلَى عَمْرُو
وَصَاحِبِهِ وَقَالَ لَهُمَا : انْطَلِقَا فَلَا وَاللَّهِ لَا أَسَلِّمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَلَمَّا خَرَجْنَا
مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ تَوَعَّدَنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ : وَاللَّهِ لَا تَيَّرَ الْمَلِكُ عَدَاً وَلَا ذُكْرًا لَهُ
مِنْ أَمْرِهِمْ مَا يَمْلَأُ صَدْرَهُ غَيْظًا مِنْهُمْ وَيَشْحَنُ فُؤَادَهُ كُرْهًا لَهُمْ وَلَا حَمْلَنَّهُ عَلَى أَنْ يَسْتَأْصِلَهُمْ مِنْ
جُدُورِهِمْ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبِيعَةَ : لَا تَفْعَلْ يَا عَمْرُو فَإِنَّهُمْ مِنْ دَوِي قُرْبَانَا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا
فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : دَعْ عَنكَ هَذَا وَاللَّهِ لَا أُخْبِرُهُ بِمَا يُرْزَلُ أَقْدَامَهُمْ وَاللَّهِ

لَأَقُولَنَّ لَهُ إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَبْدٌ .

فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ دَخَلَ عَمْرُو عَلَى النَّجَاشِيِّ وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَوْيْتَهُمْ وَحَمَيْتَهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا فَأَرْسَلْ إِلَيْهِمْ وَسَلِّمْهُمَ عَمَّا يَقُولُونَهُ فِيهِ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَلَمَّا عَرَفْنَا ذَلِكَ نَزَلَ بِنَا مِنْ أَلْهَمِّ وَالْعَمِّ مَا لَمْ نَتَعَرَّضْ لِمِثْلِهِ وَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِذَا سَأَلَكُمُ عَنْهُ .

فَقُلْنَا : وَاللَّهِ لَا نَقُولُ فِيهِ إِلَّا مَا قَالَ اللَّهُ وَلَا نَخْرُجُ فِي أَمْرِهِ قَيْدَ أُمَّلَةٍ عَمَّا جَاءَنَا بِهِ نَبِينَا وَلَيْكُنْ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَا يَكُونُ .

ثُمَّ اتَّفَقْنَا عَلَى أَنْ يَتَوَلَّى الْكَلَامَ عَنَّا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَلَمَّا دَعَانَا النَّجَاشِيُّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ بَطَارِقَةً عَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي رَأَيْنَاهُمْ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلُ .

وَوَجَدْنَا عِنْدَهُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَصَاحِبَهُ فَلَمَّا صِرْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ بَادَرْنَا بِقَوْلِهِ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : إِنَّمَا نَقُولُ مَا جَاءَ بِهِ نَبِينَا فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : وَمَا الَّذِي يَقُولُ فِيهِ ؟

فَأَجَابَهُ جَعْفَرُ يَقُولُ عَنْهُ : « إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ » . فَلَمَّا سَمِعَ النَّجَاشِيُّ قَوْلَ جَعْفَرٍ ضَرَبَ بِيَدِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا خَرَجَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيِّكُمْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ .

فَتَنَاخَرَتْ الْبَطَارِقَةُ مِنْ حَوْلِ النَّجَاشِيِّ اسْتِنْكَارًا لِمَا سَمِعُوا مِنْهُ فَقَالَ : وَإِنْ خَرْتُمْ ثُمَّ التَّمَّتْ إِلَيْنَا وَقَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ آمِنُونَ ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ وَمَنْ تَعَرَّضَ لَكُمْ عُوقِبَ وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ وَأَنْ يُصَابَ أَحَدٌ مِنْكُمْ .

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى عَمْرٍو وَصَاحِبِهِ وَقَالَ : زُودُوا عَلَيَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا .
قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَخَرَجَ عَمْرٍو وَصَاحِبُهُ مَكْسُورَيْنِ مَفْهُورَيْنِ يَجْرَانِ أَذْيَالَ الْحَبِيبَةِ ، أَمَّا نَحْنُ
فَقَدْ أَقْمْنَا عِنْدَ النَّحَاشِيِّ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ أَكْرَمِ جَارٍ .

أَمْضَى جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فِي رِحَابِ النَّجَاشِيِّ عَشْرَ سَنَوَاتٍ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ
وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ غَادَرُوا بِلَادَ الْحَبَشَةِ مَعَ نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمَّا بَلَغُوهَا
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِداً مِنْ خَيْبَرَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا اللَّهُ لَهُ فَفَرِحَ بِلِقَاءِ جَعْفَرَ
فَرِحاً شَدِيداً حَتَّى قَالَ : « مَا أَذْرِي بَأَيُّهُمَا أَنَا أَشَدُّ فَرِحاً أَبْفَتِحَ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرَ » .
وَلَمْ تَكُنْ فَرِحَةُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُقْرَاءِ خَاصَةً بِعُودَةِ جَعْفَرَ بِأَقْلٍ مِنْ فَرِحَةِ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَانَ جَعْفَرُ شَدِيدَ الْحَدْبِ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ كَثِيرَ الْبِرِّ بِهِمْ حَتَّى كَانَ
يُلَقَّبُ بِأَبِي الْمَسَاكِينِ .

أَخْبَرَ عَنْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ : كَانَ خَيْرَ النَّاسِ لَنَا مَعَشَرَ الْمَسَاكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ
كَانَ يَمْضِي بِنَا إِلَى بَيْتِهِ فَيَطْعِمُنَا مَا يَكُونُ عِنْدَهُ حَتَّى نَقْدَ طَعَامَهُ أَخْرَجَ لَنَا الْعُكَّةَ الَّتِي يُوضَعُ
فِيهَا السَّمْنُ وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ فَنَشْتُمُّهَا وَنَلْعَقُ مَا عَلِقَ بِدَاخِلِهَا .

وَفِي أَوَائِلِ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ جَهَّزَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشاً لِمِنَازِلَةِ الرُّومِ فِي بِلَادِ
الشَّامِ وَأَمَرَ عَلَى الْجَيْشِ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَقَالَ : « إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ فَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ رَوَاحَةَ فَإِنْ قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَلْيَخْتَرْ الْمُسْلِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ أَمِيراً مِنْهُمْ » .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مُؤْتَةَ وَهِيَ قَرِيَّةٌ وَقَعَتْ عَلَى مَشَارِفِ الشَّامِ فِي الْأُرْدُنِّ وَجَدُوا أَنَّ الرُّومَ قَدْ
أَعَدُّوا لَهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ تُعَاوَهُمْ مِائَةُ أَلْفٍ أُخْرَى مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قَبَائِلِ لَحْمٍ وَجُدَامٍ وَفُضَاعَةَ
وغيرها .

أَمَّا جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ فَكَانَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَمَا أَنَّ التَّقَى الْجَمْعَانَ وَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ حَتَّى
خَرَّ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ صَرِيحاً مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ .

فَمَا أَسْرَعَ أَنْ وَثَبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ ظَهْرِ فَرَسِهِ ثُمَّ عَقَرَهَا حَتَّى لَا يَنْتَفِعَ بِهَا الْأَعْدَاءُ
بَعْدَهُ ثُمَّ حَمَلَ الرَّايَةَ وَدَخَلَ فِي صُفُوفِ الرُّومِ وَهُوَ يَنْشُدُ :

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا

طَيِّبَةُ وَبَارِدُ شَرَابُهَا

وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَادَابُهَا

كَكَافِرَةٍ بَعِيدَةٍ أَنْسَابُهَا

عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضَرَابُهَا

وَوَظَلَّ يَجُولُ بِسَيْفِهِ فِي صُفُوفِهِمْ وَيَصُومُ حَتَّى أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ قَطَعَتْ يَمِينَهُ فَأَخَذَ الرَّايَةَ بِشِمَالِهِ
فَمَا لَبِثَ أَنْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ أُخْرَى قَطَعَتْ شِمَالَهُ فَأَخَذَ الرَّايَةَ بِصَدْرِهِ وَعَضُدَيْهِ فَمَا لَبِثَ أَنْ أَصَابَتْهُ
ضَرْبَةٌ ثَالِثَةٌ فَسَمَّتَهُ نِصْفَيْنِ .

فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَمَا زَالَ يُقَاتِلُ حَتَّى لَحِقَ بِصَاحِبِيهِ .

بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصْرِعَ فُؤَادِهِ الثَّلَاثَةَ فَحَزِنَ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ الْحُزْنِ وَأَمَضَّهُ وَأَنْطَلَقَ
إِلَى بَيْتِ ابْنِ عَمِّهِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ أَسْمَاءَ تَتَأَهَّبُ لِاسْتِقْبَالِ زَوْجِهَا الْعَائِبِ قَدْ
عَجَنْتْ عَجِينَهَا وَغَسَلَتْ بَيْنَهَا وَدَهَنْتَهُمْ وَأَلْبَسَتْهُمْ .

قَالَتْ أَسْمَاءُ : فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ غُلَالَهٗ مِنْ الْحُزْنِ تُوشِحُ وَجْهَهُ الْكَرِيمَ .

فَسَرَتْ الْمَخَافُوفُ فِي نَفْسِي غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَشَأْ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْ جَعْفَرَ مَخَافَةَ أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ مَا أَكْرَهُ فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ فَهَبُّوا نَحْوَهُ فَرِحِينَ وَأَخَذُوا يَتَرَاخَمُونَ عَلَيْهِ كُلُّ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِهِ .

فَأَكَبَّ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ يَشْمُهُمْ وَعَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ مِنَ الدَّمْعِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا يُبْكِيكَ أْبَلَعَكَ عَنْ جَعْفَرَ وَصَاحِبِيهِ شَيْءٌ؟ قَالَ : « نَعَمْ لَقَدْ اسْتَشْهَدُوا هَذَا الْيَوْمَ » .

عِنْدَ ذَلِكَ غَاضَتْ الْبَسْمَةُ مِنْ وُجُوهِ الصَّغَارِ لَمَّا رَأَوْا وَسَمِعُوا أُمَّهُمْ تَبْكِي وَتَنْشَحُ وَجَمَدُوا أَمَا كِنْتُمْ كَأَنَّ عَلَى رُؤْسِهِمُ الطَّيْرَ .

أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَى وَهُوَ يُكْفِكِفُ عِبْرَاتِهِ وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ اخْلِفْ جَعْفَرَ فِي وِلْدِهِ اللَّهُمَّ اخْلِفْ جَعْفَرَ فِي أَهْلِهِ » . ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ رَأَيْتُ جَعْفَرَ فِي الْجَنَّةِ لَهُ جَنَاحَانِ مُضْرَجَانِ بِالْدمَاءِ » .

اللَّهُمَّ ارْحَمْ عُزْبَتَنَا فِي الْقُبُورِ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

انْتَهَى مِنْ صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ

قصة أسيد بن الحضير

قَدِمَ الْفَتَى الْمَكِّيُّ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ إِلَى يَثْرِبَ فَنَزَلَ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ أَحَدِ أَشْرَافِ الْخُزْرَجِ وَاتَّخَذَ دَارَهُ مَقَاماً لِنَفْسِهِ وَمُنْطَلِقاً لِبَيْتِ دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ

والتَّبَشِيرِ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 وَأَخَذَ أَبْنَاءُ يَثْرَبٍ يُقْبَلُونَ عَلَى بَحَالِسِ الدَّاعِيَةِ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ إِفْبَالًا كَبِيرًا وَكَانَ يُرْعَبُهُمْ
 فِيهِ غُدُوبَةٌ حَدِيثُهُ وَوُضُوحُ حُجَّتِهِ وَرِقَّةُ سَمَائِلِهِ وَوَضَاءُ الْإِيمَانِ الَّتِي تُشْرِقُ فِي وَجْهِهِ .
 وَكَانَ يَجْذِبُهُمْ إِلَيْهِ شَيْءٌ آخَرَ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ هُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي كَانَ يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ
 السَّاعَةَ بَعْدَ السَّاعَةِ بَعْضًا مِنْ آيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ بِصَوْتِهِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ الرَّحِيمِ وَنَبْرَاتِهِ الْحُلُوهِ الْآسِرَةِ
 فَيَسْتَلِينُ بِهَا الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ وَيَسْتَدِرُّ بِهَا الدَّمْعَ الْعَاصِيَةَ فَلَا يَنْفُضُ الْمَجْلِسُ مِنْ مَجَالِسِهِ إِلَّا
 عَنْ أَنَسٍ أَسْلَمُوا وَانْضَمُّوا إِلَى كِتَابِ الْإِيمَانِ .

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ خَرَجَ سَعْدُ بْنُ زُرَّارَةَ بِمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ لِيَلْقَى جَمَاعَةَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ
 وَيَعْرِضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَدَخَلَا بُسْتَانًا مِنْ بَسَاتِينِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَجَلَسَا عِنْدَ بَيْتِهَا الْعَدْبِيَّةِ فِي
 ظِلَالِ النَّخِيلِ فَاجْتَمَعَ عَلَى مُضْعَبِ جَمَاعَةٌ قَدْ أَسْلَمُوا وَآخَرُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْمَعُوا فَاَنْطَلَقَ
 يَدْعُو وَيُبَشِّرُ وَالنَّاسُ إِلَيْهِ مُنْصِتُونَ .

فَجَاءَ مَنْ أَخْبَرَ أُسَيْدَ بْنَ الْحَضِيرِ وَسَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَكَانَا سَيِّدَا الْأَوْسِ بِأَنَّ الدَّاعِيَةَ الْمَكِّيَّ قَدْ
 نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ دِيَارِهِمَا وَأَنَّ الَّذِي جَرَّاهُ عَلَى ذَلِكَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ مُسْتَعْلًا قَرَابَتَهُ مِنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ
 إِذْ كَانَ ابْنُ خَالَتِهِ .

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ الْحَضِيرِ : لَا أَبَا لَكَ يَا أُسَيْدُ انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الْفَتَى الْمَكِّيِّ
 الَّذِي جَاءَ إِلَى بَيْوتِنَا لِيُعْرِيَ ضِعْفَانَا وَيُسَفِّهَ آهْلَتَنَا وَارْجُزُهُ وَحَدِّرُهُ مِنْ أَنْ يَطَأَ دِيَارِنَا بَعْدَ الْيَوْمِ .
 ثُمَّ أَرْدَفَ يَقُولُ : وَلَوْلَا أَنَّهُ فِي ضِيآفَةِ ابْنِ خَالِي أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ لَكَفَيْتُكَ

ذَلِكَ وَأَخَذَ أُسَيْدٌ حَرْبَتَهُ وَمَضَى نَحْوَ الْبُسْتَانِ فَلَمَّا رَأَهُ سَعْدُ بْنُ زُرَّارَةَ قَالَ لِمُصْعَبٍ : وَيْحَكَ يَا مُصْعَبُ هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ وَأَرْجَحُهُمْ عَقْلاً وَأَكْمَلُهُمْ كَمَالاً أُسَيْدُ بْنُ الْخُضَيْرِ فَإِنْ يُسَلِّمَ يَتَّبِعُهُ فِي إِسْلَامِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ فَأَصْدَقَ اللَّهُ فِيهِ وَأَحْسَنَ التَّائِي لَه - أَيْ عَرَضَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ - .

وَقَفَّ أُسَيْدُ بْنُ الْخُضَيْرِ عَلَى الْجُمُعِ وَالتَّفَتَ إِلَى مُصْعَبٍ وَصَاحِبِهِ وَقَالَ : مَا جَاءَ بِكُمْ إِلَى دِيَارِنَا وَأَعْرَاكُمْ بِضِعْفَانَا اعْتِرَالًا هَذَا الْحَيِّ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ حَاجَةٌ بِنَفْسَيْكُمْ .

فَالْتَفَتَ مُصْعَبُ إِلَى أُسَيْدٍ بِوَجْهِهِ الْمَشْرِقِ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَخَاطَبَهُ بِالْمَهَجَةِ الصَّادِقَةِ وَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدَ قَوْمِهِ هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : بَجَلَسُ إِلَيْنَا فَتَسْمَعُ مِنَّا فَإِنْ رَضِيَتْ مَا قُلْنَا قَبْلَتَهُ وَإِنْ لَمْ تَرْضَهُ تَحَوَّلْنَا عَنْكُمْ وَلَمْ نَعُدْ إِلَيْكُمْ فَقَالَ أُسَيْدٌ : لَقَدْ أَنْصَفْتَ وَرَكَزَ رُحْمَهُ فِي الْأَرْضِ وَجَلَسَ .

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مُصْعَبٌ يَذْكُرُ لَهُ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ فَأَشْرَقَتْ أَسَارِيرُهُ وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ وَقَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الَّذِي تَقُولُ وَمَا أَجْمَلَ الَّذِي تَتْلُو كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ .

فَقَالَ مُصْعَبُ : تَعْتَسِلُ وَتُطَهَّرُ ثِيَابَكَ وَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَتُصَلِّيَ رُكْعَتَيْنِ فَقَامَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَطَهَّرَ بِمَائِهَا وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ فَأَنْصَمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى كِتَابِ الْإِسْلَامِ .

وَكَانَ فَارِساً قَارِئاً كَاتِباً فِي مُجْتَمَعِ نَدَرٍ فِيهِ مَنْ يَقْرَأُ أَوْ يَكْتُبُ وَكَانَ إِسْلَامُهُ سَبَباً فِي إِسْلَامِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا سَبَباً فِي أَنْ تُسَلِّمَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَوْسِ وَأَنْ تُصْبِحَ الْمَدِينَةَ مُهَاجِراً لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَوْتِلاً وَقَاعِدَةً لِدَوْلَةِ الْإِسْلَامِ الْعُظْمَى .

وَقَدْ أُولِعَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ بِالْقُرْآنِ مُنْذُ سَمِعَهُ مِنْ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَلَعَّ الْمُحِبِّ بِحَبِيبِهِ
وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ إِقْبَالَ الظَّامِئِ عَلَى الْمَوْرِدِ الْعَذْبِ فِي الْيَوْمِ الْقَائِضِ وَجَعَلَهُ شُعْلَةَ الشَّاعِلِ فَكَانَ لَا
يُرَى إِلَّا مُجَاهِدًا غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ عَاكِفًا يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ .

وَكَانَتْ تَطِيبُ لَهُ الْقِرَاءَةُ أَكْثَرَ مَا تَطِيبُ إِذَا سَكَنَ اللَّيْلُ وَنَامَتِ الْعُيُونُ وَصَفَتِ النُّفُوسُ
وَكَانَ الصَّحَابَةُ يَتَحَيَّيْتُونَ أَوْقَاتَ قِرَاءَتِهِ وَيَتَسَابِقُونَ إِلَى سَمَاعِ تِلَاوَتِهِ وَقَدْ اسْتَعْدَبَ أَهْلُ السَّمَاءِ
قِرَاءَتَهُ كَمَا اسْتَعْدَبَهَا أَهْلُ الْأَرْضِ .

فَفِي جَوْفِ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي كَانَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ جَالِسًا فِي مَرِيدِهِ وَابْنُهُ يَحْيَى نَائِمٌ جَانِبَهُ
وَفَرَسُهُ قَدْ أَعَدَّهَا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُرْتَبِطَةً غَيْرَ بَعِيدَةٍ عَنْهُ وَكَانَ اللَّيْلُ سَاجِيًا فَتَأَقَّتْ نَفْسُ
أُسَيْدِ بْنِ الْحُضَيْرِ لِلْقِرَاءَةِ .

فَشَرَعَ يَقْرَأُ : ﴿ الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

فَإِذَا بِهِ يَسْمَعُ فَرَسَهُ وَقَدْ جَالَتْ جَوْلَةٌ كَادَتْ تُقَطِّعُ بِسَبَبِهَا رِبَاطَهَا فَسَكَتَ فَسَكَتَتِ الْفَرَسُ
وَقَرَّتْ فَعَادَ يَقْرَأُ : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فَجَالَتْ جَوْلَةٌ أَشَدَّ
مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا فَسَكَتَتْ فَسَكَتَتْ فَخَافَ عَلَى ابْنِهِ يَحْيَى أَنْ تَطَّأَهُ .

فَمَضَى إِلَيْهِ لِيُؤْفِظَهُ وَهَنَا حَانَتْ مِنْهُ التَّفَاتَةُ نَحْوَ السَّمَاءِ فَرَأَى عَمَامَةً كَالْمِظَلَّةِ لَمْ تَرَ الْعَيْنُ
أُرْوَعَ وَلَا أَنْهَى مِنْهَا قَطُّ وَقَدْ غُلِقَ بِهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ فَمَلَأَتِ الْآفَاقَ ضِيَاءً وَسَنَاءً وَهِيَ تَصْعَدُ
إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى غَابَتْ عَنْ عَيْنَيْهِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ مَضَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَصَّ عَلَيْهِ حَبَرَ

مَا رَأَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَمِعُ لَكَ يَا أَسِيدُ وَلَوْ أَنَّكَ مَضَيْتَ فِي قِرَاءَتِكَ لَرَأَاهَا النَّاسُ)) . وَكَانَ يُحِبُّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُبًّا شَدِيدًا وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَيُّ أَنْ يَمَسَّ جَسَدَهُ جَسَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ أُتِيحَ لَهُ ذَلِكَ مَرَّةً فِي ذَاتِ يَوْمٍ كَانَ أَسِيدُ يُطْرِفُ النَّاسَ بِمَلْجِهِ فَعَمَزَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَاصِرَتِهِ بِيَدِهِ كَأَنَّهُ يَسْتَحْسِنُ مَا يَقُولُ فَقَالَ أَسِيدُ : أَوْجَعْتَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ((افْتَصَّ مِنِّي)) . فَقَالَ أَسِيدُ : إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ قَمِيصٌ حِينَ عَمَزْتَنِي .

فَرَفَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ عَنْهُ فَاحْتَضَنَهُ أَسِيدٌ وَجَعَلَ يَقْبَلُ مَا بَيْنَ إِبْطِهِ وَخَاصِرَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا لُبُعِيَّتِي أَمَنَّاها مُنْذُ عَرَفْتُكَ وَقَدْ بَلَغَتْهَا الْآنَ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَادِلُ أَسِيدًا حُبًّا بِحُبٍّ وَيَحْفَظُ لَهُ سَابِقَتَهُ فِي الْإِسْلَامِ وَذَوْدَهُ عَنْهُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى إِنَّهُ طَعِنَ سَبْعَ طَعَنَاتٍ مُمِيتَاتٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِفُ لَهُ قَدْرَهُ وَمَنْزِلَتَهُ فِي قَوْمِهِ فَإِذَا شَفَعَ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ شَفَعَهُ فِيهِ حَدَّثَ أَسِيدٌ قَالَ : جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ لَهُ أَهْلَ بَيْتِ مَنْ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ حَاجَةٌ وَجُلُّ ذَلِكَ الْبَيْتِ نِسْوَةٌ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَقَدْ جِئْتَنَا يَا أَسِيدُ بَعْدَ أَنْ أَنْفَقْنَا مَا بَأْيَدِينَا فَإِذَا سَمِعْتَ بِشَيْءٍ قَدْ جَاءَنَا فَادْكُرْ لَنَا أَهْلَ ذَلِكَ الْبَيْتِ .

فَجَاءَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَالٌ مِنْ خَيْبَرَ فَفَسَّمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَعْطَى الْأَنْصَارَ وَأَجْزَلَ وَأَعْطَى أَهْلَ ذَلِكَ الْبَيْتِ وَأَجْزَلَ فَقُلْتُ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنْهُمْ خَيْرًا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَقَالَ : ((وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ جَزَاكُمْ اللَّهُ أَطْيَبَ الْجَزَاءِ فَإِنَّكُمْ مَا عَلِمْتُ أَعَفَّةً صَبْرًا وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ أَثْرَةً بَعْدِي فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي وَمَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ)) .

قَالَ أُسَيْدُ فَلَمَّا آلَتْ الْخِلَافَةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَسَمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَالًا وَمَتَاعًا فَبَعَثَ إِلَى بَحْلَةَ فَاسْتَصْعَرَتْهَا فَبَيْنَمَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ مَرَّ بِي شَابٌّ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ سَابِغَةٌ مِنْ تِلْكَ الْحُلَلِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَى عُمَرَ وَهُوَ يَجْرُهَا عَلَى الْأَرْضِ جَرًّا .

فَذَكَرْتُ لِمَنْ مَعِيَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ أَثْرَةً مِنْ بَعْدِي)) . وَقُلْتُ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قُلْتُ فَجَاءَنِي مُسْرِعًا وَأَنَا أُصَلِّي فَقَالَ : صَلِّ يَا أُسَيْدُ فَلَمَّا قَضَيْتُ صَلَاتِي أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَاذَا قُلْتَ ؟ .

فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ وَبِمَا قُلْتُ فَقَالَ : عَفَا اللَّهُ عَنْكَ تِلْكَ حُلَّةٌ بَعَثْتُ بِهَا إِلَى فُلَانٍ وَهُوَ أَنْصَارِي عَقَبِي بَدْرِي أَحْدِي فَشَرَاهَا مِنْهُ هَذَا الْقَيْ الْقُرَشِيِّ وَلَبِسَهَا فَقَالَ أُسَيْدُ بِنِ الْحَضِيرِ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي زَمَانِكَ وَلَمْ يَعِشْ أُسَيْدُ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلًا فَقَدْ اخْتَارَهُ اللَّهُ إِلَى جِوَارِهِ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ .

ولشيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي رحمه الله

وَكُنْ ذَاكِرًا لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ

فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَقْفٌ مُقَيَّدٌ

فَذِكْرُ إِلَهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعَلِنًا

يُزِيلُ الشَّقَا وَالْهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ

وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيَاً وَآجِلًا

وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشْرِدُ
 فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لِيَصْحِبِهِ
 بَأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرَدُ
 وَوَصَّى مُعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلَهَهُ
 عَلَى ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالْحُسْنِ يَعْبُدُ
 وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِنَصِيحَةٍ
 وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ
 بَأَنَّ لَا يَزَلُ رَطْبًا لِسَانَكَ هَذِهِ
 تُعِينُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسْعِدُ
 وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ غَرَسٌ لِأَهْلِهِ
 بِجَنَّاتِ عَدْنٍ وَالْمَسَاكِينِ تُمْهَدُ
 وَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ يَذْكُرُ عَبْدَهُ
 وَمَعَهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدُّ
 وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ يَبْقَى بِجَنَّةٍ
 وَيَنْقُطُ عِ التَّكْلِيفِ حِينَ يُخَلَّدُ
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرُ أَنَّهُ
 طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ إِلَهِهِ وَمُرْشِدُ
 وَيُنْهَى الْفِتَى عَنْ غِيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ
 وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدُ

لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ
بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ نِعَمَ الْمُؤَخَّرِ
وَلَكِنَّا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا
كَمَا قَلَّ مَنَّا لِلَّهِ التَّعَبُّدُ

اللَّهُمَّ أَدِقْنَا عَفْوَكَ وَعُفْرَانِكَ وَاسْلُكْ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ ، وَعَامِلْنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ وَأَقْطَعْ
عَنَّا مَا يُبْعَدُ عَنْ طَاعَتِكَ ، اللَّهُمَّ وَثِّبْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة أبي الدرداء

أَبُو الدَّرْدَاءِ كُنِيَّةُ عُوَيْرِ بْنِ مَالِكِ الحَزْرَجِيِّ وَمِنْ قِصَتِهِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ صَنَمٌ نَصَبَهُ فِي أَشْرَفِ
مَكَانٍ مِنْ بَيْتِهِ فَنَهَضَ إِلَيْهِ يَوْمًا فَحَيَّاهُ وَضَمَنَهُ بِأَنْفَسِ مَا حَوَاهُ مَتَجَرُّهُ الْكَبِيرُ مِنَ الطَّيِّبِ ثُمَّ
أَلْقَى عَلَيْهِ ثُوبًا جَدِيدًا مِنْ فَاخِرِ الحَرِيرِ .
وَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ غَادَرَ أَبُو الدَّرْدَاءِ مَنْزِلَهُ يُرِيدُ الدَّهَابَ إِلَى مَحَلِّ تِجَارَتِهِ فَإِذَا شَوَارِعُ
الْمَدِينَةِ وَطُرُقَاتُهَا تَضِيقُ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ عَائِدُونَ مِنْ بَدْرِ وَأَمَامَهُمْ أَفْوَاجُ
الْأَسْرَاءِ مِنْ قُرَيْشٍ .
فَأَعْرَضَ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنْهُمْ وَأَقْبَلَ عَلَى فِتْيٍ مِنْهُمْ وَسَأَلَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَطَمَّنَهُ الْفَتَى
عَلَيْهِ لَمَّا كَانَ يَعْلَمُهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ بَيْنَهُمَا فِي الجَاهِلِيَّةِ .

فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ بَادَرَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَظَلَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَلَى شِرْكِهِ وَلَمْ يَقْطَعْ ابْنُ رَوَاحَةَ الصِّلَةَ الَّتِي بَيْنَهُمَا بَلْ ظَلَّ يَتَعَهَّدُهُ بِالزِّيَارَةِ وَيَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَحْتُثُّ عَلَيْهِ وَيُرْعَبُهُ فِيهِ .
 وَعِنْدَمَا وَصَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى مَتَحَرِّهِ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي ابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى مَنْزِلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَلَمَّا وَصَلَهُ رَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ فِي الْفِنَاءِ - أَيِّ سَاحَةِ الْبَيْتِ - فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّةَ اللَّهِ فَقَالَتْ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَخَا أَبِي الدَّرْدَاءِ .

فَقَالَ : أَيْنَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ؟ فَقَالَتْ : ذَهَبَ إِلَى مَتَحَرِّهِ فَقَالَ : أَتَأْذِينِ ؟ فَقَالَتْ : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ وَأَفْسَحَتْ لَهُ الطَّرِيقَ وَمَضَتْ إِلَى حُجْرَتِهَا وَأَنْشَعَلَتْ عَنْهُ بِإِصْلَاحِ شَأْنِ بَيْتِهَا وَرِعَايَةِ أَطْفَالِهَا .

دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى الْحُجْرَةِ الَّتِي وَضَعَ فِيهَا أَبُو الدَّرْدَاءِ صَنَمَهُ وَأَخْرَجَ قَدُومًا أَحْضَرَهُ مَعَهُ وَمَالَ إِلَى الصَّنَمِ وَقَطَّعَهُ بِهِ وَكَسَرَهُ وَهُوَ يَقُولُ : الْأَكْلُ مَا يُدْعَى مَعَ اللَّهِ بَاطِلٌ .
 ثُمَّ غَادَرَ الْبَيْتَ ثُمَّ دَخَلَتْ أُمَّ الدَّرْدَاءِ إِلَى الْحُجْرَةِ الَّتِي فِيهَا الصَّنَمُ فَرَأَتْهُ مُكْسِرًا عَلَى الْأَرْضِ فَقَالَتْ : أَهْلَكْتَنِي يَا ابْنَ رَوَاحَةَ .

وَلَمَّا غَادَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَأَى امْرَأَتَهُ جَالِسَةً عِنْدَ بَابِ الْحُجْرَةِ الَّتِي فِيهَا الصَّنَمُ وَهِيَ تَبْكِي خَائِفَةً مِنْهُ فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَتْ : أَخُوكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ جَاءَنَا فِي غَيْبِكَ وَكَسَرَ الصَّنَمَ .

فَنظَرَ إِلَى الصَّنَمِ فَوَجَدَهُ حُطَامًا فَعَضِبَ وَهَمَّ أَنْ يَسْتَنْصِرَ لَهُ لَكِنَّهُ مَا لَبِثَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى سَكَتَ غَضَبُهُ ثُمَّ قَالَ : لَوْ كَانَ فِي الصَّنَمِ خَيْرٌ لَدَفَعْتُ عَنْهُ الْأَذَى .

ثُمَّ انطَلَقَ فَوْرًا إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ وَمَضِيََا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَنَ دُخُولَهُ فِي
الإِسْلَامِ وَنَدِمَ كَبِيرًا عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ خَيْرٍ وَأَدْرَكَ إِذْرَاكَ عَمِيقًا مَا سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ مِنْ فِعْلهِ
لِدِينِ اللَّهِ وَحَفِظَ لِكِتَابِ اللَّهِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ إِذْخَرُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ .

فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَهُ بِالْجُهْدِ الْجَاهِدِ وَأَنْ يُوَصِّلَ كَلَالَ اللَّيْلِ بِكَلَالِ النَّهَارِ حَتَّى
يَلْحَقَ بِالرَّكْبِ فَانصَرَفَ إِلَى الْعِبَادَةِ انصِرَافَ مُتَبَتِّلٍ - أَيِ مُنْقَطِعٍ عَنِ الدُّنْيَا - وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِلْمِ
إِقْبَالَ الظَّمَانِ وَأَقْبَلَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ يَحْفَظُ كَلِمَاتِهِ وَيَتَعَمَّقُ فِي فَهْمِ آيَاتِهِ .

وَلَمَّا رَأَى التَّجَارَةَ تُنْعَضُ عَلَيْهِ لَذَّةَ الْعِبَادَةِ وَتُفَوِّتُ عَلَيْهِ مَجَالِسَ الْعِلْمِ تَرَكَهَا غَيْرَ مُتَرَدِّدٍ وَلَا
آسِفٍ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ سَائِلٌ فَأَجَابَ لَقَدْ كُنْتُ تَاجِرًا قَبْلَ عَهْدِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَسَلِمْتُ وَدِدْتُ أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَ التَّجَارَةِ وَالْعِبَادَةِ فَلَمْ يَسْتَقِمْ لِي مَا أَرَدْتُ فَتَرَكْتُ
التَّجَارَةَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْعِبَادَةِ .

ثُمَّ التَّفَتَّ إِلَى سَائِلِهِ وَقَالَ : إِنِّي لَا أَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ الْبَيْعَ وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ
مِنَ الَّذِينَ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَتْرُكْ أَبُو الدَّرْدَاءِ التَّجَارَةَ فَحَسَبُ وَإِنَّمَا تَرَكَ
الدُّنْيَا وَأَعْرَضَ عَنْ زِينَتِهَا وَزُخْرُفِهَا وَاكْتَفَى مِنْهَا بِالْقَمَةِ حَسَنَةً تُقِيمُ صُلْبَهُ وَتُؤَبِّ صَفِيْقٍ يَسْتُرُ بِهِ
جَسَدَهُ .

وَفِي يَوْمٍ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ طَعَامًا سَاحِنًا وَمَنْ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ لُحْمًا
فَلَمَّا أَرَادُوا النَّوْمَ جَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِ طَلَبِ اللَّحْفِ لَهُمْ فَقَالَ وَاحِدٌ : أَنَا أَذْهَبُ إِلَيْهِ
وَأُكَلِّمُهُ .

فَقَالَ لَهُ آخِرُ : دَعُهُ فَأَبَى حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْحُجْرَةِ فَرَأَهُ قَدْ اضْطَجَعَ وَامْرَأَتُهُ جَالِسَةٌ قَرِيباً مِنْهُ لَيْسَ عَلَيْهَا وَلَا عَلَيْهِ إِلَّا ثَوْبٌ خَفِيفٌ لَا يَبْقَى مِنْ حَرٍّ وَلَا يَدْفَعُ الْبَرْدَ .

فَقَالَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ : مَا أَرَاكَ إِلَّا كَمَا بَيْنَا أَيْنَ مَتَاعِكُمْ ؟ فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : لَنَا دَارٌ هُنَاكَ نُرْسِلُ إِلَيْهَا تَبَاعاً كُلَّ مَا نَحْصِلُ عَلَيْهِ مِنْ مَتَاعٍ وَلَوْ كُنَّا اسْتَبَقَيْنَا فِي هَذِهِ الدَّارِ شَيْئاً لَبَعَثْنَا بِهِ إِلَيْكُمْ .

ثُمَّ إِنَّ فِي طَرِيقِنَا الَّذِي نَسْلُكُهُ إِلَى تِلْكَ الدَّارِ عَقَبَةٌ كَثُودٌ الْمُخِيفُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمُثْقَلِ فَأَرَدْنَا أَنْ نُخَفَّفَ مِنْ أَثْقَالِنَا لَعَلَّنَا نَجْتَا ، ثُمَّ قَالَ : أَفَهَمْتُمْ فَقَالَ : نَعَمْ فَهَمْتُ وَجُرَيْتُ خَيْرًا .
وَفِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرَادَ مِنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنْ يَلِيَّ لَهُ عَمَلًا فِي الشَّامِ فَأَبَى فَأَصْرَرَ عَلَيْهِ فَقَالَ : إِذَا رَضِيتَ مِنِّي أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِمْ لِأَعْلَمَهُمْ كِتَابَ رَبِّهِمْ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ وَأُصْلِي بِهِمْ ذَهَبْتُ .

فَرَضَى مِنْهُ عُمَرُ بِذَلِكَ وَمَضَى هُوَ إِلَى دِمَشْقَ فَلَمَّا بَلَغَهَا وَجَدَ النَّاسَ قَدْ أُولِعُوا بِالتَّرَفِ وَأَنْعَمَسُوا فِي النَّعِيمِ فَهَالَهُ ذَلِكَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَوَقَفَ فِيهِمْ .
وَقَالَ : يَا أَهْلَ دِمَشْقَ أَنْتُمْ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَالْجِيرَانُ فِي الدَّارِ وَالْأَنْصَارُ عَلَى الْأَعْدَاءِ يَا أَهْلَ دِمَشْقَ مَا الَّذِي يَمْنَعُكُمْ مِنْ مَوَدَّتِي وَاسْتِجَابَةِ لِنَصِيحَتِي وَأَنَا لَا أَبْتَغِي مِنْكُمْ شَيْئاً فَنَصِيحَتِي لَكُمْ وَمَوَدَّتِي عَلَى غَيْرِكُمْ .

مَا لِي أَرَى عُلَمَاءَكُمْ يَذْهَبُونَ وَجُهَّالِكُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ وَأَرَاكُمْ قَدْ أَقْبَلْتُمْ عَلَيَّ مَا تَكْفَلُ اللَّهُ لَكُمْ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَرَكْتُمْ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ مَا لِي

أَرَأَيْتُمْ بَجْمَعُونَ مَالاً تَأْكُلُونَ وَتُبْنُونَ مَالاً تَسْكُنُونَ وَتُؤْمَلُونَ مَالاً تَبْلُغُونَ .
لَقَدْ جَمَعَتِ الْأَقْوَامُ الَّتِي قَبْلَكُمْ وَأَمَلَتْ فَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُوراً وَأَمْلَهُمْ
عُرُوراً وَبُيُوتُهُمْ قُبُوراً هَذِهِ عَادٌ يَا أَهْلَ دِمَشْقِ قَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ مَالاً وَوَلَدًا فَمَنْ يَشْتَرِي مِنِّي تَرِكَةَ
عَادٍ بِدِرْهَمَيْنِ .

فَجَعَلَ النَّاسُ يَبْكُونَ حَتَّى سَمِعَ نَشِيحَهُمْ مِنْ خَارِجِ الْمَسْجِدِ .
وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ طَفِقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يُؤْمُ بِجَالِسِ الْقَوْمِ فِي دِمَشْقَ وَيُطُوفُ أَسْوَاقَهُمْ فَيُجِيبُ
السَّائِلَ وَيُعَلِّمُ الْجَاهِلَ وَيُنَبِّئُ الْعَافِلَ مُغْتَنِمًا كُلَّ فُرْصَةٍ مُسْتَفِيدًا مِنْ كُلِّ مُنَاسَبَةٍ .
وَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ بِجَمَاعَةٍ قَدْ تَجَمَّهُرُوا عَلَى رَجُلٍ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَشْتُمُونَهُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ
: مَا الْحَبْرُ ؟ قَالُوا : رَجُلٌ وَقَعَ فِي ذَنْبٍ كَبِيرٍ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَقَعَ فِي بئرٍ أَفَلَا تَكُونُوا تَسْتَخْرِجُونَهُ
مِنْهُ ؟ قَالُوا : بَلَى .

قَالَ : لَا تَسُبُّوهُ وَلَا تَضْرِبُوهُ وَإِنَّمَا عِظُوهُ وَبَصِّرُوهُ وَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي عَافَاكُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي ذَنْبِهِ
، قَالُوا : أَفَلَا تُبْغِضُهُ ؟ قَالَ : إِنَّمَا أُبْغِضُ فِعْلُهُ فَإِذَا تَرَكَهُ فَهُوَ أَحْيَى فَأَحَدَ الرَّجُلِ يَنْتَحِبُ وَيُعلنُ
تَوْبَتَهُ .

وَجَاءَ شَابٌّ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ أَوْصِنِي فَيَقُولُ لَهُ : يَا بُنَيَّ اذْكُرْ
اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ يَذْكُرْكَ فِي الضَّرَّاءِ يَا بُنَيَّ كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا وَلَا تَكُنْ الرَّابِعَ فَتَهْلِكَ .
يَا بُنَيَّ لِيَكُنْ الْمَسْجِدُ بَيْتَكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «
الْمَسَاجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ

لَمَنْ كَانَتْ الْمَسَاجِدُ يُبُوْثُهُمُ الرِّوْحَ وَالرَّحْمَةَ وَالْجَوَارَ - أَي الْمُرُورَ - عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَفِي أَثْنَاءِ إِقَامَةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِدِمَشْقَ بَعَثَ إِلَيْهِ وَإِلَيْهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ الدَّرْدَاءَ لِابْنِهِ يَزِيدَ فَأَبَى أَنْ يُزَوِّجَهَا لَهُ وَأَعْطَاهَا لِشَابٍِّ مِنْ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ دِينَهُ وَخَلَقَهُ . فَسَارَ ذَلِكَ فِي النَّاسِ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ : خَطَبَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بِنْتَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَرَدَّهُ وَزَوَّجَهَا لِرَجُلٍ مِنْ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ .

فَسَأَلَ أَبَا الدَّرْدَاءِ سَائِلٌ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّمَا تَحَرَّيْتُ فِيمَا صَنَعْتُهُ صَلَاحَ أَمْرِ الدَّرْدَاءِ فَقَالَ السَّائِلُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : مَا ظَنُّكُمْ بِالدَّرْدَاءِ إِذَا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهَا الْعَبِيدُ يَخْدُمُونَهَا وَوَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي قُصُورٍ يَخْطِفُ لِأَلْوَاهَا الْبَصَرَ أَيْنَ يُصْبِحُ دِينُهَا يَوْمَئِذٍ .

وَفِي خِلَالِ وُجُودِ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي بِلَادِ الشَّامِ قَدِمَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُتَفَقِّدًا أَحْوَالَهَا فَزَارَ صَاحِبَهُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ لَيْلًا فَدَفَعَ الْبَابَ فَإِذَا لَيْسَ عَلَقَ فَدَخَلَ فِي بَيْتِ مُظْلِمٍ لَا ضَوْءَ فِيهِ .

فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو الدَّرْدَاءِ حِسَّهُ قَامَ إِلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ وَأَخَذَ الرَّجُلَانِ يَتَفَاوَضَانِ الْأَحَادِيثَ وَالظَّلَامَ يَجْحَبُ كُلًّا مِنْهُمَا عَنْ عَيْنَيْ صَاحِبِهِ .

فَجَسَّ عُمَرُ وَسَادَهُ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَإِذَا هِيَ بِرَدْعَةٍ - كِسَاءٌ يُلْقَى عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ - وَجَسَّ فِرَاشَهُ فَإِذَا هُوَ حَصَى وَجَسَّ دِنَارُهُ - غِطَاءُهُ - فَإِذَا هُوَ كِسَاءٌ رَقِيقٌ لَا يَبْقَى شَيْئًا فِي الْبُرْدِ فِي دِمَشْقَ .

فَقَالَ لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ أَلَمْ أُوسِّعْ عَلَيْكَ أَلَمْ أُبْعَثْ إِلَيْكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : أَتَذْكُرُ يَا عُمَرُ حَدِيثًا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَيُّ حَدِيثٍ ؟ قَالَ : أَلَمْ يَقُلْ : ((لِيَكُنْ بِلَاغٌ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّكَابِ)) .

قَالَ : بَلَى قَالَ : فَمَاذَا فَعَلْنَا بَعْدَهُ يَا عُمَرُ فَبَكَى عُمَرُ وَبَكَى أَبُو الدَّرْدَاءِ وَمَا زَالَا يَتَجَاوَبَانِ بِالْبُكَاءِ حَتَّى طَلَعَ عَلَيْهِمَا الصُّبْحُ .

ظَلَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ فِي دِمَشْقَ يَعِظُ أَهْلَهَا وَيُذَكِّرُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ حَتَّى أَنَاهُ الْيَقِينُ

وَلَمَّا مَرَضَ مَرَضَ الْمَوْتِ دَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا : مَا تَشْتَكِي ؟ قَالَ : ذُنُوبِي قَالُوا : وَمَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : عَفْوَ رَبِّي ثُمَّ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَقِّنُونِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَمَا زَالَ يُرَدِّدُهَا حَتَّى فَارَقَ الْحَيَاةَ .

وَلَمَّا لَحِقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ بِجِوَارِ رَبِّهِ رَأَى عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ فِيمَا يَرَى النَّائِمَ مَرَجًا أَخْضَرَ . فَسِيحَ الْأَرْجَاءِ وَارِفَ الْأَفْيَاءِ فِيهِ قُبَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ أَدَمٍ - أَيِّ جِلْدٍ - حَوْهَا غَنَمٌ رَابِضَةٌ لَمْ تَرَ الْعَيْنَ مِثْلَهَا قَطُّ .

فَقَالَ : لِمَنْ هَذِهِ ؟ فَقِيلَ : لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَطَلَعَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مِنْ الْقُبَّةِ وَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ مَالِكٍ هَذَا مَا أَعْطَانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُرْآنِ وَلَوْ أَشْرَفَتْ عَلَى هَذِهِ الشَّيْئَةِ رَأَيْتَ مَا لَمْ تَرَ عَيْنُكَ وَسَمِعْتَ مَا لَمْ تَسْمَعْ أُذُنُكَ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِكَ فَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ : وَلِمَنْ ذَلِكَ كُلُّهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟ فَقَالَ : أَعَدَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ يَدْفَعُ عَنْهُ الدُّنْيَا بِالرَّاحَتَيْنِ وَالصَّدْرِ . انْتَهَى مِنْ صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَوَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَمَا صَرَفْتَ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ مُتَنَفِعِينَ ، وَإِلَى لَذِيذِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ ، وَلِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ خَاضِعِينَ

وَبِالْأَعْمَالِ مُخْلِصِينَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
 قَالَ بَعْضُهُمْ نَاطِمًا لِمَا ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ مِنْ مَفَاتِيحِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ :
 حَمِدْتُ الَّذِي يُؤَلِّي الْجَمِيلَ وَيُنْعِمُ
 لَهُ الْفَضْلَ يُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ وَيُكْرِمُ
 وَأَرْكَى صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
 عَلَى خَيْرِ مَخْلُوقٍ عَلَيْهِ يُسَلِّمُ
 مُحَمَّدٍ الْهَادِي وَأَصْحَابِهِ الْأَلْيَ
 بِحُسْنِ اجْتِهَادِ عِلْمُهُوا وَتَعَلَّمُواوا
 وَبَعْدُ فَقَدْ عَنِ الْوَفَاءِ لِسَائِلِ
 بُوَعْدِي إِيَّاهُ بِأَنِّي أَنْظِمُ
 مَفَاتِيحَ كَانَتْ لِلشُّرُورِ وَضِدَّهَا
 فَقَدْ فَازَ مَنْ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ يَعْلَمُ
 وَأَضْحَى بِمَا يَدْرِي مِنَ الْحَقِّ عَامِلًا
 فَكُنْ عَامِلًا بِالْعِلْمِ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ
 وَقَدْ جَعَلَ الْمَوْلَى لَهُنَّ مَفَاتِحًا
 تَنَالُ بِهَا وَاللَّهُ بِالْحَقِّ أَعْلَمُ
 فَمِفْتَاحُ شَرْعِي الصَّلَاةِ طَهُورُنَا
 وَيَفْتِيحُ حَجًّا مُحْرِمٍ حِينَ يُحْرِمُ
 وَبِالصَّدَقِ فَتِيحُ الْبِرِّ وَالْعِلْمُ فَتِيحُهُ
 بِحُسْنِ سُؤَالٍ عَنِ فَتَى يَتَعَلَّمُ

وَمُسْتَحْسِنُ الْإِصْغَاءِ وَالنَّصْرُ فَتَحُّهُ
 مَعَ الظَّفِيرِ الْمَحْمُودِ بِالصَّبْرِ فَاعْلَمُوا
 وَتَوْحِيدَنَا لِلَّهِ مِفْتَاحُ جَنَّةِ النَّارِ
 نَعِيمٍ فَبِالتَّوْحِيدِ دِينُوا تَعَمُّوا
 وَبِالشُّكْرِ لِلنَّعْمَاءِ فَتُحْ زِيَادَةٌ
 وَيَحْضُلُ حُبُّ وَالْوَالِيَاءِ تُغْنِمُ
 بِمِفْتَاحِهِ الذِّكْرُ الشَّرِيفِ وَذُو التَّقَى
 يَنَالُ بِتَقْوَاهُ الْفَلَاحَ وَيُكْرِمُ
 وَمِفْتَاحُ تَوْفِيقِ الْفَتَى صِدْقُ رَغْبَةٍ
 وَرَهْبَتِهِ ثُمَّ الدُّعَاءُ الْمُكْرِمُ
 لَدَى اللَّهِ مِفْتَاحُ الْإِجَابَةِ وَاعْلَمَنَّ
 بَأَنَّ جَمِيلَ الزُّهْدِ لِلْعَبْدِ مَغْنَمُ
 وَيُفْتَحُ لِلْعَبْدِ التَّجَلِّيَ بِرَغْبَةٍ
 بِدَارِ الْبَقَاءِ فَازْهَدْ لَعَلَّكَ تَغْنَمُ
 وَمِفْتَاحُ إِيمَانِ الْعِبَادِ تَفَكُّرُ
 بِمَا كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دَعَاؤُهُمْ
 إِلَى نَظَرٍ فِيهِ وَأَنْ يَتَفَكَّرُوا
 بِهِ وَدُخُولُ الْعَبْدِ ذَاكَ الْمَفْخَمُ
 عَلَى رَبِّهِ مِفْتَاحُ ذَاكَ سَلَامَةٌ
 وَإِسْلَامٌ قَلْبٍ لِلإِلَهِ فَاسْأَلُوا
 وَمَعَ ذَاكَ إِخْلَاصٌ بِحُبِّ وَبُغْضِهِ

وَفِعْلٌ وَتَرْكُ كُلِّ ذَلِكَ يَلْزَمُ
 وَيُخَيِّ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ تَضَرُّعُ
 بِأَوْقَاتِ أَسْحَارٍ فَكُنْ أَنْتَ مِنْهُمْ
 كَذَا الْوَحْيِ إِذْ يُنَلِّي بِحُسْنِ تَدَبُّرٍ
 وَتَرْكِ الذُّنُوبِ فَهِيَ لِلْقَلْبِ تُوْلُمٌ
 وَإِحْسَانٌ عَبْدٍ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ
 وَنَفْعُ الْعِبَادِ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِمْ
 لِإِصْلَاحِهِمْ مِفْتَاحُ تَحْصِيلِ رَحْمَةِ الْ
 إِلَهِ فَالْإِزْمُ ذَا لِعَلَّكَ تُرْحَمُ
 وَمِفْتَاحُ رِزْقِ الْعَبْدِ سَعْيٌ مَعَ التَّقَى
 وَكَثْرَةُ الْإِسْتِغْفَارِ إِذْ هُوَ مُجْرِمٌ
 وَمِفْتَاحُ عِزِّ الْعَبْدِ طَاعَةُ رَبِّهِ
 وَطَاعَةُ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ فَعِظْمُوا
 وَمِفْتَاحُ الْإِسْتِعْدَادِ مِنْكَ لِمَالِهِ
 تَصِيرُ مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ
 هُوَ الْقَصْرُ لِلْأَمَالِ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ
 مِفْتَاحُهُ رَغْبٌ مِنَ الْعَبْدِ يُعْلَمُ
 بِمَوْلَاهُ وَالِدَارِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ
 وَمِفْتَاحُ كُلِّ الشَّرِّ إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ
 إِطْلَاقُ الْآمَالِ فَاحْذَرِ عُرُورَهَا
 وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا الَّتِي تَتَصَرَّمُ

وَمِفْتَاحُ نَارِ الْخُلْدِ شِرْكُ بَرِّبِنَا
 وَكِبْرُ الْفَتَى فَالْكِبْرُ حُوبٌ مُعْظَمٌ
 وَإِعْرَاضُهُ عَمَّا عَنِ اللَّهِ قَدْ أَتَى
 بِهِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي النَّبِيُّ الْمَكْرَمُ
 وَعَقْلُهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَقِيَامِهِ
 بِحَقِّ لِنْدِي الْعَرْشِ الْمَلِيكِ يُحَتِّمُ
 وَمِفْتَاحُ إِثْمٍ يُوبِقُ الْعَبْدَ مُسْكِرُ
 مِنَ الْخَمْرِ فَاحْذَرَهَا لَعَلَّكَ تَسْلَمُ
 وَمِفْتَاحُ ذِي الْمَقْتِ الزَّانِ سِيءُ الْغِنَا
 وَذَلِكَ قُرْآنُ اللَّعِينِ وَمَأْتَمُ
 وَإِطْلَاقُ طَرْفِ الشَّخْصِ مِفْتَاحُ عَشْقِهِ
 لِمُسْتَحْسَنِ الْأَشْبَاحِ فَهُوَ مُحَرَّمُ
 وَبِالْكَسَلِ الْمَذْمُومِ مَعَ رَاحَةِ الْفَتَى
 يَخِيبُ وَكُلُّ الْخَيْرِ لَا شَكَّ يُحْرَمُ
 وَمِفْتَاحُ كُفْرَانَ الْفَتَى وَبَرِيدُهُ
 مَعَاصِيهِ وَالْعَاصِي قَرِيْبًا سَيَنْدَمُ
 وَبَابُ نِفَاقِ الْعَبْدِ يَفْتَحُهُ إِذَا
 يَكُونُ كَذُوبًا وَالْكَذُوبُ مُذَمَّمُ
 وَشُحُّ الْفَتَى وَالْحِرْصُ مِفْتَاحُ بُخْلِهِ
 وَمِفْتَاحُ أَخْذِ الْمَالِ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ
 بَأَنَّ لَيْسَ حِلًّا مَعَ قَطِيعَةِ رَحْمِهِ

وَكُلُّ ابْتِدَاعٍ فِي الْخَلِيقَةِ يُعَلِّمُ
 فَمِفْتَاحُهُ الْأَعْرَاضُ عَمَّا أَتَى بِهِ
 نَبِيُّ الْهُدَى مِنْ سُنَّةٍ نَسَلَّمُ
 وَأَخْتِمُ قَوْلِي فِي الْقَرِيضِ بِأَنْبِي
 أُصَلِّي عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَأُسَلِّمُ
 وَآلٍ مَعَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الَّذِينَ هُمْ
 لِمُقْتَسَبِ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ أَنْجُمُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

صُورٌ مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ فِي صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا ذَكَرَ فَتَحَ مَكَّةَ كَانَتْ أُمُّ الْقُرَى
 مَعْقِلَ الْوَثِيئَةِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ كُلِّهَا وَكَانَتْ جَمَعَ الْأَصْنَامِ وَقِبْلَةَ الْأَنْضَارِ وَمَطْمَعَ آمَالِ الْقَبَائِلِ
 قَرِيبَهَا وَبَعِيدَهَا وَكَانَتْ قُرَيْشٌ حَارِسَةَ الْكَعْبَةِ وَسَادِنَةَ الْبَيْتِ وَإِلَيْهَا الرِّيَاسَةُ وَالْقِيَادَةُ .
 وَكَانَتْ مَنَزَلَةُ الْقَبَائِلِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ مَنَزَلَةُ الْمَسُودِ مِنَ السَّيِّدِ وَالتَّابِعِ مِنَ الْمُتَبَوِّعِ
 وَمِنْ هُنَا كَانَتْ الْقَبَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ تَنْظُرُ إِلَى الْمَعْرَكَةِ الدَّائِرَةِ بَيْنَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَقُرَيْشٍ نَظْرَةَ الْجِدِّ وَالْاهْتِمَامِ وَتُتَابِعُ حَرَكَاتَهَا وَخُطُوتَهَا مُتَابِعَةً دَقِيقَةً .
 وَكَانَتْ كُلُّ حَرَكَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ وَخُطُوتَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخُطُوتِ تَتَرُكُ فِي الْجَاهَاتِ الْقَبَائِلِ أَثْرًا
 بَارِزًا مِنْ حَيْثُ إِقْبَالُهَا عَلَى الْإِسْلَامِ أَوْ إِعْرَاضُهَا عَنْهُ وَمِنْ حَيْثُ اجْتِمَاعِهَا لَهُ أَوْ اجْتِمَاعِهَا عَلَيْهِ

وَمَعَ أَنَّ الْحَوَادِثَ وَالْمَعَارِكَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي الْجَزِيرَةِ بَيْنَ

المُسْلِمِينَ وَقُرَيْشَ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودَ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومَ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَبَائِلَ الْعَرَبِ فِي نَوَاحِي الْجَزِيرَةِ كَانَتْ ذَاتَ أَثَرٍ فِي ظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَأَنْتِشَارِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْقَبَائِلِ .
فَإِنَّ بَقَاءَ مَكَّةَ عَلَى شِرْكِهَا وَهِيَ أُمُّ الْقُرَى وَمَعْقَلُ الْوَثِيئَةِ ظَلَّ سَدًّا حَائِلًا دُونَ خُلُوصِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلْإِسْلَامِ وَحَدَهُ وَظَلَّتْ هِيَ الْعَقَبَةُ الْكُؤُودُ فِي طَرِيقِهِ .

وَكَانَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ فِي أَوَاحِرِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ أَوَّلَ مَفَاتِيحِ هَذَا الْمَعْقَلِ الْعَتِيدِ فَقَدْ اعْتَرَفَتْ قُرَيْشٌ فِي ذَلِكَ الصُّلْحِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبُ مَذْهَبٍ جَدِيدٍ وَأَنَّهُ لَا بَأْسَ مِنْ أَنْ تُقِيمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا عَهْدًا يَسْتَقِرُّ بِهِ السَّلْمُ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ بَعْدَ مَا عَجَزَتْ كُلُّ الْعَجْزِ وَفَشَلَّتْ عَنِ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَذْهَبِهِ لَقَدْ ظَلَّتْ قُرَيْشٌ دَهْرًا طَوِيلًا لَا تَعْتَرِفُ بِمُحَمَّدٍ وَلَا بِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ الَّذِي خَالَفَ بِهِ دِينَهَا وَعَقَائِدَهَا وَخَرَجَ بِهِ عَلَى تَقَالِيدِهَا وَتَقَالِيدِ آبَائِهَا وَقَلَبَ بِهِ أَوْضَاعَهَا رَأْسًا عَلَى عَقَبِ وَظَلَّتْ قُرَيْشٌ فِي كِبَرِيَّائِهَا وَتَعَاظِمِهَا تَفْتَرِي عَلَيْهِ الْأَكَاذِيبَ وَتَصِفُهُ بِمَا تَشَاءُ مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي تُشَوِّهُ سَمْعَتَهُ وَدَعْوَتَهُ بَيْنَ الْعَرَبِ فَلَمَّا عَجَزَتْ وَأَنْفَطَعَتْ بِكُلِّ وَسَائِلِهَا أَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ وَعَلَى دَعْوَتِهِ اضْطَرَّتْ أَنْ تُنْزِلَهُ مِنْهُمْ مَنْزِلَةَ النَّدِّ مِنَ النَّدِّ وَأَنْ تُصَالِحَهُ وَلَوْ إِلَى حِينٍ لِيَتَّقِيَ خَطَرَهُ وَتَأْمَنَ جَانِبَهُ فَكَانَ هَذَا الصُّلْحُ أَوَّلَ مِفْتَاحِ فَكَّ اللَّهِ بِهِ إِغْلَاقَ مَكَّةَ .

ثُمَّ كَانَتْ عُمُرَةُ الْقُضَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَامٍ هِيَ الْمِفْتَاحُ الثَّانِي مِنْ

مَفَاتِيحَ ذَلِكَ الْحِصْنِ فَقَدْ كَانَ مَظْهَرُ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْعُمْرَةِ وَهُمْ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَفِي ائْتِلافِهِمْ وَتَضَامُنِهِمْ وَفِي حُسْنِ انْتِقِيادِهِمْ وَدِقَّةِ نِظَامِهِمْ وَفِي صِدْقِ مَحَبَّتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عَظِيمِ حِمَاسَتِهِمْ لِدِينِهِمْ وَشِدَّةِ تَمَسُّكِهِمْ بِآدَابِهِ وَفِي بَالِغِ تَقْدِيرِهِمْ لِلْبَيْتِ وَتَعْظِيمِ حُرْمَاتِهِ وَفِي كُلِّ مَا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ مِنْ شَعَائِرِ هَذِهِ الْعُمْرَةِ وَهُمْ فِي هَذِهِ الْحِمَاسَةِ وَهَذِهِ الْأَلْفَةِ وَهَذَا النِّظَامِ وَهَذَا التَّرْفُّعِ عَنْ كُلِّ مَا يَشِينُ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ كَانَ مَظْهَرُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ هَذَا مَظْهَرًا هَزَّ نُفُوسَ أَهْلِ مَكَّةَ هَزًّا عَنِيفًا وَلَمَسَ مَكَانَ الْعَقِيدَةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ فَرَلَزَهَا زَلْزَالًا شَدِيدًا فَأَخَذُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ نَظْرَةَ الْإِعْجَابِ وَالْإِكْبَارِ وَالْإِعْظَامِ وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ نَظْرَةَ التَّفَكِيرِ وَالتَّأَمُّلِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّفَهُمِ وَجَعَلُوا يُقَارِنُونَ بَيْنَ هَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ دِينٍ وَعَقِيدَةٍ وَمِنْ تَقَالِيدَ لَا يَقْبَلُهَا عَقْلٌ سَلِيمٌ وَلَا يُعْرِثُهَا مَنْطِقٌ وَيُوزِنُونَ بَيْنَ هَذِهِ الشَّعَائِرِ الَّتِي يُؤَدِّيهَا الْمُسْلِمُونَ فِي خُشُوعٍ وَأَنْسِحَامٍ وَخُضُوعٍ وَاطْمِئْنَانٍ وَبَيْنَ مَا يَفْعَلُونَ هُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ مِنْ لَعْوٍ وَهَوٍ وَلَعِبٍ وَبَاطِلٍ وَمَا يَقُومُونَ بِهِ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ مِنْ مَكَاةٍ وَتَصَدِيَةِ - أَيِ صَفِيرٍ وَتَصْنِيفِ

نَعَمْ أَخَذُوا يَنْظُرُونَ وَيَتَفَكَّرُونَ فَوَجَدُوا فَرْقًا شَاسِعًا ، وَبَوْنًا بَعِيدًا بَيْنَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الضَّلَالِ وَمَا عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَأَتْبَاعُهُ مِنَ النُّورِ فَلَانَتْ قُلُوبُهُمْ لِلْإِسْلَامِ .
 وَصَعَتْ إِلَيْهِ أَفئِدَتُهُمْ فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَجْهَرَ بِإِسْلَامِهِ . وَأَسَرَ الْإِسْلَامَ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِهِ ، وَنَهَيًّا كَثِيرٌ مِنْهُمْ لِأَنْ يُسَلِّمُوا لَوْلَا بَعْضُ الْمَوَانِعِ الَّتِي قَدَّرَهَا اللَّهُ فَكَانَتْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ الَّتِي أُصِيبَتْ

بِهَا عَقِيدَةُ أَهْلِ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ مِفْتَاحاً آخَرَ فَكَرَّ اللَّهُ بِهِ أَغْلَاقَ مَكَّةَ ، ثُمَّ أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَفُكَّ كُلَّ مَا بَقِيَ مِنْ أَغْلَاقِ هَذَا الْحِصْنِ ، فَكَانَ مَا كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ مِنْ نَقْضِ قُرَيْشٍ لِعَهْدِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ قَبِيلَتِي بَكْرٍ وَخُرَاعَةَ دِمَاءً وَتَرَاتًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ وَدَخَلَتْ خُرَاعَةُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلَتْ بَكْرٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ هَدَأَتْ الْحَرْبَ بَيْنَ الْقَبِيلَتَيْنِ ، وَأَمِنَ كُلُّ فَرِيقٍ جَانِبَ عَدُوِّهِ . انْتَهَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : فَلَمَّا اسْتَمَرَّتِ الْهُدْنَةُ اغْتَنَمَهَا بَنُو بَكْرٍ مِنْ خُرَاعَةَ وَأَرَادُوا أَنْ يُصِيبُوا مِنْهُمْ النَّارَ الْقَدِيمَ فَخَرَجَ نَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدَّيْلِيُّ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي بَكْرٍ فَبَيَّتْ خُرَاعَةَ وَهُمْ عَلَى الْوَتِيرِ فَأَصَابُوا مِنْهُمْ رِجَالاً وَتَنَاوَشُوا وَاقْتَتَلُوا وَأَعَانَتْ قُرَيْشُ بَنِي بَكْرٍ بِالسَّلَاحِ وَقَاتَلَ مَعَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ قَاتِلٍ مُسْتَخْفِيًا .

فَلَجَأَتْ خُرَاعَةُ إِلَى الْحَرَمِ لِتَحْتَمِي بِهِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ رِجَالَ بَكْرٍ مِنْ مُتَابَعَتِهَا حَتَّى قَتَلُوا مِنْهُمْ عِشْرِينَ رَجُلًا فَلَمَّا دَخَلَتْ خُرَاعَةُ مَكَّةَ لَجُّوا إِلَى دَارِ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءِ الْخُرَاعِيِّ وَمَوْلَى هُمْ يُقَالُ لَهُ : رَافِعٌ وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُرَاعِيُّ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِهِ .

فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا

جَلْفَ أَيْنَا وَأَيْبِيهِ الْأَتْلَدَا

قَدْ كُنْتُمْ وَاوَالِدًا وَكُنَّا وَالِدًا
 ثُمَّ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَ
 فَأَنْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَيَّدًا
 وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَا تُؤْتُوا مَدَدًا
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
 أَبْيَضُ مِثْلُ الْبَدْرِ يَسْمُو صُغْدَا
 إِنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
 فِي فَيْلِقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا
 إِنْ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمُؤَعْدَا
 وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
 وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رَصَدَا
 وَزَعَمُوا أَنَّ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
 وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
 هُمْ بَيِّنُونَ نَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا
 وَقَتَّلُونَا رُكْعًا سُجَّدَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « نُصِرْتُ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ ». ثُمَّ عَرَضَتْ سَحَابَةٌ
 لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: « إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ ». ثُمَّ
 خَرَجَ بَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُرَاعٍ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا أُصِيبَ فِيهِمْ وَبِمَظَاهِرِ قُرَيْشٍ لِبَنِي بَكْرِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ: « كَأَنَّكُمْ بَأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ

لِيَشُدَّ فِي الْعَقْدِ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ « . وَوَقَعَ طَبَقَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ وَقَدْ أَحَسَّتْ فُرَيْشٌ بِمَا وَرَاءَ عَدْرِهَا ذَاكَ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ فَأَوْفَدَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ زَعِيمَهَا أَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ لَعَلَّهُ يَتَلَقَى هَذِهِ الْعَلْطَةَ وَنَتَائِجَهَا وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ يَحْسُ خَطَرَ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ مُقَدِّمٌ عَلَيْهِ فَلَمْ يَشَأْ الدَّهَابَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوًّا ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَمْهِيدِ الطَّرِيقِ لِلِقَائِهِ .

فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشْفِعُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوَّتَهُ عَنْهُ أُمُّ حَبِيبَةَ .

فَعَجِبَ أَبُو سُفْيَانَ لِمَا رَأَى مِنْ فِعْلِ ابْنَتِهِ وَقَالَ لَهَا : بُنَيَّةُ مَا أَذْرِي أَرْغَبْتِ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ أَمْ رَغَبْتِ بِهِ عَنِّي فَحَابَهْتُهُ ابْنَتُهُ فِي صِرَاحَةٍ تَقُولُ : بَلْ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتِ رَجُلٌ مُشْرِكٌ بَحْسٌ فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ هَذِهِ صَدَمَةٌ شَدِيدَةٌ الْوَقْعِ عَلَى نَفْسِ أَبِي سُفْيَانَ لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهَا مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ .

فَلَمْ يَمْلِكْ أَنْ قَالَ لِابْنَتِهِ مُعَبَّرًا عَمَّا نَالَهُ مِنَ الْإِهَانَةِ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ بَعْدِي يَا بُنَيَّةُ شَرٌّ ثُمَّ خَرَجَ خَجَلًا مُضَعَّضَعِ النَّفْسِ مَكْلُومِ الْفُؤَادِ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا فَكَانَتْ هَذِهِ الصَّدَمَةُ أَنْكَى مِنَ الْأُولَى .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْبَرِّيَّةَ جُودُهُ وَإِنْعَامُهُ نَسْأَلُكَ أَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِعَفْوِكَ وَعُفْرَانِكَ ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

فَخَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ أَشَدَّ مَا يَكُونُ حَجَلًا وَإِنْكَسَارًا وَذَهَبَ يَسْتَشْفِعُ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمَهُ أَنْ يُكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ وَذَهَبَ إِلَى عُمَرَ فَأَعْلَظَ لَهُ الْقَوْلَ وَرَدَّ عَلَيْهِ فِي جَفَاءٍ وَغِلْظَةٍ .

فَقَالَ : أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا الذَّرَّ بِجَاهِدَتَكُمْ بِهِ وَهَدِيهِ صَدَمَةً عَظِيمَةً حَطَمْتُهُ زِيَادَةً ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ وَحَسَنٌ غُلَامٌ يَدْبُ بَيْنَ يَدَيْهِمَا فَقَالَ : يَا عَلِيُّ إِنَّكَ أَمَسَ الْقَوْمَ بِي رَحْمًا وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ فَلَا أُرْجِعَنَّ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا اشْفَعْ لِي إِلَى مُحَمَّدٍ فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكَلِّمَهُ فِيهِ .

فَالْتَفَتَ إِلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَأْمُرِي ابْنَكَ هَذَا فَيُجِيرُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَكُونُ سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ؟ .

قَالَتْ : (وَاللَّهِ مَا يَبْلُغُ ابْنِي ذَلِكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنِّي أَرَى الْأُمُورَ قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَيَّ ، فَاَنْصَحْنِي ، قَالَ : (وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ لَكَ شَيْئًا يُغْنِي عَنْكَ ، وَلَكِنَّكَ سَيِّدُ بَنِي كِنَانَةَ ، فَفُؤْمَ فَأَجْرِ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ الْحَقُّ بِأَرْضِكَ) .

قَالَ : أَوْ تَرَى ذَلِكَ مُعْنِيًا عَنِّي شَيْئًا ؟ قَالَ : (لَا ، وَاللَّهِ مَا أَظُنُّهُ ، وَلَكِنِّي مَا أَجِدُ لَكَ غَيْرَ ذَلِكَ) فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي

قَدْ أَجْرَتْ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ ، فَأَنْطَلَقَ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ؟
 قَالَ : جِئْتُ مُحَمَّدًا فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ
 خَيْرًا ، ثُمَّ جِئْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَوَجَدْتُهُ أَوْفَى الْعَدُوِّ ، ثُمَّ جِئْتُ عَلِيًّا فَوَجَدْتُهُ أَلْيَنَ الْقَوْمِ . قَدْ
 أَشَارَ عَلَيٌّ بِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي : هَلْ يُعْنِي عَنِّي شَيْئًا ، أَمْ لَا ؟ .
 قَالُوا : وَيَمَّ أَمْرَكَ ؟ قَالَ : أَمْرِي أَنْ أُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَفَعَلْتُ ، فَقَالُوا : فَهَلْ أَجَارَ ذَلِكَ
 مُحَمَّدًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالُوا : وَيَلْكَ ، وَاللَّهِ إِنْ زَادَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ لَعِبَ بِكَ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا
 وَجَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يُجَهِّزُوهُ ، فَدَخَلَ أَبُو
 بَكْرٍ عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَهِيَ تُحْرِكُ بَعْضَ جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 ، فَقَالَ : أَيُّ بَنِيَّةٍ ، أَمْرُكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَجْهِيزِهِ ؟ .
 قَالَتْ : نَعَمْ ، فَتَجَهَّزْ ، قَالَ : فَأَيْنَ تَرِينَهُ يُرِيدُ ؟ قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ ، مَا أَدْرِي . ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّه سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالتَّجَهُّزِ ، وَقَالَ : «
 اللَّهُمَّ خُذْ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ ، حَتَّى نَبْعَثَهَا فِي بِلَادِهَا » . فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ، فَكَتَبَ
 حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى قُرَيْشٍ كِتَابًا يُخْبِرُهُمْ فِيهِ بِمَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ،
 ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً ، وَجَعَلَ لَهَا جُعْلًا عَلَى أَنْ تَبْلُغَهُ قُرَيْشًا ، فَجَعَلَتْهُ فِي قُرُونِ رَأْسِهَا ، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ
 . وَآتَى .

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبٌ فَبَعَثَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ .
 وَغَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ يُقُولُ : بَعَثَ عَلِيًّا وَالْمِقْدَادَ - فَقَالَ : « انْطَلِقَا حَتَّى تَأْتِيَا رَوْضَةَ حَاخَ ،
 فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَاَنْطَلِقَا تَعَادَى بِيْهْمَا خَيْلَهُمَا ، حَتَّى وَجَدَا الْمَرْأَةَ بِذَلِكَ
 الْمَكَانِ ، فَاسْتَنْزَلَاهَا ، وَقَالَا : مَعَكَ كِتَابٌ ؟ فَقَالَتْ : مَا مَعِيَ كِتَابٌ ، فَفَتَشَا رَحْلَهَا فَلَمْ
 يَجِدَا شَيْئًا ، فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ : أَخْلِفُ بِاللَّهِ ، مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا كَذِبْنَا
 ، وَاللَّهِ لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكَ ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ مِنْهُ .

قَالَتْ : أَعْرِضْ . فَأَعْرِضَ . فَحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِهَا ، فَاسْتَخْرَجَتْ الْكِتَابَ مِنْهَا ، فَدَفَعَتْهُ
 إِلَيْهِمَا ، فَأَتِيَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا فِيهِ (مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى
 قُرَيْشٍ ، يُخْبِرُهُمْ بِمَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ) .

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبًا ، فَقَالَ : ((مَا هَذَا يَا حَاطِبُ)) ؟ فَقَالَ :
 لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَا ارْتَدَدْتُ وَلَا بَدَّلْتُ ، وَلَكِنِّي
 كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ لَسْتُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَوَلِي فِيهِمْ أَهْلٌ وَعَشِيرَةٌ وَوَلَدٌ ، وَلَيْسَ لِي فِيهِمْ
 قُرَابَةٌ يَحْمُونُهُمْ ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ لَهُمْ قُرَابَاتٌ يَحْمُونُهُمْ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ : أَنْ أَخْتَدَّ
 عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَإِنَّهُ

قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، وَقَدْ نَافَقَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ ؟ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)) . فَذَرَفَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ صَائِمٌ وَالنَّاسُ صَائِمُونَ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْكَؤِيدِ - وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّاسُ الْيَوْمَ قُدَيْدًا - أَفْطَرَ وَأَفْطَرَ النَّاسَ مَعَهُ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ ، وَهُوَ بَطْنٌ مَرٌّ ، وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ ، وَعَمِيَ اللَّهُ الْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ ، فَهُمْ عَلَى وَجَلٍ وَارْتِقَابٍ .

وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ يُخْرِجُ يَتَجَسَّسُ الْأَخْبَارَ ، فَخَرَجَ هُوَ وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَجَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ قَدْ خَرَجَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مُسْلِمًا مُهَاجِرًا ، فَلَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجُحْفَةِ - وَقِيلَ : فَوْقَ ذَلِكَ - وَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ ابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحُرْثِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، لَقِيَاهُ بِالْأَبْوَاءِ ، وَهُمَا ابْنُ عَمِّهِ وَابْنُ عَمَّتِهِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُمَا لِمَا كَانَ يَلْقَاهُ مِنْهُمَا مِنْ شِدَّةِ الْأَذَى وَالْهَجْوِ .

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ : (لَا يَكُنْ ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ أَشَقَى النَّاسِ بِكَ) وَقَالَ عَلِيٌّ لِأَبِي سُفْيَانَ - فِيمَا حَكَاهُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ - (إِنَّتِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ ، فَقُلْ لَهُ مَا قَالَ إِخْوَهُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ (١٢ : ٩١) : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِبِينَ ﴾ فَإِنَّهُ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلًا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ أَبُو

سُفْيَانٌ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَزْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فَأَنْشَدَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَرْثِ أَبِياتًا ، مِنْهَا :

لَعَمْرُكَ إِنِّي حِينَ أَحْمِلُ رَايَةَ

لِتَغْلِبَ خَيْلُ الْبَلاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ

لَكَ الْمُدْلِجِ الْخَيْرَانَ أَظْلَمَ لَيْلُهُ

فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدِي فَأَهْتَدِي

هَدَانِي هَادٍ غَيْرَ نَفْسِي وَدَلَّنِي

عَلَى اللَّهِ مَنْ طَرَدْتَهُ كُلَّ مَطْرِدٍ

فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ ، وَقَالَ : « أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مَطْرِدٍ » ؟ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمَ ، حَيَاءً مِنْهُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُهُ وَشَهِدَ لَهُ بِالْجَنَّةِ ، وَقَالَ : « أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَلْفًا مِنْ حَمْرَةَ » وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ : (لَا تَبْكُوا عَلَيَّ فَوَاللَّهِ مَا نَطَقْتُ بِخَطِيئَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ) .

(فَصْلٌ) عَادَ الْحَدِيثُ : فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظُّهْرَانِ نَزَلَهُ عِشَاءً فَأَمَرَ الْجَيْشَ فَأَوْقَدُوا النَّيْرَانَ فَأَوْقَدَتْ عَشْرَةُ آلَافِ نَارٍ ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَرَسِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَرَكِبَ الْعَبَّاسُ بَعْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْضَاءَ ، وَخَرَجَ يَلْتَمِسُ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ بَعْضَ الْخَطَّابَةِ ، أَوْ أَحَدًا يُخْبِرُ قُرَيْشًا لِيَخْرُجُوا يَسْتَأْمِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَنْوَةً .

قَالَ : (وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ عَلَيْهَا إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَبَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءَ ، وَهُمَا يَتَرَاكِعَانِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ نِيرَانًا قَطُّ وَلَا عَسْكَرًا . قَالَ : يَقُولُ بُدَيْلُ : هَذِهِ وَاللَّهِ خُرَاعَةٌ حَمَشْتَهَا الْحَرْبُ ، فَيَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ : خُرَاعَةٌ أَقْلُ وَأَذَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانًا وَعَسْكَرُهَا . قَالَ : فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ فَعُلْتُ : أَمَا حَنْظَلَةُ ؟ فَعَرَفَ صَوْتِي ، فَقَالَ : أَمَا الْفُضْلُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ : مَا لَكَ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، قَالَ : قُلْتُ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ ، وَاصْبَاحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ ، قَالَ : فَمَا الْحِيَلَةُ ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ ، فَارْكَبْ فِي عَجْزِ هَذِهِ الْبَعْلَةَ ، حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْتَأْمِنُهُ لِكَ ، فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ .

قَالَ : فَجِئْتُ بِهِ فَكَلَّمَا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى نَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا رَأَوْا بَعْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عَلَيْهَا ، قَالُوا : عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعْلَتِهِ ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَقَامَ إِلَيَّ .

فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجْزِ الدَّابَّةِ قَالَ : أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَكَضَتْ الْبَعْلَةُ ، فَسَبَقْتُ فَافْتَحَمْتُ عَنِ الْبَعْلَةِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ ، فَدَعَنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَجْرْتُهُ ، ثُمَّ

جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ أَحَدٌ دُونِي .

فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمُرِي فِي شَأْنِهِ ، قُلْتُ : مَهَلًا يَا عُمَرُ ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بَنِي عُدي بن كَعْبٍ مَا عَمِلْتَ مِثْلَ هَذَا ، قَالَ : مَهَلًا يَا عَبَّاسُ ، فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامِكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اذْهَبْ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأْتِنِي بِهِ » . فَذَهَبْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ؟ قَالَ : يَا أَبَتِي وَأُمِّي ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ! ! لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْنَى عَنِّي شَيْئًا بَعْدُ .

قَالَ : « وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ » ؟ قَالَ : يَا أَبَتِي وَأُمِّي ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ! ! أَمَا هَذِهِ : فَإِنَّ فِي النَّفْسِ حَتَّى الْآنَ مِنْهَا شَيْءٌ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : أَسْلِمَ وَاشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ غُنْفُكَ ، فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ .

فَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا ، قَالَ : « نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ » . وَأَمَرَ الْعَبَّاسُ أَنْ يَحْبَسَ أَبَا سُفْيَانَ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ ، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا ، فَفَعَلَ فَمَرَّتِ الْقَبَائِلُ عَلَى رِايَاتِهَا ، كُلَّمَا مَرَّتْ

بِهِ قَبِيلَةٌ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَا عَبَّاسُ ، مَنْ هَذِهِ ؟ فَأَقُولُ : سُلَيْمٌ . قَالَ : فَيَقُولُ مَالِي وَلِسُلَيْمٍ ، ثُمَّ تَمَّرَ بِهِ الْقَبِيلَةُ فَيَقُولُ : يَا عَبَّاسُ ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَأَقُولُ : مُزَيْنَةٌ ، فَيَقُولُ : مَالِي وَلِمُزَيْنَةَ ، حَتَّى نَفَدَتْ الْقَبَائِلُ ، مَا تَمَّرَ بِهِ قَبِيلَةٌ إِلَّا سَأَلَنِي عَنْهَا ، فَإِذَا أَخْبَرْتُهُ بِهِمْ قَالَ : مَالِي وَلِيِّي فُلَانٍ ، حَتَّى مَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابَتِهِ الْخَضْرَاءِ ، فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ مِنَ الْحَدِيدِ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! يَا عَبَّاسُ ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

قَالَ : مَا لِأَحَدٍ بِهَؤُلَاءِ قِبَالٌ وَلَا طَاقَةٌ ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَحِيكَ الْيَوْمَ عَظِيمًا . قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَا سُفْيَانَ ، إِنَّهَا التُّبُؤَةُ ، قَالَ : فَبِعَنَمٍ إِذَا .

قَالَ : قُلْتُ : التَّجَاءُ إِلَى قَوْمِكَ ، وَكَانَتْ رَأْيَةُ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَلَمَّا مَرَّ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ لَهُ : الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ ، الْيَوْمَ أَدَّلَ اللَّهُ قُرَيْشًا .

فَلَمَّا حَادَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ سَعْدٌ ؟ قَالَ : « وَمَا قَالَ » ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا فَقَالَ عُثْمَانُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا نَأْمُنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلِ الْيَوْمَ يَوْمٌ تُعْظَمُ فِيهِ الْكَعْبَةُ ، الْيَوْمَ يَوْمٌ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ قُرَيْشًا » . ثُمَّ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدٍ ، فَنَزَعَ مِنْهُ اللَّوَاءَ وَدَفَعَهُ إِلَى قَيْسِ ابْنِهِ وَرَأَى أَنَّ اللَّوَاءَ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ سَعْدٍ ، إِذْ صَارَ إِلَى ابْنِهِ ،

قَالَ أَبُو عُمَرَ : وَرَوَى (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَعَ مِنْهُ الرَّايَةَ دَفَعَهَا إِلَى الرَّيْبِ) .
 وَمَضَى أَبُو سُفْيَانَ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ قُرَيْشًا صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ
 جَاءَكُمْ فِيمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ هِنْدُ بِنْتُ
 عُتْبَةَ فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ فَقَالَتْ : افْتُلُوا الْحَمِيَّتَ الدَّسِمَ الْأَحْمَشَ السَّاقِينَ ، فُبِحَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ .
 قَالَ : وَيْلَكُمْ ، لَا تَعْرَنُكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ ، مَنْ
 دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَقَالُوا : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، وَمَا تُعْنِي عَنَّا دَارُكَ ؟ قَالَ : وَمَنْ أَعْلَقَ
 عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ .

فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ ، وَإِلَى الْمَسْجِدِ ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ
 مَكَّةَ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَضَرَبَتْ لَهُ هُنَالِكَ قُبَّةٌ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ
 الْوَلِيدِ أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ أَسْفَلِهَا . وَكَانَ عَلَى الْمَجْنَبَةِ الْيُمْنَى وَفِيهَا أَسْلَمٌ وَسَلِيمٌ وَغِفَارٌ وَمُرَيْنَةُ
 وَجُهَيْنَةُ ، وَقَبَائِلُ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى الرَّجَالِ وَالْحُسْرِ ، وَهُمْ الَّذِينَ لَا سِلَاحَ
 مَعَهُمْ ، وَقَالَ خَالِدٌ وَمَنْ مَعَهُ : (إِنْ عَرَضَ لَكُمْ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَاحْصُدُوهُمْ حَصْدًا ، حَتَّى
 تُوَافُونِي عَلَى الصَّفَا) فَمَا عَرَضَ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ . وَتَجَمَّعَتْ سُفَهَاءُ قُرَيْشٍ وَأَحْفَاؤُهَا مَعَ
 عِكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ، وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرِوٍ بِالْحَنْدَمَةِ لِيُقَاتِلُوا الْمُسْلِمِينَ .
 اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَجَنَّبْنَا الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ الْمُؤَبَقَاتِ
 وَوَقَّفْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ فِي

جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَرَزَحِنَا عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلْنَا فِيسِيحِ الْجَنَّاتِ يَا رَبِّعَ الدَّرَجَاتِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

(فَصْلٌ) : وَكَانَ حَمَّاسُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ أَخُو بَنِي بَكْرِ يُعِدُّ سِلَاحًا قَبْلَ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : لِمَ إِذَا تُعِدُّ مَا أَرَى ؟ قَالَ : لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا يَفْعَلُ لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْئًا ، قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرْجُو أَنِّي أَخْدِمُكَ بَعْضُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ يَقْبَلُوا إِلَيَّ يَوْمَ فَمَآلِي عَلَيْهِ

هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَإِلَيْهِ

وَدُو غِرَارَيْنِ سَرِيعِ السَّلَةِ

ثُمَّ شَهِدَ الْخَنْدَمَةَ مَعَ صَفْوَانَ وَعِكْرَمَةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، فَلَمَّا لَقِيَهُمُ الْمُسْلِمُونَ نَآوَشُوهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، فَقُتِلَ كُرْزُ بْنُ جَابِرِ الْفَهْرِيِّ ، وَخُنَيْسُ بْنُ خَالِدِ بْنِ رَبِيعَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَا فِي خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَشَدَّ عَنْهُ ، فَسَلَكَ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ فَمُتِلَا جَمِيعًا فَأُصِيبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ نَحْوُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، ثُمَّ انْهَزَمُوا ، وَانْهَزَمَ حَمَّاسُ صَاحِبُ السَّلَاحِ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : أَغْلِقِي عَلَيَّ بَابِي ، فَقَالَتْ : وَأَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ ؟

فَقَالَ : إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ

إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرَمَةُ

وَأَبُو يَزِيدٍ قَائِمٌ كَالْمُؤْتَمَةِ

وَاسْتَقْبَلْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ

يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجْمَةٍ

ضَرْبًا ، فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةُ

لَهُمْ نَهَيْتُ حَوْلَنَا وَهَمَّهُمْ

لَمْ تَنْطَقِي فِي اللُّؤْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ مَكَّةَ ، فَبَعَثَ الرَّزِيرَ عَلَى إِحْدَى الْمَجَنَّبَتَيْنِ ، وَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْمَجَنَّبَةِ الْأُخْرَى ، وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ عَلَى الْحُسْرِ ، وَأَخَذُوا بَطْنَ الْوَادِي ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَتِيبَتِهِ .

قَالَ : وَقَدْ وَبَّشَتْ قُرَيْشٌ أَوْبَاشًا لَهَا ، فَقَالُوا : نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ ، فَإِنْ كَانَ لِقُرَيْشٍ شَيْءٌ كُنَّا مَعَهُمْ ، وَإِنْ أُصِيبُوا أَعْطَيْنَا الَّذِي سَأَلْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((يَا أَبَا هُرَيْرَةَ)) . فَقُلْتُ : لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، فَقَالَ : ((اهْتِفْ لِي بِالْأَنْصَارِ ، وَلَا يَأْتِيَنِي إِلَّا أَنْصَارِي)) . فَهَتَفَ بِهِمْ ، فَجَاءُوا فَأَطَافُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : ((أَتَرُونَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ)) ؟ ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ - إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى اخْصُدُوهُمْ خَصْدًا حَتَّى تُؤَافُونِي بِالصَّفَا ، فَاَنْطَلَقْنَا ، فَمَا يَشَاءُ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقُولَ مِنْهُمْ إِلَّا شَاءَ ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ وَجَّهَ إِلَيْنَا شَيْئًا وَرَكَزْتُ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحُجُونِ عِنْدَ مَسْجِدِ الْفَتْحِ .

ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَلْفَهُ وَحَوْلَهُ ، حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَأَقْبَلَ إِلَى الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ ، فَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ ، وَفِي يَدِهِ قَوْسٌ وَحَوْلَ الْبَيْتِ وَعَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةٌ وَسِتُّونَ صَنْمًا ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِالْقَوْسِ ، وَيَقُولُ : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ جَاءَ الْحَقُّ ، وَمَا

يُبْدِي الباطلُ وما يُعيدُ ، والأصنامُ تتساقطُ على وُجوهِها .

وَكَانَ طِوَأُهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مُحْرِمًا يَوْمَئِذٍ ، فَأَقْتَصَرَ عَلَى الطَّوَافِ ، فَلَمَّا أَكْمَلَهُ دَعَا
عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الكَعْبَةِ ، فَأَمَرَ بِهَا فَمُتِحَتْ ، فَدَخَلَهَا بِالْأَزْلَامِ ، فَقَالَ : «
قَاتَلَهُمُ اللهُ ، وَاللهُ إِنْ اسْتَفْسَمَا بِهَا قَطُ » . وَرَأَى فِي الكَعْبَةِ حَمَامَةً مِنْ عِيدَانٍ ، فَكَسَّرَهَا بِيَدِهِ
وَأَمَرَ بِالصُّورِ فَمُحِيَتْ ، ثُمَّ أَغْلَقَ عَلَيْهِ البَابَ ، وَعَلَى أُسَامَةَ وَبِلَالٍ فَاسْتَقْبَلَ الجِدَارَ الَّذِي يُقَابِلُ
البَابَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَدْرُ ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ وَقَفَ وَصَلَّى هُنَاكَ ، ثُمَّ دَارَ فِي البَيْتِ وَكَبَّرَ فِي
نَوَاحِيهِ ، وَوَحَّدَ اللهُ ، ثُمَّ فَتَحَ البَابَ وَقُرَيْشٌ قَدْ مَلَأَتِ المَسْجِدَ صُفُوفًا ، يَنْتَظِرُونَ مَاذَا يَصْنَعُ ،
فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي البَابِ ، وَهُمْ تَحْتَهُ ، فَقَالَ : « لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ
وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ إِلاَّ كَلِّ مَأْتِرَةٍ أَوْ مَالٍ أَوْ دَمٍ : فَهُوَ تَحْتِ قَدَمِي هَاتَيْنِ ، إِلاَّ
سِدَانَةَ البَيْتِ وَسِقَايَةَ الحَاجِّ ، أَلَا وَقَتْلُ الحُطَّاءِ شِبْهُ العَمْدِ : السُّوْطُ وَالْعَصَا ، فَنِيهِ الدِّيَّةُ مُعَلَّظَةٌ
(مائةٌ مِنَ الإِبِلِ) أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا .

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظُمَهَا بِالأَبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ
، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تَلَا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَيُّ فَاعِلٍ
بِكُمْ)) ؟ قَالُوا : خَيْرًا أَخِ كَرِيمٍ ، وَابْنُ أَخِ كَرِيمٍ .

قَالَ : ((فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ (١٢ : ٩٢) : ﴿ لاَ

تَشْرِيْبَ عَلَيْنَا الْيَوْمَ ﴿ اذْهَبُوا ، فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ ﴾ . ثُمَّ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ .
فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْمَعْ لَنَا
الْحِجَابَةَ مَعَ السَّقَايَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ
طَلْحَةَ)) ؟ فَدُعِيَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : « هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَا عُثْمَانُ ، الْيَوْمَ يَوْمٌ بَرٌّ وَوَفَاءٌ » .
وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ : (كُنَّا نَفْتَحُ الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْحَمِيسِ ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ مَعَ
النَّاسِ ، فَأَغْلَظْتُ لَهُ ، فَنِلْتُ مِنْهُ ، فَحَلَمَ عَنِّي ، ثُمَّ قَالَ : ((يَا عُثْمَانُ لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا
الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي ، أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ)) . فُقِلْتُ : لَقَدْ هَلَكْتَ فُرَيْشُ يَوْمَئِذٍ وَذَلَّتْ ،
فَقَالَ : ((بَلْ عَمَرْتُ وَعَزَّتْ يَوْمَئِذٍ)) . وَدَخَلَ الْكَعْبَةَ ، فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهُ مِنِّي مَوْقِعًا ، ظَنَنْتُ
يَوْمَئِذٍ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا قَالَ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ قَالَ : ((يَا عُثْمَانُ ، ائْتِنِي بِالْمِفْتَاحِ)) . فَأَتَيْتُهُ بِهِ ، فَأَخَذَهُ مِنِّي ، ثُمَّ
دَفَعَهُ إِلَيَّ ، وَقَالَ : « خذوها خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان ، إن الله
استأمنكم على بيته ، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف)) . قَالَ : فَلَمَّا وَلَّيْتُ
نَادَانِي ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : « أَلَمْ يَكُنْ الَّذِي قُلْتُ لَكَ)) ؟ قَالَ : فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي بِمَكَّةَ
قَبِيلِ الْهُجْرَةِ : « لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ » . فُقِلْتُ : بَلَى ، أَشْهَدُ
أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ .

وَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ الْعَبَّاسَ تَطَاوَلَ يَوْمَئِذٍ لِأَخِذِ الْمِفْتَاحِ فِي رِجَالِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ،
فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى

عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 بِإِلَاءٍ : أَنْ يَصْعَدَ فَيُؤَدِّنَ عَلَى الْكَعْبَةِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ ابْنُ حَرْبٍ وَعَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ ، وَالْحَارِثُ ابْنُ
 هِشَامٍ ، وَأَشْرَافُ جُلُوسٍ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ عَتَّابٌ : لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ أُسَيْدًا أَنْ لَا يَكُونَ سَمِعَ
 هَذَا ، فَيَسْمَعُ مِنْهُ مَا يُعِظُهُ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : أَمَا وَاللَّهِ ، لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّهُ حَقٌّ لَاتَّبَعْتُهُ ، فَقَالَ أَبُو
 سُفْيَانَ : أَمَا وَاللَّهِ ، لَا أَقُولُ شَيْئًا ، لَوْ تَكَلَّمْتُ لِأَخْبَرْتُ عَنِّي الْحَصْبَاءُ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُمْ : ((قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قُلْتُمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمْ)) . فَقَالَ
 الْحَارِثُ وَعَتَّابٌ : نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا أَطَّلَعَ عَلَى هَذَا أَحَدٌ كَانَ مَعَنَا ، فَنَقُولُ :
 أَخْبَرَكَ وَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ حَيْثُ أَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالُوا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ الْكِتَابَ بِالْيَمِينِ ، وَاجْعَلْنَا يَوْمَ الْفِرْعَانَ الْأَكْبَرِ آمِنِينَ ، وَأَوْصِلْنَا
 بِرَحْمَتِكَ وَكَرَمِكَ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ .

(فَصْلٌ)

ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَارَ أُمِّ هَانِيءِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ ، فَاعْتَسَلَ ، وَصَلَّى
 ثَمَانِ رَكَعَاتٍ فِي بَيْتِهَا وَكَانَ ضُحَى ، فَظَنَّهَا مَنْ ظَنَّهَا صَلَاةَ الضُّحَى ، وَإِنَّمَا هَذِهِ صَلَاةُ الْفَتْحِ ،
 وَكَانَ أَمْرًا لِلْإِسْلَامِ إِذَا فَتَحُوا حِصْنَ أَوْ بَلَدًا صَلُّوا عَقِيبَ الْفَتْحِ هَذِهِ الصَّلَاةَ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 وَفِي الْقِصَّةِ : مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا بِسَبَبِ الْفَتْحِ ، شُكْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فَإِنَّ أُمَّ هَانِيءٍ قَالَتْ : (مَا
 رَأَيْتُهُ صَلَاةً قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا) وَأَجَازَتْ أُمَّ هَانِيءٍ حَمَوَيْنِ لَهَا ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدْ أُجِرْنَا مِنْ أَجْرَتِ يَا أُمَّ هَانِيءِ » .

(فَصْلٌ)

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْفَتْحُ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ كُلَّهُمْ ، إِلَّا تِسْعَةَ نَفَرٍ ، فَإِنَّهُ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، وَإِنْ وُجِدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ أَبِي سَرْحٍ ، وَعِكْرِمَةُ ابْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَعَبْدُ الْعَزَى بْنُ خَطَلٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ نُفَيْلٍ بْنُ وَهْبٍ ، وَمُقَيْسُ بْنُ صُبَابَةَ ، وَهَبَّازُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَقَيْنَتَانِ لابْنِ خَطَلٍ ، كَانَتَا تُغْنِيَانِ بِهَجَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَارَةُ مَوْلَاةٌ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

فَأَمَّا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ ، فَأَسْلَمَ فَجَاءَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، فَاسْتَأْمَنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَبِلَ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ أَمْسَكَ عَنْهُ رَجَاءً أَنْ يَثُومَ إِلَيْهِ بَعْضُ الصَّحَابَةِ فَيُقْتَلَ هُ . وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ ذَلِكَ وَهَاجَرَ ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَمَّا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، فَاسْتَأْمَنَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ بَعْدَ أَنْ فَرَّ فَأَمَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدِمَ وَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ وَأَمَّا ابْنُ خَطَلٍ وَالْحَارِثُ وَمُقَيْسُ وَإِحْدَى الْقَيْنَتَيْنِ ، فَعُتِلُوا وَكَانَ مُقَيْسُ قَدْ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ وَقَتَلَ وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ ، وَأَمَّا هَبَّازُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَهُوَ الَّذِي عَرَضَ لِزَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ هَاجَرَتْ ، فَنَخَسَ بَطْنَهَا حَتَّى سَقَطَتْ عَلَى صَخْرَةٍ وَأَسْقَطَتْ جَنِينَهَا فَقَرَّ ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ .

وَاسْتَأْمَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَارَةَ وَإِحْدَى الْقَيْنَتَيْنِ فَأَمَّنَهُمَا فَأَسْلَمَتَا .

فَلَمَّا كَانَ الْعُدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيباً ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَجَدَّهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُزْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا أَوْ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً ، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُولُوا : إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَمَنْ يَأْذُنْ لَكَ ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ » .

وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ - وَهِيَ بَلَدُهُ وَوَطَنُهُ وَمَوْلِدُهُ - قَالَ الْأَنْصَارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ : أَتَرَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ ، يُحِبُّ أَنْ يُقِيمَ بِهَا وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الصَّفَا ، رَافِعًا يَدَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ دُعَائِهِ قَالَ : « مَاذَا قُلْتُمْ » ؟ قَالُوا : لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى اخْبَرُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((مَعَاذَ اللَّهِ ، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مِمَّا تُكْمُونَ » .

شِعْرًا: إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ وَضَامَكَ أَهْلُهَا
فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ
وَقَلْبِكَ مَشْغُوفٌ بِهَا فَتَغَرَّبَ
بِمَكَّةَ أَمْرٌ فَاسْتَقَامَ بِشَرِبِ
وَقَالَ آخِرُ مُتَذَكِّرًا وَطَنُهُ وَمَسْقَطُ رَأْسِهِ فِي الْقَصِيمِ فِي عُنَيْزَةَ :

وَأَذْكَرُ أَيَّامِ الْقَصِيمِ فَأَنْشِي
بَكْتُ عَيْنِي الْيُمْنَى فَلَمَّا نَهَيْتُهَا
عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَصَدَّعَا
عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَا مَعَا
فَلَيْتَ عَشِيَّاتِ الْقَصِيمِ رَوَاجِعُ
وَلَا سِسَّمَا دَارًا تُسَمَّى عُنَيْزَةَ
قَضَيْتَ بِهَا عَشْرًا وَأَرْبَعَا

آخِر: إِذَا خِفْتَ مِنْ دَارٍ هَوَانًا فَوَلَّهَا
سَوَاكَ وَعَنْ دَارِ الْأَذَى فَتَحَوَّلْ

وَهُمْ فَضَالَةٌ بِنُ عُمَيْرِ بْنِ الْمُلُوحِ أَنْ يَقْتُلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يَطُوفُ
بِالْبَيْتِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَفَضَالَةٌ » ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَضَالَةٌ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : ((مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ)) ؟ قَالَ : لَا شَيْءَ كُنْتُ أَذْكَرُ اللَّهَ ،
فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : ((اسْتَغْفِرِ اللَّهَ)) . ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ
، فَسَكَنَ قَلْبُهُ .

وَكَانَ فَضَالَةٌ يَقُولُ : (وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ)
قَالَ فَضَالَةٌ : فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي ، فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ : هَلُمَّ إِلَى
الْحَدِيثِ ، فَقُلْتُ : لَا ، وَانْبَعَثَ فَضَالَةٌ يَقُولُ :
قَالَتْ : هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ ، فَقُلْتُ : لَا

يَأْتِي عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ
لَوْ قَدْ رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ
بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكْسَرُ الْأَضْنَامُ
لَرَأَيْتَ دِينَ اللَّهِ أَضْحَى بَيْنًا
وَالشُّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِطْلَامُ

وَفَرَّ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَعِكرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، فَأَمَّا صَفْوَانُ ، فَاسْتَأْمَنَ لَهُ عُمَيْرُ بْنُ
وَهْبٍ الْجَمْحِيُّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمَّنَهُ ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَتَهُ الَّتِي دَخَلَ بِهَا مَكَّةَ ،
فَلَحِقَهُ عُمَيْرٌ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ الْبَحْرَ ، فَرَدَّهُ فَقَالَ : اجْعَلْنِي بِالْحَيَارِ شَهْرَيْنِ ، فَقَالَ : أَنْتَ
بِالْحَيَارِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ .

وَكَانَتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ تَحْتَ عِكرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ

فَأَسْلَمْتُ ، وَاسْتَأْمَنْتَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّنَهُ ، فَالْحَقُّنُهُ بِالْيَمَنِ ، فَأَمَّنْتُهُ فَرَدَّتْهُ ، وَأَقْرَبَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَصَفْوَانُ عَلَى نِكَاحِهَا الْأَوَّلِ .
 ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمَ بْنَ أُسَيْدِ الْخُزَاعِيِّ فَجَدَّدَ أَنْصَابَ الْحَرَمِ .
 وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَيَاهُ إِلَى الْأَوْثَانِ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، فَكُفِّرَتْ كُلُّهَا مِنْهَا اللَّاتُ ، وَالْعُزَّى وَمَنَاةُ الثَّالِثَةُ الْأُخْرَى ، وَنَادَى مُنَادِيَهُ بِمَكَّةَ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْعُ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إِلَّا كَسَرَهُ) .

وَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعُزَّى لِحِمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ لِيَهْدِمَهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهَا فَهَدَمَهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : « هَلْ رَأَيْتُ شَيْئًا » ؟ قَالَ : لَا قَالَ : ((فَإِنَّكَ لَمْ تَهْدِمَهَا ، فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَاهْدِمَهَا)) . فَارْجَعَ خَالِدٌ - وَهُوَ مُتَعَيِّظٌ - فَجَرَّدَ سَيْفَهُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ سَوْدَاءُ نَاشِرَةٌ الرَّأْسَ ، فَجَعَلَ السَّادِنُ يَصِيحُ بِهَا فَضَرَبَهَا خَالِدٌ ، فَجَزَلَهَا بِأَثْنَتَيْنِ ، وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : ((نَعَمْ ، تِلْكَ الْعُزَّى ، وَقَدْ أَيْسَتْ أَنْ تُعْبَدَ فِي بِلَادِكُمْ أَبَدًا)) . وَكَانَتْ بِنَخْلَةَ ، وَكَانَتْ لِقُرَيْشٍ وَجَمِيعِ بَنِي كِنَانَةَ ، وَكَانَتْ أَعْظَمَ أَصْنَامِهِمْ ، وَكَانَ سَدَنُتُهَا مِنْ بَنِي شَيْبَانَ . فَفِي هَذِهِ مُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ بَعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى سُوعٍ - وَهُوَ صَنَمٌ لِهَدِيلٍ - لِيَهْدِمَهُ ، قَالَ عَمْرُو : (فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ السَّادِنُ ، فَقَالَ : مَا تُرِيدُ ؟ قُلْتُ : أَمْرِي)

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُهْدِمَهُ ، فَقَالَ : لَا تَقْدِرْ عَلَيَّ ذَلِكَ قُلْتُ : لِمَ ؟ قَالَ : تُمْنَعُ ، قُلْتُ حَتَّى الْآنَ أَنْتَ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ وَيُحْكُ ، فَهَلْ يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِرُ ؟ قَالَ : فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَكَسَّرْتُهُ ، وَأَمَرْتُ أَصْحَابِي فَهَدَمُوا بَيْتَ خَزَائِنَةَ ، فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ شَيْئًا ، ثُمَّ قُلْتُ لِلسَّادِنِ : كَيْفَ رَأَيْتَ ؟ قَالَ : أَسَلَّمْتُ لِلَّهِ .

ثُمَّ بَعَثَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيَّ إِلَى مَنَاةَ وَكَانَتْ بِالْمُشَلِّ ، عِنْدَ قُدَيْدٍ لِلْأَوْسِ وَالْحَزْرَجِ وَعَسَّانَ وَغَيْرِهِمْ ، فَخَرَجَ فِي عِشْرِينَ فَارِسَ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا ، وَعِنْدَهَا سَادِنٌ ، فَقَالَ السَّادِنُ : مَا تُرِيدُ ؟ قُلْتُ : أُهْدِمُ مَنَاةَ ، قَالَ : أَنْتَ وَذَاكَ ، فَأَقْبَلَ سَعْدٌ يَمْشِي إِلَيْهَا ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَوْدَاءُ ، ثَائِرَةٌ الرَّأْسِ ، تَدْعُو بِالْوَيْلِ ، وَتَضْرِبُ صَدْرَهَا ، فَقَالَ لَهَا السَّادِنُ : مَنَاةُ ، دُونَكَ بَعْضُ عَصَاتِكَ ، فَضْرَبَهَا سَعْدٌ فَتَقَاتَلَا وَأَقْبَلَ إِلَى الصَّنَمِ فَهَدَمَهُ وَكَسَّرَهُ وَمَ يَجِدُوا فِي خَزَائِنَتِهِ شَيْئًا .

شِعْرًا فِي الْحَثِّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَفَهْمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ :

وَبِالتَّوْبِ والتَّزْيِيلِ فَاتْلُ كِتَابَا

بِ اللَّهِ لَا سِيَّمًا فِي حِنْدِسِ الظُّلَمِ

حَكِّمِ بَرَاهِينَهُ وَأَعْمَلِ بِمُحْكَمِهِ

جَلًّا وَحَظْرًا وَمَا قَدْ حَادَهُ أَقِيمِ

وَاطْلُبْ مَعَانِيَهُ بِالتَّنْقِيلِ الصَّرِيحِ وَلَا

تَخُضْ بِرَأْيِكَ وَاحْذَرْ بِطُشِّ مُنْتَقِمِ

فِيمَا عَلِمْتَ بِمَخْضِ التَّنْقِيلِ مِنْهُ فَقُلْ

وَكُلْ إِلَى اللَّهِ مَعْنَى كُلِّ مَنْبِهِمْ

ثُمَّ الْمِرَا فِيهِ كُفْرٌ فَأَحْذَرْنَاهُ وَلَا
 يَسْتَهْوِينَا أَقْوَامٌ بِمِزَانِهِمْ
 وَعَنْ مَنَاهِيهِ كُنْ يَا صَاحِبَ مُنْجِرٍ
 وَالْأَمْرَ مِنْهُ بِمَا تَرْدَادُ فَالْتَرَمِ
 وَمَا تَشَابَهَ فَوَضَّ لِلْإِلَهِ وَلَا
 تَخْضُ فَخَوْضُكَ فِيهِ مُوجِبُ النَّقْمِ
 وَلَا تُطِغْ قَوْلَ ذِي زَيْغٍ يُزْخِرْفُهُ
 مِنْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ فِي الدِّينِ مُتَّبِعِهِمْ
 جِيرَانَ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ الْمُبِينِ فَلَا
 يَنْفَكُ مُنْخَرِفًا مَعْوَجَ لَمْ يَقُمْ
 هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي مَنْ قَامَ يَقْرَأُهُ
 كَأَنَّمَا خَاطَبَ الرَّحْمَنَ بِالْكَلِمِ
 هُوَ الصِّرَاطُ هُوَ الْحَبْلُ الْمَتِينُ هُوَ الْوَسِيلُ
 مِيزَانُ وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِمُعْتَصِمِ
 هُوَ الْبَيَانُ هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ هُوَ التَّوْحِيدُ
 تَفْصِيلُ فَاقْنَعْ بِهِ فِي كُلِّ مَنْبِهِمْ
 هُوَ الْبَصَائِرُ وَالذِّكْرُ لِمُدَكِّرِ
 هُوَ الْمَوَاعِظُ وَالْبُشْرَى لِغَيْرِ عَمِي
 هُوَ الْمَنْزِلُ نُورًا بَيِّنًا وَهُدًى
 وَهُوَ الشِّفَاءُ لِمَا فِي الْقَلْبِ مِنْ سَقَمِ
 لِكِنَّةِ الْأَوْلِيَاءِ الْإِيمَانِ إِذْ عَمِلُوا

بِمَا أَتَى فِيهِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ حِكْمٍ
أَمَّا عَلَى مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ فَهُوَ عَمَى
لِكَوْنِهِ عَنْ هُدَاهُ الْمُسْتَتِيرُ عَمِي
فَمَنْ يُقِمُّهُ يَكُنْ يَوْمَ الْمَعَادِ لَهُ
خَيْرُ الْإِمَامِ إِلَى الْفِرْدَوْسِ وَالنَّعْمِ
كَمَا يَسُوقُ أَوْلِي الْأَعْرَاضِ عَنْهُ إِلَى
دَارِ الْمَقَامِ وَالْأَنْكَالِ وَالْأَلَمِ
وَقَدْ أَتَى النَّصُّ فِي الطُّوَلَيْنِ أَنَّهُمَا
ظِلًّا لِتَالِيَهُمَا فِي مَوْقِفِ الْعَمَمِ
وَأَنَّهُ فِي غَدٍ يَأْتِي لِصَاحِبِهِ
مُبَشَّرًا وَحَجِيجًا عَنْهُ إِنْ يُقِمِ
وَالْمَلِكِ وَالْخُلْدَ يُعْطِيهِ وَيُلْبِسُهُ
تَاجَ الْوَقَارِ الْإِلَهَ الْحَقُّ ذُو الْكَرَمِ
يُقَالُ أَقْرَأُ وَرَتَّلْتُ وَارْتَقَى فِي غَرْفِ الْ
جَنَاتِ كَيْ تَنْتَهِيَ لِلْمَنْزِلِ النَّعْمِ
وَحُلَّتَانِ مِنَ الْفِرْدَوْسِ قَدْ كُسِيَتْ
لِوَالِدَيْهِ لَهَا الْأَكْوَانُ لَمْ تَقُمْ
قَالَا بِمَاذَا كَسَيْنَاهَا فَقِيلَ بِمَا
أَقْرَأْتُمَا ابْنَكُمَا فَاشْكُرْ لِيذِي النَّعْمِ
كَفَى وَحَسْبُكَ بِالْقُرْآنِ مُعْجِزَةً
دَامَتْ لَدَيْنَا دَوَامًا غَيْرَ مُنْصَرِّمِ

لَمْ يَعْتَرِهِ قَطُّ تَبْدِيلٌ وَلَا غَيْرٌ
وَجَلَّ فِي كَثْرَةِ التَّرْدَادِ عَنْ سَأَمٍ
مُهَيِّمًا عَرِيبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ
مُصَدِّقًا جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ فِي الْقَدَمِ
فِيهِ التَّفَاصِيلُ لِلْأَحْكَامِ مَعَ نَبَأٍ
عَمَّا سَأَيْتِي وَعَنْ مَاضٍ مِنَ الْأُمَمِ
فَأَنْظُرُ قَوَارِعَ آيَاتِ الْمَعَادِ بِهِ
وَأَنْظُرُ لِمَا قَصَّ عَنْ عَادَ وَعَنْ إِرَمِ
وَأَنْظُرُ بِهِ شَرْحَ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ هَلْ
تَرَى بِهَا مِنْ عَوِيصٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ
أَمْ مِنْ صَلاَحٍ وَلَمْ يَهْدِ الْأَنَامَ لَهُ
أَمْ بَابِ هُلْكِكَ وَلَمْ يَزُجِرْ وَلَمْ يَلْمِ
أَمْ كَانَ يُغْنِي نَقِيرًا عَنْ هِدَايَتِهِ
جَمِيعُ مَا عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ نُظْمِ
أَخْبَارِهِ عِظْمَةٌ أَمْثَالُهُ عِبْرٌ
وَكُلُّهُ عَجَبٌ سُخْفًا لِيذِي صَمِّ
لَمْ تَلْبِثِ الْجِنُّ إِذْ أَصْغَتْ لِتَسْمَعَهُ
أَنْ بَادَرُوا نُذْرًا مِنْهُمْ لِقَوْمِهِمْ
اللَّهُ أَكْبَرُ مَا قَدْ حَازَ مِنْ عِبْرِ
وَمِنْ بَيَانٍ وَإِعْجَازٍ وَمِنْ حِكْمِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِذْ أَعْيَتْ بِلَاغَتُهُ

وَحُسْنُ تَرْكِيهِهِ لِلْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
 كَمْ مُلْحِدٍ رَامَ أَنْ يُبْدِيَ مُعَارِضَةً
 فَعَادَ بِالذُّلِّ وَالْخُسْرَانِ وَالرَّغَمِ
 هَيْهَاتَ بُعْدًا لِمَا رَامُوا وَمَا قَصَدُوا
 وَمَا تَمَّوْا لَقَدْ بَاؤُوا بِذُلِّهِمْ
 خَابَتْ أَمَانِيهِمْ شَاهَتْ وُجُوهُهُمْ
 زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ هَدْيِهِ الْقِيمِ
 كَمْ قَدْ تَحَدَّى قَرِيْشًا فِي الْقَدِيمِ وَهُمْ
 أَهْلُ الْبَلَاغَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
 بِمِثْلِهِ وَبِعَشْرِ ثُمَّ وَاحِدَةٍ
 فَلَمْ يَرَوْهُ إِذْ ذَا الْإِمْرَ لَمْ يُرَمِ
 الْجِنُّ وَالْإِنْسُ لَمْ يَأْتُوا لَوْ اجْتَمَعُوا
 بِمِثْلِهِ وَلَوْ انْضَمُّوا لِمِثْلِهِمْ
 أَنَّى وَكَيْفَ وَرَبُّ الْعَرْشِ قَائِلُهُ
 سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنِ شِبْهِ لَهٗ وَسَمِي
 مَا كَانَ خَلْقًا وَلَا فَيْضًا تَصَوَّرَهُ
 نَيْنَا لَا وَلَا تَعْيِيرَ ذِي نَسَمِ
 بَلْ قَالَهُ رَبُّنَا قَوْلًا وَأَنْزَلَهُ
 وَحِيَاءَ عَلَى قَلْبِهِ الْمُسْتَيَقِظِ الْفَهْمِ
 وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْأَمْثَلُ شَاهِدَةٌ
 وَالرُّسُلُ مَعَ مُؤْمِنِي الْعُرَبَانِ وَالْعَجَمِ

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَرِزْقًا وَاسِعًا نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ وَقَلْبًا خَاشِعًا
وَلِسَانًا ذَاكِرًا وَإِيمَانًا خَالِصًا وَهَبْ لَنَا إِنَابَةَ الْمُخْلِصِينَ وَخُشُوعَ الْمُخْبِتِينَ وَأَعْمَالَ الصَّالِحِينَ
وَيَقِينَ الصَّادِقِينَ وَسَعَادَةَ الْمُتَّقِينَ وَدَرَجَاتِ الْفَائِزِينَ يَا أَفْضَلَ مَنْ رُجِيَ وَقُصِدَ وَأَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ
وَأَغْفَرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة عبد الله بن مسعود

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَتًى لَمْ يُجَاوِزِ الْحُلُمَ وَكَانَ يَسْرُخُ فِي شِعَابِ مَكَّةَ بَعِيداً عَنِ النَّاسِ
وَمَعَهُ غَنَمٌ يَرْعَاهَا لِعُقْبَةَ بْنِ مُعَيْطٍ وَكَانَ النَّاسُ يُنَادُونَهُ (ابْنُ أُمِّ عَبْدِ) .
أَمَّا اسْمُهُ فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَمَّا اسْمُ أَبِيهِ فَمَسْعُودٌ كَانَ الْغُلَامُ يَسْمَعُ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَلَا يَأْبَهُ لَهَا لِبَعْرِ سِنِّهِ مِنْ جِهَةٍ وَلِبُعْدِهِ عَنِ الْمُجْتَمَعِ الْمَكِّيِّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَقَدْ دَابَّ
عَلَى أَنْ يَخْرُجَ بِغَنَمِ عُقْبَةَ مُبَكَّرًا ثُمَّ لَا يَعُودُ بِهَا إِلَّا إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ .
وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ أَبْصَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ كَهْلَيْنِ عَلَيْهِمَا الْوَقَارُ يَتَّجِهَانِ نَحْوَهُ مِنْ بَعِيدٍ وَقَدْ
أَخَذَ الْجُهْدُ مِنْهُمَا كُلَّ مَاخِذٍ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمَا الظَّمُّ حَتَّى جَفَّتْ مِنْهُمَا الشِّفَاهُ وَالْحُلُوقُ .
فَلَمَّا وَقَفَا عَلَيْهِ سَلَمَا وَقَالَا : يَا غُلَامُ احْلُبْ لَنَا مِنْ هَذِهِ الشِّيَاهِ مَا نُطْفِئُ بِهِ ظَمَانًا وَتَبَلُّ بِهِ
عُرُوقَنَا فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ فَالْغَنَمُ لَيْسَتْ لِي وَأَنَا عَلَيْهَا مُؤْتَمِّنٌ فَلَمْ يُنْكِرِ الرَّجُلَانِ عَلَيْهِ قَوْلَهُ وَبَدَا
عَلَى وَجْهَيْهِمَا الرِّضَاءُ عَنْهُ .
ثُمَّ قَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا : ذُلِّي عَلَى شَاةٍ لَمْ يَنْزُو عَلَيْهَا فَحُلِّ فَأَشَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ إِلَى شَاةٍ
صَغِيرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهَا الرَّجُلُ وَاعْتَقَلَهَا وَجَعَلَ يَمْسُحُ

ضَرَعَهَا بِيَدِهِ وَهُوَ يَذْكُرُ عَلَيْهَا اسْمَ اللَّهِ فَتَنْظَرُ عَبْدُ اللَّهِ فِي دَهْشَةٍ قَائِلًا فِي نَفْسِهِ : وَمَتَى كَانَتْ الشَّاةُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي لَمْ تَنْزُو عَلَيْهَا الْفُحُولُ تُدِرُّ لَنَا .

لَكِنَّ ضَرَعَ الشَّاةِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ انْتَفَحَ مِنَ اللَّبَنِ وَطَفِقَ اللَّبْنُ يَنْبَثِقُ مِنْهُ ثَرًا غَزِيرًا .

فَأَخَذَ الرَّجُلُ الْآخَرَ حَجْرًا مُخَوَّفًا مِنَ الْأَرْضِ وَمَلَأَهُ بِاللَّبَنِ وَشَرِبَ مِنْهُ هُوَ وَصَاحِبُهُ ثُمَّ سَقَيْانِي مَعَهُمَا وَأَنَا لَا أَكَادُ أَصَدِّقُ مَا أَرَى ، فَلَمَّا ارْتَوَيْنَا قَالَ الرَّجُلُ الْمُبَارِكُ لِضَرَعَ الشَّاةِ : انْقَبِضْ فَمَا زَالَ يَنْقَبِضُ حَتَّى عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ قُلْتُ لِلرَّجُلِ الْمُبَارِكِ : عَلَّمَنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي قُلْتَهُ فَقَالَ لِي : إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ .

كَانَتْ هَذِهِ بَدَايَةُ قِصَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَعَ الْإِسْلَامِ وَأَمَّا الرَّجُلُ الْمُبَارِكُ فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا الَّذِي مَعَهُ فَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ نَفَرَ فِي ذَلِكَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ لِفَرَطِ مَا أَرْهَقَتْهُمَا قُرَيْشٌ وَلِشِدَّةِ مَا أَنْزَلَتْ بِهِمَا مِنَ الْبَلَاءِ .

وَكَمَا أَحَبَّ الْعُلَامُ الَّذِي هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبُهُ وَتَعَلَّقَ بِهِمَا فَقَدْ أَعْجَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبُهُ بَعْبُدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَكْبَرَا أَمَانَتَهُ وَحَزَمَهُ وَتَوَسَّمَا فِيهِ الْخَيْرَ وَلَمْ يَمُضْ إِلَّا مُدَّةٌ يَسِيرَةٌ حَتَّى أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخْدِمَهُ فَقَبِلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَهُ فِي خِدْمَتِهِ .

وَلَزِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ يُرَافِقُهُ فِي حِلِّهِ وَتَرْحَالِهِ يُوقِظُهُ إِذَا نَامَ وَيَسْتُرُهُ عِنْدَ الْعُسْلِ وَيُلْبِسُهُ نَعْلَيْهِ إِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ وَيُخْلَعُهَا مِنْ قَدَمَيْهِ إِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ وَيُجْمَلُ لَهُ عَصَاهُ وَسِوَاكُهُ وَيَلْجُ الْحِجْرَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا آوَى إِلَى حُجْرَتِهِ .

اللَّهُمَّ اهْدِنَا هَذَاكَ إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ يَا كَرِيمَ وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ أُمَّتِكَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا

وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
فَتَرَى عَبْدَ اللَّهِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَتَخَلَّقَ بِشِمَائِلِهِ
وَتَابَعَهُ فِي كُلِّ خِصْلَةٍ مِنْ خِصَالِهِ وَتَعَلَّمَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي مَدْرَسَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ
مِنْ أَقْرَأِ الصَّحَابَةِ لِلْقُرْآنِ وَأَفْقَهِهِمْ لِمَعَانِيهِ وَمِنْ أَعْلَمِهِمْ بِشَرَعِ اللَّهِ .

وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حِكَايَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي أَقْبَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ واقِفٌ
بِعَرَفَةَ فَقَالَ لَهُ : جِئْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكُوفَةِ - وَتَرَكْتُ بِهَا رَجُلًا يُمْلِي الْمَصَاحِفَ عَنْ
ظَهْرِ قَلْبِهِ فَعَضِبَ عُمَرُ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ : مَنْ هُوَ وَبِحُكِّكَ ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَمَا زَالَ
عُمَرُ يَنْطَفِي غَضَبُهُ وَيُسْرِى عَنْهُ حَتَّى عَادَ إِلَى حَالِهِ .

ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّهُ بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ وَسَأَحَدُتُكَ عَنْ
ذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمُرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ - أَيِ يَتَحَدَّثَانِ
وَيَتَفَاوَضَانِ فِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَكُنْتُ مَعَهُمَا ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجْنَا
مَعَهُ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ بِالصَّلَاةِ بِالمَسْجِدِ لَمْ نَتَبَيَّنْهُ فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ
إِلَيْهِ .

ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْنَا وَقَالَ : ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَفْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا نَزَلَ فَلْيَفْرَأْ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ
عَبْدٍ)) . ثُمَّ جَلَسَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُو فَجَعَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ : ((سَلْ تُعْطَهُ
سَلْ تُعْطَهُ)) . قَالَ عُمَرُ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي وَاللَّهِ لَا أَعْدُونَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِأُبَشِّرُهُ
بِتَأْمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى دُعَائِهِ فَعَدَوْتَ عَلَيْهِ فَبَشَّرْتُهُ فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ قَدْ
سَبَقَنِي إِلَيْهِ فَبَشَّرُهُ .

لَا وَاللَّهِ مَا سَابَقْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَى خَيْرٍ قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ عِلْمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ بِكِتَابِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا آلَةَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ

مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ وَأَعْلَمُ فِيمَا نَزَلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تَنَالَهُ الْمَطِيَّ لِأَتَيْتُهُ .

وَمَ يَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ مُبَالِغًا فِيمَا قَالَهُ عَن نَفْسِهِ فَهَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَلْقَى رُكْبًا فِي سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِهِ وَاللَّيْلُ مُحِيْمٌ يَحْجُبُ الرُّكْبَ بِظِلَامِهِ وَكَانَ فِي الرُّكْبِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَأَمَرَ عُمَرُ رَجُلًا أَنْ يُنَادِيهِمْ مَنْ أَيْنَ الْقَوْمُ فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : مِنْ الْفَجِّ الْعَمِيقِ .

فَقَالَ عُمَرُ : أَيْنَ تُرِيدُونَ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ فِيهِمْ عَالِمًا وَأَمَرَ رَجُلًا فَنَادَاهُمْ أَيُّ الْقُرْآنِ أَكْبَرُ فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ الْآيَةَ قَالَ : نَادَاهُمْ أَيُّ الْقُرْآنِ أَحْكَمُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ .

فَقَالَ : نَادَاهُمْ أَيُّ الْقُرْآنِ أَجْمَعُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ فَقَالَ عُمَرُ : نَادَاهُمْ أَيُّ الْقُرْآنِ أَخَوْفُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ الْآيَةَ .

فَقَالَ عُمَرُ : نَادَاهُمْ أَيُّ الْقُرْآنِ أَرْحِي فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ فَقَالَ : نَادَاهُمْ أَيْكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

وَمَ يَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَارِئًا عَالِمًا عَابِدًا زَاهِدًا فَحَسْبُ وَإِنَّمَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ قَوِيًّا حَازِمًا مُجَاهِدًا مِقْدَامًا شَجَاعًا إِذَا جَدَّ الْجِدُّ فَحَسْبُهُ أَنَّهُ أَوَّلُ مُسْلِمٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَدْ اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فِي مَكَّةَ وَكَانُوا قَلَّةً مُسْتَضْعَفِينَ فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هَذَا الْقُرْآنَ يُجْهَرُ بِهِ قَطُّ فَمَنْ
 رَجُلٌ مِنْكُمْ يُسْمِعُهُمْ إِيَّاهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : أَنَا أَسْمِعُهُمْ إِيَّاهُ فَقَالُوا : إِنَّا نَخْشَاهُمْ
 عَلَيْكَ إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ تَحْمِيهِ وَتَمْنَعُهُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادُوهُ بِشَرٍّ .

فَقَالَ : دَعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي وَيَحْمِيَنِي ثُمَّ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى أَتَى مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ فِي
 الصُّحَى وَقُرَيْشٌ جُلُوسٌ فَوَقَفَ عِنْدَ الْمَقَامِ وَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَافِعًا صَوْتَهُ ﴿ الرَّحْمَنُ
 * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ .

وَمَضَى يَقْرُؤُهَا فَتَأَمَّلَتْهُ قُرَيْشٌ وَقَالَتْ : مَاذَا قَالَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ تَبَّأَ لَهُ ... إِنَّهُ يَتْلُو بَعْضَ مَا
 جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ وَقَامُوا إِلَيْهِ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ وَهُوَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ .
 ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَالِدَّمُ يَسِيلُ مِنْهُ فَقَالُوا لَهُ : هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيْكَ فَقَالَ : وَاللَّهِ
 مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ فِي عَيْنِي مِنْهُمْ الْآنَ وَإِنْ شِئْتُمْ لِأَعَادِيْنَهُمْ بِمِثْلِهَا غَدًا قَالُوا : لَا حَسْبُكَ
 لَقَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ .

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ وَمَعَهُ دِينُهُ فَيُخْرِجُ
 وَلَا دِينَ مَعَهُ لِأَنَّهُ مُعَرَّضٌ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ تَعَالَى إِمَّا بِفِعْلِهِ وَإِمَّا بِسُكُوتِهِ وَإِمَّا بِاعْتِقَادِهِ .
 وَكَانَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَامَ بَيْنَ الرَّكْنِ وَالْمَقَامِ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى سَبْعِينَ سَنَةً وَهُوَ يُحِبُّ
 ظَالِمًا لَبَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ يُحِبُّ وَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ مِنْ
 الْمُفَرِّبِينَ وَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ

الْيَمِينِ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : هَا هُنَا رَجُلٌ يَوَدُّ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ لَا يُبْعَثُ يَعْنِي نَفْسَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 وَخَرَجَ مَرَّةً مَعَهُ نَاسٌ يُشَيِّعُونَهُ فَقَالَ لَهُمْ : أَلَكُمُ حَاجَةٌ ؟ قَالُوا : لَا . فَقَالَ : ارْجِعُوا فَإِنَّهُ ذُلٌّ
 لِتَابِعٍ وَفِتْنَةٌ لِلْمَتَّبِعِ وَكَانَ يَقُولُ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرَّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْحَشِيَّةِ .
 وَكَانَ يَقُولُ ذَهَبَ صَفْوُ الدُّنْيَا وَبَقِيَ كَدْرُهَا وَالْمَوْتُ الْيَوْمَ تُحْفَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمِنْ كَلَامِهِ إِلَيَّ
 لَا أَبْغِضُ الرَّجُلَ أَنْ أَرَاهُ فَارِغًا لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِ الدُّنْيَا وَلَا عَمَلِ الْآخِرَةِ .
 مَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ الصَّلَاةَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْ بِهَا مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا ، إِنَّكُمْ تَرَوْنَ
 الْكَافِرَ مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ جِسْمًا وَأَمْرَاضِهِمْ قَلْبًا وَتَلْقَوْنَ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ قَلْبًا وَأَمْرَاضِهِمْ
 جِسْمًا وَيَأْتِي اللَّهُ لَوْ مَرِضَتْ قُلُوبُكُمْ وَصَحَّتْ أَبْدَانُكُمْ لَكُنْتُمْ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعْلَانِ .
 يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ أَفْضَلُ أَعْمَالِهِمُ التَّلَاوُمُ بَيْنَهُمْ يُسَمَّوْنَ الْأَنْتَانَ .
 عَاشَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ إِلَى زَمَنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَ الْمَوْتِ جَاءَهُ
 عُثْمَانُ عَائِدًا فَقَالَ لَهُ : مَا تَشْتَكِي ؟ قَالَ : ذُنُوبِي . قَالَ : فَمَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : رَحْمَةً رَبِّي .
 قَالَ : أَلَا أَمُرُكَ بِعَطَائِكَ الَّذِي امْتَنَعْتَ عَنْ أَخْذِهِ مُنْذُ سِنِينَ .
 فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِهِ . فَقَالَ : يَكُونُ لِنِنَاتِكَ مِنْ بَعْدِكَ فَقَالَ : أَتَحْشَى عَلَيَّ بِنَاتِي الْفَقْرَ
 إِلَيَّ أَمْرَتُهُنَّ أَنْ يَقْرَأَنَّ كُلَّ لَيْلَةٍ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ وَإِلَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
 ((مَنْ قَرَأَ الْوَاقِعَةَ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبهُ فَاقَةٌ أَبَدًا)) .
 وَلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلُ تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِسَانُهُ رَطْبٌ

بِذِكْرِ اللَّهِ نَدِيَّ بِآيَاتِهِ مَاتَ فِي الْمَدِينَةِ وَدُفِنَ فِي الْبَقِيعِ وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ وَلَهُ ثَلَاثُ وَسِتُّونَ سَنَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

اللَّهُمَّ وَقَّفْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَارزُقْنَا الثَّبَاتَ عَلَيْهِ وَالِاسْتِقَامَةَ وَعَافِنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحُسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَأَمَّنَّا مِنْ فِرَاقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : فِيمَا جَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَالطُّغَاةِ وَالْمُجْرِمِينَ : جَاذَاهُمُ اللَّهُ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ :

وَدَارَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَكْبَرُ فِتْنَةٍ
 وَسُلَّتْ سُيُوفُ الْبَغْيِ مِنْ كُلِّ غَادِرٍ
 وَذُلَّتْ رِقَابُ مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ
 وَكَانُوا عَلَى الْإِسْلَامِ أَهْلًا تَنَاصُرِ
 وَأَضْحَى بَنُو الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَأْرِقٍ
 تَزْرُوهُمُْوا غَرَّتْهُ السَّبَاعِ الضَّوَامِرِ
 وَهَتَّتْكَ سِتْرٌ لِلْحَرَائِرِ جَهْرَةً
 بِأَيْدِي غَوَاتٍ مِنْ بَوَادٍ وَحَاضِرِ
 وَجَاءُوا مِنَ الْفَحْشَاءِ مَا لَا يَعُدُّهُ
 لَيْبٌ وَلَا يُحْصِيهِ نَظْمٌ لِشَاعِرِ
 وَبَاتَ الْأَيَّامِ فِي الشِّتَاءِ سَوَاغِبًا
 يَبْكِينَ أَزْوَاجًا وَخَيْرَ الْعَشَائِرِ
 وَجَاءَتْ غَوَاشٍ يَشْهَدُ النَّصُّ أَنَّهَا
 بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي الْعُوقَةِ الْغَوَادِرِ

وَجَرَّ زَعِيمُ الْقَوْمِ لِلتُّرْكِ دَوْلَةً
 عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ فَعَلَ الْمُكَابِرِ
 وَوَأَزَرَهُ فِي رَأْيِهِ كُلُّ جَاهِلٍ
 يَرُوحُ وَيَغْدُو آثِمًا غَيْرَ شَاكِرِ
 وَآخِرُ يَبْتَاغِ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى
 وَيَخْتَالُ فِي ثُوبٍ مِنَ الْكِبْرِ وَافِرِ
 وَتَالِثُهُمْ لَا يَعْجُو الدَّهْرُ بِأَلْتِي
 تَيِّدُ مِنَ الْإِسْلَامِ عَزْمَ الْمَذَاكِرِ
 وَلَكِنَّهُ يَهْوَى وَيَعْمَلُ لِلْهَوَى
 وَيُضْبِحُ فِي بَحْرِ مِنَ الرَّيْبِ عَامِرِ
 وَقَدْ جَاءَكُمْ فِيمَا مَضَى خَيْرٌ نَاصِحِ
 إِمَامٌ هُدَى بَيْنِي رَفِيعَ الْمَفَاخِرِ
 وَيُنْقِذُهُمْ مِنْ قَعْرِ ظُلْمًا مُضَلَّةٍ
 لَسَالِكِهَا أَوْ مِنْ لَظَى وَالْمَسَاعِرِ
 وَيُخْرِجُهُمْ أَنْ السَّلَامَةَ فِي أَلْتِي
 عَلَيْهَا خِيَارُ الصَّحْبِ مِنْ كُلِّ شَاكِرِ
 فَلَمَّا أَتَاهُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ وَاحْتَوَى
 أَكْبَابَهُمْ كَنَزِ اللَّهُمِّي وَالذَّخَائِرِ
 سَعَوْا جُهْدَهُمْ فِي هَدْمِ مَا قَدْ بَنَى لَهُمْ
 مَشَائِخُهُمْ وَاسْتَنْصَرُوا كُلَّ دَاغِرِ

وَسَارُوا لِأَهْلِ الشِّرْكِ وَاسْتَسَلُّوا لَهُمْ
 وَجَاؤًا بِهِمْ مِنْ كُلِّ إِفْكٍ وَسَاحِرٍ
 وَمُنْذَرَسَلُوهَا أَرْسَلُوهَا ذَمِيمَةً
 تُهَدِّمُ مِنْ رِنَعِ الْهُدَى كُلَّ عَامِرٍ
 وَبَاؤًا مِنَ الْخُسْرَانِ بِالصَّفَقَةِ الَّتِي
 يَبُوءُ بِهَا مِنْ دَهْرِهِ كُلِّ خَاسِرٍ
 وَصَارَ لِأَهْلِ الرُّفُضِ وَالشِّرْكِ صَوْلَةٌ
 وَقَامَ بِهِمْ سُوقُ الرَّدَى وَالْمَنَاقِرِ
 وَعَادَ لَدَيْهِمْ لِلْوِطِاطِ وَلِلْخَنَا
 مَعَاهِدُ يَغْدُو نَحْوَهَا كُلِّ فَاجِرٍ
 وَشُتَّتْ شَمْلُ الدِّينِ وَأَنْبَتَ حَبْلُهُ
 وَصَارَ مُضَاعًا بَيْنَ شَرِّ الْعَسَاكِرِ
 وَأُذِّنَ بِالنَّافُوسِ وَالطَّبْلِ أَهْلَهَا
 وَلَمْ يَرْضَ بِالتَّوْحِيدِ حِزْبُ الْمَزَامِرِ
 وَأَصْبَحَ أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ مُعَاقِبٍ
 وَبَيْنَ طَرِيدٍ فِي الْقَبَائِلِ صَائِرِ
 فَقَالَ لِلْعَوِيِّ الْمُسْتَجِيرِ بِظُلْمِهِمْ
 سَتَحْشَرُ يَوْمَ الدِّينِ بَيْنَ الْأَصَاغِرِ
 وَيَكْشِفُ لِلْمُرْتَابِ أَيَّ بَضَاعَةٍ
 أَضَاعَ وَهَلْ يَنْجُو مُجِيرُ أُمَّ عَامِرِ

وَيَعْلَمُ يَوْمَ الْجَمْعِ أَيَّ جَنَائِدٍ
جَنَاهَا وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ مَكْرٍ مَآكِرٍ
فِيَا أُمَّةً ضَلَّتْ سَبِيلَ نَبِيِّهَا
وَأَثَارُهُ يَوْمَ افْتِحَامِ الْكِبَائِرِ
يَعِزُّ بِكُمْ دِينَ الصَّلِيبِ وَأَهْلِيهِ
وَأَنْتُمْ بِهِمْ مَا بَيْنَ رَاضٍ وَآمِرٍ
وَتُهَجِّرُ آيَاتُ الْهُدَى وَمَصَاحِفُ
وَيُحَكِّمُ بِالْقَانُونِ وَسَطَ الدَّسَائِرِ
هَوَتْ بِكُمْ نَحْوُ الْجَحِيمِ هَوَادَةٌ
وَلَذَاتُ عَاشِ نَاعِمٍ غَيْرَ شَاكِرٍ
سَيِّدُوا لَكُمْ مِنْ مَالِكِ الْمُلْكِ غَيْرُ مَا
تَظُنُّونَهُ بَعْدَ الثَّوَى فِي الْمَقَابِرِ
يَقُولُ لَكُمْ مَاذَا فَعَلْتُمْ بِأُمَّةٍ
عَلَى نَاهِجٍ مِثْلِ التُّجُومِ الزَّوَاهِرِ
سَلَلْتُمْ سَيُوفَ الْبَغْيِ فِيهِمْ وَعَظَلْتُمْ
مَسَاجِدَهُمْ مِنْ كُلِّ دَاعٍ وَذَاكِرٍ
وَوَالَيْتُمْ أَهْلَ الْجَحِيمِ سَفَاهَةً
وَكُنْتُمْ بِبِئْسَ دِينِ اللَّهِ أَوْلَ كَافِرٍ
نَسِيتُمْ لَنَا عَهْدًا أَتَاكُمْ رَسُولُنَا
بِهِ صَارِخًا فَوْقَ الدُّرَى وَالْمَنَابِرِ
فَسَلْ سَاكِنَ الْأَحْسَاءِ هَلْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ

بِهِذَا وَمَا يَجْرِي صَحِيحُ الدَّفَاتِرِ
 وَهَلْ نَافِعٌ لِلْمُجْرِمِينَ اعْتِذَارُهُمْ
 إِذَا دَارَ يَوْمَ الْجَمْعِ سُوءُ الدَّوَائِرِ
 وَقَالَ الشَّقِيُّ الْمُفْتَرِي كُنْتُ كَارِهًا
 ضَعِيفًا مُضَاعًا بَيْنَ تِلْكَ الْعَسَاكِرِ
 أَمَانِي تَلْقَاهَا لِكُلِّ مُتَبَرِّرٍ
 حَقِيقَتُهَا تَبْدُ الْهُدَى وَالشَّعَائِرِ
 تَعُودُ سَرَابًا بَعْدَ مَا كَانَ لَامِعًا
 لِكُلِّ جَهْلٍ فِي الْمَهَامِهِ حَائِرِ
 فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُحْضِيَ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ
 وَتُظْهِرَ فِي ثَوْبِ مِنَ الْمَجْدِ بَاهِرِ
 وَتَدْنُوا مِنَ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ
 إِلَى غَايَةِ فَوْقِ الْعُلَى وَالْمَظَاهِرِ
 فَهَاجِرٍ إِلَى رَبِّ الْبَرِّيَّةِ طَالِبًا
 رِضَاهُ وَرَاغِمٌ بِالْهُدَى كُلِّ جَائِرِ
 وَجَانِبِ سَبِيلِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ
 ذَوِي الشُّرْكَ وَالتَّعْطِيلِ مَعَ كُلِّ غَادِرِ
 وَبَادِرٍ إِلَى رَفْعِ الشُّكَايَةِ ضَارِعًا
 إِلَى كَاشِفِ الْبَلْوَى عَلِيمِ السَّرَائِرِ
 وَكَابِدٍ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا
 وَتُرْفَعَ فِي ثَوْبِ مِنَ الْعَفْوِ سَاتِرِ

وَلَا تَيَاسُنْ مِنْ صُنْعِ رَبِّكَ إِنَّهُ
 مُجِيبٌ وَإِنَّ اللَّهَ أَقْرَبُ نَاصِرٍ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَبْدِي بِأُطْفُفِهِ
 وَيُعَقِّبُ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا لِمَصَابِرِ
 وَأَنَّ الدِّيَارَ الْهَامِدَاتِ يُمُدُّهَا
 بِوَيْلٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ هَامٍ وَمَاطِرٍ
 فَتُصْبِحُ فِي رَعْدٍ مِنَ الْعَيْشِ نَاعِمٍ
 وَتَهْتَزُّ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْحُسْنِ فَآخِرِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ وَأَظْهَرَ غِنَاءَهُ لِلرَّاعِبِينَ أَلْهَمْنَا مَا أَلْهَمْتَ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ
 وَأَيِّقْظُنَا مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ إِنَّكَ أَكْرَمُ مُنْعِمٍ وَأَعَزُّ مُعِينٍ وَاعْفِرْ لَنَا اللَّهُمَّ وَوَفِّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ،
 وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمِّنَّا مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّحْفِ وَالرُّزْلَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة عبد الله بن عباس

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ عَمِّ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْتَمَعَ لَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَجْدُ
 الصُّحْبَةِ وَمَجْدُ الْقَرَابَةِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَجْدُ الْعِلْمِ وَمَجْدُ التَّقَى ، فَقَدْ كَانَ صَوَامًا
 بِالنَّهَارِ قَوْمًا بِاللَّيْلِ بَكَاءً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى قِيلَ إِنَّ الدَّمْعَ حَفَرَ خَدَيْهِ أَعْلَمُ الْأُمَّةِ بِكِتَابِ اللَّهِ
 وَأَفْقَهُهَا بِتَأْوِيلِهِ وَأَقْدَرُهَا عَلَى النُّفُوزِ إِلَى أَعْوَارِهِ وَإِدْرَاكِ مَرَامِيهِ وَأَسْرَارِهِ .

وُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنَوَاتٍ وَلَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 كَانَ لَهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً فَقَطُّ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَفِظَ لِلْمُسْلِمِينَ عَنْ نَبِيِّهِمْ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةً وَسِتِّينَ
 حَدِيثًا أَثْبَتَهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِمَا .

وَلَمَّا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ حَمَلَتْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَنَكَهُ بِرِيقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَوَّلَ مَا دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُلَازِمَةً الْعَيْنِ لِأُخْتِهَا .
فَكَانَ يُعَدُّ لَهُ مَاءٌ وَضُورِيهِ إِذَا هَمَّ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّيَ خَلْفَهُ إِذَا وَقَفَ لِلصَّلَاةِ وَيَكُونُ رَدِيفَهُ إِذَا عَزَمَ عَلَى سَفَرٍ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَحْمِلُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ قَلْبًا وَذَهْنًا صَافِيًا .

حَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ : هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْوُضُوءِ ذَاتَ مَرَّةٍ فَمَا أَسْرَعَ أَنْ أَعْدَدْتُ لَهُ الْمَاءَ فَسَرَّ بِمَا صَنَعْتُ وَلَمَّا هَمَّ بِالصَّلَاةِ أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَفَافَ بَارَأْتَهُ فَوَقَفْتُ خَلْفَهُ .

فَلَمَّا انْتَهَتِ الصَّلَاةُ مَالَ عَلِيٌّ وَقَالَ : ((مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونَ بَارِئِي يَا عَبْدَ اللَّهِ)) .
فَقُلْتُ : أَنْتَ أَجَلٌ فِي عَيْنِي وَأَعَزُّ مِنْ أَوَارِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ آتِهِ الْحِكْمَةَ » . وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَةَ نَبِيِّهِ فَأَتَاهُ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا فَاقَ بِهِ أَسَاطِينَ الْحُكَمَاءِ .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا اعْتَزَلَ بَعْضُ أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَخَذَلُوهُ فِي نِزَاعِهِ مَعَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ائْتِدْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ آتِيَ الْقَوْمَ وَأَكَلِمَهُمْ فَقَالَ : إِنِّي أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ مِنْهُمْ فَقَالَ : كَلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَلَمَّ يَرِ قَوْمًا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ فِي الْعِبَادَةِ فَقَالُوا : مَرَحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا جَاءَ بِكَ فَقَالَ : جِئْتُ أُحَدِّثُكُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا تُحَدِّثُوهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نَسْمَعُ مِنْكَ .

فَقَالَ أَخْبِرُونِي مَا تَنْقُمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَوْحِ ابْنَتِهِ وَأَوَّلِ مَنْ
آمَنَ بِهِ قَالُوا : نَنْقُمُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ أَوَّلُهَا أَنَّهُ حَكَمَ الرِّجَالَ وَثَانِيهَا أَنَّهُ قَاتَلَ عَائِشَةَ وَمُعَاوِيَةَ وَلَمْ
يَأْخُذْ غَنَائِمَ وَلَا سَبَايَا وَثَالِثُهَا أَنَّهُ مَحَا عَن نَفْسِهِ لَقَبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ بَايَعُوهُ
وَأَمَرُوهُ .

فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ ، إِنْ أَسْمَعْتُكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَحَدَّثْتُكُمْ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ مَا لَا تُنْكِرُونَهُ
أَفْتَرَجِعُونَ عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : أَمَّا قَوْلُكُمْ أَنَّهُ حَكَمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ فَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ
مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ .

أَنْشَدُكُمْ اللَّهَ أَفْحَكَمَ الرِّجَالَ فِي حَقِّ دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَصَلَّاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ أَمْ فِي
أَرْزَابِ ثَمَنِهَا رُبْعِ دِرْهَمٍ ؟ فَقَالُوا : بَلْ فِي حَقِّ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَّاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ . فَقَالَ :
أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

قَالَ : وَأَمَّا قَوْلُكُمْ إِنَّ عَلِيًّا قَاتَلَ وَلَمْ يَسِبْ - أَيُّ لَمْ يَأْخُذْ سَبَايَا كَمَا سَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَكُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسُبُّوا أُمَّكُمْ عَائِشَةَ كَمَا تُسْتَحَلُّ السَّبَايَا فَإِنْ قُلْتُمْ : نَعَمْ
كَفَرْتُمْ وَإِنْ قُلْتُمْ : إِنَّهَا لَيْسَتْ بِأُمَّكُمْ كَفَرْتُمْ أَيْضًا فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى
بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ مَا شِئْتُمْ ثُمَّ قَالَ : أَخْرَجْنَا مِنْ
هَذِهِ ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

قَالَ : وَأَمَّا قَوْلُكُمْ إِنَّ عَلِيًّا مَحَا عَن نَفْسِهِ لَقَبَ إِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ حِينَ طَلَبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَنْ يَكْتُبُوا فِي الصُّلْحِ الَّذِي عَقَدَهُ مَعَهُمْ هَذَا مَا
قَاضَى

عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالُوا : لَوْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ
وَلَكِنْ أَكْتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَنَزَلَ عِنْدَ طَلَبِهِمْ وَهُوَ يَقُولُ : « وَاللَّهِ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ وَإِنْ
كَذَّبْتُمُونِي فَهَلْ خَرَجْنَا مِنْ هَذِهِ » ؟ فَقَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

وَكَانَ مِنْ ثَمَرَةِ هَذَا اللَّقَاءِ وَمَا وَقَفَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ مِنْ حِكْمَةٍ وَحُجَّةٍ أَنْ عَادَ
مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا إِلَى صُفُوفِ عَلِيٍّ وَأَصَرَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ عَلَى خُصُومَتِهِمْ لِعَلِيٍّ ، وَلَمَّا لَحِقَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَارِ رَبِّهِ ابْتَهَجَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ عُلَمَاءِ
الصَّحَابَةِ يَأْخُذُ عَنْهُمْ الْعِلْمَ وَيَتَلَقَّى عَنْهُمْ .

وَحَدَّثَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ : كَانَ إِذَا بَلَغَنِي الْحَدِيثَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَيْتُ بَابَ بَيْتِهِ فِي وَقْتٍ قِيلُولَتِهِ وَتَوَسَّدْتُ رِدَائِي عِنْدَ عُتْبَةَ دَارِهِ
فَتَسَنَّفِي عَلَيَّ الرِّيحَ مِنَ الثَّرَابِ مَا تَسَنَّفِي وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ لِأُذِنَ لِي .

وَإِنَّمَا كُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَطِيبَ نَفْسَهُ فَإِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ رَأَيْتُ عَلَيَّ هَذِهِ الْحَالَ وَقَالَ : « يَا
ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جَاءَ بِكَ هَلَا أُرْسَلَتْ إِلَيَّ فَآتِيكَ فَأَقُولُ أَنَا أَحَقُّ
بِالْمَجِيءِ إِلَيْكَ فَالْعِلْمُ يُؤْتَى وَلَا يَأْتِي ثُمَّ أَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ » .

وَكَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُذِلُّ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَقَدْ كَانَ يُعَلِّي مِنْ قَدْرِ الْعُلَمَاءِ فَهَا هُوَ ذَا
زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ كَاتِبُ الْوَحْيِ وَرَأْسُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي الْقَضَاءِ وَالْفِقْهِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْفَرَائِضِ يَهُمُّ بِرُكُوبِ
دَابَّتِهِ فَقَالَ : « دَعُ عَنْكَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
هَكَذَا أَمَرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا .

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ ، لَا رَادَّ لِأَمْرِكَ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) وَقَدْ اجْتَهَدَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى بَلَغَ فِيهِ مَبْلَغًا وَأَدَهَشَ الْمُحْوَلُ فَقَالَ فِيهِ مَسْرُوقٌ بِنُ الْأَجْدَعِ أَحَدُ التَّابِعِينَ : كُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ ابْنَ عَبَّاسٍ قُلْتُ : أَجْمَلُ النَّاسِ فَإِذَا نَطَقَ قُلْتُ : أَفْصَحُ النَّاسِ فَإِذَا تَحَدَّثَ قُلْتُ : أَعْلَمُ النَّاسِ .

وَلَمْ يَكُنْ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَنْهَوْنَ وَلَا يَنْتَهُونَ وَإِنَّمَا كَانَ صَوَامًا بِالنَّهَارِ قَوَامًا بِاللَّيْلِ .

أَخْبَرَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَلِيكَةَ قَالَ : صَحِبْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَكُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا قَامَ شَطْرُ اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامُ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَفْرَأُ : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ فَظَلَّ يُكْرِرُهَا وَيَنْشُجُ حَتَّى طَلَعَ عَلَيْهِ الْفَجْرُ .

وَحَسْبُنَا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ وَجَهًا فَمَا زَالَ يَبْكِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى أَحْدَثَ الدَّمَعَ عَلَى خَدَّيْهِ بِحَجْرَيْنِ شَبَّهَهُمَا بَعْضُهُمْ بِشَرَائِي النَّعْلِ .

وَقَدْ بَلَغَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ مَجْدِ الْعِلْمِ غَايَتَهُ ذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ خَرَجَ ذَاتَ سَنَةٍ حَاجًّا وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ حَاجًّا أَيْضًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْلَةٌ وَلَا أَمَارَةٌ فَكَانَ لِمُعَاوِيَةَ مَوْكِبٌ مِنْ رِجَالِ دَوْلَتِهِ وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ مَوْكِبٌ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ يَفُوقُ مَوْكِبَ مُعَاوِيَةَ .

رَوَى بَعْضُ أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَجْلِساً لَوْ أَنَّ جَمِيعَ قَرَيْشٍ
افْتَحَرَتْ بِهِ لَكَانَ لَهَا مَفْحَرَةٌ فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ اجْتَمَعُوا فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى بَيْتِهِ حَتَّى ضَافَتْ
بِهِمْ وَسَدُّوْهَا فِي وَجْهِ النَّاسِ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ بِاجْتِشَادِ النَّاسِ عَلَيَّ بِأَبِي .

فَقَالَ : ضَعْ لِي وُضُوءاً فَتَوَضَّأَ وَجَلَسَ وَقَالَ : أُوْخِرُجُ وَقُلْ لَهُمْ : مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَ
عَنْ الْقُرْآنِ وَحُرُوفِهِ فَلْيَدْخُلْ فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ فَمَا سَأَلُوا عَنْ
شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَ مَا سَأَلُوا عَنْهُ وَأَكْثَرَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : افْسَحُوا الطَّرِيقَ لِإِخْوَانِكُمْ
فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ : أُوْخِرُجُ فَقُلْ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَتَأْوِيلِهِ فَلْيَدْخُلْ فَقُلْتُ لَهُمْ :
فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ فَمَا سَأَلُوا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَ مَا سَأَلُوا عَنْهُ
وَأَكْثَرَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : افْسَحُوا الطَّرِيقَ لِإِخْوَانِكُمْ فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ : أُوْخِرُجُ فَقُلْ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ الْفَرَائِضِ وَمَا أَشْبَهَهَا فَلْيَدْخُلْ فَخَرَجْتُ
فَقُلْتُ لَهُمْ فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ فَمَا سَأَلُوا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَ مَا
سَأَلُوا عَنْهُ وَأَكْثَرَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : افْسَحُوا الطَّرِيقَ لِإِخْوَانِكُمْ فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ : أُوْخِرُحُ فُقُلُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّعْرِ وَغَرِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ فَلْيَدْخُلْ
فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ فَمَا سَأَلُوا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ رَاوِي الْخَبَرِ :
فَلَوْ أَنَّ قُرَيْشًا كُلَّهَا فَخَرَتْ بِذَلِكَ لَكَانَ ذَلِكَ لَهَا فَخْرًا .

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَأَى أَنْ يُوزَعَ الْعُلُومَ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى لَا يَحْدُثَ عَلَى بَابِهِ مِثْلُ ذَلِكَ الرَّحَامِ
فَصَارَ يَجْلِسُ فِي الْأُسْبُوعِ يَوْمًا لَا يَذْكَرُ فِيهِ إِلَّا التَّفْسِيرَ وَيَوْمًا لَا يَذْكَرُ فِيهِ إِلَّا الْفِقْهَ وَيَوْمًا لَا
يَذْكَرُ فِيهِ إِلَّا الْمَعَارِي وَيَوْمًا لَا يَذْكَرُ فِيهِ إِلَّا آيَاتِ الْعَرَبِ .

وَقَدْ عَدَا ابْنُ عَبَّاسٍ بِفَضْلِ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ مُسْتَشَارًا لِلْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ عَلَى
الرَّغْمِ مِنْ حَدَاثَةِ سِنِهِ فَكَانَ إِذَا عَرَضَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمْرٌ وَوَاجَهَتُهُ مُعْضِلَةٌ دَعَا جِلَّةَ
الصَّحَابَةِ وَدَعَا مَعَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَإِذَا حَضَرَ رَفَعَ مَنْزِلَتَهُ وَأَذِنَ بِجِلْسِهِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ
أَعْضَلْنَا عَلَيْكَ أَمْرٌ أَنْتَ لَهُ وَلَا مِثَالَهُ .

وَقَدْ عُوْتِبَ عُمَرُ مَرَّةً فِي تَقْدِيمِهِ لِابْنِ عَبَّاسٍ وَجَعَلَهُ مَعَ الشُّيُوخِ وَهُوَ مَا زَالَ فَتَى فَقَالَ : إِنَّهُ
فَتَى الْكُھُولِ لَهُ لِسَانٌ وَقَلْبٌ عَقُولُ أ . ه .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَأَذِنَ لَهُمْ يَوْمًا وَأَذِنَ لِي مَعَهُمْ فَسَأَلَهُمْ عَنْ هَذِهِ السُّورَةِ ﴿
إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿ فَقَالُوا : أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ
يَسْتَغْفِرَ وَأَنْ يَتُوبَ إِلَيْهِ .

فَقَالَ : مَا تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؟ فَقُلْتُ : لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ بِحُضُورِ أَجَلِهِ فَقَالَ
: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿ فَتَحْ مَكَّةَ وَرَأَيْتَ النَّاسَ

يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿١٠٠﴾ أَي فَعِنْدَ ذَلِكَ عَلَامَةُ مَوْتِكَ ﴿١٠١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿١٠٢﴾ .

فَقَالَ لَهُمْ : كَيْفَ تَلُومُونِي عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَرَوْنَهُ وَقِيلَ لَابْنِ عَبَّاسٍ : أَلَيْسَ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ ؟
قَالَ : بِلِسَانِ سَوْوِلٍ وَقَلْبِ عَقُولٍ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : نِعَمَ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَالَ مُجَاهِدٌ
كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُسَمَّى الْبَحْرَ لِكَثْرَةِ عِلْمِهِ .

عَلَى أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ حِينَ انْصَرَفَ إِلَى الْخَاصَّةِ لِيُعَلِّمَهُمْ وَيُفَقِّهَهُمْ لَمْ يَنْسَ حَقَّ الْعَامَّةِ فَكَانَ
يَعْقِدُ لَهُمْ مَجَالِسَ الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ وَالتَّذْكِيرِ .

فَمِنْ مَوَاعِظِهِ قَوْلُهُ مُخَاطِبًا أَصْحَابَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي : يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ لَا تَأْمَنَ عَاقِبَةُ
ذَنْبِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَتَّبِعُ الذَّنْبَ أَكْبَرُ مِنْ الذَّنْبِ نَفْسِهِ فَإِنَّ عَدَمَ اسْتِحْيَائِكَ مِمَّنْ عَلَى يَمِينِكَ
وَعَلَى شِمَالِكَ وَأَنْتَ تَعْتَرِفُ الذَّنْبَ لَا يَقِلُّ عَنِ الذَّنْبِ .

وَإِنَّ ضِحْكَكَ عِنْدَ الذَّنْبِ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِكَ أَكْبَرُ مِنَ الذَّنْبِ وَإِنَّ حُزْنَكَ
عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَكْبَرُ مِنَ الذَّنْبِ وَإِنَّ خَوْفَكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِرِّكَ وَأَنْتَ تَرْتَكِبُ
الذَّنْبَ مَعَ كَوْنِكَ لَا يَضْطَرُّ فُؤَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ أَكْبَرُ مِنَ الذَّنْبِ .

يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ مَا كَانَ ذَنْبُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَابْتَلَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِجَسَدِهِ وَمَالِهِ إِنَّمَا
كَانَ ذَنْبُهُ أَنَّهُ اسْتَعَانَ بِهِ مِسْكِينَ لِيُدْفَعَ عَنْهُ الظُّلْمَ فَلَمْ يُعْنَهُ .

وَكَانَ يَقُولُ : أَعُولُ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَهْرًا أَوْ جُمُعَةً أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
حَجَّةٍ بَعْدَ حَجَّةٍ وَلَطَبِقُ بِدَانِقٍ أَهْدِيهِ إِلَى أَخِي لِي فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دِينَارٍ أَنْفَقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَكَانَ يَقُولُ آخِرُ : شِدَّةَ يَلْقَاهَا الْمُؤْمِنُ الْمَوْتَ وَيَقُولُ : خُذْ الْحِكْمَةَ مِمَّنْ سَمِعْتَ فَإِنَّ الرَّجُلَ
يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ وَلَيْسَ بِحَكِيمٍ فَتَكُونُ كَالزَّرِيمَةِ خَرَجَتْ مِنْ عَيْرِ رَامِي ، عُمَرُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِحْدَى
وَسَبْعِينَ سَنَةً مَلَأَ فِيهَا الدُّنْيَا عِلْمًا وَفَهْمًا وَحِكْمَةً وَزُهْدًا وَتُقَى .

وَلَمَّا سَقَطَ فِي عَيْنَيْهِ الْمَاءُ وَذَهَبَ بَصَرُهُ قِيلَ لَهُ : خَلِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَيْنَيْكَ نُسِيلُ مَاءَهُمَا
وَلَكِنَّكَ تُمْسِكُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ لَا تَسْجُدُ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ وَلَا رُكْعَةً وَاحِدَةً إِلَيَّ حَدَّثْتُ أَنَّهُ مَنْ تَرَكَ
صَلَاةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ .

قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : شَهِدْتُ جَنَازَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ فَلَمَّا وُضِعَ لِيُصَلَّى عَلَيْهِ
جَاءَ طَائِرٌ أبيضٌ حَتَّى دَخَلَ فِي أَكْفَانِهِ فَالْتَمَسَ فَلَمْ يُوْجَدْ فَلَمَّا سُويَ عَلَيْهِ التُّرَابُ سَمِعْنَا صَوْتًا
وَلَا نَرَى شَخْصًا ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي
وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ . أ . ه . بِتَصْرُفٍ بِزِيَادَةِ وَنَقْصٍ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

قِصَّةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ

قَالَ سَلْمَانُ : كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا ً مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا جَيَّانِ ، وَكَانَ أَبِي
دَهْقَانُ الْقَرْيَةِ وَأَغْنَى أَهْلِهَا وَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ، وَكُنْتُ أَحَبُّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ مُنْذُ وُلِدْتُ ثُمَّ مَا زَالَ حُبُّهُ
لِي يَشْتَدُّ وَيَزْدَادُ حَتَّى حَبَسَنِي فِي الْبَيْتِ خَشِيَةً عَلَيَّ كَمَا تُحْبَسُ الْفَتَيَاتُ .

قَالَ سَلْمَانُ : وَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى غَدَوْتُ قِيمَ النَّارِ الَّتِي كُنَّا نَعْبُدُهَا قَالَ
سَلْمَانُ : وَأَنْيَطَ بِي أَمْرٌ إِضْرَامَهَا حَتَّى لَا تُحْبُو سَاعَةً فِي

لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ وَكَانَ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ - الأَرْضُ الْمُغَلَّةُ - تُدِرُّ عَلَيْنَا غَلَّةً كَبِيرَةً وَكَانَ أَبِي يُقَوْمُ عَلَيْهَا وَيَجْنِي غَلَّتَهَا .

وَفِي ذَاتِ مَرَّةٍ شَعَلَهُ عَنِ الدَّهَابِ إِلَى القَرِيَةِ شَاغِلًا فَقَالَ : يَا بُيَّيَّ إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ عَنِ الضَّيْعَةِ بِمَا تَرَى فَادْهَبْ إِلَيْهَا وَتَوَلَّى اليَوْمَ عَنِّي شَأْنَهَا فَخَرَجْتُ أَقْصُدُ ضَيْعَتَنَا .

وَبَيْنَمَا أَنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ فَلَمَّتْ ذَلِكَ انْتِبَاهِي وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى وَلَا أَمْرَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الأَذْيَانِ لِطُولِ مَا حَجَبَنِي أَبِي عَنِ النَّاسِ فِي بَيْتِنَا .

فَلَمَّا سَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُونَ ، فَلَمَّا تَأَمَّلْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي دِينِهِمْ وَقُلْتُ : وَاللَّهِ هَذَا خَيْرٌ مِنَ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَلمْ أَذْهَبْ إِلَى ضَيْعَةِ أَبِي ثُمَّ سَأَلْتُهُمْ : أَيْنَ أَصِلُ هَذَا الدِّينَ ؟ قَالُوا : فِي بِلَادِ الشَّامِ .

وَلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلُ عُدْتُ إِلَى بَيْتِنَا فَتَلَقَّانِي أَبِي يَسْأَلُنِي عَمَّا صَنَعْتُ فَقُلْتُ : يَا أَبَتِ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ وَمَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَدَعَرَ أَبِي مِمَّا صَنَعْتُ .

وَقَالَ : أَيُّ بُيَّيَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ دِينِكَ وَدِينِ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ ، قُلْتُ : كَلَّا - وَاللَّهِ - إِنَّ دِينَهُمْ لِحَيْرٌ مِنْ دِينِنَا ، فَخَافَ أَبِي مِمَّا أَقُولُ وَخَشِيَ أَنْ أَرْتَدَّ عَنِ دِينِي وَحَبَسَنِي بِالْبَيْتِ وَوَضَعَ قَيْدًا فِي رِجْلِي .

وَلَمَّا أُتِيحَتْ لِي الفُرْصَةُ بَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى أَقُولُ لَهُمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ يُرِيدُ الدَّهَابَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَأَعْلَمُونِي فَمَا هُوَ إِلا قَلِيلٌ

حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مُتَّجِهَةٌ إِلَى الشَّامِ فَأَخْبَرُونِي بِهِ فَاخْتَلْتُ عَلَى قَيْدِي حَتَّى حَلَلْتُهُ وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ مُتَّخِفِيًّا حَتَّى بَلَّغْنَا بِلَادَ الشَّامِ .

فَلَمَّا نَزَلْنَا فِيهَا قُلْتُ : مَنْ أَفْضَلُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ قَالُوا الْأَسْفَفُ - مَرْتَبَةٌ فَوْقَ الْقَيْسِيِّ عِنْدَ النَّصَارَى - رَاعِي الْكَيْسِيَّةِ فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ : إِيَّيْ رَغِبْتُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَلْزِمَكَ وَأَخْدِمَكَ وَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ ، وَأُصَلِّيَ مَعَكَ ، فَقَالَ : أَدْخُلْ فَدَخَلْتُ عِنْدَهُ وَجَعَلْتُ أَخْدِمُهُ .

ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّجُلَ رَجُلٌ سُوءٍ فَقَدْ كَانَ يَأْمُرُ أَتْبَاعَهُ بِالصَّدَقَةِ وَيُرْعِبُهُمْ بِثَوَابِهَا فَإِذَا أَعْطُوهُ مِنْهَا شَيْئًا لِيُنْفِقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ مِنْهُ شَيْئًا ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ .

ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ مَاتَ فَاجْتَمَعَتِ النَّصَارَى لِذَنْبِهِ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنْ صَاحِبِكُمْ كَانَ رَجُلٌ سُوءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرْعِبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا ، قَالُوا : مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ .

قَالُوا : نَعَمْ دَلَّنَا عَلَيْهِ فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا وَفِضَّةً فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَدْفَعُهُ ثُمَّ صَلَّبُوهُ وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَمُضْ غَيْرُ قَلِيلٍ حَتَّى نَصَبُوا رَجُلًا آخَرَ مَكَانَهُ ، فَلَزِمْتُهُ فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَزْهَدَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَرْعَبَ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا أَدَّابَ مِنْهُ عَلَى الْعِبَادَةِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا جَمًّا وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا .

فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ : إِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَعَ مَنْ تَنْصَحُنِي أَنْ أَكُونَ مِنْ بَعْدِكَ ؟ فَقَالَ : أَيُّ بُيِّ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا عَلَى مَا كُنْتُ

عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِالْمُوصِلِ هُوَ فُلَانٌ لَمْ يُحَرِّفْ وَلَمْ يُبَدِّلْ فَأَلْحَقْ بِهِ فَلَمَّا مَاتَ صَاحِبِي لَحِقْتُ فِي الْمُوصِلِ فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَيْهِ فَصَصْتُ عَلَيْهِ خَبْرِي وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّ أَلْحَقْ بِكَ وَأَخْبِرْنِي أَنَّكَ مُتَمَسِّكٌ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْحَقِّ فَقَالَ : أَقِمْ عِنْدِي فَأَقِمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ .

ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ لَقَدْ جَاءَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَرَى وَأَنْتَ تَعْلَمُ مِنْ أَمْرِي مَا تَعْلَمُ فَإِلَى مَنْ تُوصِي فَإِلَى بِي وَمَنْ تَأْمُرُنِي بِاللَّحَاقِ بِهِ فَقَالَ : أَيُّ بُيِّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِنَصِيبَيْنِ وَهُوَ فُلَانٌ فَأَلْحَقْ بِهِ فَلَمَّا غِيبَ الرَّجُلُ فِي لَحْدِهِ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبَيْنِ وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي فَقَالَ لِي : أَقِمْ عِنْدَنَا فَأَقِمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى مَا كَانَ صَاحِبَاهُ مِنَ الْخَيْرِ .

فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ : لَقَدْ عَرَفْتَ مِنْ أَمْرِي مَا عَرَفْتَ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي ؟ فَقَالَ : أَيُّ بُيِّ وَاللَّهِ إِنِّي مَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا إِلَّا رَجُلًا بِعَمُورِيَّةٍ هُوَ فُلَانٌ فَأَلْحَقْ بِهِ فَلَحِقْتُ بِهِ وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي فَقَالَ : أَقِمْ عِنْدِي فَأَقِمْتُ عِنْدَ رَجُلٍ كَانَ - وَاللَّهِ - عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَقَدْ اكْتَسَبَتْ وَأَنَا عِنْدَهُ بَقَرَاتٍ وَعَنِيْمَةٌ .

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ مَا نَزَلَ بِأَصْحَابِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ قُلْتُ لَهُ : إِنَّكَ تَعْلَمُ مِنْ أَمْرِي مَا تَعْلَمُ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي ؟ وَمَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ؟ فَقَالَ : يَا بُيِّ وَاللَّهِ - مَا أَعْلَمُ أَنْ هُنَاكَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَقِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مُسْتَمَسِّكًا بِمَا كُنَّا عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانٌ يَخْرُجُ فِيهِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ نَبِيٌّ يَبْعَثُ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ يُهَاجِرُ مِنْ أَرْضِهِ إِلَى أَرْضِ

ذَاتِ نَخْلٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ وَلَهُ عِلْمَاتٌ لَا تَخْفَى فَهُوَ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَبَيْنَ كِنْفَيْهِ حَاتِمُ النُّبُوَّةِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ .

ثُمَّ وَافَاهُ الْأَجَلَ فَمَكَثْتُ بِعَمُورِيَّةَ زَمَانًا إِلَى أَنْ مَرَّ بِي نَقْرٌ مِنْ بُحَارِ الْعَرَبِ مِنْ قَبِيلَةِ كَلْبٍ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنْ حَمَلْتُمُونِي مَعَكُمْ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ أَعْطَيْتُكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَعُنَيْمِي فَقَالُوا : نَعَمْ نَحْمِلُكَ فَأَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا وَحَمَلُونِي مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا بَلَّغْنَا وَادِي الثُّمْرِى غَدَرُوا بِي وَبَاعُونِي لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ فَالتَّحَفْتُ بِخِدْمَتِهِ .

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ زَارَهُ ابْنُ عَمِّ لَهُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَاشْتَرَانِي مِنْهُ وَنَقَلَنِي مَعَهُ إِلَى يَثْرِبَ فَرَأَيْتُ النَّخْلَ الَّذِي ذَكَرَهُ لِي صَاحِبِي بِعَمُورِيَّةَ وَعَرَفْتُ الْمَدِينَةَ بِالْوَصْفِ الَّذِي نَعَتَهَا بِهِ فَأَقَمْتُ بِهَا مَعَهُ وَكَانَ النَّبِيُّ حِينَئِذٍ يَدْعُو قَوْمَهُ بِمَكَّةَ لَكِنَّ لَمْ أَسْمَعْ لَهُ بِذِكْرِ لَانْشِعَالِي بِمَا يُوجِبُهُ عَلَيَّ الرَّقُّ .

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ هَاجَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَثْرِبَ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ نَخْلَةٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهَا بَعْضَ الْعَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ تَحْتَهَا إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّ لَهُ وَقَالَ لَهُ : قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَبِيلَةَ وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِبُيَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ مِنْ مَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ .

فَمَا إِنْ سَمِعْتُ مَقَالَتَهُ حَتَّى مَسَّنِي مَا يُشْبِهُ الْحُمَّى وَاضْطَرَبْتُ اضْطِرَابًا شَدِيدًا حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَسْفُطَ عَلَى سَيِّدِي وَبَادَرْتُ إِلَى النُّزُولِ عَنِ النَّخْلَةِ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لِلرَّجُلِ : مَاذَا تَقُولُ ؟ أَعِدْ عَلَيَّ الْخَبَرَ فَعَضِبَ

سَيِّدِي وَلَكَمَنِي لَكَمَةً شَدِيدَةً وَقَالَ لِي : مَا لَكَ وَهَذَا ؟ عُدْ إِلَى مَا كُنْتَ فِيهِ مِنْ عَمَلِكَ .
 وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ أَخَذْتُ شَيْئاً مِنْ تَمْرَاتٍ كُنْتُ جَمَعْتُهُ وَتَوَجَّهْتُ إِلَى حَيْثُ يَنْزِلُ الرَّسُولُ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصْحَابُ
 لَكَ عُرْبَاءُ ذُوو حَاجَةٍ وَهَذَا كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ ثُمَّ قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ .
 فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : « كُلُوا » . وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذِهِ وَاحِدَةٌ ثُمَّ
 انصَرَفْتُ وَأَخَذْتُ أَجْمَعَ بَعْضَ التَّمْرِ فَلَمَّا تَحَوَّلَ الرَّسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ
 جِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا فَأَكَلْ مِنْهَا وَأَمْرُ أَصْحَابِهِ
 فَأَكَلُوا مَعَهُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذِهِ الثَّانِيَةُ .

ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْتِيعُ الْعَرَقِدَ حَيْثُ كَانَ يُوَارِي أَحَدَ أَصْحَابِهِ
 فَرَأَيْتُهُ جَالِساً وَعَلَيْهِ شَمْلَتَانِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَدْرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ هَلْ أَرَى الْحَاتِمَ الَّذِي
 وَصَفَ لِي صَاحِبِي فِي عَمُورِيَّةَ .

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ عَرَفَ عَرَضِي فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى الْحَاتِمِ فَعَرَفْتُهُ
 فَأَنْكَبْتُ عَلَيْهِ أُقْبِلُهُ وَأَبْكِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا خَبْرُكَ » ؟ فَقَصَصْتُ
 عَلَيْهِ قِصَّتِي فَأَعْجَبَ بِهَا وَسُرُوا بِهَا أَنْ يَسْمَعَهَا أَصْحَابُهُ فَاسْمَعْتُهُمْ إِيَّاهَا فَعَجِبُوا مِنْهَا أَشَدَّ
 الْعَجَبِ وَسُرُوا بِهَا أَعْظَمَ السُّرُورِ . أ . ه . بِتَصَرَّفَ يَسِيرَ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظُنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَنَبَّهَنَا لِاعْتِنَامِ أَوْقَاتِ
 الْمُهْلَةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصَمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ
 سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا

مِنَّا ، وَاْمُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

ثُمَّ شَعَلَ سَلْمَانَ الرَّقُّ حَتَّى فَاتَهُ بَدْرٌ وَأُحِدْتُ ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «
كَاتِبُ يَا سَلْمَانُ » . فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقْرِ وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَةً فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : « أَعِينُوا أَخَاكُمْ » . فَأَعَانُونِي حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي
ثَلَاثِمِائَةٌ .

قَالَ سَلْمَانُ : فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اذْهَبْ فَفَقِّرْ لَهَا فَإِذَا فَرَعْتَ
فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضْعَعُهَا بِيَدِي » . قَالَ : فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضْعُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، فَوَالَّذِي
نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةً وَاحِدَةً فَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ .

فَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مُعْجِزَةٌ عَظِيمَةٌ حَيْثُ لَمْ يَمُتْ مِمَّا غَرَسَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا وَاحِدَةً
قَالَ سَلْمَانُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ : « مَا
فَعَلَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتِبُ » ؟ فَدَعَيْتُ لَهُ فَقَالَ : « هَذِهِ أَدْبَحًا مَا عَلَيْكَ » .
قُلْتُ : وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ ؟ قَالَ : « خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ » .

فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهَا مِنْهَا وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَةً وَعُتِقْتُ فَشَهِدْتُ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُنْدَقَ ثُمَّ لَمْ يُفْتِنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ وَاحِدٌ وَهَذِهِ أَيْضاً مُعْجِزَةٌ
عَظِيمَةٌ .

وَكَانَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرِعاً زَاهِداً قَالَ الْحَسَنُ : كَانَ عَطَاءُ سَلْمَانَ خَمْسَةَ آلَافٍ وَكَانَ
أَمِيراً عَلَى زُهَاءِ ثَلَاثِينَ أَلْفاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ

وَكَانَ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي عِبَاءَةٍ يَفْتَرِشُ بَعْضَهَا وَيَلْبَسُ بَعْضَهَا فَإِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ أَمْضَاهُ - يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ يَتَصَدَّقُ بِوَصِيْفَتِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَيَأْكُلُ مِنْ سَفِيْفِ يَدِيْهِ أَيِّ يَسِفُ الْحُوْصَ وَيَأْكُلُ مِنْ قِيْمَتِهِ إِذَا بَاعَهُ .

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : اشْتَرِيْ حُوْصاً بِدِرْهَمٍ فَأَعْمَلُهُ فَأَبِيْعُهُ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ فَأَعِيْدُ دِرْهَمًا فِيْهِ وَأُنْفِقُ دِرْهَمًا عَلَى عِيَالِي وَأَتَصَدَّقُ بِدِرْهَمٍ وَكَانَ سَلْمَانُ أَمِيْرًا عَلَى الْمَدَائِنِ فَجَاءَ رَجُلٌ مَعَهُ حِمْلٌ تَبْنٌ وَعَلَى سَلْمَانَ عِبَاءَةٌ فَقَالَ لَهُ : تَعَالَ احْمِلْ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَحَمَلَ فَرَأَهُ النَّاسُ فَقَالُوا : هَذَا الْأَمِيْرُ فَقَالَ الرَّجُلُ لِسَلْمَانَ : لَمْ أَعْرِفْكَ ؟ فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ إِنِّي قَدْ نَوَيْتُ فِيْهِ نِيَّةً فَلَنْ أَضْعُهُ حَتَّى أَبْلُغَ بَيْتَهُ ، هَذِهِ نُبْدَةٌ بِسِيْرَتِهِ مِنْ سِيْرَةِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

كَمْ ذَا أُوْمِلُ عَفْوًا لَسْتُ أَكْسِبُهُ	وَيْلٌ لِحِلْدِي يَوْمَ النَّارِ مِنْ أَمْلِي
قَوْلٌ جَمِيْلٌ وَأَفْعَالٌ مُقَبَّحَةٌ	يَا بَعْدَ ذَا الْقَوْلِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَمَلِ
يَا بُؤْسَ لِلْعَيْشِ غُرِّ الْعَالِمُونَ بِهِ	وَالْجَاهِلُونَ مَعًا فِي الْأَعْصْرِ الْأَوَّلِ
مَضَوْا جَمِيْعًا فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ	حَانُوا وَحَالُوا وَهَذَا الدَّهْرُ لَمْ يَحِلْ
كَأَنَّهُمْ بَعْدَ مَا اسْتَمَطُوا جَنَائِرَهُمْ	لَمْ يَمْتَطُوا صَهَوَاتِ الْخَيْلِ وَالْإِبْلِ
قَالُوا فَرَعْتَ مِنَ الْأَشْغَالِ قُلْتُ لَهُمْ	لَوْ لَمْ أَكُنْ بِأَنْتِظَارِ الْمَوْتِ فِي شُغْلِ
إِنِّي لِأَعْلَمُ عِلْمًا لَا يُخَالِجُهُ	شَكٌّ فَاطْمَعُ لِلدُّنْيَا وَيُطْمَعُ لِي
بَأَنَّهُ لَا مَحِيصٌ عَن مَدَى سَفْرِي	وَلَا دَوَاءٌ لِمَا أَشْكُوهُ مِنْ عَلْلِي
وَأَنْبِي سَوْفَ أَلْقَى مَا يُطِيحُ بِهِ	كَيْدِي وَتَذْهَبُ عَنْهُ ضَلَالًا حَيْلِي
وَكَيفَ يُطَبِّقُ جَفْنَاً بِالْكَرَى رَجُلٌ	وَرَاءَهُ لِلرَّدَى حَادٍ مِنَ الْأَجْلِ ؟
أَمْ كَيْفَ يُصْبِحُ جَدْلَانًا وَلَيْسَ لَهُ	عِلْمُ الْإِلَهِ بِعُقْبَى ذَلِكَ الْجَدْلِ ؟
يَا رَاقِدًا وَنِدَاءُ اللهِ يُوقِظُهُ	أَلَا تَزُوْدَتَ فِينَا زَادَ مُرْتَحِلٍ ؟

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِنَاهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلَنَا ،

وَتَلَّمْ بِهَا شَعَثَنَا ، وَتَرَفَعْ بِهَا شَاهِدَنَا ، وَتَحْفَظْ بِهَا غَائِبَنَا ، وَتُرَكِّي بِهَا أَعْمَالَنَا ، وَتُلْهِمْنَا بِهَا رُشْدَنَا ، وَتَعْصِمْنَا بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَتَبَتَّنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة : كَانَ طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَكَانَتْ الْوِلَايَةُ فِي الْيَمَنِ إِذْ ذَاكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ أَخِي الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ أَرْسَلَهُ الْحَجَّاجُ وَالِيًّا عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ عَظَّمَ أَمْرَهُ ... وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ ... وَاشْتَدَّتْ هَيْبَتُهُ إِثْرَ فَضَائِهِ عَلَى حَرَكَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الرَّبِيعِ .

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ يَجْمَعُ فِي ذَاتِهِ كَثِيرًا مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ الْحَجَّاجِ وَلَكِنَّهُ مَا يَتَحَلَّى بِشَيْءٍ مِنْ حَسَنَاتِهِ .

وَفِي عِدَاةِ يَوْمٍ بَارِدٍ مِنْ أَيَّامِ الشِّتَاءِ دَخَلَ عَلَيْهِ طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ وَمَعَهُ وَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ . فَلَمَّا أَحَدَا بَجَلَسِيهِمَا عِنْدَهُ طَفِقَ طَاوُوسُ يَعْظُمُهُ وَيُرْغَبُهُ وَيُرْهَبُهُ . وَالنَّاسُ جُلُوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَقَالَ الْوَالِي لِأَحَدِ حُجَّابِهِ : يَا غُلَامُ أَحْضِرْ طَيْلَسَانَ وَأَلْقِهِ عَلَى كَتِفِي أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ . فَعَمَدَ الْحَاجِبُ إِلَى طَيْلَسَانَ ثَمِينٍ وَأَلْقَاهُ عَلَى كَتِفِي طَاوُوسَ فَظَلَّ طَاوُوسٌ مُتَدَفِّقًا فِي مَوْعِظَتِهِ .

وَجَعَلَ يُحْرِّكُ كَتِفِيهِ فِي تُوْدَةٍ حَتَّى أَلْقَى الطَّيْلَسَانَ عَنْ عَاتِقِهِ ، وَهَبَّ وَاقْفًا وَانْصَرَفَ ...

فَعَضِبَ مُحَمَّدٌ بِنُ يُوسُفَ غَضَبًا ظَهَرَ فِي احْمِرَارِ عَيْنَيْهِ وَاحْتِقَانِ وَجْهِهِ .. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

فَلَمَّا صَارَ طَاوُوسٌ وَصَاحِبُهُ خَارِجَ الْمَجْلِسِ قَالَ وَهَبْ لِطَاوُوسٍ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا فِي غَيْيِ عَنِّ إِثَارَةَ غَضَبِهِ عَلَيْنَا فَمَاذَا كَانَ يُضِيرُكَ لَوْ أَخَذْتَ الطَّيْلَسَانَ مِنْهُ ثُمَّ بَعْتَهُ وَتَصَدَّقْتَ بِشِمْنِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ !؟

فَقَالَ طَاوُوسٌ : هُوَ مَا تَقُولُ .

لَوْلَا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقُولَ الْعُلَمَاءُ مِنْ بَعْدِي : نَأْخُذُ كَمَا أَخَذَ طَاوُوسٌ ... ثُمَّ لَا يَصْنَعُونَ فِيمَا أَخَذُوهُ مَا تَقُولُ .

وَكَأَنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِنُ يُوسُفَ أَنْ يَرُدَّ لِطَاوُوسٍ الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ... فَنَصَبَ لَهُ شِرْكَاءَ مِنْ شِرَاكِهِ حَيْثُ أَعَدَّ صُرَّةً فِيهَا سُبُعُمَائَةِ دِينَارٍ ذَهَبًا .

وَاخْتَارَ رَجُلًا حَادِقًا مِنْ رِجَالِ حَاشِيَتِهِ وَقَالَ لَهُ : امضِ بِهَذِهِ الصُّرَّةِ إِلَى طَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ وَاحْتَلْ عَلَيْهِ فِي أَخْذِهَا فَإِنْ أَخَذَهَا مِنْكَ أَجَزَلْتُ عَطِيَّتِكَ وَكَسَوْتُكَ وَقَرَّبْتُكَ .

فَخَرَجَ الرَّجُلُ بِالصُّرَّةِ حَتَّى أَتَى طَاوُوسًا فِي قَرْيَةٍ كَانَ يُقِيمُ بِهَا بِالْمُرَبِّ مِنْ صَنْعَاءَ يُقَالُ لَهَا : (الْجُنْد) فَلَمَّا تَارَ عِنْدَهُ حَيَّاهُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، هَذِهِ نَفَقَةٌ بَعَثَ بِهَا الْأَمِيرُ إِلَيْكَ فَقَالَ : مَا لِي بِهَا مِنْ حَاجَةٍ .

فَاحْتَالَ عَلَيْهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ لِيَقْبَلَهَا فَأَبَى ... وَأَدْلَى لَهُ بِكُلِّ حُجَّةٍ فَرَفَضَ .

فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ اغْتَنَمَ غَفْلَةً مِنْ طَاوُوسٍ وَرَمَى بِالصُّرَّةِ فِي كُوَّةٍ كَانَتْ بِجِدَارِ الْبَيْتِ وَعَادَ رَاجِعًا إِلَى الْأَمِيرِ وَقَالَ : لَقَدْ أَخَذَ طَاوُوسٌ الصُّرَّةَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فَسَرَّ لِنَدْلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ وَسَكَتَ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا مَضَتْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامٍ عِدَّةٌ أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ أَعْوَانِهِ ، وَمَعَهُمَا الرَّجُلُ الَّذِي حَمَلَ إِلَيْهِ الصُّرَّةَ ... وَأَمْرُهُمَا أَنْ يَقُولَا لَهُ : إِنَّ رَسُولَ الْأَمِيرِ قَدْ أَخْطَأَ فَدَفَعَ إِلَيْكَ الْمَالَ ، وَهُوَ مُرْسَلٌ لِعَيْبِكَ ، وَقَدْ أَتَيْنَا لِنَسْتَرِدَّهَ مِنْكَ وَنَحْمِلَهُ إِلَى صَاحِبِهِ .
فَقَالَ طَاوُوسٌ : مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِ الْأَمِيرِ شَيْئاً حَتَّى أُرُدَّهُ إِلَيْهِ .
فَقَالَ : بَلْ أَخَذْتَهُ .

فَالْتَفَتَ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي حَمَلَ إِلَيْهِ الصُّرَّةَ وَقَالَ لَهُ : هَلْ أَخَذْتَ مِنْكَ شَيْئاً؟!
فَأَصَابَ الرَّجُلُ دُغْرًا وَقَالَ : كَلَّا ، وَإِنَّمَا وَضَعْتُ الْمَالَ فِي هَذِهِ الْكُوَّةِ فِي غَفْلَةٍ مِنْكَ . فَقَالَ طَاوُوسٌ : دُونَكُمَا الْكُوَّةَ فَانظُرَا فِيهَا : فَنظَرَا فِي الْكُوَّةِ ، فَوَجَدَا فِيهَا الصُّرَّةَ كَمَا هِيَ وَقَدْ ضَرَبَ عَلَيْهَا الْعَنْكَبُوتُ بِنَسَجِهِ فَأَخَذَاهَا وَعَادَا بِهَا إِلَى الْأَمِيرِ .
حَدَّثَ طَاوُوسٌ بِنُ كَيْسَانَ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا فِي مَكَّةَ حَاجًّا بَعَثَ إِلَيَّ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ رَحَّبَ بِي وَأَدْنَى مَجْلِسِي مِنْهُ ... وَطَرَحَ لِي وَسَادَةً وَدَعَانِي لِأَنْ أَتَكِيَّ عَلَيْهَا ... ثُمَّ رَاحَ يَسْأَلُنِي عَمَّا أَشْكَلُ عَلَيْهِ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ وَعَظَائِرِهَا .
وَفِيمَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعَ الْحَجَّاجُ مُلَبِّياً يُلَبِّي حَوْلَ الْبَيْتِ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ وَلَهُ نَبْرَةٌ تَهْرُ الْقُلُوبَ هَزًّا .

فَقَالَ : عَلَيَّ بِهَذَا الْمَلَبِيِّ .
فَأُتِيَ لَهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مِمَّنِ الرَّجُلُ؟
فَقَالَ : مِنْ الْمُسْلِمِينَ .

فَقَالَ : لَمْ أَسْأَلْكَ عَنْ هَذَا ، وَإِنَّمَا سَأَلْتُكَ عَنْ الْبَلَدِ ؟
 فَقَالَ : مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ .
 فَقَالَ : كَيْفَ تَرَكْتَ أَمِيرَكُمْ (يَعْنِي أَخَاهُ) ؟
 فَقَالَ : تَرَكْتُهُ عَظِيمًا ، جَسِيمًا ... لَبَّاسًا ، رَكَّابًا ... خَرَّاجًا ، وَلَاجًا ...
 فَقَالَ : لَيْسَ عَنْ ذَا سَأَلْتُكَ ؟
 فَقَالَ : عَمَّ سَأَلْتَنِي إِذَنْ ؟
 فَقَالَ : سَأَلْتُكَ عَنْ سِيرَتِهِ فِيكُمْ ؟
 فَقَالَ : تَرَكْتُهُ ظَلُومًا غَشُومًا ... مُطِيعًا لِلْمَخْلُوقِ عَاصِيًا لِلْخَالِقِ .
 فَاحْمَرَّ وَجْهُ الْحَجَّاجِ خَجَلًا مِنْ جُلْسَائِهِ وَقَالَ لِلرَّجُلِ :
 مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ فِيهِ مَا قُلْتَهُ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَكَانَهُ مِنِّي ؟!
 فَقَالَ : أَتَرَاهُ بِمَكَانِهِ مِنْكَ أَعَزَّ مِنِّي بِمَكَانِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟
 وَأَنَا وَافِدٌ بَيْتِهِ ... وَمُصَدِّقٌ نَبِيِّهِ ... وَقَاضِي دِينِهِ ...
 فَسَكَتَ الْحَجَّاجُ وَلَمْ يُجِزْ جَوَابًا .
 قَالَ طَاوُوسٌ : ثُمَّ مَا لَبِثَ الرَّجُلُ أَنْ قَامَ ، وَانصَرَفَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَأْذِنَ أَوْ يُؤْذَنَ لَهُ .
 فَعُضْتُ فِي إِثْرِهِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنَّ الرَّجُلَ صَالِحٌ فَاتَّبِعْهُ وَاطْفَرْ بِهِ قَبْلَ أَنْ تُعَيِّبَهُ عَنْ
 عَيْنَيْكَ جُمُوعِ النَّاسِ .
 فَتَبِعْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ أَتَى الْبَيْتَ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِهِ وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى جِدَارِهِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ :
 اللَّهُمَّ بِكَ أَعُوذُ ... وَبِحَبَابِكَ أَلُودُ ... اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي الْإِطْمِئْنَانِ إِلَى جُودِكَ وَالرِّضَا
 بِضَمَانِكَ مَنُوحَةً عَنْ مَنَعِ الْبَاحِلِينَ وَغَنَى عَمَّا فِي أَيْدِي الْمُسْتَأْثِرِينَ ... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ
 فَرَحَكَ الْقَرِيبِ ... وَمَعْرُوفَكَ الْقَدِيمِ وَعَادَتَكَ الْحَسَنَةَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهِ مَوْجَهُ مِنَ النَّاسِ وَأَخْفَتُهُ عَنْ عَيْنِي فَأَيَقَنْتُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى لِقَائِهِ بَعْدَ ذَلِكَ .
 فَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةُ عَرَفَةَ رَأَيْتُهُ وَقَدْ أَفَاضَ مَعَ النَّاسِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ :
 اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ لَمْ تَقْبَلْ حِجِّي ، وَتَعَبِي ، وَنَصَبِي ، فَلَا تُحْرِمْنِي الْأَجْرَ عَلَى مُصِيبَتِي ، بِتَرْكِكَ
 الْقَبُولَ مِنِّي ثُمَّ ذَهَبَ فِي النَّاسِ ، وَسَتَرَهُ الظَّلَامُ عَنِّي فَلَمَّا بَيَّسْتُ مِنْ لِقَائِهِ قُلْتُ :
 اللَّهُمَّ اقْبَلْ دُعَائِي وَدُعَاءَهُ وَاسْتَجِبْ رَجَائِي وَرَجَاءَهُ وَثَبَّتْ قَدَمِي وَقَدَمِيهِ يَوْمَ تَزُلُّ الْأَقْدَامُ ،
 وَاجْمَعْنِي مَعَهُ عَلَى حَوْضِ الْكَوْثَرِ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . (قِصَّةُ لَطَاوُوسَ) .

قِصَّةُ لَطَاوُوسَ

مَا كَادَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يُلْقِي رِحَالَهُ فِي أَكْنَافِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ...
 وَيُقِلُّ أَشْوَاقَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ حَتَّى التَفَّتْ إِلَى حَاجِبِهِ وَقَالَ :
 ابْتَغِ لَنَا عَالِمًا يُفَقِّهُنَا فِي الدِّينِ وَيُذَكِّرُنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ الْأَعْرَّ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
 فَمَضَى الْحَاجِبُ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْمَوْسِمِ وَطَفَّقَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ بُغْيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقِيلَ لَهُ :
 هَذَا طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ سَيِّدُ فُقَهَاءِ عَصْرِهِ ... وَأَصْدُقُهُمْ هُجَّةً فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ...
 فَعَلَيْكَ بِهِ .

فَأَقْبَلَ الْحَاجِبُ عَلَى طَاوُوسٍ وَقَالَ : أَحِبَّ دَعْوَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيُّهَا الشَّيْخُ فَاسْتَجَابَ طَاوُوسٌ لَهُ مِنْ غَيْرِ إِبْطَاءٍ .

ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَلَا تَعْرِضَ لَهُمْ فُرْصَةً إِلَّا اغْتَنَمُوهَا ...

وَأَلَا تَسْنَحَ لَهُمْ بَادِرَةً إِلَّا ابْتَدَرُوهَا .

وَكَانَ يُوقِنُ أَنَّ أَفْضَلَ كَلِمَةٍ تُقَالُ هِيَ كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا تَقْوِيمٌ أَعْوَجَاجِ ذَوِي السُّلْطَانِ ...

وَتَجْنِيبُهُمُ الْحَيْفَ وَالْجُورَ ... وَتَقْرِيبُهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ...

مَضَى طَاوُوسٌ مَعَ الْحَاجِبِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيَّاهُ فَرَدَّ الْخَلِيفَةُ التَّحِيَّةَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ... وَأَكْرَمَ اسْتِقْبَالَ زَائِرِهِ ، وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ ثُمَّ أَخَذَ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ مِنْ مَنَاسِكِ الْحُجِّ ، وَبَيَّنَّصَتْ إِلَيْهِ فِي تَوْقِيرٍ وَإِحْلَالٍ .

قَالَ طَاوُوسٌ : فَلَمَّا شَعَرْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَلَغَ بُعَيْتَهُ وَمَ يَبْقَى لَدَيْهِ مَا يَسْأَلُ عَنْهُ قُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنَّ هَذَا الْمَجْلِسَ لِمَجْلِسٍ يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَنْهُ يَا طَاوُوسُ .. ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ صَخْرَةً كَانَتْ عَلَى شَفِيرِ بَيْرٍ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ ...

وَقَدْ ظَلَّتْ تَهْوِي فِي هَذِهِ الْبَيْرِ سَبْعِينَ خَرِيفًا حَتَّى بَلَغَتْ قَرَارَهَا .

أَتَدْرِي لِمَنْ أَعَدَّ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْرَ مِنْ آبَارِ جَهَنَّمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

فَقَالَ : مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ : لَا .

ثُمَّ عَادَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ :

وَيْلَكَ لِمَنْ أَعَدَّهَا !؟

فَقَالَ : أَعَدَّهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ لِمَنْ أَشْرَكَهُ فِي حُكْمِهِ فَجَارَ ...

فَأَخَذَتْ سُلَيْمَانَ لِذَلِكَ رَعْدَةً ظَنَنْتُ مَعَهَا أَنَّ رُوحَهُ سَتَّصَعَدُ مِنْ بَيْنِ جَنَبَيْهِ .
وَجَعَلَ يَبْكِي ، وَلِبِكَائِهِ نَشِيْجٌ يُقَطِّعُ نِيَّاطَ الْقُلُوبِ ... فَتَرَكَتُهُ وَأَنْصَرَفْتُ ... وَهُوَ يَجْزِينِي
خَيْرًا .

وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخِلَافَةَ بَعَثَ إِلَى طَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ يَقُولُ : أَوْصِنِي يَا أَبَا عَبْدِ
الرَّحْمَنِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ طَاوُوسٌ رِسَالَةً فِي سَطْرِ وَاحِدٍ قَالَ فِيهَا : (إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ عَمَلُكَ خَيْرًا
كُلَّهُ فَاسْتَعْمِلْ أَهْلَ الْخَيْرِ ، وَالسَّلَامَ) .

فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ الرِّسَالَةَ قَالَ : كَفَى بِهَا مَوْعِظَةً كَفَى ... بِهَا مَوْعِظَةً .
وَلَمَّا آلَتْ الْخِلَافَةَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَتْ لِطَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ مَعَهُ مَوَاقِفُ مَشْهُورَةٌ
مَأْثُورَةٌ ... مِنْ ذَلِكَ أَنَّ هِشَامًا قَدِمَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ حَاجًّا فَلَمَّا صَارَ فِي الْحَرَمِ قَالَ لِخَاصَّتِهِ مِنْ
أَهْلِ مَكَّةَ : التَّمِسُوا لَنَا رَجُلًا مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ الصَّحَابَةَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - قَدْ تَلَاخَفُوا بِرَبِّهِمْ وَاحِدًا إِثْرَ آخَرَ حَتَّى لَمْ
يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

فَقَالَ : إِذَنْ فَمِنْ التَّابِعِينَ .
فَأْتِي بِطَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ خَلَعَ نَعْلَيْهِ بِحَاشِيَةِ بَسَاطِهِ ... وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَدْعُوهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ... وَخَاطَبَهُ بِاسْمِهِ دُونَ أَنْ يُكْنِيَهُ ... وَجَلَسَ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ بِالْجُلُوسِ
...

فَاسْتَشَاطَ هِشَامٌ غَضَبًا حَتَّى بَدَأَ الْعَيْظُ فِي عَيْنَيْهِ .

ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى فِي تَصَرُّفَاتِهِ تِلْكَ اجْتِرَاءَ عَلَيْهِ ، وَتَبْيَلاً مِنْ هَيْبَتِهِ أَمَامَ جُلَسَائِهِ ، وَرَجَالَ حَاشِيَتِهِ

...

بَيَدَ أَنَّهُ مَا لَبِثَ أَنْ تَدَكَّرَ أَنَّهُ فِي حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ لَطَاوُوسُ : مَا حَمَلَكَ يَا طَاوُوسُ عَلَى مَا صَنَعْتَ !؟

فَقَالَ : وَمَا الَّذِي صَنَعْتُهُ !؟

خَلَعْتَ نَعْلَيْكَ بِحَاشِيَةِ بَسَاطِي ...

وَمَ تَسَلَّمَ عَلَيَّ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ...

وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِي وَمَ تُكَنِّي ...

ثُمَّ جَلَسْتُ مِنْ غَيْرِ إِذْنِي .

فَقَالَ طَاوُوسُ بِهُدُوءٍ : أَمَّا خَلْعُ نَعْلِي بِحَاشِيَةِ بَسَاطِكَ فَأَنَا أَخْلَعُهُمَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ كُلِّ

يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ...

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي لَمْ أُسَلِّمْ عَلَيْكَ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ... فَلَأَنَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسُوا رَاضِينَ بِأَمْرَتِكَ

...

وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ كَاذِبًا إِذَا دَعَوْتُكَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَأَمَّا مَا أَخَذْتَهُ عَلَيَّ مِنْ أُنِّي نَادَيْتُكَ بِاسْمِكَ وَمَ أَكَّنَكَ ... فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَادَى أَنْبِيَاءَهُ

بِأَسْمَائِهِمْ فَقَالَ : يَا دَاوُودُ ... يَا يَحْيَى ... يَا عِيسَى ...

وَكَتَبَ أَعْدَاءَهُ فَقَالَ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ ﴾ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي جَلَسْتُ قَبْلَ أَنْ تُأَذِّنَ لِي فَإِنِّي سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ

يَقُولُ :

(إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَانظُرْ إِلَى رَجُلٍ جَالِسٍ ، وَحَوْلَهُ قَوْمٌ قِيَامٌ بَيْنَ

يَدَيْهِ) .

فَكَرِهْتُ أَنْ تَكُونَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي عُذَّ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

فَأَطْرَقَ هِشَامٌ إِلَى الْأَرْضِ خَجَلًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : عِظْنِي يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ .
 فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : (إِنَّ فِي جَهَنَّمَ حَيَاتٍ
 كَالْقَالِلِ ... وَعَقَارِبَ كَالْبِغَالِ ... تَلْدَغُ كُلَّ رَاعٍ لَا يَعْدِلُ فِي رَعِيَّتِهِ) .
 ثُمَّ قَامَ وَأَنْصَرَفَ .

وَكَمَا كَانَ طَاوُوسٌ يُقْبِلُ عَلَى بَعْضِ أُولِي الْأَمْرِ تَذْكِيراً لَهُمْ وَتَوْجِيهاً ... فَقَدْ كَانَ يُعْرِضُ عَنْ
 بَعْضِهِمُ الْآخَرَ تَبْكِيتاً وَتَأْنِيهاً .

حَدَّثَ ابْنُهُ قَالَ : خَرَجْنَا ذَاتَ سَنَةٍ مَعَ أَبِي حُجَّاجًا مِنَ الْيَمَنِ فَنَزَلْنَا فِي بَعْضِ الْمُدُنِ
 وَعَلَيْهَا عَامِلٌ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ نَجِيحٍ وَكَانَ مِنْ أَحَبِّبِ الْعَمَالِ ، وَأَكْثَرِهِمْ جُرْأَةً عَلَى الْحَقِّ ،
 وَأَشَدَّهُمْ إِبْغَالاً فِي الْبَاطِلِ .

فَأَتَيْنَا مَسْجِدَ الْبَلَدِ نُرِيدُ أَدَاءَ الْمَكْتُوبَةِ ، فَإِذَا ابْنُ نَجِيحٍ قَدْ عَلِمَ بِقُدُومِ أَبِي فَجَاءَ إِلَى
 الْمَسْجِدِ وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ .
 فَلَمْ يُجِبْهُ أَبِي ، وَأَدَارَ لَهُ ظَهْرَهُ ...

فَأَتَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَكَلَّمَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَعَدَلَ إِلَى يَسَارِهِ وَكَلَّمَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَيْضاً فَلَمَّا رَأَيْتُ
 ذَلِكَ قُمْتُ إِلَيْهِ ، وَمَدَدْتُ يَدِي نَحْوَهُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ أَبِي لَمْ يَعْرِفَكَ .

فَقَالَ : بَلْ إِنَّ أَبَاكَ يَعْرِفُنِي ... وَإِنَّ مَعْرِفَتَهُ بِي هِيَ الَّتِي جَعَلْتَهُ يَصْنَعُ مَا رَأَيْتُ ... ثُمَّ مَضَى
 وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَقُولُ شَيْئاً فَلَمَّا عُدْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ التَفَّتْ إِلَيَّ أَبِي وَقَالَ : يَا لُكْعَ ... تَسْلِقُ
 هَؤُلَاءِ بِاللِّسِنَةِ حِدَادٍ فِي غَيْبَتِهِمْ ... فَإِذَا حَضَرُوا خَضَعَتْ لَهُمْ بِالْقَوْلِ ، وَهَلْ النَّفَاقُ غَيْرُ هَذَا !؟

لَمْ يَخْصَّ طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ الْخُلَفَاءَ وَالْوُلَاةَ بِمَوَاعِظِهِ وَإِنَّمَا بَدَّهَا لِكُلِّ مَنْ أَنْسَ بِهِ حَاجَةً إِلَيْهَا أَوْ رَغْبَةً فِيهَا .

مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ عَطَاءُ بْنُ رَبَاحٍ قَالَ : رَأَى طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ فِي مَوْقِفٍ لَمْ يَرْتَحِ لَهُ فَقَالَ :

يَا عَطَاءُ إِيَّاكَ أَنْ تَرْفَعَ حَوَائِجَكَ إِلَى مَنْ أَعْلَقَ فِي وَجْهِكَ بَابَهُ ... وَأَقَامَ دُونَكَ حُجَّابَهُ وَإِنَّمَا أَطْلُبُهَا مِمَّنْ أَشْرَعَ لَكَ أَبْوَابَهُ ... وَطَالَبَكَ أَنْ تَدْعُوهُ ... وَوَعَدَكَ بِالْإِجَابَةِ .

وَكَانَ يَقُولُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ صَاحِبِ الْعُقَلَاءِ تُنْسَبُ إِلَيْهِمْ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ ...

وَلَا تُصَاحِبِ الْجُهَّالَ فَإِنَّكَ إِنْ صَحِبْتَهُمْ نُسِبْتَ إِلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ ...

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةً وَأَنَّ غَايَةَ الْمَرْءِ تَمَامُ دِينِهِ وَكَمَالُ خُلُقِهِ .

وَكَانَ نَشَأَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى مَا رَبَّاهُ عَلَيْهِ وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ ، وَسَارَ بِسِيرَتِهِ .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْعَبَّاسِيَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ اسْتَدْعَى وَلَدَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

لِزِيَارَتِهِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَأَخَذَا مَجْلِسَيْهِمَا عِنْدَهُ التَّفَتَّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاوُوسٍ وَقَالَ : ارْوِ لِي

شَيْئًا مِمَّا كَانَ يُحَدِّثُكَ بِهِ أَبُوكَ .

فَقَالَ : (حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُلْطَانِهِ

فَأَدْخَلَ الْجُورَ فِي حُكْمِهِ) .

قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : فَلَمَّا سَمِعْتَ مَقَالَتَهُ هَذِهِ ضَمَمْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي خَوْفًا مِنْ أَنْ يُصِيبَنِي

شَيْءٌ مِنْ دَمِهِ .

بَيَدَ أَنْ أَبَا جَعْفَرٍ أَمَسَكَ سَاعَةً لَا يَتَكَلَّمُ ... ثُمَّ صَرَفْنَا بِسَلَامٍ .
 وَقَدْ امْتَدَّتِ الْحَيَاةُ بِطَاوُوسٍ بْنِ كَيْسَانَ حَتَّى بَلَغَ الْمِائَةَ أَوْ جَاوَزَهَا قَلِيلاً غَيْرَ أَنَّ الْكِبَرَ
 وَالشَّيْخُوخَةَ لَمْ يَنَالَا شَيْئاً مِنْ صَفَاءِ ذَهَبِهِ وَحِدَّةِ خَاطِرِهِ وَسُرْعَةِ بَدِيهِتِهِ .
 حَدَّثَ عَبْدُ اللَّهِ الشَّامِيُّ قَالَ : أَتَيْتُ طَاوُوساً فِي بَيْتِهِ لَأَخُذَ عَنْهُ ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ فَلَمَّا طَرَفْتُ
 الْبَابَ خَرَجَ إِلَيَّ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَحَيَّيْتُهُ وَقُلْتُ : أَنْتَ طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ ؟
 فَقَالَ : بَلْ أَنَا ابْنُهُ ...
 فَقُلْتُ : إِنْ كُنْتُ ابْنُهُ فَلَا أَمْرُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ قَدْ هَرِمَ وَخَرِفَ وَإِنِّي قَصَدْتُهُ مِنْ أَمَاكِنَ
 بَعِيدَةٍ لِأَفِيدَ مِنْ عِلْمِهِ .
 فَقَالَ : وَيْحَكَ ...
 إِنَّ حَمَلَةَ كِتَابِ اللَّهِ لَا يَخْرَفُونَ .
 أُدْخِلْ عَلَيْهِ .
 فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ ، وَقُلْتُ :
 لَقَدْ أَتَيْتُكَ طَالِباً عِلْمَكَ رَاغِباً فِي نُصْحِكَ .
 فَقَالَ : سَلْ وَأَوْجِزْ .
 فَقُلْتُ : سَأَوْجِزُ مَا وَسِعَنِي الْإِيجَازُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
 فَقَالَ : أَتُرِيدُ أَنْ أَجْمَعَ لَكَ صَفْوَةَ مَا فِي التَّوْرَةِ ، وَالزَّبُورِ ، وَالْإِنْجِيلِ ، وَالْقُرْآنِ ؟
 فَقُلْتُ : نَعَمْ .
 فَقَالَ : خِفِ اللَّهَ تَعَالَى خَوْفاً بَحِيثاً لَا يَكُونُ شَيْءٌ أَخَوْفَ لَكَ مِنْهُ ...

وَأَرْجُهُ رَجَاءً أَشَدَّ مِنْ خَوْفِكَ إِيَّاهُ ...

وَأَحَبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ .

وَفِي لَيْلَةِ الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتِّ وَمِائَةِ أَفَاضَ الشَّيْخُ الْمُعَمَّرُ طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ مَعَ الْحَجَّاجِ مِنْ عَرَفَاتٍ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ لِلْمَرَّةِ الْأَرْبَعِينَ فَلَمَّا حَطَّ رِحَالَهُ فِي رِحَابِهَا الطَّاهِرَةِ ، وَأَدَّى الْمَغْرِبَ مَعَ الْعِشَاءِ ، وَأَسْلَمَ جَنْبِيهِ إِلَى الْأَرْضِ يَلْتَمِسُ شَيْئاً مِنَ الرَّاحَةِ ، أَتَاهُ الْيَقِينُ ، فَلَمَّا طَلَعَ عَلَيْهِ الصُّبْحُ وَأَرَادُوا دَفْنَهُ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ إِخْرَاجِ جَنَازَتِهِ لِكَثْرَةِ مَا أزدَحَمَ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ أَمِيرُ مَكَّةَ حَرَساً لِيُدُودُوا النَّاسَ عَنِ الْجَنَازَةِ حَتَّى يُتَّاحَ لَهُمْ دَفْنُهَا .

وَقَدْ صَلَّى عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ الْمُصَلِّينَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

اللَّهُمَّ اغْصِنَا عَنِ الْمَخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَأَهْمِنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(غَزْوَةُ تَبُوكِ)

أَوْ الْعُسْرَةَ

تَبُوكُ مَوْضِعٌ بَيْنَ وَادِي الْقُرَى وَالشَّامِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مَرَّحَلَةً وَبَيْنَ دِمَشْقِ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّحَلَةً وَهِيَ غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ أَخَذَهَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ .

وَكَانَتْ فِي رَجَبِ سَنَةِ ٩ هـ مِنَ الْمِحْرَةِ وَهِيَ آخِرُ غَزَوَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ الَّتِي افْتُضِحَ الْمُنَافِقُونَ فِيهَا وَكَانَ الْوَقْتُ حِينَ خُرُوجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرّاً شَدِيداً وَقَحْطاً شَدِيداً وَكَانُوا مِنْ

شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالْحَرِّ يَنْحُرُونَ الْبَعِيرَ فَيَعَصِرُونَ فَرْتَهُ الَّذِي فِي الْكِرْشِ وَيَشْرَبُونَهُ فَلِذَا سُمِّيَتْ غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ أَيِ الشَّدَّةِ وَالصِّيقِ .

وَسَبَبُهَا أَنَّ الرُّومَ قَدْ جَمَعَتْ جُمُوعًا كَثِيرَةً بِالشَّامِ وَأَنَّ هِرْقَلَ قَدْ رَزَقَ أَصْحَابَهُ لِسَنَةِ وَأَجْلَبَتْ مَعَهُ لَحْمٌ وَجُذَامٌ وَعَامِلَةٌ وَعَسَانٌ وَرَحْفُوا وَقَدَّمُوا مُقَدَّمَاتِهِمْ إِلَى الْبَلْقَاءِ وَعَسَكُرُوا بِهَا .

فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْدَبَ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ وَأَظْهَرَ لَهُمُ الْأَمْرَ لِيَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ أَهْبَتَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِالْوَجْهِ الَّذِي يُرِيدُ وَبَعَثَ إِلَى الْقَبَائِلِ مَكَّةَ يَسْتَنْفِرُهُمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ وَخَطَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فِي النَّاسِ فَحَضَّ عَلَى الْجِهَادِ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَثَّهُمْ عَلَى النَّفَقَةِ وَرَعَّبَ أَهْلَ الثَّرْوَةِ بِالْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ وَحَثَّ الْمُوسِرِينَ عَلَى تَجْهِيزِ الْمُعْسِرِينَ .

فَتَبَادَرَ الْمُسْلِمُونَ وَجَاءُوا بِصَدَقَاتٍ كَثِيرَةٍ وَتَنَافَسُوا فِي تَجْهِيزِ جَيْشِهِمْ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ بِمَالِهِ كُلِّهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئًا)) ؟ قَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ . وَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنِصْفِ مَالِهِ فَسَأَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئًا)) ؟ قَالَ : نَعَمْ نِصْفَ مَالِي . وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمِائَةِ أَوْقِيَةِ فِضَّةً .

وَجَاءَ الْعَبَّاسُ بِمَالٍ كَثِيرٍ وَجَاءَ طَلْحَةُ بِمَالٍ وَجَهَزَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ثُلُثَ الْجَيْشِ وَجَاءَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِمَالٍ وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بِمَالٍ وَجَاءَ عَاصِمُ بْنُ عُذَيْبٍ بِتِسْعِينَ وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ وَبَعَثَ النِّسَاءُ كُلَّ مَا قَدِرْنَ عَلَيْهِ مِنْ مِسْكِ وَحُلِيِّ مَعَاضِدَ وَخَلَاحِلٍ وَأَقْرَاطٍ وَخَوَاتِمٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَذَكَرَ لَنَا الرَّهْرِيُّ وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِنَا وَبَعْضُ الْقَوْمِ يُحَدِّثُ مَا يُحَدِّثُ بَعْضُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّهَيُّؤِ لِعَزْوِ الرُّومِ وَذَلِكَ فِي زَمَنِ عُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ وَشِدَّةٍ مِنَ الْحَرِّ وَجُدْبٍ مِنَ الْبِلَادِ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمَقَامَ وَيَكْرَهُونَ الشُّحُوصَ عَلَى حَالٍ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَّ مَا يَخْرُجُ فِي عَزْوَةٍ إِلَّا كَفَا عَنْهَا وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَ الْوَجْهِ الَّذِي يَعْمِدُ إِلَيْهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَزْوَةٍ تَبُوكَ فَإِنَّهُ بَيْنَهَا لِلنَّاسِ لِيُعِدَّ الْمَشَقَّةَ وَشِدَّةَ الزَّمَانِ وَكَثْرَةَ الْعَدُوِّ الَّذِي يَعْمِدُ لَهُ لِيَتَأَهَّبَ النَّاسُ لِذَلِكَ أَهْبَتَهُ .

فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الرُّومَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جِهَازِهِ ذَلِكَ لِلْحَدِ بْنِ قَيْسٍ أَحَدِ بَنِي سَلَمَةَ : ((يَا جَدُّ هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ)) .

فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ تَأْذُنُ لِي وَلَا تَفْتِنِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ أَشَدَّ عُجْبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَيُّ لَا أَصْبِرُ . فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : ((قَدْ أَذْنْتُ لَكَ)) . فَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ .

وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ : لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ . زَهَادَةٌ فِي الْجِهَادِ وَشَكَاً فِي الْحَقِّ وَارْجَافاً بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ .

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَدَّ فِي سَفَرِهِ وَعَجَزَ نَفْرٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ تَجْهِيزِ
 أَنْفُسِهِمْ وَهُمْ الْبَكَاءُ وَهُمْ سَبَعُهُ نَفْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَعَبْرَهُمْ مِنْ بَنِي عَمْرٍو بنِ عَوْفٍ وَسَلْمِ بْنِ
 عُمَيْرٍ ، وَعُلَيَّةُ بنِ زَيْدٍ ، أَحَدِ بَنِي حَارِثَةَ ، وَأَبِي لَيْلَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَخِي بَنِي مَازِنِ بنِ النَّجَّارِ ،
 وَعَمْرٍو بنِ الْحَمَامِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنِ مُعَقَّلِ الْمَازِنِيِّ وَبَعْضِ النَّاسِ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو
 الْمَازِنِيِّ وَهَرَمِيُّ بنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَرِيَاضُ بنِ سَارِيَةَ .

فَاسْتَحْمَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ فَقَالَ : ((لَا أَحَدٌ مَا أُحْمَلُكُمْ
 عَلَيْهِ)) . فَتَوَلَّوْا يَبْكُونَ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حُزْنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ .

وَقَامَ عَلَيْهِ بنُ يَزِيدٍ فَصَلَّى مِنَ اللَّيْلِ وَبَكَى وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِالْجِهَادِ وَرَغَبْتَ فِيهِ
 ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي مَا أَتَقَوَّى بِهِ مَعَ رَسُولِكَ وَمَنْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ وَإِنِّي
 أَنْتَصِدِّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عَرَضٍ .

ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ النَّاسِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَيُّنَ الْمُتَصَدِّقِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ)) ؟
 فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَالَ : ((أَيُّنَ الْمُتَصَدِّقِ فَلْيَقُمْ)) . فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَبَشِرْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ كُتِبَتْ فِي الزَّكَاةِ الْمُتَقَبَّلَةِ)) . فَفِي هَذَا
 مُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ بِإِخْبَارِهِ الْمُتَصَدِّقِ .

فَلَقِيَ اثْنَانِ مِنْهُمَا يَامِينَ بنِ عُمَيْرِ بنِ كَعْبِ النَّقَرِيِّ فَقَالَ : مَا يُبْكِيكُمَا ؟ قَالَا : جِئْنَا إِلَى
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَحْمِلَنَا فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا عَلَيْهِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَقَوَّى بِهِ
 عَلَى الْخُرُوجِ وَنَحْنُ نَكْرَهُ أَنْ تَقُوتَنَا عَزْوَةٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمَا نَاضِحًا لَهُ

الْبَعِيرِ الَّذِي يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَارْتِحَالَهُ وَرَوَّدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاعَيْنِ مِنْ تَمْرٍ وَحَمَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَجُلَيْنِ وَحَمَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَمَانَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً .

أَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَقَدْ أَخَذُوا يَتَعَلَّلُونَ وَيَتَحَلَّلُونَ الْأَعْدَارَ لِيَتَخَلَّفُوا عَنِ الرِّكْبِ وَكَانُوا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ الْقَادِرِينَ عَلَى تَجْهِيزِ أَنْفُسِهِمْ وَغَيْرِهِمْ وَلَكِنَّ النِّفَاقَ ضَرَبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَجَأُوا إِلَى الْحِيَلَةِ يَعْتَذِرُونَ وَجَعَلُوا يَسْتَأْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُعُودِ فَيَأْذَنُ لَهُمْ وَيُعْرِضُ عَنْهُمْ .

وَمَ يَتَّقِصِرِ الْمُنَافِقُونَ عَلَى تَخَلُّفِهِمْ وَقُعُودِهِمْ بَلْ بَثُّوا شُرُورَهُمْ وَجَعَلُوا يُبَيِّطُونَ النَّاسَ وَيُخَوِّفُونَهُمْ لِقَاءَ الرُّومِ وَيُرْجِفُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُونَ فِيمَا يَقُولُونَ : يَعْزُبُ مُحَمَّدٌ بَنِي الْأَصْفَرِ مَعَ جُهِدِ الْحَالِ وَالْحَرِّ وَالْبَلَدِ الْبَعِيدِ أَيْحَسِبُ مُحَمَّدٌ أَنْ قِتَالَ بَنِي الْأَصْفَرِ بَسِيطٌ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَاللَّهِ لَكَأَنَّكُمْ بِأَصْحَابِهِ عَدَاً مُقَرَّرِينَ فِي الْحِبَالِ .

وَكَانَ الْعَرَبُ يَنْظُرُونَ إِلَى دَوْلَةِ الرُّومِ حِينَئِذِكَ كَنظَرِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ إِلَى دَوْلِ الْكُفْرِ دَوْلِ أَوْرُبَّا وَأَمْرِيكَا وَرُوسِيَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يُعِدُّوا لِلْخُرُوجِ عُدَّتَهُ .

وَتَتَابَعَ النَّاسُ يَتَوَافِدُونَ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ حَتَّى زَادَ عَدَدُهُمْ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَسْكَرَهُ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ نَوَّرَتْ قُلُوبَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهْلَتْهُمْ لِحِدْمَتِكَ ، وَحَرَسَتْهُمْ مِنْ عَدُوِّكَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَحَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَرَهُ بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ فَأُزِجَفَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا : مَا حَلَفَهُ إِلَّا اسْتِشْقَالًا لَهُ وَتَخَفْنَا مِنْهُ فَلَمَّا قَالَ الْمُنَافِقُونَ ذَلِكَ أَخَذَ عَلِيٌّ سِلَاحَهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجُرْفِ مَوْضِعَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ .

فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ زَعَمَ الْمُنَافِقُونَ أَنَّكَ إِذَا خَلَفْتَنِي أَنَّكَ اسْتَشَقَلْتَنِي وَتَخَفْتَنِي مِنِّي فَقَالَ : ((كَذِبُوا وَلَكِنِّي إِذَا خَلَفْتُكَ لِمَا وَرَائِي فَأَرْجِعْ فَأَخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ أَفَلَا تَرْضَى يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي)) . فَرَجَعَ عَلِيٌّ .

وَعَقَدَ الْأُلُويَّةَ وَالرَّيَّاتِ فَدَفَعَ لِيَوَاءَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَدَفَعَ رَايَتَهُ إِلَى الزُّبَيْرِ وَدَفَعَ رَايَةَ الْأَوْسِ إِلَى أُسَيْدِ بْنِ خُضَيْمٍ وَرَايَةَ الْخَزْرَجِ إِلَى الْحُبَّابِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَأَمَرَ كُلَّ بَطْنٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ أَنْ يَتَّخِذُوا لِيَوَاءٍ أَوْ رَايَةً .

وَخَرَجَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ قَاصِدًا نَاحِيَةَ الشَّامِ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ النَّاسِ وَالْحَيْلِ عَشْرَةَ آلَافٍ فَرَسٍ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْسٍ الْمُنَافِقِينَ خَرَجَ فِي حُلَفَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ فَعَسَكَرَ بِهِمْ إِزَاءَ عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّيْرِ تَخَلَّفَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَمَنْ كَانَ مَعَهُ كَمَا تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ وَلَمْ يَكُنْ الطَّرِيقُ سَهْلًا وَلَا السَّفَرُ قَرِيبًا وَلَا الْوَقْتُ مُلَائِمًا لِلسَّيْرِ إِذَا كَانَ كَمَا تَقَدَّمَ زَمَانُ عُسْرَةٍ وَشِدَّةِ حَرٍّ وَجُدْبٍ وَحِينَ طَابَتِ النَّمَارُ وَالظَّلَالُ فَالنَّاسُ يُجِبُّونَ الْمَقَامَ فِي ثَمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ .

وَلَكِنَّ الْجِهَادَ لِدَفْعِ عَدُوِّ مُهَاجِمٍ وَرَدِّ خَطَرٍ جَائِمٍ عَلَى الْأَبْوَابِ فَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ وَهُمْ أَهْلُ الدَّعْوَةِ وَحُمَاتِهَا لِيَنْكُلُوا عَنِ الْجِهَادِ مَهْمَا تَكُنِ الْأَسْبَابُ غَيْرَ مُوَاتِيَةٍ وَمَهْمَا تَكُنِ الظُّرُوفُ غَيْرَ مُلَائِمَةٍ قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَقَدْ قَاسَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ مَشَقَّةً عَظِيمَةً وَعَعْنَتًا وَنَصَبًا كَثِيرًا قَالَ قَتَادَةُ : خَرَجُوا إِلَى الشَّامِ عَامَ تَبُوكَ فِي لَهَابِ الْحَرِّ عَلَى مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنَ الْجُهْدِ فَأَصَابَهُمْ فِيهَا جُهْدٌ شَدِيدٌ حَتَّى لَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا يَشُقَّانِ التَّمْرَةَ بَيْنَهُمَا وَكَانَ النَّفْرُ يَتَدَاوِلُونَ التَّمْرَةَ بَيْنَهُمْ يَمُصُّهَا هَذَا ثُمَّ يَشْرَبُ عَلَيْهَا ثُمَّ يَمُصُّهَا هَذَا ثُمَّ يَشْرَبُ عَلَيْهَا .

وَرُوي أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَنَا عَنْ شَأْنِ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ فَقَالَ عُمَرُ : خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْضٍ شَدِيدٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا وَأَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ وَحَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعَصِرُ فَرْتَهُ فَيَشْرَبُهُ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَّدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَقَالَ : ((أَوْ نُحِبُّ ذَلِكَ)) ؟ قَالَ : نَعَمْ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتْ السَّمَاءُ - أَيِ

أَذْنَتْ بِمَطَرٍ فَأَطَلَّتْ ثُمَّ سَكَبَتْ فَمَلَأُوا مَا مَعَهُمْ ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَرَهَا جَاوَزَتْ الْعَسْكَرَ .
 وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ أَيْضاً وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَشَقَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي عَانَاهَا الْمُسْلِمُونَ فِي السَّيْرِ إِلَى
 تَبُوكَ امْتِحَاناً مِنَ اللَّهِ هُمْ أَرَادَ بِهِ تَمْحِصَ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِخْلَاصَهُمْ وَإِعْدَادَهُمْ لِأَحْمَالٍ مَشَاقِّ
 الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَلِيَنْظُرَ مَبْلَغَ صَبْرِ الصَّابِرِينَ وَصِدْقَ الصَّادِقِينَ فِي سَبِيلِ الذَّبِّ عَنْ دِينِهِمْ .
 فَكَانَ لَا يَحْتَمِلُ هَذِهِ الْمَشَقَّاتُ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ إِيمَانٌ عَمِيقٌ رَاسِحَةٌ عَقِيدَتُهُمْ أَمَا الَّذِينَ نَاقَمُوا
 وَتَظَاهَرُوا بِالْإِيمَانِ فَقَدْ تَضَعَعُوا وَضَعُفُوا وَخَارَتْ عَزَائِمُهُمْ فَكَانُوا يَتَسَلَّلُونَ مِنْ وَرَاءِ الصُّفُوفِ
 رَاجِعِينَ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْحَيَاءَ كَمَا عَلِمْتُمْ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ وَإِنَّهُ خُلِقَ الْإِسْلَامَ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجُرُّ إِلَى
 الْكَمَالِ وَالْفَضَائِلِ وَهُوَ خُلِقَ الْكِرَامِ وَسَمِعَهُ أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَعُنْوَانُ الْفَضْلِ وَالنُّبْلِ .
 وَالْحَيَاءُ بَاعِثُهُ إِحْسَاسٌ رَفِيقٌ وَشُعُورٌ دَقِيقٌ يَبْدُو فِي الْعَيْنِ مَظْهَرُهُ وَعَلَى الْوَجْهِ أَثَرُهُ وَمَنْ حُرِمَهُ
 حُرْمَ الْخَيْرِ كُلِّهِ وَمَنْ تَحَلَّى بِهِ ظَفَرَ بِالْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ وَنَالَ الْخَيْرَ أَجْمَعِ .
 وَلَقَدْ كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ هُمْ أَهْلُ الْحَيَاءِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَفْتَدِيَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَقَدْ
 كَانَتْ نِسَاؤُهُمْ مِنْ شِدَّةِ حَيَاتِهِنَّ إِذَا خَرَجْنَ لِحَاجَةٍ أَوْ ضَرُورَةٍ لَا يُرَى مِنْهَا شَيْئاً أَبَداً وَتَبْتَعِدُ
 عَنِ الرِّجَالِ لِاصْفَاءِ بِالْجِدَارِ مُرْجِيَةً تُؤَبِّهَا شَبْرًا أَوْ ذِرَاعًا فِي تَوْبِ رَثِّ خَلْقٍ وَعِبَاءَةٍ كَذَلِكَ .

مَضَى عَلَى هَذَا مُدَّةٌ مِنَ الزَّمَنِ ثُمَّ لَمَّا غَشَوْنَا الْأَجَانِبَ وَكَثُرُوا عِنْدَنَا وَهُمْ لَا يَرُونَ فِي التَّبَرُّحِ
وَالسُّفُورِ بَأْسًا ضَعُفَ دَاعِي الْحَيَاءِ وَاتُّرُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ التَّبَرُّحَ وَإِبْدَاءَ الزَّيْنَةِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِبْدَاءَهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي يَجِبُ انْكَارُهَا
وَمَنْعُهَا لِمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْمَعَاصِي وَإِفْسَادِ الْأَخْلَاقِ وَإِلَيْكَ الْأَدِلَّةُ الدَّالَّةُ عَلَى تَحْرِيمِ
السُّفُورِ وَالتَّبَرُّحِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ
وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ فَهَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى النِّسَاءِ الْاِحْتِجَابُ عَنِ الرِّجَالِ .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ
ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ﴾ الْآيَةَ ، فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مَنْ لَهَا
تَشَوُّقٌ إِلَى النِّكَاحِ بَأَنَّ كَانَتْ تَرْجُوهُ عَلَيْهَا جُنَاحٌ وَهُوَ الْإِثْمُ إِنْ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا وَرَأَاهَا الْأَجَانِبُ
مِنْهَا فَالشَّابَاتُ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُخْرَى لَا يَجُوزُ لَهُنَّ وَضْعُ ثِيَابِهِنَّ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ بِهِنَّ أَشَدُّ وَإِثْمُهُنَّ
أَعْظَمُ فَتَأَمَّلْ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ الْآيَةَ .
وَأَعْظَمُ مَا تَبَدُّو بِهِ الزَّيْنَةُ الْوَجْهَ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلَيْهِنَّ لِئَلَّا يَكُنَّ مِنَ الْفَاحِشَاتِ ﴾ وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ عَلَى
الاجْتِنَابِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ نُهِىَ عَنْ أَنْ تَضْرِبَ بِرِجْلِهَا إِذَا مَشَتْ لِئَلَّا يَسْمَعَ صَوْتُ حَلْخَالِهَا مِنْ
يَسْمَعُهُ مِنَ الرَّجَالِ فَتَتَحَرَّكَ الشَّهْوَةُ فَكَيْفَ بِإِبْدَاءِ الْوَجْهِ الَّذِي فَتَنَّتْهُ أَعْظَمُ وَتَحْرِيكُهُ لِلشَّهْوَةِ أَشَدُّ
وَهُوَ الَّذِي إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ أَقْدَمَ أَوْ أَحْجَمَ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ آيَاتُ اللَّهِ لِيُنذِرَ لِمَنْ يَحْذَرُ ﴾ . قَالَ فِي فَتْحِ الْقَدِيرِ : وَفِي هَذِهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ النَّظَرِ إِلَى غَيْرِ مَنْ يَحِلُّ
النَّظَرُ إِلَيْهِ . أ هـ .

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى نَاهِيًا لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ .

هَذَا النَّهْيُ وَهَذَا التَّحذِيرُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَهْدِ الصَّفْوَةِ الْمُخْتَارَةِ مِنْ
الْبَشَرِ لِصُحْبَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ بِهَذَا الْمُجْتَمَعِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ الْيَوْمَ فِي
عَصْرِنَا الْمَرِيضِ الدَّنَسِ الْهَابِطِ الَّذِي تَهِيحُ فِيهِ الْفِتْنُ وَتَتَوْرُ فِيهِ الشَّهَوَاتِ وَتَرَفُ فِيهِ الْأَطْمَاعُ
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُفِيضَ لِدِينِهِ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

ثُمَّ مِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّلَالَةِ عَلَى وُجُوبِ الْحِجَابِ وَالسَّتْرِ عَنِ الْأَجَانِبِ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ أَوْ
حُمَيْدَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ
أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا إِذَا كَانَ إِتْمًا يَنْظُرُ إِلَيْهَا حُطْبَةً وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْلَمُ)) . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِطَاعَتِكَ وَأَهْلِمْنَا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَارْزُقْنَا الْإِنَابَةَ إِلَيْكَ وَحَسَنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ
وَأَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : وَوَجْهَ الدَّلَالَةِ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَى الْجَنَاحَ وَهُوَ الْإِثْمُ عَنِ الْخَاطِبِ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِلْخُطْبَةِ فَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ النَّازِرَ لِغَيْرِ الْخُطْبَةِ إِثْمٌ .

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَكَيْفَ يَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذِيُوهِنَّ ؟ قَالَ : « يُرْحِيئُهُ شِبْرًا » . قَالَتْ : إِذَا تَنَكَّشِفَ أَفْدَامَهُنَّ قَالَ : « يُرْحِيئَنَ ذِرَاعًا لَا يَزِدُنَ عَلَيْهِ » .

وَوَجْهٌ دَلَالَتِهِ عَلَى وُجُوبِ التَّسْتُرِ عَنِ الْأَجَانِبِ أَنَّ الْقَدَمَ وَهُوَ أَقَلُّ فِتْنَةٍ مِنَ الْوَجْهِ يَجِبُ سِتْرُهُ فَيَكُونُ وُجُوبُ سِتْرِ الْوَجْهِ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأَحْرَى .

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى وُجُوبِ التَّسْتُرِ مَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ الرَّكْبَانُ يَمْرُونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ فَإِذَا حَادُوا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا إِلَى وَجْهِهَا فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهَا . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ .

فَالْحَدِيثُ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى وُجُوبِ تَعْطِيَةِ الْوَجْهِ عَنِ الْأَجَانِبِ إِذَا فَهَمَّتْ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهُ وَيَأْخُذَ عَلَى أَيْدِي نِسَائِهِ وَيَمْنَعَهُنَّ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِنَّ مِنَ السُّفُورِ وَالتَّبَرُّجِ .

وَلَا عِبْرَةَ بِالْأَجَانِبِ الَّذِينَ تَرْتُبُوا عَلَى السُّفُورِ وَنَشَأُوا عَلَيْهِ وَقَلَّدُوا فِيهِ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ وَصَارُوا لَا يُبَالُونَ بِهِ وَمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ مِنْ تَرْكِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَحُضُورِ مُنْكَرَاتٍ وَرُكُوبِ النِّسَاءِ بِلا مُحْرِمٍ وَخُلُوقِ الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ وَمُبَاشَرَتِهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

شِعْرًا : إِذَا كَانَ الدَّبُورُ عَلَى أَنْاسٍ أُتِيحَ لَهُمْ أَكْبَارُ مُعْتَدِينَا

ذَوِي كِبَرٍ وَمَجْهَلَةٍ وَجُبْنٍ وَإِهْمَالٍ لِمَا يَتَوَقَّعُونََا
 وَإِنْ يُرِدِ الْإِلَهُ صَلاَحَ قَوْمٍ أَتَّاحَ لَهُمْ أَكَابِرَ مُصْلِحِينَا
 ذَوِي رَأْيٍ وَمَعْرِفَةٍ وَفَهْمٍ وَإِعْدَادٍ لِمَا قَدْ يَحْذَرُونََا
 وَلِذَلِكَ بَجِدُ أَهْلَ بَجْدِ الَّذِينَ تَرَبَّوْا فِي مَقَرِّ الدَّعْوَةِ يَسْتَنْكِرُونَ ذَلِكَ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ
 أَتَى مِنْ بِلَادِ الْكُفَّارِ فَأَهْلُ بَجْدٍ إِذَا تَأَمَّلْتَ أَكْثَرَهُمْ وَجَدْتَ عِنْدَهُمْ حُبَّةً لِلدِّينِ وَأَهْلِيهِ وَالدَّعْوَةِ
 إِلَيْهِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ قَالَ بَعْضُهُمْ :

(دِيَارِ نَجْدٍ هِيَ لِلدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا هُمُ الْأَنْبَاءُ فَقَابِلُهَا بِتَفْضِيلِ)
 (يَا مَنْ يُبَاهِي بِبُلْدَانٍ وَيَمْدَحُهَا نَجْدٌ مُقَدَّمَةٌ وَأَسْمَعٌ لِتَعْلِيلِ)
 (لِأَنَّ فِيهَا حُدُودَ الشَّرْعِ نَافِذَةٌ وَغَيْرُهَا فِي قَوَانِينِ وَتَضْلِيلِ)

نَظَّمُ فِي الْحَثِّ عَلَى الْأَخْذِ بِالْحَدِيثِ وَتَقْدِيمِهِ عَلَى الْآرَاءِ .

وَقَدَّمَ أَحَادِيثَ الرَّسُولِ وَنَصَّه

عَلَى كُلِّ قَوْلٍ قَدْ أَتَى بِإِزَائِهِ

فَإِنْ جَاءَ رَأْيٌ لِلْحَدِيثِ مُعَارِضٌ

فَلِلرَّأْيِ فَاطْرَحَ وَأَسْتَرَحَ مِنْ عَنَائِهِ

فَهَلْ مَعَ وُجُودِ الْبَحْرِ يَكْفِي تَيْمُّ

لِمَنْ لَيْسَ مَعْدُورًا لَدَى فُقَهَائِهِ

وَهَلْ يُوقِدُ النَّاسُ الْمَصَابِيحَ لِلضُّيَا

إِذَا مَا أَتَى رَدُّو الضُّحَى بِضِيَائِهِ

سَلَامِي عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ

مَصَابِيحُ عَلِمَ بَلْ نُجُومُ سَمَائِهِ

بِهِمْ يَهْتَدِي مَنْ يَفْتَدِي بِعُلُومِهِمْ

وَيَرْقَى بِهِمْ ذُو الدَّاءِ عِلَّةَ دَائِهِ

وَيَحِيَا بِهِمْ مَنْ مَاتَ بِالْجَهْلِ قَلْبُهُ
 فَهُمْ كَالْحَيَا تَحْيَا الْبِقَاعُ بِمَائِهِ
 لَهُمْ حُلٌّ قَدْ زَيَّنَتْهُمْ مِنَ الْهُدَى ِ
 إِذَا مَا تَرَدَّى ذُو الرِّدَا بِرِدَائِهِ
 وَمَنْ يَكُنِ الْوَحْيُ الْمُطَهَّرُ عِلْمُهُ
 فَلَا رَيْبَ فِي تَوْفِيقِهِ وَاهْتِدَائِهِ
 وَمَا يَسْتَوِي تَالِي الْحَدِيثِ وَمَنْ تَلَا
 زَخَارِفَ مِنْ أَهْوَائِهِ وَهَذَائِهِ
 وَكُنْ رَاغِبًا فِي الْوَحْيِ لَا عَنْهُ رَاغِبًا
 كَخَابِطٍ لَيْلٍ تَأْتِيهِ فِي دُجَائِهِ
 إِذَا شَامَ بَرْقًا فِي سَحَابٍ مَشَى بِهِ
 وَإِلَّا بَقِيَ فِي شَاكِهِ وَأَمْتِرَائِهِ
 وَمَنْ قَالَ ذَا حِلٍّ وَهَذَا مُحَرَّمٌ
 بَعِيرٍ دَلِيلٍ فَهُوَ مَحْضُ افْتِرَائِهِ
 وَكُلُّ فَقِيهِ فِي الْحَقِيقَةِ مُدَّعٍ
 وَيُثَبَّتُ بِالْوَحْيَيْنِ صِدْقَ ادِّعَائِهِ
 هُمَا شَاهِدَا عَدْلِ وَلَكِنْ كِلَاهُمَا
 لَدَى الْحُكْمِ قَاضٍ عَادِلٍ فِي قَضَائِهِ
 فَوَاحِرَّ قَلْبِي مِنْ جَهْلٍ مُسَوِّدٍ
 بِهِ يُفْتَدَى فِي جَهْلِهِ لِشَقَائِهِ
 إِذَا قُلْتُ قَوْلَ الْمُصْطَفَى هُوَ مَذْهَبِي

مَتَى صَحَّ عِنْدِي لَمْ أَقُلْ بِسَوَائِهِ
يَرَى أَنَّهُ دَعَاؤِي اجْتِهَادٍ صَاحِبُهُ
فَوَا عَجَباً مِنْ جَهْلِهِ وَجَفَائِهِ
فَسَلُّهُ أَقُولُ اللَّهُ مَاذَا أَجَبْتُمْ؟
لَمَنْ هُوَ يَوْمَ الْحَشْرِ عِنْدَ نَدَائِهِ
أَيَسْأَلُهُمْ مَاذَا أَجَبْتُمْ مُلُوكَكُمْ
وَمَا عَظَّمِ الْإِنْسَانَ مِنْ رُؤَسَائِهِ
أَمْ اللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَمْتَحِنُ الْوَرَى
بِمَاذَا أَجَابُوا الرُّسُلَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ
وَهَلْ يَسْأَلُ الْإِنْسَانَ عَنِ غَيْرِ أَحْمَدٍ
إِذَا مَا تَوَى فِي الرَّمْسِ تَحْتَ ثَرَائِهِ
وَهَلْ قَوْلُهُ يَا رَبُّ قَلَدْتُ غَيْرَهُ
لَدَى اللَّهِ عُذْرٌ يَوْمَ فَضْلِ قَضَائِهِ

اللَّهُمَّ فَبِعَنَّا مِنَ الدُّنْيَا بِالْيُسَيْرِ وَسَهْلِ عَلَيْنَا كُلِّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَفَّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَسْكِنْنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ مَلْجُونَا وَمَلَادُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ
هَمٍّ فَرَجاً وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجاً وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَضَلَّلْتُ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَخَرَجَ أَصْحَابُهُ فِي طَلَبِهَا وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ
بَعْضِ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ عِمَارَةُ بْنُ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ .

وَكَانَ فِي رَحْلِهِ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ الْقَيْنُقَاعِي وَكَانَ مُنَافِقًا فَقَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ وَهُوَ فِي رَحْلِ
عُمَارَةَ وَعُمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ مِنْ خَبَرِ
السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ : « إِنَّ رَجُلًا قَالَ : إِنَّ مُحَمَّدًا يُخْبِرُكُمْ
أَنَّهُ نَبِيٌّ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِخَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا
أَعْلَمَنِي اللَّهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الْوَادِي فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا فَدَحَبَسْتَهَا شَجَرَةً بِرِمَامِهَا
فَانْطَلَقُوا حَتَّى تَأْتُوا بِهَا » .

فَدَهَبُوا فَجَاؤُوا بِهَا وَقَدْ وَجَدَهَا الْحَارِثُ بْنُ حَزْمَةَ الْأَشْهَلِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالَ زَيْدُ : لَكَأَنِّي لَمْ أُسَلِّمْ إِلَّا الْيَوْمَ فَقَدْ كُنْتُ شَاكًا فِي مُحَمَّدٍ وَقَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنَا فِيهِ دُو
بَصِيرَةٍ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مُعْجَزَةٌ وَاضِحَةٌ .

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَائِرًا فَجَعَلَ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ تَخَلَّفَ فُلَانٌ فَيَقُولُ : « دَعُوهُ فَإِنَّ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ
ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ » . حَتَّى قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ فَقَالَ : «
دَعُوهُ فَإِنَّ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ » .

وَتَلَوَّمَ أَبُو ذَرٍّ عَلَى بَعِيرِهِ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ بَعِيرُهُ - أَيِ انْقَطَعَ - أَخَذَ الْمَتَاعَ مِنْ عَلَيْهِ فَحَمَلَهُ
عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ خَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شِئًا وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَازِلَهُ

فَنظَرَ نَازِرًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحْدَهُ .
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُنْ أَبَا ذَرٍّ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا : يَا رَسُولَ
 اللَّهِ هُوَ - وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ
 وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ » . وَقَدْ تَحَقَّقَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 لَمَّا نَفَى أَبَا ذَرٍّ نَزَلَ أَبُو ذَرٍّ الرَّبْدَةَ فَأَصَابَهُ بِهَا قَدْرُهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَغُلَامُهُ
 فَأَوْصَاهُمَا أَنْ غَسِّلَانِي وَكَفَّنَانِي .

ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَأَوَّلُ مَرْكَبٍ يَمُرُّ بِكُمْ فَقُولُوا لَهُ : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ
 الطَّرِيقِ .

فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَهْطٌ مَعَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَمَّارًا فَلَمَّ يَرُعْهِمْ إِلَّا جَنَازَةً
 عَلَى الطَّرِيقِ قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطْوُهَا وَقَامَ الْغُلَامُ فَقَالَ : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ .

فَاسْتَهَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمْشِي
 وَحْدَكَ وَتَمُوتُ وَحْدَكَ وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ .

ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَوَارَوْهُ ثُمَّ حَدَّثْتُهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ وَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى تَبُوكَ وَاسْمُ أَبِي ذَرٍّ (جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ) وَمَاتَ فِي سَنَةِ ٣٢ هـ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهَلَّتْهُمْ لِحْدَمَتِكَ وَجَعَلْتَهُمْ
 أَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ فَاعِلِينَ لَهُ ، وَنَاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَمُجْتَنِبِينَ لَهُ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
 (فَصْلٌ) : وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَعَيْزُهُ فِي قِصَّةِ وَفَاتِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ
 بن الأَشْتَرِ عَنْ أَبِيهِ : عَنْ أُمِّ ذَرٍّ قَالَتْ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا ذَرٍّ الْوَفَاةَ بَكَيْتُ فَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ ؟
 فَعُلْتُ : مَا لِي لَا أَبْكِي وَأَنْتَ تَمُوتُ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْعُكَ كَفْنَا وَلَا
 يَدَانِ لِي فِي تَغْيِيبِكَ .

قَالَ : أَبْشِرِي وَلَا تَبْكِي فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنَا فِيهِمْ :
 « لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ
 أَوْلِيكَ النَّفَرِ إِلَّا وَقَدْ مَاتَ فِي قَرْيَةٍ وَجَمَاعَةٍ فَأَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ فَأَبْشِرِي
 الطَّرِيقَ فَعُلْتُ : أَنَّى وَقَدْ ذَهَبَ الْحَاجُّ وَتَقَطَّعَتِ الطَّرِيقُ .

فَقَالَ : اذْهَبِي فَتَبْشِرِي قَالَتْ : فَكُنْتُ أَشْتَدُّ إِلَى الْكَثِيبِ أَتَبَصَّرُ ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَمْرَضَهُ فَبَيْنَا أَنَا
 وَهُوَ كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِرِجَالٍ عَلَى رِحَالِهِمْ كَأَنَّهُمْ الرَّخْمُ تَحُبُّ بِهِمْ رَوَاحِلُهُمْ قَالَتْ : فَأَشْرْتُ إِلَيْهِمْ
 فَأَسْرَعُوا إِلَيَّ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيَّ .

فَقَالُوا : يَا أُمَّةَ اللَّهِ مَا لَكَ ؟ قُلْتُ : امْرُؤٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُوتُ قَالُوا : وَمَنْ هُوَ ؟ قُلْتُ : أَبُو
 ذَرٍّ . قَالُوا : صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَدَّوهُ بِأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ
 وَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ .

فَقَالَ لَهُمْ : أَبْشِرُوا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنَا فِيهِمْ : «
 لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيكَ النَّفَرِ
 رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ هَلَكَ فِي جَمَاعَةٍ .

وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْعُنِي كَفْنَا لِي أَوْ لَامْرَأَتِي لَمْ أَكْفَنَّ إِلَّا
 فِي ثَوْبٍ هُوَ لِي أَوْ لَهَا وَإِنِّي أَنْشُدُكُمْ اللَّهَ أَنْ لَا

يُكْفِنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيرًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ بَرِيدًا أَوْ نَقِيبًا وَلَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ قَارَفَ بَعْضَ مَا قَالَ إِلَّا فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ .

قَالَ : أَنَا أَكْفُنُكَ يَا عَمُّ أَكْفُنُكَ فِي رِدَائِي هَذَا وَفِي ثَوْبَيْنِ فِي عَيْبَتِي مِنْ عَزْلِ أُمِّي قَالَ : فَأَنْتَ تُكْفِينِي فَكَفَّنَهُ الْأَنْصَارِيُّ وَقَامُوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ فِي نَفَرٍ كُلُّهُمْ إِيمَانٌ .

وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَيْضًا مُعْجَزَةٌ حَيْثُ وَقَعَ طَبَقٌ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَأَمَّلْ .
قال ابن إسحاق : ثم إن أبا خَيْثَمَةَ رَجَعَ - بَعْدَ مَا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامًا إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍ فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشٍ لهُمَا فِي حَائِطِهِ قَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً وَهَيَأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا .

فَلَمَّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فِي الضَّحِّ - هَبُّ الشَّمْسِ وَحَرَارَتُهَا - وَالرَّيْحِ وَالْحَرِّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلِّ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مُهَيَّأً وَامْرَأَةً حَسَنَاءَ فِي مَالِهِ مُقِيمٌ مَا هَذَا بِالنَّصْفِ وَالْعَدْلِ .

ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَيْئًا لِي زَادًا فَفَعَلْتَا ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ - أَيُّ أَحْضَرَ جَمَلَهُ فَوَضَعَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ وَأَعَدَّهُ لِلسَّفَرِ . -

ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ وَكَانَ عِنْدَمَا أَقْبَلَ قَالَ النَّاسُ : هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ » . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ

هُوَ وَاللَّهُ أَبُو خَيْثَمَةَ فَلَمَّا أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ » . وَفِي هَذِهِ مُعْجَزَةٌ ظَاهِرَةٌ حَيْثُ وَقَعَ طَبَقَ مَا أَخْبَرَ .

وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ وَمِنْهُمْ مَخْشِيُّ بْنُ حَمِيرٍ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَتَحْسَبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَاللَّهُ لَكَأَنَّكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْحِبَالِ إِرْجَافًا وَإِرْهَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ : مَخْشِيُّ وَاللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَقَاضِي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ مِنَّا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَأَنَا نَتَقَلَّبُ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ فِيْنَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ : « أَدْرَكَ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ اخْتَرَقُوا فَسَلُّهُمْ عَمَّا قَالُوا فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا » . فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ .

فَاتَّوَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ : كُنَّا نَحْوُضُ وَنَلْعَبُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ . فَقَالَ مَخْشِيُّ بْنُ حَمِيرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي فَكَانَ الَّذِي عَفَا عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَتَسَمَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ ، فَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مُعْجَزَةٌ أَيْضًا وَهِيَ إِخْبَارُهُ بِمَا قَالُوا .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَدَكَرَ ابْنُ عَائِدٍ فِي مَعَاذِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ تَبُوكَ فِي زَمَانٍ قَلَّ مَاؤُهَا فِيهِ فَأَعْتَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ

وَسَلَّمَ عُرْفَةً بِيَدِهِ مِنْ مَاءٍ فَمَضَمَضَ بِهَا فَاهُ ثُمَّ بَصَمَهُ فِيهَا فَفَارَتْ عَيْنُهَا حَتَّى امْتَلَأَتْ فَهِيَ كَذَلِكَ حَتَّى السَّاعَةِ .

قُلْتُ : فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : أَنَّهُ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا قَالَ « إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتَى » .

قَالَ : فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقْنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ تَبْضُ بِشَيْءٍ مِنْ مَائِهَا فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا » ؟ قَالَا : نَعَمْ .

فَسَبَّهَمَا وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ عَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَّتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَاسْتَقَى النَّاسُ .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَلَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مَلِئَ جَنَانًا » .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قُتِبَتْ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَرَأَيْتُ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ فَاتَّبَعْتُهَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ ذُو الْبِجَادَيْنِ وَالْبِجَادُ الْكِسَاءُ الْأَسْوَدُ الْعَلِيظُ - الْمَرْبِيُّ قَدْ مَاتَ .

وَإِذَا هُمْ قَدْ حَفَرُوا لَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُفْرَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُدْلِيَانِهِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : ((أَدْنِيَا إِلَيَّ أَخَاكُمَا)) . فَدَلِّيَاهُ إِلَيْهِ

فَلَمَّا هَيَّأَهُ لَشِقَّةٍ قَالُ : ((اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَمْسَيْتُ رَاضِيًا عَنْهُ فَارْضَ عَنْهُ)) . قَالَ : يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَاحِبَ الْخُمْرَةِ .

وَلَمَّا وَصَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ وَصَارَ عَلَى حُدُودِ دَوْلَةِ الرُّومِ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا مِنْ الْعَدُوِّ وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ الرُّومَ آثَرُوا الْإِنْسِحَابَ إِلَى دَاخِلِ بِلَادِ الشَّامِ لِيَتَحَصَّنُوا بِمُحْصُونِهَا حِينَ بَلَغَهُمْ أَمْرُ هَذَا الْجَيْشِ وَقُوَّتُهُ .

وَأَيْمًا كَانَ الْوَاقِعُ فَقَدْ وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ تَبُوكَ لَمْ يُجَاوِزْهَا وَبَعَثَ سَرَايَاهُ إِلَى مَنْ حَوْلَ تَبُوكَ فَأَتَاهُ صَاحِبُ إِيْلَةَ فَصَالِحُهُ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ وَأَتَاهُ أَهْلَ جِرْيَاءَ وَأَذْرُخَ فَأَعْطَوْهُ الْجِزْيَةَ وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُمْ .

وَكَتَبَ لِصَاحِبِ إِيْلَةَ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا أَمْنَةٌ مِنْ اللَّهِ وَمُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُوحِنَةَ بْنِ دُؤَبَةَ وَأَهْلَ إِيْلَةَ لِسُفْنِهِمْ وَلِسَيَّارَاتِهِمْ وَلِبَحْرِهِمْ وَلِبَرِّهِمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ وَلِمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ كُلِّ مَآرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ .

فَمَنْ أَحَدَتْ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُنْعَمُوا مَاءً يَرُدُّونَهُ وَلَا طَرِيقًا يَرُدُّونَهَا مِنْ بَرٍّ وَبَحْرٍ هَذَا كِتَابُ جُهَيْمِ بْنِ الصَّلْتِ . أ . هـ .

اللَّهُمَّ قُوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا .

اللَّهُمَّ اسئَلْ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ وَآمِنُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعَتَقِ مِنَ النَّارِ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْمَعَاصِي فِيمَا بَقِيَ مِنَ الْأَعْمَارِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ . فَجَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ ، وَيَخْلِفُونَ لَهُ ، وَكَانُوا بَضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا . فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلَالِيَّتَهُمْ ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ .

وَجَاءَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : « تَعَالَ » . قَالَ : فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لِي : « مَا خَلَّفَكَ ؟ أَمْ تَكُنْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ » . فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجَ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَعْنُ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ عَلَيَّ . وَلَعْنُ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ ، إِنِّي لِأَرْجُو عَفْوَ اللَّهِ لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فُئِمٌ حَتَّى يَفْضِيَ اللَّهُ فِيكَ » . فَقُمْتُ . وَسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ ، فَاتَّبَعُونِي يُؤَيُّونَنِي ، فَقَالُوا لِي : وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ ، فَقَدْ كَانَ كَافٍ بِكَ ذَنْبِكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ .

قَالَ : فَوَاللَّهِ ، مَا زَالُوا يُؤْتِبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيََ هَذَا مَعِيَ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ ، فَقِيلَ لهُمَا مِثْلَ الَّذِي قِيلَ لَكَ . فَقُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا : مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمَرِيُّ وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ . فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرْتُهُمَا لِي .

وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ - مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ . فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً .

فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا ، وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ وَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسَلِّمُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَكَ شَفْتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا .

ثُمَّ أَصَلَّى قَرِيبًا مِنْهُ ، فَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ . فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ ، وَإِذَا التَفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ : مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّي ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ - فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ .

فَقُلْتُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ ، أَنْشُدْكَ اللَّهَ ، هَلْ تَعَلَّمَنِي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ؟ فَسَكَتَ . فَعُدْتُ لَهُ ، فَشَدُّتُهُ ، فَسَكَتَ . فَعُدْتُ لَهُ فَشَدُّتُهُ .

فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . ففَاضَتْ عَيْنَايَ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ .
فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبْطِي مِنْ أَنْبَاطِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ ،
يَقُولُ مَنْ يَدُلُّ عَلَيَّ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا
مِنْ مَلِكِ عَسَانَ ، فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ
بِدَارٍ هَوَانٍ وَلَا مَضِيْعَةٍ ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِيكَ .

فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا : وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنَوُّرَ فَسَجَرْتُهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ
أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْحَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَرَلَ امْرَأَتَكَ . فَقُلْتُ : أَطَلَّقَهَا ؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ بِهَا ؟ قَالَ : لَا
وَلَكِنْ اغْتَرِلْهَا فَلَا تَقْرِنَنَّهَا .

وَأَرْسَلْتُ إِلَى صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي : الْحَقِي بِأَهْلِكَ ، فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى
يَقْضِيَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ . فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هِلَالَ بْنِ
أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ . قَالَ : « لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرِنَنَّكَ »
. قَالَتْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ
هَذَا .

قَالَ كَعْبُ : فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ
لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ ؟ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا اسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ
لِي رَسُولُ اللَّهِ إِذَا اسْتَأْذَنَتْهُ فِيهَا ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌ

قَالَ : فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ كَلَامِنَا . فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً ، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِحٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلَعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبَشِرْ .

فَحَزَرْتُ سَاجِدًا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ مِنَ اللَّهِ وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ . فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا وَذَهَبَ قِبَلِ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ ، فَأَوْفَى عَلَيَّ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ إِلَيَّ مِنَ الْفَرَسِ .

فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ ، وَوَاللَّهِ مَا أَمَلِكُ غَيْرَهُمَا . وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا .

فَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَقَانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ ، يَقُولُونَ : لِيَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ قَالَ كَعْبُ : حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهْرُولُ ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي ، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ .

فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ : « أَبَشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُدٌّ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ » . قُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لَا ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ » . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ .
 فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَخْلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ فَقَالَ : « أُمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » . قُلْتُ : فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِحَيْبَرٍ . وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا بَخَّانِي بِالصَّدَقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَتْ .

فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ابْتِلَاءَهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا مَا ابْلَأَنِي . وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَتْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ رَسُولِهِ (١٩ : ١١٧ - ١١٩) ﴿ كَلَّمْنَا تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ نِعْمَةً قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ - أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوهُ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ قَالَ : (٩ : ٩٥ ، ٩٦) ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ إِلَى قَوْلِهِ - فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .
 قَالَ كَعْبٌ : وَكُنَّا نَخْلِفُنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ أَمْرَنَا حَتَّى فَضَى

اللَّهُ فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خَلَّفْنَا عَنْ
الْعَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيْفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرًا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ .

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ (٩ : ١٠٢) : ﴿ وَأَخْرُوجُوا اعْتَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا
عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ قَالَ : (كَانُوا عَشْرَ رَهْطٍ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي عَزْوَةِ تَبُوكَ .

فَلَمَّا حَضَرَ رُجُوعَ رَسُولِ اللَّهِ أَوْثَقَ سَبْعَةَ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ . وَكَانَ مَمْرُ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِمْ فَلَمَّا رَأَهُمْ قَالَ : « مَنْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْتَفُونَ
أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي » ؟ قَالُوا : هَذَا أَبُو لُبَابَةَ وَأَصْحَابٌ لَهُ تَخَلَّفُوا عَنكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْثَقُوا
أَنْفُسَهُمْ وَحَلَفُوا أَنَّهُمْ لَا يُطَلِّفُهُمْ أَحَدٌ حَتَّى يُطَلِّفَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعْدُرَهُمْ .

فَقَالَ : « وَأَنَا أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أُطَلِّفُهُمْ وَلَا أَعْدُرُهُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُطَلِّفُهُمْ رَغَبُوا
عَنِّي ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْعَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ » . فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ قَالُوا : وَنَحْنُ نُنْسِمُ بِاللَّهِ لَا نَطْلِقُ
أَنْفُسَنَا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُطَلِّفُنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَخْرُوجُوا اعْتَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ
خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ وَعَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ ﴿ إِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

فَلَمَّا نَزَلَتْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطْلَقَهُمْ ، وَعَدَرَهُمْ فَجَاءُوا بِأَمْوَالِهِمْ ،
فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أَمْوَالُنَا فَتَصَدَّقْ بِهَا

عَنَّا وَاسْتَغْفِرْ لَنَا ، قَالَ : « مَا أُمِرْتُ أَنْ آخُذَ أَمْوَالِكُمْ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ (٩ : ١٠٣) : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ يَقُولُ : اسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ فَأَخَذَ مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ .

وَكَانَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ لَمْ يُوثِقُوا أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي فَأَرْجَحُوا لَا يَدْرُونَ أَيْعَذُّونَ أَمْ يَتَابُ عَلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدًا وَلَا تُشَمِّتْ بِنَا أَحَدًا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة هرقل ملك الروم حينما جاءه

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس رضي الله عنهما :

أَنَّ أَبَا سَفِيَانَ أَخْبَرَهُ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيهِ قَالَ : انْطَلَقْتُ فِي الْمَدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ : فَبَيْنَمَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ جَاءَ بَكْتَابٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرْقَلٍ ، يَعْنِي عَظِيمَ الرُّومِ قَالَ : وَكَانَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيِّ جَاءَ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمٍ بَصْرِي فَدَفَعَهُ عَظِيمٌ بَصْرِي إِلَى هِرْقَلٍ .

فَقَالَ هِرْقَلٌ : هَلْ هُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟

قَالُوا : نَعَمْ .

قَالَ : فَدَعَيْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قَرِيشٍ فَدَخَلْنَا عَلَى هِرْقَلٍ فَأَجْلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَقَالَ : أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟

فَقَالَ أَبُو سَفِيَانَ : فَقُلْتُ : أَنَا .

- فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي ثم دعا بترجمانه .
فقال له : قل لهم إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي فإن كذبتني فكذبوه .
قال : فقال أبو سفيان : وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر علي الكذب لكذبت ثم قال لترجمانه :
سله كيف حسبه فيكم ؟
قال : قلت : هو فينا ذو حسب .
قال : فهل كان من آباءه ملك ؟
قلت : لا .
قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟
قلت : لا .
قال : ومن يتبعه أشرف الناس أم ضعفاؤهم ؟
قال : قلت : بل ضعفاؤهم .
قال : أيزيدون أم ينقصون ؟
قال : قلت : لا بل يزيدون .
قال : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له ؟
قال : قلت : لا .
قال : فهل قاتلتموه ؟
قلت : نعم .
قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟
قال : قلت : تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً ، يصيب منا ونصيب منه .
قال : فهل يغدر ؟
قلت : لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها . قال : فوالله ما أمكنني من كلمة
أدخل فيها شيئاً غير هذه .

قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟

قلت : لا .

قال لترجمانه : قل له : إني سألتك عن حسبه فزعمت أنه فيكم ذو حسب ، وكذلك الرسل تُبَعَثُ في أحساب قومها .

وسألتك هل كان في آباءه ملك ؟ فزعمت : أن لا ، فقلت : لو كان من آباءه ملك قلت : رجل يطلب ملك آباءه .

وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم ؟ فقلت : بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل .
وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمت : أن لا . فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ، ثم يذهب فيكذب على الله .
وسألتك : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له فزعمن أن لا وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب .

وسألتك هل يزيدون أو ينقصون ؟ فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم .
وسألتك : هل قاتلتموه ؟ فزعمت أنكم قد قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجلاً ينال منكم وتنالون منه وكذلك الرسل تُبْتَلَى ثُمَّ تكون لهم العاقبة .
وسألتك هل يغدر ؟ فزعمت أنه لا يغدر ، وكذلك الرسل لا تغدر .
وسألتك : هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فزعمت أن لا فقلت : لو قال هذا القول أحد قبله ، قلت : رجل ائتمَّ بقول قيل قبله .

قال : ثُمَّ قال : بِمِ يَأْمُرْكُمْ ؟

قلت : يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف .

قال : إن يكن ما تقول فيه حقاً فإنه نبي وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظنه منكم ولو أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وَكَيْبُلُغَنَّ مَلَكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيْ .

قال : ثُمَّ دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه :

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلَمَ تَسْلَمَ وَأَسْلَمَ يُوْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾)) .

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط وأمر بنا فأخرجنا .

قال : فقلت لأصحابي حين خرجنا : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر ! .

قال : فما زلت موقناً بأمر رسول الله أنه سيظهر حتى أدخل عليّ الإسلام .

شِعْرًا: عَلَيْكَ بِمَا يُفِيدُكَ فِي الْمَعَادِ وَمَا تَنْجُو بِهِ يَوْمَ التَّنَادِ
فَمَا لَكَ لَيْسَ يَنْفَعُ فِيكَ وَعَظٌ وَلَا زَجْرٌ كَأَنَّكَ مِنْ جَمَادِ
سَتَنْدُمُ إِنْ رَحَلْتَ بَعِيرٍ زَادٍ وَتَشْقَى إِذْ يُنَادِيكَ الْمُنَادِي
فَلَا تَفْرَحَ بِمَالٍ تَفْتِنِيهِ فَإِنَّكَ فِيهِ مَعْكُوسُ الْمُرَادِ
وَتُبِّ مِمَّا جَنَيْتَ وَأَنْتَ حَيٌّ وَكُنْ مُتَنَبِّهًا مِنْ ذَا الرُّقَادِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ وَأَلْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ وَأَمْنَا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا

وَدُنْيَانَا وَأُخْرَانَا وَأَهْلِنَا وَمَا لَنَا اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَأَمِّنْ رَوَعَاتِنَا وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شِمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا وَنَعُودُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قِصَّةُ الْعُلَامِ الْمُؤْمِنِ وَالْمَلِكِ

(أصحاب الأخدود)

عَنْ صُهِيبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ :
« كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ : إِيَّيَّيْ قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ عُلَامًا أُعَلِّمُهُ السَّحْرَ .

فَبَعَثَ إِلَيْهِ عُلَامًا يُعَلِّمُهُ وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ .
فَقَالَ : إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي . وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ : حَبَسَنِي السَّاحِرُ .

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ .

فَقَالَ : الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ ؟

فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ :

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ .
فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ .

فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي . قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سُبُّتَلَى

فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تُدَلَّ عَلَيَّ .

وَكَانَ الْعُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ ، وَالْأَبْرَصَ ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ .

فَسَمِعَ حَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ : مَا هَذَا لَكَ أَجْمَعُ إِنَّ أَنْتَ شَفَيْتَنِي .

فَقَالَ إِيَّيَّ لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى فَإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ تَعَالَى دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ .
فَأَمَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ .

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ ؟

قَالَ : رَبِّي .

قَالَ : أَوْلَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟

قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ .

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَجِيءَ بِالْغُلَامِ .

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيُّ بَنِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ ، وَالْأَبْرَصَ ، وَمَا تَفْعَلُ

وَتَفْعَلُ !

فَقَالَ : إِيَّيَّ لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى .

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى .

فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ ثُمَّ جِيءَ بِحَلِيسِ الْمَلِكِ

فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى .

فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ .

فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى .

فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا
 بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ :
 اللَّهُمَّ اكْفِينِهِمْ بِمَا شِئْتَ . فَرَحَفَ بِهِمُ الْجَبَلَ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ .
 فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟
 قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى .

فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْفُورٍ وَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ
 عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ :
 اللَّهُمَّ اكْفِينِهِمْ بِمَا شِئْتَ . فَأَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرِفُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ .
 فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟
 قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى .

فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمُرُكَ بِهِ .
 قَالَ : مَا هُوَ ؟
 قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ ثُمَّ تَخُذُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ تَضَعُ
 السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ :
 بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِ ، ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي .
 فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جَذَعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ
 فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ :

بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِ . ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ .

فَقَالَ النَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ .

فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَدْرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ .
فَأَمَرَ بِالْأَخْذُودِ بِأَفْوَاهِ السُّكَّكِ فَحُدَّتْ وَأَضْرَمَ النَّيْرَانَ وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ
فَأَقْحَمُوهُ فِيهَا ، أَوْ قِيلَ لَهُ افْتَحِحْمِ ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَفْعَ
فِيهَا .

فَقَالَ لَهَا الْعُلَامُ : يَا أُمَّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ . (رواه مسلم) .

قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ أَصْحَابِ الْغَارِ

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ : « انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمَيْتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ ،
فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا
أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ . قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ :

اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَعْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا ، فَتَأَى بِي فِي
طَلَبِ الشَّجَرِ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرْخِ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ
فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ، فَلَبِثْتُ - وَالْقَدْحُ عَلَى يَدَيَّ - أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاطَهُمَا
حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاعُونَ عِنْدَ قَدَمِي ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا .

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ،
فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ .

قَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمِّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ . (وفي

رواية : كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فأرذئها عن نفسها ، فامتنعت مني حتى ألفت بها سنة من السنين ، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسي ، ففعلت حتى إذا قدرت عليها ، وفي رواية : (فلما قعدت بين رجلها) قالت : اتق الله ولا تفض الحاتم إلا بحقه . فأنصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها .

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ . فَأَنْفِرَجَتِ الصَّخْرَةُ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا .

وَقَالَ الثَّالِثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءً وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَتَمَرَّتْ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي . فَقُلْتُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْعَنَمِ وَالرَّقِيقِ .

فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي !

فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ .

فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَأْفَقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً .

اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ . فَأَنْفِرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْسُونَ . (متفق عليه) .

قصة الثلاثة الذين ابتلاهم الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :

« إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ ، وَأَقْرَعَ ، وَأَعْمَى ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا ، فَأَتَى الْأَبْرَصَ .

فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : لَوْ أَنَّ حَسَنًا ، وَجِلْدًا حَسَنًا ، وَيَذْهَبَ عَنِّي قَدْ قَدَرْتَنِي النَّاسُ .

فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَدْرُهُ ، أُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا .

فَقَالَ : أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : الْإِبِلُ - أَوْ قَالَ الْبَقَرُ - .

فَأُعْطِيَ نَاقَةً عَشْرَاءَ .

فَقَالَ يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا .

وَفَاتَى الْأَفْرَعَ :

فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا ، الَّذِي قَدَّرَنِي النَّاسُ .

فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا .

قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : الْبَقَرُ .

فَأَعْطَاهُ بَقْرَةً حَامِلًا .

قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا .

فَاتَى الْأَعْمَى

فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : يَرُدُّ اللَّهُ بَصْرِي ، فَأُبْصِرُ النَّاسَ .

فَمَسَحَهُ ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ .

قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : الْعَنَمُ .

فَأَعْطَى شَاةً وَالِدًا .

فَأَنْتَجَ هَذَانِ ، وَوَلَدَ هَذَا ، فَكَانَ لَهُذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ ، وَهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ ، وَهَذَا وَادٍ مِنْ الْعَنَمِ

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ
فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، قَدْ تَقَطَّعَتْ بِهِ الْحَبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاعَ لِي إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ ،
أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ ، وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ فِي سَفَرِي .
فَقَالَ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَفْذُرُكَ النَّاسُ ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ؟ !
فَقَالَ إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ .
فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ .
وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا فَقَالَ :
إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ .
وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ .
فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، وَابْنُ سَبِيلٍ ، اتَّقَطَّعَتْ بِهِ الْحَبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاعَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا
بِاللَّهِ ، ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاهًا أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي ؟
فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصْرِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ ، وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَ اللَّهُ لَا
أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ عِزَّ وَجَلَّ .
فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيْتُمْ ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ «
متفق عليه .
قِيلَ إِنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ كَانَ كَافِرًا عَاتِيًا مُتَكَبِّرًا مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ حَدِيثِ السِّنِّ مُسْتَحْكَمِ
الْغَيْرَةِ وَكَانَ إِذَا رَكِبَ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدُ صَوْتَهُ إِلَّا بِمَدْحِهِ وَالشَّنَاءِ عَلَيْهِ .
وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا قَدْ أَدْرَكَ حَوَارِيَّ الْمَسِيحِ وَهُوَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ وَيَتَحَيُّ وَفَتَاً
يَتَمَكَّنُ فِيهِ مِنْ دَعْوَةِ الْمَلِكِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا .

فَرَكَبَ الْمَلِكُ يَوْمًا فَسَمِعَ شَيْخًا (أَيُّ قَدْ شَابَ رَافِعًا صَوْتَهُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ لِبَعْضِ أَعْوَانِهِ : خُذُوهُ فَلَمَّا أَخَذُ ذَلِكَ الشَّابَّ الَّذِي رَفَعَ صَوْتَهُ قَالَ : إِنَّ رَبِّي اللَّهُ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ خَلُّوا عَنْهُ فَخَلِّي عَنْهُ فَغَضِبَ الْمَلِكُ عَلَى الْوَزِيرِ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهِ وَمَا يُمْكِنُهُ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بِحَضْرَةِ النَّاسِ فَسَكَتَ الْمَلِكُ لِيُوهِمَ النَّاسَ أَنَّ فِعْلَ الْوَزِيرِ كَانَ بِأَمْرِهِ .

فَلَمَّا عَادَ الْمَلِكُ إِلَى قَصْرِهِ أَحْضَرَ الْوَزِيرَ وَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَى مُنَاقَصَةِ أَمْرِي بِمَشْهَدٍ مِنْ عِبِيدِي .

فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : إِنَّ لِي عَجَلًا الْمَلِكُ عَلَيَّ أَرَيْتُهُ وَجْهَهُ نُصَحِي لَهُ وَشَفَقْتِي عَلَيْهِ فِيمَا أَتَيْتُهُ فَقَالَ الْمَلِكُ : أَرَيْتُ ذَلِكَ فَإِنِّي لَا أَعْجَلُ عَلَيْكَ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ أَسْأَلُ الْمَلِكَ أَنْ يُخْتَبِيَ فِي بَجَلِسِهِ هَذَا خَلْفَ حِجَابٍ بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يَرَى وَيَسْمَعُ مَا يَكُونُ مِنِّي فَقَعَدَ الْمَلِكُ لِذَلِكَ .

ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ أَحْضَرَ قَوْسًا جَيِّدَةً صَنَعَهَا لِلْمَلِكِ بَعْضُ خَدَمِهِ وَكَتَبَ الصَّانِعُ اسْمَهُ عَلَيْهَا فَأَعْطَى الْقَوْسَ غُلَامًا لَهُ .

وَقَالَ لَهُ : إِنِّي سَأَحْضِرُ صَانِعَ هَذِهِ الْقَوْسِ فَإِذَا حَضَرَ وَحَادَثْتُهُ فَاقْرَأِ أَنْتِ اسْمَ صَاحِبِهَا جَهْرًا حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ سَمِعَكَ ثُمَّ اكْسِرْهَا وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ .

فَحَضَرَ الْقَوْسَ وَفَعَلَ الْغُلَامُ مَا أَمَرَهُ بِهِ الْوَزِيرُ فَلَمَّا كَسَرَ الْقَوْسَ لَمْ يَتَمَالَكْ صَانِعُ الْقَوْسِ أَنَّ ضَرْبَ الْغُلَامِ فَشَجَّهُ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ أَنْضِرْ غُلَامِي بِحَضْرَتِي ؟ قَالَ : نَعَمْ لِأَنَّهُ كَسَرَ الْقَوْسَ الَّتِي هِيَ صَنَعْتِي وَعَمَلِي وَهِيَ فِي نَهَايَةِ الْجُودَةِ وَالْحُسْنِ فَلَأَيِّ شَيْءٍ كَسَرَهَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا صَنَعْتِي .

فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : فَاعْلَمْ مَا يَعْلَمُ أَهْمَا صَنَعْتِكَ ؟ قَالَ : بَلَى إِنَّ الْقَوْسَ قَدْ أَخْبَرْتُهُ أَنَّهَا صَنَعْتِي

قَالَ الْوَزِيرُ : أَرَأَيْتَ قَوْسًا تُخْبِرُ قَالَ : نَعَمْ إِنَّ اسْمِي مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا وَقَدْ قَرَأَهُ وَأَنَا أَسْمَعُ ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ صَرَفَ الصَّانِعَ وَالْعُلَامَ .

ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ : قَدْ أَوْضَحْتُ نُصْحِي وَإِشْفَاقِي عَلَيْكَ وَذَلِكَ أَنَّكَ لَمَّا رَأَيْتَ الْبَطْشَ بِالشَّيْخِ أَخْبَرْتَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ فَحِفْتُ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَعْضَبَ لَهُ كَمَا غَضِبَ هَذَا الْقَوْسُ لِقَوْسِهِ . فَقَالَ الْمَلِكُ : وَهَلْ لِلشَّيْخِ رَبٌّ غَيْرِي .

قَالَ الْوَزِيرُ : أَلَمْ يَرَهُ الْمَلِكُ شَيْخًا وَالْمَلِكُ شَابٌّ فَهَلْ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُوَلَدَ الْمَلِكُ لَا رَبَّ ؟ فَقَالَ الْمَلِكُ إِنَّ أَبِي كَانَ رَبُّهُ .

قَالَ الْوَزِيرُ : فَمَا بَالُ الرَّبِّ هَلَكَ وَالْمَرْبُوبُ بَقِيَ فَسَكَتَ الْمَلِكُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّ لِلْمَلِكِ وَالْمَمْلُوكِ رَبًّا لَا يُزُولُ فَهَلْ تَعْرِفُهُ ؟

قَالَ الْوَزِيرُ : نَعَمْ أَعْرِفُهُ . قَالَ : صِفْهُ لِي وَذَلِّني عَلَيْهِ فَشَرَعَ الْوَزِيرُ يَشْرَحُ لَهُ صِفَاتِ الخَالِقِ وَأَوْضَحَ لَهُ الدَّلَالََةَ عَلَى ذَلِكَ فَانْشَرَحَ صَدْرُ الْمَلِكِ لِلإِيمَانِ فَأَمَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى .

فَلَمَّا رَسَخَ التَّوْحِيدُ فِي قَلْبِهِ قَالَ : أَمَّا لِرَبِّنَا خِدْمَةٌ نَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِهَا ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ قَالَ : فَهَلْ أَمَرْنَا بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْنَاهُ حُطِينًا عِنْدَهُ ؟

قَالَ : بَلَى إِنَّ لَهُ عَلَيْنَا وَضَائِفَ أَمَرْنَا بِهَا وَرَضِيْنَا لَنَا فِعْلَهَا وَوَعَدْنَا رِضْوَانَهُ وَالقُرْبَ مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَذَكَرَ لَهُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الشَّرَائِعِ فَعَرَفَهَا الْمَلِكُ وَرَاضَ نَفْسَهُ بِهَا حَتَّى رَسَخَ فِي عِلْمِهَا وَتَمَرَّنَ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا .

ثُمَّ قَالَ يَوْمًا لِلْوَزِيرِ : مَا لَكَ لَا تَدْعُوا النَّاسَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا دَعَوْتَنِي ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ الأُمَّةَ ذَاتَ قُلُوبٍ قَاسِيَةٍ وَفُهُومٍ قَاصِيَةٍ وَنُفُوسٍ عَصِيَّةٍ وَكَلِمَاتٍ أَمْنُهُمْ عَلَى نَفْسِي .

فَقَالَ الْمَلِكُ : أَنَا أَفَعَلُهُ إِنْ تَفَعَلَهُ أَنْتَ ، فَقَالَ الْوَزِيرُ : لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ أَنََّّهُمْ إِنْ لَمْ تَرُدَّهُمْ هَيِّبْتُهُ عَنِّي لَمْ تَرُدَّهُمْ عَنْهُ وَسَأَقِيهِ بِنَفْسِي أَيْسَاءَ مِنَ النَّجَاتِ فَلْيَجِدْهُمْ الْمَلِكُ عَلَى نَفْسِهِ إِنْ اجْتَرَأُوا بِالْقَتْلِ .

ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ أَحْضَرَ وَجُوهَ أَهْلِ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ وَوَلَاةَ أَحْكَامِ رَعَايَاهُ وَأَفَاضِلَهَا فَلَمَّا اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِهِ قَامَ فِيهِمْ خَطِيباً ثُمَّ بِالِدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ .

ثُمَّ اتَّوَا إِلَى الْمَلِكِ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا كَانَ مِنْ وَزِيرِهِ فَأَظْهَرَ لَهُمُ الرِّضَا بِقَتْلِهِ فَأَنْقَلَبُوا عَنْهُ رَاضِينَ ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ ضَاقَ صَدْرُهُ عَلَى وَزِيرِهِ .

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ لَيْسَ مُسْحَ الشَّعْرِ وَالتَّحَقُّقَ بِالرُّهْبَانِ وَنَبَدَ مَا كَانَ مِنَ الْمَلِكِ وَلَمْ يَزَلْ يَعْجُدُ اللَّهُ حَتَّى قَضَى حُجْبَهُ .

مَوْعِظَةٌ : إِخْوَانِي أَبْسُطُوا الْأَيْدِيَ إِلَى الْمَوْلى الْكَرِيمِ بِالذُّلِّ وَالضَّرَاعَةِ وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ بِالذُّلِّ وَالانْكِسَارِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَنَادُوا اللَّطِيفَ الْحَبِيرَ : يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُبَدِّلَ مِنَّا الْفَسَادَ بِالصَّلَاحِ ، وَالْخُسْرَانَ بِالْأَرْبَاحِ وَأَنْ تُعَامِلَنَا بِالْعَفْوِ وَالسَّمَّاحِ يَا مَنْ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتِهِ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَرْحَمَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وقال بعضهم :

وَمَالِي وَلِلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ بِبُعِيَّتِي

وَلَا مُنْتَهَى قَصْدِي وَلَسْتُ أَنَالَهَا

وَلَسْتُ بِمِيَالِ إِلَيْهَا وَلَا إِلِي

رِيَّاسَتِهَا تَبَاءً وَقُبْحاً لِحَالِهَا

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْعَنَاءِ
 سَرِيْعٌ تَقْضِيهَا وَشَيْكٌ زَوَالُهَا
 مَيَاسِرُهَا عُسْرٌ وَخُزْنٌ سُرُورُهَا
 وَأَرْبَاحُهَا خُسْرٌ وَنَقْصٌ كَمَالُهَا
 إِذَا أَضْحَكَتْ أَبْكَتْ وَإِنْ رَامَ وَصَلَهَا
 غَيْبِي فَيَا سِرْعَ انْقِطَاعِ وَصَالِهَا
 فَأَسْئَلُ رَبِّي أَنْ يَحْوِلَ بِحَوْلِهِ
 وَفُوتِهِ بَيْنَ وَبَيْنِ اغْتِيَالِهَا
 فَيَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا جَاهِدًا
 أَلَا أَطْلُبُ سَوَاهَا إِنَّهَا لَا وَقَالَهَا
 فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ حَرِيصٍ وَمُشْفِقٍ
 عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفُرْ بِهَا أَنْ يِنَالَهَا
 لَقَدْ جَاءَ فِي آيِ الْحَدِيدِ وَيُونُسَ
 وَفِي الْكَهْفِ إِضْحَاحٌ بِضَرْبِ مِثَالِهَا
 وَفِي آلِ عَمْرَانَ وَسُورَةِ فَاطِرٍ
 وَفِي غَافِرٍ قَدْ جَاءَ تَبْيَانُ حَالِهَا
 وَفِي سُورَةِ الْأَخْفَافِ أَعْظَمُ وَاعِظٍ
 وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ مُوجِبٍ لِإِعْتِزَالِهَا
 لَقَدْ نَظَرَ أَقْوَامٌ بِعَيْنِ بَصِيرَةٍ
 إِلَيْهَا فَلَمْ تَغْرُرْهُمْ بِوَاقِعِهَا
 أَوْلَيْكَ أَهْلُ اللَّهِ حَقًّا وَحَزْبُهُ

لَهُمْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ إِرْثًا فِيمَا لَهَا
وَمَالٌ إِلَيْهَا آخِرُونَ بِجَهْلِهِمْ
فَلَمَّا اطْمَأَنُّوا أُرْشِقَتْهُمْ نِبَالُهَا
أُولَئِكَ قَوْمٌ آتْرُوهَا فَاعْتَبُوا
بِهَا الْحِزْبِي فِي الْأُخْرَى فَذَاقُوا وَبَالَهَا
فَقُلْ لِلَّذِينَ اسْتَعَذَبُوا بِهَا رُؤْيَاكُمْ
سَيَنْقَلِبُ السُّمُّ النَّقِيعُ زِلَالُهَا
لِيْلُوهَا وَيَعْتَرُوا بِهَا مَا بَدَا لَهُمْ
مَتَى تَبْلُغُ الْحُلُقُومَ تَصْرِمُ حِبَالُهَا
وَيَوْمَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِكَسْبِهَا
تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَيَّهَهَا وَمَالَهَا
وَتَأْخُذُ إِمًّا بِالْيَمِينِ كِتَابِهَا
إِذَا أَحْسَنْتَ أَوْ ضِدًّا بِشِمَالِهَا
وَيَبْدُو لَدَيْهَا مَا أَسْرَتْ وَأَعْلَنْتَ
وَمَا قَدَّمْتَ مِنْ قَوْلِهَا وَفِعَالِهَا
بِأَيْدِي الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ مُسَاطِرُ
فَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا عُذْرَةٌ وَجِدَالُهَا
هُنَاكَ تَدْرِي رِنِحَهَا وَخَسَارَهَا
وَإِذْ ذَاكَ تَلْقَى مَا عَلَيْهَا وَمَالَهَا
فَإِنْ تَكُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالنُّقَى
فَإِنَّ لَهَا الْحُسْنَى بِحُسْنِ فِعَالِهَا

تَفُوزُ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَحُورِهَا
وَتُحَبَّرُ فِي رَوْضَاتِهَا وَظِلَالِهَا
وَتُرْزَقُ مِمَّا يَشْتَهِي مِنْ نَعِيمِهَا
وَتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيمِهَا وَزِلَالِهَا
فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ لَمَوْعِدًا
زِيَارَةَ زُلْفَى غَيْرُهُمْ لَا يَنَالُهَا
وَجُوهٌ إِلَى وَجْهِهِ الْإِلَهِ نَوَاطِرُ
لَقَدْ طَالَ بِالدَّمْعِ الْعَزِيمِ ابْتِلَالُهَا
تَجَلَّى لَهُمْ رَبُّ رَحِيمٍ مُسْلِمًا
فَيَزْدَادُ مِنْ ذَلِكَ التَّجَلِّي جَمَالَهَا
بِمَقْعَدِ صِدْقِ حَبْدَا الْجَارِ رَبُّهُمْ
وَدَارِ خُلُودِ لِمَ يَخَافُوا زَوَالَهَا
فَوَاكِهَهَا مِمَّا تَلَدُّ غِيُونُهُمْ
وَتَطَّرُدُ الْأَنْهَارُ بَيْنَ خِلَالِهَا
عَلَى سُرْرِ مَوْضُونَةٍ ثُمَّ فُرْشَتُهُمْ
كَمَا قَالَ فِيهَا رَبُّنَا وَاصِفًا لَهَا
بَطَائِنُ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ كَيْفَ ظَنُّكُمْ
ظَوَاهِرَهَا لَا مُتَّهَى لِحِمَالِهَا
وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَوَيْلٌ وَحَسْرَةٌ
وَنَارُ جَحِيمٍ مَا أَشَدَّ نَكَالِهَا
لَهُمْ تَحْتَهُمْ مِنْهَا مَهَادٌ وَقَوْقُهُمْ

عَوَاشِي وَمِنْ يَحْمُومِ سَاءَ ظِلَالُهَا
 طَعَامُهُمُ الْغَسْلِينَ فِيهَا وَإِنْ سُفُوا
 حَمِيمًا بِهِ الْأَمْعَاءُ كَانَ انْحِلَالُهَا
 أَمَانِيهِمُوا فِيهَا الْخُرُوجُ وَمَالُهُمْ
 خُرُوجٌ وَلَا مَوْتُ كَمَا لَا فَنَى لَهَا
 مَحَلِّينَ قُلُوبٍ لِلنَّفْسِ لَيْسَ سِوَاهُمَا
 لِتَكْتَسِبَنَّ أَوْ تَكْتَسِبَ مَا بَدَا لَهَا
 فَطَوَى لِنَفْسٍ جَوَّزَتْ فَتَحَقَّقَتْ
 فَتَبَحُّوا كَفَافًا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ جُهِدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ
 وَالْمَالِ وَالْوَالِدِ اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا .
 اللَّهُمَّ أَهْمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا الْاسْتِقَامَةَ طَوَّعَ أَمْرِكَ وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِعَافِيَتِكَ وَحَزِيلِ
 عَفْوِكَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

فِي ذِكْرِ بَعْضِ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ نَصَرَهُ اللَّهُ

عِبَادَ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
 عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ أَكْمَلَ الدِّينَ ، بِالنَّصْرِ ، وَالْإِظْهَارِ عَلَى الْأَدْيَانِ
 كُلِّهَا ، فَنَصَرَ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، وَخَدَلَ أَهْلَ الشُّرْكِ انْخِذَالًا عَظِيمًا ، بَعْدَ مَا كَانُوا حَرِصِينَ عَلَى
 صِدْقِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ دِينِهِمْ ، طَامِعِينَ فِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَوْا عِزَّ الْإِسْلَامِ وَانْتِصَارَهُ يَسُّوا كُلَّ الْيَأْسِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى دِينِهِمْ ، وَصَارُوا يَخَافُونَ مِنْهُمْ وَيَخْشَوْنَ : وَأَتَمَّ جَلَّ وَعَلَا عَلَى عِبَادِهِ نِعْمَتَهُ بِالْهُدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ ، وَالْعَزِّ وَالتَّأْيِيدِ ، وَرَضِيَ الْإِسْلَامَ لَنَا دِينًا ، أَخْتَارَهُ لَنَا مِنْ بَيْنِ الْأَدْيَانِ ، فَهُوَ الدِّينُ عِنْدَ اللَّهِ لَا غَيْرَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ عِبَادَ اللَّهِ نَظَرَ أَصْحَابُ الْأَفْكَارِ الْبَرِيَّةِ السَّلِيمَةِ فِي أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ ، فَاعْتَنَفُوهُ ، وَتَأَمَّلُوا فِي حُكْمِهِ الْجَلِيلَةِ فَأَحْبَبُوهُ وَمَلَكَتْ قُلُوبُهُمْ مَبَادِئُهُ الْحَكِيمَةُ فَعَظَّمُوهُ ، وَكُلَّمَا كَانَ الْمَرْءُ سَلِيمَ الْعَقْلِ ، نَبَّرَ الْبَصِيرَةَ ، مُسْتَقِيمَ الْفِكْرِ ، اشْتَدَّ تَعَلُّقُهُ بِهِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ جَمِيلِ الْمَحَاسِنِ ، وَجَلِيلِ الْفَضَائِلِ ، جَاءَ الدِّينُ الْإِسْلَامِيَّ بِعَقَائِدِ التَّوْحِيدِ ، الَّتِي يَرْتَاخُ لَهَا الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَيُفْرِغُهَا الطَّبَعُ الْمُسْتَقِيمُ ، يَدْعُوا إِلَى اعْتِقَادِ أَنَّ لِلْعَالَمِ إِلَهًا وَاحِدًا لَا شَرِيكَ لَهُ ، أَوْلَا لَا ابْتِدَاءَ لَهُ ، وَآخِرًا لَا انْتِهَاءَ لَهُ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ لَهُ الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ ، وَالْإِرَادَةُ الْمُطْلَقَةُ ، وَالْعِلْمُ الْمُحِيطُ ، يَلْزِمُ الْخَلْقَ الْخُضُوعَ لَهُ وَالْانْقِيَادَ ، وَالْعَمَلَ عَلَى مَرْضَاتِهِ ، بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ ، عَلَى النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ ، لِيَتَّصَلَ بِالْبُرْهَانِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ ، فَتَرَاهُ تَارَةً يَلْفِتُ نَظْرَكَ إِلَى أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَوْجِدَ نَفْسَكَ ، وَلَا أَنْ تَوْجِدَ مِنْ دُونِ مُوْجِدٍ ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ أَمَّا كَوْنُ الْإِنْسَانِ مُوْجِدًا لِنَفْسِهِ فَهَذَا أَمْرٌ مَا ادَّعَاهُ الْخَلْقُ ، وَأَمَّا وُجُودُ الْإِنْسَانِ هَكَذَا مِنْ غَيْرِ مُوْجِدٍ ، فَأَمْرٌ يُنْكَرُهُ مَنْطِقُ الْفِطْرَةِ ابْتِدَاءً وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى جَدَلٍ كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ ، وَإِذَا كَانَ هَذَانِ الْفَرْضَانِ بَاطِلَيْنِ ، فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى إِلَّا الْحَقِيقَةُ ، الَّتِي يَقُولُهَا الْقُرْآنُ ، وَهِيَ أَنَّ الْخَلْقَ خَلَقَهُ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ، وَتَارَةً يَلْفِتُ النَّظَرَ إِلَى

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَهَلْ هُمْ خَلَقُوهَا ، فَإِنَّمَا لَمْ تَخْلُقْ نَفْسَهَا كَمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَخْلُقُوا أَنْفُسَهُمْ
وَتَارَةً يَفْتَحُ أَمَامَ الْعَقْلِ وَالْبَصْرِ صَحِيفَةَ السَّمَاءِ وَمَا حَوَتْ مِنْ شَمْسٍ مُشْرِقَةٍ ، وَقَمَرٍ مُنِيرٍ ، وَنَجْمٍ
مُضِيءٍ فَيَقُولُ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ ﴿ وَفِي
الآيَةِ الْآخَرَى يَقُولُ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ﴾ وَيَقُولُ : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا
ذَلِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ وَيَقُولُ : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا
وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ وَيَقُولُ : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ
شَيْءٍ ﴾ وَيَقُولُ : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُوتٍ فَارْجِعِ
الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ ﴿
وَمَرَّةً يَلْفُتُ النَّظَرَ إِلَى الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنْ أَشْجَارٍ مُتَنَوِّعَةٍ ﴾ ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ
وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضَلُ بَعْضُهَا عَلَى
بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾ ﴿ فَتَشَاهِدُ شَجَرَ الْعِنَبِ بِجِوَارِ شَجَرِ الْحَنْظَلِ فِي قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
، وَقَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَجَرَةٍ جُدُورًا ، مَمْتَصًّا بِهَا مِنَ الْأَرْضِ مَا يُنَاسِبُهَا مِنَ الْغَدَاءِ الَّذِي بِهِ قِيَامُهَا
وَحَيَاتُهَا وَتَنْفَتِحُ كُلَّ وَاحِدَةٍ عَنْ ثَمَرَةِ تُخَالِفِ الْآخَرَ فِي اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ ، وَكَذَلِكَ بَاقِي
الْأَشْجَارِ الْمُتَجَاوِرَةِ الَّتِي أَرْضُهَا وَاحِدَةٌ وَمَاؤُهَا وَاحِدٌ ، أَلَا يَدُلُّ هَذَا عَلَى وُجُودِ صَانِعٍ حَكِيمٍ
قَادِرٍ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) وَمَرَّةً يَلْفُتُ النَّظَرَ إِلَى مَا يُنَزِّلُهُ مِنَ السَّمَاءِ ، مِنَ الْمَاءِ الَّذِي بِهِ قِيَامُ
الْحَيَاةِ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ أَجَاجًا لَا نَفْعَ فِيهِ ، وَمَرَّةً يَتَحَدَّثُ عَنْ وَحْدَانِيَّتِهِ وَانْفِرَادِهِ بِالْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ
﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ ﴿

الآية وفي الآية الأخرى يقول في جزالة لفظٍ وفخامة معنى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ إلى غير ذلك من الأدلة وشرع لعباده من العبادات ما يهدب النفوس ويصفيها ويُنظّم العلاقات ويقويها ويجمع القلوب ويُركيها وهذا الذي جاء به الإسلام اتفقت في الدعوة إليه كلُّ الرسل قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَعِزَّنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَوَفِّقْنَا لِبَطَاعَتِكَ اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ عِبَادَتِكَ الْمُفْلِحِينَ وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) : فَقَدْ اعْتَرَفَ الْمُحَقِّقُونَ الْمُنْصِفُونَ : أَنَّ كُلَّ عِلْمٍ نَافِعٍ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَوِيٍّ أَوْ سِيَاسِيٍّ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ دَلَالَةً لَا شَكَّ فِيهَا فَلَيْسَ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ مَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ وَإِنَّمَا فِيهِ مَا تَشْهَدُ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ الزَّكِيَّةُ بِصِدْقِهِ وَنَفْعِهِ وَصَلَاحِهِ وَكَذَلِكَ أَوَامِرُهُ كُلُّهَا عَدْلٌ ، لَا حَيْفَ فِيهَا وَلَا ظُلْمَ فَمَا أَمَرَ بِشَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ خَيْرٌ خَالِصٌ أَوْ رَاجِحٌ ، وَمَا نَهَى عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ شَرٌّ خَالِصٌ ، أَوْ مَا تَزِيدُ مَفْسِدَتَهُ عَلَى مَصْلَحَتِهِ ، وَكُلَّمَا تَدَبَّرَ الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ قَوِيَّ إِيمَانَهُ وَإِخْلَاصَهُ ، وَعِنْدَمَا يَتَأَمَّلُ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ هَذَا الدِّينَ الْقَوِيمَ يَجِدُهُ يَدْعُو إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ يَدْعُو إِلَى الصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْعَدْلِ ، وَحِفْظِ

العُهودِ ، وأداءِ الأماناتِ ، والإحسانِ إلى اليتيمِ والمسكينِ ، وحسنِ الجوارِ ، وإكرامِ الضيفِ ، والتَّحليِّ بمكارمِ الأخلاقِ ، يدْعُو إلى تحصيلِ التَّمَتُّعِ بِلَدَائِدِ الْحَيَاةِ فِي قَصْدِ وَاعْتِدَالِ يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا يَعُودُ عَلَى الْعَالَمِ بِالسَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ ، وَلَا يَنْهَى إِلَّا عَمَّا يَجْلِبُ الشَّقَاءَ وَالْمَضْرَّةَ لِلْعِبَادِ .

وَتَأْمَلُ مَحَاسِنَ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الْكِبَارِ الَّتِي هِيَ إِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَحُجُّ الْبَيْتِ ، فَعِنْدَمَا تَتَأْمَلُ الصَّلَاةَ الَّتِي هِيَ صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، تَجِدُ فِيهَا الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ ، وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ ، وَالْأَدَبَ ، وَالْاحْتِرَامَ ، وَالشَّنَاءَ ، وَالِدُّعَاءَ ، وَالْحُضُوعَ لَهُ ، وَمَظْهَرَ الْإِجْلَالَ مِنْ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ يَقِفُ الْمَرْءُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ فَيَتَدَيُّ بِالاعْتِرَافِ لِلَّهِ بِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِأَنْ يُعَظَّمَ وَيُجَلَّ وَيُقَدَّرَ (اللهُ أَكْبَرُ) ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الشَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَيُخْصُهُ بِالْعِبَادَةِ ، وَطَلَبِ الْمَعُونَةِ ضَارِعاً إِلَيْهِ بَأَنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالتَّوْفِيقِ وَالْهُدَايَةِ وَأَنْ يُجَنَّبَهُ عَنِ طَرِيقِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ بَعْدَ أَنْ عَرَفُوا وَأَنْ يُبْعِدَهُ عَنِ طَرِيقِ الضَّالِّينَ الْمُنْحَرِفِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا أَهْوَاءَهُمْ وَشِيَاطِينَهُمْ .

وَعِنْدَئِذٍ تَمْتَلِي النَّفْسُ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ وَهَيْبَتِهِ وَجَلَالِهِ فَيُخِرُ الْمَرْءُ سَاجِداً لِلَّهِ عَلَى أَشْرَفِ أَعْضَائِهِ ، مُظْهِراً لِلدَّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ إِلَى مَنْ بِيَدِهِ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَمَرَايَا الصَّلَاةِ مِنْ نَاحِيَةِ الدِّينِ خُضُوعٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَخُشُوعٌ وَاعْتِرَافٌ بِعَظَمَةِ الْقَاهِرِ الْقَادِرِ ، وَمَتَى اسْتَشَعَرَ الْقَلْبُ ذَلِكَ . وَامْتَلَأَتِ النَّفْسُ مِنْ هَيْبَةِ اللَّهِ ، كَفَّ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَلَا عَجَبَ مِنْ

ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يُثَوِّلُ عَنِ الصَّلَاةِ : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ وَهِيَ أَكْبَرُ عَوْنٌ لِلْعَبْدِ عَلَى مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ .

أَمَّا عَوْنُهَا عَلَى مَصَالِحِ دِينِهِ فَلَأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَاوَمَ عَلَى الصَّلَاةِ وَحَافِظَ عَلَيْهَا قَوِيَتْ رَغْبَتُهُ فِي الْخَيْرِ ، وَسَهَلَتْ عَلَيْهِ الطَّاعَاتِ وَبَدَّلَ الْإِحْسَانَ بِطَمَإْنِينَةٍ نَفْسٍ ، وَاحْتِسَابِ ، وَرَجَاءِ لِلثَّوَابِ ، وَأَمَّا عَوْنُهَا عَلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا تُهَوِّئُ الْمَشَاقَّ وَتُسَلِّي عَنِ الْمَصَائِبِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُضِيغُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا فَيَجَازِيهِ بِتَيْسِيرِ أُمُورِهِ وَيُبَارِكُ فِي مَالِهِ وَأَعْمَالِهِ .

وَفِي تَأْدِيبِهَا جَمَاعَةً يَحْضُلُ التَّعَارُفُ وَالتَّوَاصُلُ وَالتَّوَادُّ وَالتَّعَاطُفُ وَالتَّرَاحُمُ وَيَسُوذُ الْوَقَارُ وَالْمَحَبَّةُ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَيَحْضُلُ بِذَلِكَ تَعْلِيمٌ فِعْلِيٌّ لِصِفَةِ الصَّلَاةِ .

وَأَنْظُرْ إِلَى مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ مِنَ الزَّكَاةِ تَرَى مَحَاسِنَ جَمَّةٍ مِنْهَا إِصْلَاحُ حَالِ الْفُقَرَاءِ وَسَدُّ حَاجَةِ الْمَسْكِينِ ، وَقَضَاءُ دَيْنِ الْمَدِينِ ، وَمِنْهَا التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ الْكِرَامِ ، مِنْ السَّخَاءِ وَالْجُودِ وَالْبُعْدِ عَنِ أَخْلَاقِ اللُّثَامِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُطَهِّرُ الْقَلْبَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا بِبَدْلِ الْيَسِيرِ وَمِنْهَا حِفْظُ الْمَالِ مِنَ الْمَكْدَرَاتِ وَالْمُنْغِصَاتِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ وَمِنْهَا الاسْتِعَانَةُ بِهَا عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَالْمَصَالِحِ الْكُلِّيَّةِ الَّتِي لَا يَسْتَعْنِي عَنْهَا الْمُسْلِمُونَ وَمِنْهَا دَفْعُ صَوْلَةِ الْفُقَرَاءِ وَمِنْهَا أَنَّهَا دَوَاءٌ لِلْمُجْتَمَعِ وَطِبُّ لِلنَّفُوسِ بِهَا يَطْهَرُ الْمَرْءُ مِنْ رِذِيلَةِ الشُّحِّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَمِنْهَا أَنَّهَا لَوْ أَخْرَجَهَا الْأَغْنِيَاءُ لَانْقَطَعَ دَابِرُ الْاِشْتِرَاقِيَّةِ الْمُتَطَرِّفَةِ وَالشُّيُوعِيَّةِ الْمُسْرِفَةِ ، وَمِنْهَا أَنَّهَا لَوْ أُدِيَتْ تَمَامًا لِحَصَلِ بِذَلِكَ رَاحَةُ الْحُكَّامِ وَصَرَفُ مَجْهُودَاتِهِمْ إِلَى مَا يَعُودُ عَلَى الْأُمَّمِ بِالْفَلَاحِ وَرَعْدِ الْعَيْشِ .

قَصِيدُهُ تَتَضَمَّنُ التَّضَرُّعَ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا :
 يَا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلًا
 أَرْزَاقَ مَنْ هُوَ صَامِتٌ أَوْ سَائِلٌ
 أَوْسَعَتْهُمْ جُودًا فِيمَا مَنَ عِنْدَهُ
 رِزْقُ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلٌ
 يَا مُسْبِغَ الْبَرِّ الْجَزِيلِ وَمُسْبِلَ الْعَفْوِ
 الْعَظِيمِ عَظِيمٌ فَضْلِكَ وَابِلٌ
 يَا صَاحِبَ الْإِحْسَانِ يَا مُرْخِ لَنَا السِّتْرِ
 الْجَمِيلِ عَمِيمٌ طَوْلُكَ طَائِلٌ
 يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْـ
 مِيعَادِ صِدْقٌ قَدْ حَكَاهُ الْفَاصِلُ
 يَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى يَا صَادِقَ الْـ
 وَعْدِ الْوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلٌ
 عَظَمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمٌ فَجَلَّ أَنْ
 يَأْتِيَ الْمَشَبُّهُ ظَالِمًا وَبُشَاكِلُ
 جَلَّتْ فَضَائِلُكَ الْعِظَامُ فَلَمْ نَجِدْ
 يُحْصِي الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلٌ
 الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنْكَ غَافِرٌ
 مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكَاً فَفَضْلُكَ حَاصِلٌ
 يَعْصِيكَ جَمُّ ثُمَّ تَصْفَحُ عَنْهُمْ
 وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَائِلٌ

رَبُّ يُرَبِّي الْعَالَمِينَ بِرَّهْ
 وَيُرِيذُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَيُوَاصِلُ
 يُعْطِيهِمْ مَا أَمَلُوا مِنْ جُودِهِ
 وَنَوَالِهِ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ
 تَعْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا
 نِعْمًا وَعَنْ شُكْرِ لَهَا أَنْتَ غَافِلُ
 سَتَرَ الدُّنُوبَ وَزَادَ فِي بَدْلِ الْعَطَا
 مَا لَا تَكُونُ لِيَعْضِضَهُ تَسْتَاهِلُ
 مُتَفَضِّلُ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُجُودِهِ
 تَنْسَى وَتَغْفَلُ هَلْ تَعِي يَا غَافِلُ
 يَدْنُوا وَتُبْعِدُ ثُمَّ أَنْتَ لِفَضْلِهِ
 بِقَبَائِحِ الْعِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ
 وَإِذَا دَجَى لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
 طُرُقُ السَّلَامَةِ بَلْ قَلَاكَ النَّازِلُ
 وَعَلِمْتَ أَنَّ لَا مَنْجِي ثُمَّ تَلَاخَمْتَ
 سُبُلُ الْخَلَاصِ وَخَابَ فِيهَا الْأَمَلُ
 وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَالَهَا
 طُرُقُ وَقَدْ عَظُمَ الْبَلَا الْمُتَنَازِلُ
 وَقَطَطَ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ وَلَمْ يَكُنْ
 سَبَبٌ وَلَا يَدْنُوا لَهَا مُتَنَازِلُ
 يَأْتِيكَ مِنَ الطَّافِهِ الْفَرَجُ الَّذِي

فِيهِ نَجَاتُكَ لَيْسَ يَشْغَلُ شَاغِلٌ
 فِي لَحْظَةٍ يَأْتِيكَ لُطْفٌ فَارِحٌ
 لَمْ تَحْتَسِبْهُ وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلٌ
 يَا مُوجِدَ الْأَشْيَاءِ مَنْ أَلْقَى إِلَيَّ
 أَحَدٌ سِوَاكَ فَإِنَّ ذَلِكَ بِأَقْلٍ
 يَا طَيْبَ الْأَسْمَاءِ مَنْ يَقْضُدُ إِلَيَّ
 أَبْوَابِ غَيْرِكَ فَهُوَ غَرٌّ جَاهِلٌ
 وَمَنْ اسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا
 مِنْ غَيْرِكُمْ فَضَلًا فَذَاكَ الْمَائِلُ
 وَمَنْ اسْتَظَلَ بِغَيْرِ ظِلِّكَ رَاجِيًا
 أَحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلُّ زَائِلٍ
 وَمَنْ اسْتَعَاذَ إِذَا عَرَّتْهُ مُلَمَّةٌ
 بِجَلَالِكُمْ ذَا الرَّئِي رَائِي بِاسْتِئْذَانٍ
 وَالرَّائِي فِي عَكْسِ الَّذِي حَبَّرْتَهُ
 بِسِوَى جَنَابِكَ فَهُوَ رَائِي مَائِلٌ
 عَمَلٌ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
 عَمَلٌ يُرَدُّ عَلَى الَّذِي هُوَ عَامِلٌ
 لَوْ صَلَّى ذَاكَ وَصَامَ حَجَّ فَإِنَّ ذَا
 عَمَلٌ وَإِنْ زَعُمَ الْمُرَائِي بَاطِلٌ
 وَإِذَا رَضِيَتْ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ
 حَسْبِي رِضَاكَ فَكُلُّ شَيْءٍ زَائِلٌ

أَنْتَ الْمُنَى وَرِضَاكَ سُؤْلِي فِي الدُّجَى
 وَإِذَا حَصَلْتُ فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلٌ
 أَنَا عَبْدٌ سُوءٍ أَبِيقُ كُلِّ عَلَى
 مَعْبُودِهِ يَا بِنْسَ مَا أَنَا فَاعِلٌ
 وَلَقَدْ أَتَى الْعَبْدُ الْمُسِيءُ مِيَمًا
 مَوْلَاهُ أَوْزَارَ الْكَبَائِرِ حَامِلٌ
 قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَّدَتْ
 وَجْهِي الْمَعَاصِي تُمْ ذَا أَنَا سَائِلٌ
 مَا لِي سِوَاكَ وَلَسْتُ أَرْجُو غَافِرًا
 صُحُفَ الْعُيُوبِ وَسِتْرَ عَفْوِكَ شَامِلٌ
 هَا قَدْ أَتَيْتَ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِي
 إِذْ لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ لَدَيَّ يُقَابِلُ
 وَلَسْتُ ثَوْبَ الْخَوْفِ مِنْكَ مَعَ الرَّجَى
 وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سَائِلٌ
 فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ
 بَةً مُقْلِعٍ فِيهَا الشُّرُوطُ كَوَامِلٌ
 وَارْزُقْهُ عِلْمًا نَافِعًا وَارْزُقْهُ تَوْ
 فِيقًا لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلٌ
 وَأَفْعَلٌ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
 يَا مَنْ لَهُ اسْمًا حَسَنًا فَوَاضِلٌ
 فَإِذَا فَعَلْتَ فَحُسْنُ ظَنِّي صَائِبٌ

وَالظَّنُّ كُلُّ الظَّنِّ أَنَّكَ فَاعِلٌ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ وَاجْعَلْنَا لَكَ مِنَ الدَّاكِرِينَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّابِرِينَ الْمُحْسِنِينَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَهَلَّتْهُمْ لِحْدَمَتِكَ وَوَفَّقَتْهُمْ لِمَحَبَّتِكَ وَطَاعَتِكَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ ، يَا قَرِيبَ الرَّحْمَةِ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، هَبْ لَنَا الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . اللَّهُمَّ يَا حَيُّ وَيَا قَيُّومُ فَرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ ، وَلَا تُشْغَلْنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَيَقْتَعُ بِعَطَائِكَ ، وَيَخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكَ . اللَّهُمَّ اكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيِّدْنَا بِنُورِ مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، اللَّهُمَّ وَافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) وَتَأَمَّلِ الصِّيَامَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَحَاسِنِ الَّتِي مِنْهَا أَنَّهُ يُبْعَثُ فِي الْإِنْسَانِ فَضِيلَةَ الرَّحْمَةِ بِالْفُقَرَاءِ ، وَالْعَطْفِ عَلَى الْبَائِسِينَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا جَاعَ تَذَكَّرَ الْفَقِيرَ الْجَائِعَ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ بِامْتِنَاعِهِ عَنِ الْأَكْلِ يَعْرِفُ فَضْلَ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ فَيَشْكُرُهَا ، وَمِنْهَا أَنَّ الصِّيَامَ يُقْوِي النَّفْسَ عَلَى الصَّبْرِ وَالْحُلْمِ ، وَهُمَا بَجُنُبِ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ إِثَارَةُ الْعُضْبِ ، لِأَنَّ الصَّوْمَ نِصْفُ الصَّبْرِ ، وَالصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ يَنْفِي الْجِسْمَ مِنَ الْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ مُهَذَّبٌ لِلنَّفُوسِ ، وَمُصَفَى لِلأَرْوَاحِ ، وَمُطَهَّرٌ لِلْأَجْسَامِ ، فَلَهُ الأَثَرُ العَجِيبُ فِي حِفْظِ القُوَى البَاطِنَةِ ، وَحِمَايَتِهَا مِمَّا يَضُرُّهَا ثُمَّ هُوَ عِبَادَةٌ وَامْتِنَالٌ لِأَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، وَالْمَشَقَّةُ الحَاصِلَةُ مِنَ الصَّوْمِ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ فِي جَانِبِ رِضَى اللهِ ، طَمَعاً فِي الثَّوَابِ ، وَالزُّلْفَى وَالْأَجْرِ العَظِيمِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَحَاسِنِ .

وَتَأَمَّلْ مَا فِي حَجِّ بَيْتِ اللهِ مِنَ الْمَحَاسِنِ ، الَّتِي مِنْهَا أَنَّهُ مُجْمَعٌ لِسِرَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، يَجْتَمِعُونَ فِيهِ مِنْ مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَعَارِبِهَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يَعْبُدُونَ إِلَهًا وَاحِدًا ! قُلُوبُهُمْ مُتَّحِدَةٌ ، وَأَرْوَاحُهُمْ مُؤْتَلِفَةٌ فِي الْحَجِّ ، يَتَذَكَّرُ الْمُسْلِمُونَ الرِّابِطَةَ الدِّينِيَّةَ ، وَقُوَّةَ الوَحْدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ ، وَفِي الْحَجِّ تَذَكَّرُوا لِحَالِ الأنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ وَمَقَامَاتِ الأَصْفِيَاءِ الْمُخْلِصِينَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ وَتَذَكَّرُوا بِحَالِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَإِمَامِهِمْ ، وَمَقَامَاتِهِ فِي الْحَجِّ

الَّتِي هِيَ أَجَلُ الْمَقَامَاتِ ، وَهَذَا التَّذْكِيرُ أَعْلَى أَنْوَاعِ التَّذْكِيرَاتِ ، فَإِنَّهُ تَذْكِيرٌ بِأَحْوَالِ عُظَمَاءِ الرُّسُلِ ، إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَأْتَرَهُمُ الْجَلِيلَةَ ، وَتَعْبُدَاتِهِمُ الْجَمِيلَةَ وَالْمُتَذَكَّرُ بِذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِالرُّسُلِ ، مُعْظَمٌ هُمْ ، مُتَأَثِّرٌ بِمَقَامَاتِهِمُ السَّامِيَةِ ، مُقْتَدٍ بِهِمْ ، وَبِأَثَارِهِمُ الْحَمِيدَةِ ، ذَاكِرٌ لِمَنَاقِبِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ ، فَيَزْدَادُ بِهِ الْعَبْدُ إِيمَانًا وَيَقِينًا .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْحَجِّ تَصْفِيَةُ النَّفْسِ ، وَتَعْوِيدُهَا الْبَدَلَ وَالْإِنْفَاقَ ، وَتَحْمُلُ الْمَشَاقِ ، وَتَرْكُ الزِينَةِ وَالْحَيْلَاءِ ، وَمَنْهَا شُعُورُ الْمَرْءِ بِمُسَاوَاتِهِ لِعَيْرِهِ ، فَلَا مَلِكَ وَلَا مَمْلُوكَ ، وَلَا غَنِيًّا وَلَا فَقِيرًا ، بَلْ الْكُلُّ هُنَاكَ سَوَاءٌ ، وَمِنْ مَحَاسِنِ الْحَجِّ التَّنَقُّلُ فِي الْبِلَادِ لِمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهَا ، وَعَادَاتِ سُكَّانِهَا ، وَزِيَارَةِ مَهَبَطِ الْوَحْيِ ، وَالرُّسُلِ الْكَرَامِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِ الْحَجِّ تَذَكُّرُ الْمَجْمَعِ الْعَظِيمِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ ، وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصْرَ ، وَذَلِكَ فِي الْمَحْشَرِ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حُفَاءً عُرَاءً غُرًّا ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ تَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَى فِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ ، إِذْ لَا بُدَّ مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ ، فَلَوْ فَارَقْتَهُمْ فَجَاءَهُ حَصَلٌ صَدَمَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ الْفِرَاقِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِ الْحَجِّ أَنَّهُ مَتَى قَصَدَهُ يَتَزَوَّدُ لِسَفَرِهِ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، مُدَّةَ ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ ، فَيَتَزَوَّدُ لِلْعُمْبَى ، وَهِيَ السَّفَرَةُ الطَّوِيلَةُ ، الَّتِي لَا رُجُوعَ بَعْدَهَا ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ .

وَفِي سَفَرِ الْحَجِّ قَدْ يَجِدُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي غَيْرِ بَلَدِهِ وَلَا يَجِدُ فِي الْعُمْبَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ ، إِلَّا إِذَا تَزَوَّدَهُ فِي الدُّنْيَا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ .

وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْتَادُ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ ، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَحْمِلَ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي سَفَرِهِ لِلْحَجِّ ، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا حَمَلَهُ ، وَفِيمَا لَمْ يَحْمِلْهُ مَعَ نَفْسِهِ ، فَيَعْتَادُ تَوَكُّلَهُ إِلَى كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّهُ إِذَا أَحْرَمَ نَزَعَ الْمَخِيضَ الَّذِي هُوَ لِبَاسُ الْأَحْيَاءِ ، وَيَلْبَسُ غَيْرَهُ مِمَّا هُوَ أَشْبَهُهُ بِلِبَاسِ الْأَمْوَاتِ ، فَيَجِدُ وَيَجْتَهِدُ فِي الْاسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَامَهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَحَاسِنِ الَّتِي يَصْعُبُ حَصْرُهَا .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ هَادِمًا لِلْحِسَابِ وَوَفَّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَّمْتَهُ وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ ، وَاغْفِرْ لَنَا

وَلَوْلَا دِينُنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) ثُمَّ تَأَمَّلْ مَحَاسِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِذْ فِيهِ قَمْعُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، وَنَصْرُ أَوْلِيَائِهِ ، وَإِعْلَاءُ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَحَمْلُ الْكَافِرِ عَلَى تَرْكِ الْكُفْرِ الَّذِي هُوَ أَقْبَحُ الْأَشْيَاءِ ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى مَا هُوَ أَحْسَنُ الْأَشْيَاءِ ، وَفِيهِ إِخْرَاجُ الْبَشَرِ عَنْ دَرَجَةِ الْأَنْعَامِ ، قَالَ تَعَالَى - فِي حَقِّ الْكُفْرَةِ ﴿ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ اكْتِسَابُ حَيَاةِ الْأَبَدِ ، فَإِنَّهُ إِنْ قُتِلَ فَقَدْ أَعْلَى دِينَ اللَّهِ ، وَإِنْ قُتِلَ فَقَدْ أَحْيَا نَفْسَهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴾ .

وَمِنْهَا مَا يَحْصُلُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَمِنْهَا تَكْثِيرُ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَقْلِيلُ الْكُفْرَةِ ، وَمِنْهَا وَهُوَ أَعْلَاهَا امْتِنَالُ أَمْرِ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ وَقَوْلُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْجِهَادِ أَنَّهُمْ فِي الْإِنْتِصَارِ يَعْظُمُونَ وَيَشْكُرُونَ وَيَفْتَوُونَ وَإِنْ أُدِيلَ عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ عَرَفُوا أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ مَعْصِيَتِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ ، وَفَشَلِهِمْ وَتَنَازُعِهِمْ ، فَيَلْحَقُوا إِلَى اللَّهِ مُتَضَرِّعِينَ تَائِبِينَ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّ تَرْكَ الْجِهَادِ سَبَبٌ لِلذُّلِّ ، لِمَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ دُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَمِنْ مَحَاسِنِ الْجِهَادِ السَّلَامَةُ مِنَ النِّفَاقِ ، لِلْحَدِيثِ : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْرُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِهِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ » .

رواه أبو داود والنسائي ، وفي الحديث الآخر : « مَنْ

لَقِيَ اللَّهَ بِغَيْرِ أَثَرِ جِهَادٍ لَقِيَ اللَّهَ وَفِيهِ ثَلَمَةٌ)) . وفي الحديث الآخر : ((مَا تَرَكَ قَوْمُ الْجِهَادِ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهَ بِالْعَدَابِ)) . وَمِنْ مَحَاسِنِهِ اسْتِخْرَاجُ عُبُودِيَّةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَفِيمَا يُجْبُونَ وَيَكْرَهُونَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَحَاسِنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ .

ثُمَّ تَأَمَّلْ مَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ فَمِنْ مَحَاسِنِ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ وَصُورِ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْكَنِ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ قَطْعُ مَسَافَةِ الطَّلَبِ ، فَإِنَّ مَنْ طَلَبَ الشَّيْءَ مِنْ مَعْدِنِهِ يَحْتَاجُ إِلَى الْأَسْفَارِ ، وَرُكُوبِ الْمَرْكُوبِ ، وَتَحْمِلِ الْأَخْطَارِ ، وَمَتَى وَجَدَهُ بِالْبَيْعِ سَلِمَ مِنَ الْأَخْطَارِ وَسَقَطَ عَنْهُ مَوْنَةُ الْأَسْفَارِ ، فَانْظُرْ إِلَى الْعُودِ وَالْمِسْكِ ، وَالسِّيَّارَاتِ وَالْمَكَائِنِ وَالْأَقْمِشَةِ وَالْهَيْلِ وَالسُّكَّرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، مَعَادِنُهَا بَعِيدَةٌ ، فَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ سَخَّرَ بَعْضَ النَّاسِ لِبَعْضٍ ، وَجَاءَتْ الشَّرِيعَةُ الْكَامِلَةُ بِحُلِّ أَنْوَاعِ الْمُعَامَلَاتِ كَالِإِجَارَاتِ وَالشَّرِكَاتِ ، إِلَّا مَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى تَحْرِيمِهِ مِمَّا فِيهِ ضَرَرٌ أَوْ ظَلَمٌ أَوْ جَهَالَةٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، فَمَنْ تَأَمَّلَ الْمُعَامَلَاتِ الشَّرْعِيَّةَ ، رَأَى اِزْتِبَاطَهَا بِصَلَاحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَشَهِدَ لِلَّهِ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ ، وَحِكْمَتِهِ حَيْثُ أَبَاحَ لِعِبَادِهِ جَمِيعَ الطَّيِّبَاتِ . وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا كُلَّ حَبِيبٍ ضَارٍ عَلَى الدِّينِ أَوْ الْعَقْلِ أَوْ الْبَدَنِ أَوْ الْمَالِ .

فَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِجَارَةِ دَفْعُ حَاجَاتِ الْعِبَادِ بِقَلِيلٍ مِنَ الْإِبْدَالِ وَيَسِيرٍ مِنَ الْأَمْوَالِ فَلَا كُلُّ أَحَدٍ يَمْلِكُ ذَارًا يَسْكُنُهَا ، وَلَا سَيَّارَةً يَرْكَبُهَا ، وَلَا طَائِرَةً يَرْكَبُهَا ، وَلَا طَاحُونَةً يَطْحَنُ فِيهَا ، وَلَا مَخْزَنًا لِأَمْوَالِهِ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ تَعْدَادُهُ فَجُوزَتْ الْإِجَارَةُ وَلَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِ مَحَاسِنِ الصُّلْحِ فَهُوَ كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ خَيْرٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ الْآيَةَ .

وَأَمَّا الْوَكَالَةُ وَالْكَفَالَةُ ففِيهِمَا مِنَ الْإِحْسَانِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِمَّنْ اعْتَقَدَ الشَّرْعَ وَمَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ ، وَعَقَلَ الشَّرَائِعَ ، أَوْ لَمْ يَعْقِلْ ، احْتَاجَ إِلَى

الْوَكَّالَةَ وَالْكَفَالَةَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلَائِقَ ، وَجَعَلَهُمْ مُخْتَلِفِينَ فِي الْقَصْدِ وَالْهَمِّ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَزْعَبُ أَنْ يُبَاشِرَ الْأَعْمَالَ بِنَفْسِهِ وَلَا كُلُّ يَهْتَدِي إِلَى الْمُعَامَلَاتِ فَمَنْ لُطِفَ اللَّهُ بِخَلْقِهِ إِبَاحَتُهَا ، فَلَا يَلِيْقُ بِأَصْحَابِ الْمُرَوَاتِ وَأَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ مُبَاشَرَةَ الْبِيَاعَاتِ كُلِّهَا بِأَنْفُسِهِمْ فَالْتَّيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاشَرَ بَعْضَ الْأُمُورِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَبَاشَرَ ذَبْحَ الْأَضْحِيَّةِ بِنَفْسِهِ ، وَفَوَّضَ إِلَى عَلِيِّ ذَبْحِ قِسْمٍ مِنْ هَدِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمَّا الْحُسْنُ فِي الْكَفَالَةِ فَإِنَّ فِيهَا إِظْهَارَ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَمُرَاعَاةَ الْأُخُوَّةِ بِنَذْلِ الذِّمَّةِ لِيَضْمَمَهَا إِلَى الذِّمَّةِ فَيَنْفَسِحَ وَجْهَ الْمُطَالِبَةِ ، وَيَسْكُنُ قَلْبَ الْمُطَالِبِ بِسَبَبِ السَّعَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ إِلَى أَنْ جَعَلَ كَافِلَهَا زَكَرِيَّا كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ وَإِذَا عَلِمْتَ مُحَاسِنَ الْوَكَّالَةِ وَالْكَفَالَةِ ، فَالْحَوَالَةُ وَاضِحَةٌ مُحَاسِنُهَا فَفِي الْحَوَالَةِ كَفَالَةٌ وَوَكَّالَةٌ وَزِيَادَةٌ فَرَاغَ ذِمَّةِ الْأَصِيلِ عَنِ الْحُزْنِ الطَّوِيلِ فَإِذَا قُبِلَتْ حَوَالَتُهُ أَدْخَلَتْ عَلَى قَلْبِ أَحِيكَ - بِفَرَاغِ ذِمَّتِهِ - سُورًا ، وَلَا يَخْفَى مَا فِي إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنَ الْأَجْرِ . وَمِنْ مُحَاسِنِ الشُّفْعَةِ أَنَّ الْجَارَ رُبَّمَا يَكُونُ فِي حَاجَةٍ إِلَى هَذِهِ الْحِصَّةِ الْمَبِيعَةِ كَأَنْ يَكُونَ بَيْتُهُ ضَيْقًا ، وَيُرِيدُ اتِّسَاعَهُ ، أَوْ تَكُونَ الْأَرْضَ الْمُشْتَرَكَةَ بِجَوَارِ مَزَارِعِهِ ، وَيَحْتَاجُ إِلَيْهَا ، وَمِنْ مُحَاسِنِهَا التَّنْبِيهُ عَلَى عِظَمِ حَقِّ الْجَارِ وَالشَّرِيكِ حَيْثُ أَنَّ لَهُ الْحَقَّ فِي التَّقَدُّمِ عَلَى غَيْرِهِ فِي الشِّرَاءِ إِلَّا إِذَا أَسْقَطَ حَقَّهُ بِامْتِنَاعِهِ عَنِ الشِّرَاءِ وَمِنْهَا دَفْعُ ضَرَرِ الْجَارِ ، وَهُوَ مَادَّةُ الضَّرَرِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ " فِي الْإِسْلَامِ » . وَلَا شَكَّ عِنْدَ أَحَدٍ فِي

حُسْنِ دَفْعِ ضَرَرِ التَّأْدِي بِسَبَبِ الْمُجَاوَرَةِ عَلَى الدَّوَامِ مِنْ إِيقَادِ

نيرانٍ ، وإِعْلَاءِ جِدَارٍ ، وَإِثَارَةِ غُبَارٍ وَدُخَانٍ ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ سَمَاعُ التَّلْفِزِيِّونَ وَالْمَذِياعِ وَإِحْدَاثُ أَشْيَاءٍ تَضُرُّ بِمُلْكِهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّرْرِ .

وَأَمَّا الْوَدِيعَةُ فَمَحَاسِنُهَا ظَاهِرَةٌ ، إِذْ فِيهَا إِعَانَةُ عِبَادِ اللَّهِ فِي حِفْظِ أَمْوَالِهِمْ ، وَوَفَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ الْحِصَالِ عَقْلاً وَشَرْعاً ، وَمِنْ مَحَاسِنِهَا أَنَّهَا إِحْسَانٌ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَمِنْهَا أَنَّهَا سَبَبٌ لِلتَّأَلُّفِ وَالتَّاحِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَسَبَبٌ لِمَحَبَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ .

١٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ النَّهْيُ عَنِ سُوءِ مُعَامَلَةِ الزَّوْجِ لِزَوْجَتِهِ وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُقَارَنَ بَيْنَ الْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي ، فَإِذَا كَانَ مُنْصِفاً غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْمَسَاوِي إِذَا كَانَتْ مَحَاسِنُهَا تَعْمُرُهَا لِاضْمِحْلَالِهَا فِيهَا ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَمَّا الْفَرَائِضُ وَتَوَزِيعُ الْمَالِ عَلَى الْوَرَثَةِ فَقَدْ وَضَعَهُ اللَّهُ بِنَفْسِهِ بِحَسَبِ مَا يَعْلَمُهُ مِنْ قُرْبٍ وَبُعْدٍ وَنَفْعٍ ، وَمَا هُوَ أَوْلَى بِبِرِّ الْعَبْدِ وَرَتْبِهِ تَرْتِيباً تَشْهَدُ لَهُ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ بِالْحُسْنِ وَأَنَّهُ لَوْ وُكِّلَ الْأَمْرُ إِلَى آرَاءِ النَّاسِ وَأَهْوَائِهِمْ وَإِرَادَاتِهِمْ لِحَصَلِ سَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْخُلَلِ وَالِاخْتِلَالِ ، وَزَوَالِ الْإِنْتِظَامِ ، وَسُوءِ الْإِخْتِيَارِ فَوْضَى ، وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ أَنَّ الْحَقَّ السَّبَبَ بِالنَّسَبِ فَالسَّبَبُ الْمُنَاكَحَةُ وَالْوَلَاءُ وَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَقْدَ النِّكَاحِ ذُرِيَةَ الْمَحَبَّةِ وَالْأُلْفَةِ ، وَالْإِزْدَوَاجِ ، وَالِاسْتِئْثَانِ بَيْنَ النَّاسِ فَلَا يُحْسُنُ أَنْ يَلْحَقَهَا عِنْدَ مَوْتِ أَحَدِهِمَا مَضَاضَةٌ أَلَمَ الْفِرَاقِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْتَفِقَ أَحَدُهُمَا بِمَا فَضَّلَ عَنْهُ نَوْعَ ارْتِفَاقٍ ، ثُمَّ جَعَلَ لِلزَّوْجِ ضِعْفَ مَا لِلْمَرْأَةِ مِنَ الزَّوْجِ .

وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ أَنَّهُ لَمْ يُورَثْ عِنْدَ اخْتِلَافِ الدِّينِ ، إِذَا مَاتَ الْمُسْلِمُ فَالْكَافِرُ لَا يُورَثُ مِنْهُ لِأَنَّ الْكَافِرَ وَإِنْ كَانَ قَرِيباً نَسَباً ، فَهُوَ بَعِيدٌ دِيناً ، لِأَنَّ

الْكَافِرُ مَيِّتٌ لَا يَرِثُ الْمَيِّتَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ الآية ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَرِثُ الْكَافِرَ لِاسْتَوَاءِ حَالَيْهِمَا وَمَالَيْهِمَا .

١٥- وَأَمَّا الْهَيْبَةُ فَمُسْتَحَبَّةٌ إِذَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ ، وَالْأَصْلُ فِيهَا قَبْلَ الْإِجْمَاعِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ قَوْلُهُ : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ كَرِيمٌ جَوَادٌ وَهَّابٌ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهَا أَنَّهَا سَبَبٌ لِلتَّحَابِّ وَالتَّوَادُّ كَمَا فِي الْحَدِيثِ : « تَهَادُّوا فَانَّ الْهَدِيَّةَ تَسْأَلُ تَهَادُّوا تَحَابُّوا » . وَمِنْ مَحَاسِنِهَا أَنَّهَا تَسْأَلُ السَّخِيمَةَ . وَفِي الْحَدِيثِ : « تَهَادُّوا فَانَّ الْهَدِيَّةَ تَسْأَلُ السَّخِيمَةَ » . وَقَدْ أَهْدَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّجَاشِيِّ حُلَّةً وَأَوَاقِي مِنْ مِسْكِ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا ، وَمِنْ مَحَاسِنِهَا أَنَّهَا تُقَوِّي الصَّلَاةَ وَمَتَّى قَوِيَتْ الصَّلَاةُ سَارَتْ الْأُمَّةُ بِقَدَمٍ ثَابِتَةٍ فَحَسُنُ الصَّلَاةِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ سِرٌّ نَجَاحِهَا وَمِنْ مَحَاسِنِهَا وَفَرُّهُ الثَّمَةُ بَيْنَ الْمُتَهَادِّينَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَحَاسِنِ .

١٦- وَأَمَّا النِّكَاحُ فَمُسْتَحَبٌّ ، وَمَحَاسِنُهُ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا تَخْصِينُ الْفَرْجِ ، وَمِنْهَا تَخْصِينُ الزَّوْجَةِ ، وَمِنْهُ حِفْظُهَا وَالْقِيَامُ بِهَا ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّهُ طَرِيقَةُ الرُّسُلِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ تَكْثِيرُ الْأُمَّةِ ، وَتَكْثِيرُ النَّسْلِ ، وَمِنْهَا تَحْقِيقُ مُبَاهَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْهَا قَضَاءُ حَوَائِجِهِ مِنْ طَبْخٍ وَنَحْوِهِ ، وَمِنْهَا حِفْظُ بَيْتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَمِنْهَا سُكُونُهُ وَطَمَأْنِينَتُهُ إِلَيْهَا ، وَاسْتِنَاسُهُ بِهَا ، وَمُعَاشَرَتُهَا وَعَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي لَا يَتَسَعُّ هَذَا الْمَقَامُ لِعَدَّهَا .

١٧- وَأَمَّا الطَّلَاقُ فَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكَ الطَّلَاقِ إِلَى الزَّوْجِ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ حَكَّمَ بِالْحُرْمَةِ الْعَلِيظَةِ بَعْدَ الطَّلَاقِ الثَّلَاثِ ، لِأَنَّ

الظَّاهِرَ أَنَّ مَنْ طَلَّقَ ثَلَاثًا رَأَى الصَّلَاحَ فِي الْفِرَاقِ وَعَلَّقَ الشَّرْعُ حِلَّ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا بِالتَّزْوِيجِ بِزَوْجٍ آخَرَ وَالدُّخُولِ بِهَا لِيَصِيرَ هَذَا الشَّرْطُ مَانِعًا لَهُ مِنَ الْعُودِ إِلَيْهَا وَيَتَّبَتَّ عَلَى رَأْيٍ مِنَ الصَّلَاحِ فِي مُفَارَقَتِهَا ، وَمِنْ الْمَحَاسِنِ أَنَّهُ لَمْ يَحْكَمْ بِحُرْمَتِهَا عَلَى وَجْهِ لَا رُجُوعٍ فِيهِ أَصْلًا ، فَإِنَّهُ زُبْمًا لَا يَصِيرُ عَنْهَا فَيَهْلِكُ فِي ذَلِكَ فَالشَّرْعُ جَعَلَ لِلْمُؤْصِلِ إِلَيْهِ سَبِيلًا لَكِنْ بَعْدَمَا يَذُوقُ الْآخَرَ عُسَيْلَتَهَا ، وَتَذُوقُ عُسَيْلَتَهُ ، وَلَا يَجُوزُ عَنْ طَرِيقِ التَّحْلِيلِ لِحَدِيثِ : « لَعَنَ اللَّهُ الْمُحْلِلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ » . وَمِنْ مَحَاسِنِ الطَّلَاقِ أَنْ يَكُونَ فِي طَهْرٍ لَمْ يُجَامِعْهَا فِيهِ هَذَا هُوَ السُّنَّةُ ، فَإِنَّهُ إِذَا قَضَى وَطْرَهُ مِنْهَا انْتَقَصَ مَبْلُهُ إِلَيْهَا طَبَعًا فَيَبَادِرُ إِلَى مُفَارَقَتِهَا بِقَلِيلٍ دَاعِيَةٍ وَيَسِيرٍ أَدْيِيَةٍ فَإِنَّ الْمَرْءَ إِذَا شَبَعَ مِنْ شَيْءٍ سَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا جَاعَ قَوِيَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ فَلَا يَحْصُلُ الطَّلَاقُ عَنْ رَوِيَّةٍ ، وَزُبْمًا يَنْدَمُ عَلَى ذَلِكَ فَيَحْتَاجُ إِلَى نَقْضِ الطَّلَاقِ ، فَكَانَ الطَّلَاقُ الْحَسَنُ الْمَسْنُونُ ، أَنْ يُطَلَّقَ فِي طَهْرٍ لَمْ يُجَامِعْهَا فِيهِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْحَالُ حَالَةُ كَمَالِ الرَّغْبَةِ وَتَمَامِ الْمَيْلِ ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يُقَدِّمُ عَلَى الطَّلَاقِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَّا لِلْحَاجَةِ دَاعِيَةٍ فَرُخِّصَ لَهُ فِي الطَّلَاقِ .

١٨- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ جَعَلَ هَزْلُهُ جِدًّا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ ، الطَّلَاقُ ، وَالْعِتَاقُ ، وَالنِّكَاحُ » . فَإِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ بِمُحَرَّرٍ تَلْفِظُهُ بِهِ ، وَلَوْ مَارِحًا يَقَعُ ، امْتَنَعَ بِإِذْنِ اللَّهِ إِذَا كَانَ عَاقِلًا .

١٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْقِصَاصِ ، وَفَرْضِ الْعُقُوبَاتِ ، زَجْرُ النُّفُوسِ الْبَاغِيَةِ ، وَرَدُّعُ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ ، الْحَالِيَةِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ تَأْدِيبُ الْجَمَاعَاتِ الطَّاعِيَةِ فَحَكَمَ بِقَتْلِ الْقَاتِلِ ، وَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ ، لِيَحْقِنَ الدَّمَاءَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ الْآيَةُ ، وَالْقَطْعُ

لِحِفْظِ الْأَمْوَالِ ، فَيَعِيشُ النَّاسُ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وَحَرَّمَ الزَّانَا وَمُقَدَّمَاتِهِ ، كَالنَّظَرِ إِلَى الْأَجْنَبِيَّةِ ، وَالخُلُوةِ بِهَا ، وَالقُبْلَةَ وَاللَّمْسَ وَأَمَرَ بِرَجْمِ الزَّانِي وَقَتْلِ اللُّوطِيِّ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ وَحَكَمَ بِجُلْدِ الزَّانِي الْبِكْرِ ، مِائَةَ جَلْدَةٍ وَالتَّعْرِيبِ كُلِّ ذَلِكَ مُحَافِظَةً عَلَى الْأَنْسَابِ ، وَالْأَعْرَاضِ ، وَحِمَايَةَ لِلْأَخْلَاقِ ، وَصِيَانَةَ لِلْأُمَّةِ مِنَ الْفَنَاءِ ، وَالْفَسَادِ ، وَحَرَّمَ الْخَمْرَ ، وَعَدَّهَا أُمَّ الْخَبَائِثِ ، وَحَكَمَ عَلَى مُتَعَاطِيهَا بِالْجُلْدِ لِازْتِكَايِهِ النَّقَائِصَ وَالْحَسَائِسَ ، كُلُّ ذَلِكَ لِيَبْقَى الْعَقْلُ سَلِيمًا ، وَيُظَلَّ الْمَالُ مَصُونًا ، وَيَدُومَ الشَّرْفُ وَالخُلُقُ طَاهِرًا نَقِيًّا .

شِعْرًا :

لَقَدْ أَبْقَظَ الْإِسْلَامُ لِلْمَجْدِ وَالْعُلَى
 بَصَائِرَ أَقْوَامٍ عَنِ الْمَجْدِ نُومٍ
 فَأَشْرَقَ نُورُ الْعِلْمِ مِنْ حُجْرَاتِهِ
 عَلَى وَجْهِ عَصْرِ بِالْجَهَالَةِ مُظْلِمِ
 وَدَكَ حُصُونِ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْهُدَى
 وَقَوَّضَ أَطْنَابَ الضَّلَالِ الْمُخَيِّمِ
 وَأَنْشَطَ بِالْعِلْمِ الْعِزَائِمَ وَابْتَنَى
 لِأَهْلِيهِ مَجْدًا لَيْسَ بِالْمَتَهَدِّمِ
 وَأَطْلَقَ أَذْهَانَ الْوَرَى مِنْ قُبُودِهَا
 فَطَارَتْ بِأَفْكَارِ الْعَلَى الْمَجْدِ حُومِ
 وَفَكَ أَسَارَ الْقَوْمِ حَتَّى تَحَفُّزُوا
 نُهوضًا إِلَى الْعَلِيَاءِ مِنْ كُلِّ مَجْشِمِ

وَعَمَّا قَلِيلٍ طَبَقَ الْأَرْضَ حُكْمُهُمْ

بِأَسْرَعٍ مِنْ رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْفَمِ

اللَّهُمَّ رَبِّ قُلُوبِنَا عَلَى مَحَبَّتِكَ وَطَاعَتِكَ وَتُبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَأَغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

- ٢٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْحُثُّ عَلَى الْمَشُورَةِ وَالْأَخْذُ بِهَا مَتَى كَانَتْ صَائِبَةً مُتَّفَقَةً مَعَ الْعَقْلِ
وَالْمَنْطِقِ وَالتَّجْرِبَةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَمُرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ .
- ٢١- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ صِلَاحًا وَتَقْوَى كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .
- ٢٢- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْحُثُّ عَلَى الْعَتَقِ ، وَتَحْرِيرِ الْأَرْقَاءِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَمْلُوكِ .
- ٢٣- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْحُثُّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ وَالضَّيْفِ وَالْمَسْكِينِ وَالْيَتِيمِ .
- ٢٤- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى تَبَادُلِ الْإِلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّصَانِيهِ وَالتَّعَاوُنِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » .

٢٥- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّهُ يَذِمُّ النَّزَاعَ وَالْكَرَاهِيَةَ وَالتَّفْرِقَةَ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » .

٢٦- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ النَّمِيمَةِ وَالغَيْبَةِ ، وَالْحَسَدِ وَالتَّجَسُّسِ ، وَالْكَذِبِ وَالْحِيَانَةِ ، وَالآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا ، فَتَذَكَّرْ لَهَا تَجِدْهَا .

٢٧- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ الظُّلْمِ ، وَالْأَمْرِ بِالْعَدْلِ ، مَعَ الْقَرِيبِ وَالبَعِيدِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ .

٢٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْحُثُّ عَلَى الْعَفْوِ عَنِ الْمُعْتَدِي ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ وَقَالَ : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ .

٢٩- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الدَّعْوَةُ إِلَى الصُّلْحِ بَيْنَ الْأَخْوَيْنِ ، وَالتَّهْيِئَةُ عَنِ الْهُجْرَانِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ .

٣٠- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ التَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ ، وَالتَّبَاعُضِ وَالتَّحَاسُدِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقَاطِعُوا وَلَا تَدَابُرُوا وَلَا تَبَاعِضُوا وَلَا تَحَاسُدُوا » . الْحَدِيثُ .

٣١- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ الْاسْتِهْزَاءِ بِالنَّاسِ ، وَذِكْرِ عُيُوبِهِمْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ ﴾ وَالآيَةُ .

شِعْرًا: إِذَا مَا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرِكْ عُيُوبَهُمْ
فَإِنَّ عِبْتَ قَوْمًا بِالذِّي هُوَ فِيهِمْ
فَلَا عَيْبَ إِلَّا دُونَ مَا مِنْكَ يُذَكَّرُ
فَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مُنْكَرُ

- ٣٢- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ بَيْعِ الْإِنْسَانِ عَلَى بَيْعِ أَحِيهِ ، وَالْخُطْبَةُ عَلَى خِطْبَتِهِ ، إِلَّا أَنْ يَأْذُنُ أَوْ يُرَدَّ ، لِمَا يَنْشَأُ عَنِ ذَلِكَ مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالتَّقَاطُعِ .
- ٣٣- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ مَشْرُوعِيَّةُ السَّلَامِ عَلَى الْمُسْلِمِ ، عَرَفَهُ أَوْ لَمْ يَعْرِفْهُ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْأَمْرُ بِرَدِّ التَّحِيَّةِ بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رَدِّهَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ الْآيَةَ .
- ٣٤- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْأَمْرُ بِالتَّثَبُّتِ فِيمَا نَسَمَعُهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَلَا تَفُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ الْآيَةَ .
- ٣٥- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ الْبُولِ فِي الْمَاءِ الرَّكَدِ ، وَفِي ذَلِكَ الْعِنَايَةُ بِالنَّاحِيَةِ الصَّحِيَّةِ ، وَالْوَقَايَةُ مِنَ النَّجَاسَةِ وَالْأَمْرُ بِإِذْنِ اللَّهِ .
- ٣٦- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ إِبْدَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِضْرَارِ بِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَكَلَ الثُّومَ أَوْ الْبَصَلَ وَالْكَرَّاثَ ، فَلَا يَفْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى بِمَا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » .
- ٣٧- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ الْأَكْلِ بِالشَّمَالِ ، وَالشَّرْبِ بِهَا ، لِأَنَّهَا لِإِزَالَةِ مَا يَسْتَقْدِرُ ، وَلِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ .
- ٣٨- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ جَنَازَةِ الْمُسْلِمِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّرْحِمِ عَلَيْهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَجَبْرِ خَوَاطِرِ أَهْلِهِ الْمُؤْمِنِينَ .
- ٣٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَشْمِيْتُ الْعَاطِسِ ، وَإِبْرَارُ الْمُقْسِمِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّأَلُّفِ وَالتَّأَخِي ، وَالدُّعَاءِ لِأَخِيكَ بِالرَّحْمَةِ ، وَلِمَا فِي إِبْرَارِ الْقَسَمِ مِنْ جَبْرِ خَاطِرِهِ ، وَإِجَابَةِ طَلْبِهِ ، مَا لَمْ يَكُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ .

- ٤٠ - وَمِنْ مَحَاسِنِهِ إِجَابَةُ دَعْوَتِهِ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ لِغُرْسٍ ، وَمَنْ يَكُنْ فِيهَا مَا يُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ ، أَوْ يَجِلُّ بِالْمُرُوءَةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ كَمَا تَرَاهُ الْيَوْمَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ ، لِأَنَّ فِي حُضُورِهِ وَالْحَالَ هَذِهِ تَشْجِيعٌ لِلْفَسَقَةِ وَأَهْلِ الْمَجُونِ ، وَإِعَانَةٌ عَلَى نَشْرِ الْمَعَاصِي ، وَعَدَمُ الْمُبَالَاتَةِ فِيهَا فَإِنْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَى انْكَارِ الْمُنْكَرِ كِإِزَالَةِ التَّلْفِزِيُونِ وَنَحْوِهِ حَضَرَ وَأَزَالَهِ وَإِلَّا أَمْتَنَعَ .
- ٤١ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ حَرَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِ تَرْوِيعَ أُخِيهِ الْمُسْلِمِ ، إِمَّا بِإِخْبَارِهِ بِخَبْرٍ يُفْزِعُهُ ، أَوْ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِسِلَاحٍ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .
- ٤٢ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ نَهَى عَنِ تَشْبِيهِ الرَّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَبِالْعَكْسِ بَأَنَّ تَتَشَبَّهَ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ ، الَّتِي مِنْهَا التَّخَنُّثُ فَيَمُنُّ بِتَشْبِهِهِ بِهِنَّ ، فِي مَلَاسِيهِنَّ وَحَرَكَاتِهِنَّ وَكَلَامِهِنَّ ، كَمَا هُوَ مَوْجُودٌ عِنْدَ بَعْضِ الْمُنْحَلِّينَ ، الْمَغْرُورِينَ أَصْحَابِ الْخَنَافِسِ وَالتَّوَالِيَتَاتِ مَخْلُوقِي اللَّحَا .
- ٤٣ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ اتِّقَاءُ مَوَاضِعِ التُّهْمِ وَالرَّيْبِ ، كَيْ يَصُونَ أَلْسِنَةَ النَّاسِ وَقُلُوبَهُمْ عَنِ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ ، وَوَرَدَ أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْ تَزُورُهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي قَعَامٍ مَعَهَا مُوَدَّعًا ، حَتَّى بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ ، فَرَأَتْ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ : « عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ » . فَقَالَا : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا » . فَهَذَا أَشْرَفُ الْخَلْقِ وَأَرْكَاهُمْ ، وَأَبْعَدُ التُّهْمَةِ وَالشَّكِّ عَنِ نَفْسِهِ . وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَقَامَ نَفْسَهُ مَقَامَ التُّهْمِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنِّ ، وَمَرَّ عُمَرُ بِرَجُلٍ يُكَلِّمُ إِمْرَأَتَهُ عَلَى ظَهْرِ

الطَّرِيقِ ، فَعَلَاهُ وَضَرَبَهُ بِالدُّرَّةِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَا امْرَأَتِي فَقَالَ عُمَرُ : هَلَا كَلَّمْتَهَا حَيْثُ لَا يِرَاكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ .

فَالْإِسْلَامَ مِنْ مَحَاسِنِهِ الْإِبْتِعَادُ عَنْ مَوَاضِعِ التَّهْمِ وَالشُّبُهَاتِ ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَى مَنْ تَدَخَّلَ عَلَى الْحَيَاطِ ، يُفَصِّلُ عَلَى بَدَنِهَا وَحَدَّهَا ، خَالِيًا بِهَا ، أَوْ رَأَى مَنْ تَدَخَّلَ عَلَى الْمُصَوِّرِ وَحَدَّهَا ، أَوْ رَأَى مَنْ تَرَكَبَ مَعَ مَنْ لَيْسَ مُحَرَّمًا لَهَا أَوْ سَافَرَتْ مُسْلِمَةً إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ بِدُونِ مُحَرِّمٍ ، أَوْ دَخَلَتْ عَلَى الدُّكْتُورِ وَحَدَّهَا بِاسْمِ الْكَشْفِ الطَّبِّيِّ ، أَوْ نَحَوَ ذَلِكَ ، مِمَّا حَدَّثَ فِي زَمَانِنَا الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الْفِتَنُ ، وَقَلَّ فِيهِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ، وَرَدَّعُ أَهْلِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ الَّذِينَ قَوَّيَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَسَانَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَكْسَ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ، مِنَ التَّفَكُّكِ وَالتَّخَاذُلِ وَالْمُصَانَعَاتِ ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

أَيَا عُلَمَاءَ الدِّينِ مَالِي أَرَائِكُمْ

تَغَاضَيْتُمْ عَن مُنْكَرَاتِ الْأَوَامِرِ

أَمَّا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ فَرَضُكُمْ

فَأَعْرَضْتُمْ عَن ذَاكَ إِعْرَاضَ هَاجِرٍ

أَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ رَبِّي عَلَيْكُمْ

بِأَنْ تَنْصَحُوا بِالْحَقِّ أَهْلَ الْمَنَاقِرِ

فَإِنْ هُمْ عَصَوْكُمْ فَاهْجُرُوهُمْ وَهَاجِرُوا

تَنَالُوا بِنَصْرِ الدِّينِ أَجْرَ الْمُهَاجِرِ

إِذَا كَانَ هَذَا حَالُ قَاضٍ وَعَالِمٍ

وَحَالِ وَزِيرٍ أَوْ أَمِيرٍ مُظَاهِرٍ

وَلَمْ تَنْهَوْا عَن غِيِّكُمْ فَتَرْقُبُوا
صَوَاعِقَ قَهَّارٍ وَسَطَوَةَ قَاهِرٍ
فَمَا اللَّهُ عَمَّا تَعْمَلُونَ بِغَافِلٍ
وَلَكِنَّهُ يُمْلِي لِطَاغٍ وَفَاجِرٍ
وَقَدْ أَرْسَلَ الْآيَاتِ مِنْهُ مُخَوِّفًا
وَلَكِنِ عَقَلْتُمْ عَنِ سَمَاعِ الزَّوْاجِرِ
أَجِيئُوا عِبَادَ اللَّهِ صَوْتِ مُنَاصِحٍ
دَعَاكُمْ بِصَوْتِ مَالِهِ مِنْ مُنَاصِرٍ
وَقُومُوا سِرَاعًا نَحْوَ نَصْرَةِ دِينِكُمْ
إِذَا رُمْتُمْ فِي الْحَشْرِ غُفْرَانَ غَافِرٍ
وَحُسْنِ خِتَامِ النَّظْمِ أَزْكَى صَلَاتِنَا
عَلَى الْمُصْطَفَى وَالْآلِ أَهْلِ الْمَفَاجِرِ

اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَتَوَزَّرْ قُلُوبِنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَاهْدِنَا سُبُلَ
السَّلَامِ وَبَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَأَغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، اللَّهُمَّ تَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

٤٤ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ابْتُلِيَ بِشَرِّهِ مِنَ الْأَشْرَارِ ، أَوْ فَاجِرٍ مِنَ الْفُجَّارِ ، أَوْ
مُجِبِّ لِلْإِجْرَامِ ، يَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَهُ وَيَبْتَعِدَ عَنْ شَرِّهِ ، وَيُدَارِيهِ وَيَتَجَنَّبَهُ مَا أَمَكَّنَ ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ
: إِنَّا لَنَبْشُ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ ، وَإِنَّ

قُلُوبِنَا لِتَلْعَنَهُمْ ، وَمَعْنَى هَذَا مُدَارَاةُ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ لَا تَقْدِرُ عَلَى رَدِّعِهِمْ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ ،
لِحُؤُفِكَ مِنْ شَرِّهِمْ وَأَذْيَتِهِمْ ، وَإِجْرَامِهِمْ ، وَتُنْكِرُ بِقَلْبِكَ .

٤٥ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْأَمْرُ بِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
كَثِيرَةٌ مُتَظَاهِرَةٌ .

٤٦ - وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْأَمْرُ بِسِتْرِ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعُيُوبِهِمْ وَنَقَائِصِهِمْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ
بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ » . الْحَدِيثُ وَتَقَدَّمَ .

٤٧ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ الْمُسْلِمِ ، وَمُسَاعَدَةُ الْمُحْتَاجِ ، قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وَقَالَ : « وَمَنْ
كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ » .

٤٨ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَوْقِيرُ الْمُسْلِمِ ، وَلَا سِيَّمَا ذِي الشَّيْبَةِ ، وَرَحْمَةُ الصَّبِيَّانِ ، قَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِّرْ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
: « إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ » . الْحَدِيثُ .

٤٩ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ النَّهْيُ عَنِ الْفُحْشِ ، وَبَدَاءَةِ اللِّسَانِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ، وَلَا اللَّعَّانِ ، وَلَا الْفَاحِشِ ، وَلَا الْبَدِيءِ » .

٥٠ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ النَّهْيُ عَنِ التَّكْلُمِ سِرًّا بَيْنَ اثْنَيْنِ ، مَعَ وُجُودِ ثَالِثٍ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ
ذَلِكَ يُحْزِنُ الثَّلَاثَ ، فَيَظُنُّ أَنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ بِهِ ، فَهَذَا يُنَافِي الْأَدَبَ ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ أَنْ
تَتَحَدَّثَ بِلُغَةٍ أَجَنَبِيَّةٍ ، إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَنْ لَا

يَعْرِفُهَا ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخِرِ ، حَتَّى تَحْتَلِطُوا بِالنَّاسِ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ يُجْزِئُهُ » .

٥١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنْ يَتَدَخَّلَ الْإِنْسَانُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ، وَهَذِهِ مِنْ حَوَامِعِ كَلِمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » . أَخَذَهُ بَعْضُهُمْ وَصَاغَهُ بِعِبَارَةٍ : (ابْحَثْ عَنْ عَمَلِكَ الْخَاصِّ) . وَلَوْ تَتَّبَعَ الْمُسْلِمُونَ إِرْشَادَاتِ نَبِيِّهِمْ ، وَنَصَائِحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لاسْتَرَاخُوا وَأَرَاخُوا غَيْرَهُمْ ، وَلَوْ تَتَّبَعَتْ أَكْثَرَ الْمَشَاكِلِ ، وَالْمُنَازَعَاتِ وَالْمَخَاصِمَاتِ وَالْمُجَادَلَاتِ ، لَوَجَدْتَ سَبَبَهَا الْوَحِيدَ التَّدْخُلُ فِيمَا لَا يَعْنِي .

٥٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ وَالتَّحْذِيرُ عَنِ الْجُلُوسِ فِي الطَّرِيقَاتِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ التَّعَرُّضِ لِمَا لَا يَنْبَغِي ، وَلِمَا يَلْزَمُ الْإِنْسَانَ الْقِيَامَ بِهِ وَرُبَّمَا لَمْ يَقُمْ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ ، وَرَدِّ الظَّالِمِ ، وَذَلِكَ نَصْرُهُ ، وَإِعَانَةُ الْمُسْلِمِ ، وَغَضُّ الْبَصْرِ وَرَدُّ السَّلَامِ ، وَكَفِّ الْأَذَى .

٥٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّ مَنْ اسْتَعَاذَنَا بِاللَّهِ عَلَيْنَا أَنْ نُعِيدَهُ وَأَنْ مَنْ سَأَلَنَا بِاللَّهِ نُعْطِيَهُ ، وَنُكَافِي مَنْ صَنَعَ إِلَيْنَا مَعْرُوفًا إِنْ اسْتَطَعْنَا ، فَإِنْ لَمْ نَسْتَطِعْ نَدْعُو لَهُ أَنْ يَجْزِيَهُ اللَّهُ جَزَاءً حَسَنًا ، عَلَى مَا أَسَدَاهُ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ ، عَمَلًا بِالْحَدِيثِ « مَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ » . الْحَدِيثِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَبْتَ ، وَإِذَا سُئِلَتْ بِهِ أُعْطِيَتْ ، وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ ، يَا مَنْ عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهُ الرَّقَابُ ،

وَحَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا مَالِكَ الْمُلْكِ يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ، يَا مَنْ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْعُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ، نَسَأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ سَيِّئَاتِنَا وَتُبَدِّلَهَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَجْوَدَ الْأَجْوَدِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

٥٤ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنْ تُنْصِفَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَتَضَعَنَّ نَفْسَكَ مَوْضِعَ إِخْوَانِكَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتُعَامِلَهُمُ الْمُعَامَلَةَ الَّتِي تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهَا ، وَتُوَدِّيَ حُقُوقَهُمْ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((لَا يَسْتَكْمِلُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ حِصَالٍ ، الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَبَدَلُ السَّلَامِ)) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَعَامُ الْإِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ » . إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ . وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ : « وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ » . فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٥٥ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ ، وَأَخْلَاقِهِ السَّامِيَةِ ، أَنْ يَصُونَ الْإِنْسَانُ عَرَضَ أَحِيهِ الْمُسْلِمِ ، وَنَفْسَهُ وَمَالَهُ ، مِنْ ظُلْمٍ أَصَابَهُ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ ، وَيُرِدَّ عَنْهُ الظُّلْمَ وَالْعِدْوَانَ ، وَيُدَافِعَ وَيُنَاضِلَ عَنْهُ حَسَبَ قُدْرَتِهِ ، فَرَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْ رَجُلٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَرَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ » . وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

٥٦- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْأَمْرُ بِالتَّوَسُّطِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْإِسْرَافِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَعُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ بَيْنَ تَبْدِيرٍ وَبُخْلِ رُتْبَةً وَكِلَا هَآذِنِ إِنْ زَادَ قَتْلًا .

٥٧- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْحُثُّ عَلَى الصَّبْرِ بِأَنْوَاعِهِ الثَّلَاثَةِ الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا ، وَالصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَتْرُكَهَا ، وَالصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ .

٥٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْعَطْفُ عَلَى الضُّعْفَاءِ ، وَالشَّفَقَةُ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَالرَّأْفَةُ بِالْيَتَامَى ، وَالْحَدْمُ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ ، وَدَفْعُ الْأَذَى عَنْهُمْ ، وَحُسْنُ مُعَامَلَتِهِمْ ، وَالتَّوَاضُّعُ مَعَهُمْ ، وَمُلاطَفَتِهِمْ وَخَفْضُ الْجَنَاحِ لَهُمْ ، وَلِئِنْ الْجَانِبِ مَعَهُمْ ، قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وَقَالَ : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ وَقَالَ : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ وَقَالَ : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾ الْآيَةَ .

٥٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الرَّأْفَةُ ، وَالرَّحْمَةُ ، وَالشَّفَقَةُ ، لَا الْقَسْوَةُ

وَالْغُلْظَةُ وَالتَّعْدِيبُ ، حَتَّى فِي حَقِّ الْحَيَوَانَاتِ الْبَهِيمِيَّةِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « عُدَّ بَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتَهَا حَتَّى مَاتَتْ ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
 وَرَوَى الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا مَرْفُوعاً : « أَنَّ رَجُلًا دَنَا مِنْ بئرٍ فَنَزَلَ وَشَرِبَ مِنْهَا ، وَعَلَى الْبئرِ كَلْبٌ يَلْهَثُ مِنَ الْعَطَشِ ، فَرَحِمَهُ فَنَزَعَ أَحَدَ خُفَيْهِ فَسَقَاهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » .
 وَرَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى جِمَارٍ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ : « لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ » .

شِعْرًا :

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي كَسَبَ الدُّنُوبَا
 وَصَدَّدْتُهُ الْأَمَانِي أَنْ يُتُوبَا
 أَمَا الْعَبْدُ الَّذِي أَضْحَى حَزِينًا
 عَلَي زَلَاتِهِ فَلَقَا كَيْبَا
 أَمَا الْعَبْدُ الَّذِي سَطَرَتْ عَلَيْهِ
 صَحَائِفُ لَمْ يَخَفْ فِيهَا الرَّقِيبَا
 أَمَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ عَصَيْتُ سِرًّا
 فَمَا لِي الْآنَ لَا أُبْدِي النَّحِيَا
 أَمَا الْعَبْدُ الْمُفَرِّطُ ضَاعَ عُمْرِي
 فَلَمْ أَنْعِ الشَّيْبَةَ وَالْمَشِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الْغَرِيقُ بِلُحِّ بَحْرِ
أَصْرِيحُ لِرَبِّمَّا أَلْقَى مُجِيًّا
أَنَا الْعَبْدُ السَّقِيمُ مِنَ الْخَطَايَا
وَقَدْ أَقْبَلْتُ التَّمَسُّ الطَّبِيًّا
أَنَا الْعَبْدُ الْمُخَلَّفُ عَنْ أَنْاسِ
حَوُوا مِنْ كُلِّ مَعْرُوفٍ نَصِيًّا
أَنَا الْعَبْدُ الشَّرِيدُ ظَلَمْتُ نَفْسِي
وَقَدْ وَافَيْتُ بِأَبْكُمْ مُيًّا
أَنَا الْعَبْدُ الْفَقِيرُ مَدَدْتُ كَفِّي
إِلَيْكُمْ فَادْفَعُوا عَنِّي الْخُطُوبَا
أَنَا الْغَدَارُكُمْ عَاهَدْتُ عَهْدًا
وَكُنْتُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ كَذُوبَا
أَنَا الْمَقْطُوعُ فَارْحَمْنِي وَصَلْنِي
وَيَسِّرْ مِنْكَ لِي فَرَجًا قَرِيًّا
أَنَا الْمُضْطَرُّ أَرْجُو مِنْكَ عَفْوَاً
وَمَنْ يَرْجُو رِضَاكَ فَلَنْ يَخِيًّا
فِيَا أَسْفِي عَلَى عُمْرٍ تَقْضِي
وَلَمْ أَكْسِبْ بِهِ إِلَّا الْكُذُوبَا
وَأَحْذَرُ أَنْ يُعَاجِلْنِي مَمَاتُ
يُخَيِّرُ هَوْلُ مَصْرَعِهِ اللَّيِّبَا

وَيَا حُزْنَاهُ مِنْ حَشْرِي وَنَشْرِي
 يَوْمَ يَجْعَلُ الْوَلْدَانَ شَيْئًا
 تَفْطَرَتِ السَّمَاءُ بِهِ وَمَارَتْ
 وَأَصْصَبَتْ الْجِبَالَ بِهِ كَثِيرًا
 إِذَا مَا قُمْتُ حَيْرَانًا ظَمِيمًا
 حَسِيرَ الطَّرْفِ عُرْيَانًا سَلِيمًا
 وَيَا خَجْلَاهُ مِنْ قُبْحِ اكْتِسَابِي
 إِذَا مَا أَبَدَتِ الصُّحُفُ الْعُيُوبَا
 وَذَلَّلَتْهُ مَوْقِفِي وَحَسَابِ عَدْلِي
 أَكُونُ بِهِ عَلَى نَفْسِي حَسِيمًا
 وَيَا حَذْرَاهُ مِنْ نَارِ تَلْظِي
 إِذَا زَفَرَتْ وَأَقْلَقَتِ الْقُلُوبَا
 تَكَادُ إِذَا بَدَتْ تَنْشَقُّ غَيْظًا
 عَلَى مَنْ كَانَ ظَلَامًا مُرِييًا
 فَيَا مَنْ مَدَّ فِي كَسْبِ الْخَطَايَا
 خُطَاهُ أَمَا يَأْنِي لَكَ أَنْ تَتُوبَا
 أَلَا فَافْلِعْ وَثُبْ وَاجْهَدْ فَيَّنَّا
 رَأَيْنَا كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِييًا
 وَأَقْبَلَ صَادِقًا فِي الْعَزْمِ وَأَقْصَدَ
 جَنَابًا لِلْمُنِيبِ لَهُ رَحِيمًا
 وَكُنْ لِلصَّالِحِينَ أَخًا وَخَلَا

وَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرِيبًا
 وَكُنْ عَنِ كُلِّ فَاحِشَةٍ جَبَانًا
 وَكُنْ فِي الْخَيْرِ مَقْدَامًا نَجِيبًا
 وَلَا حِطَّ زِينَةُ الدُّنْيَا بِبُغْضِ
 تَكُنْ عَبْدًا إِلَى الْمَوْلَى حَبِيبًا
 فَمَنْ يَخْبُرُ زَخَارِفَهَا يَجِدُهَا
 مُخَالِبَةً لِطَالِبِهَا خَلُوبًا
 وَعُضٌّ عَنِ الْمَحَارِمِ مِنْكَ طَرْفًا
 طَمُوحًا يَفْتِنُ الرَّجُلَ الْأَرِيبًا
 فَخَائِنَةُ الْعُيُونِ كَأَسَدِ غَابِ
 إِذَا مَا أَهْمَلْتَ وَتَبَّتَ وَثُوبًا
 وَمَنْ يَعْضُضُ فُضُولَ الطَّرْفِ عَنْهَا
 يَجِدُ فِي قَلْبِهِ رُوحًا وَطِيبًا
 وَلَا تُطْلِقْ لِسَانَكَ فِي كَلَامِ
 يَجْرُ عَلَيْكَ أَحَقَّادًا وَحُوبًا
 وَلَا يَبْرَحْ لِسَانَكَ كُلَّ وَقْتِ
 بِذِكْرِ اللَّهِ رِيَانًا رَطِيبًا
 وَصَلِّ إِذَا الدُّجَى أَرْخَى سُدُولًا
 وَلَا تَضْجُرْ بِهِ وَتَكُنْ هَيُوبًا
 تَجِدُ أَنْسًا إِذَا أُودِعْتَ قَبْرًا
 وَفَارَقْتَ الْمَعَاشِ رُ وَالنَّسِيْبَا

وَصُمْ مَا تَسْتَطِيعُ تَجِدُهُ رِيًّا
 إِذَا مَا قُمْتَ ظَمَانًا سَغِيًّا
 وَكُنْ مُتَصَدِّقًا سِرًّا وَجَهْرًا
 وَلَا تَبْخُلْ وَكُنْ سَمْحًا وَهُوًّا
 تَجِدْ مَا قَدَّمْتَهُ يَدَاكَ ظِلًّا
 إِذَا مَا اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْكُرُوبًا
 وَكُنْ حَسَنَ السَّجَايَا وَذَا حَيَاءٍ
 طَلِيقَ الْوَجْهِ لَا شَكْسًا غَضُوبًا

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنِ مَعَاصِيكَ ، وَأَرشِدْنَا بِرُشْدِكَ إِلَى السَّعْيِ فِيمَا يُرْضِيكَ وَأَجْرْنَا يَا
 مَوْلَانَا مِنْ حَزْبِكَ وَعَذَابِكَ ، وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
 الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

٦٠ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ مِرَاعَاةُ الْحِكْمَةِ ، وَذَلِكَ أَنْ نَضَعَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَنْزِلَتِهِ
 ، وَنُرَاعِيَ كَرَامَتَهُ وَشُعُورَهُ وَنَجْعَلَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ .
 عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » .
 رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَرُوي أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ مُسَافِرَةً فَنَزَلَتْ مَنْزِلًا تَسْتَرِيحُ فِيهِ وَتَتَنَاوَلُ
 طَعَامَهَا فَجَاءَ سَائِلٌ فَقَبِيرٌ

فَقَالَتْ : نَاولُوا هَذَا الْمِسْكِينَ قُرْصاً ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ يَزْكُبُ فَرَساً ، فَقَالَتْ : ادْعُوهُ إِلَى الطَّعَامِ .
فَقِيلَ لَهَا : لِمَ إِذَا تَعَطَيْنَ الْمِسْكِينَ قُرْصاً ، وَتَدْعِينَ هَذَا الْعَنِيَّ إِلَى الطَّعَامِ ، فَأَجَابَتْ إِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَنْزَلَ النَّاسَ مَنَازِلَ لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نُزْنَهُمْ تِلْكَ الْمَنَازِلَ ، هَذَا الْمِسْكِينُ يَرْضَى بِقُرْصٍ ،
وَقَبِيحٌ بِنَا أَنْ نُعْطِيَ هَذَا الْعَنِيَّ - وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ - قُرْصاً . فَرَحِمَهَا اللَّهُ مَا أَحْسَنَ هَذَا مِنْ
جَوَابٍ رَدَّ دَلَّ عَلَى الْحِكْمَةِ ، وَحُسْنِ الدُّوقِ ، وَنُبْلِ الْخُلُقِ ، وَكَرَمِ الْمُعَامَلَةِ ، وَالْإِقْتِدَاءِ التَّامِ
بِإِرْشَادَاتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَرُوي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ بَيْتاً مِنْ بُيُوتِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ حَتَّى
امْتَلَأَ الْمَجْلِسُ ، فَجَاءَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ ، فَلَمْ يَجِدْ مَكَاناً فَفَعَدَ عَلَى الْبَابِ فَلَفَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِدَاءَهُ وَقَدَّمَهُ إِلَيْهِ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : « اجْلِسْ عَلَى هَذَا
» . فَأَخَذَ جَرِيرُ الرِّدَاءَ ، وَوَضَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَجَعَلَ يُقَبِّلُهُ وَيَبْكِي ، مُتَأَثِّراً مِنْ إِكْرَامِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ ، ثُمَّ لَفَّهُ وَرَدَّهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاكِراً مُقَدِّراً ، وَقَالَ : مَا
كُنْتُ لِأَجْلِسَ عَلَى ثَوْبِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْرَمَكَ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمَا أَكْرَمْتَنِي ، فَنَظَرَ
الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِيناً وَشِمَالاً ثُمَّ قَالَ : « إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ » .
فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ الْجَمِيلَةِ ، تَجِدِ الْمَثَلَ الْكَامِلَ فِي مُعَامَلَةِ الرَّسُولِ لَهُ ، حَيْثُ رَاعَى شُعُورَ
جَرِيرٍ وَأَكْرَمَهُ ، وَكَيْفَ تَأَثَّرَ جَرِيرٌ بِهَذِهِ الْمُعَامَلَةِ الْكَرِيمَةِ النَّبِيلَةِ اللَّطِيفَةِ .

٦١ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ أُثْبِتَ لِلزَّوْجَاتِ عَلَى الْأَزْوَاجِ حُقُوقاً مِثْلُ

الْحُقُوقِ الَّتِي لِلرِّجَالِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ ، وَتَرْكِ الْإِضْرَارِ ، وَجَعَلُ ﴿ وَاللرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ أَي فِي الْفَضِيلَةِ فِي الْخُلُقِ وَالْمَنْزِلَةِ ، وَطَاعَةِ الْأَمْرِ ، وَالْإِنْفَاقِ ، وَأَدَاءِ الْمَهْرِ ، وَالْقِيَامِ بِالْمَصَالِحِ ، وَالْفَضْلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

٦٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْمَرْأَةَ عِنْدَ بَعْضِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُعَدُّ جُزْأً مِنْ ثَرْوَةِ أَبِيهَا أَوْ زَوْجِهَا ، وَكَانَ ابْنُ الرَّجُلِ يَرِثُ أَرْمَلَةَ أَبِيهِ بَعْدَ وَفَاتِهَا ، وَكَانَ الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ يَرِثُونَ النِّسَاءَ كُرْهًا ، بَأَنَّ يَأْتِي الْوَارِثُ وَيُلْقِي ثَوْبَهُ عَلَى زَوْجَةِ أَبِيهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : وَرِثْتُهَا كَمَا وَرِثْتُ مَالَ أَبِي ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا تَزَوَّجَهَا بِدُونِ مَهْرٍ ، أَوْ زَوَّجَهَا لِأَحَدٍ مِنْ عِنْدِهِ وَتَسَلَّمَ مَهْرَهَا مِمَّنْ يَتَزَوَّجُهَا ، أَوْ حَرَّمَ عَلَيْهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ كَيْ يَرِثَهَا ، فَمَنْعَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ هَذَا الظُّلْمَ وَهَذَا الْإِثْرَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا ﴾ وَكَانَ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَمْنَعُونَ النِّسَاءَ مِنَ الزَّوْجِ ، فَلَا ابْنَ الْوَارِثِ كَانَ يَمْنَعُ زَوْجَةَ أَبِيهِ مِنَ الزَّوْجِ ، كَيْ تُعْطِيَهُ مَا أَخَذَتْهُ مِنْ مِيرَاثِ أَبِيهِ ، وَالْأَبُ يَمْنَعُ ابْنَتَهُ مِنَ التَّرُوجِ حَتَّى تَتْرَكَ لَهُ مَا تَمْلِكُهُ ، وَالرَّجُلُ يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ وَيَمْنَعُهَا مِنَ الزَّوْجِ ، حَتَّى يَأْخُذَ مِنْهَا مَا يَشَاءُ . وَالزَّوْجُ الْمُبْغِضُ لِزَوْجَتِهِ يُسِيءُ عِشْرَتَهَا ، وَيَمْلِكُهَا ، وَلَا يُطَلِّقُهَا حَتَّى تَرُدَّ إِلَيْهِ مَهْرَهَا ، فَالْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ يَظْلِمُونَ الْمَرْأَةَ وَيَتَحَكَّمُونَ فِيهَا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ وَكَانُوا لَا يَعْدِلُونَ بَيْنَ النِّسَاءِ فِي النِّفَقَةِ وَالْكِسْوَةِ وَالْمُعَاشِرَةِ ، فَأَمَرَ الْإِسْلَامُ بِالْعَدَالَةِ بَيْنَهُنَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ الْآيَةَ ، وَقَالَ : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴾ وَقَالَ فِي نَاحِيَةِ الدِّينِ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْسَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

وَفِي نَاحِيَةِ الْأَهْلِيَّةِ وَالْمُلْكِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ .

وَحَسِبُ الْإِسْلَامَ مَا كَفَلَ لِلْمَرْأَةِ مِنْ مُسَاوَاةٍ دِينِيَّةٍ ، وَمِنْ مُسَاوَاةٍ فِي التَّمْلِكِ وَالْكَسْبِ ، وَمَا حَقَّقَ لَهَا مِنْ ضَمَانَاتٍ فِي الزَّوْجِ بِإِدْخَالِهَا وَرِضَاهَا دُونَ إِكْرَاهٍ وَلَا إِهْمَالٍ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُنْكَحُ الثَّيْبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ ، وَإِذْنُهَا الصُّمُوتُ » . وَفِي مَهْرِهَا قَالَ : ﴿ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ .

٦٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْعَرَبَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ يَمْدُونَ الْبَنَاتِ ، وَيَدْفِنُونَهُنَّ وَهُنَّ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ خَوْفًا مِنَ الْعَارِ ، يُهْلُ عَلَى ابْنَتِهِ الثَّرَابَ حَتَّى تَمُوتَ ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَحَرَّمَ وَأَدْهَنَ وَقَتَّلَهُنَّ تَحْرِيمًا قَاطِعًا ، وَمَنْحَهُنَّ الْحَقَّ فِي الْحَيَاةِ ، وَبِهَذَا أَنْصَفَ الْإِسْلَامُ الْمَرْأَةَ كُلَّ الْإِنْصَافِ وَحَافِظًا عَلَى حَيَاتِهَا وَحُقُوقِهَا الْإِنْسَانِيَّةِ .

اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَعَلَبَةِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَزَيِّنْهَا بِمَحَبَّتِكَ وَجَمِّلْ أَلْسِنَتَنَا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسِّنْ أَعْمَالَنَا وَوَفِّقْنَا لِحِفْظِ أَوْقَاتِنَا وَأَحْيِينَا حَيَاةً طَيِّبَةً وَتَوَفِّقْنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

فصل ٦٤ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ إِبْطَالُ الْكِهَانَةِ وَتَحْرِيمُهَا ، وَتَحْرِيمُ زَجْرِ الطَّيْرِ ،

وَتَحْرِيمِ الْمَيْسِرِ ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْقِمَارِ ، وَمِنْهَا الْأَزْلَامُ وَالْبَحِيرَةُ وَالسَّائِبَةُ وَالْوَصِيلَةُ وَالْحَامِي .
 ٦٥- وَمِنْهَا رَمِي الْبَعْرَةَ ، كَانَتْ الْمَرْأَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا مَاتَ زَوْجُهَا دَخَلَتْ حُشِفًا وَلَبَسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا ، وَلَمْ تَمَسَّ طَيِّبًا حَتَّى تَمْضِيَ عَلَيْهَا سَنَةً ، ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَةِ حِمَارٍ أَوْ طَيْرٍ أَوْ شَاةٍ فَتَفْتَضُّ بِهِ فَقَلَمًا تَفْتَضُّ بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ ، ثُمَّ تَخْرُجُ بَعْدَ ذَلِكَ فَتُعْطَى بَعْرَةً فَتَرْمِي بِهَا ثُمَّ تُرَاجِعُ مَا شَاءَتْ .

٦٦- وَمِنْهَا قَتْلُ الْأَوْلَادِ خَشِيَةَ الْفَقْرِ ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَفْتُلُ وَلَدَهُ خَشِيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَهُ إِلَى أَنْ نَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ .

٦٧- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ حَوَّلَ الْوَثْنِيَّ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْكَفَّارَ إِلَى مُؤْمِنِينَ صَالِحِينَ ، أَنْبِيَاءَ زُهَادًا وَرِعِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ ، وَيَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَيَقْفُونَ بِجَانِبِ الْحَقِّ ، لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

٦٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَحْرِيمُ الْعَدْرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ؟ وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرُهُ فَلَانُ » . وَقَالَ : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ خَالِصًا » وَعَدَّ مِنْهَا : « وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ » . وَقَالَ : « يَقُولُ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَثْمَانٍ خَصَمْتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ » . الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

٦٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَثُّ عَلَى الْعَمَلِ ، وَكَسْبِ الرِّزْقِ ، وَتَرْكِ الْكَسَلِ ، وَسُؤَالَ النَّاسِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ ، فَالْإِسْلَامُ دِينُ سَعْيٍ

وَعَمَلٍ وَاجْتِهَادٍ ، لا دِينَ كَسَلٍ وَعَجْزٍ وَتَوَانٍ ، دِينَ يُحَافِظُ عَلَى الْعِزَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَالْكَرَامَةِ الشَّخْصِيَّةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ وَيَحْتُّ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الْعَمَلِ لِلدُّنْيَا وَالْدُّنْيَا ، فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ ، وَيَقُولُ : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ .

٧٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْقَصْدُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ وَعَنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ مَعْدِي كَرِبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لَقِيمَاتٍ يُقَمِّنُ صُلْبَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَاعِلًا فُتِلَتْ لَطْعَامِهِ ، وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ » . أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ .

٧١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ النَّهْيُ عَنِ الْمُطَاوَلَةِ فِي الْحُقُوقِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَطْلُ الْعَيْ ظُلْمٌ ، وَإِذَا اتَّبَعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَبْغِ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ .

٧٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْأَمْرُ بِإِنظَارِ الْمُعْسِرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا ، قَالَ لِفَتِيَانِهِ : تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا ، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ » .

٧٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ النَّهْيُ عَنِ الرِّشْوَةِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ فِي الْحُكْمِ » .
 رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَوَرَدَ : « لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ ، وَالرَّائِشُ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا » .
 ٧٤- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْحُثُّ عَلَى إِقَالَةِ النَّادِمِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ
 وَالْمَعْرُوفِ وَجَبْرِ خَاطِرِهِ ، فَفِي الْحَدِيثِ : « مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ » . وَفِي رِوَايَةٍ : «
 مِنْ أَقَالَ نَادِمًا أَقَالَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وَصَلَّى .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ
 وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

٧٥- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بَدَلُ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَلِلْأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ،
 وَعَامَّتِهِمْ . فَالنَّصِيحَةُ لِلَّهِ الْإِيمَانُ بِهِ ، وَنَفْيُ الشَّرِيكِ عَنْهُ ، وَتَرْكُ الْإِلْحَادِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ،
 وَوَصْفِهِ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ ، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ ، وَطَاعَةُ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ ،
 وَمُؤَالَاةِ مَنْ أَطَاعَهُ ، وَمُعَادَاةِ مَنْ عَصَاهُ ، وَعَبْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ لَهُ ، وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ ،
 فَالْإِيمَانُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، وَتَحْلِيلُ مَا حَلَّلَهُ ، وَتَحْرِيمُ مَا حَرَّمَ ، وَالْإِهْتِدَاءُ بِهَدْيِهِ
 وَالتَّدْبِيرُ لِمَعَانِيهِ ، وَالْقِيَامُ بِخُفُوقِهِ ، وَالْإِتِّعَاطُ بِمَوَاعِظِهِ ، وَالْإِعْتِبَارُ بِزَوَاجِرِهِ ، وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِرَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَصَدِيقُهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ وَحُبُّهُ ، وَتَقْدِيمُهُ فِيهَا عَلَى النَّفْسِ وَالْمَالِ
 وَالْوَالِدِ ، وَتَوْقِيرُهُ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَمَعْرِفَةُ سُنَّتِهِ وَنَشْرُهَا وَالْعَمَلُ بِهَا ، وَتَقْدِيمُ قَوْلِهِ عَلَى قَوْلِ كُلِّ أَحَدٍ
 كَائِنًا مَا كَانَ ، وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَهِيَ إِعَانَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ ، وَأَمْرُهُمْ
 بِهِ ، وَتَذَكِيرُهُمْ بِجَوَائِحِ الْعِبَادِ وَنُصْحُهُمْ بِرَفْقٍ وَلِينٍ وَعَدْلٍ وَاعْتِقَادُ وَلَايَتِهِمْ وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَهُمْ
 فِي غَيْرِ

مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَحَثُّ النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ ، وَبَدْلُ مَا تَسْتَطِيعُهُ مِنْ إِرْشَادِهِمْ وَتَنْبِيهِهِمْ إِلَى مَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَنْفَعُ النَّاسَ وَالْقِيَامُ بِوَاجِبِهِمْ ، وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَهِيَ إِرْشَادُهُمْ لِمَصَالِحِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ ، وَتَعْلِيمُهُمْ مَا جَهِلُوا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ وَأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ ، وَيَسْعَى فِي ذَلِكَ حَسَبَ الْإِمْكَانِ .

٧٦- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنِ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الرَّحِمُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعٌ رَحِمٍ » .

٧٧- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنِ التَّشَدُّدِ فِي الدِّينِ ، وَعَنْ الزُّهْدِ فِي الطَّيِّبَاتِ ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ الْيُسْرِ وَالسُّهُولَةِ وَالِاعْتِدَالِ ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا ، فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا فَأَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : وَأَنَا أَعْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا . فَجَاءَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا ، وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمُ لَهُ ، وَلِكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي » . رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

قصيدة في غربة الإسلام :

أَقُولُ وَأَوْلَى مَا يُرَى فِي الدَّفَاتِرِ
وَأَحْسَنُ فَيْضاً مِنْ عُيُونِ الْمَحَابِرِ
هُوَ الْحَمْدُ لِلْمَعْبُودِ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ
تَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِ الْعُوَاةِ الْغَوَادِرِ
وَجَلَّ عَنْ الْأَنْدَادِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وَعَنْ شَافِعٍ فِي الْإِبْتِدَاءِ أَوْ مُوَازِرِ
وَصَلَّى عَلَيَّ مَنْ قَامَ لِلَّهِ دَاعِياً
وَشَهِدَ أَعْلَامَ الْهُدَى وَالشَّعَائِرِ
وَأَوْضَحَ دِينَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا سَفَتْ
عَلَيْهِ السَّوَافِي فِي الْقُرَى وَالْجَزَائِرِ
وَعَادَا وَوَالَى فِي رِضَى اللَّهِ قَوْمَهُ
وَلَمْ يَنْتَهَ عَنْ ذَلِكَ صَوْلَةٌ قَاهِرِ
مُحَمَّدُ الْمُبْعُوثُ لِلنَّاسِ رَحْمَةً
نَذَارَتُهُ مَقْرُونَةٌ بِالْبَشَائِرِ
وَبَعْدُ فَإِنْ تَعَجَّبَ لِخَطْبِ تَبَلَّتْ
لِقَادِحِهِ أَهْلُ التُّهَى وَالْبَصَائِرِ
فَلَا عَجَبًا يَوْمَ مِنَ الدَّهْرِ مِثْلَ مَا
أَنَاخَ بِنَا مِنْ كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا غُرْبَةُ الدِّينِ يَا لَهَا
مُصِيبَةٌ قَوْمٍ مِنْ عِظَامِ الْفَوَاقِرِ

تَرَى أَهْلَهُ مُسْتَضْعَفِينَ أَدْلَةً
فَمَا بَيْنَ طَعَانٍ عَلَيْهِمْ وَنَافِرٍ
وَمُسْتَهْزِئٍ مِنْهُمْ فَيَنْغِضُ رَأْسَهُ
وَيَرْمِيهِمْ شَرَّ الْعُيُونِ النَّوَاضِرِ
وَعَادَاهُمْ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ وَالْحِجَى
وَكُلُّ خَلِيلٍ أَوْ قَرِيبٍ مُصَاهِرٍ
فَمَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ وَقَذْفٍ وَغِيْبَةٍ
وَتَنْقِصُصُهُمْ فِي كُلِّ نَادٍ لِفَاجِرٍ
وَأَعْيُنُهُمْ فِي فِعْلٍ ذَاكَ قَرِيبَةٌ
فَمَنْ صَامَتْ فِي فِعْلِهِ أَوْ مُجَاهِرٍ
وَمَنْ قَامَ بِالْإِنْكَارِ فَهُوَ مُشَدَّدٌ
يَكَادُونَ أَنْ يُبْدُوهُ فَوْقَ الْمَنَابِرِ
فَإِنْ يَحْكُمُوا بِالسُّوْطِ ضَرْبًا فَإِنْ يَكُنْ
رُجُوعٌ وَإِلَّا بِالضُّبَابِ وَالْخَنَاجِرِ
وَأَصْبَحَ ذُو الْإِيْمَانِ فِيهِمْ كَقَابِضٍ
عَلَى الْجَمْرِ أَوْ فِي الْجَنْبِ صَلِي الْمَجَامِرِ
وَإِخْوَانُهُ النَّزَاعُ فِي كُلِّ قَرِيبَةٍ
لَدَى أَهْلِهَا فِي ذُلِّهِمْ كَالْأَصَاغِرِ
وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا ثَبَاتًا مَعَ الرِّضَى
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ لِلْمُهَيِّمِينَ شَاكِرِ
فَأَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ عُصْبَةِ الْحَقِّ إِنَّهُمْ

لِحِفْظِ نُصُوصِ الدِّينِ أَهْلُ تَنَاصُرٍ
إِذَا مَا بَدَا نَصَّ الْكِتَابِ وَسُنَّةِ
تَنَادَوْا عِبَادَ اللَّهِ هَلْ مِنْ مُثَابِرِ
وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالتَّوَجُّدِ فَاهْتَدَوْا
وَمَا رَغِبُوا عَنْهَا لِخِرْصِ الْحَوَاطِرِ
عَلَيْكَ بِهَاتِيكَ الصِّفَاتِ مُنَافِسًا
فَلِلَّهِ مَا أَسْنَا سَنَاهَا لِسَائِرِ
هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْتِيهِمْ عَنْ مُرَادِهِمْ
مَلَامَةٌ لُؤَامٍ وَخُذْلَانُ نَاصِرِ
بِنَفْسِي فَتَى مَا زَالَ يَذَابُ دَائِمًا
إِلَى رَبِّهِ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مُهَاجِرِ
مُكَبِّأً عَلَى أَيِّ الْكِتَابِ وَدَرَسِهِ
بِقَلْبِ حَزِينٍ عِنْدَ تِلْكَ الزَّوَاجِرِ
فِيَا لَيْتَنِي أَلْقَاهُ يَوْمًا لَعَلَّهُ
يُخَبِّرُنِي عَمَّا حَوَى فِي الصَّمَائِرِ
وَنَزَفَعُ أَيَّدِينَا إِلَى اللَّهِ بِالْإِدْعَا
لِنُصْرَ دِينَ الْمُصْطَفَى ذِي الْمَفَاحِرِ
وَيُنْصُرَ أَحْزَابَ الشَّرِيعَةِ وَالْهَدَى
وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ مِنْ كُلِّ فَاجِرِ
فَآهِ عَلَى تَفْرِيقِ شَمْلٍ فَهَلْ لِمَا
مَضَى عَوْدَةٌ نَحْوَ السِّنِينَ الْعَوَابِرِ

عَسَى نَصْرَةٌ لِلدِّينِ تَجْمَعُ شَمْلَنَا
 تَقْرُبُ بِهَا مِمَّا تَرَى عَيْنٌ نَاطِرٍ
 فَيَرْتَاحُ أَهْلُ الدِّينِ فِيهَا أَعِزَّةً
 وَأَعْدَاؤُهُ تَحْتَ الْقَمَا وَالْحَوَافِرِ
 وَأَخْتِمُ نَظْمِي بِالصَّلَاةِ مُسَلِّمًا
 مَدَى الدَّهْرِ مَا نَاصَتْ بُرُوقُ المَوَاطِرِ
 عَلَى أَحْمَدٍ وَالآلِ وَالصَّحْبِ الَّذِي
 لَهُمْ تَابِعٌ يَسْعَى بِفِعْلِ الأَمْرِ

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا إِلَى النَّارِ مَصِيرَنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا
 مَنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَالجَمِيعِ .
 اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوَقِّفْنَا لِشُكْرِكَ وَذَكَرِكَ وَارزُقْنَا التَّاهِبَ وَالاسْتِعْدَادَ لِلقَائِكَ
 وَاجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَالجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

٧٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ التَّرْغِيبُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الخَيْرِ ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ
 عَنِ المُنْكَرِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ دَعَا إِلَى
 هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا
 إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ اتَّبَعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً » . رَوَاهُ
 مُسْلِمٌ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ .

٧٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ حَتَّى الْمَرْءِ عَلَى انْتِهَازِ فُرْصَةِ الْحَيَاةِ لِعَمَلٍ مَا يَنْفَعُهُ فِي
الْآخِرَةِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ
انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ ، صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »
رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَنْتَظِرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِإِعَادٍ ﴾ .

٨٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ الْحُثُّ عَلَى وُجُوبِ الإِعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ ، ثُمَّ عَلَى إِيمَانِهِ
وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ ، لَا عَلَى مَالِهِ مِنْ صِلَةٍ بِالمُقَرَّبِينَ إِلَى اللَّهِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، فَقَالَ : «
يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُعْغِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُعْغِي
عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُعْغِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَةُ
رَسُولِ اللَّهِ لَا أُعْغِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي ، لَا أُعْغِي عَنْكَ
مِنَ اللَّهِ شَيْئاً » . رَوَاهُ الشَّيْخَانِ ، وَالتِّرْمِذِيُّ .

٨١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الإِسْلَامِ الأَمْرُ بِتَعَهُدِ النَّفْسِ بِالإِصْلَاحِ فَيُلْزِمُهَا بِأَدَاءِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ،
وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ . وَالآيَاتُ فِي الْحُثِّ عَلَى
التَّقْوَى كَثِيرَةٌ .

٨٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الإِسْلَامِ أَنَّهُ يَجْعَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صِلَةٍ دَائِمَةٍ بِرَبِّهِ ، حِينَ تَفِدُ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ ،
وَحِينَ تَنْزِلُ بِهِ الشَّدَّةُ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ إِنْ
أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

شِعْرًا: أَيَا ابْنَ آدَمَ لَا تَغْرُرْكَ عَافِيَةٌ عَلَيْكَ شَامِلَةٌ فَالْعُمْرُ مَعْدُودٌ
مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الأَوْقَاتِ مَقْصُودٌ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الآفَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الأَمْرِ مَحْصُودٌ

٨٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ يُحْتِ الْخَلْقَ ، وَيُوجِّهِهُمْ إِلَى إِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَجُمُوعِهِمْ وَيُرْشِدُهُمْ وَيُبَيِّنُ لَهُمْ كَيْفَ يُحَرِّزُونَ عُقُوبَهُمْ ، وَيَسْمُونَ بِهَا عَنْ مَهَاوِي الضَّلَالِ ، إِلَى أَنْ يَخْصُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا بِالْعِبَادَةِ ، وَيُوضِّحُ لَهُمْ كَيْفَ يَصْفُلُونَ نَفْسَهُمْ ، وَيَعْدُونَ أَرْوَاحَهُمْ بِالصَّلَاةِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، وَيُوضِّحُ لَهُمْ كَيْفَ يَطَهَّرُونَ أَمْوَالَهُمْ بِأَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَبْنُونَ الْأُسْرَةَ الْمُسْلِمَةَ الَّتِي هِيَ نَوَاهُ الْمُجْتَمَعِ عَلَى أُسُسٍ سَلِيمَةٍ قَوِيَّةٍ وَذَلِكَ بِتَوَاصُلِهِمْ ، وَمَعْرِفَتِهِمْ لِحَقِّ قَرَابَتِهِمْ ، وَالآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : مَا لَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرَبُّ مَالَهُ تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ » . الْحَدِيثُ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

٨٤- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ تَحْرِيمُ الْخُصُومَةِ بِالْبَاطِلِ لِمَنْ يَعْلَمُ ، وَتَحْرِيمُ الشَّفَاعَةِ الَّتِي تُعْطَلُ إِقَامَةُ الْحُدُودِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ وَتَحْرِيمُ الْقَوْلِ عَلَى الْمُؤْمِنِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَمِنْ الْغَايَاتِ الَّتِي حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى تَحْقِيقِهَا أَنْ يُقِيمَ الْمُجْتَمَعُ الْإِنْسَانِي عَلَى أُسُسٍ قَوِيَّةٍ مِنَ الْعَدَالَةِ وَالتَّرَاحُمِ ، وَأَنْ تَسُودَ أَعْضَاءُهُ رُوحُ الْمَوَدَّةِ وَالتَّعَاوُنِ الْمُثْمِرِ ، وَيَسْلَمَ مِنْ عَوَامِلِ الضَّعْفِ . فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ حَاصَمَ فِي الْبَاطِلِ وَهُوَ يَعْلَمُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْعَةَ الْحَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ » . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ .

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ ، وَيَا زَفِيْعَ الدَّرَجَاتِ يَا غَافِرَ الذَّنْبِ وَقَابِلَ التَّوْبِ شَدِيدَ الْعِقَابِ ذَا الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ .

نَسَأَلُكَ أَنْ تُدِيقَنَا بِرَدِّ عَفْوِكَ ، وَحَلَاوَةِ رَحْمَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَأَرْأَفَ الرَّائِفِينَ وَأَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .

اللَّهُمَّ طَيِّبْنَا لِلْقَائِكَ ، وَأَهْلَنَا لَوْلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ ، وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقِّقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

(فَصْلٌ)

٨٥- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ تَحْرِيمُ شَهَادَةِ الزُّورِ ، وَقَوْلُ الزُّورِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَضْرَارِ وَالْمَفَاسِدِ الَّتِي مِنْهَا بَيَّعُهُ آخِرَتُهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَمِنْهَا إِسَاءَتُهُ إِلَى مَنْ شَهِدَ لَهُ بِإِعَانَتِهِ عَلَى ظُلْمِهِ ، وَمِنْهَا إِسَاءَتُهُ إِلَى مَنْ شَهِدَ عَلَيْهِ بِإِضَاعَةِ حَقِّهِ ، وَمِنْهَا إِسَاءَتُهُ إِلَى الْقَاضِي بِإِضْلَالِهِ عَنِ الْمَحَجَّةِ ، وَمِنْهَا إِسَاءَتُهُ إِلَى الْأُمَّةِ بِزَلْزَلَةِ الْحُقُوقِ فِيهَا ، وَعَدَمِ الْإِطْمِنَانِ عَلَيْهَا .

٨٦- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ إِبْطَالُ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَحْرِيمُهُ ، وَهُمَا الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ لِمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « ائْتِنَانِ فِي النَّاسِ هُمَا يَهْمُ كُفْرٌ : الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ » .

٨٧- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنْ لَطْمِ الْحُدُودِ ، وَشَقِّ الْجُيُوبِ فِي الْمُصِيبَاتِ ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْحُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » .

٨٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنِ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي لَا يَخْتَصُّ بِأَحَدٍ ، وَمَنْعُهُ ابْنَ السَّبِيلِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَدَابُ أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِفَلَاةٍ يَمْنَعُهُ ابْنَ السَّبِيلِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رِوَايَةٍ وَقَالَ فِيهِ : « وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ

مَاءٍ ،

فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي ، كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ » .
 اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةَ مُهْتَدِينَ وَأَحْفَنًا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا
 خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ الْإِيمَانَ هَادِمًا
 لِلسَّيِّئَاتِ كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ هَادِمًا لِلْحَسَنَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاجْعَلْنَا بِمَنْ تَوَكَّلَ
 عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) ٨٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ يُحَرِّمُ الْاِعْتِدَاءَ أَوْ النَّيْلَ مِنَ النَّفْسِ أَوْ الْمَالِ
 أَوْ الْعِرْضِ أَوْ الْعَقْلِ ، وَكُلَّ جَرِيْمَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الْاِعْتِدَاءِ عَلَيْهَا عُقُوبَةٌ مِنْ قِصَاصٍ أَوْ حَدٍّ ،
 وَالْأَخْلَاقُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنَ الصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ وَالْعِفَّةِ وَغَيْرِهَا ، لَيْسَتْ أُمُورًا كَمَالِيَّةً فِي نَظَرِ
 الْإِسْلَامِ ، كَمَا يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ النَّاسِ ، بَلْ هِيَ وَاجِبَاتٌ يَحْرِصُ عَلَيْهَا وَمُعَرَّضٌ كُلُّ مَنْ يَخْرُجُ عَنْ
 دَائِرَتِهَا بِأَنَّهُ سَيَقْتَصُّ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ إِنْ لَمْ يَتُبْ وَيَتَدَارَكَ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ ؟ » قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا
 دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فَقَالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ،
 وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا
 مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ
 خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٩٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ يُرْشِدُ مُعْتَبِقَهُ إِلَى أَنَّ صِلَاحَ حَيَاتِهِ يَتَطَلَّبُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ
 عَقْفًا فِي كَلَامِهِ ، فَلَا يَعْتَابُ ، وَلَا يُنِمُّ ، وَلَا يَسُبُّ ، وَلَا يُقَذِّفُ مُسْلِمًا ، وَلَا يَلْعَنُهُ ، وَلَا
 يَسْتَهْزِئُ بِهِ ، وَلَا يَفْتَرِي ، وَلَا يَكْذِبُ ، عَنْ

أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلْيُتَّقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ » . وَقَالَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ »

٩١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ يُحْتَسِبُ الْمُؤْمِنُ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِهِ ، وَأَنْ لَا يَدَّخِرَ جُهْدًا فِي
تَوْجِيهِ أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ ، وَأَقْرَبَائِهِ وَجِيرَانِهِ ، وَكُلِّ مَنْ تَرْتُطِبُهُمْ بِهِ صِلَةٌ وَثِيقَةٌ إِلَى الْخَيْرِ ، وَوَسِيلَتُهُ إِلَى
هَذَا التَّوَجُّهِ هِيَ التَّوَاصِي بِالْحَقِّ ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ .

٩٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْأَمْرُ بِالْحَيَاءِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ فَضِيلَةٍ ، وَعِصْمَةٌ مِنْ كُلِّ
شَرٍّ ، لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ ، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «
اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ » . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . قَالَ : « لَيْسَ ذَاكَ
، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلِتَذَكَرَ
الْمَوْتَ وَالْبَلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ
صَحِيحٍ .

٩٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنِ اتِّخَاذِ شَيْءٍ فِيهِ رُوحٌ غَرَضًا يُرْمَى إِلَيْهِ ، لِمَا فِي
الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ مَرَّ بِفَتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ
تَفَرَّقُوا ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا إِنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا .

٩٤- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنِ بَيْعِ الْحُرِّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ

- غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا ثُمَّ أَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ الْعَمَلَ وَلَمْ يُؤَفِّهِ أَجْرَهُ .
 ٩٥- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا وَاسْتَوْفَى مِنْهُ الْعَمَلَ ، وَلَمْ يُؤَفِّهِ أَجْرَهُ . للحديث المتقدم .
- ٩٦- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ تَحْرِيمُ السَّحْرِ ، وَتَحْرِيمُ تَصْدِيقِ الْكَاهِنِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطَيِّرَ لَهُ ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكَهَّنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .
- ٩٧- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ تَحْرِيمُ الْقِيَادَةِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ ، وَهِيَ الْجَمْعُ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ سِوَاءَ كَانَ الْجَامِعُ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً .
- ٩٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَحْرِيمُ السَّعَايَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ بِمَضَرَّةٍ مُسْلِمٍ .
- ٩٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَحْرِيمُ غَضَبِ الْمَالِ ، لِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ .
- ١٠٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَحْرِيمُ غَضَبِ الْمَالِ ، لِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الظُّلْمِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ .
- ١٠١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَثُّ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ ، الَّتِي هِيَ الْإِعْتِدَالُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ ، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، الَّتِي تَكُونُ بِهَا النَّفْسُ عَلَى أَفْضَلِ حَالَةٍ وَأَكْمَلِهَا ، فَلَا يَظْهَرُ مِنْهَا قَبِيحٌ ، وَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا ذَمٌّ ، وَلَا لَوْمٌ وَذَلِكَ إِذَا يَكُونُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِالدِّينِ الْقَوِيمِ ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ مَعَ التَّحَلُّقِ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا

اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٢﴾
 ، وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 لِسُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ » .

١٠٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ مَا حَرَّمَ شَيْئًا عَلَيْهِمْ إِلَّا عَوَّضَهُمْ خَيْرًا مِنْهُ مِمَّا يَسُدُّ
 مَسَدَّهُ وَيُعْغِي عَنْهُ ، كَمَا بَيَّنَّ ذَلِكَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْاسْتِقْسَامَ بِالْأَزْلَامِ ،
 وَعَوَّضَهُمْ مِنْهُ دُعَاءَ الْاسْتِخَارَةِ .

١٠٣- وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الرِّبَا ، وَعَوَّضَهُمُ التَّجَارَةَ الرَّابِحَةَ .

١٠٤- وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْقِمَارَ ، وَأَعَاضَهُمْ مِنْهُ أَكْلَ الْمَالِ بِالْمُسَابَقَةِ بِالْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالسَّهَامِ .

١٠٥- وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْحَرِيرَ ، وَأَعَاضَهُمْ مِنْهُ أَنْوَاعَ الْمَلَابِسِ الْفَاحِشَةِ مِنَ الصُّوفِ وَالْكِتَانِ
 وَالْقَطَنِ .

١٠٦- وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ شُرْبَ الْمُسْكِرَاتِ ، وَأَعَاضَهُمْ عَنْهُ بِالْأَشْرِبَةِ اللَّذِيذَةِ ، النَّافِعَةِ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ

١٠٧- وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْحُبَائِثَ مِنَ الْمَطْعُومَاتِ ، وَأَعَاضَهُمْ عَنْهَا بِالْمَطَاعِمِ الطَّيِّبَاتِ ، وَهَكَذَا
 إِذَا تَبَعْنَا تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا ، وَجَدْنَا أَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يُضَيِّقْ عَلَى عِبَادِهِ فِي جَانِبٍ ، إِلَّا
 وَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي جَانِبٍ آخَرَ مِنْ جِنْسِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اللَّهُمَّ أَحِينَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ وَتَوَفَّنَا
 مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

١٠٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ يُقَدَّرُ الْبُؤَاعِثُ الْكَرِيمَةُ وَالْقَصْدُ الشَّرِيفَ وَالنَّبِيَّةَ الطَّيِّبَةَ ،
 فِي تَشْرِيْعَاتِهِ وَتَوْجِيْهَاتِهِ كُلِّهَا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . وَبِالنِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ تَنْقَلِبُ الْمُبَاحَاتُ وَالْعَادَاتُ إِلَى طَاعَاتٍ وَفُرُتَاتٍ إِلَى اللَّهِ ، فَمَنْ تَنَاوَلَ عَدَاءَهُ بِنِيَّةٍ حِفْظِ حَيَاتِهِ وَتَقْوِيَةِ جَسَدِهِ لِيَسْتَطِيعَ الْقِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِ رَبُّهُ مِنْ حُقُوقٍ وَتَكَالِيفٍ لِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ ، كَانَ طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ مَعَ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ عِبَادَةً وَمَنْ أَتَى شَهْوَتَهُ مَعَ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ مَمْلُوكَةٍ لَهُ يَفْصِدُ إِعْفَافَ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَابْتِعَاءَ ذُرِّيَّةٍ صَالِحَةٍ ، كَانَ ذَلِكَ عِبَادَةً تَسْتَحِقُّ الْمَثُوبَةَ وَالْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ : « أَلَيْسَ إِنْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي حَلَالٍ كَانَ لَهُ أَجْرٌ » .

١٠٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ حَرَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِ شِرَاءَ مَا غُصِبَ أَوْ سُرِقَ أَوْ أُخِذَ مِنْ صَاحِبِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ لِأَنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ يَكُونُ مُعِينًا لِلْعَاصِبِ وَالسَّارِقِ وَالْآخِذِ ، وَهَذَا إِذَا عَلِمَ أَنَّهَا سِرْقَةٌ ، وَلَوْ طَالَ زَمَنٌ غَضِبَهُ أَوْ سِرَقْتَهُ فِي يَدِ الْعَاصِبِ أَوْ السَّارِقِ أَوْ النَّاهِبِ ، فَإِنَّ طَوْلَ الزَّمَنِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، لَا يَجْعَلُ الْحَرَامَ حَلَالًا ، وَلَا يُسْقِطُ حَقَّ الْمَالِكِ الْأَصْلِيِّ بِالتَّقَدُّمِ . وَهَذَا أَيْضًا مِنْ مَحَاسِنِهِ .

١١٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ تَحْرِيمُ الرِّبَا ، لِأَنَّ الرِّبَا يُفْتَضِي أَخْذَ مَالِ الْإِنْسَانِ مِنْ غَيْرِ عَوَضٍ ، لِأَنَّ مَنْ يَبِيعُ دِرْهَمًا بِدِرْهَمَيْنِ يَحْصُلُ لَهُ زِيَادَةٌ دِرْهَمٍ مِنْ غَيْرِ عَوَضٍ ، وَمَالُ الْإِنْسَانِ مُتَعَلِّقٌ حَاجَتِهِ ، وَلَهُ حُرْمَةٌ عَظِيمَةٌ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ . ثَانِيًا : اسْتِعْمَالُ الرِّبَا يُفْضِي إِلَى انْقِطَاعِ الْمَعْرُوفِ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْقَرْضِ . ثَالِثًا : يَمْنَعُ مِنَ تَحْمُلِ الْمَشَاقِّ بِجَاهِ الْاِكْتِسَابِ ، فَلَا يَكَادُ يَتَحَمَّلُ مَشَقَّةَ الْكَسْبِ ، وَذَلِكَ يُفْضِي إِلَى انْقِطَاعِ مَنَافِعِ الْخَلْقِ ،

وَتَكْسِيْلِهِمْ عَنِ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّلَبِ ، وَقَدْ لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ .

مَوْعِظَةٌ :

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مَا سَمِعْتُمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ نُقْطَةٌ مِنْ بَحْرِ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ بِهِ فِرْقَةَ الْعَرَبِ وَشَتَاتَهُمْ وَوَحَّدَ بِهِ قُلُوبَهُمْ وَصُفُوفَهُمْ ، وَهَدَّبَ طِبَاعَهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ ، حَتَّى أَوْجَدَ مِنْهُمْ أُمَّةً شَدِيدَةَ الْبَأْسِ ، وَاسِعَةَ السُّلْطَانِ ، مَلَكَتْ نَاصِيَةَ الْأَرْضِ ، وَنَشَرَتْ عِلْمَ الْإِسْلَامِ فِي نَوَاحِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ﴾ .

دِينٌ نَشَرَهُ اللَّهُ فِي أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ ، لَا يُحِبُّ شِعَاعُهَا ، وَكَالْقَمَرِ الرَّاهِرِ ، لَا يَخْفَى ضَوْؤُهُ ، وَلَا يَحْسَفُ نُورُهُ .

دِينٌ تَرَى أَعْدَاءَهُ مُبْغِضِيهِ يَفْتَرِبُونَ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُونَ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ، لِأَنَّهُمْ بِمُخْتَرَعَاتِهِمْ وَعُلُومِهِمْ لَمْ يَرِيدُوا عَلَى أَنَّهُمْ بِهِ يَشْهَدُونَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ دِينٌ يَكِيدُ لَهُ أَعْدَاؤُهُ وَحُسَادُهُ مِنْ يَوْمٍ أَنْزَلَ ، وَهُوَ كَمَا تَرَى لَمْ يُطْفَأْ لَهُ نُورٌ ، وَلَمْ يَضْعَفْ لَهُ بُرْهَانٌ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ حَسْبُكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ يَحْتَوِي عَلَى خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَنَعِيمِ الْإِجْلَةِ وَالْآجِلَةِ ، فَمَا مِنْ فَضِيلَةٍ إِلَّا حَتَّ عَلَيْهَا ، وَمَا مِنْ رَذِيلَةٍ إِلَّا نَفَرَ مِنْهَا ، فَإِذَا اغْتَصَمْتَ بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ ، وَحَرِصْتَ عَلَى الْعَمَلِ

بأحكامه ، والتحلّي بآدابه ، عشت سعيداً ، ومثت سعيداً حميداً .
 وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :
 هَذَا وَنَصْرُ الدِّينِ فَرَضٌ لَزِمٌ
 لَا لِلْكَفَايَةِ بَلْ عَلَى الْأَعْيَانِ
 يَدٌ وَأَمَّا بِاللِّسَانِ فَإِنْ عَجَزَ
 تَ فَيَا تَوَجُّهُهُ وَاللِّدْعَا بِجَنَانِ
 مَا بَعْدَ ذَا وَاللَّهُ لِلْإِيمَانِ حَبٌّ
 هُ خَرْدَلٍ يَا نَاصِرَ الْإِيمَانِ
 بِحَيَاةٍ وَجْهَكَ خَيْرَ مَسْئُولٍ بِهِ
 وَبُنُورٍ وَجْهَكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
 وَبِحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا
 مِنْ غَيْرِ مَا عَوَّضٍ وَلَا أَثْمَانِ
 وَبِحَقِّ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ جَمِيعَ
 عَالَمِ الْخَلْقِ مُحْسِنَهُمْ كَذَلِكَ الْجَانِي
 وَبِحَقِّ أَسْمَاءِ لَكَ الْحُسْنَى مَعاً
 فِيهَا نُعُوتُ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ
 وَبِحَقِّ حَمْدِكَ وَهُوَ حَمْدٌ وَاسِعٌ أَلْ
 أَكْوَانِ بَلْ أَضْعَافُ ذِي الْأَكْوَانِ
 وَبِأَنَّكَ اللَّهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ مَعَهُ
 بُودُ الْوَرَى مُتَقَدِّسٌ عَنْ ثَانِ
 بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فَبَاطِلٌ
 مِنْ دُونِ عَرْشِكَ لِلثَّرَى التَّحْتَانِي

وَبِكَ الْمَعَادُ وَلَا مَلَاذَ سِوَاكَ أَنْ
 تَتَّعِيَاتُ كُلِّ مُلَدِّدٍ لَهْفَانِ
 مَنْ ذَاكَ لِلْمُضْطَّرِّ يَسْمَعُهُ سِوَا
 لَكَ يُجِيبُ دَعْوَتَهُ مَعَ الْعِصْيَانِ
 إِنَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ
 تُرْضِيكَ طَالِبَهَا أَحَقُّ مَعَانِ
 فَاجْعَلْ قَضَاهَا بَعْضَ أَنْعَمِكَ الَّتِي
 سَبَّغْتَ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ
 أَنْصُرْ كِتَابَكَ وَالرَّسُولَ وَدِينَكَ أَلْ
 عَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بِالْبُرْهَانِ
 وَاخْتَرْتَهُ دِيناً لِنَفْسِكَ وَاصْطَفَيْتَهُ
 تَتَّعِيَاتُ مَقِيمَهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
 وَرَضِيَّتَهُ دِيناً لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ
 هَذَا الْوَرَى هُوَ قَائِمُ الْأَدْيَانِ
 وَأَقْرَبَ عَيْنِ رَسُولِكَ الْمَبْعُوثِ بِالْأَدِّ
 يَمِينِ الْحَيْفِ بِنَصْرِهِ الْمُتَدَانِ
 وَأَنْصُرُهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ كَمَا
 قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بِكُلِّ زَمَانِ
 يَا رَبُّ وَأَنْصُرْ خَيْرَ حِزْبِنَا عَلَى
 حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ
 يَا رَبُّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبِنَا فِدَاءً

لِخِيَارِهِمْ وَلِعَسَّ كَرِ الْقُرْآنِ
يَا رَبُّ وَاجْعَلْ حَزْبَكَ الْمَنْصُورَ أَهْـ
لِ تَوَاصُلٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانِ
يَا رَبُّ وَارْحَمْهُمْ مِنْ الْبِدْعِ الَّتِي
قَدْ أُخْدِثَتْ فِي الدِّينِ كُلِّ زَمَانِ
يَا رَبُّ جَنِّبْهُمْ طَرَائِقَهَا الَّتِي
تُنْفِضِي بِسَالِكِهَا إِلَى النَّيِّرَانِ
يَا رَبُّ وَاهْدِهِمْ بِوَرِ الْوَحْيِ كَيْ
يَصِلُوا إِلَيْكَ فَيُظْفَرُوا بِجَنَانِ
يَا رَبُّ كُنْ لَهُمْ وَلِيًّا نَاصِرًا
وَاحْفَظْهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْفَتَانِ
وَأَنْصُرْهُمْ يَا رَبُّ بِالْحَقِّ الَّذِي
أَنْزَلْتَهُ يَا مَنْزِلَ الْقُرْآنِ
يَا رَبُّ إِنَّهُمْ الْغُرَبَاءُ قَدْ
لَجَأُوا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ
يَا رَبُّ قَدْ عَادُوا لِأَجْلِكَ كُلَّ هـ
لِذَا الْخَلْقِ إِلَّا صَادِقَ الْإِيمَانِ
قَدْ فَارَقُوهُمْ فِيكَ أَحْوَجَ مَا هُمْ
دُنِيًّا إِلَيْهِمْ فِي رِضَى الرَّحْمَنِ
وَرِضُوا وَوَلَايَتِكَ الَّتِي مِنْ نَالِهَا
نَالَ الْأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانِ

وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضُوا
 بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الْهَيْدِيَانِ
 يَا رَبُّ تَبِّتْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجْعَلْهُمْ
 هُدَاةَ التَّائِبِينَ الْخَيْرَانَ
 وَأَنْصُرْ عَلَى حِزْبِ النِّفَاقِ عَسَاكِرَ الْإِيمَانِ
 وَأَقِمْ لِأَهْلِ السُّنَّةِ التَّوْبَةَ الْوَالِدِيَّةَ
 أَنْصَارَ وَأَنْصُرْهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ
 وَاجْعَلْهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أَيْمَةً
 وَارزُقْهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيمَانِ
 تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحْدَثُوا
 وَدَعَاؤِ الْيَهُودِ النَّاسِ بِالْعُدْوَانِ
 وَأَعِزَّهُمْ بِالْحَقِّ وَأَنْصُرْهُمْ بِهِ
 نَصْرًا عَزِيزًا أَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
 وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ
 فَلَأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
 وَلَكَ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا
 يُرْضِيكَ لَا يَفْنَى عَلَى الْأَزْمَانِ
 مِمَّا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ
 حَمْدًا بَغِيْرَ نِهَائِيَّةٍ بِزَمَانِ
 وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالسَّلَامِ

سَلِّمِ مِنْكَ وَأَكْمَلِ الرِّضْوَانَ
وَعَلَى صَاحِبَيْهِ جَمِيعاً وَالْأَلَى
تَبِعُوهُمْ مِنْ بَعْدِ الْإِحْسَانِ
وختاماً فإليك كلمة موجزة قالها أحد العلماء

أُرْسِلَ طَرْفَكَ إِلَى نَشْأَةِ الْأُمَّةِ وَتَبَيَّنَ سَبَابُ نُهْوضِهَا الْأَوَّلِ فَتَرَى أَنَّ مَا جَمَعَ كَلِمَتَهَا وَأَنْهَضَ
هَمَّ أَحَادِهَا وَحَمَّ بَيْنَ أَفْرَادِهَا وَصَعَدَ بِهَا إِلَى مَكَانَةٍ
تُشْرِفُ مِنْهَا عَلَى رُؤُوسِ الْأُمَمِ وَتَسْوِسُهُمْ وَهِيَ فِي مَقَامِهَا بِدَقِيقِ حِكْمَتِهَا إِنَّمَا هُوَ (دِينٌ) قَوْمٌ
الْأُصُولُ مُحْكِمٌ الْقَوَاعِدِ شَامِلٌ لِأَنْوَاعِ الْحُكْمِ بَاعِثٌ عَلَى الْأَلْفَةِ دَاعٍ إِلَى الْمَحَبَّةِ مُرَكِّبٌ لِلنُّفُوسِ
مُطَهِّرٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ أَدْرَانِ الْحَسَائِسِ مُنَوِّرٌ لِلْعُقُوبِ بِإِشْرَاقِ الْحَقِّ مِنْ مَطَالِعِ قَضَايَاهُ كَافِلٌ لِكُلِّ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ مَبَانِي الْأَجْتِمَاعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَحَافِظٌ وَجُودَهَا وَيُنَادِي بِمُعْتَقَدِيهِ إِلَى جَمِيعِ
فُرُوعِ الْمَدِينَةِ الصَّحِيحَةِ ، انظُرْ إِلَى التَّارِيخِ قَبْلَ بَعْتَةِ الدِّينِ وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهَمَجِيَّةِ
وَالشَّتَاتِ وَإِتْيَانِ الدَّنَايَا وَالْمُنْكَرَاتِ حَتَّى إِذَا جَاءَهَا الدِّينُ وَحَدَّهَا وَقَوَّأَهَا وَهَدَّبَهَا وَنَوَّرَ عُقُولَهَا
وَقَوَّمَ أَخْلَاقَهَا وَسَدَّدَ أَحْكَامَهَا فَسَادَتْ عَلَى الْعَالَمِ وَسَاسَتْ مَنْ تَوَلَّاهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ . هـ

اللَّهُمَّ عَافِنَا مِنْ مَكْرِكَ وَزَيِّنَّا بِذِكْرِكَ وَاسْتَعْمِلْنَا بِأَمْرِكَ وَلَا تَهْتِكْ عَلَيْنَا جَمِيلَ سِتْرِكَ وَآمِنْنَا
عَلَيْنَا بِلُطْفِكَ وَبِرِّكَ وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِنْ عَذَابِكَ وَآمِنَّا مِنْ عِقَابِكَ .
اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْإِسْتِقَامَةِ وَالْعَدْلِ فِيمَا وَلَّيْتَنَا عَلَيْهِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ دُنْيَا تَمْنَعُ خَيْرَ الْآخِرَةِ
وَنَعُودُ بِكَ مِنْ حَيَاةٍ تَمْنَعُ خَيْرَ الْمَمَاتِ وَنَعُودُ بِكَ مِنْ أَمَلٍ يَمْنَعُ خَيْرَ الْعَمَلِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَنْوِّرَ
قُلُوبَنَا وَتُنَبِّتَنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَأَنْ تَعْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

في ذكر بعض معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

عِبَادَ اللَّهِ لَمَا كَانَتْ مُعْجَزَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْوَارٌ تُشْرِقُ عَلَى الْقُلُوبِ الطَّافِحَةِ بِالْإِيمَانِ وَتَزِيدُهَا قُوَّةً وَثَبَاتًا وَاسْتِقَامَةً أَحَبَبْتُ أَنْ أذْكَرَ مَا تَيَسَّرَ مِنْهَا وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ .

وَاعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْمُعْجَزَاتِ وَالْحَوَارِقِ . أَمَّا الْعِلْمُ وَالْأَخْبَارُ الْعَيْبِيَّةُ وَالسَّمَاعُ وَالرُّؤْيِيَّةُ .

١- فَمِثْلُ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأُمَّمِهِمْ .

٢- وَمُخَاطَبَتِهِ لَهُمْ وَأَحْوَالِهِ مَعَهُمْ .

٣- وَكَذَلِكَ إِخْبَارِهِ عَنِ أُمُورِ الرَّبُوبِيَّةِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِمَا يُوَافِقُ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ مِنْهُمْ ، وَيُعَلِّمُ أَنَّ ذَلِكَ مُوَافِقٌ لِنُقُولِ الْأَنْبِيَاءِ تَارَةً بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْكُتُبِ الظَّاهِرَةِ وَخَوِّ ذَلِكَ مِنَ النَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ .

٤- وَتَارَةً بِمَا يَعْلَمُهُ الْخَاصَّةُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ .

٥- فَاخْبَارُهُ عَنِ الْأُمُورِ الْعَائِيَّةِ مَاضِيهَا وَحَاضِرِهَا هُوَ مِنْ بَابِ الْعِلْمِ الْحَارِقِ لِلْعَادَةِ .

٦- وَكَذَلِكَ إِخْبَارُهُ عَنِ الْأُمُورِ الْمَشْتَقْبَلَةِ .

٧- مِثْلَ مَمْلَكَةِ أُمَّتِهِ .

٨- وَرِوَالِ مَمْلَكَةِ فَارِسَ .

٩- وَالرُّومِ .

- ١٠- وَقِتَالِ التُّرُكِ وَاللُّوفِ مُؤَلَّفَةٍ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا . وَأَمَّا الْفُدْرَةُ وَالتَّائِيْرُ .
- ١١- فَأَنْشِقَاقُ الْقَمَرِ .
- ١٢- وَكَذَا مِعْرَاجُهُ إِلَى السَّمَاوَاتِ .
- ١٣- وَكَثْرَةُ الرَّمْيِ بِالنُّجُومِ عِنْدَ ظُهُورِهِ .
- ١٤- وَكَذَا إِسْرَآؤُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى .
- ١٥- وَتَكْنِيْرُ الْمَاءِ فِي عَيْنِ تَبُوكَ .
- ١٦- وَعَيْنِ الْحَدَيْبِيَّةِ .
- ١٧- وَتَبَعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ .
- ١٨- وَكَذَا تَكْثِيْرُ الطَّعَامِ . وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ بَعْضُهَا مُوضَّحاً مُفْصَلاً قَرِيْباً .
- ١٩- وَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ قَالَ : (سِرْنَا مَعَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيَاً أَفِيْحَ فَذَهَبَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً يَسْتَتِرُ بِهِ فَاِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِعُصْنٍ مِنْ أَعْصَانِهَا فَقَالَ : « انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ » .
- فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيْرِ الْمَخْشُوْمِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى الشَّجْرَةَ الْآخْرَى فَأَخَذَ بِعُصْنٍ مِنْ أَعْصَانِهَا فَقَالَ : « انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ » . فَانْقَادَتْ كَذَلِكَ

حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْتَصَفِ فِيمَا بَيْنَهُمَا فَلَا مَ بَيْنَهُمَا حَتَّى جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ : « التَّمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ » . فَالْتَأَمَّتَا عَلَيْهِ .

فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحْسِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُرْبِي فَتَبَاعَدْتُ فَجَلَسْتُ أَحَدْتُ نَفْسِي فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدْ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ) . وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

٢٠ - وَمِنْهَا أَنَّهَا انْكَسَرَتْ رِجْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَمَا قَتَلَ أَبَا رَافِعِ الَّذِي يُؤْذِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ لِي : « ابْسِطْ رِجْلَكَ » . فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ .

٢١ - وَقِصَّةُ أُمِّ مَعْبِدٍ مَشْهُورَةٌ مِنْ حَدِيثِهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَرَّ بِهَا طَلَبَ لَبْنًا أَوْ لَحْمًا يَشْتَرُونَهُ وَكَانُوا مُرْمِلِينَ مُسْنِنِينَ فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهَا شَيْئًا قَطُّ فَنَظَرَ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْحَيْمَةِ خَلَفَهَا الْجُهْدُ عَنِ الْعَنَمِ ، فَسَأَلَهَا : « هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ » ؟ فَقَالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : « أَتَأْذِينِ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا » ! فَقَالَتْ : بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا .

فَدَعَا بِالشَّاةِ فَاعْتَقَلَهَا وَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَدَرَّتْ وَاجْتَرَّتْ وَدَعَا بِإِنَاءٍ يُشْبِعُ الرَّهْطَ فَحَلَبَ حَتَّى مَلَأَهُ وَسَقَى الْقَوْمَ حَتَّى زَوَوْا ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُمْ ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى عَلَلًا بَعْدَ نَهْلِ ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا وَذَهَبُوا فَجَاءَ أَبُو مَعْبِدٍ فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ قَالَ : مَا هَذَا يَا أُمَّ مَعْبِدٍ ؟ أَنَّى لَكَ هَذَا وَالشَّاةُ عَازِبٌ حِيَالٌ وَلَا حَلُوبَةٌ بِالْبَيْتِ فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ فَقَالَ : صِفِيهِ فَوَصَفْتُهُ لَهُ ، وَذَلِكَ فِي طَرِيقِ هِجْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ عَرَفْنَا حَيْثُ وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُشِيرُ إِلَى مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ أَقْبَلَ رَجُلًا مِنْ الْجِنِّ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ يَتَعَنَّى بِأَبْيَاتٍ مِنْ شِعْرِ غِنَاءِ الْعَرَبِ وَأَنَّ النَّاسَ لَيَتَّبِعُونَهُ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَمَا يَرُونَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ

رَفِيقَيْنِ حَلا خَيْمَتِي أُمِّ مَعْبَدٍ

هُمَا نَزَلَا بِالْبُرِّ ثُمَّ تَرَوَّحَا

فَأَفْلَحَ مِنْ أُمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ

لِيَهْنِ بِنِي كَعْبٍ مَكَانَ فَتَاتِهِمْ

وَمَقَعَدُهَا لِلَّهِ لُؤْمِنِينَ بِمِرْصَدٍ

سَأَلُوا أَخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا

فَبَاتَكُمُوا إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدُ

دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ

لَهُ بِصَرِيحِ ضَرَّةِ الشَّاةِ مُزِيدٍ

فَعَادَرَهُ رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ

يُودِرُ لَهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْدِرٍ

فَلَمَّا سَمِعَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَنْشَأَ يَقُولُ مُجِيبًا لِلْهَاتِفِ :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ

وَقُدَّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي

تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَظَلَّتْ عُقُولُهُمْ
 وَحَالَ عَلَى قَوْمٍ بُنُورٌ مُجَدِّدٌ
 هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ رَبُّهُمْ
 وَأَرْشَدَهُمْ مَنْ يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَرْشُدِ
 وَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبِ
 رَكَابٌ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ
 نَبِيِّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ
 وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ
 وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبِ
 فَتَصْدِيقَهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْعَدِ
 لِيَهْنِ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةً جِدَّهُ
 بِصُحْبَتِهِ مَنْ يُسْعِدِ اللَّهُ يَسْعِدِ

٢٢- وفي الترمذي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ شَجَرٌ وَلَا جَبَلٌ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ) . رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ .

٢٣- وَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : بِمَ أَعْرَفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ؟ قَالَ : « إِنَّ دَعْوَتُ هَذَا الْعِدْقِ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنَِّّي رَسُولَ اللَّهِ » ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : « ارْجِعْ » . فَعَادَ فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ .

شِعْرًا: تَأْمَلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكَ
 آخِر: عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ بِأَخْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّيِّئُ
 عَلَى قُضْبِ الزَّبْرِجَدِ شَاهِدَاتٌ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ
 وَأَنَّ مُحَمَّدًا خَيْرُ الْبَرِيَا إِلَى الثَّقَلَيْنِ أَرْسَلَهُ الْمَلِيكَ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَحَبِّبْنَا مَا يُسَخِّطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا
 وَدُرِّيَاتِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ
 بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

٢٤ - وَلَمَّا بَعَثْتُ قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ بَدْرِ فَقَدَى
 كُلُّ قَوْمٍ أَسِيرَهُمْ بِمَا رَضُوا وَكَانَ الْعَبَّاسُ أَسِيرًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كُنْتُ مُسْلِمًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيكَ وَأَمَّا ظَاهِرُكَ
 فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا فَأَفْتَدِ نَفْسَكَ وَابْنِي أَخَوَيْكَ » . قَالَ الْعَبَّاسُ : مَا ذَاكَ عِنْدِي . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي دَفَنْتَهُ أَنْتَ وَأُمُّ الْفَضْلِ فَقُلْتَ لَهَا : إِنَّ أُصِيبْتُ فِي
 سَفَرِي هَذَا فَهَذَا الْمَالُ الَّذِي دَفَنْتَهُ لِبَنِي الْفَضْلِ وَعَبْدِ اللَّهِ وَقُتْمَ » .
 قَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَعْلَمَنَّ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرِ أُمَّ
 الْفَضْلِ .. إلخ .

٢٥- وَقِصَّةُ اِرْتِحَافِ أُحُدٍ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعَدَ أُحُدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَحَفَ بِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَتَبْتُ أُحُدَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَان)) .

٢٦- وَقِصَّةُ مَاءِ الرِّكْوَةِ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ يَتَوَضَّأُ فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ : « مَا لَكُمْ » ؟ قَالُوا : لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ . قَالَ جَابِرٌ : فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ فَشَرَبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قَالَ سَالِمٌ : قُلْتُ لِحَابِرِ كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : لَوْ كُنَّا مِائَةً أَلْفٍ لَكَفَّانَا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً . (١٥٠٠) .

٢٧- وَقِصَّةُ مَوْتِ النَّجَاشِيِّ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كَلْبُومِ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ رَبِيبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَ لَهَا : « إِنِّي قَدْ أَهْدَيْتُ لِلنَّجَاشِيِّ أَوْاقِيَّ مِنْ مِسْكِ وَحُلَّةً وَإِنِّي لَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ مَاتَ وَلَا أَرَى إِلَّا الْهَدْيَةَ إِلَّا سُرِدْتُ إِلَيَّ ، فَإِذَا رُدَّتْ إِلَيَّ فَهِيَ لَكَ » . فَكَانَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَاتَ النَّجَاشِيُّ وَرُدَّتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعطى كلَّ امرأةٍ مِنْ نِسَائِهِ أُوقِيَّةً مِنْ ذَلِكَ الْمِسْكِ وَأَعْطَى سَائِرَهُ أُمَّ سَلَمَةَ .

٢٨- وَقِصَّةُ عُكَّاشَةَ بْنِ مُحْصَنِ بْنِ حَرْثَانَ الْأَسَدِيِّ حِينَمَا انْدَفَعَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَحْصِدُ فِيهِمْ حَصْدًا حَتَّى انْكَسَرَ سَيْفُهُ فَلَمْ يَشْنِهِ ذَلِكَ عَنْ حَوْضِ الْمَعْرَكَةِ وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ كَسْرِ سَيْفِهِ مَعْذِرَةً عَنِ الْقِتَالِ فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ بِكَسْرِ سَيْفِهِ وَإِرَادَةَ غَيْرِهِ

فَدَفَعَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ جَدلاً مِنْ حَطَبٍ فَقَالَ لَهُ : ((قَاتِلْ بِهَذَا يَا عُكَّاشَةُ)) .
 فَلَمَّا أَخَذَهُ عُكَّاشَةُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَزَّهُ فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا صَارِمَ الْقَامَةِ
 شَدِيدَ الْمَثْنِ أَبِيضَ الْحَدِيدَةِ فَقَاتَلَ بِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى فَتَحَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَ يَزَلْ
 عِنْدَهُ ذَلِكَ السَّيْفُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ فِي
 قِتَالِ الرِّدَّةِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

٢٩- وَقِصَّةُ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبِ الْجُمَحِيِّ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ
 وَكَانَ عُمَيْرٌ شَيْطَانًا مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ وَمَمَّنْ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَأَصْحَابَهُ وَيَلْقُونَ مِنْهُ عِنَاءً وَهُوَ بِمَكَّةَ وَكَانَ ابْنُهُ وَهْبٌ بِنُ عُمَيْرٍ فِي أُسَارَى بَدْرٍ قَالَ : فَذَكَرَ
 عُمَيْرٌ أَصْحَابَ الْقَلْبِ وَمُصَابَهُمْ فَقَالَ صَفْوَانُ : وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ .

قَالَ عُمَيْرٌ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا دِينٌ عَلَيَّ لَيْسَ لَهُ عِنْدِي قَضَاءٌ وَعِيَالٌ أَخَشَى
 عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ بَعْدِي لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ فَإِنِّي لِي قَبْلَهُمْ عِلَّةٌ ابْنِي أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ قَالَ :
 فَاعْتَنَمَهَا صَفْوَانُ وَقَالَ : عَلَيَّ دِينُكَ أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أُوَاسِيهِمْ مَا بَقُوا لَا
 يَسْعِي شَيْءٌ يَعْجُرُ عَنْهُمْ .

فَقَالَ عُمَيْرٌ : فَأَكْتُمُ شَأْنِي وَشَأْنَكَ قَالَ : أَفْعَلُ ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَبَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ
 الْخَطَّابِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ يَوْمِ

بَدْرٍ وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَمَا أَرَاهُمُ مِنْ عَدُوِّهِمْ إِذْ نَظَرَ عُمَرُ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ ، فَقَالَ عُمَرُ : هَذَا الْكَلْبُ عَدُوُّ اللَّهِ وَاللَّهُ مَا جَاءَ إِلَّا لِشَرِّ .

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ ابْنُ وَهَبٍ ، قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ . قَالَ : ((فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ)) . فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ فَلَبَّبَهُ بِهَا .

وَقَالَ لِرَجَالٍ مِنَ الْأَنْصَارِ : ادْخُلُوا عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْلِسُوهُ عِنْدَهُ وَاحْذَرُوا عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((أَرْسَلُهُ)) . فَدَنَا عُمَيْرٌ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَمَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ ؟ » قَالَ : جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ فَأَحْسِنُوا فِيهِ يَعْني وَلَدُهُ قَالَ : ((فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ)) ؟ قَالَ : قَبَحَهَا اللَّهُ مِنْ سَيْوفٍ وَهَلْ أَعْنَتُ عَنَّا شَيْئًا قَالَ : « أَصْدُقْنِي مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ ؟ » قَالَ : مَا جِئْتُ إِلَّا لِذَلِكَ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ قُلْتُمْ : لَوْلَا دِينَ عَلِيٍّ وَعِيَالُ عِنْدِي لَحَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا فَتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوَانُ بِدِينِكَ وَعِيَالِكَ عَلَيَّ أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ ، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ » .

فَقَالَ عُمَيْرٌ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ

يَحْضُرُهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ
وَسَاقِي هَذَا الْمَسَاقِ . ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَقَّهُوا
أَخَاكُم فِي دِينِهِ وَاقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَأَطِيعُوا لَهُ أَسِيرَهُ » . فَفَعَلُوا الْخ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ .

شِعْرًا :

فُوَادٌ مَا يَقْرُرُ لَهُ قَرَارُ
وَأَجْفَانٌ مَادَامِعُهَا غِرَارُ
وَيَلُّ طَالٌ بِالْأَنْكَادِ حَتَّى
ظَنَنْتُ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
وَلِمَ لَا وَالتَّقَى حَلَّتْ عُورَاهُ
وَبَانَ عَلَى بَيْتِهِ الْإِنْكَسَارُ
لَيْتَ مَعِيَ عَلَى الدِّينِ الْبَوَاكِي
فَقَدْ أَضْحَتْ مَوَاطِنُهُ قِفَارُ
وَقَدْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهُ اعْتِدَاءُ
وَزَالَ بِمَذَاكِمُوا عَنَّهُ الْوَقَارُ
وَأَصْبَحَ لَا تُقَامُ لَهُ حُدُودُ
وَأَمْسَى لَا يُبْنَ لَهُ شِعَارُ
وَعَادَ كَمَا بَدَا فِينَا غَرِيبًا
هُنَالِكَ مَالَهُ فِي الْخَلْقِ جَارُ
فَقَدْ نَفَضُوا عُهُودَهُمْ وَاجْتَارُوا
وَأَسْرَفُوا فِي الْعِدَاوَةِ ثُمَّ سَارُوا

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ
 الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَعِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلَ
 مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَيَقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الرِّبَا وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ
 تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

٣٠- وَقِصَّةُ حَبِيبِ الْجُدْعِ مَا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ
 قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ فَإِنَّ لِي غُلَامًا بَحَارًا قَالَ
 : ((إِنْ شِئْتِ)) . قَالَ : فَعَمِلْتُ لَهُ الْمِنْبَرَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ
 فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ فَجَعَلَتْ تَبْنُ أَنْبِنَ الصَّبِيِّ الَّذِي
 يَسْكُتُ .

٣١- وَقِصَّةُ عُكَّةِ أُمِّ سُلَيْمٍ لَمَّا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أُمِّهِ قَالَ : كَانَتْ لَنَا شَاةٌ جَمَعَتْ مِنْ سَمْنِهَا فِي
 عُكَّةٍ فَمَلَأَتِ الْعُكَّةَ ثُمَّ بَعَثَتْ بِهَا مَعَ رَبِيبَةٍ فَقَالَتْ : يَا رَبِيبَةُ فَبَلِّغِي هَذِهِ الْعُكَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِدِمُ بِهَا فَاَنْطَلَقَتْ بِهَا الرَّبِيبَةُ حَتَّى أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ
 : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ عُكَّةٌ سَمْنٍ بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ أُمُّ سُلَيْمٍ فَقَالَ : ((أَفْرَعُوا لَهَا عُكَّةً)) .
 فَفَرَعَتْ الْعُكَّةَ فَدَفَعَتْ إِلَيْهَا فَاَنْطَلَقَتْ بِهَا .

وَجَاءَتْ وَأُمُّ سُلَيْمٍ لَيْسَتْ فِي الْبَيْتِ فَعَلَّقَتْ الْعُكَّةَ عَلَى وَتَدٍ فَجَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ فَرَأَتْ الْعُكَّةَ مُتَمَلِّئَةً تَفْطُرُ فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ : يَا رَبِّيبَةُ أَلَيْسَ أَمْرُتُكَ أَنْ تَنْطَلِقِي بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَتْ : قَدْ فَعَلْتُ فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقِيْنِي فَسَلِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَاَنْطَلَقَتْ وَمَعَهَا الرَّبِيبَةُ .

فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ مَعَهَا إِلَيْكَ بِعُكَّةٍ فِيهَا سَمْنٌ قَالَ : ((قَدْ فَعَلْتُ قَدْ جَاءَتْ)) . قَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ وَدِينِ الْحَقِّ إِنَّهَا لَمُمْتَلِئَةٌ تَفْطُرُ سَمْنًا قَالَ : فَقَالَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَتَعْجَبِينَ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَطْعَمَكَ كَمَا أَطْعَمَ نَبِيَّهُ كُلِّي وَأَطْعَمِي » . قَالَتْ : فَجِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَمَسَمْتُ فِي فُجْبٍ لَنَا كَذَا وَكَذَا وَتَرَكْتُ فِيهَا مَا اتَّيَدَمْنَا بِهِ شَهْرَيْنِ .

٣٢- وَقِصَّةُ طَيْبِ عُتْبَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : أُمُّ عَاصِمٍ امْرَأَةٌ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ ثَلَاثَ نِسْوَةٍ مَا مِنَّا وَاحِدَةٌ إِلَّا وَهِيَ تَجْتَهِدُ فِي الطَّيِّبِ لِتَكُونَ أَطْيَبَ مِنْ صَاحِبَتَيْهَا وَمَا يَمَسُّ عُتْبَةَ بِنُ فَرْقَدٍ طَيِّبًا إِلَّا أَنْ يَلْتَمَسَ دُهْنًا وَكَانَ أَطْيَبَ رِيحًا مِنَّا فُقُلْتُ لَهُ ذَلِكَ .

فَقَالَ أَصَابِنِي الشَّرَى (حَكَّةٌ فِي الْجِلْدِ) عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْعَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَجَرَّدْتُ وَأَلْقَيْتُ ثِيَابِي عَلَى عَوْرَتِي فَنَقَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَفِّهِ ثُمَّ دَلَّكَ بِهَا الْأُخْرَى ثُمَّ أَمَرَهُمَا عَلَى ظَهْرِي فَعَبَقَ بِهَا مَا تَرَوْنَ .

٣٣- وَقِصَّةُ قَتَادَةَ بْنِ التُّعْمَانِ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ وَهَاجَتْ الظُّلُمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ وَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَادَةَ بْنَ التُّعْمَانِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((قَتَادَةُ)) ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِمْتُ إِنَّ شَاهِدَ الصَّلَاةِ اللَّيْلَةِ قَلِيلٌ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْهَدَهَا .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِذَا انصَرَفْتَ فَأْتِنِي)) . فَلَمَّا انصَرَفَ أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِرْجُونًا وَقَالَ : « خُذْهُ فَسَيْضِيءُ أَمَامَكَ عَشْرًا وَخَلْفَكَ عَشْرًا » .

٣٤- وَقِصَّةُ أَبِي جَابِرٍ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : تُوفِّيَ أَبِي شَهِيدًا فِي أَحَدٍ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَاسْتَعْنَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غُرْمَائِهِ فَلَمْ يَفْعَلُوا فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافًا الْعَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ وَعِدْقَ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ » .

(أَنْوَاعُ التَّمْرِ) .

« ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَيَّ » . قَالَ جَابِرٌ : فَفَعَلْتُ ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ عَلَيَّ أَعْلَاهُ أَوْ فِي وَسْطِهِ ثُمَّ قَالَ : ((كِلِ لِلْقَوْمِ)) . قَالَ جَابِرٌ : فَكَلَّمْتُهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتُهُمُ الَّذِي لَهُمْ وَبَقِيَ تَمْرِي كَأَنَّ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ .

٣٥- وَقِصَّةُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالتَّهَيُّؤِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ ، حَتَّى نَبْعَثَهَا فِي بِلَادِهَا » .

فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَسِيرِ ، كَتَبَ حَاطِبٌ كِتَابًا إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ
بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَمْرِ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ .
ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً وَجَعَلَ لَهَا عَطَاءً عَلَى أَنْ تُبَلِّغَهُ قُرَيْشًا فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا ثُمَّ فَتَلَتْ عَلَيْهِ قُرُونَهَا
(جَدَائِلُهَا) .

وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزَّبِيرَ بْنَ الْعَوَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ
: ((أَدْرِكَا امْرَأَةً قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبٌ بِنُ أَبِي بَلْتَعَةَ بِكِتَابٍ إِلَى قُرَيْشٍ يُحَذِّرُهُمْ مَا أَجْمَعْنَا عَلَيْهِ
فِي أَمْرِهِمْ)) .

فَخَرَجَا حَتَّى أَدْرَكَاهَا بِالْحُلَيْقَةِ (اسْمٌ مَوْضِعٌ) فَاسْتَنْزَلَاهَا فَالْتَمَسَا فِي رَحْلِهَا فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا
فَقَالَ لَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : إِنِّي أَخْلِفُ بِاللَّهِ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا
كَذَبْنَا وَلْتُخْرِجَنَّ لَنَا هَذَا الْكِتَابَ أَوْ لَنَكْشِفَنَّكَ .

فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّةَ مِنْهُمَا قَالَتْ : أَعْرِضْ فَأَعْرِضَ فَحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِهَا فَاسْتَخْرَجَتْ الْكِتَابَ
مِنْهَا فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ فَأَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَاطِبًا فَقَالَ : ((يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا)) .

فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا غَيَّرْتُ

وَلَا بَدَّلْتُ وَلَكِيَّ امْرُؤًا لَيْسَ لِي فِي الْقَوْمِ مِنْ أَصْلٍ وَلَا عَشِيرَةٍ وَكَانَ لِي بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَلَدٌ وَأَهْلٌ
فَصَانَعْتُهُمْ عَلَيْهِمْ .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي فَلَأَضْرِبَ عَنْقَهُ فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ نَافَقَ . فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطَّلَعَ إِلَى أَصْحَابِ بَدْرِ فَقَالَ :
اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي
وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ الآية .

اللَّهُمَّ نُورَ قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَيَسِّرْ أُمُورَنَا وَتَبَيَّنَّا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَارْفَعْ مَنَازِلَنَا فِي جَنَّةِ عَالِيَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣٦- وَقِصَّةُ لَبْنِ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَعَدَ يَوْمًا عَلَى الطَّرِيقِ فَمَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَاهُ وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِهِ وَمَا فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ » .
قَالَ : قُلْتُ لَبْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : ((الْحَقُّ)) . وَمَضَى فَتَبَعْتُهُ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي فَدَخَلَ
فَوَجَدَ لَبْنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ : ((مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبْنُ)) ؟ قَالُوا : مِنْ فُلَانٍ أَوْ فُلَانَةٍ .

قَالَ : ((أَبَا هُرَيْرَةَ)) . قُلْتُ : لَبْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : ((الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي
)) . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَسَاءَ لِي ذَلِكَ فَقُلْتُ : وَمَا هَذَا اللَّبْنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ
أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبْنِ شَرْبَةً أَنْتَقَوَى بِهَا فَإِذَا جَاءُوا أَمْرِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي
مِنْ هَذَا اللَّبْنِ .

قَالَ : فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا بِمَجَالِسِهِمْ مِنَ الْبَيْتِ فَقَالَ : ((
يَا أَبَا هُرَيْرَةَ)) . قُلْتُ : لَبْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : ((حُذْ فَأَعْطِيهِمْ)) .

قَالَ : فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِي الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوِي ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ . حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلُّهُمْ .

فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ : ((أَبَا هِرٍّ)) . قُلْتُ : لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : ((بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ)) . قُلْتُ صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : ((أَفَعُدُّ فَاشْرَبْ)) . فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ فَقَالَ : ((اشْرَبْ)) . فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ : ((اشْرَبْ)) . حَتَّى قُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحَدٌ لَهُ مَسَلَكًا .

قَالَ : ((فَأَرِنِي)) . فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ٣٧- وَقِصَّةُ طَعَامِ جَابِرٍ وَذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا حَفِرَ الْخُنْدُقَ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْصًا شَدِيدًا فَاَنْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ : هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ فَإِنِّي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَمْصًا شَدِيدًا .

فَأَخْرَجَتِ إِلَيَّ جَرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْنَاهَا وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ فَفَرَعَتُ إِلَى فَرَاعِي وَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ .

فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((يَا أَهْلَ الْخُنْدُقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيِّ هَلَا بِكُمْ)) . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((لَا

تَنْزِلَنَّ بِرِّمَتِكُمْ وَلَا تُخْبِرَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّىٰ أَجِيءَ)) . وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَدَّمُ النَّاسَ حَتَّىٰ جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ : بِكَ وَبِكَ فَقُلْتُ : قَدْ فَعَلَ الَّذِي قُلْتِ فَأَخْرَجْتِ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ .

ثُمَّ قَالَ : ((ادْعِي خَايِزَةَ فَلْتَخْبِرْ مَعَكَ وَأَفْدِحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا)) . وَهُمْ أَلْفٌ فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّىٰ تَرَكَوهُ وَأُحْرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبِرُ كَمَا هُوَ .

٣٨- وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ شَاكِيًا فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَجَلِي قَدْ حَضَرَ فَأَرْخِي وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا فَارْفَعِي وَإِنْ كَانَ بَلَاءً فَصَبِّرِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((كَيْفَ قُلْتِ)) ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَا قَالَ فَضَرِبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ : ((اللَّهُمَّ عَافِهِ)) أَوْ اشْفِهِ شَكَ شُعْبَةُ قَالَ : فَمَا اشْتَكَيْتِ وَجَعِي بَعْدَ . قَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

٣٩- وَمِنْ ذَلِكَ رَدُّ عَيْنِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ فَقَدْ أُصِيبَتْ عَيْنُهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ حَتَّىٰ وَقَعَتْ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَرَدَّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَحَدَهُمَا نَظْرًا وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُهُ :

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَأَلَتْ عَلَىٰ الْخَدِّ عَيْنُهُ

فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَىٰ أَحْسَنَ الرَّدِّ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ وَالسِّنِّتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ وَأَمَّنًا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأُخْرَانَا وَأَهْلِنَا وَمَا لَنَا اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَأَمِّنْ رُوعَاتِنَا وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ

أَنْ نُعْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
 وَمِنْ قَوْلِ أَبِي طَالِبٍ يَمْدَحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ
 ثَمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
 وَهُوَ مِنْ قَصِيدَةِ أَبِي طَالِبٍ قَالَهَا تَمَالُتُ عَلَيْهِ فُرَيْشُ وَنَفَرُوا عَنْهُ وَأَوَّلُهَا :
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وَدَّ عِنْدَهُمْ
 وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
 وَقَدْ جَاهَرُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى
 وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمَزَائِلِ
 صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَاءٍ سَمْحَةٍ
 وَأَبْيَضَ غَضِبَ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ
 وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
 وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
 أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
 عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحِّحٍ بِبَاطِلِ
 لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مُكَدِّبُ
 لَدَيْنَا وَلَا يَغْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
 كَذِبْتُمْ وَرَبَّ الْعَرْشِ نَبِيَّ مُحَمَّدًا
 وَلَمَّا نَطَاعِنُ عِنْدَهُ وَنُنَاضِلِ
 وَنُسَلِّمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ دُونَهُ
 وَنَذْهَلَ عَنَّا أَبْنَانَنَا وَالْحَلَائِلِ

وَيَنْهَضُ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
 نُهْوَضَ الرِّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ
 وَيَنْهَضُ قَوْمٌ نَحْوَكُمْ غَيْرَ عَزَلٍ
 بِيضِ حَدِيثٍ عَهْدَهَا بِالصَّيَاقِلِ
 وَمَا تَرَكُ قَوْمٌ لَا أَبَالَكَ سَيِّدًا
 يَحُوطُ الذِّمَارَ غَيْرَ ذَرْبِ مُوَاصِلِ
 وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ
 تَمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
 يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَقَوَاصِلِ
 لَعْمَرِي لَقَدْ كَلَّفْتُ وَجَدًا بِأَحْمَدٍ
 وَإِخْوَتَهُ دَابَّ الْمُحِجَّبِ الْمُوَاصِلِ
 فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمِّلِ
 إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ
 حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ
 يُوَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
 وَمِيزَانُ حَقِّ مَا يَعُولُ شَعِيرَةٌ
 وَوَرَانُ حَقِّ وَرْثَتِهِ غَيْرُ عَائِلِ
 فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ
 تَجُرُّ عَلَيَّ أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ

لَكِنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
 فَأَصْبَحَ فِيْنَا أَحْمَدُ ذُو أَرْوَمَةٍ
 تُقَصِّرُ عَنْهَا سُورَةُ الْمُتَطَوِّلِ
 حَدَبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتُهُ
 وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَى وَالْكَلاَكِلِ
 فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ
 وَأَظْهَرَ دِينًا حَقَّهُ غَيْرُ بَاطِلِ

٤١- وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي غَزْوَةِ حَيْبَرَ مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدٌ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرِيءٌ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ .

٤٢- وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ خُضِبَ بِالِدَّمَاءِ ، ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : ((فَعَلَّ هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا)) . قَالَ : فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً ؟ قَالَ : ((نَعَمْ)) . فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي فَقَالَ : ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَدَعَاهَا فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَى مَكَانِهَا فَقَالَ لَهَا : ((ارْجِعِي)) . فَرَجَعَتْ حَتَّى عَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((حَسْبِي)) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَأَهْلِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَّتِنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى

عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَعِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُفِيظَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُرِيْلُ مَا حَدَّثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَسْمَعَ أَهْلَ الزِّيغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) ٤٣ - وَمِنْهَا إِطْعَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ يَخْفِرُونَ الْخُنْدَقَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِتَمَرَاتٍ قَلِيلَةٍ ، فَفِي كُتُبِ السِّيَرِ وَعَوِيْرَهَا أَنَّ ابْنَةَ لَيْشِيرِ بْنِ سَعْدٍ أُخْتِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَتْ : دَعْتَنِي أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ ، فَأَعْطَتْنِي حَفْنَةً مِنْ تَمْرٍ فِي ثَوْبِي ، ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّ بُنْيَةٍ أَذْهَبِي إِلَى أَبِيكَ وَخَالِكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْدَئِهِمَا .

قَالَتْ : فَأَخَذْتَهَا ، فَاَنْطَلَقْتُ بِهَا ، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَلْتَمِسُ أَبِي وَخَالِي ، فَقَالَ : « تَعَالِي يَا بُنْيَةَ ، مَا هَذَا مَعَكَ » ؟ قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا تَمْرٌ بَعَثْتَنِي بِهِ أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَخَالِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَتَعَدِّيَانِهِ . قَالَ : « هَاتِيهِ » . قَالَتْ : فَصَبَبْتَهُ فِي كَفِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا مَلَأْتَهُمَا .

ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فُبَسِطَ لَهُ ، ثُمَّ دَحَا بِالْتَمْرِ عَلَيْهِ فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ ثُمَّ قَالَ لِإِنْسَانٍ عِنْدَهُ : « أُصْرُخُ فِي أَهْلِ الْخُنْدَقِ ، أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْعَدَاءِ » . فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْخُنْدَقِ عَلَيْهِ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَرِيدُ ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخُنْدَقِ عَنْهُ ، وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ .

٤٤ - وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ قَبْلَ مَسِيرِهِمْ إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ وَهُمْ يَنْحَهَرُونَ لِلْمَسِيرِ أَنَّهُ يَصِيرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ دِمَاءٌ قَلِيلَةٌ ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهُ

وَقَعَ بَيْنَ بَعْضِ كَتَائِبِهِ حِينَ دُخُولِهِمْ مَكَّةَ وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَعَدُوا بِالْحَنْدَمَةِ ، لِيَرُدُّوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِعْمِهِمْ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ مُنَاوَشَةً قَلِيلَةً . وَفُتِلَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَنْهَزَمَ الْبَاقُونَ ، وَقَدْ مَلَكَهُمْ الرُّعْبُ وَالذُّعْرُ وَجَلَّلَهُمُ الْخَوْفُ ، وَحَدِيثُهُمْ فِي خَبَرِ الْفَتْحِ مَشْرُوحٌ .

٤٥ - وَمِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ لَمَّا رَجَعَ الْأَحْزَابُ حَائِبِينَ : « الْآنَ نَعْزُوهُمْ وَلَا يَعْزُونَنَا » . فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ، فَإِنَّ قُرَيْشًا بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى غَزْوِ الْمَدِينَةِ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَصَالِحُوهُ وَهَادِثُوهُ ، ثُمَّ دَخَلَ مِنْ قَابِلٍ مَعَ أَصْحَابِهِ آمِنِينَ ، ثُمَّ فَتَحَهَا بَعْدَ ذَلِكَ .

٤٦ - وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ لِحُوقًا بِهِ ، فَكَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُوفِّيَتْ بَعْدَهُ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ يَوْمًا ، أَوْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، عَلَى اخْتِلَافِ الرُّوَايَاتِ ، وَلَمْ يَتَوَفَّ قَبْلَهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ .

٤٧ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ ، وَأَرْبَدَ بْنَ قَيْسٍ ، وَهُوَ أَخُو لُبَيْدِ بْنِ رَيْعَةَ ، وَفَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ عَامِرٌ لِأَرْبَدَ : إِذَا قَدِمْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَإِنِّي سَأَعِلُّ عَنْكَ وَجْهَهُ ، فَأَعْلُهُ أَنْتَ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى تَقْتُلَهُ ، قَالَ أَرْبَدُ : أَفْعَلُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَامِرٌ يَمْسِي ، وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا لِي إِذَا أَسَلَمْتُ ، فَقَالَ : ((لَكَ مَا لِلْإِسْلَامِ وَعَلَيْكَ مَا عَلَى الْإِسْلَامِ)) . قَالَ : أَلَا تَجْعَلُنِي الْوَالِيَّ مِنْ بَعْدِكَ .

قَالَ : ((لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ وَلَكِنَّ لَكَ أَعِنَّةَ الْخَيْلِ تَغْزُو بِهَا)) . قَالَ : أَوْ لَيْسَتْ لِي الْيَوْمَ ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لِي وَلكَ الْمَدَدَ ، قَالَ : ((لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ)) . فَقَالَ : فَمَ يَا مُحَمَّدُ ، إِلَى هَا هُنَا فَقَامَ إِلَيْهِ ، فَوَضَعَ عَامِرٌ يَدَهُ بَيْنَ مَنْكَبَيْهِ ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى أَرْبَدَ أَنْ أَضْرِبَ ، فَسَلَّ أَرْبَدُ سَيْفَهُ قَرِيباً مِنْ ذِرَاعٍ ، ثُمَّ أَمْسَكَ اللَّهُ يَدَهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَسْأَلَهُ ، وَلَا يُعْمِدَهُ .

فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَرْبَدَ ، فَرَأَاهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : ((اللَّهُمَّ اكْفِينِيهِمَا بِمَا شِئْتَ اللَّهُمَّ اهْدِ بَنِي عَامِرٍ ، وَاعْنِ الدِّينَ عَنْ عَامِرٍ)) . فَاذْطَلَقَا وَعَامِرٌ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلاً ذُهِمًا وَوَرْدًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((يَا بَنِي اللَّهِ ذَلِكَ وَأَبْنَاؤُ قَيْلَةَ)) . يَعْنِي الْأَنْصَارُ ، ثُمَّ قَالَ عَامِرٌ لِأَرْبَدَ : وَيْلَكَ لِمَاذَا أَمْسَكَتَ عَنْهُ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا هَمِمْتُ بِهِ مَرَّةً ، إِلَّا رَأَيْتُكَ وَلَا أَرَى غَيْرَكَ أَفَاضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ .

وَسَارَ عَامِرٌ فَطَرَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الطَّاعُونَ فِي عُنُقِهِ ، فَقَتَلَهُ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولٍ ، وَجَعَلَ يَقُولُ يَا آلَ عَامِرٍ ، غُدَّةٌ كَعُدَّةِ الْبَعِيرِ ، وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ . وَانْتَهَتْ حَيَاتُهُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَأَمَّا أَرْبَدُ فَقَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَقَالُوا : مَا وَرَاءَكَ يَا أَرْبَدُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ دَعَانَا مُحَمَّدٌ إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ ، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأُرْمِيهِ بِنَبْلِي هَذَا حَتَّى أَقْتُلَهُ .

ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَقَالَتِهِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ وَمَعَهُ جِمَالٌ لَهُ تَتَّبَعَهُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ ،
وَقِيلَ نَزَلَ فِي صَاعِقَتِهِ ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ
فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

٤٨ - وَمِنْهَا إِطْعَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي الْمُطَلِّبِ بِذِرَاعِ جُزُورٍ وَعُسٍّ مِنْ لَبَنٍ ، فَقَدْ ذَكَرَ
أَهْلُ النَّقْلِ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ أَمَرَ عَلِيًّا
فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ فَضِئْتُ بِذَلِكَ ذُرْعًا وَعَرَفْتُ أَبِي مَتَى
أَبَادِيهِمْ بِهَذَا الْأَمْرِ أَرَى مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ فَصَمْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جَاءَنِي جَبْرِيلُ فَقَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ إِلَّا
تَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ بِهِ يُعَذِّبَكَ رَبُّكَ . فَاصْنَعْ لَنَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ ، وَاجْعَلْ عَلَيْهَا رِجْلًا شَاةً ، وَأَمَلًا
لَنَا عُسًا مِنْ لَبَنٍ .

ثُمَّ اجْمَعْ لِي بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ مَا أُمِرْتُ بِهِ)) . فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ ، ثُمَّ
دَعَوْتُهُمْ لَهُ وَهُمْ يَوْمئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا يَزِيدُونَ رَجُلًا أَوْ يَنْقُصُونَهُ فِيهِمْ أَعْمَامُهُ أَبُو طَالِبٍ وَحَمْزُهُ
وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَبُو هَبٍ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، دَعَانِي بِالطَّعَامِ الَّذِي صَنَعْتُهُ فَجِئْتُ
بِهِ .

فَلَمَّا وَضَعْتُهُ تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَذْبَةً مِنَ اللَّحْمِ فَشَقَّهَا بِأَسْنَانِهِ ، ثُمَّ
أَلْفَاهَا فِي نَوَاحِي الصَّخْفَةِ ثُمَّ قَالَ : ((خُذُوا بِاسْمِ اللَّهِ)) . فَأَكَلَ الْقَوْمُ حَتَّى مَا لَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ
حَاجَةٍ ، وَاتَمَّ اللَّهُ

إِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِيَأْكُلَ مِثْلَ مَا قَدَّمْتُ لِجَمِيعِهِمْ .
 ثُمَّ قَالَ : ((اسْقِ الْقَوْمَ)) . فَجِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعَسِّ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا جَمِيعاً وَابْتِغَى اللَّهُ إِنْ كَانَ
 الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِيَشْرَبَ مِثْلَهُ .
 فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ ، بَدَرَهُ أَبُو هَبَّ فَقَالَ : سَحَرَكُمُ
 صَاحِبُكُمْ . فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ وَمَنْ يُكَلِّمُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 فَقَالَ الْعَدِي : « يَا عَلِيُّ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَبَّحَنِي إِلَى مَا سَمِعْتَ فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ قَبْلَ أَنْ
 أَكَلَّمَهُمْ فَعَدُّ لَنَا مِنَ الطَّعَامِ مِثْلَ مَا صَنَعْتَ ثُمَّ اجْمَعُهُمْ » . فَفَعَلْتُ ثُمَّ جَمَعْتُهُمْ فَدَعَا نِي بِالطَّعَامِ
 فَفَرَّقْتُهُ فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ بِالْأَمْسِ . فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا .
 ثُمَّ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ((يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ
 بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ)) . وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مُؤَازَرَتَهُ عَلَى ذَلِكَ فَلَمْ
 يُجِبْهُ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْحَارِقَةِ لِلْعَادَةِ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيِ
 نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَدِيقاً لَهُ .
 ٤٩ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ فِي أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ أَنَّ مَعْمَرَ بْنَ يَزِيدٍ وَكَانَ أَشْجَعَ قَوْمِهِ اسْتَعَانَتْ بِهِ فُرَيْشٌ
 وَشَكُوا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ بَنُو كِنَانَةَ تَصُدُّرُ عَنْ رَأْيِهِ وَتُطِيعُ

أَمْرُهُ فَلَمَّا شَكَّوْا إِلَيْهِ قَالَ لَهُمْ : إِيَّيَّ قَادِمٌ إِلَى ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ مِنْهُ وَعِنْدِي عِشْرُونَ أَلْفٍ مُدَجَّحٍ
 فَلَا أَرَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَفْقِدُ عَلَى حَرْبِي .
 وَإِنْ سَأَلُونِي الدِّيَّةَ أُعْطِيْتُهُمْ عَشْرَ دِيَّاتٍ فِي مَالِي سِعَةً وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالشَّجَاعَةِ وَالْبَأْسِ
 فَلَيْسَ يَوْمٌ وَعَدِهِ فُرَيْشًا سِلَاحَهُ وَظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ فَوَاقَهُمُ بِالْحَطِيمِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فِي الْحِجْرِ يُصَلِّي وَقَدْ عَرَفَ ذَلِكَ فَمَا التَفَّتْ وَلَا تَزَعَزَعَتْ وَلَا قَصَرَ فِي صَلَاةٍ .
 فَقِيلَ : هَذَا مُحَمَّدٌ سَاجِدٌ فَأَهْوَى إِلَيْهِ وَقَدْ سَلَّ سَيْفَهُ وَأَقْبَلَ نَحْوَهُ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ رَمَى بِسَيْفِهِ
 وَعَادَ فَلَمَّا صَارَ إِلَى بَابِ الصَّفَا عَثَرَ فِي دِرْعِهِ فَسَقَطَ فَقَامَ وَقَدْ أَدْمَى وَجْهَهُ بِالْحِجَارَةِ يَعْدُو
 كَأَشَدِّ الْعَدُوِّ حَتَّى بَلَغَ الْبَطْحَاءَ مَا يَلْتَفِتُ إِلَى خَلْفٍ فَاجْتَمَعُوا وَعَسَلُوا عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ وَقَالُوا :
 مَاذَا أَصَابَكَ . قَالَ : وَيْحَكُمْ الْمَغْرُورُ مَنْ عَزَّزْتُمُوهُ . قَالُوا : مَا شَأْنُكَ . قَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ
 دَعُونِي تَرْجِعْ إِلَيَّ نَفْسِي . فَتَرَكُوهُ سَاعَةً وَقَالُوا : مَا أَصَابَكَ يَا أَبَا اللَّيْثِ . قَالَ : إِيَّيَّ لَمَّا دَنَوْتُ
 مِنْ مُحَمَّدٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَهْوِيَ بِسَيْفِي إِلَيْهِ أَهْوَى إِلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ شُجَاعَانِ أَقْرَعَانِ يَنْفُخَانِ
 النَّيْرَانَ تَلْمَعُ مِنْ أَبْصَارِهِمَا فَعَدَوْتُ فَمَا كُنْتُ لِأَعُودَ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاءَةِ مُحَمَّدٍ .
 ٥٠ - قَالَ : وَمِنْ أَعْلَامِهِ :

أَنَّ كِلْدَةَ بِنَ أَسَدٍ أَبَا الْأَشَدِّ وَكَانَ مِنَ الْقُوَّةِ بِمَكَانٍ خَاطَرَ فُرَيْشًا يَوْمًا فِي قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْظَمُوا لَهُ الْخَطَرَ إِنَّهُ هُوَ كَفَاهُمْ فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّرِيقِ يُرِيدُ الْمَسْجِدَ مَا بَيْنَ دَارِ عَقِيلٍ وَعِيقَالٍ فَجَاءَ كِلْدَةَ وَمَعَهُ الْمِزْرَاقُ فَرَجَعَ الْمِزْرَاقُ فِي صَدْرِهِ فَرَجَعَ فَرِعًا فَقَالَتْ لَهُ فُرَيْشٌ : مَا لَكَ يَا أَبَا الْأَشَدِّ . فَقَالَ : وَيَحْكُمُ مَا تَرَوْنَ الْفَحْلَ خَلْفِي ؟ قَالُوا : لَا مَا نَرَى شَيْئًا . قَالَ : وَيَحْكُمُ فَإِنِّي أَرَاهُ . فَلَمْ يَزَلْ يَعْدُو حَتَّى بَلَغَ الطَّائِفَ فَاسْتَهَزَّتْ بِهِ تَقِيفٌ فَقَالَ : أَنَا أَعْدُكُمْ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَهَلَكْتُمْ .

القصيدة الوعظية

لَيْسَ الْمَقَامُ بِدَارِ الذُّلِّ مِنْ شِيَمِي	وَلَا مُعَاشِرَةُ الْأَوْشِ مِنْ هَمِّي
وَلَا مُخَالَطَةُ الْأَرْدَالِ تَصْلُحُ لِي	كَذَلِكَ الْبَارُ لَا يَأْوِي إِلَى الرَّحِمِ
يَا سَائِلِي عَنْ غُلُومٍ لَيْسَ يَفْهَمُهَا	اسْمَعْ كَلَامًا كَنْظِمَ الدَّرُّ مَحْتَكِمِ
إِنَّ الْوُعَيْظِي لَهُ فِي الشُّعْرِ نَافِلَةٌ	يَحَارُ فِيهَا ذُوو الْأَبَابِ وَالْفُهْمِ
خَيْرُ الصَّنَائِعِ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِهِ	يَكْفِيكَ فِي الْحَشْرِ مَا تَخْشَى مِنْ
وَالْوَالِدِينَ فَلَا تَنْهَرُهُمَا أَبَدًا	قَدْ رَبَّيَاكَ صَغِيرًا غَيْرَ مُنْفَطِمِ
قَدْ طَالَ مَا سَهَرْتَ بِاللَّيْلِ أَعْيُنُهُمْ	خَوْفًا عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ الَّتِي بَيْنَ الْفَتَى صَلَاةٌ	وَبَيْنَ خَالِقِهِ تَنْهَى عَنِ الْإِثْمِ
أَدَّ الزَّكَاةَ عَنِ الْأَمْوَالِ تَغْسِلُهَا	كَالثُّوبِ يُغْسَلُ أَوْ يُنْفَى مِنَ الدَّسَمِ
وَالصَّوْمُ فَرَضٌ مِنَ الرَّحْمَنِ أَوْجَبَهُ	عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيَصُمْ
وَالْحُجُّ فَرَضٌ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلِّهِمْ	مَنْ لَمْ يَحُجَّ كَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يَصُمْ

مَنْ اسْتَطَاعَ عَلَى زَادٍ وَرَاحِلَةٍ
 فَإِنَّ حَاجَتَهُ اخْفَظْنَهَا كَيْ تَفُوزَ بِهَا
 وَلَا تُضَيِّعَهَا تَصَلَّى لَهَيْبِ لَطَى
 وَكَمْ أَصَابَكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ عَطَشٍ
 وَفِي الْجِهَادِ ثَوَابٌ إِنَّ صَاحِبَهَا
 وَإِنْ ظَفَرْتَ فَمَشْكُورٌ وَمُفْتَحِرٌ
 فَأَبْشِرْ بِجَنَاتٍ عَدْنٍ غَيْرَ فَانِيَةٍ
 وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَطْلُوبٍ فَطَالِبُهُ
 قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَافْتَحَرُوا
 وَالْكَيْلُ أَوْفَى وَلِلْمِيزَانِ أَرْجَحُهُ
 وَأَمْرٌ بِأَهْلِكَ يَا هَذَا وَحُضُّهُمْ
 وَاجْهَرُ بِخَيْرٍ إِذَا مَا مَعَشَرَ حَضَرُوا
 مَنْ طَابَ مَوْلَدُهُ طَابَتْ مَحَاضِرُهُ
 وَلِلْبَنِينَ حُقُوقٌ لَا تُضَيِّعُهَا
 وَحُضُّهُمْ بِأَدِيبٍ فَاضِلٍ فَهَمِ
 وَأَقْرَأْهُمْ النَّحْوَ وَالشَّعْرَ الْفَصِيحَ فَفِي
 وَالضَّيْفِ أَكْرَمُهُ إِنَّ الضَّيْفَ مُرْتَحِلٌ
 لَيْسَ الْكِرَامَةُ فِي طِيبِ الطَّعَامِ لَهُ
 بَلِ الْكِرَامَةُ أَنْ تَلْقَاهُ مُبْتَسِمًا
 أَوْصِيكَ بِالرُّمْحِ وَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ فِي

وَمَسَلَّكَ آمِنٍ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ
 وَادْكُرْ مَسِيرَكَ مِنْ طَامٍ إِلَى أَكْمِ
 وَتُحْرَمُ الشُّرْبُ مِنْ حَوْضٍ لِكُلِّ ظِمٍ
 وَكَمْ تَعِبْتَ وَكَمْ جَاوَزْتَ مِنْ إِصِمٍ
 فِي الْخَيْرِ وَالْحُورِ مَقْصُورٍ مَعَ الْخِيمِ
 وَإِنْ قُتِلْتَ جَزَاكَ اللَّهُ بِالنِّعَمِ
 إِنَّ أَنْتَ مُتٌّ شَهِيدًا غَيْرَ مُنْهَزِمٍ
 يَنَالُ دُنْيَا وَدِينًا غَيْرَ مُتَّهَمٍ
 بِأَنَّهُمْ أَمْنَاءُ اللَّهُ فِي الْأُمَمِ
 كَمْ أَهْلَكَ اللَّهُ فِي هَذَيْنِ مِنْ أُمَّمٍ
 عَلَى الصَّلَاةِ فِيهَا كُلُّ مُغْتَنَمٍ
 وَأَنْطِقْ بِخَيْرٍ تَنَالُ حُسْنَ خَيْرِهِمْ
 كَذَاكَ قَدْ قِيلَ فِي بَيْتٍ مِنَ الْقَدَمِ
 حَالُ كَرِيمٍ وَاسْمٌ غَيْرٌ مُنْعَجِمٍ
 فَأَفْضَلُ الْخَلْقِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْكَرَمِ
 ذَاكَ فَضِيلَةٌ لَيْسَ الْفَضْلُ لِلْعَجَمِ
 يُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا أُوتِيَتْ مِنْ كَرَمِ
 وَلَا تَكُلُّفَ مِنْ لَحْمٍ وَمِنْ أَدَمِ
 لَا خَيْرَ عِنْدَ مَضِيْفٍ غَيْرِ مُبْتَسِمِ
 هَذَيْنِ عَزُّ وَمَجْدٌ غَيْرَ مُنْهَمِ

وَسَابِقِ الْخَيْلِ أَكْرَمَهَا مُحَافِظَةً
 وَلَا تُوَائِلِ إِمَارَةَ تُفُومُ بِهَا
 وَإِنْ مَلَكَتْ فَكُنْ بِالْعَدْلِ مُتَزَرًّا
 فَرُبَّ دَعْوَةٍ مَظْلُومٍ تُصَادِفُهَا
 وَاحْفَظْ نَصِيحَةَ مَنْ تَنْفَعُ نَصِيحَتُهُ
 وَإِنْ دَنَوْتَ مِنْ السُّلْطَانِ وَارْتَفَعَتْ
 إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا حَبَوْكَ وَاجْتَهَدُوا
 وَإِنْ جَفَوْتَ سَفُوكَ السُّمِّ وَاجْتَهَرُوا
 وَاحْذَرْ مِنَ الْبَغْيِ إِنَّ الْبَغْيَ مَنَقَصَةٌ
 وَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ يَوْمًا فَفَارِقْهُ
 أَرْضٌ بِأَرْضٍ وَإِخْوَانٌ بِمِثْلِهِمْ
 وَأَنْهَضْ فَإِنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ
 وَإِنْ تَغَيَّرَ يَوْمًا مَنْ تُصَاحِبُهُ
 فَلَا تُعَاتِبْهُ يَوْمًا بَلْ فَفَارِقْهُ
 لَا خَيْرَ فِي صَاحِبٍ تَبَدُّو قَبَائِحُهُ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ الرَّبَا فِي الْمَالِ يَمْحَقُهُ
 وَلَا تُعَامِلْ لِمَخْلُوقٍ مُعَامَلَةٌ
 وَلِلدَّرَاهِيمِ فِي الْحَاجَاتِ مَنَفَعَةٌ
 وَإِنْ تَدَايَنْتَ دَيْنًا لَا تَكُنْ مَطْلًا
 أَتَأْخُذُ الدِّينَ حُلُوعًا عِنْدَ حَاجَتِهِ
 لَا تَحْمِدَنَّ امْرَأً حَتَّى تُجَرِّبَهُ
 فَإِنَّهَا عِدَّةٌ لِلْمَاجِدِ الْفَهْمِ
 عِنْدَ الْعَلِيْقِ وَلَا وَغْدًا مِنَ الْخَدَمِ
 وَاحْذَرْ سِهَامَ الدُّجَى فِي حَنْدَسِ الظُّلَمِ
 إِجَابَةٌ بِزَوَالِ الْمُلْكِ وَالنِّعَمِ
 وَالْبَدَلُ جَازِيهِ بِالتَّأْدِيبِ وَالْكَرَمِ
 بِكَ الْمَرَاتِبُ لَا تَأْمَنُ مِنَ النَّقَمِ
 هُمْ يُتْبِعُونَكَ لَهُمْ فِي سَائِرِ الْخَدَمِ
 مَا كُنْتَ تَصْنَعُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَلِمِ
 عَوَاقِبُ الْبَغْيِ لَا تُبْقِي وَلَا تَدُمِ
 لَا خَيْرَ فِي الْمَنْزِلِ الْمُسْتَوْبِلِ الْوَحْمِ
 وَالرِّزْقُ يَأْتِي لِمَنْ يَسْعَى وَمَنْ يَقُمِ
 طُولًا وَعَرْضًا وَمَا ضَاقَتْ لِمُقْتَحِمِ
 عَنْ وَدِّهِ وَبَدَا بِالصِّدْقِ وَالصَّمَمِ
 لَيْسَتْ مُعَاشِرَةُ الْأَرْذَالِ بِاللِّزْمِ
 بَعْدَ الْجَمِيلِ بِوَجْهِ عَابِسٍ وَخِمِ
 وَالرِّيحُ مِنْ وَجْهِ حِلٍّ غَيْرِ مُتَّهَمِ
 إِلَّا بِخَطِّ شُهُودٍ يُقْتَدَى بِهِمْ
 نِعَمَ الصِّدِيقِ وَلَا يُخْشَى مِنَ الْعَدَمِ
 فَإِنَّ حُسْنَ الْوَفَا مَقْرُونٌ بِالْكَرَمِ
 وَعِنْدَ وَقْتِ الْقَضَاةِ فِيهِ بِالْكَطَمِ
 وَلَا تَذُمَّنَّهُ فِي الْعُسْرِ وَالْعَدَمِ

وَابْنُ عَمِّكَ لَا تَقْطَعُ مَوَدَّتَهُ
 وَإِنْ أَتَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ
 فَذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ وَلَدٍ
 وَالْمَجْدُ لَا يَنْبَغِي إِلَّا بِأَرْبَعَةٍ
 وَإِنْ تَقَدَّمْتَ يَا هَذَا عَلَى نَفَرٍ
 وَاطْلُبْ رِضَاهُمْ إِذَا طَاعُوكَ وَاجْتَهَدُوا
 وَأَقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ أَتَاكَ مُعْتَذِرًا
 مَا كُلُّ مَنْ وَلَدَتْهُ الْأُمُّ قِيلَ أَخٌ
 أَحُوكَ فِي النَّاسِ مَنْ وَافَاكَ فَاحْفَظْهُ
 وَإِنْ مَدَحْتَ فَلَا تَهْدِ الْقَرِيضَ إِلَى
 إِنْ جِئْتَ تَقْصُدُهُ أَرْحَى مَشَافِرُهُ
 اقْصُدْ بِمَدْحِكَ ذَا فَضْلٍ وَذَا كَرَمٍ
 يَكْفِيكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ أَنْتَ قَابِلُهُ
 وَإِنْ وَعَدْتَ فَاَوْفِ مَا وَعَدْتَ بِهِ
 وَاصْطِقْ فَإِنَّ حَدِيثَ الصِّدْقِ مَكْرَمَةٌ
 وَلِلْكَذُوبِ عُيُوبٌ إِنَّ صَاحِبَهَا
 وَلَا تَفَرِّطْ فِي جَارٍ وَلَا نَسَبٍ
 وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ
 وَإِنْ حَشِيَتْ مِنَ السُّلْطَانِ نَائِبَةٌ
 فَالنَّارُ تُحْرَقُ مَنْ يَدْنُو بِجَانِبِهَا
 وَإِنْ تَزَوَّجْتَ يَا هَذَا فَكُنْ حَفِظًا
 وَصَلْ قَرَابَتَهُ فِي اللَّهِ وَالرَّحِمِ
 مَطْلَعِ الرَّأْسِ عَارٍ مُحْتَشِمِ
 تَعَزُّوْ بِهِ النَّفْسَ وَالْأَمْوَالَ وَالْهَمَمِ
 بِالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ وَالْأَمْوَالَ وَالْفِهَمِ
 فَكُنْ عَلَيْهِمْ كَمِثْلِ الْوَالِدِ الرَّحِمِ
 وَإِنْ عَصَاكَ فَفَارِقْهُمْ وَلَا تُقِمِ
 فَالْعُذْرُ يُقْبَلُ عِنْدَ السَّيِّدِ الْحُثْمِ
 وَلَوْ أَفَادَكَ بِالذِّيَاتِ وَالْحَدَمِ
 وَمَنْ يُوَاسِيكَ عِنْدَ الْعُسْرِ وَالْعَدَمِ
 بَخِيلِ قَوْمٍ وَضِعِ غَيْرِ مُحْتَشِمِ
 كَأَنَّ شِدْقِيهِ مَنْفُودِينَ بِاللُّورِمِ
 يَلْقَاكَ وَالْوَجْهَ بِسَامٍ بِلا قَتَمِ
 مَعَ الْبَشَاشَةِ وَالْأَرْزَاقِ بِالْقَسَمِ
 فَالْوَعْدُ دِينَ عَلَى ذِي نَخْوَةٍ لَزِمِ
 فَالصِّدْقُ يُنَجِّيكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالْأُمَمِ
 وَإِنْ تَحَدَّثَ صِدْقًا بِالثُّهَمِ
 وَأَعْلَمَ أَنَّهُمَا فِي أَكْبَرِ الْأُمَمِ
 وَالسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْحَكَمِ
 فَابْتَعِدْ أَسْلَمًا لِلْأَعْنَاقِ وَالْهَمَمِ
 وَإِنْ تَبَاعَدَ عَنْهَا فَازَ بِالسَّلَمِ
 وَكُنْ غَيُورًا وَلَا تُفْسِحْ لَهَا قَدَمِ

وَلَا تُمَكِّنْهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا
 وَإِنْ ظَنَنْتَ بِهَا سُوءَ فَطَلَّقْهَا
 فَالْمَرْأَةُ السُّوءُ كَالضَّرْسِ الْعَلِيلِ فَإِنْ
 وَاحَدَزَ عَجُوزًا تُؤَلِّيَهَا عَلَى حُرْمٍ
 وَلَا تُحَادِثَنَّكَ الْأُنْثَى فَتَأْمَنُهَا
 هُنَّ الْكَوَادِيبُ لَا قَوْلَ لَهُنَّ وَلَا
 مَا فِي الرِّجَالِ عَلَى النَّسْوَانِ مِنْ ثِقَةٍ
 يَا مَنْ يُحَالِطُ فِي أَنْثَى وَفِي ذَكَرٍ
 هَلْ تَأْمَنُ النَّارَ إِنْ أَوْدَعَتْهَا حَطْبًا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ النَّسَاءَ أَصْحَابُ مَيْسِرَةٍ
 إِذَا دَعَتْهُنَّ أَغْرَاضٌ لَهُنَّ فَلَا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ الزَّانَةَ عَارٌ وَمَنْقَصَةٌ
 وَفِي الْحَلَالِ مِنَ الرَّحْمَنِ مَغْفِرَةٌ
 لَا تَقْتُلِ النَّفْسَ وَالرَّحْمَنُ حَرَّمَهَا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ مُطَّلَعٌ
 لَا يَرْجِعُ السَّهْمُ يَوْمًا إِنْ رَمَيْتَ بِهِ
 وَإِنْ بَدَأْتَ بِخَيْرٍ لَا تَمُنَّ بِهِ
 فَالْمَنُّ يُفْسِدُ مَا تُبْدِيهِ مِنْ كَرَمٍ
 وَمَنْ بَدَأَ لَكَ مَعْرُوفًا فَعَارِضُهُ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ جَمِيعَ الْمَالِ عَارِيَةٌ
 وَلِلْوَدِيعَةِ حَقٌّ لَا تُضَيِّعُهَا
 وَلَا الْخُرُوجُ مَعَ الدِّيَاتِ وَالْخَدَمِ
 وَخُدَّ سِوَاهَا وَلَا تَعْتَادَ بِالنَّدَمِ
 أَرْزَلْتَهُ زَالَ عَنْكَ الْبَأْسَ وَالْأَلَمِ
 فَالذُّبُّ لَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَى الْغَنَمِ
 يَوْمًا وَحَادِزُ ذَوَاتِ الْمَكْرِ وَالْتُّهُمِ
 يَحْفَظُنَّ عَهْدًا وَلَا يُوفِينَ بِالذَّمِّ
 وَلَا أَمِينٌ فَلَا تَصْغُفُوا لِكَيْدِهِمْ
 إِذَا خَلَا بِهِمَا إِنْ لَيْسَ فِي الظُّلَمِ
 كَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ فِي طَلْحٍ مِنَ الرِّثْمِ
 لَا يَسْتَحِينُ وَلَا يَصْبِرُنَّ لِلْعَدَمِ
 يَفْرِقُنَّ بَيْنَ كَرِيمِ الْجَدِّ وَاللَّمَمِ
 فِي الدِّينِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِينَ وَالْحَرَمِ
 يَصُونُ عِرْضَكَ مِنْ لَوْمٍ وَمِنْ إِثْمٍ
 كَمِثْلِ تَحْرِيمِهِ لِلْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
 عَلَيْكَ وَاحْدَرُ مِنَ الْجَبَارِ وَاحْتِثِمِ
 كَالدَّرِّ لَيْسَ بِمَرْدُودٍ إِلَى الْخُلَمِ
 وَكُنْ بِخَيْرِكَ بَيْنَ النَّاسِ مُحْتِثِمِ
 إِنَّ الْعَطَا وَالسَّخَا مِنْ أَفْضَلِ الشِّيمِ
 شُكْرًا كَشُكْرِ نَبَاتِ الْأَرْضِ لِلدِّيمِ
 وَقْتًا يَكُونُ وَوَقْتًا عَنْكَ مُنْهَزِمِ
 إِنَّ الْوَفَى حَسَنٌ فِي سَائِرِ الْأُمَمِ

هِيَ الْأَمَانَةُ أُعْطِيَهَا لِصَاحِبِهَا
وَإِنْ شَهِدْتَ بِشَيْءٍ لَا تُصَيِّعُهُ
إِنَّ الشَّهَادَةَ فَرَضَ لَيْسَ يَكْتُمَهَا
وَلَا تُصَاهِرُ بِخِيَالٍ فِي عَشِيرَتِهِ
وَإِنْ حَظَبْتَ فَلَا تَحْطُبْ وَإِنْ حَسَنْتَ
إِيَّاكَ تَشْتُمُ وَلَا تَبْدُو بِفَاحِشَةٍ
لَا تَرْكُنَنَّ إِلَى بَيْتِ الزُّنَاةِ وَلَوْ
وَلَا تُعَزِّرَنَّكَ سَوْدَاءَ فَتُودِعُهَا
وَإِنْ جَمَعْتَ نِسَاءً لَا تُضَارِرُهُنَّ
فَمَنْ تُطِيعُكَ أَكْرَمَهَا وَاحْفَظْهَا
إِيَّاكَ إِيَّاكَ قَدْفَ الْمُحْصِنَاتِ بِلَا
وَلَا تَجَرَّ عَلَى الْمَمْلُوكِ تَضْرِبُهُ
وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِ خَلَوْتِ بِهِ
وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ مَنْ وَصَّاكَ مُجْتَهِدًا
وَإِنْ هَمَمْتَ بِقَوْمٍ أَنْ تُجَاوِرَهُمْ
مَعْرُوفٍ بِالْخَيْرِ مَأْمُونًا عَوَاقِبُهُ
لَا خَيْرَ فِي الْجَارِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَقِي
مَا أَقْبَحَ الْجَارَ إِذْ يَزْنِي بِجَارَتِهِ
وَإِذَا كُنْتُمْ أَحَادِيثَ سِرٍّ أَنْ تُبَرِّزَهَا
وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ نَوْبٍ أَنْتَ لَا بِسُئِهِ
وَالْحُرُّ أَوْلَى بِسِرِّ النَّاسِ يَكْتُمُهُ
تَتَأَلَّ دِينًا وَتَنْجُو مِنْ أَدَى التُّهْمِ
وَاصْدُقْ بِقَوْلِكَ بَيْنَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ
إِلَّا لَيْمٌ قَلِيلُ الدِّينِ ذُو تُهُمٍ
وَلَوْ أَتَاكَ بِمَالِ الْفَارِسِ السَّلَمِ
إِلَّا كَيْبَرَةَ بَيْتٍ غَيْرِ مُتَّهُمِ
لِوَالِدَيْكَ وَابْنُكَ طَيِّبَ الْكَلِمِ
جَاءَتْ بِمَالِ جَزِيلٍ وَاحْدَرُ قَطَعَتْ
جَوَاهِرَ الصُّلْبِ لَيْسَ التُّورُ كَالظُّلَمِ
فَإِنَّهُنَّ وَدِيَعَاتُ لِيذِي كَرَمٍ
وَمَنْ عَصَتْكَ فَفَارِقْهَا وَلَا تُقِمِ
ذَنْبٍ فَتُصْبِحَ فِي بَحْرِ مِنَ الْإِثْمِ
وَأَحْسِنِ إِذَا كُنْتَ ذَا حُسْنٍ وَذَا كَرَمٍ
فَاللَّهُ يَنْظُرُهُ فِي حِنْدِسِ الظُّلَمِ
وَخُذْ قَصِيدًا كَنْظِمِ الدُّرَّ مُحْتَكِمِ
قَسَلِ عَنِ الْفَاضِلِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَرَمِ
لَا يُنْكَرُ الْجَارَ إِلَّا مَعْشَرُ الْوُومِ
عَنِ الْعَزِيزِينَ مِنْ مَالٍ وَمِنْ خَدَمِ
فِي جُنْحِ لَيْلٍ وَلَوْ كَانَتْ مِنَ الْخَدَمِ
فَكَاتِمِ السِّرِّ مَأْمُونٌ مِنَ التَّادِمِ
كَمْ هَامَةٌ قُطِعَتْ مِنْ عَشْرَةٍ بِقَمِ
بَعْدَ الثَّلَاثَةِ مَا سِرُّ بِمُكْتَمِ

وَإِنْ كَسَاكَ كَرِيمٌ مِنْ صَنَائِعِهِ
 وَإِنْ حَظِيَّتْ بِجَاهٍ لَا تَشْحَ بِهِ
 وَأَفْعَلُ جَمِيلاً إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا
 وَلَا تُشَاوِرْ وَإِنْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ
 لَا تَتَّهَرَنَّ يَتِيمًا مَاتَ وَالِدُهُ
 وَإِنْ أَتَى سَائِلًا يَوْمًا فَأَطْعِمْهُ
 إِيَّاكَ لَا تَنْهَرُهُ إِنْ لَجَّ فِي طَلَبِ
 إِنَّ الْعَرِيبَ ذَلِيلٌ أَيْنَمَا سَلَكَتْ
 إِنَّ مَاتَ يَوْمًا فَلَا تُبْكِيهِ بَاكِئَةٌ
 وَإِنْ دُعِيَتْ إِلَى قَوْمٍ لِتُصَلِّحَهُمْ
 وَإِنْ دَعَا بِكَ مَظْلُومٌ فَأَنْصِرْهُ
 وَإِنْ أَتَاكَ مَخِيفُ الْقَلْبِ أَمَّنْهُ
 وَلَا تَكُنْ شَرِّهَا فِي الْأَكْلِ كَمِ شَرِّهِ
 وَكَثْرَةُ الْأَكْلِ تُؤْذِي جِسْمَ صَاحِبِهَا
 وَغَسْلُ قَبْلِ صَعَامِ الْأَكْلِ فِيهِ غِنَى
 وَكَثْرَةُ الْمَرْحِ مَذْمُومٌ عَوَاقِبُهَا
 وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ لَا تَرْكَنْ لَهُ أَبَدًا
 وَكَلِّمْنَا زَادَ إِحْسَانًا فَأَبْعُدْهُ
 كَمْ مِنْ عَدُوٍّ رَمَى بِالْإِفْكِ صَاحِبَهُ
 وَإِنْ حَذَرْتَ عَدُوًّا مِنْكَ وَاحِدَةً
 فَرَبَّمَا انْقَلَبَتْ يَوْمًا صَدَاقَتُهُ
 ثَوْبًا فَأَنْشِرْهُ فِي سَائِرِ الْأُمَمِ
 يَوْمًا عَلَى عُزْبٍ لَا وَلَا عَجَمِ
 فَالْمَالُ يَفْنَى وَلَا خَيْرٌ بِمُنْصَرِمِ
 إِلَّا نَصُوحًا شَفِيقًا غَيْرَ مُتَّهِمِ
 إِنَّ الْيَتِيمَ ضَعِيفُ الْقَلْبِ ذُو أَلَمِ
 مِمَّا رُزِقَتْ بِوَجْهِهِ غَيْرَ مُنْقَطِمِ
 اذْفَعْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَيْلًا بِلَا نَدَمِ
 بِهِ الرِّكَابُ غَزِيرُ الدَّمْعِ مُنْسَجِمِ
 وَلَا تُعَلِّلهُ الْأَوْصَافُ مِنْ سَقَمِ
 فَانْهَضْ فَإِنَّكَ مَا أُجُورُ بِصُلْحِهِمْ
 بِقَوْلِكَ الْحَقُّ أَوْ بِالصَّارِمِ الْحَكَمِ
 فَالْخَوْفُ مُمْتَزَجٌ فِي لَحْمِهِ وَالِدَمِ
 كَانَتْ مَنِيئُهُ مُمْتَزَجٌ فِي أَصْغَرِ اللَّقْمِ
 حَتَّى يُصْبَحَ مَضْرُورًا مِنَ الْبَثَمِ
 وَالْعَسَلُ مِنْ بَعْدِهِ حِرْزٌ مِنَ اللَّمَمِ
 كَمْ مُزَاحٍ دَعَا لِلشَّرِّ وَالشَّتَمِ
 وَلَا يُخَادِعُكَ بِالْأَيْمَانِ وَالْقَسَمِ
 وَانظُرْ بِقَلْبِكَ إِنَّ الْقَلْبَ غَيْرُ عَمِ
 فَبَاتَ مُرْتَهِنًا فِي لَحْفٍ مُنْتَقِمِ
 فَاحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفًا لَا تَكُنْ دَهْمِ
 فَصَارَ يَخْبِرُ بِالْأَسْرَارِ لِلنِّقَمِ

وَلَا تُصَادِقُ صَدِيقًا لَمْ تُجَرِّبْهُ
 فَمَا صَدِيقُ الرَّحَا وَالنَّائِبَاتِ سِوَى
 كَمِ مَنْ صَدِيقٍ ضَحُّوكِ السِّنِّ مُبْتَسِمِ
 كَمِ مَنْ صَدِيقٍ مَنْ عَادَى أَبَاكَ وَلَا
 لَا يَنْجَلِي صَارِمٌ فِي جَنْبِهِ حُرْبٌ
 وَلَا تَخَالِفُ قَوْمًا إِنَّهُمْ عَرَفُوا
 لَا تَجْرَأَنَّ أَنْ عَلَى الْإِيمَانِ كَاذِبَةٌ
 وَأَعْلَمُ بِأَنَّ دِيَارَ الْحَالِفِينَ تُرَى
 وَحَفْظُ وَصِيَّةٍ مَنْ أَوْصَاكَ مُجْتَهِدًا
 قَوْلُ الْهُمَامِ الْوَعِظِيِّ الَّذِي شَهَرَتْ
 إِنَّ الْقَصَائِدَ جَلَّتْ فِي مَفَاخِرِهَا
 مَا قَالَ مِثْلَ قَصِيدِي شَاعِرٌ أَبَدًا
 أَلْفَتْ جَوَاهِرُهَا كَالدَّرِّ مُحْتَكِمًا
 مَا قَالَ شَاعِرٌ قَوْمٍ مِثْلَهَا أَبَدًا
 وَدِيَعَتِي لِلْمَنَائِبِ سَوْفَ يَطْرُقُهَا
 يَا رَبِّ يَا رَبَّ يَا رَحْمَنُ فَارْحَمْنَا
 وَأَغْفِرْ ذُنُوبَ الْوَعِظِيِّ إِنَّهُ رَجُلٌ
 قَصَدْتُ بِأَبِكَ يَا رَحْمَنُ فَارْحَمْنَا
 رَبِّي قَدِيرٌ رَحِيمٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ
 وَوَارِثُ الْأَرْضِ لَا نِدَّ يُعَانِدُهُ
 مُحْيِي الْقُلُوبِ وَمُنْشِئُهَا وَرَازِقُهُمْ
 فِي النَّائِبَاتِ وَكُنْ بِاللَّهِ مُعْتَصِمِ
 وَلَا يُقَاسُ قَوِيُّ الْقَلْبِ بِالْهَرَمِ
 وَفِي الشَّدَائِدِ يَأْتِي غَيْرَ مُبْتَسِمِ
 يَغْرُكَ الدَّهْرُ فِي أَعْدَائِكَ الْقَدَمِ
 لَا بُدَّ مِنْ أَثَرِ السَّيْفِ كَالْقَلَمِ
 بِالْعَدْلِ وَقَطْعِ جَمَالِ الْحَلْفِ وَانْصَرِمِ
 وَلَا يَغْرُنَنَّكَ الشَّيْطَانُ فِي الْقَسَمِ
 بِالْقَعْمِ مَسْكَنًا لِلْبُومِ وَالرَّحَمِ
 وَخُذْ قَصِيدًا كَنْظَمِ الدَّرِّ مُحَبِّبِ
 أَشْعَارُهُ فِي بِلَادِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
 أَرَيْتَ شِعْرِي مُنِيفَ الْجَدِّ كَالْعِلْمِ
 وَلَا يُؤَلَّفُهَا أَوْ يَنْطِقُ الصَّمَمِ
 بَانَتْ مَحَاسِنُهَا بِالْوَعْظِ وَالْحَكَمِ
 أَوْ يَنْطِقُ الْحَجَرُ الْمُنْعُوثُ بِالصَّمَمِ
 وَالْمَوْتُ حَتْمٌ وَعِنْدَ اللَّهِ مُحْتَكِمِي
 بِصَبْوَةِ شَابٍ مِنْهَا الرَّأْسُ وَاللَّمَمِ
 عَاصٍ وَمُعْتَرِفٍ بِالذَّنْبِ مُجْتَرِمِ
 وَاصْفَحْ بِعَفْوِكَ عَن ذَنْبِي وَعَنْ جُرْمِي
 مُهَيِّمٌ قَاهِرٌ بِالْبَطْشِ وَالنَّقَمِ
 وَلَا شَرِيكَ لَهُ بَلْ جَلَّ فِي الْعِظَمِ
 حَتَّى الْمَمَاتِ وَمُحْيِي دَارِسِ الرُّمَمِ

وَبَاعِثُ الْخَلْقِ لِلْمِيقَاتِ أَجْمَعِهِمْ
 وَجِيءَ بِالْجَنَّةِ الْعُلْيَا مُزَخْرَفَةً
 وَلِلصَّوْرَاتِ وَالْمِيزَانِ إِذْ نُصِبَا
 وَلِلصَّحَائِفِ أَهْوَالٍ إِذَا نُشِرَتْ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْسَ الدَّهْرُ يُخْبِرُنِي
 لَكِنَّ ظَنِّي بِرَبِّي أَنَّهُ مَلِكٌ
 مَوْلَايَ مَوْلَايَ لَا رَبَّ سِوَاكَ فَعَفُ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا
 وَالْعَدْلُ يَنْشُرُهُ فِي سَائِرِ الْأُمَمِ
 قَدْ خَصَّهَا اللَّهُ بِالْأَمْلاكِ وَالنَّعَمِ
 كَرِبٌ وَكُلُّ الْوَرَى لِلْكَرْبِ مُلْتَزِمِ
 وَالنَّاسُ قَدْ شَخَّصُوا مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمْ
 أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ يَنْجُو يَوْمَ مُحْتَكَمِ
 يَعْفُو بِرَحْمَتِهِ عَنْ كُلِّ مُجْتَرِمِ
 ذَنْبِي فَإِنَّكَ ذُو عَفْوٍ وَذُو كَرَمِ
 مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى لِلْغَرْبِ وَالْعَجَمِ

(فَصْلٌ)

٥١- ومنها إرسال الريح الشديدة على الأحزاب وهم قريش ومن معهم يوم الخندق أرسلها الله عليهم ليلاً قال عكرمة : قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقني نصر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت الشمال : إن الحرة لا تسري ليل ، وكانت الريح التي أرسلها الله عليهم الصبا ، ففروا لشدتها عن بعض أثقالهم وأمتعتهم ، ولو أقاموا إلى الصباح لهلكوا جميعاً . وهو المدلول عليه بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ . ففي خبر القصة أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رأى من أصحابه الجزع لطول الحصار ، صعد إلى الجبل فدعا الله وكان فيما دعاه أن قَالَ ((واصرف عنا شر هؤلاء القوم بقوتك وحولك وقدرتك)) . فنزل جبريل يخبره عن الله بأنه استجاب له وأمر الله الريح والملائكة أن يهزموا قريشاً والأحزاب تلك الليلة ، فأمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذيفة بن اليمان أن يدخل معسكرهم أي قريش ، ويأتي بأخبارهم ، قَالَ له إن الله عز وجل قد أخبرني أنه أرسل على قريش الريح ، وهزمهم . قَالَ : فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ، ولا بناء ، فقطعت أصناب الفسطاط ، وقلعت الأوتاد ، وأكفأت القدور ، وجالت الخيل بعضها في بعض ، وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر .

قَالَ : وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الْكَرَاعُ وَالْخَفَّ وَلَقِينَا مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ، مَا تَطْمَعُونَ لَنَا قِدْرٌ وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ فَرُدُّوا بِعَيْظِهِمْ ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ .

فالباري جل وعلا أرسل الريح على أولئك المشركين ، نصراً لنبيه مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتصديقاً لدعوته ، واستجابة لدعائه ، لعلمه تعالى أن أصحاب مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك اليوم لا يقومون بقتال أولئك ففي هذه معجزة عظيمة فتأمل .

٥٢- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ

لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرَ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا سُمَّ فَقَالَ ((اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هُنَا مِنْ يَهُودٍ)) فَجَمِعُوا ، فَقَالَ لَهُمْ ((إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ)) ؟ قَالُوا نَعَمْ ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَقَالَ لَهُمْ ((مَنْ أَبُوكُمْ)) ؟ قَالُوا : فُلَانٌ ، قَالَ : ((كَذَبْتُمْ ، أَبُوكُمْ فُلَانٌ)) قَالُوا صَدَقْتَ ، وَبَرَزْتَ ، قَالَ ((فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ)) ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ ، كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آيِنَا ، قَالَ لَهُمْ ((مَنْ أَهْلُ النَّارِ)) ؟ قَالُوا نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُقُونَا فِيهَا . قَالَ ((احْسَبُوا فِيهَا ، وَاللَّهِ لَا تَخْلُقُكُمْ فِيهَا أَبَدًا)) قَالَ ((هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ)) ؟ قَالُوا نَعَمْ قَالَ ((هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًَّ ؟)) قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ ((مَا حَمَلَكُمُ

عَلَى ذَلِكَ)) ؟ قَالُوا : أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا لَمْ يَضُرَّكَ ، رواه البخاري .

٥٣- وَمِنْ ذَلِكَ مَا ورد عن صفوان بن عسال :

مسند أحمد - (ج ٣٧ / ص ٥٦)

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَالٍ قَالَ

بَعْضُ الْيَهُودِ لِصَاحِبِهِ ، اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ، لَا تَقُلْ نَبِيٌّ لَوْ سَمِعَهَا كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ .
فَقَالَ ((لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِفُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا تَمْشُوا بِنِجْمٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ وَلَا تَسْجُرُوا وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا وَلَا تَقْدِفُوا مُحْصَنَةً وَلَا تُولُوا الأَذْبَارَ يَوْمَ الرَّحْفِ وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً الْيَهُودُ أَنْ تَعْدُوا يَوْمَ السَّبْتِ)) فَمَبَلَا يَدُهُ ، وَرَجَلُهُ ، وَقَالَ : نَشْهَدُ إِنَّكَ نَبِيٌّ .

فَقَالَ ((مَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَتَّبِعُونِي ؟ قَالَا إِنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّهُ أَنْ لَا يَزَالَ مِنْ دُرَيْتِهِ نَبِيٌّ ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ اتَّبَعْنَاكَ ، تَقْتُلَنَا يَهُودٌ . للترمذي والنسائي .

٥٤- عَنْ جَابِرٍ قَالَ غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ قَبَلِ بَجْدٍ ، فَأَدْرَكَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَائِلَةِ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِعُصْنٍ مِنْ أَعْصَانِهَا .

وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَنْظِلُونَ بِالشَّجَرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ ، فَاسْتَيْقَظْتُ ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَيَّ عَلَى رَأْسِي ، وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ ، فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قُلْتُ اللَّهُ ، فَشَامَ السَّيْفَ فَهِيَ هُوَ ذَا جَالِسٍ))
 ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ وَكَانَ مَلِكٌ قَوْمِهِ ، فَانصَرَفَ حِينَ عَفِيَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَا أَكُونُ فِي قَوْمٍ هُمْ حَرْبٌ لَكَ ، متفق عليه .

٥٥- ومنها إخباره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْأَرْضَةَ أَكَلَتْ مِنْ صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ مَا فِيهِ ظُلْمٌ ، وَقَطِيعَةٌ رَجِيمٌ .

وَأَبْتَتْ مَا فِيهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى .

ومن حديثها أن قريشاً كتبوا فيما بينهم صحيفة بأن لا يبيعوا بني هاشم ، ولا يتاعوا منهم ، ولا يناكحوهم ، ولا يكلموهم ، أو يدفَعوا إليهم محمداً ليقتلوه ، ودفنوها في الكعبة ، فقَامَ أبو طالب ومن معه بحماية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فبقوا محصورين في الشعب سنتين أو ثلاثاً .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي طَالِبٍ : يَا عَمُّ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَطَ الْأَرْضَةَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ تَدْعُ فِيهَا اسْمًا هُوَ لِلَّهِ إِلَّا أَتَبَّتْهُ فِيهَا ، وَنَفَتْ مِنْهُ الظَّلْمَ وَالْقَطِيعَةَ وَالْبُهْتَانَ ، فَقَالَ أَرَبِكَ أَخْبَرَكَ بِهَذَا ، قَالَ نَعَمْ ، قَالَ فَوَاللَّهِ مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ أَحَدٌ .

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ ابْنَ أَخِي أَخْبَرَنِي بِكَذَا وَكَذَا ، فَهَلُمَّ صَحِيفَتُكُمْ ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ أَخِي فَأَنْتَهُوا عَنْ

قَطِيعَتِنَا ، وَانزَلُوا عَمَّا فِيهَا ، وَإِنْ يَكُنْ كَاذِبًا ، دَفَعْتَ إِلَيْكُمْ ابْنَ أَحِي ، فَقَالَ الْقَوْمُ رَضِينَا ، فَتَعَاقَدُوا عَلَى ذَلِكَ

ثُمَّ نَظَرُوا ، فَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَادَهُمْ ذَلِكَ شَرًّا . فَعِنْدَ ذَلِكَ صَنَعَ الرَّهْطُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي نَفْضِ الصَّحِيفَةِ مَا صَنَعُوا .

٥٦- ومنها ما روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ يَوْمَ أُحُدٍ بَعْدَ انجلاء الهيحاء ، إِنَّ قَرِيشًا لَنْ يَصِيبُوا مِنَّا مِثْلَهَا بَعْدَ هَذَا ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا مَكَّةَ ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ، فَإِنَّهُ لَمْ تَصِبْ قَرِيشٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَحَدٍ مَا أَصَابَتْ مِنْهُمْ يَوْمَ أَحُدٍ وَمَا زَالَ أَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلو عليهم حَتَّى غَزَاهُمْ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ ، وَمَحَلَّ قَرَارِهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا دَفْعَهُ ، بَلِ اسْتَأْسَرُوا لَهُ رَاغِمِينَ ، فَمِنْ عَلَيْهِمْ فَاطَلَقَهُمْ مِنْ حِبَالَةِ الْقَتْلِ ، وَاعْتَقَهُمْ مِنْ رِقِّ الْأَسْرِ وَنَادَاهُمْ وَهُمْ مَرْعُوبُونَ ((اخرجوا فأنتم الطلقاء)) وبذلك يوم فتح مكة بالسنة الثامنة من الهجرة .

٥٧- وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ، قَالَ ((لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُهُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ ، فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَأَنْطَلَقْتُ ، وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الشَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَرِيرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَادَانِي ، فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ

فِيهِمْ ، فَتَادَانِي مَلِكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ ، فَمَا شِئْتِ ، إِنْ شِئْتِ أُطِيعْتِ عَلَيْهِمْ الْأَخَشَبِيِّنَ)) فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((بَلْ أَرْجُو ، أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً)) متفق عليه .

٥٨- وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِرَاءَ ، فَتَحَرَّكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْكُنْ حِرَاءَ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَطَلْحَةُ ، وَسَعِيدٌ فَتَحَرَّكَ الْجَبَلُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْكُنْ حِرَاءَ ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ ، أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ ، فَسَكَنَ الْجَبَلُ .

٥٩- ومن أعلام نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه بعث خالد بن الوليد من تبوك ، في أربع مائة وعشرين فارساً إلى أكيدر دومة الجندل ، من كندة فقال خالد يا رسول الله ، كيف لي به وسط بلاد كلب ، وإنما أنا في عدد يسير ، فقال ستجده يصيد البقر ، فتأخذه فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، في ليلة مقمرة صافية ، وهو على سطح له ، من شدة الحر ، مع امرأته ، فأقبلت البقر ، تحك بقرونها باب الحصن ، فقال أكيدر دومة : والله ما رأيت بقرأً جاءتنا ليلاً غير هذه الليلة ، لقد كنت أضمر لها الخيل ، إذا أردتها شهراً أو أكثر ، ثم نزل فركب بالرجال ، والآلة ، فلما فصلوا من الحصن ، وخيل خالد تنظر إليهم ، لا يصهل منها فرس ، ولا يتحرك ، فساعة فصل ، أخذته الخيل ، فاستؤسر أكيدر دومة .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوْهَا وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنِ

المعاصي ووفقنا لشغلها بالباقيات الصالحات

وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

يَا قَوْمُ فَارْضُ الْهَجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ

وَاللَّهِ لَمَنْ يُنْسَخِ إِلَيَّ ذَا الْآنِ

فَالْهَجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْ

إِخْلَاصٍ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ

حَتَّى يَكُونَ الْقَصْدُ وَجْهَ اللَّهِ بِالْ

أَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِيمَانِ

وَيَكُونَ كُلُّ الدِّينِ لِلرَّحْمَنِ مَا

لِسِوَاهُ شَيْءٌ فِيهِ مِنْ إِنْسَانِ

وَالْحُبِّ وَالْبُغْضِ اللَّذَيْنِ هُمَا لِكُلِّ م

وَلَايَةٍ وَعَدَاوَةٍ أَضْلَانِ

لِلَّهِ أَيْضًا هَكَذَا الْإِعْطَاءُ وَالْ

مَنْعُ اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا يَقْفَانِ

وَاللَّهُ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ وَالتَّ

حْكِيمِ لِلْمُخْتَارِ شَطْرُ تَانِ

وَالْهَجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمُبْعُوثِ بِالْ

إِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

أَتْرُونَ هَذَا هَجْرَةَ الْأَبْدَانِ لَا

وَاللَّهُ بَلْ هِيَ هَجْرَةُ الْإِيمَانِ

قَطْعُ الْمَسَافَةِ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ فِي

دَرِكِ الْأُصُولِ مَعَ الْفُرُوعِ وَذَانِ
 أَبَدًا إِلَيْهِ حُكْمَهَا لَا غَيْرُهُ
 فَالْحُكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَانِ
 يَا هَجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَيَّ
 مَنْ خَاصَّ بِالْحُرْمَانِ وَالْخُذْلَانِ
 يَا هَجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَيَّ
 كَسْلَانِ مَنْخُوبِ الْفُؤَادِ جَبَانِ
 يَا هَجْرَةَ وَالْعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ
 سَبَقَ الشُّعَاعَ لِمَنْزِلِ الرِّضْوَانِ
 سَارُوا أَحَثَّ السَّيْرِ وَهُوَ فَسَيْرُهُ
 سَيَّرُ الدَّلَالَ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ
 هَذَا وَتَنْظُرُهُ أَمَامَ الرُّكْبِ كَالِ
 عِلْمِ الْعَظِيمِ يُشَافُ فِي الْقِيَعَانِ
 رَفَعَتْ لَهُ أَعْلَامُ هَاتِيكَ النُّصُ
 صِ رُؤُوسُهَا شَابَتْ مِنْ النَّيِّرَانِ
 نَارٌ هِيَ النُّورُ الْمُبِينُ وَلَمْ يَكُنْ
 لِيَرَاهُ إِلَّا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 مَكْحُولَتَانِ بِمِرْوَدِ الْوَحْيَيْنِ لَا
 بِمِرْوَدِ الْآرَاءِ وَالْهَيِّ ذِيَانِ
 فَلِذَاكَ شَمَّرَ نَحْوَهَا لَمْ يَلْتَفِتْ
 لَا عَنَنْ شَمَائِلِهِ وَلَا أَيْمَانِ

يَا قَوْمُ لَوْ هَاجَرْتُمْوَا لَرَأَيْتُمْ
أَعْلَامَ طَيْبَةَ رُؤْيَا بَعِيَانِ
وَرَأَيْتُمْ ذَاكَ اللَّوَاءِ وَتَحْتَهُ الرُّ
سُلُ الْكِرَامِ وَعَسَا كُرُ الْقِرَانِ
أَصْحَابَ بَدْرِ وَالْأُولَى قَدْ بَايَعُوا
أَرْكَى الْبَرِيَّةِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ
وَكَذَا الْمُهَاجِرَةَ الْأُولَى سَبَقُوا كَذَا النِّ
أَنْصَارُ أَهْلُ الدَّارِ وَالْإِيمَانِ
وَالْتَابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَا
لِكَ هَدِيَّتِهِمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانِ
لَكِنْ رَضِيْتُمْ بِالْأَمَانِي وَابْتَلَيْتُمْ
بِالْحُطُوطِ وَنَصْرَةَ الْإِخْوَانِ
بَلْ غَرَّكُمْ ذَاكَ الْغُرُورُ وَسَوَّلَتْ
لَكُمْ النُّفُوسُ وَسَائِسَ الشَّيْطَانِ
وَنَبَذْتُمْ غِلَّ النَّصُوصِ وَرَاءَكُمْ
وَقَنَعْتُمْ بِقَطَارَةِ الْأَذْهَانِ
وَتَرَكْتُمْ الْوَحْيَيْنَ زُهْدًا فِيهِمَا
وَرَغْبَتُمْ فِي رَأْيِ كُلِّ فُلَانِ
وَعَزَلْتُمْ النَّصَّيْنِ عَمَّا وُلِّيَا
لِلْحُكْمِ فِيهِ عَزَلَ ذِي عُذْوَانِ
وَزَعَمْتُمْ أَنَّ لَيْسَ يَحْكُمَ بَيْنَنَا

إِلَّا الْعُقُـوْلُ وَمَنْطِقُ الْيُوزَنَانِ
 حَتَّى إِذَا انْكَشَفَ الْعِطَاءُ وَحُصِّلَتْ
 أَعْمَالُ هَذَا الْخَلْقِ بِالْمِيزَانِ
 وَإِذَا انْجَلَى هَذَا الْغُبَارُ وَصَارَ مِيزَانُ
 سِدَانِ السَّبَاقِ تَنَالُهُ الْعَيْنَانِ
 وَبَدَتْ عَلَى تِلْكَ الْوُجُوهُ سِمَاتُهَا
 وَسَمِ الْمَلِيكِ الْقَادِرِ السِّدِّيَانِ
 مُبَيَّضَةً مِثْلَ الرَّيَاضِ بِجَنَّةٍ
 وَالسُّودُ مِثْلَ الْفَحْمِ لِلنِّيَرَانِ
 فَهَنَّاكَ يَعْـلَمُ رَاكِبٌ مَا تَحْتَهُ
 وَهَنَّاكَ يُفْرَعُ نَاجِدُ النَّدْمَانِ
 وَهَنَّاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا الَّذِي
 مَعَهَا مِنَ الْأَرْيَاحِ وَالْخُسْرَانِ
 وَهَنَّاكَ يَعْـلَمُ مُؤَثِّرُ الْأَرَاءِ وَالشَّـ
 طَحَاتِ وَالْهَذْيَانِ وَالْبُطْلَانِ
 أَيُّ الْبُضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ وَمَا الَّذِي
 مِنْهَا تَعَوَّضَ فِي الزَّمَانِ الْفَانِ
 سُـبْحَانَ رَبِّ الْخَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ
 وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ بِالْمِيزَانِ
 لَوْ شَاءَ كَانَ النَّاسُ شَيْئًا وَاحِدًا
 مَا فِيهِمْ مِنْ تَائِبِهِ حَيْرَانِ

لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَصُّ بِأَلْمِ
فَفَضْلِ الْعَظِيمِ خُلَاصَةَ الْإِنْسَانِ
وَسِوَاهُمْ لَا يَصْلَحُونَ لِصَالِحِ
كَالشُّؤْكِ فَهُوَ عِمَارَةُ النَّيِّرَانِ
وَعِمَارَةُ الْجَنَّاتِ هُمْ أَهْلُ الْهُدَى
اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
فَسَلِ الْهُدَايَةَ مَنْ أَرْزَمَهُ أَمْرِنَا
بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةَ الذَّلِيلِ الْعَانِ
وَسَلِ الْعِيَادِ مِنْ اثْنَتَيْنِ هُمَا اللَّتَا
نِ بِهَلْكَ هَذَا الْخَلْقِ كَافِلَتَانِ
شَرُّ التُّفُوسِ وَسَيِّءِ الْأَعْمَالِ مَا
وَاللَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُمَا شَرَّانِ
وَلَقَدْ أَتَى هَذَا التَّعَوُّدُ مِنْهُمَا
فِي حُطْبَةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
لَوْ كَانَ يَدْرِي الْعَبْدُ أَنَّ مُصَابَهُ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الشَّرَّانِ
جَعَلَ التَّعَوُّدُ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ
حَتَّى نَرَاهُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوها وَوَفِّقْنَا لَشُكْرِكَ وَذَكَرِكَ وَارزُقْنَا التَّاهِبَ وَالِاسْتِعْدَادَ لِلْقَائِكِ
وَاجْعَلْ خِتَامَ صِحَافِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

٦٠- ومنها أخذ الله المشركين المستهزئين بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما شغلهم عنه وأزال منعهم إياه عن تبليغ الرسالة ، وهو المشار إليه بقوله تعالى ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ . وهم خمسة نفر من رؤساء قريش ، الوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان رأسهم ، والعاص بن وائل السهمي ، والأسود بن عبد المطلب بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن زمعة . وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد دعا عليه ، فَقَالَ : ((اللَّهُمَّ أَعْمِ بصره وأثكله بولده)) والأسود بن عبد يغوث بن وهب ، والحارث بن قيس بن الطلالة .

فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، والمستهزئون يطوفون بالبيت .

فَقَامَ جبريل إلى جنبه ، فمرَّ به الوليد بن المغيرة ، فَقَالَ جبريل : يا مُحَمَّدُ كيف تجد هذا ، فَقَالَ : بمس عبْدُ الله ، فَقَالَ : قد كُفَيْتَهُ ، وأوماً إلى ساق الوليد ، فمر برجل من خزاعة نبال يريش نباله ، وعليه بُرْدُ يمان ، وهو يجُرُّ إزاره ، فتعلقت شظية من نبالٍ بإزاره ، فمنعه الكبر أن "يطاطئ رأسه فينزعها ، وجعلت تضرب ساقه ، فخدشته ، فمرض منها فمات .

ومرَّ به العاص بن وائل ، فَقَالَ جبريل : كيف تجد هذا يا مُحَمَّدُ ، قال : بمس عبد الله ، فأشار جبريل إلى أخص رجليه ، وَقَالَ : قد كفيته ، فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتنزه ، فنزل شعباً من تلك الشعاب ، فوطئ على شبرقة ، فدخلت منها شوكة في أخص رجله ، فَقَالَ : لدغت لدغت ، فطلبوا فلم يجدوا شيئاً ، وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير ، فمات مكانه .

فمرَّ به الأسود بن المطلب ، فَقَالَ جبريل : كيف تجد هذا يا مُحَمَّدُ ، قَالَ بمس عبد الله ، فأشار بيده إلى عينيه ، وَقَالَ : قد كفيته ، فعمي .

قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء ، فعمي فذهب بصره ووجعت عيناه ، فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك .

ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث ، فَقَالَ جبريل : كيف تجد هذا يا محمد ، قَالَ : بئس عبد الله على أنه ابن خالي)) فَقَالَ : قد كفيته ، وأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات ومرَّ به الحارث بن قيس

فَقَالَ جبريل : كيف تجد هذا يا مُحَمَّد ؛ فَقَالَ : عبد سوء فأومأ إلى رأسه وَقَالَ : قد كفيته ، فامتخط قيحاً فقتله . وقيلَ أكل حوتاً مالحاً فلم يزل يشرب عليه من الماء حتى انقذ بطنه .
٦١- ومن أعلام نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ما روي أن الحطم واسمه شريح بن صبيعة البكري - أتى المدينة ، وخلف خيله خارج المدينة ، ودخل وحده ، على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إلام تدعو الناس فَقَالَ : ((إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة)) .

فَقَالَ : حسن ، ولكن أنظرنى ، فلي من أشاوره ، فلا أقطع أمراً دونهم ، ولعلي أسلم ، وآتي بهم ، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قَالَ لأصحابه : يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان ، ثم خرج شريح من عنده ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لقد دخل بوجه كافر ، وخرج بقفا غادر ، وما الرجل بمسلم ، فمر بسرح المدينة ، فاستاقه ، وانطلق ، فاتبعوه فلم يُدركوه .

فلما كان العام القابل ، خرج حاجاً ، في حجاج بكر بن وائل ، من اليمامة ، ومعه تجارة عظيمة ، وقد قلد الهدى ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هذا الحطم قد خرج حاجاً ، فحلَّ بيننا وبينه . فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: إنه قد قلد الهدى ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية ، فأبى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ لَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدْيَ ﴾ الآية .

٦٢- ومن أعلام نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قوله في ليلة الإسراء ، حين أصبح ((إن من آية ما أقول لكم ، أي مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا ، قد أضلوا بعيراً لهم ، فجمعه لهم فلان ، وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ، ويأتونكم يوم كذا وكذا ، يقدمهم جمل آدم ، عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان)) فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى كان قريب من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان كما أخبر .

٦٣- وَمِنْ ذَلِكَ دَعَاؤُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَفْرَادٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَصْحَابِ الْقَلِيبِ ، فَعَرَنُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُهُ ، جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ ، أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَاجِزُورِ بَنِي فُلَانٍ ، فَيَضَعُهُ بَيْنَ كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ، فَأَنْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ ، فَأَخَذَهُ .

فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، فَاسْتَضْحَكُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِهِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ إِلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .

فَجَاءَتْ وَهِيَ جُؤَيْرِيَّةٌ ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْتَمُّهُمْ ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ إِذَا دَعَا ، دَعَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا فَقَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ، ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحْكُ ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ .

ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ يَا أَبِي جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَدَكَرَ السَّابِعَ ، وَلَمْ أَحْفَظْهُ ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَى صَرَغَى يَوْمَ بَدْرٍ .

ثُمَّ سُجِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ (قَلِيبِ بَدْرٍ) أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ وَالنَّسَائِيُّ تَيْسِيرَ الْوَصُولِ ج ٤ ص ٢١٦ .

٦٤- وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ : رَأَيْتُ أُنْثَرَ ضَرْبَةَ فِي سَاقِ سَلَمَةَ فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُسْلِمٍ مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ ، فَقَالَ هَذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْني يَوْمَ خَيْبَرَ فَقَالَ النَّاسُ : أُصِيبَ سَلَمَةُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَفَثْتُ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ .

٦٥- وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ الْهَجْرَةَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَدَخَلَ غَارًا فِي جَبَلِ ثَوْرٍ ، لِيَسْتَخْفِيَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَقَدْ طَلَبَتْهُ ، وَبَدَلَتْ لَمَنْ جَاءَ بِهِ مَائَةَ نَاقَةٍ ، فَأَعَانَهُ اللَّهُ بِإِخْفَاءِ أَثَرِهِ ، وَنَسَجَتْ الْعَنْكَبُوتُ عَلَى بَابِ الْغَارِ .

وَلَمَّا خَرَجَ ، لَحِقَهُ سَرِاقَةٌ بَنُ مَالِكِ بْنِ خَعَشَمٍ ، وَهُوَ مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ تَوَجُّهُ لَطَلَبِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا سَرِاقَةٌ قَدْ قَرِبَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((اللَّهُمَّ أَكْفِنَا سَرِاقَةَ)) فَأَخَذَتْ الْأَرْضُ قَوَائِمَ فَرَسِهِ إِلَى إِبْطِهَا ، فَقَالَ سَرِاقَةٌ يَا مُحَمَّدُ ادْعِ اللَّهَ أَنْ يُطَلِّقَنِي ، وَلَكَ عَلَى أَنْ أُرَدَّ مِنْ جَاءِ يُطَلِّبُكَ وَلَا أَعِينُ عَلَيْكَ أَبَدًا ، فَقَالَ ((اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَأَطْلِقْ عَنْ فَرَسِهِ)) فَأَطْلَقَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَسْلَمَ سَرِاقَةٌ ، وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ .

شِعْرًا: أَشْكُو إِلَيْكَ ذُنُوبًا لَسْتُ أَنْكَرَهَا وَقَدْ رَجَوْتُكَ يَا ذَا الْمَنِّ تَغْفِرُهَا
مِنْ قَبْلِ سُؤْلِكَ لِي فِي الْحَشْرِ يَا أَمْلِي يَوْمَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَهْوَالِ تَدْكُرُهَا
أَرْجُوكَ تَغْفِرُهَا فِي الْحَشْرِ يَا أَمْلِي إِذْ أَنْتَ سُؤْلِي كَمَا فِي الْأَرْضِ تَسْتُرُهَا

آخر: مَوْلَايَ إِنِّي عَبْدٌ ضَعِيفٌ أَتَيْتُكَ أَرْغَبُ فِيمَا لَدَيْكَ
 أَتَيْتُكَ أَشْكَو مَصَابَ الدُّنُوبِ وَهَلْ يُشْتَكَى الضُّرُّ إِلَّا إِلَيْكَ
 فَمَنْ يَعْفُوكَ يَا سَيِّدِي فَلَيْسَ اعْتِمَادِي إِلَّا عَلَيْكَ

٦٦- وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْمَاورِدِي فِي أَعْلَامِ النَّبِوةِ ، مِنْ أَنَّ أَبَا لَهَبٍ ، خَرَجَ يَوْمًا ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ قَرِيشٌ ، فَقَالُوا لَهُ يَا أَبَا عَتْبَةَ ، إِنَّكَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِمُحَمَّدٍ مِنَّا ، وَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ ، هُوَ الْحَائِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، وَلَوْ قَتَلْتَهُ لَمْ يَنْكَرْهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَلَا حَمْزَةٌ ، مِنْكَ شَيْئًا ، وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ دَمِهِ ، نُؤَدِي نَحْنَ الدِّيَةِ ، وَتَسْوَدُ قَوْمُكَ ، فَقَالَ فَإِنِّي أَكْفِيكُمْ ، فَفَرَحُوا بِذَلِكَ وَمَدَحْتَهُ خُطْبَاءُوَهُمْ .

فلما كان في تلك الليلة ، وكان مشرفاً عليه ، نزل أبو لهب وهو يصلي وتسلقت امرأة أبي لهب ، وأم جميل الحائظ ، حتى وقف على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو ساجد فصاح به ، أبو لهب ، فلم يلتفت إليه ، وهما كانا لا ينقلان أقدامهما ، ولا يقدران على شيء ، حتى تفجر الصبح ، وفرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ يَا مُحَمَّدُ ، أَطْلُقْ عَنَّا ، فَقَالَ : ((مَا كُنْتُ لِأَطْلُقَ عَنْكُمَا ، أَوْ تَضْمِنَا إِنَّكُمَا لَا تَوْذِيَانِي)) قَالَا : قَدْ فَعَلْنَا ، فِدَعَا رَبَّهُ فَرَجَعَا .

٦٧- وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَمَّا انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حَنْينٍ ، وَهُوَ مَعْتَزِلٌ عَنْهُمْ ، رَأَى شَيْبَةَ بِنْتُ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، فَقَالَ الْيَوْمَ أَدْرِكُ ثَأْرِي مِنْ مُحَمَّدٍ ، فَأَقْتَلُهُ ، لِأَنَّ أَبَا شَيْبَةَ قَتَلَ يَوْمَ أَحَدٍ فِي جَمَاعَةِ إِخْوَتِهِ وَأَعْمَامِهِ ، قَالَ شَيْبَةُ فَلَمَّا أَرَدَتْ قَتْلَهُ ، أَقْبَلَ شَيْءٌ حَتَّى تَغْشَى فَوَادِي فَلَمْ أَطِقْ ذَلِكَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَمْنُوعٌ .

شِعْرًا: لَا تَرْكَنْنَ إِلَى الدُّنْيَا وَرُحْرِفَهَا فَأَنْتَ مِنْ عَاجِلِ الدُّنْيَا سَتَنْتَقِلُ
 أَصْبَحْتَ تَرْجُو غَدًا يَأْتِي وَبَعْدَ غَدٍ وَرُبَّ ذِي أَمَلٍ قَدْ خَانَهُ الْأَمَلُ

شِعْرًا: هَذَا شَبَابُكَ قَدْ وُلَّتْ بِشَاشَتِهِ مَا بَعْدَ شَيْبِكَ لَا لَهْوٌ وَلَا جَدَلٌ

مَاذَا التَّعَلُّلُ بِالْدُنْيَا وَقَدْ نَشَرْتَ لِأَهْلِهَا صِحَّةً فِي طَيْهَا عِلَلٌ

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ ، وَخَلَصْنَا مِنْ حَقُوقِ خَلْقِكَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ ، وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَكْفْنَا بِجَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ إِنَّكَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

٦٨- وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ أَبِي جَهْلٍ وَحَجْرِهِ فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ يَوْمًا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَبِي إِلَّا مَا تَرَوْنَ مِنْ عَيْنِ دِينِنَا ، وَشَتَمَ آبَائِنَا ، وَتَسْفِيهِهِ أَحْلَامِنَا ، وَشَتَمَ أَهْلَتَنَا ، وَإِنِّي أَعَاهِدُ اللَّهَ لَا أَجْلِسَنَّ لَهُ غَدًا بِحَجَرٍ مَا أُطِيقُ حَمْلَهُ فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ فَضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْلِمُونِي عِنْدَ ذَلِكَ أَوْ امْنَعُونِي ، فَلْيَصْنَعْ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدٍ مَنَافٍ مَا بَدَأَ هُمْ قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نُسَلِّمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا ، فَاْمُضْ لِمَا تُرِيدُ .

فلما أصبح أبو جهل ، أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينتظره . وغدا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما كان يغدو ،

فَقَامَ يَصَلِّي ، وَقَدْ غَدَتِ قُرَيْشٌ ، فَجَلَسُوا فِي أُنْدِيَتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ ، مَا أَبُو جَهْلٍ فَاعِلٌ ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَمَلَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ ، رَجَعَ مِنْهُزَمًا مَمْتَقِعًا لَوْنَهُ مَرَعُوبًا ، قَدْ بَيَّسَتْ يَدَاهُ عَلَى حَجْرِهِ ، حَتَّى قَذَفَ الْحَجَرَ مِنْ يَدِهِ .

وقام إليه رجال من قريش فقالوا له : ما لك يا أبا الحكم ، قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه ، فحل من الابل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ولا أنيابه ، لفحل قط ، فهم أن يأكلني ، وروي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ جَبْرِيلُ لَوْ دَنَا لِأَخْذِهِ .

٦٩- ومنها قصة أخرى مع أبي جهل فعن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، قَالَ نَعَمْ ، فَقَالَ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي كَذَلِكَ لِأَطَانٍ عَلَى رَقَبَتِهِ ، وَالْأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يُصَلِّي لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، قَالَ فَمَا فَجَاهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبِيهِ ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ .

قَالَ فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ ، فَقَالَ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ ، وَهَوًّا وَأَجْنِحَةً ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((لَوْ دَنَا مِنِّي لِأَخْطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَضْوًا عَضْوًا)) قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ لَا أُدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَمْ لَا ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

٧٠- ومن أعلام نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ما يلي : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ ، حَدَّثْتُ أَنَّ عُثْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، كَانَ سَيِّدًا حَلِيمًا ، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ وَحْدَهُ فِي الْمَسْجِدِ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأُكَلِّمُهُ ، وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ مِنَّا بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ وَيَكُفَّ عَنَّا ، وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْرُهُ ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُونَ ، وَيَكْتُمُونَ .

فَقَالُوا : بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَنُفِّمُ إِلَيْهِ فَكَلِّمُهُ ، فَقَامَ عُثْبَةُ حَتَّى جَلَسَ

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ ، مِنْ
الْبَسِطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ ، فَزُتْ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ
وَسَقَّتْ أَحْلَامَهُمْ ، وَعَبَتِ آهَتَهُمْ ، وَكَفَّرَتْ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ ، فَاسْمَعْ مِنِّي ، أَعْرَضُ
عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ) فَقَالَ يَا
ابْنَ أَخِي ، إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ شَرَفًا سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ مَالًا بِمَا جِئْتُ بِهِ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ
أَمْوَالِنَا ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي بِكَ رَيْئًا ، لَا نَسْتَطِيعُ رَدَّهُ ، طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ وَلَعَلَّ هَذَا شِعْرٌ جَاشَ
بَصْدْرِكَ ، فَإِنَّكُمْ لَعَمْرِي ، بَنِي الْمَطْلَبِ ، تَقْدُرُونَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَتَقَدَّرُ عَلَيْهِ غَيْرُكُمْ ، حَتَّى إِذَا
فَرَعَ مَا عِنْدَهُ ، مِنْ سَائِرِ الْأُمُورِ الَّتِي يَزْعُمُ أَنَّهَا تُرَدُّ عَمَّا يَقُولُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ ((أَوْ قَدْ فَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ)) ؟ قَالَ نَعَمْ .

قَالَ ((فَاسْمَعْ مِنِّي)) قَالَ فافْعَلْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ حَم تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ثُمَّ مَضَى يَقْرَأُ ،
فَلَمَّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهُ ، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ، حَتَّى
انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ ((قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ
مَا سَمِعْتَ فَأَنْتَ وَذَلِكَ)) فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَحْلِفُ بِاللَّهِ ، لَقَدْ
جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ . فَلَمَّا جَلَسَ فِيهِمْ ، قَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ، يَا أَبَا
الْوَلِيدِ ، فَقَالَ وَرَائِي أَبِي سَمِعْتُ قَوْلًا ، وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ قَطُّ ، مَا هُوَ بِالشَّعْرِ وَلَا بِالسَّحْرِ
وَلَا بِالْكِهَانَةِ ! يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَطِيعُونِي ، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا

الرَّجُلِ وَبَيَّنَ مَا هُوَ فِيهِ ، وَاعْتَرَلُوهُ ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأًا ، فَإِنْ تُصِبَهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفَيْتُمُوهُ بِعَيْزِكُمْ ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ ، فَقَالُوا : سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ فَقَالَ هَذَا رَأْيِي لَكُمْ فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ .

٧١- ومنها ما روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن ابن ابنته فاطمة الحسين بن علي يقتل بالعراق فكان الأمر كما أخبر فقتل الحسين رضي الله عنه في كربلاء سنة إحدى وستين وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف الشهر .

٧٢- ومنها دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ وَاسْتِجَابَةُ اللَّهِ لِدُعَائِهِ ، فَعَنَ أَنْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ جَاءَتْ بِي أُمِّي أُمُّ أَنْسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ أَرَزَّنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا ، وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَنْسُ ابْنِي أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ ، فَادْعُ اللَّهَ لَهُ ، فَقَالَ : ((اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ)) .

قَالَ أَنْسُ فَوَاللَّهِ إِنَّ مَالِي كَثِيرٌ ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُونَ عَلَيَّ نَحْوِ الْمِائَةِ الْيَوْمَ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، وَعَنْ أَبِي خَلْدَةَ خَالِدِ بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ قُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ ، سَمِعَ أَنْسٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ خَدَمْتُ عَشْرَ سِنِينَ ، وَدَعَا لَهُ ، وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَحْمَلُ فِي السَّنَةِ الْفَاكِهَةَ مَرَّتَيْنِ ، وَكَانَ فِيهِ رِيحَانٌ ، يَجِيءُ مِنْهُ رِيحُ الْمَسْكِ ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

٧٣- وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَقْتَلِ الْقُرَاءِ فَعَنَ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ يَفْرَعُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارِسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ .

وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ ، فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ فَقَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا ، أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيَتْ عَنَّا .

قَالَ : وَآتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ ، مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ ، فَقَالَ حَرَامٌ ، فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ ((إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا وَإِنَّهُمْ قَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيَتْ عَنَّا .

٧٤- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لَمَّا تَلَا ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ أَنَّ عْتَبَةَ بِنْتُ أَبِي لَهَبٍ ، كَفَرَتْ بِالَّذِي دَنَى فَتَدَلَّى ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكِ)) يَعْنِي الْأَسَدَ فَخَرَجَ عْتَبَةَ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فِي عَيْرٍ إِلَى الشَّامِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي طَرِيقِهِمْ ، زَارَ الْأَسَدَ ، فَجَعَلَتْ فَرَائِضَ عْتَبَةَ تَرْتَعِدُ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَرْتَعِدُ ، فَوَاللَّهِ مَا نَحْنُ وَأَنْتَ إِلَّا سُوءٌ ، فَقَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا دَعَا عَلِيَّ ، وَمَا تَرَدُّ لَهُ دَعْوُهُ ، وَلَا أَصْدَقُ مِنْهُ لَهْجَةٌ .

فَوَضَعُوا الْعِشَاءَ ، فَلَمْ يَدْخُلْ يَدُهُ فِيهِ ، وَحَاطَ الْقَوْمُ أَنْفُسَهُمْ بِمَتَاعِهِمْ ، وَجَعَلُوا عْتَبَةَ وَسْطَهُمْ ، وَنَامُوا ، فَجَاءَ الْأَسَدُ يَشْتَمُ رُؤُوسَهُمْ رَجُلًا رَجُلًا ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى عْتَبَةَ ، فَهَشَمَهُ هَشْمَةً أَوْصَلَتْهُ إِلَى آخِرِ رَمَقٍ ، فَقَالَ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ ، أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ مُحَمَّدًا أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً .

٧٥- وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ غَلَامٌ : ((اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)) فخرج أفقه الناس في الدين ، وأعلمهم بالتأويل ، حتى سمي البحر ، لسعة علمه ، رضي الله عنه .

٧٦- ومنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من أن عائشة لما أقبلت بلعت مياة بني عامر ليلاً ، نبحت الكلاب ، فقالت أي ماء هذا ، قالوا ماء الحوآب ، قالت ما أظنني إلا أي راجعة ، قال بعض من كان معها بل تقدمين ، فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم ، قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ذات يوم ((كيف بإحدائكن ، تنبح عليها كلاب الحوآب)) وفي حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليت شعري ، أيتكن صاحبة الجمل المدب ، تخرج فينبحها كلاب الحوآب ، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ، ثم تنجو بعدما كادت)) رواه البزار ورجاله ثقات كل ذلك يقع طبق ما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه اللهم يا حي يا قيوم يا من لا تأخذه سنة ولا نوم يا ذا الجلال والإكرام يا واحد أحد يا فرد صمد يا بديع السموات والأرض نسألك أن تنصر الإسلام والمسلمين وأن تعلى كلمة الحق والدين وأن تشمل بعنايتك وتوفيقك كل من نصر الدين وأن تملأ قلوبنا بمحبتك ومحبة رسلك وأوليائك وأن تلمهنا ذكرك وشكرك وحمدك .

اللَّهُمَّ وفقنا لصالح الأعمال وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

٧٧- ومنها إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَرَامٍ عَن غَزْوِهَا فِي الْبَحْرِ وَعُلُوِّ مَكَانَتِهَا فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ إِلَى قُبَاءٍ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامِ بِنْتِ مِلْحَانَ فَيُطْعِمُهُ وَكَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ .

فَدَخَلَ يَوْمًا فَأَطْعَمْتُهُ ، فَتَنَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ قَالَتْ فُكُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ ((نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَرْكَبُونَ نَجْحَ هَذَا الْبَحْرِ ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسِيرَةِ ، أَوْ قَالَ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِيرَةِ)) شَكََّ إِسْحَاقُ قُلْتُ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ! فَتَنَّمَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ ، وَهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : ((نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلَى ، فُكُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : ((أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ)) فَرَكِبْتَ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَائِبَتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكْتَ ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٧٨- ومنها إخباره عن أول زوجاته لحوقاً به بعد وفاته ،

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَ رَسُولُ اللَّهِ أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لِحُوقًا ، قَالَ أَطْوَلُكُمْ يَدًا ، فَأَخَذُوا قَصَبَةً

يَذَرُ عَنْهَا فَكَانَتْ سَوْدَهُ أَطْوَهْرُنَّ يَدًا ، فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّمَا كَانَ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةَ ، وَكَانَتْ نُحِبُّ الصَّدَقَةَ ، وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا حُقُوقًا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَخْرَجَهُ الشَّيْخَان .

٧٩- وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِلَ كِسْرَى مَلِكِ الْفُرسِ عَلَى الْيَمَنِ أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُ أَنْ تَقْتُلَ كِسْرَى فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَكَذَا وَمِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ كِسْرَى كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْيَمَنِ بَاذَانَ : إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَسَرَّ إِلَيْهِ فَاسْتَبْتَبَهُ ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا فَاذْبَعْهُ إِلَى بَرَأْسِهِ .

فَبَعَثَ بَاذَانَ بِكِتَابِ كِسْرَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((إِنْ اللَّهُ قَدْ وَعَدَنِي أَنْ يَقْتُلَ كِسْرَى فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَكَذَا)) فَلَمَّا أَتَى بَاذَانَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَقَّفَ لِيَنْتَظِرَ ، وَقَالَ : إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَيَكُونُ مَا قَالَ ، فَقَتَلَ كِسْرَى فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَتَلَ عَلَى يَدِي ابْنَهُ شَيْرَوِيه .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ بَاذَانَ بَعَثَ بِإِسْلَامِهِ ، وَإِسْلَامَ مَنْ مَعَهُ ، وَمِنْ الْفُرسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ الرِّسْلُ مِنَ الْفُرسِ ، إِلَى مَنْ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ((أَنْتُمْ مَنَا وَإِلَيْنَا أَهْلُ الْبَيْتِ)) .

٨٠- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : عَدَا الدُّبُّ عَلَى شَاةٍ فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَأَنْتَزَعَهَا مِنْهُ ، فَأَفْعَى الدُّبُّ عَلَى ذَنْبِهِ ، فَقَالَ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَأَفَهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ يَا

عَجِبِي ذَنْبٌ يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ ، فَقَالَ الذَّنْبُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ ، مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَثْرَبَ ، يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، قَالَ فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ ، حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، فَزَوَّاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا .

ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُودِيَ الصَّلَاةُ جَامِعَةً ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلرَّاعِي أَخْبِرْهُمْ ، فَأَخْبَرَهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السَّبَاعُ الْإِنْسَ حَتَّى يُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَدَبَتُهُ سَوَاطِئَهُ ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ ، وَيُخْبِرُهُ فَحِذُّهُ ، بِمَا أَحَدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ وَهَذَا إِسْنَادٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَقَدْ صَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَلَمْ يَرُوهُ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ مِنْ قَوْلِهِ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السَّبَاعُ الْإِنْسَ إِلَى آخِرِهِ .

٨١- وَمِنْ ذَلِكَ تَوْفِيقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوَاقِيتِ الْحَجِّ الْمَكَانِيَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ عَيْنَهَا مِنْ قَبْلِ فَتْحِ بِلْدَانِهَا قَالَ النَّازِمُ :

وَإِحْرَامٌ حِجٌّ مِنْ مَوَاقِيتِ خَمْسَةٍ
لَطِيئَةٍ وَقَفَتْ ذَا الْخَلِيفَةِ وَأَقْصِدِ
وَلِلشَّامِ وَالْمِصْرِ وَالْعَرَبِ جُحْفَةً
وَلِلْيَمَنِ التَّالِيِ يَلْمَلَمُ فَاِرْصِدِ
وَأُخَذَ ذَاتَ عِرْقٍ لِلْعِرَاقِ وَوَفِدِهِ
وَقَرْنَا لَوْفِدِ طَائِفِيٍّ وَمُنْجِدِ

وَتَعِينُهَا مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا

لِتَعِينِيهِ مِنْ قَبْلِ فَتْحِ الْمَعَدَدِ

٨٢- ومن ذلك إنذاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِيحٍ شَدِيدَةٍ فِي تَبُوكَ ، وَطَلَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ ، ففِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ فَأَتَيْنَا وَاوْدِي الْقُرَى ، عَلَى حَدِيقَةٍ لِامْرَأَةٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْرُصُوهَا ، فَخَرَصْنَاهَا ، وَخَرَصَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ ، وَقَالَ : أَحْصِيهَا ، حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَانْطَلَقْنَا حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((سَتَهُبُّ رِيحٌ شَدِيدَةٌ)) فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلِي طَيْئٍ ، وَجَاءَ رَسُولُ صَاحِبِ أَيْلَةَ ، إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ ، وَأَهْدَى لَهُ بَعْلَةً بَيْضَاءَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا ، حَتَّى قَدِمْنَا وَاوْدِي الْقُرَى ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرْأَةَ ، عَنْ حَدِيقَتِهَا كَمْ بَلَغَ ثَمْرُهَا فَقَالَتْ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ ،

تماماً كما أخبر : ٨٣ وَهَذِهِ أَيْضًا مُعْجَزَةٌ .

٨٥- وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيَأْتِي زَمَانٌ تَرْتَحِلُ فِيهِ الظُّعِينَةُ مِنَ الْحَيْرَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَوَقَعَ طَبَقٌ مَا أَخْبَرَ .

ففِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرٌ فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ ، فَقَالَ : ((يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ ؟ قُلْتُ : لَمْ أَرَهَا ، وَقَدْ

أُنْبِثُ عَنْهَا . قَالَ ((فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَرَيْنَ الظُّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ ، لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ)) قُلْتُ : فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَاؤُ طَيْبٍ - أَيْ قُطَاعِ الطَّرِيقِ - الَّذِينَ سَعَرُوا الْبِلَادَ - - ((وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى)) قُلْتُ كِسْرَى بَنُ هُرْمَزَ ، قَالَ : ((كِسْرَى بَنُ هُرْمَزَ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ .

وَلَيَلْقَيْنَ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرَجَّمُ لَهُ فَلَيَقُولَنَّ : لَهُ أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ ، فَيَقُولُ بَلَى : فَيَقُولُ أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا ، فَيَقُولُ بَلَى ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ)) قَالَ عَدِيٌّ ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)) . قَالَ عَدِيٌّ فَرَأَيْتَ الظُّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ ، وَكُنْتُ فِيمَنْ فَتَتَحَّ كُنُوزَ كِسْرَى بَنِ هُرْمَزَ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ ، لَتَرُونَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ)) .

٨٥- وَمِنْ ذَلِكَ دَعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّابِغَةِ الجَعْدِيِّ ، بقوله له ((لَا يَفْضُضُ اللَّهُ

فَاك)) فَعَمْرٌ ، وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ ثَغْرًا ، كَلِمًا سَقَطَتْ لَهُ سِنٌ ، نَبَتَ لَهُ أُخْرَى .

٨٦- وَمِنْ ذَلِكَ سَقُوطُ الْأَصْنَامِ ، بِإِشَارَةِ مَنْ قَضَيْبٌ ، كَانَ فِي

يده فإنه كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، أرجلها مثبتة بالرصاص ، في الحجارة ، تشبيهاً محكماً ، فلما دخل عام الفتح إلى المسجد الحرام ، جعل يشير بقضيب في يده إلى تلك الأصنام فوقعت لوجوهها ، وظهورها ، حسب إشارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٨٧- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، بَعَثَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ رَجُلًا ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَكَلِّمْهُ ، مِنْ أَجْلِ مَكَانِ الرَّجُلِ ، فَلَقِيَ الْعَبَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ ((رَوَاهُ ؟)) قَالَ نَعَمْ ((قَالَ أَتَدْرِي مَنْ ذَاكَ الرَّجُلُ ؟)) ذَاكَ جَبْرِيلُ ، وَلَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَذْهَبَ بَصْرَهُ ، وَيُؤْتَى عِلْمًا ((وَقَدْ مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، سَنَةَ ثَمَانَ وَسِتِينَ ، بَعْدَ مَا عَمِيَ بَصْرَهُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَارَ بَحْرًا زَاخِرًا فِي الْعِلْمِ .

٨٨- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ لِلْبَيْهَقِيِّ عَنْ خُمَارَةَ عَنْ أَنَيْسَةَ بِنْتِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ ، عَنْ أَبِيهَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى زَيْدٍ يَعُودُهُ مِنْ مَرَضٍ كَانَ بِهِ ، قَالَ : « لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ مَرَضِكَ بِأَسْ ، وَلَكِنْ كَيْفَ بِكَ إِذَا عَمِرْتَ بَعْدِي فَعَمِيتَ ؟ » قَالَ : إِذَا أَحْتَسَبْتُ وَأَصْبِرُ ، قَالَ : « إِذَا تَدَخَّلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . قَالَ فَعَمِيَ بَعْدَ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصْرَهُ ، ثُمَّ مَاتَ .

٨٩- وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ)) فَفَتَحْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ .

ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ)) فَفَتَحْتُ ، فَإِذَا هُوَ عُمَرُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي ((افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى نُصِيْبِهِ)) فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

٩٠- وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ ، فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ نَحْوُهُ ، فَعَجِنَ ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْعَانٌ طَوِيلٌ بَعْنَمٍ يَسُوقُهَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((بَيْعُ أُمِّ هَيْبَةَ ؟ قَالَ بَلْ بَيْعٌ ، فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً ، فَصُنِعَتْ ، فَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشَوَى ، وَأَمَرَ اللَّهَ ، مَا فِي الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ ، رَجُلٌ إِلَّا قَدْ حَزَّ لَهُ حُزَّةٌ مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهُ إِثَاهُ ، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا حَبَّأَ لَهُ ، فَجَعَلَ مِنْهُمَا قَصْعَتَيْنِ ، فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ ، وَشَبِعْنَا وَفَضَلَتْ الْقَصْعَتَانِ فَحَمَلْتَا عَلَى الْبَعِيرِ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

٩١- وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ سَمُرَةَ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَدَاوُلُ فِي قَصْعَةٍ ، مِنْ غَدَوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ ، يَقُومُ عَشْرَةٌ ، وَيَقْعُدُ عَشْرَةٌ فَعُلْنَا فَمِمَّا كَانَتْ تُمَدُّ ، قَالَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعَجَّبُ ، مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلَّا مِنْ هَاهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ . رواه الترمذي

٩٢- وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ رَجُلًا يَسْتَطْعِمُهُ ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقٍ شَعِيرٍ ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ وَأَمْرَأَتُهُ ، وَضَيْفُهُمَا ، حَتَّى كَالَهُ ، فَقَنِي ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ((لَوْ لَمْ تَكَلِّهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ ، وَلَقَامَ لَكُمْ)) . رواه مسلم

٩٣- وَمِنْ ذَلِكَ دَعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَضْرٍ ، وَأَمْسَاكَ الْقَطْرِ عَنْهُمْ ، فَإِنَّمَا كَذَبُوهُ ، وَأَذَوْهُ ، فِي نَفْسِهِ ، وَأَصْحَابِهِ ، دَعَا عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ ((اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضْرٍ ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ)) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُمْ الْقَطْرَ ، حَتَّى جَفَّ النَّبَاتُ وَالشَّجَرُ ، وَمَاتَتِ الْمَاشِيَةُ ، وَحَتَّى اشْتَتَوْا الْقِدَّ ، وَأَكَلُوا الْعَلْهَرَ ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، لَشِدَّةِ الْحَالِ .

فوفد حاجب بن زرارة ، إلى كسرى فشكا إليه ما نالهم ، وسأله أن يأذن له في الرعي ، بالسواد ورهنه قوسه .

والقصة مشهورة ، يسوقها أهل التفسير ، عند قول الله تعالى ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴾ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدُرْكِ الشَّقَاءِ وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَادِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزِينَهُ فِي قُلُوبِنَا .

اللَّهُمَّ أَهْمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارزُقْنَا الاستقامة طوعاً أمرك وتفضل علينا بعافيتك وجزيل عفوكم وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

يَا قَاعِدًا سَارَتْ بِهِ أَنْفَاسُهُ

سَيْرِ الْبَرِيدِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ

حَتَّى مَتَى هَذَا الرَّقَادُ وَقَدْ سَرَى
 وَفَدُ الْمَحَبَّةِ مَعَ أَوْلِي الإِحْسَانِ
 وَحَدَتْ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ الْعُلَى
 لَا حَادِي الرُّكْبَانِ وَالْأَضْعَانَ
 رَكِبُوا الْعَزَائِمَ وَاعْتَلَوْا بِظُهُورِهَا
 وَسَرَوْا فَمَا حُنُّوا إِلَى نُعْمَانَ
 سَارُوا رُؤَيْدًا ثُمَّ جَاءُوا أَوْلَى
 سَيْرِ الدَّلِيلِ يَوْمُمُ بِالرُّكْبَانِ
 سَارُوا بِإِتْبَاتِ الصِّفَاتِ إِلَيْهِ لَا التَّ
 عَطِيلِ وَالتَّخْرِيفِ وَالتَّكْرَانِ
 عَرَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فَامْتَلَأَتْ قُلُوبُ
 بِهِمْ لَهُ بِالْحُبِّ وَالْإِيمَانِ
 فَتَطَايَرَتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ بِالِ
 أَشْوَاقِ إِذْ مُلَّتْ مِنَ الْعِرْفَانِ
 وَأَشَدُّهُمْ حُبًّا لَهُ أَدْرَاهُمُ
 بِصِفَاتِهِ وَحَقَائِقِ الْقُرْآنِ
 فَالْحُبُّ يَتَّبِعُ لِلشُّعُورِ بِحَسْبِهِ
 يَتَّقُونَ وَيَضْعَفُونَ ذَاكَ ذُو تَبَيُّانِ
 وَلِذَاكَ كَانَ الْعَارِفُونَ صِفَاتِهِ
 أَحْبَابَهُ هُمْ أَهْلُ هَذَا الشَّانِ
 وَلِذَاكَ كَانَ الْعَالِمُونَ بِرَبِّهِمْ

أَحْبَابَهُ وَبِشِرْعَةِ الْإِيْمَانِ
وَلِذَلِكَ كَانَ الْمُنْكَرُونَ لَهَا هُمُ الْ
أَعْدَاءُ حَقًّا هُمْ أَوْلُو الشَّيْءَانِ
وَلِذَلِكَ كَانَ الْجَاهِلُونَ بِذَا وَذَا
بُعْضًا وَهُوَ حَقًّا ذَوِي شَيْءَانِ
وَحَيَاةُ قَلْبِ الْمَرْءِ فِي شَيْئَيْنِ مَنْ
يُرْزَقُهُمَا يَحْيَى مَدَى الْأَزْمَانِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى يُكُونُ
نُ الْحَايِي ذَا الرِّضْوَانِ وَالْإِحْسَانِ
ذِكْرُ الْإِلَهِ وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشْ
رَاكِ بِهِ وَهُمَا فَمُتَّبِعَانِ
مِنْ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ حَقًّا كَأَمْتِنَا
عِ الطَّائِرِ الْمَقْصُوصِ مِنْ طَيِّرَانِ
أَيُّجِبُهُ مَنْ كَانَ يُنْكَرُ وَصَفَّهُ
وَعُلُوَّهُ وَكَلَامَهُ بِقُرْآنِ
لَا وَالَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
مُتَكَلِّمًا بِاللُّوْحِيِّ وَالْفَرْقَانِ
اللَّهُ أَكْبَرُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤُ
تِيهِ لِمَنْ يَرْضَى بِإِلَاحْسَابَانِ
وَتَرَى الْمُخَلَّفَ فِي الدِّيَارِ تَقُولُ ذَا
إِحْدَى الْأَثْفَانِ خُصَّ بِالْحِرْمَانِ

اللَّهُ أَكْبَرُ ذَاكَ عَدْلُ اللَّهِ يَقُومُ
 ضِيءٌ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ إِنْسَانٍ
 وَلَهُ عَلَى هَذَا وَهَذَا الْحَمْدُ فِي الْوَالِدِ
 أَوْلَى وَفِي الْآخِرَى هُمَا حَمْدَانِ
 حَمْدُ لِدَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَكَذَلِكَ حَمْدُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 وَيَرُونَ خُسْرَانًا مُبِينًا بَيْنَهُمَا
 فِي إِنْزَارِ كُلِّ قَبِيحَةٍ وَمُهَانِ
 وَيَرُونَ مَيْدَانَ التَّسَابِقِ بَارِزًا
 فَيَتَارِكُونَ تَقَحُّمَ الْمَيْدَانِ
 وَيَرُونَ أَنْفَاسَ الْعِبَادِ عَلَيْهِمْ
 قَدْ أَحْصَيْتِ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
 وَيَرُونَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 لِلَّهِ مَسْنُونَتَانِ شَتَانِ مِلَّتَانِ
 مَاذَا عَبَدْتُمْ ثُمَّ مَاذَا قَدْ أَجَبْتُمْ
 ثُمَّ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
 هَاتُوا جَوَابًا لِلسُّؤَالِ وَهَيُّوا
 أَيْضًا صَوَابًا لِلْجَوَابِ يُدَانِ

وَتَيَقَّنُوا أَنْ لَيْسَ يُنَجِّيكُمْ سِوَى
 تَجْرِيدِكُمْ بِحَقِّائِقِ الْإِيمَانِ
 تَجْرِيدِكُمْ تَوْحِيدَهُ سُـبْحَانَهُ
 عَنِ شِرْكَةِ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانِ
 وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ
 عَنِ هَذِهِ الْأَرْءِ وَالْهَيْدِيَانِ
 وَاللَّهُ مَا يُنَجِّي الْفَتَى مِنْ رَبِّهِ
 شَيْءٌ سِوَى هَذَا بِإِلَّا رَوْغَانِ
 يَا رَبِّ جَرِّدْ عَبْدَكَ الْمُسْكِينِ رَا
 جِي الْفَضْلِ مِنْكَ أضعْفَ الْعُبدَانِ
 لَمْ تَنْسَهُ وَذَكَرْتَهُ فَاجْعَلْهُ لَأ
 يَنْسَاكَ أَنْتَ بَدَأْتَ بِالْإِحْسَانِ
 وَبِهِ خَتَمْتَ فَكُنْتَ أَوْلَى بِالْجَمِيـ
 لٍ وَبِالْتَّنَائِ مِنْ الْجَهْلُولِ الْجَانِي
 فَالْعُبدُ لَيْسَ يَضِيغُ بَيْنَ خَوَاتِمِ
 وَفَوَاتِحِ مِنْ فَضْلِ ذِي الْعِرْفَانِ
 أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهِ وَقَدْ أَنْشَأْتَهُ
 مِنْ تُرْبَةٍ هِيَ أضعْفُ الْأَرْكَانِ
 وَالضعْفُ مُسْتَوَلٍ عَلَيْنَا مِنْ جَمِيـ
 عِ جِهَاتِنَا سِيمًا مِنْ الْإِيمَانِ

يَا رَبُّ مَعذِرَةٌ إِلَيْكَ فَلِمَ يَكُنْ
قَصْدُ الْعِبَادِ رُكُوبَ ذَا الْعِصْيَانِ
لَكِنْ نُفُوسٌ سَوَّلَتْهَا وَعَرَّهَا
هَذَا الْعَدُوُّ لَهَا غُرُورَ أَمَانِ
فَتَيَقَّنْتَ يَا رَبُّ أَنَّكَ وَاسِعُ الْ—
غُفْرَانِ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانِ
وَسَعَتْ إِلَى الْأَبْوَابِ رَحْمَتُكَ الَّتِي
وَسِعَتْهُمَا فَعَلَا بِكَ الْأَبْوَابِ
هَذَا وَنَحْنُ بَنُوهُمْ مَا وَحَلُونَا
فِي جَنْبِ حِلْمِهَا لَدَى الْمِيزَانِ
جُزْءٌ يَسِيرٌ وَالْعَدُوُّ فَوَاحِدٌ
لَهُمَا وَأَعْدَانَا بِإِلَاحْسَانِ
وَمَقَالَتَا مَا قَالَهُ الْأَبْوَابِ قَبْ—
لَ مَقَالَةِ الْعَبْدِ الظَّلْمِ الْجَانِ
نَحْنُ الْأُولَى ظَلَمُوا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ الـ
ذَنْبَ الْعَظِيمِ فَتَنَحْنُ ذُو خُسْرَانِ
يَا رَبُّ فَاَنْصُرْنَا عَلَى الشَّيْطَانِ لِي—
سَ لَنَا بِهِ لَوْلَا حِمَاكَ يَدَانِ

اللَّهُمَّ ثبت وقوي إيماننا بك وبملائكتك وبكتبتك وبرسلك وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره
اللَّهُمَّ عاملنا بعفوك وغفرانك وتمن علينا بفضلك وإحسانك ونجنا من النار وعافنا من دار
الخبزي والبوار وأدخلنا بفضلك

وكرمك وجودك الجنة دار القرار واجعلنا مع عبادك الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ
والشهداء والصالحين في دار رضوانك وصلى الله على سيدنا محمد
اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوهُمَا وَأَهْمِنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارزُقْنَا صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنْ
المعاصي ووقفنا لشغلها بالباقيات الصالحات وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) ٩٤ - ومن إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن محنة المسلمين وتداعي الأمم عليهم
ففي سنن أبي داود ، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((يُوشِكُ الْأُمَّمُ
أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا الْأَكْلَةُ إِلَى فَصْعَتِهَا)) فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ : ((بَلْ
أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُنَاءٌ كَغُنَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ،
وَلَيُفْذِقَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ)) فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ ((حُبُّ الدُّنْيَا
وَكِرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)) وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده .

٩٥ - وَمِنْ ذَلِكَ إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتساع ملك المسلمين وفوزهم بكنوز كسرى
وقيصر واضطراب أمر المسلمين في النهاية .

ففي صحيح مسلم عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِنَّ اللَّهَ رَوَى
لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُّغُ مُلْكُهَا مَا رُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيَتْ
الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ
عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ

وَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي

أَعْطَيْتِكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَةٍ ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ
يَسْتَبِيحُ بِيَضَّتَهُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَفْطَارِهَا ، أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَفْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ
بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا ، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

٩٦- وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا
فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَادَ نَصْرَانِيًّا ، فَكَانَ
يَقُولُ : مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَقَالُوا
هَذَا فِعْلٌ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابِهِ ، لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا ، فَأَلْقَوْهُ ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا ،
فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ .

٩٧- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبَعَنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلَا عِلْمَ لِي
بِالْقَضَاءِ قَالَ : انْطَلِقْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَهْدِي قَلْبِكَ وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ ((قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فَمَا شَكَّكْتُ فِي قَضَاءِ بَيْنِ اثْنَيْنِ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((أَقْضَاكُمْ عَلِي)) .

٩٨- وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي شَهْمٍ وَكَانَ رَجُلًا بَطَالًا فَمَرَّتْ بِهِ
جَارِيَةٌ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى خَاصِرَتِهَا قَالَ فَاتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغَدِّ وَهُوَ يَبَايِعُ
النَّاسَ فِقْبُضَ يَدِهِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَصَاحِبُ الْجِدَّةِ أَمْسَ ؟)) قَالَ فَقُلْتُ لَا
أَعُودُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((فَنَعَمْ إِذَا)) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

٩٩- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِ فَاتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَرَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ ، فَسَلِمَا ، ثُمَّ قَالَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْنَا نَسْأَلُكَ ، فَقَالَ « إِنْ شِئْتُمَا أَخْبَرْتُكُمَا بِمَا جِئْتُمَا تَسْأَلَانِي عَنْهُ فَعَلْتُ ، وَإِنْ شِئْتُمَا أَنْ أُمْسِكَ وَتَسْأَلَانِي فَعَلْتُ » فَقَالَ أَخْبَرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ الثَّقِيفِيُّ لِلْأَنْصَارِ ، سَلْ ، فَقَالَ أَخْبَرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ « جِئْتُ تَسْأَلُنِي عَنْ مَخْرَجِكَ مِنْ بَيْتِكَ تَوْمُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، وَعَنْ رَكَعَيْكَ بَعْدَ الطَّوَافِ ، وَمَا لَكَ فِيهَا ، وَعَنْ طَوَافِكَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، وَعَنْ وَقُوفِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، وَعَنْ رَمِيكَ الْجَمَارِ ، وَمَالِكَ فِيهِ ، وَعَنْ نَحْرِكَ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، مَعَ الْإِيفَاضَةِ » فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَعَنَ هَذَا جِئْتُ أَسْأَلُكَ .

قَالَ ((فَإِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ تَوْمُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، لَا تَضَعُ نَاقَتَكَ خَفَاءً ، وَلَا تَرْفَعُهُ ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ بِهِ حَسَنَةً ، وَمَحَا عَنْكَ خَطِيئَةً ، وَأَمَّا رَكَعَاتُكَ بَعْدَ الطَّوَافِ ، كَعَتَقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، كَعَتَقِ سَبْعِينَ رَقَبَةً ، وَأَمَّا وَقُوفُكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَهْبِطُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَبْأُهِ بِكُمْ الْمَلَائِكَةُ يَقُولُ عِبَادِي جَاؤُنِي شَعْنًا ، مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، يَرْجُونَ جَنَّتِي ، فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكُمْ كَعَدَدِ الرَّمْلِ ، أَوْ كَقَطْرِ الْمَطَرِ ، أَوْ كَزَيْدِ الْبَحْرِ ، لَغَفَرْتُهَا ، أَفِيضُوا عِبَادِي ، مَغْفُورًا لَكُمْ وَعَمَّنْ شَفَعْتُمْ لَهُ .

وَأَمَّا رَمِيكَ الْجَمَارِ ، فَلِكِ بِكُلِّ حَصَاةٍ رَمَيْتَهَا ، تَكْفِيرٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ ، وَأَمَّا نَحْرِكَ فَمَدْحُورٌ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَأَمَّا حَلَاقَتُكَ رَأْسِكَ ، فَلِكِ

بكل شعره حلقتها حسنة ، ويمحى عنك بها خطيئة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك ، فإنك تطوف ولا ذنب لك ، يأتي ملك يضع يده بين كتفيك فيقول اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى)) رواه الطبراني في الكبير والبخاري واللفظ له ورواه ابن حبان في صحيحه .

١٠٠ - ومنها إخباره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مقتل علي بن أبي طالب ، وأن قاتله يخضب لحية علي من دم رأسه ، فعن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري - وكان ابن فضالة من أهل بدر - قَالَ : خرجت مع أبي عائداً لعلي بن أبي طالب ، من مرض أصابه ثقل منه ، قَالَ فَقَالَ لَهُ أَبِي مَا يقيمك بمنزلك هذا لو أصاب أجلك إلا أعراب جهينة ، تحمل إلى المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك ، وصلوا عليك .

فَقَالَ عَلِيٌّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد إليّ أن لا أموت حتى أوامر ، ثم تخضب هذه ، - يعني لحيته من دم هذه - يعني هامته ، وعن عثمان بن صهيب عن أبيه ، قَالَ قَالَ عَلِيٌّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((من أشقي الأولين ؟)) قلت : لا علم لي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ ((الَّذِي يضرِبُكَ عَلَى هَذِهِ - وأشار علي إلى يافوخه بيده - فيخضب هذه من هذه)) يعني ليحته من دم رأسه ، قَالَ : فكان يقول وددت أنه قد انبعث أشقاكم .

وقتل رضي الله عنه ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٤٠ هـ عندما خرج يوقظ الناس لصلاة الفجر ، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه ، فسال دمه على لحيته ، رضي الله عنه وأرضاه فوقع طبق ما أخبره به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٠١ - وَمِنْهَا إِجَابَةُ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ فِي تَحْيِيهِ إِلَى النَّاسِ وَأُمِّهِ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ وَاللَّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ مُؤْمِنًا يَسْمَعُ بِي أَوْ يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي قَالَ إِنَّ أُمَّي كَانَتْ امْرَأَةً مُشْرِكَةً ، وَإِنِّي كُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَانَتْ تَأْتِي عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا ، فَأَسْمَعَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أكره .

فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَكَانَتْ تَأْتِي عَلَيَّ وَإِنِّي دَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَنِي فِيكَ مَا أكره ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَقَالَ : ((اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ)) فَخَرَجْتُ أَعْدُو أَبَشَّرَهَا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا أَتَيْتُ الْبَابَ إِذَا هُوَ مُجَافٍ ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةً (خَشْخَشَةً) وَسَمِعْتُ خَشْفَ رَجُلٍ - يَعْنِي وَقَعَهَا ، فَقَالَتْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كَمَا أَنْتَ ، ثُمَّ فَتَحْتَ الْبَابَ وَقَدْ لَبِسْتَ دِرْعَهَا وَعَجَلْتَ عَنْ خِمَارِهَا أَنْ تَلْبَسَهُ ، وَقَالَتْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ كَمَا بَكَيتُ مِنَ الْحُزْنِ .

فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَشِّرْ ، فَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَكَ ، وَقَدْ هَدَى اللَّهُ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبَّنِي أَنَا وَأُمَّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْهُمْ))

إِيَّاهُمَا)) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مُؤْمِنًا يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي أَوْ يَرَى أُمَّي إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّنِي .
 ١٠٢- وَمِنْهَا قِصَّةٌ أُخْرَى ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
 قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِيَّيَّيْ أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا فَأَنْسَاهُ فَقَالَ ((ابْسُطْ رِدَائَكَ))
 فَبَسَطْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ ضُمَّهُ فَضَمَّمْتُهُ ، فَمَا نَسِيتُ حَدِيثَنَا بَعْدَهُ ، رواه البخاري .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا
 هُرَيْرَةَ يَقُولُ إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْتَبُ الْحَدِيثَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ إِنَّنِي كُنْتُ امْرَأً مَسْكِينًا ، أَصْحَبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلءِ بَطْنِي
 ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْعَلُهُمُ الصَّفْقُ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ يَشْعَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
 ، فَحَضَرْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَجْلِسًا ، فَقَالَ ((مَنْ يَبْسُطُ رِدَائَهُ حَتَّى
 أَقْضِي مَقَالَتِي ثُمَّ يَبْسُطُ إِلَيْهِ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي)) فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ حَتَّى قَضَى مَقَالَتَهُ
 ، ثُمَّ قَبَضْتُهَا إِلَيَّ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوها ونور قلوبنا بنور الإيمان واجعلنا هداة مهتدين وتوفنا
 مسلمين وألحقنا بالصالحين واغفر لنا ولوالدينا

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِمَا وَفَقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيَقِظْنَا مِنْ سَنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ وَارزُقْنَا الاستعداد لذلك اليوم
 الَّذِي يَرِيحُ فِيهِ الْمُتَقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ
 عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، اللَّهُمَّ ارحم ذلنا بين يديك واجعل رغبتنا فيما
 لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنَا بَدَنُونَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بَعِيُونَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

(فَصْلٌ)

١٠٣- وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَهُوَ ابْنُ فَاطِمَةَ يُصَلِّحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ ، فَتَمَّ ذَلِكَ بِمُصَالِحَةِ الْحَسَنِ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثِينَ سَنَةً .

١٠٤- وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَهُمْ يَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ ، وَيَكُونُ آخِرَ زَادِهِ ضِيَاحًا مِنْ لَبَنٍ ، فَتَقْتَلُهُ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ بِصَفِيْنٍ ، وَهُوَ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ آخِرَ زَادِهِ مِنَ الدُّنْيَا ضِيَاحًا مِنْ لَبَنٍ (وَالضِّيَاخُ) اللَّبَنُ الْخَائِرُ يُصَبُّ فِيهِ الْمَاءُ ثُمَّ يُجَبُّطُ .

١٠٥- وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، وَهُمْ يَخْفِرُونَ الْخُنْدَقَ بِأَنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ عَلَيْهِ الْيَمْنَ وَالشَّامَ وَالْمَعْرِبَ وَالْمَشْرِقَ ، فَفِي السَّيْرِ وَالتَّفَاسِيرِ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ : ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْخُنْدَقِ ، فَعَلَّظْتُ عَلَيَّ صَخْرَةً ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبٌ مِنِّي .

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَضْرِبُ ، وَرَأَيْتُ شِدَّةَ الْمَكَانِ عَلَيَّ ، نَزَلَ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ مِنْ يَدِي ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ الْمِعْوَلِ بَرْقَةٌ ، قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخْرَى ، قَالَ : ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثَّالِثَةَ ، فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخْرَى ، قَالَ : قُلْتُ : بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ لَمَعَ تَحْتَ الْمِعْوَلِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ قَالَ : ((أَوْقَدَ رَأَيْتَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ)) ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ : " أَمَّا الْأُولَى فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْيَمَنَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الشَّامَ وَالْمَغْرِبَ ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْمَشْرِقَ " . فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ عَلِيَّ التَّفْصِيلَ فَإِنَّ أَوَّلَ مَا فَتِحَ مِنَ الْبُلْدَانِ الْمَذْكُورَةِ الْيَمَنُ ، فَتَحَتْ عَلَيَّ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفُتِحَتْ بَعْدَهَا الشَّامُ وَالْمَغْرِبُ ، وَفُتِحَ بَعْدَ الشَّامِ الْمَشْرِقُ ، فِي مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٠٦- وَمِنْهَا قِصَّةُ جَمَلِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَعَنَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ قَالَ : فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا لِي وَضَرَبَهُ ، فَسَارَ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ ، فَقَالَ : ((بَعْنِيهِ بِأَوْفِيَّةٍ)) . قُلْتُ : لَا . ثُمَّ قَالَ : ((بَعْنِيهِ)) . فَبِعْتُهُ بِأَوْفِيَّةٍ وَاشْتَرَطْتُ حُمْلَانَهُ إِلَى أَهْلِي ، فَلَمَّا بَلَغْتُ أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ ، فَفَقَدَنِي ثَمَنُهُ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَأَرْسَلْتُ فِي أَثْرِي ، فَقَالَ : ((أَتَرَانِي مَا كَسَبْتُكَ لِأَخَذِ جَمَلِكَ ، خُذْ جَمَلَكَ وَذَرَاهِمَكَ فَهُوَ لَكَ)) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

١٠٧- وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ عَمَّا وَقَعَ لِحُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ عَيْنًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ ، جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَّةِ ، بَيَّنَّ عَسْفَانَ وَمَكَّةَ ، ذُكِرُوا لِحِيٍّ مِنْ هُدَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحِيَانَ .

فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامَ ، فَاقْتَصُوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كَلَهُمُ التَّمَرُ فِي مَنْزِلٍ نَزَلُوهُ فَقَالُوا : تَمْرٌ يَثْرَبُ فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ ، لَجُّوا إِلَى مَوْضِعٍ ، فَأَحَاطَ بِهِمْ

الْقَوْمُ ، فَقَالُوا هُمْ : انزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا ،
فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ : أَيُّهَا الْقَوْمُ أَمَا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ .
ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَخْرِ عَنَّا نَبِيَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَسَلِّمْ فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا ،
وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ ، عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، مِنْهُمْ حُبَيْبٌ ، وَزَيْدُ بْنُ الدَّثِينَةِ ، وَرَجُلٌ آخَرٌ ،
فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ ، أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا ، قَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ : هَذَا أَوْلُ
الْعَدْرِ ، وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ ، إِنَّ لِي بِهَؤُلَاءِ أَسْوَأَ ، يُرِيدُ الْفَتْلَى ، فَجَرَّرُوهُ ، وَعَاجَلُوهُ ، فَأَبَى أَنْ
يَصْحَبَهُمْ .

فَانْطَلَقُوا بِحُبَيْبٍ وَزَيْدِ بْنِ الدَّثِينَةِ ، حَتَّى بَاعُوهُمَا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَأَبْتَعَ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ
بْنِ نَوْفَلٍ حُبَيْبًا ، وَكَانَ حُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَبِثَ حُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا ،
حَتَّى أَجْمَعُوا قَتْلَهُ ، فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ مُوسَى ، يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ ، فدرج بُنْيُ
لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أَتَاهُ ، فوجدتهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَحْدِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ .

قَالَتْ : فَفَزِعْتُ فَرَعَةَ عَرَفَهَا حُبَيْبٌ فَقَالَ : اتَّخَشِينَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ ، قَالَتْ
: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ حُبَيْبٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ
، وَإِنَّهُ لَمُوثِقٌ بِالْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ وَكَانَتْ تَقُولُ : إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللَّهُ حُبَيْبًا .
فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ ، قَالَ لَهُمْ حُبَيْبٌ : دَعُونِي أُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، فَتَرَكَوهُ
فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ ، فَقَالَ : لَوْلَا أَنْ نَحْسَبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ،
وَاقْتُلُهُمْ بَدَدًا وَلَا تُبْقِ

مِنْهُمْ أَحَدًا ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا

عَلَى أَيِّ جَنَبٍ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ

يُبَارِكْ عَلَيَّ أَوْصَالَ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ

آخر: (ولا غرور بالأشراف إن ظفرت بهم

كلاب الأعداي من فصيح وأعجم)

(فحرته وحشي سقت حمزة الردى

وموت علي من حسام ابن ملجم)

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ أَبُو سِرْوَعَةَ ، عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصَّلَاةَ ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُمْ ، وَبَعَثَ نَاسًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ ، حِينَ حَدَّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ ، أَنْ يُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ ، يُعْرِفُ ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا عَظِيمًا مِنْ عَظَمَائِهِمْ ، فَبَعَثَ اللَّهُ لِعَاصِمٍ مِثَالَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتُهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا ، وَالشَّاهِدُ فِي إِخْبَارِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا .

١٠٨ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ

خَيْرٌ .

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْرٍ : ((لِأَعْظَمِ الرَّايَةِ عَدَا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يُفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ)) . فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ ، أَيُّهُمْ يُعْطَى فَقَالَ : ((أَيَّنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ)) ؟

فَقِيلَ : هُوَ يَشْتَكِي

عَيْنِيهِ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَن لَّمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَايَةَ فَقَالَ : ((انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)) . فَمَتَّحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فَكَانَ كَمَا قَالَ .

١٠٩- وَمِنْ ذَلِكَ نَعْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا ، وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ خَبْرُهُمْ فَقَالَ : ((أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ، حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ)) . يَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

شِعْرًا: تَشَاغَلَ قَوْمٌ بِدُنْيَا هُمُومَا	وَقَوْمٌ تَخَلَّوْا لِمَوْلَاهُمُومَا
فَالزَّمَهُمْ بَابَ مَرَضَاتِهِ	وَعَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ أَعْنَاهُمُومَا
إِذَا ذُكِرُوا بِاللَّذِي أَسْلَفُوا	أَذَابَ الْقُلُوبِ وَأَبْكَاهُمُومَا
فَمَا يَعْرِفُونَ سِوَى حُبِّهِ	فَوَالْوَا الْإِلَهَ وَوَالَاهُمُومَا
يَصُفُّونَ بِاللَّيْلِ أَفْئِدَتَهُمْ	وَعَيْنُ الْمُتَهَيِّمِينَ تَرَعَاهُمُومَا
فَطُوبَى لَهُمْ ثُمَّ طُوبَى لَهُمْ	إِذَا بِالتَّحِيَّةِ حَيَاهُمُومَا

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنْ وَسَاوِسِ قُلُوبِنَا الْحَامِلَةِ عَلَى التَّوَرُّطِ فِي هُوَّةِ الْبَاطِلِ وَإِبْتِدَاعِهِ وَاجْعَلْ إِيْمَانَنَا إِيْمَانًا خَالِصًا صَادِقًا قَوِيًّا وَكُنْ لَنَا مُؤَيَّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرِ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ عَيْشَنَا عَيْشًا رَعْدًا . وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا وَارزُقْنَا فِي مَحَبَّتِكَ عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا وَاسِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَحِفْظًا كَامِلًا وَفَهْمًا ذَكِيًّا

وَطَبَعًا صَفِيًّا وَأَدَبًا مَرْضِيًّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فِصْلٌ)

١١٠ - وَمِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ ، قَالَ : زُمِيْتُ بِسَهْمٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقُتِمْتُ عَيْنِي ،
فَبَصَقْتُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَعَا لِي ، فَمَا آذَانِي مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدُ .
١١١ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْقَى مَرَّةً ، فَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ إِنَّ التَّمَرَ فِي الْمَرَايِدِ .

فَقَالَ : ((اللَّهُمَّ اسْقِنَا حَتَّى يُقَوْمَ أَبُو لُبَابَةَ عَزِيَانًا فَيَشُدُّ مِرْبَدَهُ بِإِزَارِهِ)) . فَأَمْطَرَتْ
فَاجْتَمَعُوا : إِلَى أَبِي لُبَابَةَ فَقَالُوا : إِنَّهَا لَنْ تُثْلِعَ حَتَّى تُقَوْمَ عَزِيَانًا فَتَشُدَّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِكَ بِإِزَارِكَ
فَفَعَلَتْ فَأَقْلَعَتِ السَّمَاءُ .

١١٢ - وَمِنْهَا قِتَالُ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ سَعْدِ
بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ
، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ ، كَأَشَدَّ الْقِتَالِ ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ .

١١٣ - وَمِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ نَافِعِ بْنِ جَبْرِ قَالَ : سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ يَقُولُ : شَهِدْتُ
أُحُدًا ، فَانْظَرْتُ إِلَى النَّبْلِ يَأْتِي مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطَهَا كُلَّ ذَلِكَ
يَصْرِفُ عَنْهُ .

١١٤ - وَمِنْهَا دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَلْحَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ وَاسْتِجَابَةُ اللَّهِ لِذَعْوَتِهِ ، فَعَنْ
أَنْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ لِأَبِي طَلْحَةَ

ابن يَشْتَكِي فَنُخِرَ أَبُو طَلْحَةَ فَمُبِضَ الصَّبِيُّ ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ : مَا فَعَلَ الصَّبِيُّ ؟
قَالَتْ : أُمُّ سُلَيْمٍ وَهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ : هُوَ أَسْكَنَ مَا كَانَ فَفَرَّجَتْ لَهُ الْعِشَاءَ فَتَعَشَّى ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا ،
فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَتْ : وَارُوا الصَّبِيَّ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : ((أَعْرَسْتُمْ
الْيَتِيمَةَ)) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا)) . فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ :
احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِي بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِتَمْرَاتٍ ، فَقَالَ : ((أَمَعَهُ شَيْءٌ))
؟ قَالَ : نَعَمْ تَمْرَاتٌ . فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَعَهَا ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا
فِي فِيهِ الصَّبِيَّ ، ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدُ اللَّهِ . وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ
الْأَنْصَارِ : فَرَأَيْتُ تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ يَعْنِي مِنْ أَوْلَادِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَلُّودِ .

١١٥- وَمِنْ ذَلِكَ الْكُذْبَةُ وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ الَّتِي لَا تَعْمَلُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ فَشَكَّوْهَا إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَقَلَّ فِيهِ ثُمَّ دَعَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُو بِهِ ثُمَّ نَضَحَ
الْمَاءَ عَلَى تِلْكَ الْكُذْبَةِ فَيَقُولُ مَنْ حَضَرَهَا : فَوَالَّذِي بَعْتُهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَأَنْهَالَتْ حَتَّى عَادَتْ
كَالْكُثَيْبِ ، لَا تَرُدُّ فَأَسًّا ، وَلَا مِسْحَاهًا .

١١٦- وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ
، فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ هَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ تَكَادُ أَنْ تَدْفِنَ الرَّكِبَ فَزَعَمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : ((بُعِثْتُ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ)) . فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ إِذَا عَظِيمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ
قَدْ مَاتَ .

١١٧- وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ الْخُرَاعِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَرَادَ أَنْ يَبْعَثَنِي بِمَالٍ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بِمَكَّةَ لِيَقْسِمَهُ فِي فُرَيْشٍ بَعْدَ الْفَتْحِ فَقَالَ : ((التَّمِسْ صَاحِبًا)) . فَجَاءَنِي عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ فَقَالَ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ تُرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ فَتَلْتَمِسُ صَاحِبًا ، قُلْتُ : أَجَلٌ . قَالَ : فَأَنَا لَكَ صَاحِبٌ .

فَجِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : قَدْ وَجَدْتُ صَاحِبًا قَالَ : ((مَنْ)) ؟ قُلْتُ : عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ ، قَالَ : ((إِذَا هَبَطْتَ بِلَادَ قَوْمِهِ فَاحْذَرُهُ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ الْقَائِلُ أَخُوكَ الْبَكْرِيُّ لَا تَأْمَنُهُ)) . فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْأَبْوَاءِ قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ حَاجَةً إِلَى قَوْمِي وَوَدِدْتُ أَنْ تَلَبَّثَ لِي قَلِيلًا ، فَقُلْتُ : انصَرِفْ رَاشِدًا فَلَمَّا وُلِّي دَكَرْتُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَدَدْتُ عَلَى بَعِيرِي فَخَرَجْتُ أَوْضِعُهُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْأَصَافِرِ إِذَا هُوَ يُعَارِضُنِي فِي رَهْطٍ فَأَوْضَعْتُ فَسَبَقْتُهُ فَلَمَّا رَأَيْتُ جَاءَنِي فَقَالَ : قَدْ كَانَتْ لِي إِلَى قَوْمِي حَاجَةٌ ، قُلْتُ : أَجَلٌ وَمَضِينَا حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ فَدَفَعْتُ الْمَالَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ .

١١٨- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ سُئِلَ مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِرِّ لَيْلَةَ اسْتَمْعُوا الْقُرْآنَ فَقَالَ : آذَنْتُ بِهِمْ شَجَرَةً .

١١٩- وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو رَجَاءٍ قَالَ : دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَائِطًا لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ : ((مَا تَجْعَلُ لِي إِنْ أُرُوَيْتُ حَائِطَكَ هَذَا)) ؟ قَالَ لَهُ : إِنِّي أَجْهَدُ أَرْوِيهِ فَلاَ أُطِيقُ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((تَجْعَلُ لِي مِائَةَ تَمْرَةٍ اخْتَارَهَا مِنْ تَمْرِكَ)) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَخَذَ

الْعَرَبَ فَمَا لَبِثَ أَنْ أَرْوَاهُ حَتَّى قَالَ الرَّجُلُ : غَرِقْتُ عَلَيَّ حَائِطِي ، فَاخْتَارَ مِائَةَ تَمْرَةٍ فَأَكَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى شَبِعُوا .

ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ تَمْرَةٍ كَمَا أَخَذَهَا . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتِنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) ١٢٠ - وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبِرَّازُ مِنْ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ تَبَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَجَلَسَ قَالَ : فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : ((يَا أَبَا ذَرٍّ : مَا جَاءَ بِكَ)) ؟ قُلْتُ اللهُ وَرَسُولَهُ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : ((مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ)) ؟ قَالَ : اللهُ وَرَسُولَهُ ، فَجَاءَ عُمَرُ ، فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : ((يَا عُمَرُ مَا جَاءَ بِكَ)) ؟ قَالَ : اللهُ وَرَسُولَهُ ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ ، فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ عُمَرَ ، فَقَالَ : ((يَا عُثْمَانُ مَا جَاءَ بِكَ)) ؟ قَالَ : اللهُ وَرَسُولَهُ ، فَتَنَاوَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ حَصِيَّاتٍ ، أَوْ تِسْعَ حَصِيَّاتٍ ، فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ .

ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسَنَ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسَنَ ثُمَّ تَنَاوَلَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَرَ فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسَنَ ثُمَّ تَنَاوَلَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ ، فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسَنَ ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ يَعْنِي الخِلَافَةَ .

١٢١ - وَمِنْهَا قِصَّةُ الْمَزَادَتَيْنِ أَوْ السَّطِيحَتَيْنِ فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ۖ وَشَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ الْعَطَشَ فَدَعَا فُلَانٌ وَدَعَا عَلِيًّا فَقَالَ : ((اذْهَبَا فَابْعِيَا الْمَاءَ)) . فَانْطَلَقَا فَلَقِيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا . فَقَالَا لَهَا : أَيْنَ الْمَاءُ ، فَقَالَتْ : عَهْدِي بِالْمَاءِ أَمْسَ هَذِهِ السَّاعَةُ وَنَفَرْنَا خُلُوفٌ ، قَالَا : انْطَلِقِي إِذَا . قَالَتْ : إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَا : إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِيُّ ؟ قَالَا : هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ فَانْطَلِقِي فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَاهُ الْحَدِيثَ ، فَاسْتَنْزَلُوهُمَا عَنْ بَعِيرِهَا ، وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ أَوْ السَّطِيحَتَيْنِ ، وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُمَا ، وَأَطْلَقَ الْعِزَالِي ، فَنُودِيَ فِي النَّاسِ اسْتُفُوا ، وَاسْتَفُوا ، فَسَقَى مَنْ شَاءَ ، وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ وَكَانَ آخِرُ ذَلِكَ أَنْ أُعْطِيَ رَجُلًا أَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ إِنْاءً مِنْ مَاءٍ فَقَالَ : ((اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ)) . وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا .

وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ أَقْلَعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لِيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلَاءَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((اجْمَعُوا لَهَا)) . فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسُوَيْقَةٍ ، حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا ، فَجَعَلُوهُ فِي ثُوبٍ ، وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا وَوَضَعُوا الثُّوبَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَقَالَ لَهَا : ((تَعْلَمِينَ مَا رَزَأْنَا مِنْ مَائِكَ شَيْئًا .

وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَسْقَانَا)) . فَأَتَتْ أَهْلَهَا وَقَدْ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ ، وَقَالُوا : مَا حَبَسَكَ يَا فُلَانَةُ ؟ قَالَتْ : الْعَجَبُ ، لَقِيَنِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى

هَذَا الصَّابِيُّ ، فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسَ مِنْ بَيْنَ هَذِهِ وَهَذِهِ ، تَعْنِي السَّمَاءَ إِلَى
وَالْأَرْضَ أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدُ يُعِيرُونَ عَلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا
يُصِيبُونَ الْقَوْمَ الَّذِي هِيَ مِنْهُ .

فَقَالَتْ : يَوْمًا لِقَوْمِهَا ، مَا أَرَى إِلَّا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَدْعُونَكُمْ عَمْدًا فَهَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ ،
فَأَطَاعُوهَا فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ . وَفِي رِوَايَةٍ قَالَتْ : لَهْمَا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا مَاءَ لَكُمْ ، وَفِيهِ
فَأَخْبَرْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا مُؤْتَمَةٌ فَأَمَرَ بِرَاوِيَتِهَا ، فَأُنِيحَتْ ، فَمَجَّ فِي الْعَرَلَاوِينَ الْعُلْيَاوِينَ

ثُمَّ بَعَثَ بِرَاوِيَتِهَا فَشَرِبْنَا ، وَنَحْنُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، عِطَاشًا ، حَتَّى رَوِينَا وَمَلَأْنَا كُلَّ قَرْبَةٍ مَعَنَا ،
وَإِدَاوَةٍ وَعَسَلْنَا صَاحِبِنَا ، غَيْرَ أَنَّا لَمْ نَسْقِ بَعِيرًا ، وَهِيَ تَكَادُ تَتَضَرَّجُ بِالْمَاءِ ، يَعْنِي الْمَرَادَتَيْنِ .
رَوَاهُ الشَّيْخَانُ مَطُولًا .

١٢٢- وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ سَلَمَةَ بِنْتِ الْأَكْوَعِ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
غَزْوَةٍ ، فَأَصَابَنَا جَهْدٌ حَتَّى هَمَمْنَا أَنْ نُنْحَرَ بَعْضَ ظَهْرِنَا ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَجَمَعْنَا أَرْوَادَنَا ، وَبَسَطْنَا لَنَا نِطْعًا ، فَاجْتَمَعَ زَادُ الْقَوْمِ عَلَى النَّطْعِ ، فَتَطَاوَلْتُ لِأَخْزُرِهِ كَمَا هُوَ ،
فَإِذَا هُوَ كَرْبُضَةِ الْعَنْزِ ، وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً (١٤٠٠) فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا جَمِيعًا ، ثُمَّ حَشُونَا
جُرُونًا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((فَهَلْ مِنْ وَضْوءٍ)) ؟ فَجَاءَ رَجُلٌ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا نُطْفَةٌ مِنْ
مَاءٍ ، فَأَفْرَعَهَا فِي قَدَحٍ ، فَتَوَضَّأْنَا كُلُّنَا ، نُدْغِفُهُ دَغْفَقَةً . رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

١٢٣- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بِتَمْرَاتٍ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ فَضَمَّهِنَّ ، ثُمَّ دَعَا لِي فِيهِنَّ ، ثُمَّ قَالَ : ((خُذْهُنَّ فَاجْعَلْهُنَّ فِي مِرْوَدِكَ هَذَا أَوْ فِي الْمِرْوَدِ ، فَكُلَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا أَدْخِلْ يَدَكَ فِيهِ ، وَخُذْ وَلَا تَنْثُرْهُ نَثْرًا)) . فَفَعَلْتُ فَلَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ وَنُطْعِمُ ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُ حِقْوِي ، حَتَّى كَانَ يَوْمَ قَتْلِ عُثْمَانَ انْقَطَعَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سِلْكِ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ وَبِحَنَّا مِنْ لَفْحَاتِ الْجَحِيمِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) ١٢٤- وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ : فَمَسَحَ رَأْسِي ، وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ : فَتَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ ، ثُمَّ قُئْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زُرِّ الْحَجَلَةِ ، وَقَالَ الْجَعِيدُ : رَأَيْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ ، ابْنَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ ، جَلْدًا مُعْتَدِلًا : فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ مَا مُتِعْتَ بِهِ سَمْعِي وَبَصَرِي إِلَّا بِدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٢٥- وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ أَبُو زَيْدِ بْنِ أَخْطَبٍ : مَسَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ عَلَيَّ وَجْهِي ، وَدَعَا لِي ، قَالَ عَزْرَةُ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ مَا عَاشَ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةً ، وَلَيْسَ فِي لِحْيَتِهِ إِلَّا شَعْرَاتٌ تُعَدُّ بِيضٌ .

١٢٦- وَمِنْهُ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَلَغَ

عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، مَقْدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ وَقَالَ : إِيَّيَّ سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ ، مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ إِلَى أَحْوَالِهِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَخْبَرَنِي بِهِنَّ أَنْفَا جِبْرِيلُ)) . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

((أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، فَرِيَادَةُ كَبِدِ الْحَوْتِ ، وَأَمَّا الشَّبَبُ فِي الْوَلَدِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ ، كَانَ الشَّبَبُ لَهُ وَإِذَا سَبَقَتْ لَهُ الشَّبَبُ لَهَا)) . قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . الْحَدِيثُ .

١٢٧- وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ تَحْدُو حَدَوِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَحَدَوِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ ، حَدَوِ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ وَالنَّعْلِ بِالنَّعْلِ .

وَكَانَ الْأَمْرُ حَدَثَ حَدْوَهُمْ فِي الْإِخْتِلَافِ ، وَالتَّفَرُّقِ ، وَارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَالْإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ ، وَالْكَذِبِ ، عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَوِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى .

١٢٨- وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ هَوَازِنَ بِقَتْلِ ذِي الْحَوَيْصِرَةِ حُرْقُوصِ بْنِ زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ ، وَأَصْحَابِهِ مَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ ، خَارِجِينَ عَلَى حِينِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ . وَحَدِيثُهُمْ مَذْكُورٌ فِي بَعْضِ السِّيَرِ وَكُتِبَ الْحَدِيثُ ، وَمَضْمُونُهُ أَنَّ

ذَا الْخُوْبِصْرَةِ قَامَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَفْسِمُ غَنَائِمَ هَوَازَنَ ، فَقَالَ : اَعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((تَرَبَّتْ يَدَاكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ أَنَا)) . فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ نَافِقٌ فَمَرِنِي أَضْرِبْ عَنْقَهُ .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((دَعُهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَخْتَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ وَقِرَاءَتَهُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَةِ ، يَخْرُجُونَ عَلَيَّ حِينَ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ، يَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ ، آيْتُهُمُ الْمُخَدَّجُ)) . يَعْنِي ذَا الشُّدَيْيَةِ ، فَكَانَ الْأَمْرَ كَمَا أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمَذْكُورَ وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ حَرْبِ صِفِّينَ .

فَقَتَلَهُمُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّهْرَوَانِ ، وَاسْتَخْرَجَ الْمُخَدَّجَ ذَا الشُّدَيْيَةِ ، مِنْ الْمَاءِ مَقْتُولًا ، حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ عَسْكَرِهِ وَكَانُوا مَا يَقْرُبُ مِنْ سِتِّينَ أَلْفًا ، فَكَبَّرَ عَلِيُّ حِينَ وَجَدَهُ ، وَسَجَدَ سَجْدَةً شُكْرًا ، وَكَبَّرَ الْعَسْكَرُ الَّذِي مَعَهُ فَرَحًا وَسُرُورًا بِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي وَقَعَ طَبَقَ مَا قَالَ .

١٢٩- وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ مَا أَخُوذُ مِنَ الْقُرْآنِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ هَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ .

فَأَخْبَرَ أَنَّ عَمَّهُ أَبَا هَبٍ سَيَدْخُلُ النَّارَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ ، وَعَاشَا مُدَّةً ،

وَقَدَّرَ اللَّهُ أَنَّهُمَا مَاتَا عَلَى شِرْكِهِمَا وَلَمْ يُسَلِّمَا حَتَّى وَلَا ظَاهِرًا وَهَذَا مِنْ دَلَائِلِ التُّبُوءَةِ الْبَاهِرَةِ .
 وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَتَى بِهِ فِي الْقُرْآنِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا
 بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ وَتَحَدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُورٍ وَبِسُورَةٍ
 مِنْ مِثْلِهِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَمْ يَفْعَ ، وَلَنْ يَفْعَ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فَهَذَا مِنْ
 الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ .

١٣٠- وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
 الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ
 بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ وَهَكَذَا وَقَعَ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ مَكَنَّ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ وَأَظْهَرَهُ وَأَعْلَاهُ وَنَشَرَهُ فِي
 الْآفَاقِ وَأَنْفَذَهُ وَأَمْضَاهُ .

١٣١- وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِهِمْ أُولَى بِأْسٍ شَدِيدٍ
 تُفَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ ﴾ قِيلَ : إِنَّهُمْ فَارِسُ ، وَقِيلَ : الرُّومُ ، وَقِيلَ : هَوَازِنُ ، وَتَقِيْفُ ،
 وَعَطْفَانُ ، يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَقِيلَ : بَنُو حَنِيفَةَ ، قَوْمُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ ، وَالْمُهْمُ أَنَّهُ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ
 اللَّهُ .

١٣٢- وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
 النَّاسِ عَنْكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا خَبِيرًا ، أَوْ
 مَكَّةً ، فَقَدْ فُتِحَتْ وَأُخِذَتْ كَمَا وَقَعَ بِهِ الْوَعْدُ سَوَاءً بِسَوَاءٍ .

١٣٣- وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ فَوَقَعَ إِجْحَازُ هَذَا الْوَعْدِ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَامِ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ .

١٣٤- وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ فَوَقَعَ طَبَقَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ .

١٣٥- وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُحِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وَهَكَذَا وَقَعَ فَإِنَّ اللَّهَ عَوَّضَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

١٣٦- وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وَهَكَذَا وَقَعَ عَوَّضُهُمُ اللَّهُ عَمَّا كَانَ يَعْذُو إِلَيْهِمْ مَعَ حُجَّاجِ الْمُشْرِكِينَ بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَضَرْبِ الْجَزْيَةِ عَلَيْهِمْ ، وَسَلْبِ أَمْوَالِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ عَلَى كُفْرِهِ ، كَمَا وَقَعَ بِكُفَّارِ أَهْلِ الشَّامِ مِنَ الرُّومِ ، وَجُوسِ الْفُرْسِ بِالْعِرَاقِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ الَّتِي انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ عَلَى أَرْجَائِهَا .

١٣٧- وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُغْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ ﴾ الْآيَةَ . وَهَكَذَا وَقَعَ لَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ كَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَجَعَلُوا يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ، لَقَدْ كَانُوا مَعْدُورِينَ فِي تَخَلُّفِهِمْ ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَاذِبُونَ ،

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْرِيَ أَحْوَاهُمْ عَلَى ظَوَاهِرِهَا ، وَلَا يَفْضَحُهُمْ عِنْدَ النَّاسِ .

١٣٨- وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وَهَكَذَا وَقَعَ لِمَا اشْتَوَرُوا عَلَيْهِ لِيُثْبِتُوهُ أَوْ يَقْتُلُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمُ الْمُهْمُ أَنَّهُ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ سَوَاءً بِسَوَاءٍ .

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رَسُولِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَغَيَّرَ النَّاسُ الْيَوْمَ فِي أَحْوَاهِمُ الدِّينِيَّةِ تَغْيِيرًا يُدْهِسُ النَّاطِرِينَ هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ ثَانِي أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ عَمُودُهُ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْهَا غَيْرَ مُبَالِينَ وَلَا نَادِمِينَ جَهَلُوا مَا هِيَ الصَّلَاةُ وَأَيُّ قِيَمَةٍ قِيَمَتُهَا وَمَا مَنَزَلَتْهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الطَّاعَاتِ وَمَا عَلِمُوا أَنَّهَا الصَّلَاةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهِيَ خَيْرُ مَوْضُوعٍ وَضِعَ لِلتَّقَرُّبِ إِلَى الرَّحْمَنِ وَلِذَلِكَ هِيَ تُطَهِّرُ الْمُصَلِّيَ الْمُقِيمَ لَهَا مِنْ ذُنُوبِهِ إِذَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَنْ تَحْرِصَ عَلَيْهَا كُلَّ الْحَرْصِ وَأَنْ تَعْتَنِيَ بِهَا كُلَّ الْإِعْتِنَاءِ وَلَا تُضَيِّعَ هَذَا الْوَاجِبَ الْعَظِيمَ الَّذِي بِأَدَائِهِ تَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْعُودِينَ بِالْفَوْزِ بِالْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ . وَبِتَرْكِ هَذَا الْوَاجِبِ تَكُونُ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمَوْعُودِينَ فِي الْجَحِيمِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ فَإِذَا حَانَ وَقْتُهَا فَاهْتُمُّوا بِهَا وَتَهَيَّئُوا لِمُنَاجَاةِ خَالِقِكُمْ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ وَخُذُوا زِينَتَكُمْ مُتَّحِلِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ وَاعْتَنُوا أَوْلَى بِالطَّهَارَةِ الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُهَا ثُمَّ أَدُوها بِخُضُوعٍ وَخُشُوعٍ وَاطْمِئْنَانٍ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ يُصَلُّونَ بِأَجْسَامِهِمْ وَيُحَرِّكُونَ أَلْسِنَتَهُمْ وَشَفَاهَهُمْ وَيَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ مُكَبِّرِينَ وَيَخُونُونَ

ظُهُورُهُمْ رَاكِعِينَ وَسَاجِدِينَ وَلَكِنَّ قُلُوبَهُمْ لَمْ تَتَحَرَّكَ إِلَى اسْتِحْضَارِ عَظْمَةِ مَوْلَاهُمْ وَلَمْ تَتَدَبَّرْ مَعَانِي مَا تَلْفَظُ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ لِأَنَّهَا فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا سَارِحَةٌ تُفَكِّرُ فِي الْعِقَارَاتِ وَالْمُدَايَانَاتِ وَالْقُلُلِ وَالْعَمَائِرِ الَّتِي عَنْ قَرِيبٍ سَيُخْلَفُونَهَا رَغَمَ أَنْوْفِهِمْ إِذَا نَظَرَتْ إِلَى أَحَدِهِمْ وَهُوَ يُصَلِّي لَاهِيًا فِي تَفَكِيرِهِ يَعْبَثُ فِي ثُوبِهِ تَارَةً وَفِي سَاعَتِهِ تَارَةً وَفِي أَنْفِهِ تَارَةً وَيُنْقَشُ سِنَّهُ تَارَةً وَبَعْضُهُمْ يَلْمَسُ مَكَانَ لِحْيَتِهِ أَوْ يُصَلِّحُ مِيَازِبَ عُثْرَتِهِ أَوْ يُقَلِّمُ أَظْفَارَهُ بِأَسْنَانِهِ . وَهَكَذَا حَتَّى يُخْرِجَ مِنْهَا صِفْرًا مَا مَعَهُ مِنْهَا اللَّهُ أَعْلَمُ إِلَّا الْعُشْرَ وَهَذَا لَوْ تَأَمَّلْتَ الْمُؤَدِّي لَهَا هَكَذَا رَأَيْتَ أَنَّ الصَّلَاةَ هَذِهِ لَمْ تُؤَثِّرْ عَلَيْهِ لَا فِي تَتَمِيمِ الْوَاجِبَاتِ وَلَا فِي تَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ بَلْ وَلَا فِي تَخْفِيفِهَا لِأَنَّ الصَّلَاةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي أَقَامَهَا صَاحِبُهَا مِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا تُهَذِّبُ النَّفْسَ وَتُرَفِّقُ الْخُلُقَ وَتَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ .

فَإِذَا رَأَيْنَا إِنْسَانًا يُصَلِّي لَكِنَّهُ يَأْكُلُ الرِّبَا وَيَحْضُرُ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ أَوْ يَبِيعُهَا أَوْ يَشْتَرِيهَا أَوْ رَأَيْنَاهُ مَعَ السُّفَلِ الَّذِينَ يُلَاحِقُونَ النَّسَاءَ فِي الْأَسْوَاقِ أَوْ رَأَيْنَاهُ يُجَاهِرُ بِالْمَعَاصِي مِنْ شُرْبِ دُخَانِ بَيْنِ النَّاسِ أَوْ يَخْلُقُ لِحْيَتَهُ أَوْ يَخْلُقُ لِحَاءَ النَّاسِ أَوْ يَجْعَلُ خَنَافِسَ أَوْ يَزْتَشِي أَوْ يَحْمِلُ النَّسَاءَ بِدُونِ مَحْرَمٍ أَوْ يَخْلُو بِهِنَّ بِدُونِ مَحْرَمٍ أَوْ يُصَوِّرُ لِدَوَاتِ الْأَرْوَاحِ ، أَوْ يَبِيعُ الصُّورَ أَوْ يَسْخَرُ بِالْمُسْلِمِينَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ عَلِمْنَا أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ الَّتِي يُصَلِّي أَنَّهَا لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَلَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا ، وَرُبَّمَا كَانَ الْمُتَّصِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ السَّابِقَةِ مَعَ صَلَاتِهِ أَنَّهُ يَكِيدُ بِهَا النَّاسَ وَيَتَّخِذُهَا أَحْبُولَةً يَتَصَيَّدُ بِهَا ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِ أَوْ لِلْحُصُولِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي مُصَلٍّ يَتَصَيَّدُ بِصَلَاتِهِ الدُّنْيَا :

ذُنُوبٌ رَأَيْتُ مُصَلِّياً
فَإِذَا مَرَرْتُ بِهِ رَكَعٌ
يَدْعُو وَجُلُّ دَعَائِهِ
مَا لِلْفَرِيْسَةِ لَا تَقْعُ
عَجَّلَ بِهَا عَجَّلَ بِهَا
إِنَّ الْفُؤَادَ قَدْ انْصَدَعُ

ويقول الآخر :

إِذَا رَامَ كَيْدًا بِالصَّلَاةِ مُقِيمَهَا
فَتَارِكَهَا سَهْوًا إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُ
آخر: مَوَاعِظُ الْمَوَاعِظِ لَنْ تُقْبَلَا حَتَّى يَعْجَبَهَا قَلْبُهُ أَوْلَا
يَا قَوْمَ لَا أَظْلَمَ مِنْ وَاعِظٍ خَالَفَ مَا قَدْ قَالَهُ فِي الْمَلَا
أَظْهَرَ لِلنَّاسِ إِحْسَانَهُ وَبَارَزَ الرَّحْمَنَ لَمَّا خَلَا
آخر: أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ زُهْدًا وَعَلَى السُّدِيِّ دَارُوا
لَوْ يُرَى فَوْقَ الشُّرَيْبَا وَلَهُمْ رِيَشٌ لَطَارُوا

١٣٩- وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ هُوَ أَنَّ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسِ السَّهْمِيِّ ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعُوثَ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أُسْدٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ هَلُمَّ فَاتَّبِعْ دِينَنَا وَتَتَّبِعْ دِينَكَ وَنُشْرِكَ فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سُنَّةً وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سُنَّةً ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي

جِئْتُ بِهِ خَيْرًا كَمَا قَدْ شَرَكْنَاكَ فِيهِ وَأَخَذْنَا حَظَّنَا مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي بِيَدِينَا خَيْرًا كُنْتُ قَدْ شَرَكْتَنَا فِيهِ ، وَأَخَذْتُ بِحَظِّكَ مِنْهُ .

فَقَالَ : ((مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُشْرِكَ بِهِ غَيْرُهُ)) . قَالُوا : فَاسْتَلِمَ بَعْضَ آهْتِنَا نُصَدِّقَكَ وَنَعْبُدُ إِيَّاكَ . فَقَالَ : ((لَا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِينِي مِنْ عِنْدِ رَبِّي)) . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ فَكَانَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَتَّبِعْهُمْ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

١٤٠ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَعَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي حَالِ ضَعْفِهِمْ ، مِنْ أَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُهُمْ وَيَمَكِّنُهُمْ وَيُقَوِّيهِمْ ، وَيُظْهِرُهُمْ ، فَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتَكُونُ الْعُقْبَى لَهُمْ ، وَتَلَا بِذَلِكَ الْقُرْآنَ .

فَقَالَ عَزَّ مَنْ قَائِلٍ : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ فَتَمَكَّنَ أَصْحَابُهُ وَخُلَفَاؤُهُ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَكَانَتِ الْعُقْبَى لَهُمْ ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

١٤١ - وَمِنْ ذَلِكَ إِقَاءُ النُّعَاسِ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَانًا أَمَّنَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ خَوْفِهِمُ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنْ

كَثْرَةَ عَدُوِّهِمْ ، وَقَلَّةَ عَدَدِهِمْ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِهِمْ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِذْ يُعَشِّيكُمْ التُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ ﴾ والآية الأخرى .

وَمِنْ ذَلِكَ تَقْلِيلُ الْمُجَاهِدِينَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ وَتَقْلِيلُ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُقَدِّمَ الْمُؤْمِنُونَ وَيَتَجَرَّؤُوا وَيَطْعَمُوا فِيهِمْ وَلئلا يَهْرَبَ الْمُشْرِكُونَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ .

١٤٢- وَمِنْ ذَلِكَ أَنْزَالَ الْمَطَرَ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطْفَأَ الْعُبَارَ وَتَلَبَّدَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، حَتَّى ثَبَتَتْ الْأَقْدَامُ ، وَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ وَسَقَوْا الرِّكَابَ ، وَمَلَأُوا الْأَسْقِيَةَ وَزَالَتْ عَنْهُمْ وَسْوَسةُ الشَّيْطَانِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَزَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى كَثِيبٍ أَعْفَرَ تَسِيخُ فِيهِ الْأَقْدَامُ ، وَحَوَافِرُ الدَّوَابِّ ، وَقَدْ سَبَقَهُمُ الْكُفَّارُ إِلَى مَاءِ بَدْرٍ ، وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ مُحَدِّثِينَ ، وَبَعْضُهُمْ مُجْنِبِينَ ، وَأَصَابَهُمُ الظَّمَا ، وَوَسَّوسَ إِلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، وَقَالَ : تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَفِيكُمْ نَبِيُّ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، وَقَدْ غَلَبَكُمْ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمَاءِ ، وَأَنْتُمْ تُصَلُّونَ مُجْنِبِينَ وَ مُحَدِّثِينَ فَكَيْفَ تَرْجُونَ أَنْ تَظْهَرُوا عَلَيْهِمْ وَأَصَابَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ ذَلِكَ الْمَطَرِ مَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَرْحَلُوا مَعَهُ .

١٤٣- وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَزَلَ فِي رِجَالٍ بِأَعْيَانِهِمْ ، مِنْ أَنَّهُمْ يُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ إِلَى أَنْ يَمُوتُوا مِنْ ذَلِكَ مَا نَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ دَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَتُوْعِدُنِي يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلَا رَبُّكَ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا وَإِنِّي لَأَعْرُ مَنْ مَشِيَ بَيْنَ

جَبَلِيهَا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرِ صَرَعَهُ اللَّهُ شَرَّ مَصْرَعٍ ، وَقَتَلَهُ أَسْوَأَ قَتْلَةٍ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ((لِكُلِّ أُمَّةٍ فِرْعَوْنًا وَإِنَّ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ)) . وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَيْمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴾ ذَكَرَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ .

١٤٤ - وَمِنْهَا قِصَّةُ الْبُكَاءُونَ الَّذِينَ اسْتَحْمَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ فَقَالَ : ((لَا أَجِدُ مَا أَهْمِكُمْ عَلَيْهِ)) . فَتَوَلَّوْا يَبْكُونَ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ .

وَقَامَ عَلَيْهِ بَنُو يَزِيدٍ فَصَلَّى مِنَ اللَّيْلِ وَبَكَى ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِالْجِهَادِ وَرَغَبْتَ فِيهِ ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي مَا أَتَقَوَّى بِهِ مَعَ رَسُولِكَ وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يُحْمِلُنِي عَلَيْهِ وَإِنِّي أَتَصَدَّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عَرَضٍ .

ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ النَّاسِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَيُّنَ الْمُتَصَدِّقِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ)) ؟ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ قَالَ : ((أَيُّنَ الْمُتَصَدِّقِ فَلَيقُمْ)) . فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَبَشِرْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ كُتِبَتْ فِي الزَّكَاةِ الْمُتَقَبَّلَةِ)) . فَفِي هَذَا مُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ هَذَا غَيْبٌ أَعْلَمَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٤٥ - وَمِنْهَا مَا رُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : حَدَّثْنَا عَنْ شَأْنِ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ، فَقَالَ عُمَرُ : خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْضٍ شَدِيدٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا وَأَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ ، وَحَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعَصِرُ فَرْتَهُ فَيَشْرِبُهُ ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبَدِهِ

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَّدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا فَادْعُ اللَّهَ لَنَا ، فَقَالَ : ((أَوْ تُحِبُّ ذَلِكَ)) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ - أَيَّ آذَنْتِ بِمَطَرٍ - فَأَطَلَّتْ ثُمَّ سَكَبَتْ فَمَلَأُوا مَا مَعَهُمْ ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَرَهَا جَاوَزَتْ الْعَسْكَرَ .

١٤٦ - وَمِنْهَا حِينَمَا ظَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَخَرَجَ أَصْحَابُهُ فِي طَلَبِهَا ، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ عَمَارَةُ بْنُ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ .

وَكَانَ فِي رَحْلِهِ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتِ الْقَيْنُقَاعِيِّ وَكَانَ مُنَافِقًا ، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتِ وَهُوَ فِي رَحْلِ عَمَارَةَ وَعَمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنْ يُخْبِرَكُمْ مِنْ خَيْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيَّنَ نَاقَتُهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِمَارَةُ عِنْدَهُ : ((إِنَّ رَجُلًا قَالَ : إِنَّ مُحَمَّدًا يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنْ يُخْبِرَكُمْ بِخَيْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيَّنَ نَاقَتُهُ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا أَعْلَمَنِي اللَّهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الْوَادِي فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِرِمَامِهَا فَانْطَلَقُوا حَتَّى تَأْتُوا بِهَا)) .

فَذَهَبُوا فَجَاءُوا بِهَا وَقَدْ وَجَدَهَا الْحَارِثُ بْنُ خَزْمَةَ الْأَشْهَلِيِّ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ زَيْدٌ لَكَأَنِّي لَمْ أُسَلِّمْ إِلَّا الْيَوْمَ فَقَدْ كُنْتُ شَاكًا فِي مُحَمَّدٍ وَقَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنَا فِيهِ ذُو بَصِيرَةٍ ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

١٤٧ - وَمِنْهَا أَنَّهُ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سَائِرًا فَجَعَلَ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخَلَّفَ فُلَانٌ فَيَقُولُ : « دَعُوهُ فَإِنَّ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ » . حَتَّى قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ فَقَالَ : « دَعُوهُ فَإِنَّ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ » .

وَتَلَوَّمَ أَبُو ذَرٍّ عَلَى بَعِيرِهِ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ بَعِيرُهُ - أَيْ انْقَطَعَ - أَخَذَ الْمَتَاعَ مِنْ عَلَيْهِ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ خَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شِئًا وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَازِلَهُ فَنَظَرَ نَاطِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحَدَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُنْ أَبَا ذَرٍّ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ - وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحَدَهُ وَيَمْوُتُ وَحَدَهُ وَيُبْعَثُ وَحَدَهُ » . وَقَدْ تَحَقَّقَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا نَفَى أَبَا ذَرٍّ نَزَلَ أَبُو ذَرٍّ الرَّيْدَةَ فَأَصَابَهُ بِهَا قَدْرُهُ وَمَ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَغُلَامُهُ فَأَوْصَاهُمَا أَنْ عَسَلَانِي وَكَفَّنَانِي .

ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بِكُمْ فِقُولُوا لَهُ : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ . فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَهْطٌ مَعَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ عُمَارًا فَلَمَّ يَرُعْهُمُ إِلَّا جَنَازَةً عَلَى الطَّرِيقِ قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطُوهَا

وَقَامَ الْعُلَامُ فَقَالَ : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ .
فَاسْتَهَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمْشِي
وَحَدَّكَ وَتَمَوْتُ وَحَدَّكَ وَتُبِعْتُ وَحَدَّكَ .

ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَوَارَوْهُ ثُمَّ حَدَّثَهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ وَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى تَبُوكَ وَاسْمُ أَبِي ذَرٍّ (جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ) وَمَاتَ فِي سَنَةِ ٣٢ هـ .
وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرُهُ فِي قِصَّةِ وَفَاتِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْطَرِ
عَنْ أَبِيهِ : عَنْ أُمِّ ذَرٍّ قَالَتْ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا ذَرٍّ الْوَفَاةُ بَكَيتُ فَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقُلْتُ :
مَا لِي لَا أَبْكِي وَأَنْتَ تَمُوتُ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْعُكَ كَفْنَا وَلَا يَدَانِ لِي فِي
تَغْيِيبِكَ .

قَالَ : أَبْشِرِي وَلَا تَبْكِي فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِنَفْرٍ أَنَا فِيهِمْ :
« لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ
أَوْلِيكَ النَّفْرِ إِلَّا وَقَدْ مَاتَ فِي قَرْيَةٍ وَجَمَاعَةٍ فَأَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ فَأَبْصِرِي
الطَّرِيقَ فَقُلْتُ : أُنَى وَقَدْ ذَهَبَ الْحَاجُّ وَتَقَطَّعَتِ الطَّرِيقُ .

فَقَالَ : اذْهَبِي فَتَبْصِرِي قَالَتْ : فَكُنْتُ أَشْتَدُّ إِلَى الْكَثِيبِ أَتَبَصَّرُ ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَمْرَضَهُ فَبِينَا أَنَا
وَهُوَ كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِرِجَالٍ عَلَى رِحَالِهِمْ كَأَنَّهُمْ الرَّحْمُ تَحِبُّ بِهِمْ رَوَاحِلُهُمْ قَالَتْ : فَأَشْرْتُ إِلَيْهِمْ
فَأَسْرَعُوا إِلَيَّ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيَّ .

فَقَالُوا : يَا أَمَّةَ اللَّهِ مَا لَكَ ؟ قُلْتُ : امْرُؤٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُوتُ قَالُوا : وَمَنْ هُوَ ؟ قُلْتُ : أَبُو ذَرٍّ . قَالُوا : صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَدَّوهُ بِأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ .

فَقَالَ لَهُمْ : أَبْشِرُوا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنَا فِيهِمْ : « لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاكَ النَّفَرِ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ هَلَكَ فِي جَمَاعَةٍ .

وَاللَّهُ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْعُنِي كَفَنًا لِي أَوْ لَامْرَأَتِي لَمْ أَكْفَنْ إِلَّا فِي ثَوْبٍ هُوَ لِي أَوْ لَهَا وَإِنِّي أَنْشُدُكُمْ اللَّهَ أَنْ لَا يُكْفِنَنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيرًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ بَرِيدًا أَوْ نَقِيبًا وَلَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ قَارَفَ بَعْضَ مَا قَالَ إِلَّا فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ .

قَالَ : أَنَا أَكْفِنُكَ يَا عَمَّ أَكْفُنُكَ فِي رِدَائِي هَذَا وَفِي ثَوْبَيْنِ فِي عَيْتِي مِنْ غَزَلِ أُمِّي قَالَ : فَأَنْتَ تُكْفِنُنِي فَكَفَنَهُ الْأَنْصَارِيُّ وَقَامُوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ فِي نَفَرٍ كُلُّهُمْ يَمَانُ فَفِي هَذِهِ مُعْجَزَةٌ .

١٤٨ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ أَنَّ أَبَا خَيْثَمَةَ رَجَعَ - بَعْدَ مَا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامًا إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشٍ لهُمَا فِي حَائِطِهِ قَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً وَهَيَّاتُ لَهُ فِيهِ طَعَامًا .

فَلَمَّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فِي الضَّحِّ - هَبُّ الشَّمْسِ وَحَرَارَتُهَا - وَالرَّيْحِ وَالْحَرِّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلِّ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مُهَيَّأً وَامْرَأَةٍ

حَسَنَاءِ فِي مَالِهِ مُقِيمٌ مَا هَذَا بِالنَّصْفِ وَالْعَدْلِ .

ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَيْئًا لِي زَادًا فَفَعَلْنَا ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ - أَيُّ أَحْضَرَ جَمَلَهُ فَوَضَعَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ وَأَعَدَّهُ لِلسَّفَرِ . -

ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ وَكَانَ عِنْدَمَا أَقْبَلَ قَالَ النَّاسُ : هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُنْ أَبَا حَيْثِمَةَ » .

فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ وَاللَّهِ أَبُو حَيْثِمَةَ فَلَمَّا أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبِرَهُ خَبْرَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ » . وَفِي هَذِهِ مُعْجَزَةٌ .

١٤٩- وَمِنْهَا مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ وَمِنْهُمْ مَخْشِيُّ بْنُ جَمِيرٍ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَتَحْسَبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَاللَّهِ لَكَأَنَّكُمْ عَدَا مُقَرَّنِينَ فِي الْحَبَالِ إِرْحَافًا وَإِرْهَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ : مَخْشِيُّ وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَبِي أَقَاضِي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ مِئَةِ جِلْدَةٍ وَأَنَا نَنْقَلِبُ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ فِيْنَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ : « أَدْرِكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ احْتَرَفُوا فَسَلُّهُمْ عَمَّا قَالُوا فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا » . فَاِنْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ .

فَأَتَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ : كُنَّا نَحْوُضُ
وَنَلْعَبُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضُ وَنَلْعَبُ ﴾ . فَقَالَ مَخَشِي ابْنُ
جَمِيرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي فَكَانَ الَّذِي عَفَا عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَتَسَمَّى عَبْدَ
الرَّحْمَنِ وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيداً لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ فُقْتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ ، فَفِي
هَذِهِ الْقِصَّةِ مُعْجِزَةٌ أُيْضاً .

١٥٠ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَائِدٍ فِي مَعَارِيزِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ تَبُوكَ فِي
زَمَانٍ قَلَّ مَأْوَاهَا فِيهِ فَاعْتَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَرْفَةً بِيَدِهِ مِنْ مَاءٍ فَمَضَمَضَ بِهَا
فَأَهْ ثُمَّ بَصَقَهُ فِيهَا فَفَارَتْ عَيْنُهَا حَتَّى امْتَلَأَتْ فَهِيَ كَذَلِكَ حَتَّى السَّاعَةَ .

قُلْتُ : فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : أَنَّهُ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا قَالَ : « إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى - عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمَسْ مِنْ مَائِهَا شَيْئاً
حَتَّى آتَى » .

قَالَ : فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقْنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ تَبْضُ بِشَيْءٍ مِنْ مَائِهَا فَسَأَلَهُمَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئاً » ؟ قَالَا : نَعَمْ .

فَسَبَّهُمَا وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ عَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلاً قَلِيلاً حَتَّى اجْتَمَعَ فِي
شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَّتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ
فَاسْتَقَى النَّاسُ . فَفِي هَذِهِ مُعْجِزَةٌ وَاضِحَةٌ .

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ
وَوَقِّفْنَا لِشُكْرِكَ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْاِغْتِرَارِ بِالْدُنْيَا وَالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَعَدُوِّكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ

- الرَّاحِمِينَ إِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .
- (فَصْلٌ) ١٥١ - وَمِنْهَا قِصَّةُ أَبِي رِغَالٍ لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ مَعَهُ عُصْنًا مِنْ ذَهَبٍ إِنْ رَأَيْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصْبَتْموهُ مَعَهُ)) . فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ فَاسْتَخْرَجُوا الْعُصْنَ . وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ أَيْضًا .
- ١٥٢ - وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ بِارْتِجَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : إِلَى مَكَّةَ وَوَقَعَ طَبَقَ مَا أُخْبِرَ فَيَكُونُ عِلْمًا عَلَى نُبُوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- ١٥٣ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إِلَى قَوْلِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ .
- ١٥٤ - فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ إِخْبَارٌ عَنْ غُيُوبٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا تَرْكِيَةُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُبَايِعِينَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَإِعْلَانُ الرِّضَا عَنْهُمْ وَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ .
- وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ إِذْ لَوْ كَانَ فِي إِيمَانٍ أَحَدُهُمْ دَخَلَ لَشَكَّ وَارْتَابَ وَأَعْلَنَ ارْتِدَادَهُ وَكُفْرَهُ وَلَوْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ مُحَمَّدٍ لَمْ يُقَدِّمَ عَلَى هَذَا الْإِعْلَانِ الْخَطِيرِ إِذْ لَا يَعْلَمُ مَا فِي بُوَاطِنِهِمْ إِلَّا اللَّهُ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْإِخْبَارِ وَأَنَّهَا أَعْلَامٌ عَلَى نُبُوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- ١٥٥ - وَمِنْ ذَلِكَ الْإِخْبَارُ بِحَوَادِثٍ خَاصَّةٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ فَفِي هَذَا عِلْمٌ عَلَى نُبُوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ هَذِهِ

أُمُورٌ غَيْبِيَّةٌ أَطَّلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهَا .

١٥٦- وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنِّي جَاهِدُ فَأَرْسَلْ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ)) .

فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَانْطَلِقَ بِهِ إِلَى رَجُلٍ هِ فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ : لَا إِلَّا قُوتُ صَبْيَانِي قَالَ : فَعَلَّيْهِمْ بِشَيْءٍ فَإِذَا دَخَلَ ضَيَّفْنَا فَأَطْفَعِي السَّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ قَالَ : فَتَعَدُّوا وَأَكَلَ الضَّيِّفُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ عَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ((قَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمْ بِضَيْفِكُمْ اللَّيْلَةَ)) . فَهَذَا غَيْبٌ مِنَ الْعُيُوبِ أَعْلَمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِهِ فَهُوَ مُعْجَزَةٌ وَاضِحَةٌ .

١٥٧- وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَتِيمًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ الْمُنْدَرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ أَهْلُ بَيْتِ مِنَّا يُقَالُ لَهُمْ بَنُو أَبِي رِقٍ بِشْرٌ وَبُشَيْرٌ وَمُبَشَّرٌ ، وَكَانَ بُشَيْرٌ رَجُلًا مُنَافِقًا يَقُولُ الشُّعْرَ

يَهْجُو بِهِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَنْحَلُهُ لِبَعْضِ الْعَرَبِ ثُمَّ يَقُولُ قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا فَإِذَا أَسْمَعَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا يَقُولُ هَذَا الشَّعْرُ إِلَّا هَذَا الرَّجُلُ الْحَبِيثُ أَوْ كَمَا قَالَ الرَّجُلُ وَقَالُوا ابْنُ الْأُبَيْرِقِ فَالَهَا قَالَ : وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ حَاجَةٍ وَفَاقَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ .

وَكَانَ النَّاسُ إِتْمًا طَعَامُهُمْ بِالْمَدِينَةِ التَّمْرُ وَالشَّعِيرُ وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ لَهُ يَسَارٌ فَقَدِمَتْ ضَافِطَةٌ مِنَ الشَّامِ مِنَ الدَّرَمِكِ ابْتِغَاءَ الرَّجُلِ مِنْهَا فَحَصَّ بِهَا نَفْسَهُ وَأَمَّا الْعِيَالُ فِإِتْمًا طَعَامُهُمُ التَّمْرُ وَالشَّعِيرُ .

فَقَدِمَتْ ضَافِطَةٌ مِنَ الشَّامِ فَابْتِغَاءَ عَمِّي رِفَاعَةَ بَنِي زَيْدٍ حِمْلًا مِنَ الدَّرَمِكِ فَجَعَلَهُ فِي مَشْرَبَةٍ لَهُ وَفِي الْمَشْرَبَةِ سِلَاحٌ وَدِرْعٌ وَسَيْفٌ فَعُدِي عَلَيْهِ مِنْ تَحْتِ الْبَيْتِ فَنَقَبْتُ الْمَشْرَبَةَ وَأُخِذَ الطَّعَامُ وَالسَّلَاحُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَانِي عَمِّي رِفَاعَةُ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي إِنَّهُ قَدْ عُدِي عَلَيْنَا فِي لَيْلَتِنَا هَذِهِ فَنَقَبْتُ مَشْرَبَتِنَا فَذَهَبَ بِطَعَامِنَا وَسِلَاحِنَا قَالَ : فَتَحَسَّنْنَا فِي الدَّارِ وَسَأَلْنَا فَقِيلَ لَنَا : قَدْ رَأَيْنَا بَنِي أُبَيْرِقِ اسْتَوْقَدُوا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَلَا نَرَى فِيمَا نَرَى إِلَّا عَلَى بَعْضِ طَعَامِكُمْ .

قَالَ : وَكَانَ بَنُو أُبَيْرِقِ قَالُوا : وَمَنْ نَسْأَلُ فِي الدَّارِ وَاللَّهِ مَا نَرَى صَاحِبَكُمْ إِلَّا لَبِيدُ بْنُ سَهْلٍ رَجُلٌ مِنَّا لَهُ صِلَاحٌ وَإِسْلَامٌ . فَلَمَّا سَمِعَ لَبِيدُ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ .

وَقَالَ : أَنَا أَسْرِقُ وَاللَّهِ لِيُخَالِطَنَّكُمْ هَذَا السَّيْفُ أَوْ لَتُبَيِّنَنَّ هَذِهِ السَّرِقَةَ

قَالُوا : إِلَيْكَ عَنَّا أَيُّهَا الرَّجُلُ فَمَا أَنْتَ بِصَاحِبِهَا فَسَأَلْنَا فِي الدَّارِ حَتَّى لَمْ نَشِكَّ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهَا
فَقَالَ لِي عَمِّي : يَا ابْنَ أَخِي لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتَ ذَلِكَ لَهُ .
قَالَ قَتَادَةُ : فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : إِنَّ أَهْلَ بَيْتِ أَهْلِ جَفَاءٍ
عَمَدُوا إِلَى عَمِّي رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ فَتَقَبُّوا مَشْرَبَهُ لَهُ وَأَخَذُوا سِلَاحَهُ وَطَعَامَهُ فَلْيُرِدُّوا عَلَيْنَا سِلَاحَنَا ،
فَأَمَّا الطَّعَامُ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((سَأَمُرُّ فِي ذَلِكَ)) .
فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ بَنُو الْأُبَيْرِقِ أَتَوْا رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَيْدُ بْنُ عُرْوَةَ فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ
فَاجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانَ وَعَمَّهُ عَمَدًا
إِلَى أَهْلِ بَيْتِ مَنْ أَهْلِ إِسْلَامٍ وَصَلَاحٍ يَرْمُونَهُمْ بِالسَّرِقَةِ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا ثَبَتٍ .
فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمْتُهُ فَقَالَ : ((عَمَدَتَ إِلَى أَهْلِ بَيْتِ ذِكْرٍ مِنْهُمْ
إِسْلَامٌ وَصَلَاحٌ تَرْمَهُمْ بِالسَّرِقَةِ عَلَى غَيْرِ ثَبَتٍ وَلَا بَيِّنَةٍ)) .
قَالَ : فَرَجَعْتُ وَلَوَدِدْتُ أَيَّ خَرَجْتُ مِنْ بَعْضِ مَالِي وَمَ أَكَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَأَتَانِي عَمِّي رِفَاعَةُ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي مَا صَنَعْتَ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .
فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ
وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ يَعْنِي بَنِي أُبَيْرِقٍ ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ ﴾ مِمَّا قُلْتَ لِقَتَادَةَ ... فَلَمَّا نَزَلَ
الْقُرْآنُ أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّلَاحِ فَرَدَّهُ إِلَى رِفَاعَةَ .

١٥٨ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي تَبْرِئَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنَ الْإِفْكِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . الآية .
عَشْرُ آيَاتٍ كُلُّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ رَمَاهَا الْإِفْكَ وَالْبُهْتَانُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِمَا قَالُوا مِنَ الْكُذْبِ الْبَحْتِ وَالْفِرْيَةِ الَّتِي غَارَ اللَّهُ لَهَا وَلِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَاءَتَهَا صِيَانَةً لِعَرَضِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا بَقِيَتْ الْأَلْسِنَةُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ - وَهُوَ حَائِزٌ مُتَرَدِّدٌ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ يَسْأَلُ وَيَسْتَشِيرُ .

وَالْمُنَافِقُونَ يُشِيعُونَ الْفَاحِشَةَ حَتَّى وَقَعَ فِيهَا مَنْ وَقَعَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .
ثُمَّ جَاءَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أَهْلِهَا ثُمَّ قَالَ : ((يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيُبرِّئُكَ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ)) .
فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ حَتَّى أَنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنْ

العرق في يوم شاتٍ .

فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي : ((يَا عَائِشَةُ أَحْمَدِي اللَّهُ فَقَدْ بَرَّكَ اللَّهُ)) . فَقَالَتْ لِي أُمِّي قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ﴾ الْآيَاتِ فِيهِ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَّمُ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وَتَفَهَّمَهُ فَقَدْ كَانَ مَوْفِقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَائِشَةَ بَعْدَ إِشَاعَةِ الْفَرِيَةِ وَالْبُهْتَانِ مَوْفِقَ التَّرَدُّدِ وَالْحَيِّرَةِ .

ثُمَّ تَحَوَّلَ بَعْدَ الْوَحْيِ فُجَاءَةً إِلَى مَوْفِقِ الثِّقَةِ وَالْاطْمِئْنَانِ وَهَذَا التَّحَوُّلُ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَكُونَ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاثِقًا بِبِرَائَتِهَا بِإِخْبَارٍ مِنَ الْعَلِيمِ الْحَبِيرِ جَلَّ وَعَلَا وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ .

١٥٩ - وَمِنْ ذَلِكَ تَحَدَّى الْيَهُودَ فِي تَمَنِّي الْمَوْتِ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ أَنَّهُ طَلَبَ مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا فَمَا تَمَنَّاؤُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ حِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعَارَضَتِهِمْ لَهُ وَكَيْدِهِمْ لَهُ فَقَامَ ذَلِكَ دَلِيلًا صَادِقًا عَلَى نُبُوَّتِهِ وَمُعْجَزَةٍ عَظِيمَةٍ .

اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا وَارْحَمْنَا عَنِ الرُّكُونِ إِلَى عِدَاكَ وَارْزُقْنَا بُغْضَهُمْ وَأَعْوَانَهُمْ وَوَفِّقْنَا لِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ

وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : فَأُخْبِرَ عَنِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَتَّوْا الْمَوْتَ أَبَدًا وَكَانَ كَمَا أُخْبِرَ فَلَا يَتَمَتَّى الْيَهُودُ الْمَوْتَ أَبَدًا وَهَذَا دَلِيلٌ مِنْ وَجْهَيْنِ مِنْ جِهَةِ إِخْبَارِهِ بَأَنَّ لَا يَكُونُ أَبَدًا وَمِنْ جِهَةِ صَرْفِ اللَّهِ لِذَوَاعِي الْيَهُودِ عَنْ تَمَتِّي الْمَوْتَ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ مَقْدُورٌ لَهُمْ وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ وَهُمْ مَعَ حِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ لَمْ تَتَّبِعْ ذَوَاعِيهِمْ لِإِظْهَارِ تَكْذِيبِهِ بِإِظْهَارِ تَمَتِّي الْمَوْتَ . أ . ه .

١٦٠- وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وَهَذَا الْإِخْبَارُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْعَيْبِ وَوَقَعَ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فُحِظَ وَتَمَّ وَعَدَّ اللَّهُ بِذَلِكَ .
وَلَمْ يَأْتِهِ تَغْيِيرٌ يَعْمُ جَمِيعَ الْمَصَاحِفِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلًا مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

١٦١- وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ بِعِصْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّاسِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ وَعْدَهُ فَحَفِظَ نَبِيِّهِ وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى قَتْلِهِ مَعَ كَثْرَةِ الْمُحَاوَلَاتِ مِنْ أَعْدَائِهِ فَفِي ذَلِكَ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوْتِهِ مُعْجَزَةٌ وَاضِحَةٌ .

١٦٢- وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ قَالَ الْبَعَوِيُّ :
أَيُّ يَكْفِيكَ شَرَّ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَقَدْ كَفَى بِإِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ وَقَتْلِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَضَرْبِ الْجُرَيْمَةِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى . أ . ه .

وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنِ الْعَيْبِ فَيَكُونُ مُعْجِزاً ذَالاً عَلَى صِدْقِهِ حَيْثُ وَقَعَ طَبَقَ مَا أُخْبِرَ .

١٦٣- وَمِنْ ذَلِكَ الْمُبَاهَلَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ .

قِيلَ : إِنَّ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ أَنَّ الْعَاقِبَ وَالسَّيِّدَ صَاحِبِي بَحْرَانَ جَاءَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَادَلَاهُ فِي أَمْرِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ الْمُبَاهَلَةِ وَالْمُبَاهَلَةُ دُعَاءُ اللَّهِ وَالِابْتِهَالُ إِلَيْهِ أَنْ يُنْزَلَ لَعْنَتُهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ فَوَاعِدَاهُ عَلَى أَنْ يُلَاعِنَاهُ الْغَدَاةَ .

فَعَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَأَبَيَا أَنْ يُجِيبَاهُ وَأَقْرَأَ لَهُ بِالْحَرَجِ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ قَالَا لَأَمْطَرَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَاراً فَفِي هَذَا عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوتِهِ فَلَوْلَا أَنَّهُمْ عَرَفُوا مِنْ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا يَدُلُّ عَلَى نُبُوتِهِ لِمَا أَحْجَمُوا عَنِ الْمُبَاهَلَةِ ثَانِياً وَثُوفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ .

١٦٤- وَمِنْ ذَلِكَ مَا قِيلَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ ﴿ وَيْلٌ لَكُمْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُحْمَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ * يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * لَا لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ فَمَاتَ عَلَى كُفْرِهِ . وَقَالَ مُقَاتِلٌ : نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ كَانَ يَغْتَابُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَطْعُنُ عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ وَنَزَلَ فِيهِ .

آخر : يُرْهِدُ فِي الدُّنْيَا :

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ
وَيَسِسْتُ أَنْ أَبْقَى لَشَيْءٍ نَلْتُ مِمَّا
فَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي
وَلَمَّا يَسِسْتُ لِرُبِّ بَرَقَةِ حُلْبِ
مَا كَانَ أَشَامَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَاتِلِي
فَالآنَ يَا دُنْيَا عَرَفْتُكَ فَادْهَبِي
وَالآنَ صَارَ لِي الزَّمَانُ مُؤَدَّبًا
وَالآنَ أَبْصَرْتُ السَّبِيلَ إِلَى الْهُدَى
وَلَقَدْ أَقَامَ لِي الْمَشِيبُ نُعَاتَهُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ يُبْرِقُ سَيْفَهُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُرَى الْحَيَاةِ تَخَرَّمَتْ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى الْفَنَاءِ أَدْلَةً
وَإِذَا عَتَبْتُ رَأَيْتُ خَطْبَ حَوَادِثٍ
وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرَّجَالِ فَمَا أَرَى
وَإِذَا بَحَثْتُ عَنِ التَّقِيِّ وَجَدْتُهُ
وَإِذَا اتَّقَى اللَّهَ امْرُؤٌ وَأَطَاعَهُ
وَعَلَى التَّقِيِّ إِذَا تَرَسَّخَ فِي التَّقِيِّ
وَاللَّيْلُ يَذْهَبُ وَالنَّهَارُ تَعَاوَرًا
وَبِحَسَبِ مَنْ تُنْعَى إِلَيْهِ نَفْسُهُ
اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ فَانْتَ فِي

وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطِيِّ رِحَالِي
فِيكَ يَا دُنْيَا وَأَنْ يَبْقَى لِي
وَأَرَحْتُ مِنْ حَلَى وَمِنْ تَرَحَالِي
بَرَقْتُ لِي طَمَعٍ وَبَرَقَةَ آلِ
وَبَنَاتٍ وَعَدِكَ يَغْتَلِجْنَ بِبَالِي
يَا دَارَ كُلِّ تَشْتَتٍ وَزَوَالِ
فَعَدَا عَلَيَّ وَرَاحَ بِالْأَمْثَالِ
وَتَفَرَّغْتَ هَمَمِي عَنِ الْأَشْغَالِ
يُفْضِي إِلَيَّ بِمِفْرَقٍ وَقَدَالِ
بِيَدِ الْمَنِيَّةِ حَيْثُ كُنْتُ حِيَالِي
وَلَقَدْ تَصَدَّى الْوَارِثُونَ لِمَالِي
فِيمَا تَنَكَّرَ مِنْ تَصَرَّفِ حَالِي
يَجْرِينَ بِالْأَرْزَاقِ وَالْأَجَالِ
نَسَبًا يُقَاسُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
رَجُلًا يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفَعَالِ
فِيَدَاهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ وَمَعَالِ
تَاجَانِ تَاجِ سَكِينَةٍ وَجَلَالِ
بِالْخَلْقِ فِي الْإِدْبَارِ وَالْإِقْبَالِ
مِنْهُ بِأَيَّامٍ خَلَّتْ وَلِيَالِ
عَبْرَ لَهْنٍ تَدَارُكٍ وَتَوَالِ

يَبْكِي الْجَدِيدُ وَأَنْتَ فِي تَجْدِيدِهِ
يَا أَيُّهَا الْبَطْرُ الَّذِي هُوَ فِي عَدِ
حَذَفَ الْمُنَى عَنْهُ الْمُشْمَرُ فِي الْهُدَى
وَلَقَلَّ مَا تَلَقَى أَغْرَ لِنَفْسِهِ
يَا تاجرِ الْعَيِّ الْمُضِرِّ بِرُشْدِهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَمِيدِ بِمَنْنِهِ
لِلَّهِ يَوْمٌ تَقْشَعُرُ جُلُودُهُمْ
يَوْمَ النَّوَازِلِ وَالزَّلَازِلِ ، وَالْحَوَا
يَوْمَ يَنَادِي فِيهِ كُلُّ مَضَلِّ
لِلْمُتَّقِينَ هُنَاكَ نَزْلُ كَرَامَةٍ
زُمُرٌ أَضَاءَتْ لِلْحِسَابِ وَجُوهُهَا
وَسَوَابِقُ غُرِّ مُحَجَّلَةٍ جَرَتْ
مِنْ كُلِّ أَشْعَثَ كَانَ أَغْبَرَ نَاحِلًا
حَيْلُ ابْنِ آدَمَ فِي الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ
نَزَلُوا بِأَكْرَمِ سَيِّدٍ فَأَظْلَهُمْ
وَمِنَ النَّعَاةِ إِلَى ابْنِ آدَمَ نَفْسُهُ
مَا لِي أَرَاكَ لِحَرِّ وَجْهِكَ مُخْلِقًا
قَسَتْ السُّؤَالَ فَكَانَ أَعْظَمَ قِيمَةً
كُنْ بِالسُّؤَالَ أَشَدَّ عَقْدِ ضَانَةٍ
وَصُنِ الْمَحَامِدَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهَا
وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الْمُثْمَرِ مَالَهُ

وَجَمِيعُ مَا جَدَّدْتَ مِنْهُ فَبَالِ
فِي قَبْرِهِ مُتَّفَرِّقُ الْأَوْصَالِ
وَأَرَى مِنْكَ طَوِيلَةَ الْأَذْيَالِ
مِنْ لَاعِبٍ مَرِحَ بِهَا مُخْتَالِ
حَتَّى مَتَى بِالْعَيِّ أَنْتَ تُغَالِي
خَسِرْتَ وَلَمْ يَرْبِحْ يَدُ الْبَطَّالِ
وَتَشِيبُ مِنْهُ ذَوَائِبُ الْأَطْفَالِ
مَلِ فِيهِ إِذْ يَقْدِفْنَ بِالْأَحْمَالِ
بِمُقَطَّعَاتِ النَّارِ وَالْأَغْلَالِ
عَلَّتِ الْوُجُوهَ بِنَضْرَةٍ وَجَمَالِ
فَلَهَا بَرِيقٌ عِنْدَهَا وَتَالِي
خُمْصَ الْبُطُونِ خَفِيفَةَ الْأَثْقَالِ
خَلِقَ الرَّدَاءِ مَرْقَعَ السَّرْبَالِ
وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حَيْلَةَ الْمُخْتَالِ
فِي دَارِ مُلْكِ جَلَالَةٍ وَظَلَالِ
حَرَكَ الْخُطَى وَطُلُوعِ كُلِّ هِلَالِ
أَخْلَقْتَ يَا دُنْيَا وَجُوهَ رِجَالِ
مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالَ
مِمَّنْ يَضُنُّ عَلَيْكَ بِالْأَمْوَالِ
فِي الْوَزْنِ تَرْجُحُ بَدَلُ كُلِّ نَوَالِ
نَسِيِ الْمُثْمَرِ زِينَةَ الْإِقْبَالِ

وَإِذَا امْرُؤٌ لَيْسَ الشُّكُوكَ بِعَزْمِهِ
وَإِذَا ادَّعَتْ خُدْعُ الْحَوَادِثِ قَسْوَةً
وَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِبَذْلِ وَجْهِكَ سَائِلًا
وَإِذَا خَشِيَتْ تَعَدُّرًا فِي بَلَدَةٍ
وَأَصْبِرْ عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا
سَلَكَ الطَّرِيقَ عَلَى عُقُودِ ضَلَالٍ
شَهِدْتَ لَهْنٍ مَصَارِعُ الْأَبْطَالِ
فَابْتَدُلْهُ لِلْمَتَكَّرِمِ الْمِفْضَالِ
فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
فَرَجُّ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

انتهى .

١٦٥- قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ فَلَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا وَلَدًا بَعْدَ هَذَا كَمَا أَخْبَرَ ، وَصَارَ فِي نُقْصَانٍ مِنْ مَالِهِ وَوَلَدِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ كَافِرًا ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَ نُزُولِ ذَلِكَ حَيًّا سَلِيمًا .

١٦٦- وَمِنْهُمْ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الرَّدِّ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ ، شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ ، وَالْإِرْصَادِ ، وَقَدْ كَانَ رَحَلَ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى فَارِسَ ، وَطَلَبَ مَا يَكِيدُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، فَاشْتَرَى أَخْبَارَ الْعَجَمِ ، وَقَدِمَ بِهَا مَكَّةَ يُحَدِّثُ بِهَا قُرَيْشًا وَيَقُولُ : إِنَّ مُحَمَّدًا يُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ عَادٍ وَثَمُودَ وَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ رُسْتَمَ وَاسْفِنْدِيَارَ ، وَأَخْبَارِ الْأَكَاسِرَةِ . فَيَسْتَمْلِحُونَ حَدِيثَهُ ، وَيَتْرُكُونَ اسْتِمَاعَ كَلَامِ اللَّهِ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قَالَهُ مُعَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ .

وَقِيلَ : نَزَلَ فِيهِ أَيْضًا غَيْرُهَا وَقِيلَ : إِنَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ دَهَبَتْ بِفُحْفِ رَأْسِهِ وَحَلَ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَأْسُورِينَ وَقَالَ : لَا أَذُوقُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا مَا دُمْتُ فِي أَيْدِيهِمْ فَمَاتَ مِنَ الصَّرْبَةِ وَصَارَ إِلَى

النَّارِ بَعْدَ أَنْ أذَاقَهُ اللهُ الْعَذَابَ الْمُهِينَ فِي الدُّنْيَا كَمَا قَالَ وَكَمَا أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ .
 اللَّهُمَّ وَقَّفْنَا لِلزُّومِ الطَّرِيقَ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لِأَهْلِ
 مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَهْمِنَا رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحْشُرْنَا فِي زُمَرَةِ عِبَادِكَ
 الْمُتَّقِينَ وَأَلْحِفْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

١٦٧- وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ
 سَيَّغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ نَصَرَ اللَّهُ لِيُصْرُ مَنْ
 يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ نَزَلَتْ
 هَذِهِ الْآيَاتُ حِينَ غَلَبَ سَابُورُ مَلِكُ الْفُرْسِ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ ، وَمَا وَالَاهَا مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ ،
 وَأَقَاصِي بِلَادِ الرُّومِ ، حَتَّى أَجَاءَهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَحَاصِرَهُ مُدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ عَادَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى
 هِرَقْلَ ، كَمَا بَشَّرَ الْقُرْآنُ قَبْلَ سَبْعِ سِنَوَاتٍ ، مِنْ انْتِصَارِهِ عَلَى الْفُرْسِ فَوَقَعَ طَبَقَ مَا أَخْبَرَ .
 فَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى رِسَالَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 ١٦٨- وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ، وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُهُ مَا جَاءَ

عَنْ آدَمَ وَنَشَأَتَهُ ، وَمَا وَسَّوسَ بِهِ إِلَيْهِ إبْلِيسُ ، وَمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْهَبُوطِ إِلَى الْأَرْضِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ .

١٦٩- وحدثنا عن نوح أول المرسلين وما لقيه من قومه ، من أذى وسخرية ، ومدة لبثه فيهم ، وما أرشده الله إليه من صنع الفلك وركوبه ، وإنجائه ، ومن مع نوح وهم أصحاب السفينة ، ودعوته لابنه ، وعصيان ابنه له ، وجواب الله له حين ما قَالَ ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ وانهمار السماء بالماء ، وتفجر الأرض عيوناً ، وإغراق الكافرين ، ونجاة المؤمنين .

١٧٠- وأخبر القرآن عن موسى عليه السلام وما تم له عند ولادته ، وما وقع له في مصر ، وما حدث له في مدين ، وما رآه في جبل الطور ، وما كلف به من أعباء الرسالة ، وما دار بينه وبين فرعون من حوار ، وما جرى من السحرة ، وما انتهى إليه أمر فرعون ، وملائته وموسى وقومه .

١٧١- وأخبر القرآن عن عيسى .

١٧٢- وأمه عليهما السلام ، وما وقع لهما من الخوارق ، وما صنعه لهما بنوا إسرائيل من مكائد .

١٧٣- وأخبر عن داود .

١٧٤- وسليمان عليهما السلام وذكر الإحسان إليهما وما آتاها من العلم والفهم قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ فَأَنعَمَ اللهُ عَلَى

دواد بتسخير الجبال والطيور للتسييح معه وأخبر أنه جل وعلا علمه صنعة الدروع وأخبر أنه أنعم على سليمان بتسخير الريح العاصفة التي تجري بأمره وتسخير الشياطين تغوص في البحار وتعمل له أعمالاً أخرى .

١٧٥- وأخبر عن إبراهيم خليل الرحمن ، ومحاجته للملك الجبار ، وهو نمرود ، البابلي ، المعطل ، المنكر ، لرب العالمين ، إلى أن وقف ، وانقطعت حجته ، واضمحل شبهته ، وأخبر عن طلبه لربه ، أن يريه كيف يحيي الموتى ، وإجابة الله دعوته ، وتلبية طلبته ، وعن ما ابتلاه به من ذبح ابنه إسماعيل وأخبر عن ما من عليه به من العلم ، والدعوة ، والصبر وما أكرمه به من الذرية الصالحة ، والنسل الطيب ، وأنه جعل صفوة الخلق من نسله .

١٧٦- وأخبر عن يوسف عليه السلام ، وما جرى له مع أخوته ومقدار لبثه في السجن ، ومرادة امرأة العزيز له ، وظهور براءته ، وبيان صدقه ، وإيثار الله له على إخوته ، وما جرى لأبيه يعقوب .

١٧٧- وأخبر عن لوط ، وما قاله لقومه ، توبيخاً لهم ، وجوابهم السخيف له جزاء نصحه ، وإنحاء الله له ، وأهل بيته إلا امرأته ، وأخبر عن مجيء الرسل إليه ، وأنه ساءه مجيئهم ، وذلك لما يتوقعه من اعتداء قومه عليهم وفعلاً جاؤا يهرولون إليه ، وأخبر عن ما أوقعه الله بهم من العقوبة العظيمة ، جزاء فعلتهم الشنيعة ، التي لم يسبقهم بها أحد

١٧٨- وأخبر عن زكريا ، وندائه لربه ، وآثاره الصالحة ومناقبه

الجميلة ، وتبشير الله له بغلام اسمه يحيى ، وطلبه من ربه أن يجعل له آية ، يطمئن بها قلبه ، وليس شكاً في خبر الله ، وإنما هو كما قال الخليل ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْمَرْتُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ وإجابة الله إلى طلبته ، ومنعه من الكلام ، ثلث ليالٍ سويًا .

١٧٩- وأخبر عن يحيى عليه السلام وأن الله جعله براً بوالديه ، ولا يتعالى عن قبول الحق ، ووصفه بصفات كلها مناهج للخير ، ووسائل الطاعة ، أولها قوله تعالى ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ إلى أن ذكر سبحانه جزاءه ، على ما قدم من عمل صالح ، وأسلف من طاعة ربه .
١٨٠- وأخبر عما أخبر الله به جل وعلا عن مريم ابنة عمران وأنه أنجب منها ولداً من غير أب ، ويتقدم الكلام حولها وولدها عليهما السلام ، وما لقيها من الابتلاء والامتحان ، وما قابلا به ذلك .

١٨١- وأخبر عن يونس عليه السلام ، وإباقه إلى الفلك ومساهمته لأهل الفلك ، والتقام الحوت له ، وإنه كان من المسبحين ، الَّذِينَ يذكرون الله كثيراً ، وعن نبذه في مكان خال لا نبات فيه ، وأخبر عن لطفه به ورعايته له ، وعنايته به ، بانبات شجرة اليقطين ، وأنه أرسله ﴿ إِلَىٰ مِثَّةِ آفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ وَأَنَّهُمْ آمَنُوا ، وامتعمهم الله إلى حين .

اللَّهُمَّ عاملنا بلطفك وإحسانك ، ووفقنا لطاعتك ومرضاتك وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عباد الله للعلم الديني آثار جليلة كم جل بها رجل حقير وكلما كان الرجل أعلم بالعلم الديني كان عند الله وعند العقلاء جليل مضى

السلف الصالح الَّذِينَ يَطِيبُ الْمَجْلِسَ بِذِكْرِهِمْ لِقَدْرِهِمْ الْمُنْقَطِعِ النَّظِيرِ كَأَنْوَارِ رِجَالٍ مِثْلِنَا وَلَكِنْ بَرَكَاتٍ مَا وَهَبَهُمْ مَوْلَاهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ وَأَثَارِهِ الْجَلِيلَةِ كَانُوا خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ كَانُوا أَغْنَى الْعَالَمِ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِقِسْمَةِ مَوْلَانَا الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ وَكَانُوا أَشْجَعِ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الْأَجَلَ لَا يَطِيلُهُ الْجُبْنَ الذَّمِيمِ فَكَمْ مِنْ قَتْلَةٍ قَرَنْتَ بِالْجُبْنِ كَمَا قِيلَ :

كَمْ مَخْلَصٍ وَعُغْلًا فِي خَوْضِ مَهْلَكَةٍ

وَقَتْلَةٍ قُرْنَتْ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ

وكانوا في الحلم والعقل كالجبال الرواسي وكانوا محط رحال الجود والكرم لأنهم يعلمون أن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس وإن الذي يرضي بالبخل ويحث عليه إبليس لعنه الله وكانوا يستقبلون البلايا مهما قست بالصبر الجميل لعلمهم أنها تصرف الحكيم الخبير وكانوا يستقبلون النعم بالحمد والشكر لجزمهم أنها لله ومن الله وأنه يزيد الشاكرين ويرضي عن الحامدين وكانوا أبعدهم عن الشر ولا يحبون أهله لعلمهم أن ذلك يغضب الله وكانوا يحبون الخير لإخوانهم المسلمين وكانوا لا يضمرون حسداً ولا شراً لأحد من إخوانهم المؤمنين لعلمهم أن الله يحيط علماً بما يسرون وما يعلنون وكانوا إذا قالوا أو فعلوا يتحرون ما يرضي الله تعالى فيما يقولونه ويفعلونه وكانوا لا يشهدون المنكر والزور بل ينكرون على من يحضرون وكانوا يحنون إلى مجالس الذكر حين الإلف فارقه الإلف وهكذا كانوا إذا أرادوا أن يتحركوا أو يسكنوا باستشارة العلم الديني يتحركون ويسكنون لهذا كانوا لليوم موضع إعجاب الشرق والغرب ونالوا فوق هذا رضي رب العالمين هكذا كانوا ببركات ما وهبهم الله من العلم الديني أما نحن فقد كنا موضع إعجاب من ناحية أن هدفنا

في التعليم هو الحطام الفاني لا غير لهذا كان الواحد منا إذا رسب يكاد ينتحر ويقول فات علي سنة محصول رواتبها لا يقل عن خمسة آلاف ولو كان قصده العلم بما جهله وتوجيه عباد الله عندما ينجح كان عنده يتساوى السرعة والبطء لأجل أن يمهر في المعلومات لهذا القصد ماتت الفضائل وانتزعت بركة العلم وفقدت هيبة العالم عند كل أحد وصار كل يفتي وكل يرشح نفسه للفتيا فوراً ولكن الناس الورعين لا يطمئنون إلا إلى النوادر ممن يوثق بدينهم وأمانتهم ويتزكون المرائين والمحبين للظهور والشهرة الذين ضاعوا وضيعوا عباد الله .
 وختاماً فلو أننا أحيينا طريقة سلفنا في العلم المطابق للعمل لأصبحنا وقد أحيينا عزهم وشرفهم الدفين رحمه الله على تلك الأرواح العاملة بما علمت .

شِعْرًا :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْكِ الْعُلُومَ وَأَهْلَهَا
 وَقَدْ غَيَّبَتْهَا فِي الثَّرَابِ لِحُودُ
 فَأَنْتَ بِهِمِي الطَّبَّاعِ وَإِنَّمَا
 قُصَّارَاكَ ثَوْبٌ نَاعِمٌ وَثَرِيدُ
 سَتَبِكِي الْعُلَا قَوْمًا تَسَامُوا لِنَيْلِهَا
 كَأَنَّ لَهُمْ دَمْعَ الْعُيُونِ هُجُودُ
 يُعِيدُونَ مِنْهَا مَا تَعَفَّتْ رُسُومُهُ
 فَتُضْجِحِي عَلَيْهَا لِلْفَخَارِ بُرُودُ
 كَفَى غُرْبَةً لِلدِّينِ هَذَا الَّذِي نَرَى
 فَلَيْسَ عَلَيَّ ذَا الْاِغْتِرَابِ مَزِيدُ
 أَلَمْ تَبْقَ فِي أَهْلِ الدِّيَانَةِ هِمَّةٌ أَلَمْ يَبْقَ شَخْصٌ لِلطَّعَاةِ يَذُودُ

اللَّهُمَّ رضنا بفضائك وأعنا على الدنيا بالعفة والزهد والقناعة وعلى الدين بالسمع والطاعة
وطهر ألسنتنا من الكذب وقلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء واحفظ أبصارنا من الخيانة
فأنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور
اللَّهُمَّ ثبتنا على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ووفقنا لما وفقنا له عبادك
الصالحين من امتثال أو امرك واجتناب نواهيك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

١٨٢- وأخبر عن صالح عليه السلام ، وإرساله إلى ثمود القبيلة المعروفة ، الَّذِينَ يَسْكُنُونَ
الحجر ، وما حوله ، وأنه دعاهم إلى التوحيد ، ونهاهم عن الشرك وأنه جاءهم بآية ، خارقة
من خوارق العادات وهي ناقة شريفة ، فاضلة .

وأخبر أنه بوأهم في الأرض ومكن لهم فيها وسهل لهم الأسباب الموصلة إلى ما يريدون
وأمدهم بالقوة وأنهم قابلوا إخلاص صالح ونصحه بعقر الناقة ، والتحدي بالعذاب ، وآخر
الأمر ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ * أَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ ، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

١٨٣- وأخبر عن هود عليه السلام وإرساله إلى عاد الأولى في أرض اليمن يدعوهم إلى
التوحيد ، وينهاهم عن الشرك ، وأنهم قابلوا دعوته برميهم بالسفاهة ، والكذب ، واستنكروا
التوحيد ، واحتجوا عليه بما لا يصلح عقلاً ولا شرعاً أن يكون حجة من تقليد الآباء والأجداد
وتحدوه

بآتيانه بالوعيد ، وأجابهم هود علة مقاتلتهم ، وآخر الأمر أنجى الله هوداً والَّذِينَ آمنوا معه ، وقطع دابر المكذبين بآيات الله .

١٨٤- وأخبر عن شعيب عليه السلام وإرساله إلى مدين وأن لا ييخسوا الناس أشياءهم وأن لا يعثوا في الأرض مفسدين وأن أشرفهم والكبراء منهم قابلوا ذلك بالتهديد باستعمال القوة السبعية ولم يراعوا ديناً ، ور ذمةً ، ولا حقاً ، بل لتبعوا عقولهم السخيفة ، وآخر الأمر أخذتهم الزلزلة الشديدة فأصبحوا في دارهم جاثمين .

١٨٥- وأخبر عن أصحاب الكهف ، وأنهم فتية آمنوا بربهم ، وأن الله لطف بهم حيث وقفهم للإيمان ، وأنهم اعتزلوا قومهم ، وآووا إلى الكهف ، وبين حالهم بعد أن آووا إلى الكهف وهو أن الشمس تميل عن كهفهم جهة اليمين ، وعند الغروب تقرضهم ذات الشمال ، فلا تصيبهم الشمس في طلوعها ، ولا غروبها ، وبين أن هدايتهم ، كانت بعناية الله إلى آخر قصتهم .

١٨٦- وأخبر عن أيوب عليه السلام ما أصابه الشيطان به ، ونداءه لربه واستجابة الله له ، وكشف ما به من ضر ، وإعطائه أهله ، ومثلهم معهم .

١٨٧- وأخبر عن إسماعيل عليه السلام ، وأنه كان صادق الوعد وأنه من وفائه بالوعد لما وعد من نفسه الصبر على ذبح أبيه له ، قَالَ ستجدني إن شاء الله صابراً وفي بذلك ، ويمكن أباه من الذبح ، الذي هو أعظم مصيبة تصيب الإنسان ، وأنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة الخ .

١٨٨- وأخبر عن إدريس عليه السلام وأن الله وصفه بصفات الكمال حيث جمع له بين الصديقية وبين اصطفائه لوحيه وأنه رفعه مكاناً عالياً .

١٨٩- وأخبر عن إسحاق عليه السلام ، وأنه ممن اختارهم الله واصطفاهم ، وشرفهم بطاعته ، وقواهم على العمل لما يرضيه ، وآتاهم البصيرة في الدين قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ .

١٩٠- وأخبر عن ذي القرنين ، وأنه بلغ المشارق والمغارب ، وأن الله أعطاه من كل شيء سبباً ، وأخبر أنه لما بلغ بين السدين ، وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفهمون كلام أتباعه ولا كلام غيرهم ، وأنهم أخبروه ، عن إفساد يأجوج ومأجوج ، وأنهم أرادوا أن يجمعوا له ويجعلوا له خرجاً على أن يسد بينهم وبين يأجوج ومأجوج وأنه قَالَ ما أنا فيه خير مما تبدلونه وأجابهم إلى طلبهم وهو السد على يأجوج ومأجوج بأن يجعل ردماً . بينهم وبين يأجوج ومأجوج .

١٩١- وأخبر عن لقمان وأن الله آتاه الحكمة ، وأخبر عن موعظته لابنه ، المتضمنة للتحذير من الشرك ، والأمر بالإخلاص لله وحده وذكر جل وعلا أمره له بالشكر ، وأن شكر الشاكر يعود نفعه عليه ، وإن من كفر فالله غني حميد فلا يضر الكفر إلا صاحبه ، وأن من وصايا لقمان لابنه الأمر بإقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والصبر على ما يصبه ، وأن تلك

الوصايا من الأمور المهمة التي يعزم عليها ، ويتحتم على العباد فعلها ، ولا محيص منها ، ثم حذره من أشياء أضر أولها الكبير الخ
 ١٩٢- وأخبر عن الخضر ، وما اختص به من العلم ، وما جرى بينه وبين موسى ، عندما اتصل به ، وما جرى لموسى وفتاه ، في سفره إلى الخضر ، وما تزوداه في السفر ، إلى آخر القصة .

اللَّهُمَّ يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومقيل عثرات العاثرين ، نسالك أن تلحقنا بعبادك الصالحين الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ آمِينَ يا رب العالمين وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَّحِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

١٩٣- وأخبر عن أهل القرية ، إذ جاءها المرسلون ، وما جرى من أهل القرية ، من التكذيب للرسول ، وما قاله الرسول ، وأن أهل القرية حينما تواعدوا الرسول وهموا بقتلهم جاء رجل يسعى من أطراف المدينة ، لينصح قومه ، ويحضهم على اتباع الرسول ، ويذب عن الرسول ، وأنه أبان لهم أنه ما اختار لهم إلا ما اختار لنفسه ، وهذا يشبه مؤمن آل فرعون الَّذِي دافع عن موسى عليه السلام ، وأخبر عن ما حل بأهل القرية ، من النكال والعقوبة .

١٩٤- وأخبر عن سبأ ، وما أمدهم به من البساتين ، والمياه العظيمة والثمار التي بها يتنعمون ، ويحصل لهم بها الغبطة ، والسرور ، وأنهم ظلموا أنفسهم ، وكفروا بالله ، وبنعمته ، فأرسل الله عليهم سيل العرم ، وذهب بالبساتين ، وأهلك الحرث والنسل ، وبدلوا بتلك الجنان ، والبساتين الحسنة ، بستانين ليس فيهما إلا أشجار تافهة ، لا يؤبه لها وما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

١٩٥- وأخبر عن قارون وما أوتيته من كنوز ، وأن مفاتحه تنوء بالعصبة أولى القوة ، وأنه بغى على موسى وقومه ، وأن قومه نصحوه ، بعدة نصائح ، وأنه قابلها بالإباء ، وكفران النعمة ، وأنه خرج مرة على قومه في زينته ، وأخبر عن ما قَالَ له يريدوا الحياة الدنيا ، وما قَالَ لهم أولو العلم وذكر مال بطره وأشره ، وما حل به من الوبال ، والنكال ، وهو الخسف به وبداره .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَنُبَيِّنَنَّ لَكَ مَا أَضَلَّكَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكَ إِذْ تَأْتِيكُمُ الْغَيْبَاتُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ فَتُكْفَرُ بِهَا وَإِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴿١٩٦﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٩٧﴾ وَقَالَ ﴿١٩٨﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَفْئَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴿١٩٩﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿٢٠٠﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠١﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿٢٠٢﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴿٢٠٣﴾ الْآيَةَ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿٢٠٤﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْعَافِينَ ﴿٢٠٥﴾ وَقَالَ ﴿٢٠٦﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿٢٠٧﴾ .

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعلمها عن مشاهدة ولكن أعلمه إياها الذي أحاط بكل شيء علماً الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وَقَالَ تَعَالَى : ﴿٢٠٨﴾ لَنُقْصِنَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٢٠٩﴾ وأخبر النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمور غيبية غير ما ذكرنا أعلمه الله بها وفي بعض ما

ذكرنا كفاية تامة لمن أحب أن يقرأها ويتأملها ليقوى إيمانه بالله ورسله وبما أخبروا به صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي أَعْمَارِنَا وَأَصْلِحْ أَعْمَالَنَا وَنِيَاتَنَا وَذُرِّيَاتَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَسِيرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آيَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرِيعَتِهِ مِنْ آيَاتِهِ وَأَمْتِهِ مِنْ آيَاتِهِ وَكَرَامَاتِ صَالِحِي أَمْتِهِ مِنْ آيَاتِهِ .

وذلك يظهر بتدبر سيرته من ولد إلى أن بعث ومن حين بعث إلى أن مات وبتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً من صميم سلالة إبراهيم الذي جعل الله في ذرته النبوة والكتاب .

فلم يأت نبي من بعد إبراهيم إلا من ذريته وجعل له ابنين إسماعيل وإسحاق وذكر في التوراة هذا وهذا وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل .

ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيما بشرت به النبوات غيره ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث فيهم رسولاً منهم ثم هو من قريش صفوة بني إبراهيم من بني هاشم صفوة قريش .

ومن مكة أم القرى وبلده البيت الذب بناه إبراهيم ودعا الناس إلى حجه ولم يزل محجوجاً من عهد إبراهيم المذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف وكان من أكمل الناس تربية ونشأة لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم .

مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة وممن آمن به وكفر بعد النبوة لا يعرف له شيء يعاب به لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه ولا جرت عليه كذبة قط ولا ظلم ولا فاحشة .

وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله وكان أمياً من قوم أميين لا يعرف لا هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب (التوراة والإنجيل) . ولم يقرأ شيئاً من علوم الناس ولا جالس أهلها ولم يدع بنبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره . وأخبر بأمر لم يكن في بلده ولا في قومه من يعرف مثله ولم يعرف قبله ولا بعده لا في مصر من الأمصار ولا في عصر من الأعصار من أتى بمثل ما أتى به ولا من ظهر كظهوره .

ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته ، ولا من ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره . ثم إنه اتبعه الأنبياء وهم الضعفاء من الناس وكذبه أهل الرئاسة وعادوه وسعوا في هلاكه من تبعه بكل طريق كما كان الكفار يفعلون مع الأنبياء وأتباعهم . وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ لَمْ يَتَّبِعُوهُ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَالٌ يَعْطِيهِمْ

ولا جهات يوليهم إياها ولا كان له سيف بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه وقد آذوا أبتاعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم حلاوة الإيمان والمعروفة .

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم فتجتمع في الموسم قبائل العرب فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذب وجفاء الجاني وإعراض المعرض إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم وعرفوه . فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي تحبرهم به اليهود وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عروا به مكانته فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة فأمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم وعلى الجهاد معه فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة إلا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حسن إسلام بعضهم ثم أذن له في الجهاد ثم أمر به .

ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها من الصدق والعدل والوفاء لا يحفظ عليه كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأبرهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وسلم وأمن وخوف وغنى وفقير وقلة وكثرة وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة .

وهو على ذلك كله ملازم لأكمل الطرق وأتمها حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ومن أخبار الكهان

وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق وسفك الدماء المحرمة وقطعة الأرحام لا يعرفون آخره ولا معاذاً .

فصار أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعد لهم وأفضلهم وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ظهور أمره وطاعة الخلق له وتقديمتهم له على الأنفس والأموال مات ولم يخلف درهماً ولا ديناراً ولا متاعاً ولا دابة إلا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقاً من شعير ابتاعها لأهله . وكان بيده عقار ينفق منه على أهله والباقي يصرفه في مصالح المسلمين فحكم بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته منه شيئاً وهو في كل وقت يظهر على يديه من الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه .

ويخبرهم بما كان وما يكون ويأمرهم بالمعروف ويناهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويشرع الشريعة شيئاً بعد شيء .

أكمل الله دينه الذي بعث به وجاءت شريعته أكمل شريعة لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهي عنه .

لم يأمر بشيء فقبل ليته لم يأمر به ولا نهي عن شيء فقبل ليته لم ينه عنه وأحل الطيبات لم يحرم شيئاً منها كما حرم في شرع غيره وحرم الخبائث لم يحل منها شيئاً كما استحله غيره .
وجمع محاسن ما عليه الأمم فلا يذكر في التوراة والإنجيل والزيور

نوع من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه وأخبر بأشياء ليست في هذه الكتب .

وأتمه أكمل الأمم في كل فضيلة فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أدين من غيرهم وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم وصبرهم على المكاره في ذات الله ظهر أنهم أعظم جهاداً وأشجع قلوباً وهذه الفضائل به نالوها ومنه تعلموها وهو الذي أمرهم بها والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

«فصل» وَقَالَ آخِر : غير شيخ الإسلام

اعلم أن من شاهد أحواله وصلى الله عليه وسلم وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده إياهم إلى طاعته .

مع ما يحكي من عجائب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع التي يعجز الفقهاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية . بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى إن العربي الفحّ كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب .

فكان يشهد له بالصدق بمجرد رؤيته لشمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده أ ه .

لَوْلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتٌ مُّبَيِّنَةٌ كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَبَنَاهُ وَاللِّسَانَ وَآجَرَاهُ ، يَا مَنْ لَا يَخِيبُ مِنْ دَعَاةٍ ، هَبْ لِكُلِّ
مِنَّا مَا رَجَاهُ ، وَبَلِّغْهُ مِنَ الدَّارَيْنِ مَنَاهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا جَمِيعَ الزَّلَّاتِ ، وَاسْتِرْ عَلَيْنَا كُلَّ الْخَطِيئَاتِ
وَسَامِحْنَا يَوْمَ السُّؤَالِ وَالْمُنَاقَشَاتِ ، وَانْفَعْنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا أَنْزَلْتَهُ مِنَ الْكَلِمَاتِ يَا أَرْحَمَ
الرَّحِيمِينَ اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا حَبْلَكَ وَسَهْلَ عَلَيْنَا طَاعَتَكَ وَفَرِّغْنَا لِلتَّفَكُّرِ فِي
مَخْلُوقَاتِكَ وَاجْعَلْ لَنَا رِضَاكَ مَوْثِقًا وَعَاقِبَةً وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

إِلَى اللَّهِ نَشْكُوا قَسْوَةً وَتَوَحَّدَا

وَتَرَجُّوهُ غُفْرَانًا فَرُبُّكَ أَوْحَدُ

وَدُونِكَ مِنِّي التُّصَحَّحَ يَا ذَا الْمُوَحَّدِ

فُؤْمِ اللَّيْلِ يَا هَذَا لَعَلَّكَ تَرْتُدُّ

إِلَى كَمْ تَنَامُ اللَّيْلَ وَالْعُمُرُ يَنْفَدُ

تَيَقِّظُ وَتُؤْتِبُ فَاللَّهُ لِلْخَلْقِ رَاحِمٌ

وَإِنِّي لِنَفْسِي نَاصِحٌ وَمُـلَازِمٌ

فَقُمْ لَا تَنَمْ فَالشَّهْمُ بِاللَّيْلِ قَائِمٌ

أَرَاكَ بِطُـوْلِ اللَّيْلِ وَيَحَاكَ نَائِمٌ

وَعَيْرُكَ فِي مِحْرَابِهِ يَتَهَجَّدُ

لَقَدْ فَازَ أَفْـوَامٌ وَنَحْنُ نُشَاهِدُ

أَمَا تَسْتَحِي أَوْ تَرَعَوِي أَوْ تُجَاهِدُ

فَلَيْسَ سَـوَاءً قَائِمٌ ذَا وَرَاقِدُ

وَلَوْ عَلِمَ الْبَطَّالُ مَا نَالَ رَاهِدُ

مِنَ الْأَجْرِ وَالْإِحْسَانِ مَا كَانَ يَرْقُدُ
 فَكَمْ قَدْ أَكَلْنَا وَالتَّقِيُونَ صَوْمٌ
 وَنُمْنَا وَهُمْ بِاللَّيْلِ يَبْكُونَ فَوْمٌ
 وَلَوْ مُفْلِسٌ يَدْرِي وَهَلْ أَيْنَ خِيَمُوا
 لَصَامَ وَقَامَ اللَّيْلَ وَالنَّاسُ نَوْمٌ
 إِذَا مَا دَنَى مِنْ عَبْدِهِ الْمُتَفَرِّدُ
 وَأَسْبَلَ فِي السَّادِجِي دُمُوعًا بِعَبْرَةٍ
 وَتَابَ وَأَبْدَى الْخَوْفَ مِنْ كُلِّ هَيْبَةٍ
 وَقَامَ وَصَلَّى خَائِفًا فِي مَحَبَّةٍ
 بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَرَغْبَةٍ
 وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ذُو الْعَرْشِ يُعْبُدُ
 فَحَازِرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْ لَدَغِ صِلَاهَا
 فَلَيْسَ لَهَا عَهْدٌ يَفِي لَوْ لِحِلَّهَا
 فَسَافِرٌ وَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا وَحَلَّهَا
 وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا
 لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهَا مُخَلَّدٌ
 أَلَمْ يَأْنِ أَنْ نَخْشَعُ وَأَيُّنَ التَّهَجُّدُ
 أَفِي سِنَةِ كُنَّا أَمِ الْقَلْبُ جَلَمَدُ
 تَيَقُّظُ أَخِي وَاحْدَرُ وَإِيَّاكَ تَرْفُدُ
 أَتَرْقُدُ يَا مَغْرُورُ وَالنَّارُ تُوقَدُ

فَلَا حَرْهًا يَطْفَى وَلَا الْجَمْرُ يَحْمُدُ
 أَمَا لَوْ عَلِمْنَاهَا نَهَضْنَا إِذَا شَطَى
 نَعُجُ وَبَعْضُ الْقَوْمِ لِلْبَعْضِ أَيْقَطَا
 وَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنًا بِتَذْكَارِنَا اللَّطَى
 أَلَا إِنَّهَا نَارٌ يُقَالُ لَهَا لَطَى
 فَتَحْمُدُ أَحْيَانًا وَأَحْيَانٌ تُوقَدُ
 عَلَى الْخَمْسِ تَوْدِيْعًا بِجِدِّ فَصَلَّاهَا
 وَحَافِظٌ عَلَى تِلْكَ النَّوَافِلِ كُلِّهَا
 وَتُبَّ عَنْ ذُنُوبٍ لَا تَذِلُّ بِذَلِّهَا
 فَيَا رَاكِبَ الْعِضْيَانِ وَيَحَاكَ خَلَّهَا
 سَتُحْشَرُ عَطْشَانًا وَوَجْهَكَ أَسْوَدُ
 أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي عِلْمٍ غَيْبِهِ
 لَهُمْ كُلُّ خَيْرٍ مِنْ إلهِي بِقُرْبِهِ
 سَمَوْ بِالْهُدَى وَالنَّاسُ مِنْ فَوْقِ تَرْبِهِ
 فَكَمْ بَيْنَ مَنْسُورٍ بِطَاعَةِ رَبِّهِ
 وَآخِرُ بِالذَّنْبِ الثَّقِيلِ مُقَيَّدُ
 إِذَا كُوِّرَتْ شَمْسُ الْعِبَادِ وَأَنْجُمُ
 وَقُرَيْبَتِ النَّارِ الْعَظِيمَةِ تُضْرَمُ
 وَكُبْكِبَ هَذَا ثُمَّ هَذَا مُسَلَّمُ
 فَهَذَا سَعِيدٌ فِي الْجَنَانِ مُنَعَّمُ
 وَهَذَا شَقِيٌّ فِي الْجَحِيمِ مُخَلَّدُ

وَقَدْ كَانَ هَذَا الْحُكْمُ مِنْ رَبِّنَا مَضَى
وَلَا بُدَّ هَذَا الْحُكْمُ فِي الْحَشْرِ يُمْتَضَى
إِلَهِي أَنْبِي الْعَفْوِ مِنْكَ مَعَ الرَّضَى
إِذَا نُصِبَ الْمِيزَانُ لِلْفُضْلِ وَالْقَضَى
وَقَدْ قَامَ خَيْرُ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدُ
نَبِيِّ الْهُدَى الْمَعْصُومِ عَنْ كُلِّ زَلَّةٍ
شَفِيعِ الْوَرَى أَكْرَمَ بِهَا مِنْ فَضِيلَةٍ
وَمِلَّتْهُ يَا صَاحِبِي خَيْرُ مَلَّةٍ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ

مَعَ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا دَارَ فَرَقْدُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَأَهْمِنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاخْتِمْ لَنَا بِخَاتَمَةِ السَّعَادَةِ
وَإِغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ الْمَاورِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذِكْرِ خِصَائِصِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَضَائِلِهِ وَشَرَفِ
أَخْلَاقِهِ وَشَمَائِلِهِ الْمُؤَيَّدَةِ لِنُبُوَّتِهِ وَالْمُدْرَهَنَةِ عَلَى عَمُومِ رِسَالَتِهِ :
فَالْكَمَالُ الْمَعْتَبَرُ فِي الْبَشَرِ يَكُونُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ : كَمَالُ الْخَلْقِ وَكَمَالُ الْخَلْقِ وَفَضَائِلُ الْأَقْوَالِ
وَفَضَائِلُ الْأَعْمَالِ .
فَأَمَّا الْوَجْهُ فِي كَمَالِ خَلْقِهِ بَعْدَ اعْتِدَالِ صُورَتِهِ فَيَكُونُ بِأَرْبَعَةِ أَوْصَافٍ أَحَدُهَا : السَّكِينَةُ
الْبَاعِثَةُ عَلَى الْهَيْبَةِ وَالتَّعْظِيمِ الدَّاعِيَةِ إِلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّسْلِيمِ .

وكان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبتة حين أتوه مع ارتياحهم بصولة الأكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة .

فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفوسهم أهيب وفي أعينهم أعظم وإن لم يتعاضم بأهبة ولم يتناول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفاً وبالوطة - أي السهولة - معروفاً .

والثاني : في الطلاقة الموجبة للإخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة .

وقد كان صلوات الله عليه محبوباً استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد على الظماً .

والثالث " حسن القبول الجالب لممايلة القلوب حتى تسرع إلى طاعته وتدعن بموافقته وقد كان قبول منظره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستولياً على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معانداً ولا استوحش منه مباعد إلا من ساقه الحسد إلى شقوته وقاده الحرمان إلى مخالفته .

والرابع : ميل النفوس إلى متابعتة وانقيادها لموفقته وثباته على شدائده ومصابرتة ، فما شذ عنه معها من أخلص ولا ند عنه فيها من تخصص .

وهذه الأربعة من دواعي السعادة وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه فكمل لما يوازيها واستحق ما يقتضيها .

وأما الوجه الثاني في كمال أخلاقه فيكون بست خصال :

(إحداهن) : رجاحة عقله وصحة وهمه وصد فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدييره وحسن تألفه .

وأنه ما استغفل في مكيدة ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الأعجاز في المبادئ فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم إلا بأصدق وهم وأوضح جزم .

والخصلة الثانية : ثباته في الشدائد وهو مطلوب وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يخور في شديدة ولا يستكين لعظيمة وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي .

والخصلة الثالثة : زهده في الدنيا وإعراضه عنها وقناعته بالبلاغ منها فلم يمل إلى غضارتها ولم يله لحلاوتها وقد ملك من أقصى الحجاز إلى عذار العراق ومن أقصى اليمن إلى شحر عمان .

وهو أزهد الناس فيما يفتني ويدخر وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر لم يخلف عيناً ولا ديناً ولا حفر نحرأً ولا شيد قصرأً ولم يورث ولده وأهله متاعاً ولا مالاً ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها .

وحقيق بمن كان في الدنيا بهذه الزهادة حتى اجتذب أصحابه إليها أن لا يتهم بطلبها ويكذب على الله تعالى في ادعاء الآخرة ويقنع في العاجل

وقد سلب الآجل بالميسور النزر ورضي بالعيش الكدر .

والخصلة الرابعة : تواضعه للناس وهم أتباع وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الأسواق ويجلس على التراب ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم إلا بإطرافه وحيائه ، فصار بالتواضع متميزاً ، وبالتدلل متغزراً .

ولقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيئته فَقَالَ خفض عَليكَ فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه فهي غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها لم تنذر فتعد ولم تحصر فتجد .

والخصلة الخامسة : حلمه ووقاره عن طيش يهزه أو خرق يستفزه فقد كان أحلم في النفار من كل حلیم وأسلم في الخصام من كل سليم .

وقد مني بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة ولم يحفظ عليه بادرة ولا حلیم غيره إلا ذو عشرة ولا وقور سواه إلا ذو هفوة فإن الله تعالى عصمه من نزع الهوى وطيش القدرة لهفوة أو عشرة ليكون بأتمته رؤوفاً وعلى الخلق عطوفاً قد تناولته قريش بكل كبيرة وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم ومعرض عنهم .

وما تفرد بذلك سفهاؤهم عن حلمائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم بل تمالا عليه الجلة والدون ، فكلما كانوا عليه من الأمر - ألح كان عنهم أعرض وأصفح حتى قهر فعفا ، وقدر فغفر .

(وَقَالَ لَهُمْ) حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا إليه ما ظنكم بي قَالُوا ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بِكَ وإن تنقم فقد أسأنا فَقَالَ بل أقول كما قال يوسف لإخوته ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

وَقَالَ اللَّهُمَّ قَدْ أَذَقْتُ أُولَ قَرِيْشٍ نَكَالًا فَأَذِقْ آخِرَهُمْ تَوَالًا وَأَتَتْهُ هِنْدُ بِنْتُ عَبْتَةَ وَقَدْ بَقِرَتْ
بَطْنَ عَمِّهِ حَمْرَةَ وَلَاكْتَ كَبِدَهُ فَصَفَحَ عَنْهَا وَأَعْطَاهَا يَدَهُ لِبَيْعَتِهَا .

فَإِنْ قِيلَ فَقَدْ ضَرَبَ رِقَابَ بَنِي قَرِيْظَةَ صَبْرًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَهَمَّ نَحْوَ سَبْعِمِائَةٍ فَأَيْنَ مَوْضِعَ
الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ قِيلَ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَدْ كَانَتْ بَنُو قَرِيْظَةَ رَضُوا بِتَحْكِيمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ عَلَيْهِمُ فَحَكَمَ أَنْ مَن جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوْسَى
قَتَلَ وَمَنْ لَمْ تَجْرَ عَلَيْهِ اسْتَرَقَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا حَكْمُ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ
سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ ، فَلَمْ يَجْزْ أَنْ يَعْفُوَ عَنْ حَقِّهِ وَجَبَ لِلَّهِ تَعَالَى وَإِنَّمَا يَخْتَصُّ عَفْوَهُ بِحَقِّ نَفْسِهِ .

وَالْخِصْلَةُ السَّادِسَةُ : حَفِظَهُ لِلْعَهْدِ وَوَفَاؤُهُ بِالْوَعْدِ فَإِنَّهُ مَا نَقَضَ لِمَحَافِظِ عَهْدًا وَلَا أَخْلَفَ
لِمُرَاقِبٍ وَعَدًّا يَرَى الْغَدْرَ مِنْ كِبَائِرِ الذَّنُوبِ وَالْإِخْلَافِ مِنْ مَسَاوِيءِ الشِّيمِ فَيَلْتَزِمُ فِيهَا الْأَغْلَظَ
وَيُرْتَكِبُ فِيهِمَا الْأَصْعَبَ حَفِظًا لِعَهْدِهِ وَوَفَاءً بِوَعْدِهِ حَتَّى يَبْتَدِئَ مَعَاهِدُوهُ بِنَقْضِهِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ
تَعَالَى لَهُ مَخْرَجًا كَفَعَلَ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي قَرِيْظَةَ وَبَنِي النَّضِيرِ وَكَفَعَلَ قَرِيْشَ بِصَلْحِ الْحَدِيبِيَّةِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ
تَعَالَى لَهُ فِي نَكَثِهِمُ الْخَيْرَةَ .

فَهَذِهِ سِتُّ خِصَالٍ تَكَامَلَتْ فِي خَلْقِهِ ، فَضَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ) وَأَمَّا الْوَجْهُ الثَّلَاثُ فِي فِضَائِلِ أَقْوَالِهِ فَمُعْتَبَرٌ بِثَمَانِ خِصَالٍ :

(إِحْدَاهُنَّ) : مَا أُوتِيَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ ، وَأَعْطِيَ مِنَ الْعُلُومِ الْجَمَّةِ

الباهرة ، وهو أمي من أمه أمية لم يقرأ كتاباً ولا درس علماً ولا صحب عالماً ولا معلماً فأتى بما بهر العقول وأذهل الفطن من إتقان ما أبان وإحكام ما أظهر فلم يعثر فيه بزلل في قول أو عمل .

وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سنناً حملوا الناس على التدين بها حين علموا أنه « لا صلاح للعالم إلا بدين ينقادون له ويعملون به » فما راق لها أثر ولا فاق لها خير .

والخصلة الثانية : حفظه لما أطلعه الله تعالى عليه من قصص الأنبياء مع الأمم وأخبار العالم في الزمن الأقدم حتى لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير .

وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين تحرسه وما ذاك إلا من ذهن صحيح وصدر فسيح وقلب شريح وهذه الثلاثة آله ما أستودع من الرسالة وحمل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها مبعوثاً وعلى القيام بها محثوثاً

والخصلة الثالثة : إحكامه لما شرع بأظهر دليل وبيانه بأوضح تعليل حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول .

ولذلك قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصاراً » لأنه نبه بالقليل على الكثير فكف عن الإطالة وكشف عن الجهالة وما تيسر ذلك إلا وهو عليه معان وإليه مقاد .

والخصلة الرابعة : ما أمر به من محاسن الأخلاق ودعا إليه من مستحسن الآداب وحث عليه من صلة الأرحام وندب إليه من التعطف على الضعفاء والأيتام .

ثم ما نهي عنه من التباغض والتحاسد وكف عنه من التقاطع والتباعد لتكون الفضائل فيهم أكثر ومحاسن الأخلاق بينهم أنشر ، ومستحسن الآداب عليهم أظهر وتكون إلى الخير أسرع ومن الشر أمتع .

فيتحقق فيهم قول الله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ فلزموا أمره واتقوا زواجره فتكامل بهم صلاح دينهم وديناهم عز بهم الإسلام بعد ضعفه وذل بهم الشرك بعد عزه فصاروا أئمة أبراراً وقادة أخباراً .

والخصلة الخامسة : وضوح جوابه إذا سئل وظهور حججه إذا جادل لا يحصره عي ولا يقطعه عجز ولا يعارضه خصم في جدال إلا كان جوابه أوضح وحجابه أرجح .

والخصلة السادسة : أنه محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خير يكون إلى الكذب منسوباً وللصديق مجاناً فإنه لم يزل مشهوراً بالصدق في خبره فاشياً وكثيراً حتى صار بالصدق مرقوماً والأمانة مرسوماً .

وكانت قریش بأسرها تتيقن صدقه قبل الإسلام فجهروا بتكذيبه في استدعائهم إليه فمنهم من كذبه حسداً ومنهم من كذبه عناداً ومنهم من كذبه استبعاداً أن يكون نبياً أو رسولاً .

ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة ، ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر ألزم ومن عصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم وحسبك بهذا دفعاً لجاحد ورداً لمعاندهم اللهم قابل سيئاتنا بإحسانك ، واستر خطيئتنا بغفرانك وأذهب ظلمة ظلمنا بنور رضوانك ، واقهر عدونا بعز سلطانتك ، فما تعودنا منك

إلا الجميل ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) والخصلة السابعة : تحرير كلامه في التوخي به إبان حاجته والاقتصار منه على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هذراً ولا يحجم عنه حصراً وهو فيما عدا حالي الحاجة والكفاية أجمل الناس صمتاً وأحسنهم سمناً .

ولذلك حفظ كلامه حتى لم يختل وظهر رونقه حتى لم يعتل واستعدبته الأفواه حتى بقي محفوظاً في القلوب مدوناً في الكتب فلن يسلم الإكتار من الزلل ولا الهذر من الملل .

والخصلة الثامنة : أنه أفصح الناس لساناً وأوضحهم بياناً وأجزهم كلاماً وأجزهم ألفاظاً وأصحهم معاني لا يظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخلله فيهقة التعسف .
وقد دون كثير من جوامع كلمه ومن كلامه الذي لا يشاكل في فصاحته وبلاغته ومع ذلك ف يأتي عليه إحصاء ولا يبلغه استقصاء .

ولو مزج كلامه بغيره لتمييز بأسلوبه ولظهر فيه آثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطله ولبان صدقه من كذبه هذا ولم يكن متعاطياً للبلادة ولا مخالطاً لأهلها من خطباء أو شعراء أو فصحاء وإنما هو من غرائر طبعه وبداية جبلته وما ذلك إلا لغاية تراد وحادثة تشاد .

وأما الوجه الرابع في فضائل أفعاله فمختبر بثمان خصال :

(أحدهن) حسن سيراته وصحة سياسته في دين نقل به الأمة عن مألوف وصرههم به عن معروف أغلى غير معروف فأذعنت به النفوس طوعاً وانقادت خوفاً وطمعاً وشديد عادة منتزعة إلا لمن كان مع التأييد الإلهي معاناً بحزم صائب وعزم ثاقب .

وحسبك بما استقرت قواعده على الأبد حتى انتقل عن سلف إلى خلف يزداد فيهم حلاوته ويشتد فيهم جدته ويرونه نظاماً لإعصار تنقلب صروفها ويختلف مألوفها أن يكون لمن قام به برهاناً ولمن ارتاب به بياناً .

والخصلة الثانية : أن جمع بين رغبة من استمال ورهبة من استطاع حتى اجتمع الفريقان على نصرته وقاموا بحقوق دعوته رغباً في عاجل وآجل ورهباً من زائل ونازل ، لاختلاف الشيم والطباع في الانقياد الذي لا ينتظم بأحدهما ولا يستديم إلا فلذلك صار الدين بهما مستقراً والصالح بهما مستمراً .

والخصلة الثالثة : أنه عدل فيما شرعه من الدين عن الغلو والتقصير إلة التوسط وخير الأمور أوساطها وليس لما جاوز العدل حظ من رشد ولا نصيب من سداد .

والخصلة الرابعة : أنه لم يمل بأصحابه إلى الدنيا ولا إلى رفضها وأمدهم فيها بالاعتدال ، وَقَالَ : «خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه» وهذا صحيح لأن الانقطاع على أحدهما اختلال والجمع بينهما اعتدال .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة» وإنما كان كذلك لأن منها يتزود لآخرته . ويستكثر فيها من طاعته وأنه لا يخلو تاركها من أن يكون محروماً مضاعفاً أو مرحوماً مراعى وهو في الأول كل وفي مستدل .

اللَّهُمَّ اجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائك ، اللَّهُمَّ ثبتنا على قولك الثابت وأيدنا بنصرك وارزقنا من فضلك ونجنا من عذابك يوم تبعث عبادك وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) والخصلة الخامسة : تصديه لمعالم الدين ونوازل الأحكام حتى أوضح للأمة ما كلفوه من العبادات وبين لهم ما يحل وما يحرم من مباحث ومخظورات وفصل لهم ما يجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات .

حتى احتاج أهل الكتاب في كثير من معاملاتهم ومواريتهم لشرعه ولم يحتج شرعه إلى شرع غيره ثم مهد لشرعته أصولاً تدل على الحوادث المغفلة ويستنبط لها الأحكام المعللة فأغنى عن نص ارتفاعه وعن التباس بعد إغفاله ثم أمر الشاهد أن يبلغ الغائب ليعلم بإنذاره ويحتج بإظهاره فقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بلغوا عني ولا تكذبوا علي فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه إلى منه هو أفقه منه» .

فأحكم ما شرع من نص أو تنبيه وعم بما أمر من حاضر وبعيد حتى صار لما تحمله من الشرع مؤدياً ولما تقلده من حقوق الأمة موفياً لئلا يكون في حقوق الله زلل وذلك في برهه من زمانه لم يستوف تطاول الاستيعاب حتى أوجز وأنجز وما ذاك إلا بديع معجز .

والخصلة السادسة : انتصابه لجهاد الأعداد وقد أحاطوا بجهاته وأحدقوا بجنباته وهو في قطب مهجور ، وعدد محقور فزاد به من قل وعز به من ذل وصار بإثخانته في الأعداء محذوراً وبالرعب منه منصوراً فجمع بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشر وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر والجمع بينهما معوز إلا لمن أمده الله بمعونته وأيده بلطفه والمعوز معجز .

والخصلة السابعة : ما خصَّ به من الشجاعة في حروبه والنجدة في

مصابرة عدوة فإنه لم يشهد حرباً في فزاع إلا صابر حتى انجلت عن ظفر أو دفاع وهو في موقفه لم يزل عنه هرباً ولا حاز فيه رغباً .

بل ثبت بقلب آمن وجأش ساكن قد ولي عنه أصحابه يوم حنين حتى بقي بازاء جمع كثير وجم غفير في تسعة من أهل بيته وأصحابه على بغلة مسبوقة إن طلبت غير مستعدة لهرب ولا طلب وهو ينادي أصحابه ويظهر نفسه ويقول إلى عباد الله « أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب » فعادوا أشددا وأرسالا وهوازن تراه وتحجم عنه فما هاب حرب من كاثرة ولا انكفاً عن مصاولة من صابره والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(فصل) وقد عضده الله تعالى بأنجاد وأنجاد فأنحازوا وصبر حتى أمدته الله بنصره وما لهذه الشجاعة من عديل ولقد طرق المدينة فزع فانطلق الناس فتلقوه نحو الصوت فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه فتلقوه عائداً على فرس عري لأبي طلحة الأنصاري وعليه السيف فجعل يقول أيها الناس لم تراعوا لم تراعوا ثم قال لأبي طلحة إنا وجدنا بجرأ وكان الفرس يبطئ فما فرس بعد ذلك .

وما ذاك إلا عن ثقة من أن الله تعالى سينصره وأن دينه سيظهره تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ وتصديقاً لقول رسوله الله صلى الله عليه وسلم « زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمي ما زوي لي منها » وكفى بهذا قياماً بحفه وشاهداً على صدقه .

والخصلة الثامنة : ما منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجودٍ

وآثر بكل مطلوب ومحبوب ومات ودرعه مرهونة عند يهودي على أصع من شعير لطعام أهله

وقد ملك جزيرة العرب فيها ملوك وأفيال لهم خزائن وأموال يقتنونها ذخراً ويتباهون بها فخراً
ويستمتعون بها أشراً وبطراً وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى ديناراً ولا درهماً لا يأكل إلا الخشن
ولا يلبس إلا الخشن .

ويعطي الجزل الخطير ويصل الجم الغفير ويتجرع مرارة الإقلال ويصبر على سغب الاختلال
وكان يقول «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ ومن ترك مالا ترك
فلورثته» فهل مثل هذا الكرم والجود كرم وجود أم هل هذا لمثل هذا الإعراض والزهادة إعراض
وزهد هيهات .

هل يدرك شأو من هذه شذور من فضائله ويسير من محاسنه التي لا يحصى لها عدداً ولا
يدرك لها أمداً لم تكمل في غيره فيساويه ولا كذب بها ضد يناويه ولقد جهد كل منافق ومعاند
وكل زنديق وملحد أن يزري عليه في قول أو فعل .

أو يظفر بهفوة في جد أو هزل فلم يجد إليه سبيلاً ود جهد جهده وجمع كيده .
فأي فضل أعظم من فضل شاهده الحسدة والأعداء فلم يجدوا فيه مغمراً لثالب أو قادح
ولا مطعناً لجراح أو فاضح فهو كما قال الشاعر :

شَهِدَ الْأَنَامُ بِفَضْلِهِ حَتَّى الْعِدَا وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ الْأَعْدَاءُ

وقول لآخر :

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ النَّبِيِّينَ جَمَّةٌ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِأَحْمَدِ

وبالجملة فأية أخلاقه صلوات الله عليه آية كبرى وعلم من أعلام نبوته العظمى وقد أجملها بعضهم بقوله وآية أخرى لا يعرفها إلا الخاصة ومتى ذكرت الخاصة فالعامة في ذلك مثل الخاصة .

وهي الأخلاق والأفعال التي لم تجتمع لبشر قط قبله ولا تجتمع لبشر بعده وذلك أنا لم نر ولم نسمع لأحد قط كصبره ولا كحلمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده ولا كنجده ولا كصدق لهجته ولا ككرم عشرته ولا كتواضعه ولا كحفظه ولا كصمته إذا صمت ولا كقوله إذا قَالَ ولا كعجيب منشئه ولا كعفوه ولا كدوام طريقته وقله امتنانه .

ولم تجد شجاعاً قط إلا وقد جال جولة وَفَرَّ فَرَّةً وانحاز مرة ولا يستطيع منافق ولا زنديق ولا دهري أن يحدث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جال جولة قط ولا فَرَّ فَرَّةً قَطُّ وَلَا حَامَ عن غزوة ولا هاب حرباً من مكاثرة .

وذلك من أعجب ما آتاه الله نبياً قط مع سائر ما جاء به من الآيات ومن ضروب البرهانات إذ أعداؤه جم غفير وجمعهم كثير فخصمهم حين جادلوه وصابرهم حين عاندوه وكابد من الشدائد ما لم يثبت عليها إلا كل معصوم ولم يسلم منها إلا منصور إلى أن علت كلمته وظهرت دعوته .

وكل هذه آيات تنذر بالحق وتلائم الصدق ، لأن الله لا يهدي كيد الخائنين ولا يصلح عمل المفسدين ، انتهى كلامه .

اللَّهُمَّ اسلك بنا مناهج السلامة وعافنا من موجبات الحسرة والندامة ووفقنا للاستعداد لما وعدتنا وأدم لنا إحسانك ولطفك كما عودتنا وأتمم علينا
اللَّهُمَّ توفنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَأَغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،

اللَّهُمَّ أَلْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَهُ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَأَغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(قصيدة في غربة الإسلام وإهمال نصره)

(ممن ينتسب إليه)

لَهْفِي عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَشْيَاعِهِ
لَهْفِي عَلَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ
لَهْفِي عَلَيْهِ تَنَكَّرَتْ أَعْلَامُهُ
إِلَّا عَلَى الْخَرِيبَتِ فِي ذَا الشَّانِ
لَهْفِي عَلَيْهِ أَصْبَحَتْ أَنْوَارُهُ
مَخْجُوبَةً عَنْ سَائِلِكِ حَيْرَانِ
لَهْفِي عَلَيْهِ أَصْبَحَتْ أَنْصَارُهُ
فِي قَلْبَةٍ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ
لَهْفِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ فِي غُرْبَةٍ
أَضْحَوْا وَهُمْ فِي الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ أَصْبَحُوا فِي ضَيْعَةٍ
أَنْوَارُهُمْ تَخْفَى عَلَى الْعُمَيَّانِ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ كَمْ لَنَا قَدْ أَخْلَصُوا
فِي النَّصْحِ لَوْ كَانَتْ لَنَا أُذُنَانِ
لَهْفِي عَلَى مَنْ يَجْلِبُونَ عَلَيْهِمُوهَا
بِالنُّصْحِ كُلِّ أَدَى وَكُلِّ هَوَانِ

لَهْفِي عَلَى مَنْ هُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى
مَا بَيْنَنَا لَوْ تَبَصَّرُ الْعَيْنَانِ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ أَوْجِدُوا فِي أُمَّةٍ
قَنَعَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُنْوَانِ
لَا يُعْرِفُ الْمَعْرُوفُ فِيمَا بَيْنَنَا
وَالنُّكْرُ مَا لُوفٌ بِلا نُكْرَانِ
خَذَلْتُ ذَوِي النَّصْحِ الصَّحِيحِ وَأَصْبَحْتُ
عَوْنًا لِكُلِّ مُضَلَّلٍ فَتَّانِ
يَا وَبِحَ قَوْمٍ لَا يُمَيِّزُ جُلُوهُمْ
ذَا الْحَقِّ مِنْ ذِي دَعْوَةِ الْبُطْلَانِ
فَتَصَدَّرَ الْجُهَّالُ وَالضَّالُّ فِي—
هَمَّ بِادِّعَاءِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
مِنْ كُلِّ مَنْ يَخْتَالُ فِي فَضَائِهِ
فَإِذَا تَقْيِيلٌ وَاسِعٌ الْأَرْدَانِ
مُتَقَمِّشٌ مِنْ هَذِهِ الْأَوْضَاعِ وَال—
أَرَاءِ إِمَّعَّةٍ بِلا فُرْقَانِ
يُبْدِي التَّمَشُّدُقَ فِي الْمَحَافِلِ كَيْ يُرَى
لِلنَّاسِ ذَا عِلْمٍ وَذَا إِتْقَانِ
تَبَّأ لَهُ مِنْ جَاهِلٍ مُتَعَالِمٍ
مُتَسَلِّطٍ بِوِلَايَةِ السُّلْطَانِ
رَفَعَتْ خَسِيسَتَهُ الْمَنَاصِبُ فَازْدَرَى

أَهْلَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
لَيْسَ التَّرَفُّعُ بِالْمَنَاصِبِ رِفْعَةً
بِالْعِلْمِ وَالتَّقْوَى عُلُو الشَّانِ
تَرَكَ الْمَنَابِرَ مَنْ يَقُومُ بِحَقِّهَا
مَنْ كَلَّ ذِي لِسْنٍ وَذِي عِزْفَانِ
وَنَزَا عَلَيْهَا سَفْلَةً يَا لَيْتَهُمْ
قَدْ أُدْرِجُوا مِنْ قَبْلِ فِي الْأَكْفَانِ
خَطَبُوا التَّفَرُّقَ فَوْقَهَا وَلَطَالَمَا
خُطِبَتْ عَلَيْهَا الْفَلَةُ الْإِخْوَانِ
كَمْ يَأْمُرُونَ بِمُحَدَّثَاتٍ فَوْقَهَا
تَقْضِي عَلَي سُنَنِ سُنَنِ حِسَانِ
تَبْكِي الْمَنَابِرُ مِنْهُمْ مَوَا وَتَوَدُّ لَوْ
تَنَدُّكَ تَحْتَهُمْ مَوَا إِلَى الْأَرْكَانِ
مَا عِنْدَهُمْ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ خَبْرَةٌ
بَلْ نَقَلْ آرَاءٍ أَوْ اسْتِحْسَانِ
تَكَلَّمَتْهُمْ الْآبَاءُ إِنَّ حَيَاتَهُمْ
مَوْتُ لِسُنَّةِ خَاتَمِ الْأَدْيَانِ
جَهَلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَهُوَ نَجَاتُهُمْ
وَهُدَى النَّبِيِّ مَبِينِ الْقُرْآنِ
وَجَفَوْا مَنَاهِجَ خَيْرِ أَسْلَافٍ لَهُمْ
فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّقْوَى وَفِي الْإِتْقَانِ

لَا يَرْجِعُونَ لِأَيَّةٍ أَوْ سُنَّةٍ
 أَوْ سِيرَةِ الْمَاضِينَ بِالْإِحْسَانِ
 بَلْ يَرْجِعُونَ لِرَأْيٍ مَنْ أَلْقَوْا لَهُمْ
 بِأَزْمَةٍ التَّقْلِيدِ وَالْأَرْسَانِ
 وَكَذَلِكَ يَرْجِعُ مَنْ تَصَوَّفَ فِيهِمْ
 لِسُذُوقٍ أَوْ لِتَخَيُّلٍ شَيْطَانِي
 فَالْأَوْلُونَ أَتَوْا بِأَحْكَامٍ لَنَا
 فِيهَا مُخَالَفُ سُنَّةٍ وَقُرْآنِ
 وَالْآخِرُونَ أَتَوْا لَنَا بِطَرَائِقِ
 غَيْرِ الطَّرِيقِ الْأَقْشَمِ الْقُرْآنِيِّ
 وَمُحَصَّلُ الطُّرُقِ الَّتِي جَاءُوا بِهَا
 أَوْضَاعٌ سُوءٌ رَدَّهَا الْوَحْيَانِ
 وَكَذَا زُؤُوسُهُمُ الطُّغَاةُ فَإِنَّهُمْ
 لَمْ يَرْفَعُوا رَأْسًا بِإِذَا الْفُرْقَانِ
 مَا حَكَّمُوا فِيهِمْ شَرَائِعَ دِينِهِمْ
 وَالْعَدْلُ فِيهَا قَائِمٌ الْأَرْكَانِ
 بَلْ حَكَّمُوا فِي النَّاسِ آرَاءَ لَهُمْ
 مِنْ وَحْيِ شَيْطَانٍ أَخِي طُغْيَانِ
 وَيُحِ الشَّرِيعَةَ مِنْ مَشَايخِ جُبَّةِ
 وَاللَّابِسِينَ لَنَا مُسْوُكَ الضَّانِ
 غَزَوْا الْوَرَى بِالزِّيِّ وَالسَّمْتِ الَّذِي

يُخْفِي مَخَازِي الْجَهْلِ وَالْعِصْيَانِ
وَرُؤُوسُ سُوءٍ لَا اهْتِمَامَ بِهِمْ بِيَدِي
نِ قَامَ أَوْ قَدِ خَرَّ لِلأَذْقَانِ
وَلَرَبِّمَا أَبَدُوا عَنَّا يَتَّهُمْ بِهِ
بِسِيَّاسَةٍ تَخْفَى عَلَى الْإِنْسَانِ
تَعَسًا لِمَنْ أَضْحَى يُتَابِعُ قَوْلَ مَنْ
بَخَسَ الْهُدَى وَمَزِيَّةَ الأَذْهَانِ
تَرَكُوا هِدَايَةَ رَبِّهِمْ وَرَسُولِهِمْ
هَذَا وَرَبِّكَ غَايَةَ الْخُذْلَانِ
حُرِّمُوا هِدَايَةَ دِينِهِمْ وَعُقُوبِهِمْ
هَذَا وَرَبِّكَ غَايَةَ الْخُسْرَانِ
تَرَكُوا هِدَايَةَ رَبِّهِمْ فَإِذَا بِهِمْ
عَرَفَى مِنَ الآرَاءِ فِي طُوفَانِ
وَتَفَرَّقُوا شِيْعًا بِهَا عَنِ نَهْجِهِ
مَنْ أَجْلَهَا صَارُوا إِلَى شَتَانِ
كُلٌّ يَرَى رَأْيًا وَيَنْصُرُ قَوْلَهُ
وَأَلَهُ يُعَادِي سَائِرَ الإِخْوَانِ
وَلَوْ أَنَّهُمْ عِنْدَ التَّنَازُعِ وَفَقُوا
لَتَحَاكَمُوا لِلَّهِ دُونَ تَتَوَانِ
وَلَا ضَبَحُوا بَعْدَ الْخِصَامِ أَحَبَّةً
غَيِظَ الْعِدَا وَمَدْلَّةَ الشَّيْطَانِ

لِكِنَّهُمْ إِذْ آثَرُوا وَادِي تَخِيٍّ —
سِيَبِ أَصْبَحُوا أَعْدَاءَ هَذَا الشَّانِ
فَالْمُقْتَدِي بِالْوَحْيِ فِي أَعْمَالِهِ
يَلْقَى الْأَذَى مِنْهُمْ وَكُلَّ هَوَانِ
لِعُدُولِهِ عَنِ أَخْذِهِ بِمَذَاهِبِ
فِي الرَّأْيِ مَا قَامَتْ عَلَى بُرْهَانِ
جَعَلُوا مَذَاهِبَهُمْ مُسَيِّطَرَةً عَلَى
فَهُمُ الْحَدِيثِ وَمَنْزِلِ الْقُرْآنِ
ذَادُوا ذَوِي الْأَبَابِ عَنِ فِقْهِ الْكِتَابِ
بِ وَفِقْهِ سُنَّةِ صَاحِبِ التَّيَّانِ
وَعَدَتْ شَرِيعَتُنَا بِمُوجِبِ قَوْلِهِمْ
مَنْسُوخَةٌ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ
حَجَبُوا مَحَاسِنَهَا بِتَأْوِيلَاتِهِمْ
فَعَدَتْ مِنَ الْأَرَاءِ فِي خُلُقَانِ
وَلَوْ أَنَّهَا بَرَزَتْ مُجَرَّدَةً لَهَا
مَ الْأَذْكِيَاءُ بِحُسْنِ نِيهَا الْقَتَّانِ
لِكِنَّهُمْ قَامُوا حَوَائِلَ دُونَهَا
كَالْأَوْصِيَاءِ لِقَاصِرِ الصَّبَّانِ
مَا عِنْدَهُمْ عِنْدَ التَّنَاطُرِ حُجَّةٌ
أَنْنَى بِهَا لِمُقَلِّدِ حَيْرَانِ
لَا يَفْرَعُونَ إِلَى الدَّلِيلِ وَإِنَّمَا

فِي الْعَجْزِ مَفْزَعُهُمْ إِلَى السُّلْطَانِ
 لَا عُجْبَ إِذْ ضَلُّوا هِدَايَةَ دِينِهِمْ
 أَنْ يَرْجِعُوا لِلْجَهْلِ وَالْعِصْيَانِ
 هَا قَدْ غَلَبُوا فِي الْأَوْلِيَاءِ وَقُبُورِهِمْ
 أَضْحَتْ يُحِجُّ لَهَا مِنَ الْبُلْدَانِ
 وَبَنَوْا عَلَى تِلْكَ الْقُبُورِ مَسَاجِدًا
 وَالنَّصُّ جَاءَ لَهُمْ بَلَعْنِ الْبَانِي
 وَكَذَلِكَ قَدْ صَنَعُوا لَهَا الْأَقْفَاصَ تُو
 ضَعُ فَوْقَهَا فِي غَايَةِ الْإِثْقَانِ
 يَكْسُونَهَا بِمَطَارِفٍ مَنْقُوشَةٍ
 قَدْ كَلَّفَتْهُمْ بَاهِظَ الْأَثْمَانِ
 بَلْ عِنْدَ رَأْسِ الْقَبْرِ تَلْقَى نُصْبَهُ
 قَدْ عَمَّمُوهَا عَمَّةَ الشَّيْخَانِ
 وَلَسَوْفَ إِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِمْ تَرَى
 وَلَهَا يَدَانِ تَلِيهِمَا الرَّجْلَانِ
 وَدَعَوْهُمْ شَفَعَاءَهُمْ أَيْضًا كَمَا
 قَدْ كَانَ يَزْعُمُ عَابِدُو الْأَوْثَانِ
 وَتَقَرَّبُوا لَهُمْوَا بِتَسْبِيْبِ السَّوَا
 ثِبِ وَالنُّدُورِ وَسَائِرِ الْقُرْبَانِ
 وَتَمَسَّحُوا بِقُبُورِهِمْ وَسُتُورِهِمْ
 وَكَذَلِكَ بِالْأَقْفَاصِ وَالْجُذْرَانِ

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ هُنَاكَ تَرَاهُمْ هُـ
مُتَحَشِّشِينَ كَأَخْبَثِ الْعَبْدَانِ
مَا عِنْدَهُمْ هَذَا الْخُشُوعُ إِذَا هُمُ هُـ
صَلُّوا لِـرَبِّهِمُ الْعَظِيمِ الشَّانِ
وَاسْتَنْجَدُوا بِهِمْ لِمَا قَدْ نَابَهُمْ
نَاسِينَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْمَوَانِ
وَدَعَوْهُمْ بِرَأً وَبِحُرًّا لَا كَمَنْ
خَصُّوا الدُّعَاءَ بِرَبِّهِمْ فِي الثَّانِي
فَهُمْ هُـ بِهَذَا الْوَجْهِ قَدْ زَادُوا عَلَى
مَنْ أَشْرَكُوا فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ
تَرَكُوا دُعَاءَ الْحَيِّ جَلَّ جَلَالُهُ
لِدُعَاءِ أَمْوَاتٍ بِإِلَاحْسَابَانِ
وَالِيَهُمْ جَعَلُوا التَّصَرُّفَ فِي الْوَرَى
فَهُمْ هُـ مُغِيثُ السَّائِلِ الْحَيْرَانِ
فَكَأَنَّهُمْ أَرْجَى لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ
وَعَلَيْهِمْ هُـ أَخْنَى مِنْ الرَّحْمَنِ
وَكَأَنَّهُمْ وَكَلَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ
سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ
وَكَأَنَّهُمْ حُجَّابُ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ
هُمُ قَاسِمُ مَوْهَا بَيْنَهُمْ بِوَرَانِ
يَا قَوْمُ لَا غَوْثٌ يَكُونُ مُغِيثُكُمْ

إِنَّ الْمَغِيثَ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ
 يَا قَوْمُ فَادْعُوا اللَّهَ لَا تَدْعُوا الْوَزَرَ
 أَنْتُمْ وَهُمْ بِالْفَقْرِ مَوْسُومَانِ
 مَا بِالْكُمْ لَمْ تُخْلِصُوا تَوْحِيدَكُمْ
 تَوْحِيدَكُمْ وَالشِّرْكَ مُقْتَرَنَانِ
 هَا أَنْتُمْ وَأَشْبَهُهُمْ مَنْ قَبْلَكُمْ
 فِي شِرْكَهِمْ بِعِبَادَةِ الْوَدَّانِ
 إِنَّ كَانَ هَذَا الْفِعْلُ لَا يُسْمَوْنَهُ
 بِعِبَادَةِ فَهِيَ اسْمُهُ الْقُرْآنِي
 مَعْنَى الْعِبَادَةِ ثَابِتٌ مُتَحَقِّقٌ
 فِي فِعْلِكُمْ شِرْعًا وَعُرْفٌ لِسَانِ
 إِنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ بَلْ مَخُهَا
 قَدْ قَالَ ذَا مَنْ جَاءَ بِالْفُرْقَانِ
 فَإِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ شُفَعَاؤُكُمْ
 تَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَى الرَّحْمَنِ
 فَالْجَاهِلِيَّةُ كَانَ هَذَا زَعْمُهُمْ
 أَيْضًا وَقَدْ نُسِبُوا إِلَى الْكُفْرَانِ
 مَا كَانَ أَهْلُ الشِّرْكِ يَعْتَقِدُونَهُمْ
 خَلَقُوا هُمُومًا يَا جَاهِلِ الْقُرْآنِ
 وَاللَّهُ مَا شَرَعَ التَّوَسُّلَ لِلْوَزْرِ
 إِلَّا بِطَاعَتِهِ مَعَ الْإِيمَانِ

وَالْفِعْلَ لَيْسَ بِطَاعَةٍ حَتَّىٰ يَجِي
أَمْرٌ بِهِ شَرْعًا إِلَى الْإِنْسَانِ
وَالْعَامِلُونَ عَلَىٰ وَفَاقِ الْأَمْرِ لَا
يَعْدُونَ لَهُ بِالزَّيْدِ وَالنَّقْصَانِ
وَالْعَامِلُونَ بِمُقْتَضَىٰ أَهْوَائِهِمْ
هُمْ مُؤَثَّرُونَ لِطَاعَةِ الشَّيْطَانِ
هَلْ مَا فَعَلْتُمْ جَاءَكُمْ أَمْرٌ بِهِ
مِنْ رَبِّكُمْ عَنْ صَاحِبِ التَّيَّانِ
أَوْ هَلْ أَتَىٰ مِنْ قُدُورَةٍ فِي الدِّينِ مِنْ
صَاحِبِ التَّيِّبِي وَتَابِعِ الْإِحْسَانِ
وَهُنَا لَكُمْ عِنْدِي نَصِيحَةٌ مُخْلِصٌ
لَا يَمْتَرِي فِيهَا يَقُولُ اثْنَانِ
أَنْ تَأْخُذُوا بِالْإِحْتِيَاظِ لِأَمْرِكُمْ
قَبْلَ الْخُلُودِ بِمَوْقِدِ التَّيْرَانِ
إِنْ كَانَ مَا تَأْتُونَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ
وَالشُّرْكَ مَخْشِيٌّ لَدَى الْإِثْيَانِ
فَلَا تَبْعَادُ عَنِ الْمَخُوفِ مُقَدِّمٌ
عَقْلًا عَلَى الْأَقْدَامِ لِلْإِنْسَانِ
خاتمة ونداء للعلماء
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ لَبُّوا دَعْوَةَ
تُعَلِّمِي مَقَامَكُمْ عَلَى كَيْوَانِ

يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ هُبُّوا هَبَّةً
قَدْ طَالَ نَوْمُكُمْ إِلَيَّ ذَا الْآنِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ قُومُوا قَوْمَةً
لِلَّهِ تُعَلِّي كَلِمَةَ الْإِيمَانِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ عَزَمَةَ صَادِقِ
مُتَجَبَّرِ اللَّهِ غَيْرَ جَبَانِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ أَنْتُمْ مُلْتَجَا
لِلدِّينِ عِنْدَ تَفَاقُمِ الْحَدَثَانِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ كُونُوا قُدُوةً
لِلنَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ أَنْتُمْ حُجَّةُ
لِلنَّاسِ فَادْعُوهُمْ إِلَيَّ الْقُرْآنِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ إِنَّ سُكُوتَكُمْ
مِنْ حُجَّةِ الْجَهَّالِ كُلِّ زَمَانِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ لَا تَتَخَذُوا
وَتَعَاوَنُوا فِي الْحَقِّ لَا الْعُدْوَانَ
وَتَجَرَّؤُوا لِلَّهِ مِنْ أَهْوَائِكُمْ
وَدَعُوا التَّنَافُسَ فِي الْحُطَامِ الْفَانِي
وَتَعَاقِدُوا وَتَعَاهَدُوا أَنْ تَنْصُرُوا
مُتَعَاضِدِينَ شَرْيَعَةَ الرَّحْمَنِ
كُونُوا بِحَيْثُ يَكُونُ نَصَبٌ غِيُونَكُمْ

نَصْرُ الْكِتَابِ وَسُنَّةُ الْإِيمَانِ
 قَدْ فَرَّقْتَنَا كَثْرَةُ الْأَرَاءِ إِذْ
 صِرْنَا نَشَايِعَهَا بِأَبْرَهَانِ
 وَمِنْ أَجْلِهَا صِرْنَا يُعَادِي بَعْضَنَا
 بَعْضًا بِأَحَقِّ وَلَا مِيزَانَ
 وَغَدَتْ أُخُوَّةُ دِينِنَا مَقْطُوعَةً
 وَالظُّلْمُ مَعْرُوفٌ عَنِ الْإِنْسَانِ
 وَاللَّهُ أَلْفَ بَيْنِنَا فِي دِينِهِ
 وَعَلَى التَّفَرُّقِ عَابَ فِي الْقُرْآنِ
 عُودُوا بِنَا لِسَمَاحَةِ الدِّينِ الَّذِي
 كُنَّا بِهِ فِي عِزَّةٍ وَصِيَانِ
 عُودُوا لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْهُدَى
 أَسْأَلُكُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 فَايْكُمُوا تَتَطَّلَعُ الْأَنْظَارُ فِي
 تَوْحِيدِ كَلِمَتِنَا عَلَى الْإِيمَانِ
 فَاللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يُقُومُ بِنَصْرِهِ
 وَاللَّهُ يَخْذُلُ نَاصِرَ الشَّيْطَانِ

اللَّهُمَّ وفقنا لسلوك مناهج المتقين ، وخصنا بالتوفيق المبين واجعلنا بفضلك من المقرين الَّذِينَ لَا
 خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
 اللَّهُمَّ ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك وألهمنا ذكرك وشكرك ووفقنا
 للقيام بحقوقك وخلصنا من حقوق خلقك ورضنا باليسير من رزقك يا خير من دعاه داع وأفضل من
 رجاه

راج ، يا قاضي الحاجات ومجيب الدعوات هب لنا ماسألناه وحقق رجاءنا فيما تمنيناه يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ما في صدور الصامتين أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك وأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل) وقال الإمام ابن حزم : رهان ضروري لمن تدبره حسي لا محيد عنه وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى إلى قوم لقاح لا يطيعون لأحد ولا ينقادون لرئيس نشأ هذا آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم منذ ألوف منذ ألوف من الأعوام قد سرى الفخر والعز والنخوة والكبر والظلم والأنفة في طباعهم وهم أعداد عظيمة ملأوا جزيرة العرب وهي نحو شهرين في شهرين قد صارت طباعهم طباع السباع وهم ألوف الألوف قبائل وعشائر يتعصب بعضهم لبعض أبداً فدعاهم بلا مال ولا أتباع - بل خذله قومه إلى أن ينحطوا من ذلك العز إلى غرم الزكاة .

ومن الحرية والظلم إلى جزي الأحكام عليهم ومن طول الأيدي يقتل من أحبوا وأخذ مال من أحبوا إلى القصاص من النفس ومن قطع الأعضاء ومن اللطمة من أجل من فيهم لأقل عالج فغريب دخل فيهم وإلى إسقاط الأنفة والفخر إلى ضرب الظهور بالسياط وبالنعال إن شربوا خمرًا أو قذفوا إنساناً .

وإلى الضرب بالسوط والرجم بالحجارة إلى أن يموتوا إن زنوا فانقاد أكثرهم لكل ذلك طوعاً بلا طمع ولا غلبة ولا خوف ما منهم أحد أخذ بغلبة إلا مكة وخيبر فقط وما غزا قط غزوة يقاتل فيها إلا تسع غزوات بعضها له . فصح ضرورة أنهم إنما آمنوا طوعاً لا كرهاً .

وتبدلت طبائعهم بقدره الله تعالى من الظلم إلى العدل ومن الجهل إلى العلم ومن الفسق والقسوة إلى العدل العظيم الذي لم يبلغه أكابر الفلاسفة وأسقطوا كلهم أولهم عن آخرهم طلب الثأر وصحب الرجل منهم قاتل ابنه وأبيه وأعدى الناس له صحبة الأخوة المتحابين دون خوف يجمعهم ولا رياسة ينفردون بها دون من أسلم من غيرهم ولا مال يتعجلونه فقد علم الناس كيف كانت سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكيف كانت طاعة العرب لهما بلا رزق ولا عطاء ولا غلبة .

فهل هذا إلا بغلبة من الله تعالى نفوسهم كما قال ﴿ لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ ثم بقي عليه الصلاة والسلام كذلك بين أظهرهم بلا حارس ولا ديوان جند ولا بيت مال محروساً معصوماً .

وقال ابن حزم رحمه الله أيضاً قبل ذلك : كانت العرب بلا خلاف قوماً لقاحاً لا يملكهم أحد كمضر وربيعة وإياد وقضاة أو ملوكاً في بلادهم يتوارثون الملك كابرأ عن كابر كملوك اليمن وعمان وشهر بن آرام ملك صنعا والمنذر بن ساوي ملك البحرين والنجاشي ملك الحبشة وجيفر وعياد ابني الجلندي وملكي عمان فانقادوا كلهم لظهور الحق وبهوره وآمنوا به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طوعاً وهم آلاف آلاف وصاروا إخوة كني أبي وأم وانحل كل من أمكنه الانحلال عن ملكه منهم إلى رسله طوعاً بلا خوف غزو ولا إعطاء مالٍ ولا طمع في عز بل كلهم أقوى جيشاً من جيشه وأكثر مالاً وسلاحاً منه وأوسع بلدأ من بلده كذي الكلاع وكان ملكاً ابن ملوك متوجين تسجد له جميع رعيته يركب أمامه

ألف عبد من عبيده سوى بني عمه من حمير وذي ظليم وذي زود وذي مران وذي عمرو وغيرهم كلهم ملوك متوجون في بلادهم .

هذا كله أمر لا يجهله أحد من حملة الأخبار بل هو منقول كنقل كون بلادهم في مواضعها وهكذا كان إسلام جميع العرب أولاهم كالأوس والخزرج ثم سائرهم قبيلة إنما ثبت عندهم من آياته وبهرهم من معجزاته وما اتبعه الأوس والخزرج إلا وهو فريد نابذه قومه حسداً له .

إذ كان فقيراً يتيماً أمياً لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والجاهلية يرعى غنم يتقوت بها فعلمه الله تعالى الحكمة دون معلم وعصمه من كل أرادته بلا حرس وبلا حاجب ولا بواب ولا قصر يمتنع فيه على كثرة من أراد قتله من شجعان العرب وفتاكهم كعامر بن الطفيل وأريد بن جزء وغورث بن الحارث وغيرهم مع أقرار أعدائه بنبوته كمسيلمة وسجاح وطليحة والأسود وهو مكذب لهم فهل بعد هذا برهان أو أنذر الأنصار بالآثرة عليهم بعده وتابعوه على الصبر على ذلك .

قام له أصحابه على قدم فمنعهم وأنكر ذلك عليهم وأعلمهم أن القيام لله تعالى لا لخلقهم ورضوا بالسجود له فاستعظم ذلك وأنكره إلا الله وحده .

ولا شك في أن هذه ليست صفة طالب دنيا قط أصلاً ولا صفة راغب في غلبة ولا بعد صوت بل هذه حقيقة النبوة الخالصة لمن كان له أدني فهم .

ثم قال الإمام ابن حزم وأيضاً فإن سيرة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة وتشهد له بأنه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقاً فلو لم تكن له معجزة غير سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكفى وذلك أنه عليه الصلاة والسلام نشأ كما قلنا في بلاد الجهل لا يقرأ ولا يكتب ولا خرج عن تلك البلاد قط إلا خرجتين .

إحداهما إلى الشام وهو صبي مع عمه إلى أول أرض الشام ورجع والأخر أيضاً إلى أول الشام ولم يطل بها البقاء ولا فارق قومه قط ثم أوطأه الله تعالى رقاب العرب كلها فلم تتغير نفسه ولا حالت سيرته إلى أن مات ودرعه مرهونة في شعير لقوت أهله .

أصواع ليست بالكثيرة ولم يبت قط في ملكه دينار ولا درهم وكان يأكل على الأرض ما وجد ويخصف نعله بيده ويرفع ثوبه ويؤثر على نفسه وقتل رجل من أفاضل أصحابه مثل فقدته يهد عسكرياً قتل بين أظهر أعدائه من اليهود فلم يتسبب إلى دمائهم ولا إلى دم واحد منهم ولا إلى أموالهم بل فداه من عند نفسه بمائة ناقة .

وهو في تلك الحال محتاج إلى بعير واحد يتقوى به وهذا أمر لا تسمح به نفس ملك من ملوك الأرض وأهل الدنيا من أصحاب بيوت الأموال بوجه من الوجوه ولا يقتضي هذا أيضاً ظاهر السيرة والسياسة فصح يقيناً بلا شك أنه إنما كان متبعاً ما أمر به ربه عز وجل سواء كان ذلك مضراً به في دنياه غاية الإضرار أو كان غير مضر به وهذا عجيب لمن تدبره .

ثم حضرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنية وأيقن بالموت وله عم أخو أبيه هو أحب الناس إليه وابن عم هو من أحص الناس به وهو أيضاً زوج ابنته وكلاهما عنده من الفضل والدين والسياسة في الدنيا والبأس والحلم وخلال الخير ما كان كل واحد منهما حقيقاً بسياسة العالم كله فلم يحابهما وهما من أشد الناس محبة فيه وهو من أحب الناس فيهما .

إذ كان غيرهما متقدماً لهما في الفضل قاصداً أتباع ما أمر به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ولم يورث ورثته وابنته ونسائه وعمه فلساً فما فوقه وهم كلهم أحب الناس إليه وأطوعهم له ، وهذه أمور لمن تأملها كافية مغنية في أنه إنما تصرف بأمر الله تعالى له لا بسياسة ولا بهوى فوضح بما ذكرنا والله الحمد كثيراً أن نبوة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق وأن شريعته التي أتى بها هي التي وضحت براهينها واضطرت دلائلها إلى تصديقها والقطع على أنها الحق الذي لا حق سواه وأنها دين الله تعالى الذي لا دين له في العالم غيره انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

هذه قصيدة جميلة أزلنا ما فيها من الغلو وعوضنا عنه ما بين الأقواس :

كَأَنَّ نُجُومًا أَوْ مَضَّتْ فِي الْغِيَاهِبِ

عُيُونُ الْأَفَاعِي أَوْ زُرُوسُ الْعَقَارِبِ

إِذَا كَانَ قَلْبُ الْمَرْءِ فِي الْأَمْرِ حَاوِرًا

فَأَضْيَقُ مِنْ تَسْعِينِ رَحْبِ السَّبَابِ

وَتَشْغَلُنِي عَنِّي وَعَنْ كُلِّ رَاحَتِي

مَصَائِبُ تَقْفُوا مِثْلَهَا فِي الْمَصَائِبِ

إِذَا مَا أَتَيْتَنِي أَرْمَهُ مُدْلَهَمَةً

تُحِيطُ بِنَفْسِي مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ

تَطَلَّبْتُ هَلْ مِنْ نَاصِرٍ أَوْ مُسَاعِدٍ

أَلُوذُ بِهِ مِنْ خَوْفِ سُوءِ الْعَوَاقِبِ

(فَلَسْتُ أَرَى إِلَّا الَّذِي فَلَقَ النَّوَى

هُوَ الْوَاحِدُ الْمُعْطِي كَثِيرُ الْمَوَاهِبِ ()
 وَمُعْتَصِمُ الْمَكْرُوبِ فِي كُلِّ عَمْرَةٍ
 وَمُنْتَجِعُ الْغُفْرَانِ مِنْ كُلِّ هَائِبٍ ()
 مُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَّرِّ عِنْدَ دُعَائِهِ
 وَمُنْقِذُهُ مِنْ مُعْضِلَاتِ النَّوَائِبِ ()
 مُعِيدُ الْوَرَى فِي زَجْرَةٍ بَعْدَ مَوْتِهِمْ
 لِفَضْلِ حُقُوقِ بَيْنَهُمْ وَمَطَالِبِ ()
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ تَرَى الْوَرَى
 سُكَارَى وَلَا سُكْرَ بِهِمْ مِنْ مَشَارِبِ
 حُفَاةٍ عُرَاةٍ خَاشِعِينَ لِرَبِّهِمْ
 فَيَا وَبِحَ ذِي ظُلْمٍ رَهِينِ الْمَطَالِبِ
 فَيَأْتُوا لِنُوحٍ وَالْخَلِيلِ وَآدَمِ
 وَمُوسَى وَعِيسَى عِنْدَ تِلْكَ الْمَتَاعِبِ
 لَعَلَّهُمْ أَنْ يَشْفَعُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ
 لِتَخْلِيصِهِمْ مِنْ مُعْضِلَاتِ الْمَصَاعِبِ
 فَمَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ عِنْدَ هَذِهِ
 نَبِيِّيَّ وَلَمْ يُظْفِرْهُمْ بِالْمَآرِبِ
 هُنَاكَ رَسُولُ اللَّهِ يَأْتِي لِرَبِّهِ
 لِيَشْفَعَ لِتَخْلِيصِ الْوَرَى مِنْ مَتَاعِبِ

فَيَرْجِعُ مَسْرُورًا بَيْنَ يَدَيْهِ
 أَصَابَ مِنَ الرَّحْمَنِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ
 سُالِلَةُ إِسْمَاعِيلِ وَالْعِرْقُ نَاعِغُ
 وَأَشْرَفُ بَيْتٍ مِنْ لُؤْيِ بْنِ غَالِبِ
 بِشَارَةَ عَيْسَى وَالَّذِي عَنْهُ عَبَّروا
 بِشِدَّةِ بَأْسٍ بِالضَّحُوكِ الْمُحَارِبِ
 وَمَنْ أَخْبَرُوا عَنْهُ بِأَنْ لَيْسَ خُلُقُهُ
 بِفِطْرٍ وَفِي الْأَسْوَاقِ لَيْسَ بِصَاحِبِ
 وَدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ بَنَائِهِ
 بِمَكَّةَ بَيْتًا فِيهِ نَيْلُ الرَّغَائِبِ
 جَمِيلُ الْمَحْيَا أَبْيَضُ الْوَجْهِ رَبْعَةٌ
 جَلِيلُ كَرَادِيسِ أَنْجِ الْحَوَاجِبِ
 صَبِيحُ مَلِيحٍ أَدْعَجُ الْعَيْنِ أَشْكَالُ
 فَصِيحٌ لَهُ الْإِعْجَامُ لَيْسَ بِشَائِبِ
 وَأَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ خَلَقَا وَخَلَقَةٌ
 وَأَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ عِنْدَ التَّوَائِبِ
 وَأَجْوَدُ خَلْقِ اللَّهِ صَدْرًا وَنَائِلًا
 وَأَبْسَطُهُمْ كَفًّا عَلَى كُلِّ طَالِبِ
 وَأَعْظَمُ حُرًّا لِلْمَعَالِي نُهوضُهُ
 إِلَى الْمَجْدِ سَامٍ لِلْعِظَائِمِ خَاطِبِ
 تَرَى أَشْجَعَ الْفُرْسَانَ لِأَذَى بَطْهَرِهِ

إِذَا أَحْمَرَ بَأْسٌ فِي بَيْسِ الْمَوَاجِبِ
 وَأَذَاهُ قَوْمٌ مِنْ سَفَاهَةِ عَقْلِهِمْ
 وَلَمْ يَنْذَهُبُوا مِنْ دِينِهِ بِمَذَاهِبِ
 فَمَا زَالَ يَدْعُو رَبَّهُ لِهَدَاهُمْ
 وَإِنْ كَانَ قَدْ قَاسَى أَشَدَّ الْمَتَاعِبِ
 وَمَا زَالَ يَغْفُو قَادِرًا مِنْ مُسِيئَتِهِمْ
 كَمَا كَانَ مِنْهُ عِنْدَ جَبْدَةِ جَادِبِ
 وَمَا زَالَ طُولَ الْعُمُرِ لِلَّهِ مُعْرِضًا
 عَنِ الْبَسْطِ فِي الدُّنْيَا وَعَيْشِ الْمَرَارِ
 بَدِيعِ كَمَالٍ فِي الْمَعَالِي فَلَا امْرُؤٌ
 يَكُونُ لَهُ مِثْلًا وَلَا بِمُقَارِبِ
 أَنَا مُقِيمِ الدِّينِ مِنْ بَعْدِ فَتْرَةٍ
 وَتَحْرِيفِ أَدْيَانٍ وَطُولِ مَشَاغِبِ
 يَا وَيْلَ قَوْمٍ يُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ
 وَفِيهِمْ صُنُوفٌ مِنْ وَحِيمِ الْمَنَالِبِ
 وَدِينُهُمْ مَا يَفْتَرُونَ بِرَأْيِهِمْ
 كَتَحْرِيمِ حَامٍ وَاخْتِرَاعِ السَّوَابِ
 وَيَا وَيْلَ قَوْمٍ حَرَّفُوا دِينَ رَبِّهِمْ
 وَأَفْتَوْا بِمَصْنُوعٍ لِحِفْظِ الْمَنَاصِبِ
 وَيَا وَيْلَ مَنْ أَطْرَى بِوَصْفِ نَبِيِّهِ
 فَسَمَّاهُ رَبَّ الْخَلْقِ إِطْرَاءً خَائِبِ

وَيَا وَيْلَ قَوْمٍ قَدْ أَبَارَ نُفُوسَهُمْ
 تَكَلَّفُ تَزْوِيْقِي وَحُبُّ الْمَلَاعِبِ
 وَيَا وَيْلَ قَوْمٍ قَدْ أَحَفَّ عُقُولَهُمْ
 تَجَبُّرُ كِسْرَى وَاضْطِلَامُ الضَّرَائِبِ
 فَأَذْرَكُهُمْ فِي ذَاكَ رَحْمَهُ رَبِّنَا
 وَقَدْ أَوْجَبُوا مِنْهُ أَشَدَّ الْمَعَائِبِ
 فَأَرْسَلَ مِنْ عَلِيٍّ قُرَيْشٍ نَبِيَّهُ
 وَلَمْ يَكُ فِيْمَا قَدْ بَلَّوْهُ بِكَاذِبِ
 وَمِنْ قَبْلِ هَذَا لَمْ يُخَالِطْ مَدَاسَ الْ
 يَهُودِ وَلَمْ يَقْرَأْ لَهُمْ خَطَّ كَاتِبِ
 فَأَوْضَحَ مِنْهَا جِ الْهُدَى لِمَنْ اهْتَدَى
 وَمَنْ بَتَعْلِيمِ عَلِيٍّ كَلِ رَاغِبِ
 وَأَخْبَرَ عَنِ بَدءِ السَّمَاءِ لَهُمْ وَعَنْ
 مَقَامِ مَخُوفِ بَيْنِ أَيْدِي الْمُحَاسِبِ
 وَعَنْ حُكْمِ رَبِّ الْعَرْشِ فِيْمَا يُعِينُهُمْ
 وَعَنْ حِكْمِ تُرْوَى بِحُكْمِ التَّجَارِبِ
 وَأَبْطَلَ أَصْنَافَ الْخَنَى وَأَبَادَهَا
 وَأَصْنَافَ بَغْيِي لِلْعُقُوبَةِ جَالِبِ
 وَبَشَّرَ مَنْ أَعْطَى الرَّسُولَ قِيَادَةَ
 بِجَنَّةٍ تَنْعِيمٍ وَخُورٍ كَوَاعِبِ
 وَأَوْعَدَ مَنْ يَأْبَى عِبَادَةَ رَبِّهِ

عُقُوبَةً مِيزَانٍ وَعِيشَةً قَاطِبٍ
 فَأَنْجَى بِهِ مَنْ شَاءَ رَبِّي نَجَاتَهُ
 وَمَنْ خَابَ فَلْتَنْدِبُهُ شَرُّ النَّوَادِبِ
 فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ
 بِحَقِّ وَلَا شَيْءٍ هُنَاكَ بِرَائِبِ
 وَقَدْ كَانَ نُورُ اللَّهِ فِيْنَا لِمُهْتَدِ
 وَصِمَصَالِمُ تَدْمِيرٍ عَلَى كُلِّ نَاكِبِ
 وَأَقْوَى دَلِيلٍ عِنْدَ مَنْ تَمَّ عَقْلُهُ
 عَلَى أَنْ شُرِبَ الشَّرْعِ أَصْفَى الْمَشَارِبِ
 تَوَاطَى عُقُولٍ فِي سَلَامَةٍ فِكْرِهِ
 عَلَى كُلِّ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ مَطَالِبِ
 سَمَاحَةٌ شَرْعٍ فِي رِزَانَةِ شَرْعَةٍ
 وَتَحْقِيقٌ حَقِّ فِي إِشَارَةِ حَاجِبِ
 مَكَارِمِ أَخْلَاقٍ وَإِتْمَامِ نِعْمَةٍ
 نُبُوَّةٌ تَأَلِيفٍ وَسُلْطَانُ غَالِبِ
 نَصَدَقَ دِينِ الْمُصْطَفَى بِقُلُوبِنَا
 عَلَى بَيِّنَاتٍ فَهَمَّهَا مِنْ غَرَائِبِ
 بَرَاهِينُ حَقِّ أَوْضَحَتْ صِدْقَ قَوْلِهِ
 رَوَاهَا وَيُرْوَى كُلُّ شَيْءٍ وَشَائِبِ
 وَمِنْ ذَلِكَ كَمْ أُعْطِيَ الطَّعَامَ لِجَائِعِ
 وَكَمْ مَرَّةً أَسْقَى الشَّرَابَ لِشَارِبِ

وَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ قَدْ شَفِيَ مِنْ دُعَائِهِ
 وَإِنْ كَانَ قَدْ أَشْفَى لَوْجِبَةَ وَاجِبِ
 وَدَرَّتْ لَهُ شَاةٌ لَدَى أُمِّ مَعْبَدِ
 حَلِيًّا وَلَا تَسْطَاحُ حَلْبَةَ حَالِبِ
 وَقَدْ سَاخَ فِي أَرْضِ حِصَانٍ سُرَاقَةَ
 وَفِيهِ حَدِيثٌ عَنْ بَرَاءِ بْنِ عَازِبِ
 وَقَدْ فَاحَ طِيًّا كَفُّ مِنْ مَسِّ كَفِّهِ
 وَمَا حَلَّ رَأْسًا حَبْسُ شَيْبِ الدَّوَابِ
 وَأَلْقَى شَقِيَّ الْقَوْمِ فَزُرْتِ جَزُورِهِمْ
 عَلَى ظَهْرِهِ وَاللَّهُ لَيْسَ بِعَازِبِ
 فَأَلْفُوا بِبَدْرِ فِي قَلْبِ مُجَبِّثِ
 وَعَمَّ جَمِيعَ الْقَوْمِ سُؤْمُ الْمَدَاعِبِ
 وَأَخْبَرَ أَنْ أَعْطَاهُ مَوْلَاهُ نُصْرَةَ
 وَرُغْبًا إِلَى شَهْرِ مَسِيرَةِ سَارِبِ
 فَأَوْفَاهُ وَعَدَّ الرُّغْبِ وَالنُّصْرِ عَاجِلًا
 وَأَعْطَى لَهُ فَتَحَ التَّبُوكِ وَمَغَارِبِ
 وَأَخْبَرَ عَنْهُ أَنْ سَيَبْلُغُ مُلْكُهُ
 إِلَى مَا رَأَى مِنْ مَشْرِقِ وَمَغَارِبِ
 فَأَسْأَلَ رَبَّ الْأَرْضِ بَعْدَ نَبِيِّهِ
 فُتُوْحًا تُوَارِي مَالَهَا مِنْ مَنَاقِبِ
 وَكَلَّمَهُ الْأَحْجَارُ وَالْعُجْمُ وَالْحَصَى

وَتَكْلِيمِ هَذَا النُّوعِ لَيْسَ بِرَائِبٍ
 وَحَنَّ لَهُ الْجِدْعُ الْقَدِيمُ تَحْزُنًا
 فَإِنَّ فِرَاقَ الْحُبِّ أَذْهَى الْمَصَائِبِ
 وَأَعْجَبُ تِلْكَ الْبَدْرِ يَنْشَقُّ عِنْدَهُ
 وَمَا هُوَ فِي إِعْجَازِهِ مِنْ عَجَائِبِ
 وَشَقَّ لَهُ جَبْرِيلُ بَاطِنَ صَدْرِهِ
 لِعَسَلِ سَوَادٍ بِالشُّوْبِ وَوَيْدَاءِ لَازِبِ
 وَأَسْرَى عَلَى مَتْنِ الْبُرَاقِ إِلَى السَّمَاءِ
 فَيَا خَيْرَ مَرْكُوبٍ وَيَا خَيْرَ رَاكِبِ
 وَرَاعَتْ بَلِيغُ الْآيِ كُلِّ مُجَادِلِ
 خَصِيمِ تَمَادَى فِي مِرَاءِ الْمَطَالِبِ
 بَرَاعَةٌ أَسْلُوبٍ وَعَجْزٌ مُعَارِضِ
 بِلَاغَةٌ أَقْوَالٍ وَأَخْبَارُ غَائِبِ
 وَسَمَاءُ رَبِّ الْخَلْقِ أَسْمَاءُ مِدْحَةٍ
 تُبَيِّنُ مَا أَعْطَى لَهُ مِنْ مَنَاقِبِ
 رُؤُوفٍ رَحِيمٍ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ
 مُقَفَّى وَمُقْضَالٌ يُسَمَّى بِعَاقِبِ
 إِذَا مَا أَثَارُوا فِتْنَةً جَاهِلِيَّةً
 يُقَوِّدُ بِبِخْرٍ زَاخِرٍ مِنْ كِتَائِبِ
 يُقَوْمُ لِذَفْعِ الْبَأْسِ أَسْرَعَ قَوْمِهِ
 بِجَيْشٍ مِنَ الْأَبْطَالِ غُرِّ السَّلَاحِبِ

أَشِدَّاءُ لِدَفْعِ الْبَأْسِ مِنْ كُلِّ بَاسٍ
وَمِنْ كُلِّ قَرْمٍ بِالْأَسِنَّةِ لَاعِبٍ
تَوَارَتْ إِقْدَامًا وَتُوبَلًا وَجُرْأَةً
نُفُوسُهُمْ مِنْ أُمَّهَاتِ نَجَائِبٍ
جَزَى اللَّهُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
جَمِيعًا كَمَا كَانُوا لَهُ خَيْرَ صَاحِبٍ
وَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ لَا زَالَ أَمْرُهُمْ
قَوِيمًا عَلَى إِرْغَامِ أَنْفِ النَّوَاصِبِ
ثَلَاثُ خِصَالٍ مِنْ تَعَايِبِ رَبِّنَا
نَجَابَةُ أَعْقَابِ لَوْلَادِ طَالِبٍ
خِلَافَةُ عَبَّاسٍ وَدِينِ نَبِينَا
تَزَايِدُ فِي الْأَقْطَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
يُؤَيِّدُ دِينَ اللَّهِ فِي كُلِّ دَوْرَةٍ
عَصَائِبُ تَتَلَوُ مِثْلَهَا مِنْ عَصَائِبٍ
فَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَدْفَعُونَ عَدُوَّهُمْ
بِسُمْرِ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ الْقَوَاصِبِ
وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَغْلِبُونَ عَدُوَّهُمْ
بِأَقْوَى دَلِيلٍ مُفْحِمٍ لِلْمَغَاضِبِ
وَمِنْهُمْ رِجَالٌ بَيَّنُّوا شَرْعَ رَبِّنَا
وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ وَوَاجِبٍ
وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَدْرُسُونَ كِتَابَهُ

بِتَجْوِيدِ تَرْتِيلِ وَحْفِظِ مَرَاتِبِ
 وَمِنْهُمْ رِجَالٌ فَسَّرُوهُ بِعِلْمِهِمْ
 وَهُمْ عَلَّمُونَا مَا بِهِ مِنْ غَرَائِبِ
 وَمِنْهُمْ رِجَالٌ بِالْحَدِيثِ تَوَلَّوْا
 وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ صَحِيحٍ وَذَاهِبِ
 وَمِنْهُمْ رِجَالٌ مُخْلِصُونَ لِرَبِّهِمْ
 بِأَنْفُسِهِمْ خُصْبُ الْبِلَادِ الْأَجَادِبِ
 وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يُهْتَدَى بِعِظَاتِهِمْ
 قِيَامٌ إِلَى دِينِ مِنَ اللَّهِ وَاصِبِ
 عَلَى اللَّهِ رَبِّ النَّاسِ حُسْنُ جَزَائِهِمْ
 بِمَا لَا يُؤَافِي عَدُّهُ ذَهَنَ حَاسِبِ
 فَمَنْ شَاءَ فَلْيَذْكُرْ جَمَالَ بُشَيْنَةَ
 وَمَنْ شَاءَ فَلْيَغْزِلْ بِحُبِّ الرِّبَائِبِ
 سَأَذْكُرُ حُبِّي لِلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ
 إِذَا وَصَفَ الْعُشَّاقِ حُبَّ الْحَبَائِبِ
 وَيَبْدُو مُحْيَاهُ لِعَيْنِي فِي الْكِرَى
 بِنَفْسِي أَفْدِيهِ إِذَا وَالْأَقَارِبِ
 وَتَذْكُرُنِي فِي ذِكْرِهِ قَشْعَرِيَّةٌ
 مِنَ الْوَجْدِ لَا يَخْوِيهِ عِلْمُ الْأَجَانِبِ
 وَأَلْفِي لِرُوحِي عِنْدَ ذَلِكَ هَزَّةٌ
 وَأُنْسًا وَرَوْحًا فِيهِ وَثْبَةٌ وَائْتِبِ

وَإِنَّكَ أَعْلَى الْمُرْسَلِينَ مَكَانَةً
 وَأَنْتَ لَهُمْ شَمْسٌ وَهُمْ كَالثَّوَاقِبِ
 وَصَلِّ إِلَهِي كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ
 عَلَى خَاتِمِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ الْأَطْيَابِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يَعْجِزُهَا شَيْءٌ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . نَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

ومن الأدلة والبراهين والقرائن الدالة على صدق الرسل كلهم ما ذكره صاحب البرهان القاطع رحمه الله .

فأولها أنهم من أعدل الناس طريقة وأصدقهم لهجة وأكثرهم وقاراً وأقلهم طيشاً . وأزهدهم في المال والجاه وأرفضهم لحب الدعة والراحة . قد خبروا على طول الزمن ، واشتدت عليهم المحن ، واعتورت أحوالهم طوارق الفتن ، وتفاقم في الكناية لهم كيد ذوي الإحن . فما لينت الشدائد منهم صلباً لا فترت المكاييد لهم عزمياً بل كانوا كسبيكة الذهب وفلذة الياقوت . كلما ازدادت النار لها أكلا ازدادت على طول السبك حسناً ، لا حافوا في حكم على عدو ولا شهدوا بغير الحق لصديق .

قام نوح عليه ألف سنة إلا خمسين عاماً بين ظهري قومه وعشيرته وحماته من العدو وملاذه فنابذهم وجانبهم وذلهم وكفرهم ، حتى كانوا يضربونه ويهينونه ويؤذنه بأنواع الأذى ويمقتونه ، ولا يحصل له بذلك غرض دنيوي ولا مقصد عاجل ، ولا له في ذلك هوى ولا شهوة . وهذا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ آلِهِ وَسَلَّمَ عرضت عليه قريش المال والزوجة والجاه والرياسة ويترك ما يدعيه من تسفيه حلوم آبائه ، وتعنيف الأحياء والميتين من عشيرته . فلم يرفع إلى كلامهم رأساً ، ولم يلتفت إلى مقالتهم أصلاً وما أحسن البيت المشهور :

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنِ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمٍ

وكم عسى أن نذكر من فضائل لا تحصى ، ومحاسن لا تستقى .
وثانيها : معادتهم لقرباتهم ، وأرحامهم الَّذِينَ جِئْتَ مِنَ الطَّبَعِ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ ، وعلى رجاء الاستنصار لهم بحيث تركوا مناهج آبائهم التي ولع الطبع بإتباعها وعادوا عشيرتهم التي يتقى من كل عدو بمحاماتها ولقوا في الصبر عنهم الخوف ووقعوا في الدنيا لذلك في أعظم مخوف .

هذا نوح عليه السلام ترك ابنه وפלذة كبده وماء سواد عينه وريحانة فؤاده مع الغرقى وأستغفر من دعائه أن لا يهلك مع الهلكى ، وهذا إبراهيم عليه السلام تبرأ من أبيه لما تبين له أنه عدو لله وعزم على ذبح ولده الَّذِي هُوَ قَرَّةَ عَيْنِهِ وَمِزْنَةَ غَيْثِهِ وَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وأعزهم عليه .

وهذا مُحَمَّدٌ الَّذِي شَهِدَ الْعَدُوَّ وَالصَّدِيقَ بِأَنَّهُ أَمْرٌ خَلَقَ بِعَامَةِ أُمَّتِهِ دَعَاكَ عَنْكَ خَاصَّةً رَحِمَتَهُ ، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ عَاتَبَهُ عَلَى كَثْرَةِ رَحْمَتِهِ فَقَالَ ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ ترك الشناء على أمه وأبيه والذكر لهما والترحم عليهما ، وولع بذكر النجاشي وصلى عليه وأثنى علي سلمان الفارسي وأهدى ثمرات الجميل إليه وأمثالهما ممن لم يلتصق عرقه بعرقه ، ولم يلتحم نجره بنجره . وقد أجمع الأصدقاء والأعداء والكفرة والبررة على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا أعقل الناس ، وأوقر الخلق ، أما الْمُسْلِمُونَ فعقائدهم فيها ظاهرة ، وأما الكفار فيقولون إنهم بحسن تديبرهم ولطف دهائهم شرعوا شرائع وإستمالوا خلائق ، ودان لهم من الناس عوالم .

فكيف ترى هؤلاء العقلاء الحذاق يعادون أرحامهم ويصادقون من لم تتصل وشيخة نسب بينه وبينهم ويتركون ما في موالة العشيرة من الأنتصار عند الهضم والسلامة من الظلم ، ويتحملون مضار عداوتهم ، عوضاً من منافع ولا يتهم ، لغير غرض يعود عليهم ، ولا فائدة ترجع إليهم .

وثالثها : إنهم فقراء مساكين تفتحمهم العيون وتزديهم القلوب ولا يغلب في ظن عاقل ولا فراس حاذق ، أن من الفقر صفته والنزاع لجمع من في العالم طلبته يساعد على إثارة الفتن وتهييج الحروب بين البشر ، ولا يبلغ إلى أمل ، ولا يزكو له عمل .

كموسى وهرون حين أتيا فرعون لابسين لعباء الصوف ومرقعات المسوح منتقلين من مراعي الغنم إلى معارضات الملوك ، مظهرين لمخاشنتهم ، مفصحين بالترقع عليهم بغير عدة ولا مال ، ولا قوة ولا رجال . فأتياه على هذه الحال التي لا يؤبه لصاحبها ولا تمتلىء عين من النظر إلى من جاء عليها ، وجواهر التيجان تلمع على جبينه وأنطاع ضرب الأعناق معدة لمن أغضبه عن شماله ويمينه فأتياه بأعظم ما يوجب ضرب أعناقهما وأكبر ما يجزؤه على قتلهما لا ترتعد لهما فريضة ، ولا يخافان من الدنيا نقيصة .

وهذا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء إلى قريش ، وقام في جاهلية العرب ، وأنوفهم تعط بالكبر وألستتُهُمْ لا تَنْطِقُ إِلَّا بالفخر يرون أن يبيد أولهم وآخرهم ويفنى أصاغرهم وأكابرهم على أيسر عار يلم بساحتهم ، وأهون نقص يدنو من أنسابهم فجاء وحيداً من الناصر فقيراً من المال يسب ألهتهم ، ويلهب أفئدتهم ويسفه أحلامهم .

يتيم قد مات أبواه وأسترضع في غير قومه وكفله من شدة فقر أبيه عمه فيبينما هو يتيم مكفول في حجر من هب فخره مهب الجنوب والقبول إذ قام يعيب على كافلة دينه ويسفه رأيه ، ولا يستريب من شجعان العرب المشاهير أن عارضهم جميعاً ، وأنفرد بعداوتهم وحيداً .

ورابعها : حصول أغراضهم كما قال تعالى : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وكما ثبت في البخاري من حديث ابن عباس ﴿ ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ ﴾ وكذلك وقع والله الحمد .

فإن أحداً ممن طلب الدنيا والراحة والملك والرياسة من الفلاسفة والمنجمين والمشعوذين والمرجمين بل من أهل الأموال والعشائر ، وأرباب الخدم والعساكر من ملوك حمير والتبابعة والقياصرة والأكاسرة ما بلغ ممّا بلغ منه مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ المعشار ، ولا استدام له بعد موته ، ما استدام لمُحَمَّدٍ P .

وهذا نوح عليه السلام الفقير القليل الناصر الذي كان ضرب ويشتم ويهان فلا يجد ملجأ ولا معاذاً ولا منقذاً ولا مجيراً من الخلق نبعت له الأرضون عيوناً والسموات غيوثاً حتى كان من عجيب غرق قومه ما كان . ولم يستطيع دفع ما جاء به إنس ولا جان .
ومن أدل ذلك على الله الخسف بأهل السب من اليهود قرده وذلك مما يحصل به العلم الضروري لمن شاهده أو تواتر له ، لأن تحول الصورة إلى صورة أخرى لا يكون بالطبع ، ولا تدخل فيه شبهة لأهل الكفر .

وخامسها : زهدهم في الدنيا وإطراحهم للأهوى وقلقهم من هول المعاد الآخروي . وتقطع نياط قلوبهم من الخوف للعذاب السرمدي . وهو شيء علم منهم أنه جد لا مزاح فيه ولا هزل وحق لا تصنع فيه ولا تكلف . وكيف والتكلف لا تخفي آثاره .
ولا تستمر أحواله . زفراهم كانت متصعدة ، ونيار خوفهم لم تزل متوقدة ، ومدامع عيونهم لم تبرح مترققة ، وعلى وجنات حدودهم متدفقة ، وعيونهم غائرة وعزماهم باترة ، وأجسادهم ناحلة ، ونفوسهم عن الدنيا مائلة ، وشفاهم من ظمأ الهواجر ذابلة ، وألسنة أحوالهم في خطاب مولاهم قائمة :

وَقَدْ صُمْتُ عَنْ لَذَاتِ نَفْسِي كُلِّهَا وَيَوْمَ لِقَائِكُمْ ذَاكَ فِطْرُ صِيَامِي

كان عيسى عليه السلام دابته رجلاه وسراجة القمر ، و فراشه المدر ومتاعه الشجر داره الأرض ، ترى خضرة الشجر من شفيف بطنه . لا تنقص الشدائد عقدة عمه عزمه .
وكان مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ آله وَسَلَّمَ يصلي حتى تورمت دماه ويسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل فقيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : ﴿ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ .

ولما أخطأ داود عليه السلام كان يبكي وينوح حتى نبت العشب من دمعه المسفوح ، ونقش خطيئته على كفه وحزن حزن الثكلى على ذنبه . فليت شعري أي غرض يقدر أنه يحصل لهم ويظن أنه أربهم حتى قطعوا أعمارهم على هذه الطريقة وأداموا تحملهم لهذه الأعباء

الثقيله ، أطلب العيش في الدنيا ورجاء الظفر بالأهواء ، فقد عاش سقط الناس بأيسر من ذلك ونيلت بأهون سعي ملاذ المعاش وقد ملكوها على ما يأتي بيانه فلم يلتفتوا إليها ، ورجبوا عنها ولم يرغبوا فيها . وتنزهت عنها شرائف أحوالهم . وأنشد لسان حالهم :

تَجَرَّدَ عَنِ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدٌ

وسادسها : إن جمعاً منهم تمكنوا من الدنيا واستولوا على ما يجب الناس منها فلم تتغير لهم طريقة ، ولم تتحول لهم سجية . ملك سليمان عليه السلام ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فخدمته الطير وحشرت له ، وحملته الريح على متن الهواء وسخرت له ، ودانت له ملوك الإنس .

وخضعت له عفاريت الجن ، وكان البساط يحمله في أرجاء الأجواء مستقراً على متن الريح الخفاقة والهواء . وكانت الطير تظله ، وكانت الأرض في يده وكانت أو امره مطاعة ، والخلائق له طائعة .

ومع ذلك كان يأكل من كد يده ويتواضع على عظيم ملكه حتى إختار من الحرف أهضمها للنفس وأقمعها لجامع الهوى وهو الخوض أي الحصر الذي يرتفع عنه أكثر السوقة ولا يرتضيه من له أدني عزة . فما تراه يريد بهذا وإلى أي شيء من الدنيا يتوصل به .

وسابعها : قوة يقينهم بمواعيد الله وتسليمهم نفوسهم لما أمر الله وإن كان في ظاهره كالجناية على النفس ، والإلقاء بها إلى التهلكة كقول نوح وحده لقومه مع كثرتهم وقوتهم «ثم اقضوا إلى ولا تنظرون» ونحو ذلك قَالَ هود وَمَنْ ذَلِكَ إلقاء أم موسى له في البحر وهو طفل .

ومنه نهي رَسُولُ اللَّهِ لأصحابه عن حراسته بعد قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ

وثامنها : أنها ظهرت عليهم خوارق العادات وبواهر المعجزات من غير ممارسة لشيء من علوم الطبائعيين والمرتاضين ، والمتفلسفين والمنجمين والمتكهنين المصاحبين للجن والشياطين

وأخبروا عن الغيوب ووصلوا في خرق العادات إلى مرتبة قصر عنها أهل الدراية في فنون هذه العلوم .

هذا الكليم فعل مع السحرة ما فعل حتى كانوا هم المقرين له والشاهدين بأن الحق معه ، وهم ألوف يحص بخبرهم العلم ، ويستحيل تواطؤهم على الكذب وكيف وسيف فرعون على أعناقهم مسلول ، ودفع كيده بسوى الله غير مأمول . وهذا عيسى عليه السلام أحيا الموتى وأبرأ الأكمة والأبرص وهذا مُحَمَّد جاء بنوع من الإعجاز لا يتصور فيه السحر ولا تعقل فيه التعمية قرآن بلى فشييب الدهر وإعجازه جديد ، وهم شباب الزمان ورنقه إلى مزيد فأسكت به مصافحة العرب العرياء والمفلقين من البلغاء والفصحاء والشعراء والخطباء

قد مضى الآن إحدى وثمان مائة سنة «قلت وهذا بالنظر إلى زمن صاحب الأدلة والبراهين وأما الآن فقد مضى أربعة عشر قرناً» ولم يأت له فيها معارض على أن هذه المدة الطويلة منذ هاجر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مرت على سحرة الكتابة والخطباء ونقضت عن مهرة البرعة أساة أساليب الكلام إذا أعتل وبناء أساسات البيان إذا أختل :

يَرْمُونَ بِالْحَطْبِ الطَّوَالِ وَتَارَةً وَحَيِّ الْمَلَا حِظِ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ

فانظر كيف تقضت السني والأعوام وتصرمت الليالي والأيام . ولم يأت أحد من هؤلاء البلغاء بمثل هذا القرآن ولا بسورة من مثله . تصديقاً لما جاء به مُحَمَّد من قوله عز سلطانه ﴿قُلْ لَّيِّنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ أ.هـ.

اللَّهُمَّ اسلك بنا سبيل النجاة ، وبلغ كلامنا ما أمله ورجاه واجعل لنا عندك أعظم قدر وجاه ، ولا تحرمنا من فضلك العظيم يا أكرم الأكرمين .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ فِي كِتَابِ الْأَرْبَعِينَ فِي أَصُولِ الدِّينِ : واعلم أن الرسل كانت له معجزات كثيرة سوى القرآن والعلماء أو ردوا في ذكرها كتباً وضبط القول فيها أن نقول معجزاته عليه السلام قسمان حسية وعقلية . أما الحسية فتلاثة أقسام : أحدها أمور خارجة عن ذاته ، وثانيها أمور في ذاته ، وثالثها أمور في صفاته :

أما القسم الأول : وهو الأشياء الخارجة عن ذاته فهو كانشقاق القمر واجتذاب الشجر إليه ، وتسليم الحجر عليه ، ونبوع الماء من بين أصابعه ، وإشباع الخلق الكثير من الطعام القليل ، وحنين الخشب ، وشكاية الناقة وشهادة الشاة المشوية ، وإظلال السحاب قبل بعثته ، وما كان من حال أبي جهل وصخرته حين أَرَادَ أن يضربها على رأسه وما كان من شاة أم معبد حين مسح يده على ضرعها .

وأما القسم الثاني : وهو الأحوال العائدة إلى ذاته فهو مثل النور الذي كان ينتقل من أب فأب إلى أن خرج إلى الدنيا ، وما كان من الخاتم ، وما شوهده من خلقتة وصورته التي يحكم علم الفراسة بأنها دالة على نبوته .

وأما القسم الثالث : وهو ما يتعلق بصفاته فهي كثيرة ونحن نشير إلى بعضها .
فالأول : أن أحداً ما سمع منه لا في مهمات الدين ولا في مهمات الدنيا كذبا البتة ولو صدر عنه الكذب مرة واحدة لاجتهد أعداؤه في تشهيره وإظهاره .

الثاني : أنه ما أقدم على فعل قبيح لا قبل النبوة ولا بعدها وإن عظم الخوف مثل يوم أحد ويوم الأحزاب . وهذا يدل على أنه كان قوي القلب بمواعيد الله حيث قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ .

الرابع : أنه كان عظيم الشفقة والرحمة على أمته قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ .

الخامس : إنه عليه السلام كان في عظم الدرجات في السخاوة .
السادس : أنه ما كان للدنيا في قلبه وقع وأن قريشاً عرضوا عليه المال والزوجة والرياسة حتى يترك هذه الدعوى فلم يلتفت إليهم .

السابع : أنه كان في غاية الفصاحة ، كما قَالَ « أوتيت جوامع الكلم » .
الثامن : أنه مضى على طريقته المرضية في أول عمره إلى آخره والكذاب المزور لا يمكنه ذلك وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

التاسع : أنه كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع أهل الدنيا والثروة في غاية الترفع ومع الفقراء والمساكين وأهل الدين في غاية التواضع .

العاشر : إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان في كل واحدة من هذه الصفات والأخلاق في الغاية القصوى من الكمال كان مستجمعاً لها بأسرها ولم يتفق ذلك لأخذ من الخلق فكان اجتماعهما في ذاته من أعظم المعجزات .

وأما المعجزات العقلية فهي ستة أنواع :

النوع الأول : إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما ظهر من قبيلة ما كانوا من أهل العلم بل كان بلدة ما كان فيها أحد من العلماء ، بل كانت الجهالة غالبية عليهم ، ولم ينفق له سفر من تلك البلدة إلا مرتين إلى الشام وكانت مدة تلك المسافة قليلة ولن يذهب أحد من العلماء والحكماء إلى تلك البلدة حتى يقال إنه تعلم من ذلك الحكيم .

وإذا خرج من مثل هذه البلدة ومثل هذه القبيلة إنسان من غير أن يمارس شيئاً من العلوم ولا تتلمذ لأحد من العلماء البتة ثم بلغ في معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه هذا المبلغ العظيم الذي عجز جميع الأذكياء من العقلاء عن القرب منه بل أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزداد في تقرير الدلائل على ما ورد في القرآن .

ثم ذكر قصص الأولين وتواريخ المتقدمين بحيث لم يتمكن أحد من الأعداء أن يقول إنه أخطأ في شيء منها ، بل بلغ كلامه في البعد عن الريب والشك إلى أن قال عند مجادلهم إياه ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ ﴾ .

ولم يقدر أحد أن يقول إنه طالع كتاباً ولا تتلمذ لأستاذ وكانت هذه الأحوال ظاهرة معلومة للأصدقاء والأعداء على ما قال : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

وكل من له عقل سليم وطبع مستقيم علم أن هذه الأحوال لا تتيسر إلا بالتعليم الإلهي الرباني

النوع الثاني : أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان قبل إظهار دعواه الرسالة والنبوة ما كان يشرع في هذه المسائل الآلهية وما كان يبحث عنها وما جرى على لسانه قط حديث النبوة والرسالة .

والذي يدل على صحة قولنا أنه لو اتفق له شروع في هذه الطالب والمباحث قبل إظهار إدعاء النبوة لقال الكفار له إنك أفنيت عمرك في التدبر والتأمل وتحصيل الكلمات حتى قدرت الآن على إظهارها .

ولما لم يذكر هذا الكلام أحد من الأعداء مع شدة حرصهم على الطعن فيه وفي نبوته علمنا أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما كان شارعاً قبل إظهار النبوة في شيء من هذه العلوم . ومعلوم أن من أنقضي من عمره أربعون سنة ولم يخص في شيء من هذه المطالب العلمية ثم إنه خاض فيها واحدة وأتى بكلام عجز الأولون والآخرون عن معارضته بل أنقضي الآن قريب من ستمائة سنة قلت وهذا بالنظر إلى زمن صاحب كتاب الأربعين في أصول الدين وأما الآن فقد مضى أربعة عشر قرناً وما أحد يمكنه إقامة المعارضة ، فصريح العقل بأن هذا لا يكون إلا عللاً سبيل الوحي والتنزيل أ هـ .

وَتَلَحَّظُنِي مُلَا حَظَّةَ الرَّقِيبِ	شِعْرًا: تُغَارِزُنِي الْمَنِيَّةُ مِنْ قَرِيبِ
بِحَطِّ الدَّهْرِ أَسْطَرُهُ مَشِيبي	وَتَنْشُرُ لِي كِتَابًا فِيهِ طَيِّبِ
يَلُوحُ لِكُلِّ أَوَابٍ مُنِيبِ	كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضُ
وَقَدَّمَا كُنْتُ رِيَّانَ الْقَضِيبِ	أَرَى الْأَعْصَارَ تَعَصِرُ مَاءَ عُودِي
فَعَوَّضْتُ الْبَغِيضَ مِنَ الْحَبِيبِ	أَدَالَ الشَّيْبُ يَا صَاحِ شَابِي

وَبَدَلْتُ التَّاقِلَ مِنْ نَشَاطِي
كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَغْلُوهَا اصْفِرَارُ
تُحَارِبُنَا جُنُودٌ لَا تُجَارِي
هِيَ الْأَقْدَارُ وَالْأَجَالُ تَأْتِي
تُفَوِّقُ أَسْهُمًا عَنِ قَوْسِ غَيْبٍ
فَأَنَّى بِاخْتِرَاسٍ مِنْ جُنُودٍ
وَمَا آسَى عَلَى الدُّنْيَا وَلَكِنْ
فِيَا لَهْفِي عَلَى طُولِ اغْتِرَارِي
إِذَا أَنَا لَمْ أَنْحِ نَفْسِي وَأَبْكِي
فَمَنْ هَذَا الَّذِي بَعْدِي سَيِّبِكِي
وَمِنْ حُسْنِ النَّصَارَةِ بِالشُّحُوبِ
إِذَا جَنَحَتْ وَمَالَتْ لِلْغُرُوبِ
وَلَا تُلْقَى بِآسَادِ الْحُرُوبِ
فَتَنْزِلُ بِالْمُطَبَّبِ وَالطَّيِّبِ
وَمَا أَغْرَاضُهَا غَيْرُ الْقُلُوبِ
مُؤَيَّدَةً تُمَدُّ مِنَ الْغُيُوبِ
عَلَى مَا قَدْ رَكِبْتُ مِنَ الدُّنُوبِ
وَيَا وَيْحِي مِنَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ
عَلَى حَوْبِي بِتَهْتَانِ سَكُوبِ
عَلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبِ ؟

اللَّهُمَّ طهر قلوبنا بالتوبة النصوح من الفساد واجمع قلوبنا على محبتك وخشيتك وأهدنا إلى أقرب الطريق إليك والله أعلم وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

« فَضْلٌ » (فوائد متنوعة ومواعظ نافعة)

قَالَ فِي الْفُنُونِ مِنْ عَجِيبٍ مَا نَقَدْتُ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ كَثْرَةَ مَا نَاحُوا عَلَى خَرَابِ الدِّيَارِ
وَمَوْتِ الْأَقَارِبِ وَالْأَسْلَافِ وَالتَّحَسُّرِ عَلَى الْأَرْزَاقِ بِذَمِّ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ وَذَكَرَ نَكَدَ الْعَيْشِ فِيهِ .
وَقَدْ رَأَوْا مِنْ انْهَادِ الْإِسْلَامِ وَشَعَثِ الْأَدْيَانِ وَمَوْتِ السَّنَنِ وَظَهْوَرِ الْبَدْعِ وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي
وَتَقْضِي الْعَمْرِ فِي الْفَارِغِ الَّذِي لَا يَجْدِي وَالْقَبِيحِ الَّذِي يُؤْبِقُ وَيُؤْذِي فَلَا أَجْدَ مِنْهُمْ مِنْ نَاحِ عَلَى
دِينِهِ وَلَا بَكَى عَلَى فَارِطِ عَمْرِهِ وَلَا آسَى عَلَى فَائِثِ دَهْرِهِ .
وَمَا أَرَى لِذَلِكَ سَبَبًا إِلَّا قَلَّةَ مِبَالَاتِهِم بِالْأَدْيَانِ وَعَظَمَ الدُّنْيَا فِي عِيُونِهِمْ ضِدَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ
السَّلْفُ الصَّالِحُ يَرْضُونَ بِالْبَلَاحِ وَيُنَوِّحُونَ عَلَى الدِّينِ ، قَلْتُ فَكَيْفَ لَوْ

رأى أهل هذا الزمن اللّذي كثرت فيه المعاصي والملاهي وانفتحت فيه الدنيا على كثير من الناس فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن عجيب ما رأيت أنا أن أحدنا إذا ناداه أمير أو وزير أو مساعد أو مدير يبادر ويقوم بسرعة لداعي الدنيا ولا يتأخر ويسمع داعي الله يدعوه إلى الصلاة التي هي الصلة بينه وبين ربه جل وعلا وتقدس فيتثاقل ولا يهتم لها وإن قام بعد التريث فكأنه مكره يدفع إليها دفعا عكس ما عليه السلف الصالح من المبادرة والمرابطة وترك الأعمال فوراً عند ما يسمعون (حي على الصلاة حي على الفلاح) وكثير من المساجد عندهم تجد الصف الأول يتم قبل الأذان وقد ازداد الطين بلة بما حدث عندنا من المنكرات قتالة الأوقات ، مفرقة النفوس والأبدان ، ومشتت القلوب ، وذلك كالتلفزيون والمذياع والفيديو والجرائد والمجلات ومخالطة المنحرفين والفاستقين والمنافقين والكافرين والمجرمين أبعدهم الله .

سَيِّرُ الْمَنَائِيَا إِلَىٰ أَعْمَارِنَا حَبْبُ
فَمَا تَبِينُ وَلَا يَعْتَاقُهَا نَصَبُ
كَيْفَ النَّجَاءِ وَأَيْدِيهَا مُصَمَّمَتٌ
بِذَبْحِنَا بِمُدِيٍّ لَيْسَتْ لَهَا نَصَبُ
وَهَلْ يُؤَمِّلُ نَيْلَ الشَّمْلِ مُلْتَمِمًا
سَفَرٌ لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ رِحْلَةً عَجَبُ
وَمَا إِقَامَتِنَا فِي مَنْزِلٍ هَتَفَتْ
فِيهِ بِنَا مُدَّ سَكَنًا رُبْعَهُ نُوبُ
وَأَذُنَّتْنَا وَقَدْ تَمَّتْ عِمَارَتُهُ
بِأَنَّهُ عَن قَرِيبٍ دَائِرُ خَرِبُ
أَزْرَتْ بِنَا هَذِهِ الدُّنْيَا فَمَا أَمَلُ
إِلَّا لِرَيْبِ الْمَنَائِيَا عِنْدَهُ أَرْبُ
هَذَا وَلَيْسَتْ سِهَامُ الْمَوْتِ طَائِشَةٌ
وَهَلْ تَطِيشُ سِهَامُ كُلُّهُ نَصَبُ
وَنَحْنُ أَغْرَاضُ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ بِهَا
قَبْلَ الْمَمَاتِ فَمَرْمِيٍّ وَمُرْتَقِبُ
أَيَّنَ الَّذِينَ تَنَاهَوْا فِي إِبْتِئَانِهِمْ
صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فَاثْقَلُوا

قال ابن القيم رحمه الله كل آفة تدخل على العبد فسيبها ضياع القلب

وفساد القلب يعود بضياح حقه من الله تعالى ونقصان درجته ومنزلته عنده .
ولهذا أوصى بعض الشيوخ فقَالَ احذروا مخالطة من تضيع مخالطته الوقت وتفسد القلب
فإن ضاع الوقت وفسد القلب انفرطت على العبد أموره كلها وكان ممن قَالَ الله فيه ﴿وَلَا تُطْعَمَنَّ
مَنْ أَعْقَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ .

ومن تأمل حال هذا الخلق وجددهم كلهم إلا أقل القليل ممن غفلت قلوبهم عن ذكر الله
تعالى الَّذِي به تحيا القلوب وتطمئن وتتبعوا أهواءهم وصارت أمورهم ومصالحهم فرطاً أي فرطوا
فيما ينفعهم ويعود عليهم بمصالحهم ، واشتغلوا بما لا ينفعهم بل بما يعود بضرهم عاجلاً
وآجلاً .

وهؤلاء قد أمر الله سبحانه رسوله ألا يطيعهم فطاعة الرسول لا تتم إلا بعدم طاعة هؤلاء
لأنهم إنما يدعون إلى ما يشاكلهم من أتباع الهوى والغفلة عن ذكر الله .
والغفلة عن ذكر الله والدار الآخرة متى تزوجت بأتباع الهوى تولد بينهما كل شر وكثيراً ما
يقترن أحدهما بالآخر ولا يفارقه .

ومن تأمل فساد أحوال العالم عموماً وخصوصاً وجده ناشئاً عن هذين الأصلين فالغفلة
تحول بين العبد وبين تصور الحق ومعرفته والعلم به فيكون بذلك من الضالين ، وأتباع الهوى
يصدده عن قصد الحق وإرادته وأتباعه ، فيكون من المغضوب عليهم .

وأما المنعم عليهم فهم الَّذِينَ من الله تعالى عليهم بمعرفة الحق علماً وبالانقياد إليه وإيثاره
عما سواه عملاً وهؤلاء هم الَّذِينَ على سبيل النجاة ومن سواهم على سبيل الهلاك .

ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقول كل يوم وليلة عدة مرات ﴿ اِهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٥١﴾ .
 فإن العبد مضطر إلى أن يكون عارفاً بما ينفعه في معاشه ومعاده وأن يكون مؤثراً مريداً لما
 ينفعه محتسباً لما يضره فبمجموع هذين قد هدى إلى الصراط المستقيم فإن معرفه ذلك سلك
 سبيل الضالين .

وإن فاته قصده وأتباعه سلك سبيل المغضوب عليهم وبهذا تعرف قدر هذا الدعاء العظيم
 وشدت الحاجة إليه سعادة الدنيا والآخرة عليه .

وَقَالَ آخِرَ حَافِظٍ عَلَى الْأَوْقَاتِ فَإِنَّ الْوَقْتَ رَأْسُ الْمَالِ وَلَا تَضِيعُهَا بِالْفَرَاغِ وَأَمْلَأُهَا بِالْإِفَادَةِ
 أَوْ الْإِسْتِفَادَةِ أَوْ بِهَمَا جَمِيعاً وَاعْرِفْ مَا يَذْهَبُ بِهِ لَيْلِكَ وَنَهَارُكَ وَجِدِّدْ تَوْبَتَكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ .
 وقسم وقتك ثلاثة قسم لطلب العلم وقسم للعمل الذي تستعين به على مصالح دنياك
 وآخرتك وقسم لحقوق نفسك وما يلزمك واعتبر بمن مضى وتفكر في منصرف الفريقين بين
 يدي الله جل وعلا وتقدس فريق في الجنة وفريق في السعير .

واستحضر قرب الله منك كما في الحديث فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأكرم الكتبة الحافظين
 فقد أوصى رسول الله بالجار من الناس الذي بينك وبينه جدار وأحجار فكيف بالجار الكريم
 الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ وَقَالَ جَل
 وعلا وتقدس ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ ﴿٥٣﴾ .

فرعاية جواره أحق وإكرام قربه أوجب لأنه أسبق وألصق وليس بينك وبينه جدار ولا
 أحجار ولا حائل ومع الأسف الشديد أن الأذية لهما لا تفتقر على مر الساعات ولكن مقل
 ومكثر .

شِعْرًا: وَوَكَّلَ اللَّهُ مِنَ الْكِرَامِ ائْتَيْنِ حَافِظِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ
 فَيَكْتُبَانِ كُلَّ أَفْعَالِ الْوَرَى كَمَا أَنِّي بِالنَّصِّ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا

قال بعضهم :

تَنَكَّرَ مَنْ كُنَّا نُسِرُّ بِقُرْبِهِ وَصَارَ زُعَافًا بَعْدَ مَا كَانَ سَلْسَلًا
 وَحَقَّ لِحَجَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ جَارُهُ وَلَا لَا أَمْتَهُ الدَّرُّ أَنْ يَتَحَوَّلَا
 آخِرُ: كُنْ لَيْنًا لِلحَجَارِ وَأَحْفَظْ حَقَّهُ كَرَمًا وَلَا تَكُ لِلْمُجَاوِرِ عَقْرَبًا
 وَأَحْفَظْ أَمَانَتَهُ وَكُنْ عِرًّا لَهُ أَبَدًا وَعَمَّا سَاءَهُ فَتَجَنَّبَا

علامة صحة الإرادة أن يكون همُّ المرید رضاء ربه واستعداده للقائه وحزنه على وقت في غير مرضاة ربه وأسفه على قربه والأنس به وجماع ذلك أن يصبح ويمسي وليس له هم غيره .
 وَقَالَ : أعظم الإضاعات هما أصل كل إضاعة القلب وإضاعة الوقت ، إضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة وإضاعة الوقت من طویل الأمل .

فاجتمع الفساد كله في أتباع الهوى وطول الأمل والصلاح كله في أتباع الهدى والاستعداد للقائه الله والله المستعان .

الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين وليس لهم حظٌّ عن رحالهم إلا في الجنة أو النار والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار .

ومن المحال عادة أن يطلب فيها نعيم ولذة وراحة إنما ذلك بعد انتهاء السفر ومن المعلوم أن كل وطأة قدم أو كل آن من آتات السفر غير واقفة ولا المكلف واقف . وقد ثبت أنه مسافر على الحال التي يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد الموصل وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير .

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارٍ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارٍ
 جُبِلَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ
 فَاقْضُوا مَا رَبُّكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ

قال بعض العلماء : يا إخواني اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر كما نرجوا من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف ونحاذر لم نقل ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ نقول قد عملنا فلم ينفعنا .

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ الْجَدِّ وَالْحَذَرِ الْحَذَرِ فَإِنَّ الْأَمْرَ عَلَيَّ مَا تَرْجُونَ كَانَ مَا قَدِمْتُمْ فَضْلاً وَإِنْ يَكُنْ الْأَمْرُ عَلَيَّ غَيْرَ ذَلِكَ لَمْ تَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ الْفُقَرَاءِ مَرَّةً وَقَدْ رَأَى عَلَيْهِ أَثَرَ الْجُوعِ وَالضَّرِّ : لَمْ لَا تَسْأَلْ لِيُعْطُوكَ ، قَالَ أَحَافٌ أَنْ أَسْأَلَهُمْ فَيَمْنَعُونِي فَلَا يَفْلِحُوا ، وَقَدْ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : « لَوْ صَدَّقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مِنْ مَنَعِهِ » .

المراحل التي يمر بها الخلق ستة :

السفر الأول سفر السلالة من الطين .

السفر الثاني سفر النطفة من الظهر إلى الباطن .

السفر الثالث من البطن إلى الدنيا .

السفر الرابع من الدنيا إلى القبور .

السفر الخامس من القبور إلى العرض للحساب .

السفر السادس من العرض إلى منزل الإقامة .

وقد قطعنا نصف السفر نسأل الله الإعانة والسداد والله أعلم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

شِعْرًا :

حَيَاتُكَ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ بِقَاوِمِهَا

وَدُنْيَاكَ يَا هَذَا شَدِيدٌ عَنَاوِمِهَا

وَلَا خَيْرَ فِيهَا غَيْرَ زَادٍ مِنَ التَّقَى

يُنَالُ بِهِ جَنَاتٌ عَذْبٌ وَمَاوِمِهَا

بَلَىٰ إِنَّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ مَطِيَّةٌ
 عَلَيْهَا بُلُوعُ الْخَيْرِ وَالشَّرُّ دَاوُّهَا
 وَمَنْ يَزْرَعِ التَّقْوَىٰ بِهَا سَوْفَ يَجْتَبِي
 ثَمَارًا مِنَ الْفِرْدَوْسِ طَابَ جَنَاؤُهَا
 نُؤْمِلُ أَنْ نَبْقَىٰ بِهَا غَيْرَ أَنْنَا
 عَلَىٰ تِقَةٍ أَنْ الْمَمَاتِ انْتِهَائُهَا
 فَكُنْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فِي الْخَيْرِ رَاغِبًا
 يُلُوحُ مِنَ الطَّاعَاتِ فِيكَ بِهَاؤُهَا
 وَجَانِبِ سَبِيلِ الْعَيِّ وَاتْرُكْ مَعَاصِيًا
 يُذِيْبُكَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ لَهَاؤُهَا
 فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَمُوتَ بِمَشْهَدٍ
 يُسَاعِدُ مِنْ نَاحَتِكَ عَلَيْكَ بُكَاءُهَا
 وَتَنْزِلُ قَبْرًا لَا أَبَالَكَ مُوحِشًا
 تَكُونُ تُرَىٰ أُمَّ عَلَيْكَ ثَرَاؤُهَا
 وَتَبْقَىٰ بِهِ ثَاوٍ إِلَىٰ الْحَشْرِ وَالْجَزَاءِ
 وَنَفْسُكَ يَبْدُو فِي الْحِسَابِ جَزَاؤُهَا
 فَمَا تَكُونُ النَّفْسُ ثُمَّ سَعِيدَةٌ
 فَطُوبَىٰ وَإِلَّا فَالضَّرِيْعُ غِذَاؤُهَا
 يُسَاقُ جَمِيعُ النَّاسِ فِي مَوْقِفِ الْقَضَا
 وَتُنْشَرُ أَعْمَالُ يَمِينٍ وَبَاؤُهَا
 هُنَالِكَ تَبْدُو لِلْعَبَادِ صَحَائِفُ

فَتَوَضَّعُ فِي الْمِيزَانِ وَالذَّنْبُ دَاوُّهَا
 وَكَمٍ مِنْ ذَلِيلٍ آخِذٍ بِشِمَالِهِ
 صَحِيفَتُهُ السَّوْدَا الشَّدِيدُ بِلَاؤُهَا
 وَأَخْرُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ أَخِذٌ
 صَحِيفَتُهُ الْبَيْضَاءُ طَابَ لِقَاؤُهَا

اللَّهُمَّ يَا حي يا ذا الجلال والإكرام يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، أجمع بيننا وبين الصدق
 والنية الصالحة ، والإخلاص والخشوع والمراقبة ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما خمس من كن فيه سعد في الدنيا
 والآخرة ، أولها أن يذكر لا إله إلا الله محمداً رسول الله وقتاً بعد وقت .
 وإذا أتتلى ببليّة قال إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وإذا أعطي
 نعمة قال الحمد لله رب العالمين شكراً للنعمة .

وعن سفيان الثوري أنه قال اختار الفقراء خمساً واختار الأغنياء خمساً اختار الفقراء راحة النفس
 ، وفراغ القلب ، وعبودية الرب ، وخفة الحساب والدرجة العليا ،
 وإذا ابتدأ في شيء قال بسم الله الرحمن الرحيم
 وإذا أفرط منه ذنباً قال استغفر الله العظيم وأتوب إليه .

واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وعبودية الدنيا وشدة الحساب والدرجة السفلي
 شعراً: يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا تَأْهَبُ وَانْتَظِرْ يَوْمَ الْفِرَاقِ
 وَأَعِدْ زَادًا لِلرَّحِيلِ فَسَوْفَ يُخَدَى بِالرِّفَاقِ
 وَابِكِ الدُّنُوبَ بِأَذْمَعِ تَنْهَلُ مِنْ سُحْبِ الْمَآقِ
 يَا مَنْ أَضَاعَ زَمَانَهُ أَرْضِيَتْ مَا يَفْنَى بِبَاقِ
 آخِر: أَلَيْسَ إِلَى الْآجَالِ نَهْوَى وَخَلْفَنَا مِنْ الْمَوْتِ حَادٍ لَا يُغْبُ عَجُولُ

وَمَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا بَعَيْنِ حَقِيقَةٍ تَيَقَّنَ أَنَّ العَسَشَ سَوْفَ يَرْوُلُ
وَمَا هَذِهِ الأَيَّامُ إِلَّا فَوَارِسُ تُطَارِدُنَا وَالنَّائِبَاتُ خِيُولُ

وَقَالَ بعضهم العجلة تحسن في تجهيز الميت ، وتزويج البنت إذا بلغت ، وقطف الثمرة إذا استوت ، وقضاء الدين إذا وجب ، والتوبة من الذنب إذا فرط ، وإطعام الضيف إذا نزل .
وَقَالَ عثمان رضي الله عنه إن المؤمن في ستة أنواع من الخوف ، أحدها من قبل الله تعالى أن يأخذ منه الإيمان، والثاني من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما يفتضح به يوم القيامة .
والثالث من قبل الشيطان أن يبطل عمله ، والرابع من قبل ملك الموت أن يأخذه في غفلة بغتة ، والخامس من قبل الدنيا أن يغتر بها وتشغله عن الآخرة ، والسادس من قبل الأهل والعيال أن يشتغل بهم فيشغلونه عن ذكر الله تعالى .

وَقَالَ أيضاً أضيع الأشياء عشرة عالم لا يسأل عنه ، وعلم لا يعمل به ، ورأي صواب لا يقبل ، وسلاح لا يستعمل ومسجد لا يصلى فيه ، ومصحف لا يقرأ فيه ، ومال لا ينفق منه وخيل لا تركب ، وعلم الزهد في بطن من يريد الدنيا ، وعمر طويل لا يتزود صاحبه فيه لسفره .

وَقَالَ إبراهيم بن أدهم حين سأله عن قول الله تعالى ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وأنا ندعوه فلم يَسْتَجِبْ لَنَا فَقَالَ ماتت قلوبكم من عشرة أشياء ، أولها إنكم عرفتم الله ولم تؤدوه حقه ، وقرأتم كتاب الله ولم تعملوا به ، وادعيتم عداوة إبليس وواليتموه .
وادعيتم حب الرسول وتركتم أثره وسنته ، وادعيتم حب الجنة ولم تعملوا لها ، وادعيتم خوف النار ولم تنتهوا عن الذنوب ، وادعيتم أن الموت حق ولم تستعدوا له ، واشتغلتم بعيوب غيركم وتركتم عيوب أنفسكم ، وأكلتم رزق الله ولا تشكرونه .

شِعْرًا: قَدْ قَلْتُ لِلنَّفْسِ وَبَالِغَتْ
يَا نَفْسُ قَدْ قَصَّرْتِ مَا قَدْ كَفَى
وَزِدْتُ فِي العُتْبِ وَأَكْثَرْتُ تَيَقُّظِي قَدْ قَرُبَ الوُقُوتُ
قَدْ سَبَقَ النَّاسُ وَخُلِّقْتُ جُدِّي عَسَى أَنْ تُدْرِكِي مَا مَضَى

أَنَا الَّذِي قَدْ قُلْتُ دَهْرًا غَدًا أَتُوبُ مِنْ ذَنْبِي فَمَا تُبْتُ
لَوْ كُنْتُ ذَا عَقْلٍ لَمَا حَلَّ بِي نُحْتُ عَلَى نَفْسِي مَا عِشْتُ
وَاحْسَرْتِي يَوْمَ حِسَابِي إِذَا وَقَفْتُ لِلْعَرُضِ وَحُوسِبْتُ
وَاحْجَلْتِي إِنْ قِيلَ لِي قَدْ مَضَى وَقُتِكَ تَفْرِيطًا وَوُيْحْتُ

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
(موعظة) قَالَ بعضهم : يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة ، قد تزخرت لكم بغورها ، وفتنتكم بأمانيتها ، وترينت لخطابها فأصبحت كالعروس المحلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها كاكفة ، والنفوس لها عاشقة ، فكم من عاشق لها قتلت .

ولو كانت الدنيا عروساً وجدتها بما قتلت أولادها لا تزوج

وكم مطمئن إليها خذلت فانظر إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثير بوائقها وذمها خالقها دار نفاذ لا دار إخلاد ودار عبور لا دار حبور ودار فناء لا بقاء ودار انصرام لا دار دوام جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يفوت .
وقد تطابق على ما ذكر دلالات قواطع النقول وصحاح العقول والطعام وقضى به الحس والعيان حتى لم يقبل لوضوحه إلى زيادة في العرفان .

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهاز إلى دليل ولما كانت الدنيا بجاذبه الحال التي ذكرت والعهلة التي تقدمت جاء في القرآن الكريم من التحذير عن الاغترار بها والركون إليها والاعتماد عليها ما هو أعرف من أن يذكر وأشهر من أن يشهر .

شِعْرًا: يَا مُحِبَّ الدُّنْيَا الْغُرُورِ اغْتِرَارَ رَاكِبًا فِي طَلَابِهَا الْأَخْطَارَا
يَبْتَغِي وَصَلَهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ وَتَرَى أَنْسَهُ فِتْنِي دِي نَفَارَا

خَابَ مَنْ يَبْتَغِي الْوَصَالَ لَدَيْهَا جَارَةٌ لَمْ تَزَلْ تُسِيءُ الْجَوَارَا

كَمْ مُحِبًّا أَرْتُهُ أَنْسًا فَلَمَّا حَاوَلَ الزُّورُ صَيِّرْتُهُ اَزْوَرَارَا

وكذلك جاءت الأحاديث النبوية والآثار الحكيمة فلهذا كان الأيقاظ من أهلها العلماء العقلاء الزهاد .

العاملون بعلمهم الَّذِينَ لا تأخذهم في الله لومة لائم لم يركنوا إلى الدنيا بل اتخذوها مطية إلى الآخرة .

شِعْرًا: إِذَا بَكَيْتُ مَا مَضَى مِنْ زَمَنِ فَحَقٌّ لِي أَبْكِي وَمَنْ لِي بِالْبُكََا

مَنْ أَبْصَرَ الدُّنْيَا بِعَيْنِ عَقْلِهِ أَدْرَكَ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لِلْبَقَا

مَطِيَّةٌ وَارِدَةٌ إِلَى الرَّدَى وَإِنْ تَرَخَى الْعُمْرُ وَامْتَدَّ الْمَدَى

إِنْ هِيَ أُعْطِيَتْ كَانَتْ هَمًّا حَاضِرًا أَوْ مُعِيتَ كَانَ عَذَابًا وَأَذَى

وَالْمَرْءُ زَهْنٌ أَمَلٍ مَا يَنْتَهِي حَتَّى يُوَافِيَ أَجَالَ قَدْ انْتَهَى

بخلاف علماء الألسن الَّذِينَ يلبسون للناس جلود الظآن من اللين وقلوبهم قلوب الذئاب الَّذِينَ يتخللون بألسنتهم كما تتخلل البقرة بلسانها . قَالَ بعضهم وأجاد في وصف الدنيا .

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَجِيفَةِ مَيْتَةٍ وَطَلَابُهَا مِثْلُ الْكِلَابِ الْهُوَامِسِ

وَأَعْظَمُهُمْ ذَمًّا لَهَا وَأَشَدُّهُمْ بِهَا شَغَفًا قَوْمٌ طَوَالَ الْقَلَائِسِ

وختاماً فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان مريضٌ أو ثقيلٌ أو مدنفٌ ثقيل فهل من دليل يدل على الدواء لهذا العليل أو هل إلى الطبيب من سبيل .

فتنقل إلى المستشفى وتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى وماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه وما يقدر على أن يكلم إخوانه .

وها هو في سكرات الموت لا يعرف من عنده من أولاده وإخوانه وجيرانه

وعرق عند ذلك جبينك وتتالع أنينك وثبت يقينك وارتفعت جفونك وصدقت ظنونك .
وتلجلج وتحير لسانك وبكى أولادك وإخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان
وهذه أمك وهذا أبوك وبصرك شاخص وعيونك غرقى من الدمع ولا تقدر على الكلام .
فتصور نفسك يا مسكين ملقى على الأرض التي خلقت منها جثة تتصاعد روحك والناس
من حولك سيكون ولكن دون جدوى لأن قضاء الله وقدره لا بد أن ينزل بك .

ثم ختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها
إلى السماء فاجتمع عند ذلك أولادك وإخوانك وأحضرت أكفانك وحيء بالنعش والمغسل .
فجردك من الثياب وغسلك وحيء بالكفن فكفنوك وحنطوك فانقطع عوادك واستراح حسادك
وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتهناً بأعمالك فيا لها من رحلة ويا له من قدوم .

شِعْرًا: فَمَا تَزُوْدَ مَمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سَوَى حُنُوطِ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي خَرَقٍ
وَعَيْرِ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقِ

هذه قصيدة في مدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزلنا ما فيها من الغلو الذي ما تنبه له
وتركنا أيضاً التثيب الذي في أولها .

أَحْمَدُ الْهَادِي إِلَى سُبُلِ الْهُدَى	كَمْ بَدَى مِنْهُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ نُصْحُ
هَاشِمِيٌّ فُرْشِيٌّ طَاهِرٌ	حَسَنَ الْأَخْلَاقِ زَاكِي الْأَصْلِ سَمْحٌ
جَاءَ بِالِدِّينِ الْحَنِيفِيِّ وَقَدْ	طَبَّقَ الْأَرْضُ مِنَ الْإِشْرَاقِ جُنْحُ
فَأَرَى النَّاسَ الْهَادِي بَعْدَ الرَّدَى	فَإِذَا الْحَقُّ تَجَلَّى مِنْهُ صُبْحُ
فَأَبَى مِنْهُمْ كِلَابٌ كَيْدُهُمْ	حِينَ خَافُوا أَسَدَ الْإِسْلَامِ نَبْحُ
ثُمَّ لَمَّا رَامَ تَمْزِيْقَ الدُّجَا	جَاءَهُ مِنْ فَجْرِ نُورِ اللَّهِ رُمْحُ
فَإِنْجَلَى الشَّرْكَ وَوَلَّى دُبْرَهُ	وَعَلَّتْ لِلَّذِينَ آطَامُوا وَصْرَهُ

وَبَدَتْ أَعْلَامُ إِسْلَامٍ بِهَا
 وَبِهِ الرَّحْمَنُ قَدْ أَنْقَدَنَا
 هُوَ خَيْرُ الْخَلْقِ طَرًّا وَبِهِ
 فَاقَ فِي حِلْمٍ وَحُكْمٍ وَحِجِّي
 عَزْمُهُ مَاضٍ وَأَمَّا عِلْمُهُ
 فَهُوَ فِي يَوْمِ الْوَعْيِ لَيْثُ عِدِي
 كَفُّهُ عَارِضُ جُودٍ هَاطِلُ
 وَإِذَا مَا ثَارَ نَفْعٌ وَعَدَتْ
 وَتَلَقَى الْبَيْضُ وَأَطْرَافُ الْقَنَا
 لَمْ يَكُنْ كَيْدُ الْعِدَى هَائِلُهُ
 كَمْ لَهُ مِنْ مَوْطِنٍ فِيهِ ارْتَوَى
 كُلَّ مَنْ حَارَبَهُ دَانَ لَهُ
 حَرْبُهُ نَارٌ عَلَى أَعْدَائِهِ
 جَاءَهُ الْكُفَّارُ فِي أَحْزَابِهِمْ
 فَتَوَلَّوْا هَرَبًا بَلَّ حِيَّيَا
 غَنَمٌ بِالنَّطْحِ صَالَتْ وَأَبَى
 وَلَهُ صَحْبٌ لِيُوثُ هَمَّهُمْ
 لَمْ يَلْأَقُوا أَحَدًا إِلَّا انْتَشَى
 فَهُمْ الشُّجَعَانُ إِنْ جَاءَ الضِّيَا
 وَهُمْ الْقَوْمُ إِذَا مَا عَبَسَتْ
 لَا تَرَى فَخْرًا إِذَا نَالُوا وَلَا هُمْ

صَارَ لِلْأَصْنَامِ تَكْسِيرٌ وَطَرْحُ
 مِنْ لَطَى نَارٍ لِأَهْلِ الْكُفْرِ تَلْحُ
 لِلنَّبِيِّينَ جَرَى خَتْمٌ وَفَتْحُ
 زَانَهُ صِدْقٌ وَصَبْرٌ ثُمَّ صَفْحُ
 فَهُوَ كَالْبَحْرِ فَلَا يُزِيدهُ نَزْحُ
 وَهُوَ فِي يَوْمِ التَّدَى غَيْثٌ يَسِخُ
 جَادَ بِالْجُودِ فَلَا يَعْرُوهُ شُخُ
 عَادِيَاتٌ وَبَدَا مِنْهُنَّ ضَبْحُ
 فِي مَجَالٍ وَحَمَى لِلْبَلِّ نَضْحُ
 أَيُّهَوُلُ الضِّيغَمِ الْمِقْدَامِ سَرْخُ
 مِنْ دِمَا أَعْدَائِهِ سَيْفٌ وَرَمْحُ
 بَعْدَ أَنْ يُثَخِّنَهُ قَتْلٌ وَجَرْخُ
 فَجَا مَنْ هُوَ لِلْمُخْتَارِ صُلْحُ
 لِيُزِيلُوا شِرْعَةَ الْحَقِّ وَيَمْحُ
 مَا شَفُّوا غَيْظًا وَمَا لِلزَّنْدِ قَدْخُ
 جَبَلُ الْإِسْلَامِ أَنْ يُوهِيهِ نَطْحُ
 لِدَمِ الْكُفَّارِ فِي الْهَيْجَاءِ سَفْحُ
 وَتَوَلَّى وَلَهُ فِي الْعَدُوِّ جَمْحُ
 وَهُمْ الرُّهْبَانُ مَهْمَا جَنَّ جُنْحُ
 وَأَكْفَهَرَّتْ أَوْجُهُ لِلْحَرْبِ كَلْحُ
 جَزَعًا إِنْ نَالَهُمْ فِي الْحَرْبِ قَرْخُ

كَمْ سَقُوا حِزْبَ الْعِدَى كَأْسَ الرَّدَى وَهُوَ فِي الدُّوقِ مِنَ الْعَلَقَمِ صَرَحَ
فَهُمْ الْأَنْصَارُ لِلدِّينِ لَهُمْ أَبَدًا فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ كَدَحَ
بَدَلُوا الْأَنْفُسَ وَالْأَنْفُسُ مِنْ مَا لَهُمْ لِلَّهِ مَا ظَنُّوا وَشَحُّوا
حَسْبُهُمْ مِنْ مَالِهِمْ سَابِغَةٌ وَجَوَادٌ ثُمَّ صَمَصَامٌ وَسَمَحُ
فَاغْفِرِ اللَّهُمَّ ذَنْبِي كُلَّهُ وَاسْتُرِ الْعَيْبَ فَلَا يُبْدِيهِ فَضَحُ
وَأَجِبْ رَبِّي دُعَائِي إِنَّهُ لِقَضَاءِ الْحَاجِ مِفْتَاحٌ وَنَجْحُ
وَأَتِمَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ عَلَيَّ فَضْلِهِ وَالْفَضْلُ مِنْ ذِي الْعَرْشِ مَنْحُ
وَصَلَوَاتُ اللَّهِ مَعِ تَسْلِيمِهِ مَا جَرَى فَلِكُ لَهُ فِي الْبَحْرِ سَبْحُ
أَبَدًا يَهْدِي إِلَيَّ خَيْرَ الْوَرَى مَنْ لَهُ فِي كُتُبِ الرَّحْمَنِ مَدْحُ
أَحْمَدُ وَالْآلُ وَالصَّحْبُ وَمَنْ لَهُمْ يَقْفُوا عَلَيَّ الْأَثْرَ وَيَنْحُوا
مَا حَدَى بِالْعَيْسِ حَادِيهَا وَمَا أَطْرَبَ السَّمْعَ مِنَ السَّاجِعِ صَدْحُ

اللَّهُمَّ وقفنا للاستعداد لما أماننا وأهدنا سبيل الرشاد ووقفنا للعمل صدح ليوم المعاد وأغفر لنا
ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .

(موعظة)

قال الله جل ذكره ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَقَالَ جَل وَعَلَا ﴿ فَذَكَرْ إِنْ نَفَعَتْ
الدُّكْرَى ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿
فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ وَقَالَ جَل وَعَلَا ﴿ وَذَكَرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ وَقَالَ جَل وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ
أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا ﴾ . وَكَانَ النَّبِيُّ يَتَخَوَّلُ أَصْحَابَهُ بِالْمَوْعِظَةِ فَالْوَعِظُ وَالتَّذْكِيرُ فَرِيضَتَانِ وَاجِبَتَانِ
مَاضِيَتَانِ عَلَى أَهْلِهِمَا بَكْتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ .

وقد أمر الله الموعظين بالاستماع والإصغاء للموعظة لما فيها من المنافع العظيمة .

فعلى كل إنسان مهما جل قدره وعظم خطره أن يحرص ويجتهد على استماع الموعدة وقبول النصيحة لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظه الأجل واستحق من الله البشرى في العاجل والثواب في الآجل ومن عقلاء خلقه الثناء الحسن والمدح والإكرام والدعاء .

فإن الله جل ذكره يقول ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ ثم قال ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .

وقد شبه الله الكفرة المعرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى بالحمير قال تعالى ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ فليحذر المسلم أن يتشبه بهم ويعرض عن الموعدة .

وقد جعل الله جل ذكره الخير في الاعتبار والاعتبار بالتفكير وحث عليه في عدة مواضع من كتابه قال تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ أَوْمٌ يَتَّفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .
 وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ الَّذِينَ يَذُكَّرُونَ لِلَّهِ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

فمن قريب ما يجب أن يفكر فيه اللبيب ويتدبره أن يتذكر أحوال الأمم والقرون الماضية والملوك الأولين الذين كانوا من أشد خلق الله وأكثر جمعا وأبين آثاراً وأطول أعماراً بنوا المدائن وجمعوا الخزائن وحفروا الأنهار وعمروا الديار وشيدوا القصور .

ودبروا الأمور وجمعوا الجموع وقادوا الجيوش وساقوا الخيول ودوخوا البلاد وأذلوا العباد ومشوا في الأرض مرحاً واختالوا بما أوتوا فرحاً فأخذهم الله بما كانوا يكسبون لله . فأصبحوا بعد العز

والمنعة والملك والرفعة والصوت والسطوة والذكر والصولة عظاماً رميماً ورفاتاً هشيماً وأصبحت منازلهم خاوية وقصورهم خالية وأجسادهم بالية وأصواتهم هادئة .

تخبرك آثارهم معاينة وتقرع سمعك أخبارهم مجاهرة فلم يصحبهم من الدنيا ما جمعوا ولم يدفع عنهم الردى ما كسبوا ولعلهم ندموا حيث لم تنفعهم الندامة وتلففوا حيث لا يغني عنهم التلهف شيئاً .

وإن الباقي عما قليل كالفاني والغابر عما قليل كالماضي وما بينهما إلا أنفاس معلومة وأيام معدودة سريعة الانقضاء قريبة الانتهاء .

فليحذر المغتر بملكه والمتمتع بعزة هذه الصرعة وليستعد لهذه الوجبة والينته لهذه الموعظة فإن الله جعلها في أوائل مواعظه .

وكررنا في مواضع من كتابه حيث جل وعلا وتقدس يقول ﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

وَقَالَ جَل وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ مِنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ .

وعد جل وعلا كثيراً منهم في كتابه ووصفهم وسماهم في خطابه حيث يقول ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ .

وَقَالَ : ﴿ وَعَادَا وَثمودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ . هذا خبر أصدق القائلين وهذا قول حق وقد جعل الله بكل ما شوهد في أيامه وعوین في زمانه ممن رفعوا ثم وضعوا وعلوا ثم صرعوا ودارت عليهم الدوائر ونابتهم النوائب ما في بعضه مقنع لمعتبر وبلاغ لمذكر .
 قَالُوا وَأَشْرَفَ أَبُو الدرداءِ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ حَمصَ فَقَالَ يَا أَهْلَ حَمصَ أَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تَدْرِكُونَ وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ .
 إن من كان قبلكم بنوا شديدا وأملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فأصبحت اليوم مساكنهم قبورا وأملهم غزورا وجمعهم يورا .

وقد قال أحد فصحاء الملوك في خطبته : ألم تروا مصارع من كان قبلكم كيف استدرجتهم الدنيا بزخارفها ونفتهم ثم تركتهم وقد تخلت عنهم فهم في حيرة وظلمة مدلهمة تركوا الأهلين والأولاد والعيال والأموال .

مساكنم القبور وقد خلت منهم الدور وتقطعت منهم الأوصال والصدور وصاروا ترابا باليا وكان الله لهم ناهيا قال تعالى ﴿ فَلَا تَعْرَبْكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزُبْكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

(موعظة)

عباد الله سرور المؤمنين يعتبرون القناطر ويأمنون العواثر فذلك يوم عيدهم ومادوا في دار الغرور فلا غبطة ولا سرور .
 وأي سرور لمن الموت معقود بناصيته والذنوب راسخة في آنيته والنفس تقوده إلى هواها والدنيا تزين في عينه بمشتهاها .

والشيطان مستبطن فقار ظهره لا يفتر عن الوسوسة في صدره ونفسه وماله بعرضه للحوادث ولا يدري في كل نفس ما عليه حادث .

شِعْرًا : فِعَالِي قَبِيحٌ وَظَنِّي حَسَنٌ وَرَبِّي غَفُورٌ كَثِيرُ الْمِنَّةِ
 تُبَارِزُ مَوْلَاكَ يَا مَنْ عَصَى وَتَخْشَى مِنَ الْجَارِ لَمَّا فَطِنَ

رَكِبْتُ الْمَعَاصِيَ وَشِيبِي مَعِي فَوَاللَّهِ يَا نَفْسُ مَاذَا حَسَنْ
فَقُومِي الدِّيَاجِي لَهُ وَارْعَبِي وَقُولِي لَهُ يَا عَظِيمَ الْمَنْنِ
وَقُولِي لَهُ يَا عَظِيمَ الرَّجَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْفُ عَنِّي فَمَنْ
آخِر: إِنِّي بُلِيْتُ بِأَرْبَعِ مَا سُلِّطُوا
إِبْلِيسَ وَالْدُنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

ومن ورائه المغير ومسألة منكر ونكير ويتوسد التراب إلى يوم النشور ﴿يَوْمَ يَفُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يوم لا يبلغ وصف أهواله ولا شرح أحواله ما لا يسع المؤمن به أن يستقر له قرار ولا يخلد إلى هذه الدار ولا يكون له هم في هذه الدنيا إلا التقرب بأنواع القرب واجتناب الفواحش والريب وإقامة الدين الذي في إقامته النجاة وفي تضييعه العطب العظيم .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ أَوْطَانِ
يَوْمَ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُوْلَهُ وَتَشِيبُ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوُلْدَانِ
يَوْمَ عُبُوسٌ قَمَطَرِيرٌ شَرُّهُ فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
يَوْمَ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ وَفَدَا عَلَى نُجُبٍ مِنَ الْعَقِيَّاتِ
وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لَطَى يَتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الْعَطْشَانِ
وَالْجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمَ دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ

اللَّهُمَّ أتمم علينا نعمتك الوافية وارزقنا الإخلاص في أعمالنا والصدق في أقوالنا وعد علينا بإصلاح قلوبنا وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

كتب بعضهم إلى أخ له فَقَالَ له : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله سبحانه والعمل بما علمك الله تعالى والمراقبة حيث لا يراك إلا الله عز وجل والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة ولا ينتفع بالندم عند نزوله .

شِعْرًا: تَفُوزُ بِبَا الْمُنُونِ وَتَسْتَبِيدُ وَيَأْخُذُنَا الزَّمَانُ وَلَا يَرُدُّ
وَأَنْظُرُ مَاضِيًا فِي عَقَبِ مَاضٍ لَقَدْ أَيَقَنْتُ أَنَّ الْأَمْرَ جِدُّ
رُوبِدًا بِالْفِرَارِ مِنَ الْمَنَايَا فَلَيْسَ يَفُوتُهَا السَّارِي الْمَجْدُ

فاحسر عن رأسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى وشمّر للسباق غدًا فإن الدنيا ميدان المسابقين ولا تغتر بمن أظهر النسك وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف .
واعلم يا أخي أنه لا بد لي ولك من المقام بين يدي الله عز وجل يسألنا عن الدقيق الخفي والجليل الخافي ولست آمن أن يسألني وإياك عن وسوسة الصدور ولحظات العيون والإصغاء للاستماع .

واعلم أنه لا يجزي من العمل القول ولا من البذل العدة ولا من التوقي التلاوم .
قَالَ نافع خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحابه فوضعوا سفرة لهم فمر بهم راعي فقال عبد الله بن عمر يا راعي هلم فأصب من هذه السفرة . فقال إني صائم فقال عبد الله في مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت بين هذه الشعاب في آثار هذه الغنم وبين هذه الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم . فقال الراعي أبادر أيامي فعجب ابن عمر وقال هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك بجزرها نطعمك من لحمها ما تظفر عليه ونعطيك ثمنها .
قَالَ إنها ليست لي إنها لمولاي قَالَ فما عسيت أن يقول مولاي إن قلت أكلها الذئب .
فمضى الراعي وهو رافع إصبغه إلى السماء وهو يقول فأين الله قَالَ فلم يزل ابن عمر يقول الراعي فأين الله فما عدا أن قدم المدينة فبعث إلى سيد الراعي فاشتري منه الراعي والغنم فأعتق الراعي ووهب له الغنم . ودعا قوم رجلاً إلى طعامٍ في يومٍ قاتل حره فقال إني صائم فقالوا أوفي مثل هذا اليوم قَالَ أفاغبن أيامي .

ونزل روح بن زنباع منزلاً بين مكة والمدينة في يوم صائف وقرب غداه راع من جبل فقَالَ
يا راع هلم إلى الغداء قَالَ إني صائم .
قَالَ له روح بن زنباع أو تصوم في هذا الحر الشديد قَالَ الراعي أفأدع أيامي تذهب باطلاً
فأنشأ روح يقول :

لَقَدْ ضَنَنْتَ بِأَيَّامِكَ يَا رَاعِي إِذْ جَادَ بِهَا رَوْحُ بْنُ زَنْبَاعٍ

ودعا قوم رجلاً إلى طعام فقَالَ إني صائم فقَالُوا أفطر وصم غداً قال ومن لي بأن أعيش إلى غد .
وري أن الحسن رأى رجلاً متعبداً فقَالَ يا عبد الله ما يمنعك من مجالسة الناس قَالَ شغلني
عن الناس قَالَ فما منعك أن تأتي الحسن فقَالَ ما أشغلني عن الحسن قَالَ فما الَّذِي أشغلك
عن الحسن .

قَالَ إني أمسي وأصبح بين ذنب ونعمة فرأيت أن أشغل نفسي بالاستغفار للذنب والشكر
لله تعالى على النعمة فقَالَ أنت عندي أفقه من الحسن .
وقَالَ بعض العلماء حاثاً على شكر الله جل وعلا فقَالَ إخواني اشكروا الله على ما أنعم
عليكم به من الألسن بكثرة التلاوة لكتاب الله وذكره .

فإن فرطتم في ذلك فاستحيوا من الله أن تخوضوا بالألسن في فنون الآثام فقد ورد عن النبي
p أنه قَالَ : « هل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم » .
فالرجل العاقل المستقيم لا يستخدم لسانه إلا في الحق والخير من ذكر الله والثناء عليه
وتلاوة كتابه الكريم والنصح لله ولرسوله وللمؤمنين ولأئمة المسلمين وعامتهم ويجتنب الكذب
والافتراء والغيبة والنميمة ويجتنب القبيح وتقبيح الحسن والتملق والنفاق والرياء قَالَ p : «
الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ كُلُّ هَذِهِ مِنْ
آفَاتِ اللِّسَانِ » .

ألا واشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الأنصار بالنظر إلى الحق بالاعتبار شكراً لله
على له فإن رغبتهم عن ذلك فراقبوا الله أن تنظروا بالأبصار إلى الحرام

فتغضبوا الله بنعمه كفعل الكثير من الناس فاتقوا الله عباد الله .

إلا فراقبوه واشكروه على ما أنعم به عليكم من السمع بالاستماع إلى القرآن الكريم وكلام سيد المرسلين والمواعظ الحسنة .

فإن ضيعتم ذلك وفرطتم فيه فاستحيوا من الله أن تنصتوا بأسماعكم إلى الهوى والملاهي والأغاني وجميع المنكرات فإنكم عن جميع ذلك مسؤولون .

واشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الأيدي ببسطها إلى الخيرات فإن قصرتم عن ذلك فاستحيوا أن تبسطوها إلى الظلم والأذى كفعل كثير من الناس فإن الظلم ظلمات يوم القيامة قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ ألا فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما أنعم به عليكم من الأرجل بالسعي بها إلى الطاعات فإن قصرتم في ذلك فراقبوا الله ولا تسعوا بها إلى الآثام .

فالرجل المستقيم لا يستخدم سمعه وبصره وجميع حواسه ومشاعره إلا فيما أحل الله له وقد جمع الله كثيراً من صفات المؤمنين المستقيمين وعدهم مفلحين مستحقين للخلود في جنات النعيم في قوله عز وجل ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فكيف بك والأكبال في الأقدام والأغلال في الأعناق ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ .

إلا فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما أنعم به عليكم من الأقوات فلا تتقوا بها على معاصي الله ألا يا عباد الله فاتقوا الله على ما أنعم به عليكم من اللباس وذلك بأن تبلوه في رضى الله فإن قصرتم عن ذلك فاستحيوا أن تبلوا لباسكم في ما يكره الله .

شِعْرًا: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ تَجِدُ نَفْعَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ الْمُطَوَّلِ
إِلَّا إِنَّ تَقْوَى اللهِ خَيْرٌ بِضَاعَةٍ وَأَفْضَلُ زَادِ الضَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ

وَلَا خَيْرَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ وَعَيْشِهَا إِذَا أَنْتَ مِنْهَا بِالتَّقَى لَمْ تَزُودِ

ألا فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما وهبكم من الأموال وذلك بأن تبلوها في سبيل الله فإن بخلتم عن ذلك فاستحيوا من الله أن تنفقوا ما وهبكم من المال في معاصيه .

واشكروا الله على نعمته العظمى وهو ما أنعم به عليكم من الإيمان به وبكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

واشكروه على ما أنعم به عليكم من العقل بالتفكير والتدبر واعتقاد حسن النية والاعتبار وشدة الخوف والحزن وسلامة الصدر للعامه .

واشكروا الله على ما أنعم به عليكم من العقل بأن تعظموا الله عز وجل وتجلوه وتستحيوا منه وتهابوه وتتقوه وتطيعوه على حسب ما عقلتم من عظمته وكبريائه وعظيم قدره سبحانه وتعالى .

فإن قصرتم في ذلك فراقبوا الله تعالى ولا تكونوا كالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَلَا يَجْلُونَ وَلَا يَهَابُونَ وَ يَسْتَحْيُونَ مِنْهُ وَلَا يَتَّقُونَ وَلَا يَطِيعُونَ وَلَا يَقْدِرُونَ حَقَّ قَدْرِهِ بَلْ يَسْتَهِينُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَمْرِهِ .

فاتقوا الله عباد الله أن تعودوا بعد العلم جهالاً وبعد المعرفة والفهم ظلالاً ويعود العقل والعلم عليكم وبالاً .

وهب الله لنا ولكم القيام بطاعته ووقفنا وإياكم شكر نعمه وحسن عبادته إنه جواد كريم رؤوف رحيم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(موعظة)

إن العجب كل العجب من إنسان عاقل أخبر أنه سيسلك طريقاً شائكاً وعرّاً مليئاً بالمخاوف والمزعجات والمهالك وإن عليه أن يتصور هذه المخاوف والمخاطر والمهالك ويتصور آثارها على مستقبله الأبدي والَّذِي أَخْبَرَهُ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا .

شِعْرًا: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَرَفَ الْأَنَامُ لَمَا خُلِقُوا لَمَا غَفَلُوا وَنَامُوا

لَقَدْ خُلِقُوا لِمَا لَوْ أَبْصَرْتَهُ عِيُونَ قُلُوبِهِمْ سَاحُوا وَهَامُوا
 مَمَاتٌ ثُمَّ قَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ وَتَوَيْخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامٌ
 لِيَوْمِ الْحَشْرِ قَدْ خُلِقَتْ رِجَالٌ فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا
 وَنَحْنُ إِذَا أُمِرْنَا أَوْ نُهِيََا كَأَهْلِ الْكَهْفِ أَيَقَاطُ نِيَامٌ

ومع ذلك تراه غافلاً لا اهتمام له بذلك منصرفاً عن الابتعاد عن هذه المهالك والمزلات
 الفظيعة ومشتغلاً بالدنيا والأمر التافهة من شؤون الدنيا الملعونة الملعون ما فيها إلا ذكر الله
 وما ولاه .

وما أصيب الإنسان بمرض أشد من الغفلة الذي ربما تحول إلى جمود وقسوة ثم إلى لجاج
 وعناد ثم إلى كفر وجحود نسأل الله تعالى العافية .

ومن أكبر الأدلة على حمق الإنسان وغباوته وجهله أنه يكذب ويشقى من أجل مستقبل
 مهما طال فلن يجاوز الثمانين غالباً وإن تجاوزها فهو كالمعدوم ،
 ومع هذا فيهمل إهمالاً كلياً أو جزئياً العمل من أجل مستقبل لا نهاية له مستقبل الأبد
 الخلود فيا لها من خسارة لا عوض لها ولا جبر منها ولا أمل في تلافيتها .

فيا الغافل انتبه واستعد لما أمامك وتصوره تصوراً صحيحاً يظهر أثره في جدك واجتهادك
 فيما يقربك إلى الله لا يفاجئك الأمر وأنت غافل فيفوتك زمن الإمكان وتندم وتحسر قال
 تعالى وتقدس ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ .

﴿ وَقَالَ اللَّهُ جَل وَعَلَا ﴾ ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرُضُونَ ﴾ ﴿ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿
 وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ وَقَالَ تَعَالَى :
 ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ ﴾ ﴿ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا
 فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ الآيات .

إن الذين غمر الإيمان قلوبهم واستحوذت معرفتهم على مشاعرهم ووجدانهم هم الذين
 أيقنوا بلقاء ربهم وسماع الحكم منه في مصائرهم ، هؤلاء

هم الذين تتحافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقهم الله ينفقون .
الذين قال الله تعالى مخبراً عنهم : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا
يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ
مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ
مُتَّقُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ .
﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ الآية ﴿
الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾
الآيتين .

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ الآيات . هؤلاء هم الذين رعوا للدين حرمة
واحترموا آدميتهم وكرامتهم ووقفهم الله جل وعلا فبنو لأنفسهم صروح المجد الخالد والعز الباقي
والسعادة الأبدية .

ولا يبعد أن يكون من هؤلاء المذكورين الموصوفين بالصفات الحميدة القائل : لو علم الملوك
وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدون عليه بالسيوف . ومنهم الباكي حين حضرته الوفاة القائل :
إني لم أبكي جزعاً من الموت حرصاً على الدنيا ولكن أبكي على عدم قضاء وطري من طاعة
ربي وقيام الليل أيام الشتاء . ومنهم الباكي عند ما تفوته تكبيرة الإحرام مع الجماعة ومنهم
الذي يمرض إذا فاتته الصلاة مع الجماعة . ومنهم القائل : لم أصل الفريضة منفرداً إلا مرتين
وكأني لم أصلهما . مع أنه قارب التسعين سنة .

ومنهم من لم تفته صلاة الجماعة أربعين سنة إلا مرة واحدة حين ماتت والدته اشتغل
بتجهيزها .

والقائل حين ما قال له رجل : أراك تكثر من حمد الله وشكره مع أنه ابتلاك ببلاءٍ ما ابتلا
أحدًا بمثله الجذام في أطرافك وتمزقت الثياب على جسدك ولا زوجة لك ولا ولد لك ولا دار
ولا أهل فما شأنك ؟ فقال المبتلي :

شِعْرًا: حَمِدْتُ اللَّهَ رَبِّي إِذْ هَدَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَالَّذِينَ الْحَنِيفِي
فَيَذْكُرُهُ لِسَانِي كُلَّ وَقْتٍ وَيَعْرِفُهُ فُؤَادِي بِاللَّطِيفِ

بينما أبو شريح العابد يمشي جلس فتنع بكسائه وجعل يبكي ، فقيل ما يبكيك قال
تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي .

وكان بعض الموقنين المحاسبين لأنفسهم يكتل الصلوات الخمس في قرطاس ويدع بين كل
صلاتين بياضاً .

وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبة أو استهزاء أو كذب كذبة أو تكلم فيما لا يعنيه أو
نظر إلى ما لا يحل نظره إليه أو استمع إلى ما لا يحل الاستماع إليه أو أكل مشتبهها أو مشي إلى
ما لا يحل أو مد يده إلى ما لا يجوز مدها إليه .

ذكره في هذا البياض ليعتبر ذنوبه ويحصبها حسب قدرته لتضييق المحاسبة بحارى الشيطان
والنفس الأمارة بالسوء .

ومقام محاسبة النفس يقلل الكلام فيما لا يعني ويحمل الإنسان على تقليل الذنوب وعلى
الإكثار من الطاعات لمقابلة ما صدر منه ولكن هذا الطراز يعز وجوده في زماننا هذا .

نقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها
قبل أن توزنوا للعرض الأكبر على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ .

فالمحاسبة تكون بضبط الحواس ورعاية الأوقات وإيثار المهمات وحفظ الأنفاس والحرص
على أداء العبادات كاملة وبالأخص الصلاة فيكملها بشروطها المذكورة وأركانها وواجباتها
وسننها بخشوع وخضوع وطمأنينة وسكون .

والعبد يحتاج إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج إلى النوافل

لتكامل السنن ويحتاج إلى الآداب لتكامل النوافل ومن الآداب ترك ما يشغل عن الآخرة . ومن الآداب الإكثار من زاد الآخرة من ذكر الله وما والاها .

شِعْرًا: عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُرُ

قَالَ بعضهم إن الرجل ليشيل عارضاه في الإسلام وما أكمل لله صلاه قيل وكيف ذاك ، قَالَ لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله علي الله فيها .

روي عن بعض أهل العلم في قول الله جل جلاله ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ قَالَ القنوت الخشوع في الركوع والسجود وغض البصر وخفض الجناح من رهبة الله عز وجل . وكان العلماء إذا قام أحدهم للصلاة هاب أن يلتفت أو يعبث أو يحدث نفسه بشيء من شئون الدنيا إلا ناسياً .

وبلغنا عن بعض أهل العلم أنه قَالَ : ركعتان خفيفتان مقتصدتان في تفكير وتدبر وتفهم لما يقوله ويفعله خير من قيام ليلة والقلب ساه في أودية الدنيا . فالواجب على الإنسان إذا كان في الصلاة أن يجعلها همه ويقبل عليها مفرغاً قلبه وفكره من كل ما يشتهه ليؤديها كاملة مكملة .

فإنه ليس له منها إلا ما عقل منها من معاني الفاتحة وما يقرأ من القرآن ومعاني الركوع والسجود والقيام بين يدي الله ومعاني العبودية والمناجاة ومعاني التحيات والتكبيرات . فكم بين رجلين أحدهما قد أشعر قلبه عظمة خالقه الذي هو واقف بين يديه فامتلاً قلبه من هيئته وذلت له عنقه واستحى من ربه أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه . وآخر قد انصرف قلبه إلى الدنيا يفكر فيها ملتفتاً يميناً وشمالاً ولا يفهم ما يخاطب به لأن قلبه ليس حاضراً معه فبين صلاتيهما كما قَالَ بعض أهل العلم .

إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحد وإن ما بينهما في الفصل كما بين السماء والأرض وذلك أن أحدهما مقبل على الله عز وجل بقلبه والآخر ساه غافل يفكر في البيوع والخصومات والأمانى والخسارات قد ذهب قلبه كل مذهب في أودية الدنيا .

وروي أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يصلي في نخل له فشغل بالنظر إلى النخل فسها في صلاته فاستعظم ذلك وقال أصابني في مالي فتنة فجعل النخيل في الأرض صدقة في سبيل الله فبلغ ثمن النخيل خمسين ألفاً .

فلو أن الواحد منا إذا فاتته الصلاة مع الجماعة تصدق في عشرة فقط لما فاتتنا الصلاة مع الجماعة وهذا علاج من أحسن العلاجات .

وينبغي استعماله عند ما يصدر كذب أو غيبة أو نظر محرم أو سماع محرم أو نحو ذلك مما يقوله الإنسان أو يفعله عمداً أو سهواً ليتأدب ويستقيم ويقتدي به والله الموفق .

وَحَصِّنْ عَنِ الْفَحْشَا الْجَوَارِحِ كُلِّهَا تَكُنْ لَكَ فِي يَوْمِ الْجَزَا خَيْرَ شُهَدٍ
وَخَالِطٍ إِذَا خَالَطْتَ كُلَّ مُوَفَّقٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَهْلُ التَّقَى وَالتَّعْبُدِ
يُفِيدُكَ مِنْ عِلْمٍ وَيَنْهَاكَ عَنِ هَوَى فَصَاحِبُهُ تُهْدَى مِنْ هُدَاهُ وَتَرشُدِ

نصيحة : يسمو قدر الإنسان وتعلو درجته ومنزلته عند الله جل وعلا وعند خلقه بقدر ما يكون له من استقامة وطهارة قلب وسلامة صدر وحب للخير لجميع المسلمين وبعد عن الشر والأذى وتضحية بالنفس والمال في سبيل الله وما يقرب إلى الله وقد امتدح الله إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام على ما وهبه له من سلامة قلب وعزة نفس وصدق عزيمة وقوة إيمان .

قَالَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتَيْنِي عَلَيْهِ أَعْقَبَهُ بِذِكْرِ الْخَلِيلِ فَقَالَ ﴿ وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

ومن دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

اللَّهُمَّ مكن محبة القرآن في قلوبنا ووقفنا لتلاوته آناء الليل والنهار اللَّهُمَّ وارزقنا العمل به والدعوة إليه واجعله حجة لنا وقائداً لنا إلى جنتك وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل: وسلامة القلب خلوصه من الشرك وقيل هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض وقيل هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة انتهى . قلت والذي أرى أن السلامة الكاملة للقلب هي خلوصه من الشرك والشك والنفاق والرياء وخلوه من الكبر والحقد والحسد والعجب والمكر السيئ والغل والخيلاء .

ونقاؤه من الأمراض التي تكدر الصفو وتشتت الشمل وتخل بالأمن وتقطع الروابط والصلات بين المسلمين وتورث الضغائن والأحقاد وتولد العداوة والبغضاء بين المؤمنين . وكان p يقول في دعائه «اللَّهُمَّ إني أسألك قلباً سليماً» فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد عنه .

وقد اكتفى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذكر سلامة القلب لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله كما في الحديث و'إذا فسد فسد الجسد كله .

ولأن القلوب إذا سلمت سلمت الجوارح اليد واللسان من الأذى والشور وسلمت أموال الناس وأرواحهم وأعراضهم وقلت الشور والجرائم والآثام . وقيل إن لقمان كان عبداً حبشياً فدفع إليه سيده شاة وقال اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها فأتاه بالقلب واللسان ثم بعد أيام أتاه بشاة أخرى .

وقال له اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه بالقلب واللسان فسأله سيده عن ذلك فقَالَ هما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا . وذكر العلماء أن صلاح القلب :

- (١) في قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فيه وفيما صح عن النبي
- (٢) في تقليل الأكل .
- (٣) قيام الليل وإحيائه بالعبادة .
- (٤) التضرع عند السحر .
- (٥) مجالسة الصالحين .
- (٦) الصمت عما لا يعني .
- (٧) العزلة عن أهل الجهل والسفه ومن فرطت أعمار .
- (٨) ترك الخوض مع الناس فيما لا يعني .
- (٩) أكل الحلال وهو رأسها فإنه ينور القلب ويصلحه فتزكوا بذلك الجوارح وتدرأ المفسد وتكثر المصالح فأكل الحرام والمشتبه يصدي القلب ويظلمه ويقسيه وهو من موانع قبول الدعاء .

وقد قيل يخاف على أكل الحرام والشبهة أن لا يقبل له عمل ولا يرفع دعاء لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

روى عن بعض أهل العلم أن الشيطان يقول خصلة من ابن آدم أريدها ثم أخلي بينه وبين ما يريد من العبادة أجعل كسبه من غير حل إن تزوج تزوج من حرام وإن أفطر أفطر على حرام ، وإن حج حج من حرام أه .

فالحذر الحذر من الحرام في طلب القوت ، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ وَقَالَ : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أعبر يمد يديه إلى السماء ويقول : يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذيه بالحرام ، فأني يستجاب لذلك .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ : تليت هذه الآية عند رسول الله ρ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً ﴾ .

فَقَامَ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فَقَالَ النَّبِيُّ ρ : « يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأبما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به » .

رواه الطبراني في الصغير .

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ : مَنْ اشْتَرَى ثوباً بِعَشْرَةِ دَرَاهِمَ ، وَفِيهِ دِرْهَمٌ حَرَامٌ ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ صَلَاةً مَا دَامَ عَلَيْهِ ، قَالَ : ثُمَّ ادْخَلَ أَصْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : صُمْتَا إِنْ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ρ سَمِعْتُهُ يَقُولُهُ رواه أحمد .

شِعْرًا: فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ الرَّبَّاءَ فَلَدِرْهُمْ أَشَدُّ عِقَابًا مِنْ زَنَّاكَ بِنَهْدِ
وَتُمَحَّقُ أَمْوَالُ الرَّبَّاءِ وَإِنْ نَمَتْ وَيَرْبُو قَلِيلُ الْحِلِّ فِي صِدْقِ مَوْعِدِ

وصلى الله على محمد وآله وسلم

(فَصْلٌ)

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .
وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَادِلٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ .

شِعْرًا: يَا نَفْسُ مَا الْوَقْتُ إِلَّا مَا عَلِمْتَ فَكَمْ أَلَسْتُ حَدَّثْتَنِي أَنِّي أَتُوبُ فَلَمْ

إِيَّاكَ إِيَّاكَ مِنْ سَوْفَ فَكَمْ خَدَعَتْ وَأَهْلَكَتْ أُمَّمَا مِنْ قَبْلِهَا وَأُمَّمُ
تُوبِي يُكُنْ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ جَاهَ تُقَى وَقَدِّمِي مِنْ فِعَالِ الصَّالِحِينَ قَدَمُ
يَا رَاقِدُ لِلْبَلَى حَثَّ الْمَشِيبُ بِهِ أَلَا فَكُنْ خَائِفًا لَا تَفْعُدَنَّ وَقُمْ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فيما يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ جل وعلا ، أَنَّهُ قَالَ : « وَعَزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ : إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ فِي الْآخِرَةِ » رواه ابن حبان في صحيحه .
وَقَالَ إِذَا قَشَعَرِ جِلْدَ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ الْبَالِيَةِ وَرُقَّتْهَا .

وَقَالَ الْحَسَنُ رضي الله عنه إِنْ الرَّجُلَ لِيَذْنُبُ فَمَا يَنْسَاهُ وَلَا يَزَالُ مَتَخَوِّفًا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَقَالَ ابْنُ جَبْرِ الخشية هي أن تخشى الله حتى تحول خشيته بيتك وبين معاصيه .
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ » . رواه مسلم .

وعنه قَالَ : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿يَوْمَئِذٍ نُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ثم قَالَ " «أتدرون ما أخبارها» .
«قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : «فَإِنْ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أُمَّةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا تَقُولُ : عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا » . رواه الترمذي وَقَالَ : حديث حسن .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْعَةً ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ .

وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَعُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ

فَيَقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ .

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقَالَ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » . قَالَ : فَعَطَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجُوهَهُمْ وَهَمَّ خَنِينٌ . رواه البخاري ومسلم .

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَّتْ عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » . رواه الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَارِبُوا وَسَدِّدُوا وَعَلِّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوا أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ » . قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ » . رواه مسلم .

فيا عباد الله من خاف الله جل وعلا في دنياه أمنه الله في أخراه ولو آمن الإنسان حقاً بالله الواحد الأحد الفرد الصمد وجزم بما بعد الحياة من الجنة والنار وما أعد الله لأهلها إجمالاً وتفصيلاً .

ولو خاف وعيد الله كما يخاف وعيد أحر الأشرار لما اجتراً يوماً أن يتخطى شريعة الله أو ينتهك محارم الله التي حذرهم من تخطيها بقوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

فاتق الله أيها المسلم وعظ نفسك في كل وقت بما بعده من الشدائد

والكروب والعقبات وحاسب نفسك على ما تقترفه وتفعله من السيئات واتخذ من تقوى الله سترًا يقيك من غضب الله وعذابه .

فما أسعد من جعل التقوى رأس ماله وما أرشد من راقب الله في جميع أحواله فيا ويح من نسي الآخرة وأجهد نفسه في طلب الدنيا وكان بها جل اشتغاله .

أما وعظه من رحل من أعمامه وأحواله فالعجب ممن أفصحت له العبر وليس عنده سمع ولا بصر أيبكي فاقد الإلف وينسى نفسه أين مضى رفقاؤنا أين ذهب معارفنا وأصدقائنا هذه دورهم فيها سواهم وهذا محبهم فقد نسيهم وجفاهم .

فتفكروا إخواني في الراحلين واعتبروا بالسالفين وتأملوا في البصائر حال الدفين وتأهبوا فأنتم في أثر الماضين .

فيا مطلقاً اذكر قيودهم ويا متحركاً قد عرفت همودهم فخلص نفسك من أسر الذنوب وتأهب لخلاصك فإنك مطلوب وتذكر بقلبك يوم تقلب القلوب .

واحذر حسرات الموت عند انقضاء المدة واحذر تسويق الذين ذهبوا وما تأهبوا .

فكأني بك أيها الغافل في لهوه ولعبه الرافل في أثواب غيه وطربه السعي في معصية ربه وغضبه فلم يشعر إلا وقد نزل به من الموت أسباب عطبه .

فدبت الأمراض في جسده وأبدل من لذيد العيش بمر السقم ونكده وانتزعه المنون من ماله وأهله وولده .

فزود من ماله كفنا واعتناظ عن القصور محلة الأموات وطنا يتمنى الرجعة إلى الدنيا ليجتهد في الأعمال الصالحات فيقال له : هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ حِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَعْمَالِ النافعات .

ألم يأتك خبر هذا المصير ألم تسمع قول أصدق القائلين : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مِمَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ فاحذر أن تكون ممن يمتنون الرجعة فلا يقدر ولا يجابون .

أنشد رجل من أهل الزهد هذه الأبيات :

وَيَوْمَ تَرَى الشَّمْسَ قَدْ كُوِّرَتْ وَفِيهِ تَرَى كُلَّ نَفْسٍ غَدَاً
وَفِيهِ تَرَى الشَّمْسَ قَدْ كُوِّرَتْ وَفِيهِ تَرَى كُلَّ نَفْسٍ غَدَاً
وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ مَا قَدَّمَتْ وَأَعْمَالُكَ الشُّوءُ قَدْ دُونَتْ
وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ مَا قَدَّمَتْ وَأَعْمَالُكَ الشُّوءُ قَدْ دُونَتْ
وَكَفَّاهُ بِالنُّورِ قَدْ خُضِّبَتْ وَفِيمَا سَعِيدٍ إِلَى جَنَّةٍ
وَكَفَّاهُ بِالنُّورِ قَدْ خُضِّبَتْ وَفِيمَا سَعِيدٍ إِلَى جَنَّةٍ
سَوَادًا وَكَفَّاهُ قَدْ غُلِّتْ وَإِمَّا شَقِيٌّ كَسِيَّ وَجْهَهُ

آخر :

صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنَامِ مَطَالِبِي إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنَامِ مَطَالِبِي إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
وَعَمَّ الْوَرَى طُرًّا بِجَزْلِ الْمَوَاهِبِ وَالصَّمَدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ
وَعَمَّ الْوَرَى طُرًّا بِجَزْلِ الْمَوَاهِبِ وَالصَّمَدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ
وَأَسْمَحُ غَفَارٍ وَأَكْرَمَ وَاهِبِ مُقِيلِي إِذَا زَلْتُ بِبِي النَّعْلِ عَائِرًا
وَأَسْمَحُ غَفَارٍ وَأَكْرَمَ وَاهِبِ مُقِيلِي إِذَا زَلْتُ بِبِي النَّعْلِ عَائِرًا
وَيَذْفَعُ عَنِّي فِي صُدُورِ النَّوَابِ فَمَا زَالَ يُؤَلِّبُنِي الْجَمِيلَ تَلَطُّفًا
وَيَذْفَعُ عَنِّي فِي صُدُورِ النَّوَابِ فَمَا زَالَ يُؤَلِّبُنِي الْجَمِيلَ تَلَطُّفًا
جَنِينًا وَيَحْمِينِي وَبِي الْمَكَاسِبِ وَيَبْرُزُ قَبِي طِفْلاً وَكَهْلاً وَقَبْلَهَا
جَنِينًا وَيَحْمِينِي وَبِي الْمَكَاسِبِ وَيَبْرُزُ قَبِي طِفْلاً وَكَهْلاً وَقَبْلَهَا
وَنَهَنَهُ عَنِ غَشْيَانِهِمْ زَجْرُ حَاجِبِ إِذَا أَغْلَقَ الْأَمْلَاكَ دُونِي قُصُورَهُمْ
وَنَهَنَهُ عَنِ غَشْيَانِهِمْ زَجْرُ حَاجِبِ إِذَا أَغْلَقَ الْأَمْلَاكَ دُونِي قُصُورَهُمْ
مُدِلًّا أُنَادِي بِاسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ فَرَعْتُ إِلَى بَابِ الْمَهْيَمِينَ طَارِقًا
مُدِلًّا أُنَادِي بِاسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ فَرَعْتُ إِلَى بَابِ الْمَهْيَمِينَ طَارِقًا
وَلَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الْكَوَاكِبِ فَلَمْ أَلْفِ حُجَابًا وَلَمْ أَحْشَ مِنْعَةً
وَلَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الْكَوَاكِبِ فَلَمْ أَلْفِ حُجَابًا وَلَمْ أَحْشَ مِنْعَةً
نَهَارًا وَلَيْلًا فِي الدُّجَى وَالْغِيَاهِبِ كَرِيمٍ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا
نَهَارًا وَلَيْلًا فِي الدُّجَى وَالْغِيَاهِبِ كَرِيمٍ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا
تَسْحُ دِفَاقًا بِاللَّهِ وَالرَّغَائِبِ سَأَسْأَلُهُ مَا شِئْتُ إِنَّ يَمِينَهُ
تَسْحُ دِفَاقًا بِاللَّهِ وَالرَّغَائِبِ سَأَسْأَلُهُ مَا شِئْتُ إِنَّ يَمِينَهُ
وَحِرْزًا إِذَا خِيفَتْ سِهَامِ النَّوَابِ فَحَسْبِي رَبِّي فِي الْهَزَاهِرِ مَلْجَأً

اللَّهُمَّ هب لنا ما وهبته لعبادك الأخيار وأنظمننا في سلك المقربين والأبرار وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا اللهم يا حي يا قيوم يا من لا تأخذه سنة ولا نوم مكن محبتك في قلوبنا وقوها وألهمنا ذكرك وشكرك وأعنا على القيام

بطاعتك والانتهاء عن معصيتك اللَّهُمَّ افتح لدعائنا باب القبول والإجابة فإننا ندعوك دعاء من كثرت ذنوبه وتصرمت آماله وبقيت آثامه وانسلبت دمعته وانقطعت مدته دعاء من ما لكسره جابراً إلا أنت يا أرحم الراحمين وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ) : عن إبراهيم التيمي قَالَ : ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قَالُوا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن يكون من أهل الجنة لأنهم قَالُوا : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ .

وعن الفضيل بن عياض قَالَ : قيل لسليمان التيمي أنت وأنت أي يثنون عليه قَالَ : لا تقولوا هكذا فإني لا أدري ما يبدو لي من ربي عز وجل سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ وإني أخشى أن يبدو لي من الله ما أكن أحتسب .

وعن عكرمة عن مُحَمَّد بن المنكدر أنه جزع عند الموت فقيل له : لم تجزع فقال : أخشى آية من كتاب الله عز وجل قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ وإني أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب .

قلت : وفيه آيات أخرى ينبغي أن تكون نصب عيني العاقل اللبيب وذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ وقوله : ﴿ ن تَقُولُ نَفْسُ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاجِرِينَ ﴾ .

وَقَالَ عبد الأعلى التيمي : شيئان قطعاً عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل .

وعن أبي إسحاق قَالَ : أوى أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل إلى فراشه فَقَالَ : يا ليت أُمي لم تلدني فقالت له امرأته : أبا ميسرة أليس الله قد أحسن إليك هداك للإسلام وفعل بك كذا قَالَ : بلى ولكن الله أخبرنا أنا واردون على النار ولم يبين لنا أنا صادرون عنها .

شِعْرًا: هَلِ الْوَقْتُ إِلَّا مَا عَرَفْنَا وَأَدْرَكْنَا فَبَجَائِعُهُ تَبْقَى وَلَدَائِهِ تَفْنَى
 إِذَا أُمَكَّنْتَ فِيهِ مَسْرَةً سَاعَةً تَوَلَّتْ كَمَرُ الطَّرْفِ وَاسْتَخَلَفَتْ حُزْنَا
 إِلَى تُبَعَاتٍ فِي الْمَعَادِ وَمَوْقِفٌ نَوْدٌ لَدَيْهِ أَنَّنَا لَمْ نَكُنْ كُنَّا
 حَصَلْنَا عَلَى هَمٍّ وَإِثْمٍ وَحَسْرَةٍ وَفَاتِ الَّذِي كُنَّا فَلَدَّ بِهِ عَنَّا
 كَأَنَّ الَّذِي كُنَّا نُسْرُ بِكُونِهِ إِذَا حَقَّقْتَهُ النَّفْسُ لَفْظًا بِلا مَعْنَى

وَقَالَ الحسن : إن المؤمن يصبح حزيناً وينقلب باليقين في الحزن ويكفيه ما يكفى العنيزة الكف من التمر والشربة من الماء .

وَقَالَ حبيب بن أبي ثابت ما استرقت من أحد شيئاً أحب إلى من نفسي أقول لها أمهلي حتى يجيء من حيث أحب .

شِعْرًا: إِذَا رُمْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ الْمَالَ مُنْفِقًا عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ
 فَسَلْ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كِنزِ صَبْرِهَا عَلَيْكَ وَإِنْضَارًا إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
 فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ الْغَنِيِّ وَإِنْ أَبْتَ فَكُلْ مُنوعٌ بَعْدَهَا وَاسِعُ الْعُدْرِ

وَقَالَ الثوري : ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة . وسأل رجل سفيان الثوري فلم يكن معه ما يعطيه فبكى سفيان فقال له مسعر بن كدام : ما يبكيك قال : وأي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه عندك .

وبكى ثابت حتى كادت عينه تذهب فجاؤا برجل يعالجها فقال الرجل : أعالجها على أن تعطيني قال : وأي شيء . قال : على أن لا تبكي قال : فما خيرهما إن لم تبكيا وأبى أن يعالجها .

وكان شقيق بن سلمة إذا صلى في بيته ينشج نشيجاً - أي يخشع ويبكي - ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يسمعه أو يراه ما فعله - أي يخشى من الرياء . والله أعلم وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم .

وَقَالَ بعضهم يخاطب نفسه ويوبخها على تفريطها وإهمالها :

يَا نَفْسُ هَذَا الَّذِي تَأْتِينَهُ عَجَبٌ
 عِلْمٌ وَعَقْلٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا أَدَبٌ
 وَصَفُ النَّفَاقِ كَمَا فِي النَّصِّ نَسَمَعُهُ
 عِلْمُ اللِّسَانِ وَجَهْلُ الْقَلْبِ وَالسَّبَبُ
 حُبُّ الْمَتَاعِ وَحُبُّ الْجَاهِ فَانْتَبِهِي
 مِنْ قَبْلِ تَطَوُّي عَلَيْكَ الصُّحُفُ وَالْكِتَابُ
 وَتَضَبُّحِينَ بِقَبْرِ لَا أَنْيَسَ بِهِ
 الْأَهْلُ وَالصَّحْبُ لَمَّا أَلْحَدُوا ذَهَبُوا
 وَخَلَّفُواكَ وَمَا أَسْلَفَتْ مِنْ عَمَلٍ
 الْمَالُ مُسْتَأْخِرٌ وَالْكَسْبُ مُصْطَحَبٌ
 وَأَسْتَيْقِنِي أَنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ مُجْتَمَعًا
 لِلْعَالَمِينَ فَتَأْتِي الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ
 وَالْخَلْقُ طَرًّا وَيَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا
 فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ الْأَمْوَالُ وَالْحَسَبُ
 وَأَخْشَى رُجُوعًا إِلَى عَدْلِ تَوَعَّدَ مَنْ
 لَا يَتَّقِيهِ بِنَارٍ حَشَوُهَا الْغَضَبُ
 وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْأَخْجَارُ حَامِيَةٌ
 لَا تَنْطَفِي أَبَدَ الْأَبَادِ تَلْتَهَبُ
 وَالْبُعْدُ عَنِ جَنَّةِ الْخُلْدِ الَّتِي حُشِيَتْ
 بِالطَّيِّبَاتِ وَلَا مَمَوْتُ وَلَا نَصَبُ
 فِيهَا الْفَوَاكِهُ وَالْأَنْهَارُ جَارِيَةٌ

وَالتُّورُ وَالْحُورُ وَالْوَلِدَانُ وَالْقَبَابُ
 وَهَذِهِ الدَّارُ دَارٌ لَا بَقَاءَ لَهَا
 لَا يَفْتَنَنَّكَ مِنْهَا الْوَرَقُ وَالذَّهَبُ
 وَالْأَهْلُ وَالْمَالُ وَالْمَرْكُوبُ تَرْكَبُهُ
 وَالثُّوبُ تَلْبَسُهُ فَالْكَفْلُ يَنْقَلِبُ
 لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا سِوَى عَوْضٍ
 مِنْهَا يُعَدُّ إِذَا مَا عُدَّتِ الْقُرْبُ
 يُرِيدُ صَاحِبُهُ وَجْهَ الْإِلَهِ بِهِ
 دُونَ الرَّيَا إِنَّهُ التَّلْبِيسُ وَالْكَذِبُ
 لَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالًا يُرِيدُ بِهَا
 عُمَّالَهَا غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ فَاجْتَبُوا
 تَمَّتْ وَصَلُّوا عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا
 وَالْآلِ وَالصَّحْبِ قَوْمٌ حُبُّهُمْ يَجِبُ
 وَمَا أَشِيرَ فِيهِ إِلَى بَعْضِ الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ مَا يَلِي :
 هُوَ اللَّهُ مَنْ أَعْطَى هُدَاهُ وَصَحَّ مِنْ
 هَوَاهُ أَرَاهُ الْخَارِقَاتِ بِحِكْمَةٍ
 بِذَلِكَ عَلَى الطُّوفَانِ نُوحٍ وَقَدْ نَجَا
 بِهِ مَنْ نَجَا فِي قَوْمِهِ فِي السَّفِينَةِ
 وَغَاضَ لَهُ مَا فَاضَ عَنْهُ اسْتِجَابَةً
 وَجَدَّ إِلَى الْجُودِي بِهَا وَاسْتَقَرَّتْ
 وَسَارَ وَمَتْنُ الرِّيحِ تَحْتَ بِسَاطِهِ

سُلَيْمَانُ بِالْجَيْشَيْنِ فَوْقَ الْبَسْطَةِ
وَقَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ أَحْضَرَ مِنْ سَبَا
لَهُ عَرْشٌ بِلَقَيْسٍ بَغْيَرٍ مَشَقَّةِ
وَأَحْمَدَ لِإِبْرَاهِيمَ نَارَ عَدُوِّهِ
وَفِي لُطْفِهِ عَادَتْ لَهُ رَوْضَ جَنَّةِ
وَلَمَّا دَعَا الْأَطْيَارَ فِي رَأْسِ شَاهِقِ
وَقَدْ قُطِعَتْ جَاءَتْهُ غَيْرَ عَصِيَّةِ
وَفِي يَدِهِ مُوسَى عَصَاهُ تَلَقَّفَتْ
مِنَ السَّحْرِ أَهْوَالاً عَلَى النَّفْسِ شَقَّةِ
وَمِنْ حَجَرٍ أَجْرَى عُيُونًا بِضَرْبَةِ
بِهَا دَائِمًا سَقَّتْ وَلِلْبَحْرِ شَقَّتْ
وَيُوسُفُ إِذْ أَلْقَى الْبَشِيرُ قَمِيصَهُ
عَلَى وَجْهِهِ يَعْتُوبُ عَلَيْهِ بِأَوْبَةِ
رَأَهُ بِعَيْنَيْ قَبْلِ مَقْدَمِهِ بَكَى
عَلَيْهِ بِهَا شَوْقًا إِلَيْهِ فَكَفَّتْ
وَفِي آلِ إِسْرَائِيلَ مَائِدَةَ السَّمَا
لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ أَنْزَلَتْ ثُمَّ مُدَّتْ
وَمِنْ أَلَمِ أَبْرَى وَمَنْ وَضَحَ غَدَا
شَفَى وَأَعَادَ الطَّيْرَ طَيْرًا بِنَفْحَةِ
وَصَحَّ بِأَخْبَارِ التَّوَاتُرِ أَنَّه
أَمَاتَ وَأَحْيَا بِاللُّدْعَا رَبَّ مَيِّتِ

وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا عَنِ السَّحْرِ أَنَّهُ
 رَضِيْعٌ يُنَادِي بِاللِّسَانِ الْفَصِيْحَةِ
 يُنَزَّهُ عَنِ رَبِّبِ الظُّنُونِ عَفِيْفَةً
 مُبْرَأَةً مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَرِيْبَةٍ
 وَقَالَ لِأَهْلِ السَّبْتِ كُونُوا إِلَهَنَا
 قُرُودًا فَكَانُوا عِبْرَةً أَيْ عِبْرَةً
 وَصَرَغَ أَهْلَ الْفَيْلِ مِنْ دُونِ بَيْتِهِ
 بِطَيْرِ أَبَائِيْلِ صِغَارٍ ضَعِيْفَةٍ
 وَأَحْرَقَ رَوْضَ الْجَنَّةِ عِقُوبَةً
 بِكَافٍ وَنُونٍ عِبْرَةً لِلْبَرِيَّةِ
 وَقَالَ يَوْسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّرْصَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ :
 مُحَمَّدٌ الْمَبْعُوثُ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
 يُشَيِّدُ مَا أَوْهَى الضَّلَالُ وَيُصْلِحُ
 لَئِنْ سَبَّحْتَ صُمْ الْجِبَالِ مُجِيْبَةً
 لِـدَاوُدَ أَوْ لَانَ الْحَدِيْدُ الْمَصْفَحُ
 فَإِنَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ لَانَتْ بِكَفِّهِ
 وَإِنَّ الْحَصَى فِي كَفِّهِ لِيَسْبَحُ
 وَإِنْ كَانَ مُوسَى أَنْبَعَ الْمَاءَ مِنَ الْحَصَى
 فَمِنْ كَفِّهِ قَدْ أَصْبَحَ الْمَاءُ يَطْفَحُ
 وَإِنْ كَانَتْ الرِّيْحُ الرُّخَاءُ مُطِيْعَةً
 سُلَيْمَانَ لَا تَأْلُو تَرْوُحُ وَتَسْرَحُ

فَإِنَّ الصَّابَا كَانَتْ لِنَصْرِ نَبِيِّنَا
 بِرُغْبٍ عَلَى شَهْرِ بِهِ الْخَصْمُ يَكْلَعُ
 أُوتِيَ الْمَلِكَ الْعَظِيمَ وَسُخِّرَتْ
 لَهُ الْجِنُّ تَشْفِي مَا رَضِيهِ وَتَلْدَحُ
 فَإِنَّ مَفَاتِيحَ الْكُنُوزِ بِأَسْرِهَا
 أَتَتْهُ فَارَدَّ الزَّاهِدُ الْمَتَرَجِّحُ
 وَإِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ أُعْطِيَ خُلَّةً
 وَمُوسَى بِتَكْلِيمِ عَلَى الطُّورِ يُنْمَحُ
 فَهَذَا حَيِّبٌ بَلْ خَلِيلٌ مُكَلَّمٌ
 وَخُصَّصَ بِالرُّؤْيَا وَبِالْحَقِّ أَشْرَحُ
 وَخُصَّصَ بِالْحُوضِ الْعَظِيمِ وَبِاللُّوَا
 وَيَشْفَعُ لِلْعَاصِيَيْنَ وَالنَّارُ تَلْفَحُ
 وَبِالْمَقْعَدِ الْأَعْلَى الْمُقَرَّبِ عِنْدَهُ
 عَطَاءٌ بِبُشْرَاهُ أَقْرُرُ وَأَفْرَحُ
 وَبِالرُّتْبَةِ الْعُلْيَا الْوَسِيلَةَ دُونَهَا
 مَرَاتِبُ أَرْبَابِ الْمَوَاهِبِ تَلْمَحُ
 وَفِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ أَوَّلُ دَاخِلٍ
 لَهُ سَائِرُ الْأَبْوَابِ بِالْخَيْرِ تُفْتَحُ

اللَّهُمَّ وفقنا لأتباع الهدى وجنبا أسباب الهلاك والشقا وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
 برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قصص رائعة)

عن بلال بن رباح قَالَ : مَا كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْءٌ إِلَّا أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَلِي ذَلِكَ مِنْهُ مُنْذُ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيَّ أَنْ تُؤَيِّبَ ، فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الْإِنْسَانُ الْمُسْلِمُ فَرَأَهُ عَائِلًا يَأْمُرُنِي فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَقْرِضُ فَأَشْتَرِي الْبُرْدَةَ وَالشَّيْءَ فَأَكْسُوهُ وَأُطْعِمُهُ ، حَتَّى اعْتَرَضَنِي رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : يَا بِلَالُ إِنَّ نَدِي عِنْدِي سَعَةٌ فَلَا تَسْتَقْرِضُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مِنِّي فَفَعَلْتُ . فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ تَوَضَّأْتُ ثُمَّ قُمْتُ لِأُؤَدِّنَ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا الْمُشْرِكُ فِي عِصَابَةٍ مِنَ التُّجَارِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ : يَا حَبَشِيُّ ، قُلْتُ : يَا لَبِيئِهِ ؛ فَتَحَمَمَنِي ، وَقَالَ قَوْلًا غَلِيظًا - أَوْ غَلِيظًا قَالَ : أَتَدْرِي كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّهْرِ ؟ قُلْتُ : قَرِيبٌ .

قَالَ : إِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَرْبَعُ لَيَالٍ ، فَأَخَذَكَ بِالَّذِي لِي عَلَيْكَ ، فَإِنِّي لَمْ أُعْطِكَ الَّذِي أُعْطَيْتَكَ مِنْ كَرَامَتِكَ وَلَا مِنْ كَرَامَةِ صَاحِبِكَ ، وَإِنَّمَا أُعْطَيْتَكَ لِتَصِيرَ لِي عَبْدًا فَأَرُدُّكَ تَرَعَى فِي الْعَنَمِ كَمَا كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ فَأَخَذَنِي فِي نَفْسِي مَا يَأْخُذُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ ، فَأَنْطَلَقْتُ فَنَادَيْتُ بِالصَّلَاةِ ، حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ ، رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي . فَعُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنَّ الْمُشْرِكَ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنِّي كُنْتُ أَتَدْرِي مِنْهُ قَدْ قَالَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَيْسَ عِنْدَكَ مَا تَقْضِي عَنِّي وَلَا عِنْدِي وَهُوَ فَاضِحِي ، فَأَذِنَ لِي أَنْ آتِيَ إِلَى بَعْضِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ أَسْلَمُوا حَتَّى يَرْزُقَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ مَا يَقْضِي عَنِّي .

فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ مَنْزِلِي فَجَعَلْتُ سِنْفِي وَجِرَابِي وَرُحْمِي وَنَعْلِي عِنْدَ رَأْسِي ، فَاسْتَقْبَلْتُ بَوَجْهِهِ الْأُفْقَ فَكُلَّمَا نَمْتُ انْتَبَهْتُ ، فَإِذَا رَأَيْتُ عَلَيَّ لَيْلًا نَمْتُ حَتَّى انشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْطَلِقَ . فَإِذَا إِنْسَانٌ يَدْعُو : يَا بِلَالُ أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى آتَيْتُهُ ، فَإِذَا أَرْبَعُ رَكَائِبَ عَلَيْهِنَّ أَحْمَاهُنَّ ، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَبَشِرْ ، فَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِقَضَاءِ دِينِكَ » . فَحَمِدْتُ اللَّهَ .

وَقَالَ : « أَلَمْ تَمُرَّ عَلَى الرِّكَائِبِ الْمُتَاخَاتِ الْأَرْبَعِ ؟ » قُلْتُ : بَلَى قَالَ : « فَإِنَّ لَكَ رِقَابَهُنَّ وَمَا عَلَيْهِنَّ » . فَإِذَا عَلَيْهِنَّ كِسْوَةٌ وَطَعَامٌ أَهْدَاهُنَّ لَهُ عَظِيمٌ فَدَكَ - « فَأَقْبِضْنَهُنَّ إِلَيْكَ ،

ثُمَّ اقْضِ دَيْنَكَ . فَفَعَلْتُ فَحَطَطْتُ عَنْهُنَّ أَحْمَاهُنَّ ثُمَّ عَقَلْتُهُنَّ ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى تَأْذِينِ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَرَجْتُ إِلَى الْبَيْعِ ، فَجَعَلْتُ إِصْبَعِي فِي أُذُنِي فَقُلْتُ : مَنْ كَانَ يَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَيْنًا فَلْيَحْضُرْ .

فَمَا زِلْتُ أبيعُ وَأُقْضِي وَأُعْرَضُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَيْنٌ فِي الْأَرْضِ حَتَّى فَضَلَ عِنْدِي أُوقِيَّتَانِ أَوْ أُوقِيَّةٌ وَنِصْفٌ ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ ذَهَبَ عَامَّةُ النَّهَارِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَدُهُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لِي : « مَا فَعَلَ مَا قَبْلَكَ ؟ » قُلْتُ : قَدْ قَضَى اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ قَالَ : « فَضَلَ شَيْءٌ ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ دِينَارَانِ ، قَالَ : « انْظُرْ أَنْ تُرِيحَنِي مِنْهُمَا ، فَلَسْتُ بِدَاخِلٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِي حَتَّى تُرِيحَنِي مِنْهُمَا . » فَلَمْ يَأْتِنَا أَحَدٌ ، فَبَاتَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَظَلَّ فِي الْمَسْجِدِ الْيَوْمَ الثَّانِي حَتَّى كَانَ فِي آخِرِ النَّهَارِ جَاءَ رَاكِبَانِ ، فَانْطَلَقْتُ بِهِمَا فَكَسَوْتُهُمَا وَأَطْعَمْتُهُمَا ، حَتَّى إِذَا صَلَّى الْعَتَمَةَ دَعَانِي ، فَقَالَ : « مَا فَعَلَ الَّذِي قَبْلَكَ ؟ » قُلْتُ : قَدْ أَرَاكَ اللَّهُ مِنْهُ ، فَكَبَّرَ وَحَمَدَ اللَّهُ شَفَقًا مِنْ أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ وَعِنْدَهُ ذَلِكَ ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ حَتَّى جَاءَ أَزْوَاجَهُ فَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ امْرَأَةٍ حَتَّى أَتَى فِي مَبِيئَتِهِ .

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَاللَّسِنَا مِنَ الْكُذْبِ وَأَعِينْنَا مِنَ الْخِيَانَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

عن عبد الله بن عمر قال : بعثت رسول الله ﷺ جيشاً فيهم رجل يقال له « حدير » ، وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة من قلة الطعام ؛ فزودهم رسول الله ﷺ ونسي أن يزود حديراً . فخرج حدير صابراً وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هو يا رب ؛ فهو يرددها ، وهو في آخر الركب .

فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فَقَالَ له : إن ربي أرسلني إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حديراً ، وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ويقول : نعم الزاد هو يا رب ؛ فكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض ، فابعث إليه بزاد ، فدعا النبي ﷺ رجلاً ، فدفع إليه زاد وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول ، وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول .

ويقول له : إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله ، ويخبرك أنه كان نسي أن يزودك ، وأن ربي تبارك وتعالى أرسل إلى جبريل يذكرني بك ، فذكره جبريل وأعلمه مكانك .
فانتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هذا يا رب ؛ فدنا منه ، ثم قَالَ له : إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله .

وقد أرسلني إليك بزادٍ معي ، ويقول : إني إنما نسيتك ، فأرسل إلى جبريل من السماء يذكرني بك ؛ فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ثم قَالَ : الحمد لله رب العالمين ، ذكرني ربي من فوق سبع سموات ، ومن فوق عرشه ، ورحم جوعي وضعفي .
يا رب كما لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك ؛ فحفظ ما قَالَ ، ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه ، وبما قَالَ حين أخبره ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أما أنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض . والله أعلم وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ آلِهِ وَسَلَّمَ .

اللَّهُمَّ يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة أيقظنا من نوم الغفلة ونبهنا لاغتنام أوقات المهلة ووقفنا لمصالحنا واعصمنا من قبائحنا وذنوبنا ولا تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا من أنواع القبائح

والمعائب التي تعلمها منا وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

عن محمود بن لبيد قال : أصيب أكحل سعد يوم الخندق فثقل ، حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة ، وكانت تداوي الجرحى ، فكان النبي ﷺ إذا مر به يقول : كيف أمسيت ؟ وإذا أصبح قال : كيف أصبحت ؟ فيخبره .

حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها ؛ فاحتملوه إلى بني الأشهل ، إلى منازلهم ، وجاء رسول الله ﷺ كما كان يسأل عنه ، وقالوا : قد انطلقوا به .

فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه ، فأسرع المشي حتى تقطعت شسوع نعالنا ، وسقطت أرديتنا عن أعناقنا ، قشكا ذلك إليه أصحابه : يا رسول الله ، أتعبتنا في المشي .

فقال : أني أخاف أن تسبقنا الملائكة إليه فتغسله كما غسلت حنظلة فانتهى رسول الله ﷺ إلى البيت وهو يغسل وأمه تبكيه ، وهي تقول :

وَيْلٌ أُمَّ سَعْدٍ سَعْدًا حَزَامَةٌ وَجَدًا

فقال رسول الله ﷺ : كل نائحة تكذب إلا أم سعد .

ثم خرج به ، فقال له القوم - أو من شاء الله منهم - يا رسول الله ، ما حملنا ميتاً أخف علينا من سعد .

فقال : ما يمنعكم من أن يخف عليكم ، وقد هبط من الملائكة كذا وكذا ، قد سمى عدة كثيرة لم أحفظها ، لم يهبطوا قط قبل يومهم ، قد حملوه معكم .

عن الحجاج بن علاط قال قلت لرسول الله : يا رسول الله ، إن لي بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبية بنت أبي طلحة ... ومالا متفرقا في تجار أهل مكة ، فأذن يا رسول الله ؛ (فأذن لي) ، قلت إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول ، قال : قل .

فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالاً من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفاً ومنعة ورجالاً ، فهم يتحسسون الأخبار ، ويسألون الركبان .

فلما رأوني قالوا : الحجاج بن علاط - ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي يهود وريف الحجاز . قلت : قد بلغني ذلك ، وعندني من الخبر ما يسركم ، فالتبطوا بجني ناقتي يقولون : إيه يا حجاج ! قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً .

وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إل أهل مكة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم ؛ فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد ، إنما تنظرون أن يقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم .

قلت : أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي ، فإنني أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من فلّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك ؛ فقاموا ، فجمعوا لي مالي كأحث جمع سمعت به .

وجئت صاحبتى فقلت : ما لي ، وقد كان لي عندها مال موضوع لعلي الحق بخيبر ، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار . فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار .

فقال : يا حجاج ، ما هذا الخبر الذي جئت به ؟ فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم قلت : فاستأجر عني حتى ألك على خلاء ، فإنني في جمع مالي كما ترى ، فانصرف عني حتى أفرغ .

حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة ، وأجمعت الخروج لقيت العباس ، فقلت :
أحفظ علي حديثي يا أبا الفضل - فإني أخشى الطلب - ثلاثاً ثم قل ما شئت ، قَالَ : أفعل
قلت : فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم .

ولقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها ، وصارت له ولأصحابه ، فَقَالَ : ما تقول يا حجاج ؟
قلت : إي والله ، فاکتم عني ، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي ، فرقاً من أن أغلب
عليه .

فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرک ، فهو والله ما تحب . حتى إذا كان اليوم الثالث لبس
العباس حلة له ، وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها .
فلما رآوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلد لحر المصيبة ، قَالَ : كلا ، والله الذي
خلفتكم به ، لقد افتتح مُحَمَّد خيبر وترك عروساً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها
فأصبحت له ولأصحابه .

قَالُوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قَالَ : الذي جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً ، فأخذ
ماله ، فانطلق ليلحق بِمُحَمَّد وأصحابه ، فيكون معه ، قَالُوا : يا لعباد الله ! انفلت عدو الله ،
أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ؛ ولم ينشبو أن جاءهم الخبر بذلك .
والله أعلم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

عن أنس بن مالك قَالَ : أعرس رسول الله ﷺ ، ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيساً ثم
حطته في تور ، فقالت : اذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره أن هذا منا له قليل . والناس يومئذ في
جهد

فجئت به فقلت : يَا رَسُولَ اللهِ بعثت بهذا أم سليم إليك وهي تفرئك

السلام وتقول : إن هذا منا له قليل ، فنظر إليه ثم قَالَ : ضعه فوضعتة في ناحية البيت ، ثم قَالَ : اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً فسمى رجالاً كثيراً .

قَالَ : ومن لقيت من المسلمين فدعوت من قَالَ لي ، ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملاء من الناس فَقَالَ لي رسول الله ﷺ جيء به ؛ فجئت به إليه فوضع يده عليه ودعا وَقَالَ : ما شاء الله .

ثم قَالَ : ليتحلق عشرة ويسموا وليأكل كل إنسان ممّا يليه ، فجعلوا يسمون ويأكلون حتّى أكلوا كلهم ، فَقَالَ لي رسول الله ﷺ ارفعه فجئت فأخذت التور ، فنظرت فيه فلا أدري أهو حين وضعت أكثر أم حين رفعته !

وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ وزوج رسول الله ﷺ التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط ، فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله ﷺ وكان أشد الناس حياء ، ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزاً ، فَقَامَ رسول الله ﷺ فسلم على حجره وعلى نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب ، فخرجوا .

وجاء رسول الله ﷺ حتّى أرخى الستر ، ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فمكث رسول الله ﷺ في بيته يسيراً وأنزل الله عليه القرآن فخرج وهو يقرأ هذا الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تُبَدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ فقرأهن علي قبل الناس وأنا أحدث الناس بهن عهداً

اللَّهُمَّ مكن محبتك في قلوبنا وقوها ونور قلوبنا بنور الإيمان وثبتنا

على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وزحزحنا عن النار وأدخلنا الجنة دار القرار ومتعنا بالنظر إلى وجهك يا أكرم الأكرمين وأرحم الرحمين وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

عن عبد الله بن عباس قَالَ : خرج أبو بكر بالهجرة ، فسمع بذلك عمر فخرج فإذا هو بأبي بكر ، فَقَالَ يا أبا بكر ، ما أخرجك هذه الساعة ؟ فَقَالَ : أخرجني والله ما أجد في بطوننا من حاق الجوع .

فَقَالَ : وأنا والله ما أخرجني غيره ، فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ : ما أخرجكما هذه الساعة ؟ فقالا : أخرجنا ما نجد في بطوننا من حاق الجوع .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره فقاموا فانطلقوا حتى أتوا باب أبي أيوب الأنصاري وكان أبو أيوب ذكر لرسول الله ﷺ طعاما أو لبنا فأبطأ يومئذ فلم يأت لحينه فأطعمه أهله ، وانطلق إلى نخله يعمل فيه .

فلما أتوا باب أبي أيوب خرجت امرأته فقالت : مرحبا برسول الله ﷺ وبمن معه فَقَالَ لها رسول الله ﷺ فأين أبو أيوب ؟ فقالت : يأتيك يا نبي الله الساعة .

فرجع رسول الله ﷺ فبصر به أبو أيوب - وهو يعمل في نخل له - فجاء يشند حتى أدرك رسول الله ﷺ فَقَالَ : مرحبا بنبي الله وبمن معه .

فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ ، ليس بالحين الذي كنت تجيئني فيه ، فرده ، فجاء إلى عذق النخل فقطعه ، فَقَالَ له رسول الله ﷺ : ما أردت إلى هذا ؟ فَقَالَ : يا رَسُولَ اللهِ أحببت أن تأكل من رطبه وبسره وثمره وتذنوبه ، ولأذبحن لك مع هذا .

فَقَالَ : إن ذبحت ، فلا تذبحن ذات در ، فأخذ عناقاً له ، أو جدياً ؛

فدبحه ، وَقَالَ لامرأته : اختبزي وأطبخ أنا ، فأنت أعلم بالخبز فعمد إلى نصف الجدي فطبخه ، وشوى نصفه .

فلما أدرك بالطعام وضع بين يدي رسول الله ﷺ وأصحابه ، فأخذ رسول الله ﷺ من الجدي فوضعه على رغيف ، ثم قَالَ : يا أبا أيوب أبلغ بهذا فاطمة فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام . فلما أكلوا وشبعوا قَالَ النبي ﷺ خبز ولحم وبسر وتمر ورطب ، ودمعت عيناه ، ثم قَالَ : هذا من النعيم الَّذِي تسألون عنه يوم القيامة ، فكبر ذلك على أصحابه ، فَقَالَ رسول الله ﷺ إذا أصبتم مثل هذا ، وضربتم بأيديكم فقولوا : بسم الله وبركة الله ، فإذا شبعتم فقولوا : الحمد لله الَّذِي أشبعنا وأروانا ، وأنعم وأفضل ، فإن هذا كفاف بهذا .

وكان رسول الله ﷺ لا يأتي إليه أحد معروفاً إلا أحب أن يجازيه ؛ فَقَالَ لأبي أيوب : ائتنا غداً فلم يسمع ، فَقَالَ له عمر إن رسول الله ﷺ يأمر أن تأتيه ، فلما أتاه أعطاه وليدة ، فَقَالَ : يا أبا أيوب ، استوص بهذه خيراً فإننا لم نر إلا خيراً ما دامت عندنا ؛ فلما جاء بها أبو أيوب قَالَ : ما أجد لوصية رسول الله ﷺ شيئاً خيراً من أن أعتقها ؛ فأعتقها .

والله أعلم وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

فَهَا سُنَّةُ الْمَعْصُومِ خَيْرَ خَلْقِهِ	شَكَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ طُولَ جِفَاهَا
فَنَسَأَلُ رَبُّ الْعَرْشِ تَيْسِيرَ مُخْلِصِ	يُرِيْلُ ظَلَامًا قَدْ طَمَا وَعَلَاهَا
فَتَى قَدْ جَنَى مِنْ كُلِّ فَنِ ثِمَارَهُ	وَأَمَّ إِلَى هَامِ الْعُلَى فَعَلَاهَا
قَرِيبُ إِلَى أَهْلِ الشَّرِيعَةِ وَالْتَقَى	وَيَبْعُدُ عَمَّنْ يَرْتَضِي بِسَوَاهَا
عَفِيفٌ عَنِ الْأَمْوَالِ إِلَّا بِحَقِّهَا	وَعَنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا يُطِيلُ جِفَاهَا
يُؤَالِي وَيُذْنِي أَهْلَ سُنَّةِ أَحْمَدِ	بَعِيدٌ لِمَنْ يَهْدِي بغيرِ هُدَاهَا
يَحْفُ بِه قَوْمٌ عَلَى كُلِّ سَابِحِ	مَنَاهُمْ مَنَاوَاةُ الْعِدَى وَلِقَاهَا

يَقُودُ أُسُودًا فِي الْحَرْبِ ضِيَاعِمًا
وَيَعْرُوهُمُومًا عِنْدَ الْمَلَأَقَاتِ هِرَّةً
وَيَطْرِبُهُمْ هَزُّ الْقَنَا بِأَكْفِهِمْ
وَلَا جَمَعُوا مَالًا وَلَا كَسَبُوا لَهُمْ
وَمَا قَصَدُوا مِنْ سَفْكِهِمْ لِدَمِ الْعِدَى
سِوَى أَنَّهُمْ يُخَيِّونَ شِرْعَةَ أَحْمَدٍ
وَلَا هَمَّهُمْ جَمْعُ الْحَطَامِ فزَخْرَفُوا
وَلَا قَصْدَهُمْ مَمَّنْ أَبَادُوهُ بِالْقَنَا
سِوَى رَفْعِ أَعْلَامِ الشَّرِيعَةِ فِي الْوَرَى
سَيَنْجَابُ عَنْهَا بِالصَّوَارِمِ مَا دَجَا
وَتَنْفُذُ فِي الطَّاعِي سِهَامَ فَسِيهِمْ
فِيَا مَنْ لَهُمْ فِي الدِّينِ أَقْصَرُ هَمَّةٍ
نَرَى كُلَّ يَوْمٍ مُنْكَرَاتٍ فَظِيْعَةً
وَمَا حَصَلَ الْإِنْصَافُ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ
تَعَالَوْا بِنَا نُحْيِي رِيَاضًا مِنَ الْعُلَى
وَفُكُّوا عَنِ الْأَفْكَارِ أَقْيَادَ شُغْلِهَا
فَمَا اللَّهُ عَمَّا تَعْمَلُونَ بِغَافِلٍ
فَفِي الذِّكْرِ أَخْبَارُ بِسُوءِ مَا لَهُمْ
بِرَبِّكُمْوَا رُدُّوَا سَلَامِي عَلَى أَمْرِي
خَلِيلِي هَلْ مِنْ سَامِعٍ لَشَكِّي
فَإِنْ تَجِدَاهُ فَاكْشِفَا عَنْ نِقَابِهَا

تَعُدُّ الْمَنَائَا فِي الْحُرُوبِ مُنَاهَا
وَيُسْكِرُهُمْ دَمْعُ الْعِدَا وَدِمَاهَا
وَوَقَّعَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ عِدَاهَا
مَسَاكِنَ لَا يَرْضَى إِلَّا لَهُ بِنَاهَا
وَضَرَبَ طَلَاهَا بِالطَّلَا لِرَدِّهَا
وَيُعْلُونَ مِنْهَا مَا وَهَى لِعِلَاهَا
قُصُورًا وَلَا بَاهَا بِرَفْعِ بِنَاهَا
وَتَطْوِيْقِهِمْ بِالسَّيْفِ بِيضَ طَلَاهَا
وَيَنْفُونَ عَنْهَا بِاطِلَالٍ بِدَوَاهَا
فَيُشْرِقُ فِي الْآفَاقِ نُورُ سَنَاهَا
فَتَنْظَهُرُ أَحْكَامُ الْهُدَى بِهُدَاهَا
إِلَى كَمِ تُمْنُونَ النَّفُوسَ مِنْهَا
وَلَا نَتَحَامَى عَارَهَا وَعَرََاهَا
فَحَيِّ هَلَا يَا مَنْ يُرِيدُ حِمَاهَا
وَنَرَفَعُ أَعْلَامَ الْهُدَى وَذُرَاهَا
لِنَنْظُرَ فِي عُقْبَى مَالِ عِلَاهَا
سَيَجْزِي الْعِدَى يَوْمَ الْجَزَا بِجَزَاهَا
إِذَا رَامَهَا مِنْ شَاءَهَا سَيَرَاهَا
عَنِ السُّنَّةِ الْغَرَا أَمَاطَ قَدَاهَا
إِذَا بُحْتُ بِالشُّكُوى يُبْلُ صَدَاهَا
وَالَا فَبِالْكَفِّءِ الْكَرِيمِ عِدَاهَا

أَلَمْ تَسْمَعُوا تَجْرِيفَ سُنَّةِ أَحْمَدٍ
إِذَا قِيلَ قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
بِلَادٍ جَبِينَاهَا وَسُنَنَاهَا
وَأَنَّ قِيلَ مَا شَأْنُ الْمَزَامِيرِ وَالْغِنَا
وَأَذَانُهُمْ صُمٌّ عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى
فَصَدُّوا وَمَا رَدُّوا شَرِيدًا وَهَدَّمُوا
فَتَبًّا لَهَا تَبًّا وَسُحْقًا لِفِرْقَةٍ
وَبُعْدًا لَهَا بُعْدًا وَتَبًّا لَهَا وَمَنْ
فَعَوَّنَاهُ وَاعْوَنَاهُ هَلْ مِنْ مُثَابِرٍ
إِذَا سُئِلَ مِنْ نُورِ الشَّرِيعَةِ صَارِمًا
فِيَا لِلْعُقُولِ السَّامِيَاتِ إِلَى الْعُلَا
أَلَسْنَا نَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ مَنَاقِرًا
وَمَا كَانَ مِنَّا صَادِمٌ لِمُشَاغِبٍ
فَحَيٍّ هَلَا نُحْيِي مِنَ الْوَحْيِ سُنَّةً
وَهُبُّوا فَقَدْ طَالَ الْمَنَامُ وَشَمَّرُوا
فَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ نُصْرَةَ دِينِهِ
وَأَنْزَلَ فِي التَّنْزِيلِ أَخْبَارَ مَنْ طَغَى
فِيَالِ عِبَادِ اللَّهِ هَلْ مِنْ مُحَقِّقٍ
خَلِيلِي هَلَا قَدْ وَجَدْتُمْ مُهَذَّبًا
فَإِنْ تَجِدَاهُ فَالْمَرَامُ وَجَدْتُمَا
فَوَا حَزَنًا مِنْ هَجْرِ سُنَّةِ أَحْمَدِ

وَسَوِّمِ الْأَعَادِي فِي مُرُوجِ حِمَاهَا
يَقُولُونَ قَالَ الْأَكْثَرُونَ سِوَاهَا
فَنَحْنُ كَمَنْ قَدْ سَاسَهَا وَجَبَاهَا
بَلِ الظُّلْمِ قَالُوا كَيْ نُخِيفَ عِدَاهَا
وَأَبْصَارُهُمْ قَدْ طَالَ عَنْهُ عَمَاهَا
قَوَاعِدَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ بِنَاهَا
جَمِيعِ الضَّلَالَاتِ اشْتَرَتْ بِهَدَاهَا
يُحَاوِلُ مِنْهَا فِي الْجَهَالَةِ جَاهَا
يُرِيْلُ قَذَاهَا سَيْفُهُ وَشَجَاهَا
عَلَى ظُلْمَةٍ لِلظَّالِمِينَ جَلَاهَا
وَيَا مَنْ مَنَحْتُمْ أَنْفُسًا وَهَدَاهَا
فَنُعْرِضُ لَا نَنْهَى وَلَا نَنْتَاهَا
أَدَارَ مِنَ الْحَرْبِ الضَّرُوسِ رَحَاهَا
وَقَدْ سَنَحْتَ عَيْنَ تَطِيلُ كَرَاهَا
لِنَسْبِخِ فِي غَمْرَاتِهَا وَحَلَاهَا
وَلَكِنْ قَضَى أَنْ لِلْأُمُورِ مَدَاهَا
وَكَمْ ضُمَّنْتَ (طَسَن) مِنْهُ وَ (طَاهَا)
عَلَى شِرْعَةِ الْمُخْتَارِ رَدُّ رَوَاهَا
إِذَا بُنِّتِ الشُّكُوى إِلَيْهِ وَعَاهَا
وَالِإِ فَصُونَا وَجَهَّهَا وَقَفَاهَا
بِغَيْرِ تَحَاشٍ وَأَنْتَهَاكِ حِمَاهَا

إِذَا قِيلَ مَا هَذِي الْمَقَائِسُ وَالْهَوَىٰ
وَمُلْكٌ وَأَرَاضٌ قَدْ جَبِينَا خَرَجَهَا
وَأَنَّ قِيلَ مَا شَأْنُ الْمَظَالِمِ جَهْرَةً
قُلُوبٌ لَهُمْ لَا تَعْقِلُ الْحَقَّ بَلْ وَلَا
يَقُولُونَ عَادَاتٌ وَنَحْنُ نَرَاهَا
كَمَا سَاسَهَا مِنْ قَبْلُنَا وَجَبَاهَا
يَقُولُونَ إِرْهَابٌ فَقُلْتُ بِلَاهَا
تَلِينٌ لِذِكْرِ اللَّهِ عِنْدَ قَسَاهَا

اللَّهُمَّ أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر إنك سميع الدعاء .

اللَّهُمَّ مكن محبتك في قلوبنا وقوها ونور قلوبنا بنور الإيمان وألهمنا ذكرك وشكرك بحضور قلب واجعلنا هداة مهتدين وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عن عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قَالَ : جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا بمنى ، ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف ، وهو على راحلته مردفاً خلفه زيد بن حارثة . فدعانا ؛ فوقف ما استجبنا له ولا خير لنا ، وقد كنا سمعنا به وبدعائه في المواسم ، فوقف علينا يدعوننا فلم نستجب له ، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي .

فَقَالَ لَنَا : أحلف بالله لو قد صدقتنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأي ، فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ . فَقَالَ القوم : دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به . وطمع رسول الله ﷺ في ميسرة ، فكلمه ؛ فَقَالَ ميسرة : ما أحسن كلامك وأنوره ولكن قومي يخالفوني وإنما الرجل بقومه ، فإذا لم يعضدوه ، فالعدى أبعد .

فانصرف رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وخرج القوم صادقين إل أهليهم ؛ فَقَالَ لهم ميسرة : ميلوا نأتي فذك ؛ فإن بها يهوداً نسائلهم عن هذا الرجل ؛ فمالوا إلى يهود ، فأخرجوا سفراً لهم فوضعوه . ثم درسوا ذكر رَسُولِ اللَّهِ ﷺ النبي الأمي العربي ، يركب الحمار ، ويجتزي بالكسرة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجعد ، ولا بالبسط ، في عينيه حمرة ، مشرق اللون ، فإن كان هو الَّذِي

دعاكم ، فأجيبوه ، وادخلوا في دينه فإننا نحسده ولا نتبعه وإنما منه في مواطن بلاء عظيم ، ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه ، وإلا قاتله فكونوا ممن يتبعه .

فَقَالَ ميسرة : يا قوم ألا إن هذا الأمر بين ، فَقَالَ القوم : نرجع إلى الموسم ونلقاه ، فرجعوا إلى بلادهم ، وأبى ذلك عليهم رجالهم ، فلم يتبعه أحد منهم ، فلما قدم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المدينة مهاجراً وحج حجة الوداع لقيه ميسرة فعرفه .

فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ما زلت حريصاً على إتباعك من يوم أنخت بنا ، حتى كان ما كان ، وأبى الله إلا ما ترى من تأخر إسلامي ، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي ، فأين مدخلهم يا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كل من مات على غير دين الإسلام فهو في النار .

فَقَالَ : الحمد لله الذي أنقذني ؛ فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له عند أبي بكر مكان .
اللَّهُمَّ وفقنا لسلوك مناهج المتقين وخصنا بالتوفيق المبين واجعلنا بفضلك من عبادك المخلصين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : أُرْسِلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ لَهُمُ الْخُمْلَانَ ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنَّ أَصْحَابِي أُرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ » . وَوَأَفَقْتُهُ ، وَهُوَ غَضَبَانٌ وَلَا أَشْعُرُ .

فَرَجَعْتُ حَزِيناً مِنْ مَنَعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ خِيفَةِ أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبَرْتُهُمْ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوءِئَةً إِذْ سَمِعْتُ بِأَلَّا يُنَادِي أَيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ . فَأَجَبْتُهُ .

فَقَالَ : أَجِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكَ ، فَلَمَّا أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « خُذْ هَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ وَهَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ وَهَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ - لِسِتَّةِ أَبْعَرَةٍ ابْتَاعَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ - فَانْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ .

فَقُلْ : إِنَّ اللَّهَ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ فَارْكَبُوهُنَّ » . فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي بِهِنَّ ، فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ .

وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أَدْعُوكُمْ حَتَّى يَنْطَلِقَ مَعِيَ بَعْضُكُمْ إِلَى مَنْ سَمِعَ مَقَالََةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَأَلْتُهُ لَكُمْ ، وَمَنْعَهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ ثُمَّ إِعْطَاهُ إِيَّايَ بَعْدَ ذَلِكَ ، لَا تَطُؤُوا أَبِي حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا لَمْ يَقُلْهُ .

فَقَالُوا لِي : وَاللَّهِ إِنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدِّقٌ ، وَلَنْفَعَلَنَّ مَا أَحْبَبْتَ ؛ فَانْطَلَقَ أَبُو مُوسَى بِنَفَرٍ مِنْهُمْ حَتَّى أَتَوْا الَّذِينَ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْعَهُ إِيَّاهُمْ ، ثُمَّ إِعْطَاهُمْ بَعْدَ ، فَحَدَّثُوهُمْ بِمِثْلِ مَا حَدَّثْتَهُمْ بِهِ أَبُو مُوسَى .

وعن كعب بن مالك قَالَ : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهننا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة .

قَالَ البراء لنا : يا هؤلاءِ إني قد رأيت رأياً ، فوالله ما أدري أتوافقونني عليه ، أم لا ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قَالَ : قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها .

فقلنا : والله ما بلغنا أن نبيناً ﷺ يصلي إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه ، فَقَالَ : إني لمصل إليها فقلنا له : لكننا لا نفعل ، فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلينا إلى الكعبة ، حَتَّى قَدَمْنَا مَكَةَ .

وقد كنا قد عتبنا عليه ما صنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك فلما قدمنا مكة قال لي : يا ابن أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حَتَّى نَسْأَلَهُ عَمَّا صَنَعْتَ فِي سَفَرِي هَذَا ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ ، لَمَا رَأَيْتَ مِنْ خِلَافِكُمْ إِيَّايَ فِيهِ .

فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله ﷺ فَقَالَ : هل تعرفانه ؟ قلنا : لا .
 قَالَ : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قلنا : نعم - وقد كنا نعرف العباس ،
 كان لا يزال يقدم علينا تاجراً - قَالَ : فإذا دخلتما المسجد ؛ فهو الرجل الجالس مع العباس .
 قَالَ : فدخلنا المسجد ، فإذا العباس جالس ، ورسول الله ﷺ جالس معه ، فسلمنا ، ثم جلسنا
 إليه .

فَقَالَ رسول الله ﷺ للعباس : ((هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل)) ؟ قَالَ : نعم ،
 هذا البراء بن معرور ، سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك ؛ فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ :
 ((الشاعر)) ؟ قَالَ : نعم .

فَقَالَ له البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجت في سفري هذا ، وقد هداني الله للإسلام ،
 فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها ، وقد خالفني أصحابي في ذلك ،
 حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ؛ فما ترى يا رَسُولَ الله ؟

قَالَ : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها ؛ فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلى معنا
 إلى الشام وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم
 به منهم . والله أعلم وصلى الله على مُحَمَّدٍ اللّهُمَّ اسلك بنا سبيل الأبرار ، واجعلنا من عبادك
 المصطفين الأخيار ، وامن علينا بالعفو والعنتق من النار ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَاعَةٍ لَا يَخْرُجُ فِيهَا ، وَلَا يَلْقَاهُ فِيهَا
 أَحَدٌ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : « مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ » ؟ فَقَالَ : خَرَجْتُ أَلْقَى رَسُولَ اللهِ
 ﷺ وَأَنْظَرُ فِي وَجْهِهِ وَالتَّسْلِيمَ عَلَيْهِ .

فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ عُمَرُ ؛ فَقَالَ : « مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَرُ » ؟ قَالَ : الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ !
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَأَنَا قَدْ وَجَدْتُ بَعْضَ ذَلِكَ » . فَانْطَلَقُوا إِلَى مَنْزِلِ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ
الْأَنْصَارِيِّ - وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ النَّخْلِ وَالشَّجَرِ وَالشَّاءِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ خَدَمٌ - فَلَمْ يَجِدُوهُ .
فَقَالُوا لِامْرَأَتِهِ أَيْنَ صَاحِبُكَ ؟ فَقَالَتْ : انْطَلَقَ يَسْتَعْدِبُ لَنَا الْمَاءَ ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَ أَبُو
الْهَيْثَمِ بِقِرْبَةٍ يَزْعُبُهَا ، فَوَضَعَهَا ثُمَّ جَاءَ يَلْتَزِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَيُقَدِّمُهُ بِأَيْدِيهِ وَأُمَّهُ .

ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى حَدِيثَتِهِ ، فَبَسَطَ لَهُمْ بِسَاطًا ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى نَخْلَةٍ فَجَاءَ بِقِنْوٍ ، فَوَضَعَهُ ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَفَلَا تَنْقِيتَ لَنَا مِنْ رُطْبِهِ » . فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ تَخْتَارُوا - أَوْ
قَالَ تَخَيَّرُوا - مِنْ رُطْبِهِ وَبُسْرِهِ .

فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنْ هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي
تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ظِلٌّ بَارِدٌ طَيِّبٌ ، وَمَاءٌ بَارِدٌ » . فَانْطَلَقَ أَبُو الْهَيْثَمِ يَصْنَعُ لَهُمْ طَعَامًا
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا تَذَبْحَنَّ لَنَا ذَاتَ دَرٍّ » . فَذَبَحَ لَهُمْ عَنَاقًا - أَوْ جَدْيًا - فَأَتَاهُمْ بِهَا فَأَكَلُوا

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هَلْ لَكَ خَادِمٌ ؟ » . قَالَ : لَا ، قَالَ : « فَإِذَا أَتَانَا سَبِيٌّ فَأَتِينَا » . فَأُتِيَ
النَّبِيُّ ﷺ بِرَأْسَيْنِ لَيْسَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ ، فَأَتَاهُ أَبُو الْهَيْثَمِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اخْتَرِ مِنْهُمَا » .
فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ اخْتَرِ لِي . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ ، خُذْ هَذَا ، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ
يُصَلِّي ، وَاسْتَوَصَّ بِهِ مَعْرُوفًا » . فَانْطَلَقَ أَبُو الْهَيْثَمِ إِلَى امْرَأَتِهِ : فَأَخْبَرَهَا بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : مَا أَنْتَ بِبَالِغِ مَا قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا أَنْ تَعْتَقَهُ ، قَالَ : فَهُوَ عَتِيقٌ ، فَقَالَ
النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا وَلَا خَلِيفَةً إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالًا وَمَنْ يُوقِ بِطَانَةَ الشُّوْءِ فَقَدْ وُقِيَ » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا شِمْلَنَا ،

وتلم بها شعشنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتحفظ بها غائبنا ، وتركى بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ ارزقنا من فضلك ، وأكفنا شر خلقك ، وأحفظ علينا ديننا وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ قَالَ الْحِجَّاجُ بْنُ عِلاطٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي بِمَكَّةَ مَالًا وَإِنَّ لِي بِهَا أَهْلًا وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَهُمْ أَفَأَنَا فِي حِلٍّ إِنْ أَنَا نَلْتُ مِنْكَ أَوْ قُلْتُ شَيْئًا . فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ مَا شَاءَ ، فَأَتَى امْرَأَتَهُ حِينَ قَدِمَ فَقَالَ : اجْمَعِي لِي مَا كَانَ عِنْدِكَ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ مِنْ عَنَائِمِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ اسْتَبِيحُوا وَأُصِيبَتْ أَمْوَالُهُمْ . وَفَشَى ذَلِكَ بِمَكَّةَ فَانْفَمَعَ الْمُسْلِمُونَ وَأَظْهَرَ الْمُشْرِكُونَ فَرَحًا وَسُرورًا . وَبَلَغَ الْحَبْرُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَعَقَرَ وَجَعَلَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ ... فَأَخَذَ ابْنًا لَهُ يُقَالُ لَهُ قُثَمٌ وَاسْتَلْقَى ، وَوَضَعَهُ عَلَى صَدْرِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

جَبِي قُثَمٌ شَبِيهُ ذِي الْأَنْفِ الْأَشْمِ نَبِيِّ ذِي النَّعَمِ يَزْعُمُ مَنْ زَعَمَ

ثُمَّ أَرْسَلَ غُلَامًا لَهُ إِلَى الْحِجَّاجِ بْنِ عِلاطٍ ، فَقَالَ وَيْلَكَ جِئْتَ بِهِ ! وَمَاذَا تَقُولُ ؟ فَمَا وَعَدَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتَ بِهِ فَقَالَ الْحِجَّاجُ بْنُ عِلاطٍ : أَقْرَأُ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ فَلْيَخْلُ لي فِي بَعْضِ بُيُوتِهِ لِأَنِّيهِ فَإِنَّ الْحَبْرَ عَلَى مَا يَسْرُهُ .

فَجَاءَ غُلَامُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ بَابَ الدَّارِ قَالَ : أَبَشِّرْ يَا أَبَا الْفَضْلِ ، فَوَثَبَ الْعَبَّاسُ فَرِحًا حَتَّى قَبَلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَأَخْبَرَهُ مَا قَالَ الْحِجَّاجُ فَأَعْتَقَهُ .

ثُمَّ جَاءَهُ الْحِجَّاجُ فَأَخْبَرَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ افْتَتَحَ خَيْبَرَ وَعَنِمَ أَمْوَالُهُمْ ، وَجَرَتْ سِهَامُ اللَّهِ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَاصْطَلَفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتِ

حِيٍّ وَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ ، وَخَيْرَهَا أَنْ يُعْتَقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ ، أَوْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا ، فَاخْتَارَتْ أَنْ يُعْتَقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ .

وَلَكِنِّي جِئْتُ لِمَالٍ كَانَ هَا هُنَا أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَهُ فَأَذْهَبَ بِهِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقُولَ مَا شِئْتُ فَأَخْفِ عَنِّي ثَلَاثًا ، ثُمَّ ادْكُرْ مَا بَدَا لَكَ فَجَمَعَتِ امْرَأَتُهُ مَا كَانَ عِنْدَهَا مِنْ حُلِيِّ أَوْ مَتَاعٍ فَجَمَعْتُهُ وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ انْشَمَرَ بِهِ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ أَيَّامٍ أَتَى الْعَبَّاسُ امْرَأَةَ الْحَجَّاجِ فَقَالَ : مَا فَعَلَ زَوْجُكَ فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَالَتْ : لَا يَجْزِيكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْفَضْلِ لَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا الَّذِي بَلَغَكَ ، قَالَ : أَجَلٌ فَلَا يُحْزِنُنِي اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَّا مَا أَحْبَبْنَا ، فَتَحَّ اللَّهُ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللَّهِ وَاصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ .

فَإِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فِي زَوْجِكَ فَالْحَقِي بِهِ ، قَالَتْ : أَطُنُّكَ وَاللَّهِ صَادِقًا ؟ قَالَ : فَإِنِّي لَصَادِقٌ ، وَالْأَمْرُ عَلَى مَا أَخْبَرْتِكِ ، ثُمَّ ذَهَبَ حَتَّى أَتَى مَجْلِسَ قُرَيْشٍ ، وَهُمْ يَقُولُونَ إِذَا مَرَّ بِهِمْ : لَا يُصِيبُكَ إِلَّا خَيْرٌ يَا أَبَا الْفَضْلِ .

قَالَ : لَمْ يُصِيبْنِي إِلَّا خَيْرٌ بِحَمْدِ اللَّهِ ، أَخْبَرَنِي الْحَجَّاجُ بْنُ عَلَاطٍ أَنَّ خَيْبَرَ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللَّهِ ، وَاصْطَفَى صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ سَأَلَنِي أَنْ أَخْفِيَ عَنْهُ ثَلَاثًا ، وَإِنَّمَا جَاءَ لِيَأْخُذَ مَالَهُ ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ هَا هُنَا ثُمَّ يَذْهَبُ .

فَرَدَّ اللَّهُ الْكُتَابَةَ الَّتِي كَانَتْ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مَنْ كَانَ دَخَلَ بَيْتَهُ مُكْتَسِبًا حَتَّى أَتَى الْعَبَّاسَ فَأَخْبَرَهُمْ الْخَبْرَ ، فَسَرَّ الْمُسْلِمُونَ ، وَرَدَّ مَا كَانَ مِنْ كُتَابَةٍ أَوْ غَيْظٍ وَحُزْنٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اللَّهُمَّ اسْلِكْ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَوَقِفْنَا لِلتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَاحْطِطْ عَنَا ثِقَلَ الْأَوْزَارِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

عن جرير بن عبد الله البجلي قَالَ : رجل مع أبي موسى الأشعري ، وكان صوت ونكايه في العدو ، فغنموا مغنماً فأعطاه أبو موسى بعض سهمه ، فأبى أن يقبله إلا جميعاً ، فجلده أبو موسى عشرين سوطاً ، وحلقه ، فجمع الرجل شعره ، ثم ترحل إلى عمر بن الخطاب ، حتى قدم عليه .

فدخل على عمر بن الخطاب ، وكنت أقرب الناس من عمر ، فأدخل على عمر شعره ، ثم ضرب به صدر عمر بن الخطاب ، ثم قَالَ : أما والله لولا النار ؛ فَقَالَ عمر : صدق والله لولا النار .

فَقَالَ : يا أمير المؤمنين ، إني كنت ذا صوت ونكايه ، فأخبره بأمره ، وَقَالَ : ضربني أبو موسى عشرين سوطاً ، وحلق رأسي ، وهو يرى أنه لا يقتص منه .
فَقَالَ عمر - رضوان الله عليه - : لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا أحب لي من جميع ما أفاء الله علينا .

فكتب عمر إلى أبي موسى : سلام عَلَيْكَ ، أما بعد ؛ فإن فلاناً أخبرني بكذا وكذا ، فإن كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس ، فعزمت عَلَيْكَ لما قعدت له في ملأ من الناس حتى يقتص منك .

فقدم الرجل ، فَقَالَ له الناس : اعف عنه ، فَقَالَ : لا والله لا أدعه لأحد من الناس ، فلما قعد أبو موسى ليققص منه رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قَالَ : اللهم إني قد عفوت عنه .
والله أعلم وَصَلَّى اللَّهُ وَعَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْعَ لَقِيَهُ أَهْلُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ .

فَقَالَ عُمَرُ : ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوْلِيَيْنَ . فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ
بِالشَّامِ فَاخْتَلَفُوا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ .

فَقَالَ : ارْتَفِعُوا عَنِّي . ثُمَّ قَالَ : ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ ؛ فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ
الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ . فَقَالَ : ارْتَفِعُوا عَنِّي .

ثُمَّ قَالَ : ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشِيخَةٍ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ . فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ
يُخْتَلِفْ عَلَيْهِ رِجَالَانِ فَقَالُوا : نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ .

فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ : إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ . فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ابْنُ الْجُرَاحِ
: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : لَوْ غَيْرَكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ - وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَتَهُ - نَعَمْ
نَفَرٌ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ .

أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطْتَ وَادِيًا لَهُ عِدْوَتَانِ ؛ إِحْدَاهُمَا : خَصْبَةٌ ، وَالْأُخْرَى : جَدْبَةٌ
أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ .

فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَعَبِيًّا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا
؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا
فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ » . فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ انْصَرَفَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ وَعَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزِينَهُ فِي قُلُوبِنَا وَكِرْهِ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ
الرَّاشِدِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا فَهَمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا
مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ

تعلم صدقنا في رجاء رفقك ، وخالص ودك ، اللهم أنت أعلم بنا منا ، فبكمال جودك تجاوزنا ، وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

عن أنس بن مالك : كنا عند عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - إذ جاءه رجل من أهل مصر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا مقام العائد بك ، قال : وما لك ؟ قال : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل فأقبلت فرسي ، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو فقال : فرسي ورب الكعبة ؛ فلما دنا مني عرفته ، فقلت : فرسي ورب الكعبة فقام إلي فضربني بالسوط ، ويقول : خذها وأنا ابن الأكرمين .

فوالله ما زاده عمر على أن قال له : اجلس ، ثم كتب إلى عمرو إذا جاءك كتابي هذا فأقبل ، وأقبل معك بابنك محمد ؛ فدعا عمرو ابنه فقال : أحدثت حدثاً ؟ أجنيت جناية ؟ قال : لا ، قال : فما بال عمر يكتب فيك .

فقدم على عمر ؛ فوالله إنا عند عمر حتى إذا نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه ، فإذا هو خلف أبيه ، فقال : أين المصري ؟ فقال : ها أنا ذا ، قال : دونك الدرّة فاضرب ابن الأكرمين ، اضرب ابن الأكرمين ، فضربه حتى أثخنه .

ثم قال : أحلها على صلعة عمرو ! فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه فقال : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني ، قال : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه ، أيا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهم أحراراً ثم التفت إلى المصري ، فقال : أنصرف راشداً ، فإن رابك رب فاكذب إلى .

كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص - عام الرمادة - : (بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى العاصي ابن العاصي ،

سلام عَلَيْكَ ، أما بعد : أفتراني هالكاً ومن قبلي وتعيش أنت ومن قبلك ؟ فيا غوثاه -) .
 فكتب إليه عمرو بن العاص : (بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، من عمرو بن العاص ، سلام عَلَيْكَ ؛ فيني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :)
 فقد (أتاك الغوث فلبث ، لأبعثن إليك بعيراً أولها عندك وآخرها عندي) .

فلما قدم أول الطعام كلم عمر بن الخطاب الزبير بن العوام فَقَالَ له : تعترض للغير فتميلها إلى أهل البادية فتقسمها بينهم ؛ فو الله لعلك لا تكون أصبت بعد صحبتك رسول الله شيئاً أفضل منه ؛ فأبي الزبير واعتل .

وأقبل رجل من أصحاب النبي ﷺ فَقَالَ عمر : لكن هذا لا يأتي ؛ فكلمه عمر ففعل وخرج ، فَقَالَ له عمر : أما لقيت من الطعام فمل به إلى أهل البادية .

فأما الظروف فاجعلها حُفّاً يلبسونها ، وأما الإبل فأنحرها لهم يأكلون من لحومها ، ويحملون من ودكها ، ولا تنتظر أن يقولوا ننتظر بما الحيا ، وأما الدقيق فيصطنعون ويجرزون حتى أمر الله لهم بالفرج .

وكان عمر يصنع الطعام وينادي مناديه : من أحب أن يحضر طعاماً فيأكل فليفعل ، ومن أحب أن يأخذ ما يكفيه وأهله فليأت ، فليأخذه .

اللَّهُمَّ توفنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

عن عبد الله بن عمر قَالَ : قدمت رفقة من التجار ، فنزلوا المصلى فَقَالَ عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لك أن نحرسهم الليلة من السرقة ؟ (قَالَ : نعم) ، فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر بكاء

صبي فتوجه نحوه فَقَالَ لأمه : اتقي الله وأحسني إلى صبيك .
ثم عاد مكانه ، فسمع بكاءه فأتى أمه فَقَالَ (لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما
كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى إلى أمه فَقَالَ لها :) ويحك ، إني لأراك أم سوء ، مالي
أرى ابنك لا يقر منذ الليلة (من البكاء) ؟

قالت : يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة ، إني أريغه عن الفطام فيأبي ، قَالَ : ولم ؟ قالت :
لأن عمر لا يفرض إلا للفطم ، قَالَ : وكم له ؟ قالت : كذا وكذا شهراً ، قَالَ ويحك لا
تعجله (عن الفطام) .

فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم قَالَ : يا بؤساً لعمر ،
كم قتل من أولاد المسلمين ! ثم أمر منادياً ؛ فنادى : ألا ، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ،
فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، إنا نفرض لكل مولود في
الإسلام .

وعن أسلم العدوي مولى عمر قَالَ : بينما أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعس بالمدينة إذا
أعيا فاتكا على جانب جدار في جوف الليل ، وإذا امرأة تقول لابنتها : يا بنتاه قومي إلى
ذلك فامذقيه بالماء .

قَالَ لها : يا بنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنه بموضع لا يراك عمر ، ولا منادي عمر ،
فقالت الصبية لأمها : يا أمته ، الله ما كنت لأطيعه في الملاء ، وأعصيه في الخلاء ، وعمر
يسمع ذلك كله ، فَقَالَ : يا أسلم علم الباب ، واعرف الموضع ، ثم مضى في عسسه .

فلما أصبح قَالَ : يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها ، وهل لهم
من بعل ، فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا

بعل لها ، وأذا تيك أمها ليس لها بعل .

فأتيت عمر وأخبرته ، فدعي عمر ولده فجمعهم ، فَقَالَ : هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه ، لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية .

فَقَالَ عبد الله : لي زوجة ، وَقَالَ عبد الرحمن : لي زوجة ، وَقَالَ عاصم : يا أبتاه ، لا زوجة لي ، فزوجني ، فبعث إلى الجارية ، فزوجها من عاصم ؛ فولدت له بنتاً ، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - والله أعلم

اللَّهُمَّ وفقنا لمحبتك ومحبة رسلك وأوليائك وعبادك الصالحين وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ .

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : لَمْ أَخْلَفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ غَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يُعَاتِبِ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا إِلَّا مَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ .

وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاتَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَا أَحَبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَدْرَكَ فِي النَّاسِ مِنْهَا .

وَكَانَ مِنْ خَبْرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى ، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا تِلْكَ الْغَزْوَةَ .

وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةَ إِلَّا وَرِّي بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ

الْعَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرِّ شَدِيدٍ ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَقَارًا ، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا فَجَلًّا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةَ عَزْوِهِمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ .

وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ لَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ ، يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيُونَ ، قَالَ كَعْبٌ : فَقَلَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَحْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْعَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعُرُ فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَطَفِئْتُ أَعْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَفْضِ شَيْئًا ، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَ بِالنَّاسِ الْجِدُّ .

فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَلَمْ أَفْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا ، ثُمَّ عَدَوْتُ فَرَجَعْتُ ، وَلَمْ أَفْضِ شَيْئًا فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْعَزْوُ فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْجُلَ فَأُدْرِكُهُمْ . فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ ، ثُمَّ لَمْ يُعَدِّرْ لِي ذَلِكَ وَطَفِئْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْزِنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أَسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَدَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ .

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : « مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ » . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمْةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظْرُ فِي عِطْفِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِئْسَمَا قُلْتَ ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا عَلِمْنَا إِلَّا خَيْرًا ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ ، فَرَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كُنْ أبا خَيْثَمَةَ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمِنَافِقُونَ .

قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضْرَتِي بَنِي فَطَفِقْتُ أَتَدَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي .
فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ظَلَّ قَادِمًا رَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَا أَبْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ .

فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَ الْمُخَلَّفُونَ ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ ، وَيَخْلِفُونَ لَهُ ، وَكَانُوا بِضَعَّةٍ وَتَمَانِينَ رَجُلًا ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عِلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جِئْتُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُعْضَبِ ، ثُمَّ قَالَ : « تَعَالَ » . فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي : « مَا خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُدْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا .

وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَعْنُ حَدِيثِكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ وَلَعْنُ حَدِيثِكَ حَدِيثَ صِدْقٍ بَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُنُقِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .
وفي رواية : عَفْوُ اللَّهِ .

وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ مَا كُنْتُ فَطُ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ . قَالَ :
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ » . فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ ، فَاتَّبَعُونِي .

فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا ، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ ، فَقَدْ كَانَ كَافٍ بِكَ ذَنْبِكَ اسْتِغْفَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ ، فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْتَبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأُكْذِبَ نَفْسِي .

قَالَ : ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيْتِ هَذَا مَعِي أَحَدٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ لَقِيْتُهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتِ ، وَقِيلَ لَهُمَا مَا قِيلَ لَكَ . قُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا : مُرَارَةُ بِنُ الرَّبِيعِ الْعَامِرِيُّ ، وَهَيْلَالُ بِنُ أُمَيَّةِ الْوَاقِفِيُّ . قَالَ : فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسُودٌ ، قَالَ فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرْتُهُمَا لِي قَالَ : وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَن كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ .

قَالَ : فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ ، أَوْ قَالَ : تَعَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَيَّ ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً ، فَأَمَّا صَاحِبَايَ ، فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ .

وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ فَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَأَسَلَّمْتُ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَكَ شَفْتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ أَمْ لَا ؟ .

ثُمَّ أَصَلَّى قَرِيبًا مِنْهُ فَأَسَارَفُهُ النَّظَرَ ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَيَّ صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ ، فَإِذَا التَفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَ اللَّهُ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ .
فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدْكَ اللَّهَ هَلْ تَعْلَمُنِي أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؟ قَالَ : فَسَكَتَ ، فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ .

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَيَّ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَى حَتَّى جَاءَنِي ، فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، وَكُنْتُ

كَاتِباً فَمَرَأْتُهُ ، فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَعْنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِيكَ . قَالَ : فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا : وَهَذِهِ أَيْضاً مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهِ التُّنُورَ فَسَجَرْتُهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ لَنَا أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ ، وَاسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ ، وَإِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ .

قَالَ : فَقُلْتُ : أَطَلَّقَهَا ؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ قَالَ : لَا بَلٍ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرُبْهَا ، وَأَرْسَلْ إِلَى صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي : الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ . قَالَ : فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ قَالَ : « لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ » . قَالَتْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ ، وَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا . قَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَدْ إِذْنٌ لَامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ تَخْدُمُهُ . قَالَ : فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا اسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا ؟ وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ .

قَالَ : فَلَبِثْتُ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، فَكَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى عَنْ كَلَامِنَا . قَالَ : ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الصُّبْحِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا . فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَيَّ سَلَعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ! أَبْشِرْ .

قَالَ فَخَرَزْتُ سَاجِدًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ ، قَالَ : وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا ، فَذَهَبَ قَبِيلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَى فَرَسًا ، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ قَبْلِي ، وَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ الْفَرَسِ .

فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبُشَارَتِهِ وَاللَّهُ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا ، وَأَنْطَلَقْتُ أَيَّمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَتَلَقَانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ ، يَقُولُونَ : وَلْتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي ، وَاللَّهُ مَا قَامَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ .

فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ . قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : وَهُوَ يَبْزُقُ وَجْهَهُ مِنَ الشُّرُورِ ، قَالَ : « أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ » . قَالَ فُؤَلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : « بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، » . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ .

قَالَ : وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ . قَالَ : فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أُخْلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » .

قَالَ : فُؤَلْتُ : فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بَحَّيْرَ . قَالَ وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا بَجَّانِي اللَّهُ بِالصَّدَقِ ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمْتُ أَحَدًا أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ .

قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رِءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

قَالَ كَعْبٌ : وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَّبُوا حِينَ نَزَلَ الْوَحْيِ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ فَقَالَ :

﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآءُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

قَالَ كَعْبٌ : كُنَّا خَلَفْنَا أُيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَلَقُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ ، وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِذَلِكَ .

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا ﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَهُ مَا خَلَفْنَا عَنِ الْعَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِبَانًا ، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرًا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ . رواه البخاري ومسلم ، واللفظ له ، ورواه أبو داود والنسائي بنحوه مفرقاً مختصراً ، وروى الترمذي قطعة من أوله ، ثم قَالَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

اللَّهُمَّ وفقنا لما وفقت إليه القوم وأيقظنا من سنة الغفلة والنوم وارزقنا الاستعداد لذلك اليوم الذي يريح فيه المتقون اللهم وعاملنا بإحسانك وجد علينا بفضلك وامتنانك واجعلنا من عبادك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اللهم ارحم ذلنا بين يديك واجعل رغبتنا فيما لديك ، ولا تحرمنا بذنوبنا ، ولا تطردنا بعيوبنا ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال بعضهم :

إِنَّ أُولِي الْعِلْمِ بِمَا فِي الْفِتَنِ
 فَاسْتَعَصَمُوا اللَّهَ وَكَانَ التُّقَى
 وَاجْتَمَعُوا فِي حُسْنِ تَوْفِيقِهِ
 فَعَالِمٌ مُسْتَجِدُّ عَامِلٌ
 يَنْشُرُ مَنْ فِيهِ لَهُمْ جَوْهَرًا
 يَقْسِمُهُ طُلَابُهُ بَيْنَهُمْ
 وَبُهْمَةً مُخْتَرِطٌ سَيِّفُهُ
 يَلْبَسُ مِنْ إِيْمَانِهِ لِأُمَّةً
 وَحَابِسٌ فِي بَيْتِهِ نَفْسَهُ
 يَأْخُذُ مِنْ ذُنْيَاهُ قُوَّتًا لَهُ
 قَدْ جَعَلَ الْبَيْتَ كَقَبْرِ لَهُ
 فَهُوَ خَفِيفُ الظَّهْرِ لِكِنِّهِ
 وَهَارِبٌ شُحًّا عَلَى دِينِهِ
 يَأْنَسُ بِالْوَحْدَةِ فِي بَيْدِهَا
 لَا يَرْهَبُ الْأَسَدَ وَمَنْ لَمْ يَخُنْ
 وَتَائِبٌ مِنْ ذَنْبِهِ مُشْفِقٌ
 تَخَالَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ
 إِنَّ مَهْدَ النَّاسِ لِدُنْيَاهُمْ
 كَأَنَّمَا الْأَرْضُ لَهُ أَيْكَةٌ
 وَصَامِتٌ فِي قَلْبِهِ مَقْوَلٌ

تَهَيَّبُوهَا مِنْ قَدِيمِ الزَّمَنِ
 أَوْفَى لَهُمْ فِيهَا مِنْ أَوْفَى الْجَنَنِ
 وَافْتَرَقُوا فِي كُلِّ سَعْيٍ حَسَنٍ
 يَسْلُكُ بِالنَّاسِ سِوَاءَ السُّنَنِ
 مِنْ عِلْمِهِ لَيْسَ لَهُ مَنْ تَمَنُّ
 قِسْمَةٌ تَعْدِيلٌ بِقَدْرِ الْفِطَنِ
 يُعْمِدُهُ فِي هَامِ أَهْلِ الْوَتَنِ
 فَضْفَاضَةً يَغْنَى بِهَا عَنْ مَجْنٍ
 مُعْتَزِلٌ مُسْتَمْسِكٌ بِالسُّنَنِ
 مُفْتَنًّا مِثْلَ عِذَارِ الرَّسَنِ
 وَبُرْدُهُ فِيهِ لَهُ كَالْمَقْنِ
 أَثْقَلُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ حَضَنِ
 إِلَى الْبَرَارِيِّ وَرُؤُوسِ الْقُنَنِ
 أَكْثَرَ مَنْ تَأْنِسُهُ بِالسَّكَنِ
 سَيِّدُهُ فِي عَهْدِهِ لَمْ يَخُنْ
 يَبْكِي بُكَاءَ الْوَائِكَةِ الْهَتَنِ
 فِي ظُلْمِ اللَّيْلِ كَمِثْلِ الْغُصْنِ
 شَمَّرَ فِي تَمْهِيدِهِ لِلْجَنَنِ
 وَهُوَ بِهَا قُمْرِيَّةٌ فِي فَنَنِ
 بِالذِّكْرِ لِلَّهِ طَوِيلٌ لِسَنِ

تَرَاهُ كَالْأَبْلَهِ فِي ظَاهِرٍ
 قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ لَهُ قَلْبَهُ
 فَإِنْ يَبِينُ بِالفِكْرِ عَنْ صَاحِبِهِ
 وَإِنْ لَغُوا جَلِيسٌ لَهُمْ
 فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
 فَهُمْ خُصُوصُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ
 سَمَوْا بِفَضْلِ اللَّهِ نَحْوَ الَّتِي
 وَنَزَّهُوا الْأَنْفُسَ عَنْ مَنْزِلِ
 وَسَمَّوْا الْخَيْلَ لِيَوْمٍ بِهِ
 فَلَيْتَيْ كُنْتُ لَهُمْ خَادِمًا
 وَمَنْ سِوَاهُمْ فَرَجَالٌ رَجَا
 وَإِنَّمَا قَصَّرَ بِي عَنْهُمْ
 لَا غَارَتِ الدُّنْيَا وَلَا أَنْجَدَتْ
 تَمِيلُ لِلْأَحْمَقِ مِنْ أَهْلِهَا
 يَا عَجَبًا مِنْ غَفْلَتِي بَعْدَ أَنْ
 وَأَدْرِكِ الْفَائِتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 أَفْبَحُ مَنْ تَرْمُقُهُ مُقْلَةٌ
 تَقْتَادُهُ الدَّهْرَ دَوَاعِي الْهَوَى
 يَأْمُلُ أَمْالَ فَتَى يَافِعٍ
 لَيْسَ جَمَالُ الشَّيْخِ إِلَّا التَّقَى
 شُغِلْتُ بِالْوَصْفِ وَلَوْ أَنْتَنِي
 وَهُوَ مِنْ أَدَكِي النَّاسِ فِيمَا يَظُنُّ
 بِالذِّكْرِ فِي السَّرِّ لَهُ وَالْعَلَنُ
 فَجِسْمُهُ بَيْنَهُمْ لَمْ يَبِينُ
 لَمْ يَلِجِ اللَّغْوُ لَهُ فِي أُذُنِ
 تَجُولُ الْأَبَابُ لِبَابِ الْفِطْنِ
 حَقًّا بِهِمْ تُدْرَأُ عَنَّا الْمِحْنُ
 مَنْ حَلَّ فِي جِيرَتِهَا قَدْ أَمِنُ
 نَزَلَهُ مُسْتَوْفِرٌ لِلطَّعْنِ
 يُنْكَبُ مَنْ يَرْكَبُ فَوْقَ الْهَجْنِ
 وَلَيْتَنِي إِذْ لَمْ أَكُنْ لَمْ أَكُنْ
 أَنْ يَعْبُرُوا الْبَحْرَ بِغَيْرِ السُّفْنِ
 حُبِّي لِدَارِ مِلَّتِ بِالْفِتْنِ
 فَالْعَاقِلُ الْحُرُّ بِهَا مُمْتَحِنُ
 وَهِيَ عَلَى عَاقِلِهِمْ تَصْطَعِنُ
 نَادَانِي الشَّيْبُ أَلَا فَارْحَلْنِ !
 يَفْجَأُكَ الْمَوْتُ فَلَا تُنْظَرْنَ
 مُبْصِرَةً شَيْخٍ خَلِيْعِ الرَّسَنِ
 إِلَى الصَّبَا مِثْلَ اقْتِيَادِ الْبُدُنِ
 كَأَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْخٍ يَفْنُ
 وَالْمَحْوُ لِلْسُّوءِ بِفِعْلِ حَسَنِ
 أُشْغِلُ بِالْمَوْصُوفِ كُنْتُ الْفِطْنُ

وَلَمْ أَبْعَ رُشْدًا بَغِيٍّ وَلَمْ
 إِنَّا إِلَى اللَّهِ لَقَدْ حَاقَ بِي
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَفِي كَفِّهِ
 وَهُوَ الَّذِي أَرْجُو فَإِنْ لَمْ يَكُنْ
 أَرْضَ بَعْقَلِي مِثْلَ هَذَا الْغَبْنِ
 مَا يُورِثُ الْخِزْيَ غَدًا وَالْحَزْنَ
 مَنَحَ لِمَنْ شَاءَ وَفِيهَا الْمِنَّنَ
 عِنْدَ رَجَائِي فِيهِ طَوْلًا فَمَنْ ؟

اللَّهُمَّ احفظنا بالإسلام قائمين ، واحفظنا بالإسلام قاعدين واحفظنا بالإسلام راقدين ، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين ، اللهم قو إيماننا بفهم آياتك ، وارزقنا العمل بها ، وزدنا علماً ينفعنا ، وأصلح نياتنا ، ووقفنا لذكرك وشكرك ، وارزقنا حبك ، وحب من يحبك ، وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك ، وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وبعد فقد رأيت أنه من المناسب أن أختتم هذا الكتاب على كثير من الأحكام والآداب الشرعية وأسأل الله الحي القيوم العلي العظيم القوي العزيز الحكيم ذا الجلال والإكرام الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن ينفع بها نفعاً عاماً من قرأها ومن سمعها ومن حضرها وأن يفتح لنا وإخواننا المسلمين باب القبول والإجابة اللهم صلِّ الله وعلى محمد وعلى آلِهِ وَسَلِّمْ آمين يا رب العالمين .

من منظومة الآداب لابن عبد القوي رحمه الله :

بِحَمْدِكَ ذِي الْإِكْرَامِ مَا رُمْتُ أَبْتَدِي

كَثِيرًا لَكَ مَا تَرْضَى بغير تحدد

وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْأَنْامِ وَآلِهِ

وَأَصْحَابِهِ مِنْ كُلِّ هَادٍ وَمُهْتَدِي

وَبَعْدُ فَإِنِّي سَوْفَ أَنْظِمُ جُمْلَةً
 مِنَ الْأَدَبِ الْمَأْتُورِ عَنْ خَيْرِ مُرْشِدِ
 مِنَ السُّنَّةِ الْغَرَاءِ أَوْ مِنْ كِتَابِ مَنْ
 تَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِ الْغُوَاةِ وَجَحَّدِ
 وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ عُلَمَائِنَا
 أَيْمَّةِ أَهْلِ السَّلَامِ مِنْ كُلِّ أَمَجَدِ
 لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَنْفَعَنَا بِهِ
 وَيُنْزِلُنَا فِي الْحَشْرِ فِي خَيْرِ مَقْعَدِ
 الْأَمْنِ لَهُ فِي الْعِلْمِ وَالِدِينَ رَغْبَةً
 لِيُضْغِ بِقَلْبِ حَاضِرٍ مُتْرَصِّدِ
 وَيَقْبَلَ نَصْحًا مِنْ شَفِيقِ عَلَى الْوَرَى
 حَرِيصٍ عَلَى زَجْرِ الْأَنَامِ عَنِ الرَّدِيِّ
 فَعِنْدِي مِنَ عِلْمِ الْحَدِيثِ أَمَانَةٌ
 سَأَبْدُلُهَا جُهْدِي فَأَهْدِي وَأَهْتَدِي
 أَلَا كُلُّ مَنْ رَامَ السَّلَامَةَ فَلْيُصْنِ
 جَوَارِحَهُ عَنْ مَا نَهَى اللَّهُ يَهْتَدِي
 يَكُوبُ الْفَتَى فِي النَّارِ حَصْدُ لِسَانِهِ
 وَإِرْسَالُ طَرْفِ الْمَرْءِ أَنْكِي فَكَيْدِ
 وَطَرْفُ الْفَتَى يَا صَاحِ رَأَيْدُ فَرْجِهِ
 وَمُتَعَبُهُ فَأَعْضُضْهُ مَا اسْطَعْتَ تَهْتَدِي
 وَيَحْرُمُ بُهْتٌ وَاعْتِيَابٌ نَمِيمَةٌ

وإفشاء سِرٍّ ثُمَّ لَعْنُ مُقَيَّدِ
 وَفُحْشٌ وَمَكْرٌ وَالْبِدَا وَحَدِيْعَةٌ
 وَسُخْرِيَّةٌ وَالْهُزُّوُ وَالْكَذْبَ قِيَّدِ
 بَغَيْرِ خِدَاعِ الْكَافِرِينَ بِحَرْبِهِمْ
 وَلِلْعَرْسِ أَوْ إِصْلَاحِ أَهْلِ التَّنَكُّدِ
 وَيَحْرُمُ مَزْمَارٌ وَشُبَابَةٌ وَمَا
 يُضَاهِيهِمَا مِنْ آلَةِ اللّٰهُوِ وَالرَّيْدِ
 وَلَوْ لَمْ يُقَارِنْهَا غِنَاءٌ جَمِيعُهَا
 فَمَنْهَا ذُووُ الْأَوْتَارِ دُونَ تَقْيُّدِ
 وَلَا بَأْسَ بِالشَّعْرِ الْمُبَاحِ وَحِفْظِهِ
 وَصَنَعْتِهِ مَنْ رَدَّ ذَلِكَ يَعْتَدِي
 فَقَدْ سَمِعَ الْمُخْتَارُ شِعْرَ صَحَابَةِ
 وَتَشْبِيهِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ خُرْدِ
 وَحَظَرَ الْهَجَا وَالْمَدْحَ بِالزُّورِ وَالْحَنَا
 وَتَشْبِيهِهِ بِالْأَجْنِيَّاتِ أَكْثَرِ
 وَوَصَفِ الزَّنَا وَالْخَمْرِ وَالْمُرْدِ وَالنِّسَاءِ
 فَتِيَّاتٍ أَوْ نَوْحِ التَّسَخُّطِ مُوَرَّدِ
 وَأَوْجِبَ عَنِ الْمَحْضُورِ كَفَّ جَوَارِحِ
 وَنَذَبَ عَنِ الْمَكْرُوهِ غَيْرَ مُشَدِّدِ
 وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ يَا فَتَى
 عَنِ الْمُنْكَرِ اجْعَلْ فَرَضَ عَيْنِ تَسَدِّدِ

عَلَى عَالِمٍ بِالْحَظْرِ وَالْفِعْلِ لَمْ يَقُمْ
 سِوَاهُ بِهِ مَعَ أَمْنٍ عُذْوَانٍ مُعْتَدِي
 وَلَوْ كَانَ ذَا فَسَقٍ وَجْهَلٍ وَفِي سِوَى الْ
 لَذِي قِيلَ فَرَضٌ بِالْكَفَايَةِ فَاحْدُدِ
 وَبِالْعُلَمَاءِ يَخْتَصُّ مَا اخْتَصَّ عِلْمُهُ
 بِهِمْ وَبِمَنْ يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ قَدِ
 وَأَضَعُهُ بِالْقَلْبِ ثُمَّ لِسَانِهِ
 وَأَقْوَاهُ إِنَّكَارُ الْفَتَى الْجَلْدِ بِالْيَدِ
 وَأَنْكَرَ عَلَى الصَّيَّانِ كُلِّ مُحْرَمٍ
 لِتَأْدِيبِهِمْ وَالْعِلْمِ فِي الشَّرْعِ بِالرَّدِي
 وَبِالْأَسْهَلِ ابْتَدَأْ ثُمَّ زِدْ قَدْرَ حَاجَةٍ
 فَإِنْ لَمْ يَزُلْ بِالنَّافِذِ الْأَمْرَ فَاصْدُدِ
 إِذَا لَمْ يَخَفْ فِي ذَلِكَ الْأَمْرَ حَيْفُهُ
 إِذَا كَانَ ذَا الْإِنْكَارِ حَتْمَ التَّائِكِدِ
 وَلَا غَرَمَ فِي دَفِّ الصَّنُوجِ كَسَرْتَهُ
 وَلَا صُورٍ أَيْضًا وَلَا آلَةَ الدُّدِ
 وَآلَةَ تَنْجِيمٍ وَسِحْرِ وَنَحْوِهِ
 وَكُتِبَ حَوَتْ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ أَقْدُدِ
 (وَقُلْتُ كَذَلِكَ السَّيْنَمَاءُ وَمِثْلُهُ
 بِالرَّيْبِ مِذْيَاعٌ وَتَلْفَازٌ مُعْتَدِي)
 (وَأَوْزَاقُ الْعَابِ بِهَا ضَاعَ عُمْرُهُمْ)

وَكُورَاتِهِمْ مَزَّقَ هُدَيْتَ وَقَدِّدِ (
 كَذَا بَكَمَاتٍ وَالصَّلِيبُ وَمَزْمَرٌ
 وَاللَّهُ تَصْوِيرٌ بِهَا الشَّرُّ مُرْتَدِي (
 كَذَلِكَ دُخَانٌ وَشِيشَةٌ شُرْبُهُ
 وَاللَّهُ تَطْفِئَةٌ لَهُ أَكْسِرُ وَبَدِّدِ (
 وَمَنْ بَعْدَ ذَا فَاسْمَعْ كَلَامًا لِنَاظِمِ
 يَسُوقُ لِكَ الْأَدَابِ عَنْ خَيْرِ مُرْشِدِ (
 وَبَيْضٌ وَجَوْزٌ لِلْقَمَارِ بِقَدْرِ مَا
 يُزِيلُ عَنِ الْمَنْكُورِ مَقْصَدِ مُفْسِدِ
 وَلَا شَقَّ زِقِّ الْخَمْرِ أَوْ كَسْرِ دِنِّهِ
 إِذَا عَجَزَ الْإِنْكَارُ دُونَ التَّقْدِيدِ
 وَإِنْ يَتَأْتَى دُونَهُ دَفْعُ مُنْكَرِ
 ضَمِنْتَ الَّذِي يَنْقَى بِتَغْسِيلِهِ قَدِ
 وَهَجْرَانُ مَنْ أَبْدَى الْمَعَاصِي سُنَّةُ
 وَقَدْ قِيلَ إِنْ يَرْدَعُهُ أَوْجِبْ وَأَكْثِدِ
 وَقِيلَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مَا دَامَ مُعْلَنًا
 وَلَا قِيَهُ بِوَجْهِهِ مُكْفَهَرِ مُعْرَبِ
 وَيَحْرُمُ تَجْسِيسُ عَلَى مُتَسَتِّرِ
 بِفَسْقٍ وَمَا ضِي الْفِسْقِ إِنْ لَمْ يُجَدِّدِ
 وَهَجْرَانُ مَنْ يَدْعُو لِأَمْرِ مُضِلٍّ أَوْ
 مُفْسِدٍ أَحْتَمِهُ بِغَيْرِ تَرَدُّدِ

عَلَى غَيْرٍ مَنْ يَقْوَى عَلَى دَخْصِ قَوْلِهِ
 وَيَذْفَعُ إِضْرَارَ الْمُضِلِّ بِمِذْوَدٍ
 وَيَقْضِي أُمُورَ النَّاسِ فِي أَتْيَانِهِ
 وَلَا هَجْرَ مَعَ تَسْلِيمِهِ الْمُتَعَوِّدِ
 وَحَظْرُ انْتِفَا التَّسْلِيمِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ
 عَلَى غَيْرٍ مَنْ قُلْنَا بِهِجْرٍ فَأَكْغِدِ
 وَكُنْ عَالِمًا إِنَّ السَّلَامَ لِسُنَّةٌ
 وَرَدُّكَ فَفَرْضٌ لَيْسَ نَدْبٌ بِأَوْطَدِ
 وَيُجْزِي تَسْلِيمُ امْرِئٍ مِنْ جَمَاعَةٍ
 وَرَدُّ فَتَى مِنْهُمْ عَلَى الْكُلِّ يَا عَدِي
 وَتَسْلِيمُ نَزْرٍ وَالصَّغِيرِ وَعَابِرِ
 سَبِيلِ وَرُكْبَانِ عَلَى الضُّدِّ أَيَّيدِ
 وَإِنْ سَلَّمَ الْمَأْمُورُ بِالرَّدِّ مِنْهُمْ
 فَقَدْ حَصَلَ الْمَسْنُونُ إِذْ هُوَ مُبْتَدِي
 وَسَلَّمَ إِذَا مَا قَمَتَ عَنْ حَضْرَةِ امْرِئِ
 وَسَلَّمَ إِذَا مَا جِئْتَ بَيْتَكَ تَهْتَدِي
 وَإِفْشَاؤُكَ التَّسْلِيمَ يُوجِبُ مَحَبَّةً
 مِنَ النَّاسِ مَجْهُولًا وَمَعْرُوفًا أَقْصَدِ
 وَتَعْرِيفُهُ لَفْظُ السَّلَامِ مُجَوِّزٌ
 وَتَنْكِيرُهُ أَيضًا عَلَى نَصِّ أَحْمَدِ
 وَقَدْ قِيلَ نَكْرُهُ وَقِيلَ تَحْيَةٌ

كَلِمَاتٍ وَالتَّوْدِيْعِ عَرَفَ كَرْدِدِ
 وَسُنَّةِ اسْتِدَانُهُ لِدُخُولِهِ
 عَلَي غَيْرِهِ مِنْ أَقْرَبِينَ وَبُعْدِ
 ثَلَاثًا وَمَكْرُوهٌ دُخُولٌ لِهَاجِمِ
 وَلَا سِيَّمَا مِنْ سَفْرَةٍ وَتَبَعُودِ
 وَوَقْفَتُهُ تَلْقَاءَ بَابٍ وَكُوَّةِ
 فَإِنْ لَمْ يُجِبْ يَمْضِي وَإِنْ يَخْفَ يَزْدَدِ
 وَتَحْرِيبُكَ نَعْلِيهِ وَإِظْهَارُ حِسِّهِ
 لِدُخْلَتِهِ حَتَّى لِمَنْزِلِهِ اشْهَدِ
 وَكُلُّ قِيَامٍ لَا لِوَالٍ وَعَالِمِ
 وَوَالِدِهِ أَوْ سَيِّدٍ كُرْهَهُ أَمْهَدِ
 وَصَافِحٍ لِمَنْ تَلْقَاهُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمِ
 تَنَاطُرُ خَطَايَاكُمْ كَمَا فِي الْمَسْنَدِ
 وَلَيْسَ لِعَيْرِ اللَّهِ الْإِنْحِنَاءُ مُسَلِّمًا
 وَتَقْيِيلُ رَأْسِ الْمَرْءِ حَالٌ وَفِي الْيَدِ
 وَحَالٌ عِنَاقٌ لِلْمَلَأَقِي تَدْيِينًا
 وَيُكْرَهُ تَقْيِيلُ الْفَمِّ أَفْهَمٌ وَقْيِيدِ
 وَنَزْعُ يَدٍ مِمَّنْ يُصَافِحُ عَاجِلًا
 وَأَنْ يَتَنَاجَى الْجَمْعُ مِنْ دُونِ مُفْرَدِ
 وَأَنْ يَجْلِسَ الْإِنْسَانُ عِنْدَ مُحَدَّثِ
 بِسِرٍّ وَقِيلَ احْضِرْ وَإِنْ يَأْذَنُ أَقْعَدِ

وَمَرَأَى عَجُوزٍ لَمْ تُرِدْ وَصِفَاحُهَا
 وَخُلُوتُهَا أَكْرَهُ لَا تَحِيْتُهَا أَشْهَدِ
 وَتَشْمِيْتُهَا وَأَكْرَهُ كِلَا الْخِصْلَتَيْنِ
 لِلشَّبَابِ مِنَ الصَّنْفَيْنِ بُعْدَى وَأَبْعَدِي
 وَيَحْرُمُ رَأْيُ الْمُزْدِ مَعَ شَهْوَةِ فَقَطْ
 وَقِيلَ وَمَعَ خَوْفٍ لِلْكَرهِ جَوْدٌ
 وَكُنْ وَاصِلَ الْأَرْحَامِ حَتَّى لِكَاشِحِ
 تُوَفَّرَ فِي عُمُرٍ وَرِزْقٍ وَتَسْعَدِ
 وَيَحْسُنَ تَحْسِينٌ لِخُلُقٍ وَصُحْبَةٍ
 وَلَا سِيَّمَا لِلْوَالِدِ الْمُتَأَكِّدِ
 وَلَوْ كَانَ ذَا كُفْرٍ وَأَوْجَبَ طُوعَهُ
 سِوَى فِي حَرَامٍ أَوْ لِأَمْرٍ مُؤَكَّدِ
 كَتَطْلَابِ عِلْمٍ لَا يَضُرُّهُمَا بِهِ
 وَتَطْلِيْقِ زَوْجَاتٍ بِرَأْيٍ مُجَرَّدِ
 وَأَحْسِنِ إِلَى أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
 فَهَذَا بَقَايَا بِرِّهِ الْمُتَعَوِّدِ
 وَيُكْرَهُ فِي الْحَمَامِ كُلِّ قِرَاءَةٍ
 وَذِكْرِ لِسَانٍ وَالسَّلَامِ لِمُبْتَدِي
 وَعَيْزِ بَغَيْرِ الْأَسْوَدِ الشَّيْبِ وَأَبْقِهِ
 وَلِلْفَزَعِ أَكْرَهُ ثُمَّ تَدَ لَيْسَ نُهْدِ
 وَيُشْرَعُ إِيكَاءُ السَّقَا وَغَطَا الْإِنَا

وَابْجَافُ أَبْوَابٍ وَطَفَاءٌ لِمُوقَدٍ
 وَتَقْلِيمٌ أَظْفَارٍ وَتَنْفٌ لِابْطِطِه
 وَحَلَقًا وَلَتْنًا وَبِرٍّ لِلْعَانَةِ أَقْصَدِ
 وَيَحْسُنُ حَفْضُ الصَّوْتِ مِنْ عَاطِسٍ وَأَنْ
 يُعْطَى وَجْهًا لِاسْتِتَارٍ مِنَ الرَّدِيِّ
 وَيَحْمَدُ جَهْرًا وَلِيَشْمَتَهُ سَامِعٌ
 لِتَحْمِيدِهِ وَالْيَيْدُ رَدُّ الْمَعْرُودِ
 وَقُلْ لِلْفَتَى عُوْفِيَتْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ
 وَلِلطَّفْلِ بُورِكٌ فِيكَ وَأَمْرُهُ يَحْمَدِ
 وَغَطٌّ فَمَّا وَكَظْمٌ فِي تَشَاؤُبٍ
 فَذَلِكَ مَسْنُونٌ لِأَمْرِ الْمُرَشِّدِ
 وَلَا بَأْسَ شَرَعًا أَنْ يَطَبَّكَ مُسْلِمٌ
 وَشَكْوَى الَّذِي تَلَقَى وَبِالْحَمْدِ فَابْتَدِي
 وَتَرَكُ الدَّوَا أَوْلَى وَفِعْلُكَ جَانِزٌ
 وَلَمْ تَتَيَقَّنْ فِيهِ حُرْمَةَ مُفْرَدِ
 وَرَجَّحْ عَلَى الْخَوْفِ الرَّجَا عِنْدَ يَأْسِهِ
 وَلاقِ بِحُسْنِ الظَّنِّ رَبَّكَ تَسْعَدِ
 وَيُشْرَعُ لِلْمُرْضَى الْعِيَادَةُ فَآتِهِمْ
 تَخَضُّعَ رَحْمَةٍ تَعْمُرُ مَجَالِسَ عُودِ
 فَسَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّضَا
 تُصَلِّي عَلَى مَنْ عَادَ مُنْسِي إِلَى الْعَدِ

وَإِنْ عَادَهُ فِي أَوَّلِ الْيَوْمِ وَاصَلْتِ
 عَلَيْهِ إِلَى اللَّيْلِ الصَّلَاةِ فَاسْنِدِ
 فَمِنْهُمْ مَغْبَا عُدَّهُ خَفَّفَ وَمِنْهُمْ الْ
 لَذِي يُورِثُ التَّطْوِيلَ مِنْ مَثُورِدِ
 وَفَكَرَ وَرَاعِ فِي الْعِيَادَةِ حَالَ مَنْ
 تَعُودُ وَلَا تُكْثِرْ سُؤَالَ تَنْكَدِ
 وَمَكْرُوهَ اسْتِئْمَانًا أَهْلَ ذِمَّةِ
 لِإِخْرَازِ مَالٍ أَوْ لِقْسَمَتِهِ اشْهَدِ
 وَمَكْرُوهَ اسْتِطْبَابُهُمْ لَا ضَرُورَةَ
 وَمَا رَكَّبُوهُ مِنْ دَوَاءٍ مُوصِّدِ
 وَإِنْ مَرَضَتْ أَنْثَى وَلَمْ يَجِدُوا لَهَا
 طَبِيبًا سِوَى فَحَلِّ أَجْرَهُ وَمَهَّدِ
 وَيَكْرَهُ حَقْنُ الْمَرْءِ إِلَّا ضَرُورَةَ
 وَيَنْظُرُ مَا يَحْتَاجُهُ حَاقِنٌ قَدِ
 كَقَابِلَةِ حِلِّ لَهَا نَظْرٌ إِلَى
 مَكَانِ وَلا دَاتِ النَّسَا فِي التَّوَلُّدِ
 وَيَكْرَهُ إِنْ لَمْ يَسِرْ قَطْعُ بَوَاسِرِ
 وَبَطُّ الْأَذَى حِلٌّ كَقَطْعِ مُجَوِّدِ
 لِأَكْلَةِ تَسْرِي بَعْضُ أَيْبِنَهُ إِنْ
 تَخَافَنَّ عُقْبَاهُ وَلَا تَتَرَدَّدِ
 وَقَبْلَ الْأَذَى لَا بَعْدَهُ الْكَيْ فَأَكْرَهَنَّ

وَعَنْهُ عَلَى الإِطْلَاقِ غَيْرَ مُقَيَّدِ
 وَفِيهَا عَدَا الأَغْنَامِ قَدْ كَرِهُوا الخِصَا
 لِتَعْدِيهِهِ المَنْهِيَّ عَنْهُ بِمُسْنَدِ
 وَقَطَّعُ قُورُونَ وَالآذَنِ وَشَقُّهَا
 بِإِلا ضَرَرِ تَغْيِيرِ خَلْقِ مُعْوَدِ
 وَيَحْسُنُ فِي الإِحْرَامِ وَالْحِلِّ قَتْلُ مَا
 يَضُرُّ بِإِلا نَفْعِ كَنْمِرٍ وَمَرْتَدِ
 وَغَرَبَانَ غَيْرِ الزَّرْعِ أَيْضًا وَشِبْهَهَا
 كَذَا حَشَرَاتُ الأَرْضِ دُونَ تَقْيِيدِ
 كَبِقٍ وَبُرْغُوثٍ وَقَارٍ وَعَقْرَبِ
 وَدَبْرُو حَيَّاتٍ وَشِبْهِهِ المَعْدَدِ
 وَيُكْرَهُ قَتْلُ النَّمْلِ إِلا مَعَ الأَذَى
 بِهِ وَأَكْرَهُنَّ بِالنَّارِ إِحْرَاقُ مُفْسِدِ
 وَلَوْ قِيلَ بِالتَّحْرِيمِ ثُمَّ أُجِيزَ مَعَ
 أَدَى لَمْ يَزُلْ إِلا بِهِ لَمْ أَبْعَدِ
 وَقَدْ جَوَّزَ الأَصْحَابُ تَشْمِيسَ قَرْهَمِ
 وَتَدْحِينَ زُبُورٍ وَشَيْئًا بِمَوْقِدِ
 وَيُكْرَهُ لِنَهْيِ الشَّرْعِ عَنْ قَتْلِ ضِفْدَعِ
 وَصِرْدَانِ طَيْرٍ قَتْلُ ذَيْنِ وَهَدُودِ
 وَيُكْرَهُ قَتْلُ الهِرِّ إِلا مَعَ الأَذَى
 وَإِنْ مُلِّكَتْ فَاحْظَرُ إِذَا غَيْرَ مُفْسِدِ

وَقَتْلِكَ حَيَّاتِ الْبُيُوتِ وَلَمْ تَقُلْ
 ثَلَاثًا لَهُ أَذْهَبَ سَالِمًا غَيْرَ مُعْتَدٍ
 وَذَا الطُّفَيْتَيْنِ أَقْتُلْ وَابْتِرَ حَيَّةً
 وَمَا بَعْدَ إِيْذَانِ تُرَى أَوْ بِفَدْفُدٍ
 وَمَا فِيهِ لَمْ يَكُنْ مُلْكًا فَأَنْتَ مُخَيَّرٌ
 وَإِنْ مُلَكْتَ فَاحْظَرْ وَإِنْ تُؤَدِّ فَاقْدُدْ
 وَيُكْرَهُ نَفْخُ فِي الْغَدَا وَتَنْفُسٌ
 وَجَوْلَانٌ أَيَّدُ فِي طَعَامِ مُوَحَّدٍ
 فَإِنْ كَانَ أَنْوَاعًا فَلَا بَأْسَ فَالَّذِي
 نُهَى فِي اتِّحَادٍ قَدْ عَفِيَ فِي التَّعَدُّدِ
 وَأَخَذَ وَإِعْطَاءً وَأَكْلًا وَشُرْبُهُ
 يُسْنَرَاهُ فَأَكْرَهُهُ وَمُتَكَبَّرًا ذُدْ
 وَأَكْلِكَ بِالثَّنَيْنِ وَالْأَصْبُعِ أَكْرَهُنَّ
 وَمَعَ أَكْلِ شَيْنِ الْعُرْفِ إِتْيَانِ مَسْجِدٍ
 وَيُكْرَهُ بِالْيَمَنِ مَبَاشَرَةُ الْأَذَى
 وَأَوْسَاحِهِ مَعَ نَشْرِ مَا أَنْفَهُ الرِّدْيُ
 كَذَا خَلَعُ نَعْلَيْهِ بِهَا وَاتِّكَاءُهُ
 عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى وَرَأَى ظَهْرَهُ أَشْهَدُ
 وَيُكْرَهُ فِي التَّمْرِ الْقِرَانُ وَنَحْوُهُ
 وَقِيلَ مَعَ التَّشْرِيكِ لَا فِي التَّفَرُّدِ
 وَكُنْ جَالِسًا فَوْقَ الْيَسَارِ وَنَاصِبًا أَلْ

يَمِينٍ وَيَسْمَلٍ ثُمَّ فِي الْإِنْتِهَاءِ أَحْمَدٍ
وَيُكْرَهُ سَبْقُ الْقَوْمِ لِلْأَكْلِ نَهْمَةً
وَلَكِنْ رَبَّ الْبَيْتِ إِنْ شَاءَ يَبْتَدِي
وَلَا بَأْسَ عِنْدَ الْأَكْلِ مِنْ شَبَعِ الْفَتَى
وَمَكْرُوهُ الْإِسْرَافُ وَالْثُلُثُ أَكْثَرُ
وَيَحْسُنُ تَصْغِيرُ الْفَتَى لُقْمَةَ الْغَدَا
وَبَعْدَ ابْتِلَاعِ ثَنٍّ وَالْمَضْغِ جَوْدٍ
وَيَحْسُنُ قَبْلَ الْمَسْحِ لَعْقُ أَصَابِعٍ
وَأَكْلُ فُتَاتِ سَاقِطٍ بِشَرْدٍ
وَتَخْلِيلُ مَا بَيْنَ الْمَوَاضِعِ بَعْدَهُ
وَأَلْقِ وَجَانِبِ مَا نَهَى اللَّهُ تَهْتِدِي
وَعَسَلُ يَدٍ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ
وَيُكْرَهُ بِالْمَطْعُومِ غَيْرَ مُقَيَّدٍ
وَكُلُّ طَيِّبٍ أَوْ ضِدِّهِ وَأَلْبَسِ الَّذِي
ثُلَاقِيهِ مِنْ حِلٍّ وَلَا تَتَقَيَّدِ
وَمَا عَفْتُهُ فَاتْرُكْهُ غَيْرَ مُعَنَّفٍ
وَلَا عَائِبٍ رِزْقًا وَبِالشَّارِعِ اقْتَدِي
وَلَا تَشْرَبَنَّ مِنْ فِي السَّقَاءِ وَثُلْمَةِ الْـ
إِنَّا وَانظُرْنَا فِيهِ وَمُصَّاتِ تَزْرُدِ
وَنَحِّ الْإِنَا عَنْ فِيكَ وَاشْرَبْ ثَلَاثَةً
هُوَ أَهْنًا وَأَمْرًا ثُمَّ أَرَوِي لِمَنْ صُدِي

وَلَا تَكْرَهَنَّ الشُّرْبَ مِنْ قَائِمٍ وَلَا إِنْ
 تَعَالَ الْفَتَى فِي الْأَطْهَرِ الْمُتَأَكِّدِ
 وَتَكْرَهَنَّ لُبْسَ فِيهِ شُهْرَةٌ لَا بِسٍ
 وَوَأَصِفْ جِلْدًا لَا لِزَوْجٍ وَسَيِّدِ
 وَأَنْ كَانَ يُبْدِي عَوْرَةَ لِسِوَاهُمَا
 فَذَلِكَ مَحْظُورٌ بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ
 وَخَيْرُ خِلَالِ الْمَرْءِ جَمْعًا تَوْسُطُ الْ
 أُمُورِ وَحَالِ بَيْنِ أَرْذَى وَأَجْوَدِ
 وَلُبْسُ مِثَالِ الْحَيِّ فَاحْضِرْ بِأَجْوَدِ
 وَمَا لَمْ يُدَسَّ مِنْهَا لِوَهْنٍ فَشَدِّدِ
 وَأَحْسِنُ مَلْبُوسٍ بِيَاضٍ لِمَيِّتٍ
 وَحَيِّ فَبَيِّضُ مُطْلَقًا لَا تُسْوِدِ
 وَلَا بَأْسَ بِالْمَضْبُوغِ مِنْ قَبْلِ غَسَلِهِ
 مَعَ الْجَهْلِ فِي أَصْبَاغِ أَهْلِ التَّهْوُدِ
 وَقِيلَ أَكْرَهْنَهُ مِثْلَ مُسْتَعْمَلِ الْإِنَا
 وَإِنْ تَغْلِمِ التَّنْجِيسَ فَاغْسِلْهُ تَهْتِدِي
 وَأَحْمَرَ قَانٍ وَالْمَعْصِفَرَ فَآكْرَهْنِ
 لِلُّبْسِ رِجَالٍ حَسَبُ فِي نَصِّ أَحْمَدِ
 وَلَا تَكْرَهْنِ فِي نَصِّ مَا قَدْ صَبَغْتَهُ
 مِنَ الزَّعْفَرَانِ الْبَحْتِ لَوْنِ الْمُورِدِ
 وَلَيْسَ بِلُبْسِ الصُّوفِ بَأْسٌ وَلَا الْقَبَا

وَلَا لِلنِّسَاءِ وَالْبُرُؤْسِ أَفْهَمُهُ وَأَقْتَدِي
 وَلُبْسِ الْحَرِيرِ اخْطِرْ عَلَى كُلِّ بَالِغٍ
 سِوَى لِضَنَى أَوْ قَتْلٍ أَوْ حَرْبٍ جُحَدٍ
 وَيَحْرُمُ بَيْعُ لِلرِّجَالِ لِلْبِئْسِهِمْ
 وَتَخْيِطُهُ وَالنَّسِجُ فِي نَصِّ أَحْمَدٍ
 وَيَحْرُمُ لُبْسُ مَنْ لُجَيْنٍ وَعَسْجَدٍ
 سِوَى مَا قَدْ اسْتَشْنَيْتُهُ فِي الَّذِي ابْتُدِي
 وَيَحْرُمُ سَتْرٌ أَوْ لِبَاسُ الْفَتَى الَّذِي
 حَاوَى صُورَةَ لِلْحَيِّ فِي نَصِّ أَحْمَدٍ
 وَفِي السِّتْرِ أَوْ مَا هُوَ مَطْنَةٌ بِذَلِةٍ
 لِيُكْرَهُ كَتَابُ الْقُرْآنِ الْمُمَجَّدِ
 وَلَيْسَ بِمَكْرُوهٍ كِتَابُهُ غَيْرُهُ
 مِنَ الذِّكْرِ فِيمَا لَمْ يُدَسَّ وَيُمَهَّدِ
 وَحَلٌّ لِمَنْ يَسْتَأْجِرُ الْبَيْتَ حَكُّهُ التَّ
 صَاوِيرَ كَالْحَمَامِ لِلدَّخْلِ اشْهَدِ
 وَفِي نَصِّهِ أَكْرَهُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الرَّ
 قِيقَ سِوَى لِلزَّوْجِ يَخْلُو وَسَيِّدِ
 وَيُكْرَهُ تَقْصِيرُ اللَّبَاسِ وَطَوْلُهُ
 بِإِلا حَاجَةَ كِبْرًا وَتَرْكُ الْمُعَاوَدِ
 وَأَطْوَلُ ذِيْلِ الْمَرْءِ لِلْكَعْبِ وَالنِّسَاءِ
 بِإِلا الْأَزْرَ شِبْرًا أَوْ ذِرَاعًا لِتَزْدَدِ

وَأَشْرَفُ مَلْبُوسٍ إِلَى نِصْفِ سَاقِهِ
 وَمَا تَحْتَ كَعْبٍ فَأَكْرَهْنَاهُ وَصَعْدِ
 وَلِلرُّصْغِ كُمْ الْمُصْطَفَى فَإِنْ ارْتَحَى
 تَنَاهَى إِلَى أَفْصَى أَصَابِعِهِ قَدِ
 وَلَا بَأْسَ فِي لُبْسِ السَّرَاوِيلِ سِتْرَةً
 أَتَمَّ مِنَ التَّأزِيرِ فَالْبَسْنَاهُ وَاقْتَدِ
 بِسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ وَأَحْمَدِ
 وَأَصْحَابِهِ وَالْأَزْرُ أَشْهُرُ أَكْثَرِ
 وَيَحْسُنُ تَنْظِيفُ الثِّيَابِ وَطِيْهَا
 وَيُكْرَهُ مَعَ طُولِ الْغِنَا لُبْسُكَ الرَّدِيِّ
 وَلَا بَأْسَ فِي لُبْسِ الْفِرَاءِ وَاشْتِرَائِهَا
 جُلُودَ حَالٍ مَوْتُهُ لَمْ يُوْطَدِ
 وَكَاللَّحْمِ الْأَوْلَى اخْطَرْنَ جِلْدَ ثَعْلَبِ
 وَعَنْهُ لِيْلِبْسِ وَالصَّلَاةُ بِهِ اصْدَدِ
 وَمَنْ يَرْتَضِي أَدْنَى اللَّبَاسِ تَوَاضَعًا
 سِيُكْسَى الثِّيَابَ الْعَبْقَرِيَّاتِ فِي غَدِ
 وَيَحْسُنُ حَمْدُ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
 وَلَا سِيَّمَا فِي لُبْسِ ثَوْبٍ مُجَدِّدِ
 وَكُنْ شَاكِرًا لِلَّهِ وَارْضَ بِقَسَمِهِ
 تُثَبُّ وَتُزْدُ رِزْقًا وَارْغَامَ حَسَدِ
 وَقُلْ لِأَخِ ابْلِ وَأَخْلِقِ وَيُخْلِفُ الْ

إِلَهُ كَذَا قُلَّ عِشْ حَمِيدًا تُسَدِّدِ
 وَلَا بَأْسَ فِي الْخَاتَمِ مِنْ فِصَّةٍ وَمِنْ
 عَقِيْقٍ وَبُلُوْرٍ وَشَبَّهَ الْمُعَادِدِ
 وَيُكْرَهُ مِنْ صُفْرِ رِصَاصِ حَدِيدِهِمْ
 وَيَخْرُمُ لِلدُّكْرَانِ خَاتِمٌ عَسْجَدِ
 وَيَحْسُنُ فِي الْيُسْرَى كَأَحْمَدُ وَصَحْبِهِ
 وَيُكْرَهُ فِي الْوُسْطَى وَسَبَابَةُ الْيَدِ
 وَمَنْ لَمْ يَضَعْهُ فِي الدُّخُولِ إِلَى الْخَلَا
 فَعَنْ كُتُبِ قُرْآنٍ وَذِكْرِ بِهِ أَصْدُ
 وَيَحْسُنُ فِي الْيُمْنَى ابْتِدَاءً ابْتِعَالِهِ
 وَفِي الْخَلْعِ عَكْسٌ وَأَكْرَهُ الْعَكْسَ تَرْشُدِ
 وَيُكْرَهُ مَشْيَ الْمَرْءِ فِي فَرْدِ نَعْلِهِ
 اخْتِيَارًا أَصِيْحَ حَتَّى لِإِصْلَاحِ مُفْسِدِ
 وَلَا بَأْسَ فِي نَعْلِ يُصَلِّي بِهِ بِلا
 أَدَى وَافْتَقَدَهَا عِنْدَ أَبْوَابِ مَسْجِدِ
 وَيَحْسُنُ الْاسْتِرْجَاعُ فِي قَطْعِ نَعْلِهِ
 وَتَخْصِيصُ حَافٍ بِالطَّرِيقِ الْمُمَهَّدِ
 وَقَدْ لَبَسَ السَّبْتِيَّ وَهُوَ الَّذِي خَلَا
 مِنَ الشَّعْرِ مَعَ أَصْحَابِهِ بِهِمْ افْتَدِي
 وَيُكْرَهُ سِنْدِي النَّعَالِ لِعُجْبِهِ
 بِصَارَاهَا زِيَّ إِلَيْهِ وَدِ فَابْعَدِ

وَسِرِّ حَافِيَا أَوْ حَادِيَا وَامْشِ وَارْكَبِ
 تَمَعَّدْ وَاحْشَوْشَنَّ وَلَا تَتَعَوَّدْ
 وَيُكْرَهُ فِي الْمَشْيِ الْمُطِيطَا وَنَحْوَهَا
 مَطْنَّةٌ كَبْرٌ غَيْرٌ فِي حَرْبٍ جُحْدِ
 وَيُكْرَهُ لُبْسُ الْخُفِّ وَالْأُزْرِ قَائِمًا
 كَذَلِكَ الْبِصَاقُ ائْتَيْنِ غُرِيًّا بِمَرْقَدِ
 وَتَتَيْنِ وَافْرُقْ فِي الْمَضَاجِعِ بَيْنَهُمْ
 وَلَوْ إِخْوَةٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرِ تُسَدِّدِ
 وَيُكْرَهُ نَوْمُ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ غَسَلِهِ
 مِنَ الدُّهْنِ وَالْأَبْيَانِ لِلْفَمِّ وَالْيَدِ
 وَنَوْمُكَ بَعْدَ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ أَوْ عَلَى
 قَفَاكَ وَرَفْعِ الرَّجْلِ فَوْقَ أُخْتِهَا ائْتَدِ
 وَيُكْرَهُ نَوْمٌ فَوْقَ سَاطِحٍ وَلَمْ يُحِطْ
 عَلَيْهِ بِتَحْجِيرٍ لِخَوْفٍ مِنَ الرَّدِيِّ
 وَيُكْرَهُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ جَلْسَةٌ
 وَنَوْمٌ عَلَى وَجْهِ الْفَتَى الْمُتَمَدِّدِ
 وَقُلْ فِي انْتِبَاهِ وَالصَّبَاحِ فِي الْمَسَاءِ
 وَنَوْمٌ مِنَ الْمَرْوِيِّ مَا شِئْتَ تَرْشُدِ
 وَيَحْسُنُ عِنْدَ النَّوْمِ نَفْضُ فِرَاشِهِ
 وَنَوْمٌ عَلَى الْيَمْنَى وَكُحْلٌ بِأَثْمَدِ
 وَخُذْ لَكَ مِنْ نُصْحِي أَخِي نَصِيحَةً

وَكُنْ حَازِمًا وَاحْضِرْ بِقَلْبٍ مُؤَيَّدٍ
 وَلَا تَنْكِحَنَّ إِنْ كُنْتَ شَيْخًا فُتِيَّةً
 تَعِشْ فِي ضَرَارِ الْعَيْشِ أَوْ تَرْضَ بِالرَّيِّ
 وَلَا تَنْكِحَنَّ مَنْ تَسْمُ فَوْقَكَ رُبَّةً
 تَكُنْ أَبَدًا فِي حُكْمِهَا فِي تَنْكُحِ
 وَلَا تَرْغَبَنَّ فِي مَالِهَا وَأَثَانِهَا
 إِذَا كُنْتَ ذَا فَقْرٍ تُذَلُّ وَتُضْهِدِ
 وَلَا تَسْكُنَنَّ فِي دَارِهَا عِنْدَ أَهْلِهَا
 تَسْمَعُ إِذَنْ أَنْوَاعَ مَنْ مُتَعَدِّدِ
 فَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ فِي فَضْلِ عُرْسِهِ
 يَرُوحُ عَلَى هُونٍ إِلَيْهَا وَيَعْتَدِي
 وَلَا تُنْكَرَنَّ بِذَلِكَ الْيَسِيرِ تَنْكُحًا
 وَسَامِحَ تَنْلُ أَجْرًا وَحُسْنَ التَّوَدُّدِ
 وَلَا تَسْأَلَنَّ عَنَ مَا عَهَدَتْ وَغَضَّ عَنَ
 عَوَارِ إِذَا لَمْ يَأْذُمِ الشَّرْعَ تَرْشُدِ
 وَكُنْ حَافِظًا إِنَّ النَّسَاءَ وَدَائِعَ
 عَوَانِ لَدَيْنَا أَحْفَظُ وَصِيَّةَ مُرْشِدِ
 وَلَا تُكْثِرِ الْإِنْكَارَ تُرْمَى بِتُهْمَةٍ
 وَلَا تَرْفَعَنَّ السَّوْطَ عَنَ كُلِّ مُعْتَدِ
 وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ تُقِيمَ اعْوِجَاجِهَا
 فَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ ضِلْعٍ مُرَدِّدِ

وَسُكِنِي الْفَتَى فِي غُرْفَةٍ فَوْقَ سَكَّةٍ
 تَوُلُّ إِلَيَّ تُوهُمِي الْبَرِيءِ الْمُشَدِّدِ
 وَإِيَّاكَ يَا هَذَا وَرَوْضَةَ دِمْنَةٍ
 سَتَرْجِعُ عَنْ قُرْبِ إِلَيَّ أَصْلَهَا الرِّدِّي
 وَلَا تَنْكِحْنِي فِي الْفَقْرِ إِلَّا ضَرُورَةً
 وَلُذِّ بَوَجَاءِ الصَّوْمِ تُهْدِي وَتَهْتَدِي
 وَكُنْ عَالِمًا إِنَّ النَّسَاءَ لُعَبٌ لَنَا
 فَحَسِّنْ إِذْنًا مَهْمَا اسْتَطَعْتَ وَجَوِّدْ
 وَخَيْرُ النَّسَاءِ مَنْ سَرَّتِ الزَّوْجَ مَنْظَرًا
 وَمَنْ حَفِظَتْهُ فِي مَغِيبٍ وَمَشْهَدِ
 قَصِيرَةٌ أَلْفَاظٍ قَصِيرَةٌ بَيْتِهَا
 قَصِيرَةٌ طَرْفِ الْعَيْنِ عَنْ كُلِّ أَبْعَدِ
 عَلَيْكَ بَدَاتِ الدِّينِ تَطْفُرُ بِالْمُنَى الْـ
 وَدُودِ الْوَلُودِ الْأَصْلِ ذَاتِ التَّعْبُدِ
 حَسِيْبَةٌ أَصْلٍ مِنْ كِرَامٍ تَفْزُ إِذْنُ
 بِوَلَدِ كِرَامٍ وَالْبَكَارَةِ فَاقْصِدِ
 وَوَاحِدَةً أَدْنَى إِلَيَّ الْعَدْلِ فَاقْتَبِعْ
 وَإِنْ شِئْتَ فَابْلُغْ أَرْبَعًا لَا تَزِيدِ
 وَمَنْ عَفَّ تَقْوَى عَنْ مَحَارِمِ غَيْرِهِ
 يُعَفِّ أَهْلَهُ حَقًّا وَإِنْ يَزِنُ يَفْسُدِ
 فَكَابِدِ إِلَيَّ أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا

وَكُنْ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ طَالِعَ انْجُدِ
 وَلَا يَذْهَبَنَّ الْعُمُرُ مِنْكَ سَبْهَلًا
 وَلَا تُعْبِنَنَّ بِالنَّعْمَتَيْنِ بَلْ اجْهَدِ
 فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ
 أَكْبَبَ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلَى الْيَدِ
 وَفِي قَمْعِ أَهْوَاءِ النَّفُوسِ اعْتِرَازُهَا
 وَفِي نَيْلِهَا مَا تَشْتَهِي ذُلُّ سَرْمَدِ
 فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِمَا يُكْسِبُ الْعُلَا
 وَلَا تَرْضَ لِلنَّفْسِ النَّفِيسَةِ بِالرَّدِيِّ
 وَفِي خُلُوعِ الْإِنْسَانِ بِالْعِلْمِ أَنْسُهُ
 وَيَسْأَلُ دِينَ الْمَرْءِ عِنْدَ التَّوْحُدِ
 وَيَسْأَلُ مَنْ قِيلَ وَقَالَ وَمَنْ أَدَى
 جَلِيسٍ وَمَنْ وَاشٍ بِغَيْضٍ وَحُسَّادِ
 وَكُنْ حَلَسَ بَيْتٍ فَهُوَ سَتْرٌ لِعَوْرَةِ
 وَحِرْزٌ الْفَتَى عَنِ كُلِّ غَاوٍ وَمُفْسِدِ
 وَخَيْرُ جَلِيسِ الْمَرْءِ كِتَابٌ تُفِيدُهُ
 عُلُومًا وَآدَابًا كَعَقْلِ مُؤَيَّدِ
 وَخَالِطٍ إِذَا خَالَطَتْ كُلَّ مُوَفَّقٍ ِ
 مِنَ الْعُلَمَاءِ أَهْلِ الثَّقَى وَالتَّعَبُدِ
 يُفِيدُكَ مِنْ عِلْمٍ وَيَنْهَاكَ عَنِ هَوَى
 فَصَاحِبُهُ تُهْدِي مِنْ هُدَاهُ وَتَرْشُدِ

وَإِيَّاكَ وَالْهَمَّازَ إِن قُئِمْتَ عَنْهُ وَالـ
 بَدِيَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ بِالْمَرْءِ يَفْتَدِي
 وَلَا تَصْحَبِ الْحَمَقَى فَذُو الْجَهْلِ إِن يَرْمُ
 صَاحِحًا لِأَمْرِ يَا أَخَا الْحَزْمِ يُفْسِدِ
 وَخَيْرُ مَقَامٍ قُئِمْتُ فِيهِ وَخِصْلَةٌ
 تَحْلِيَّتُهَا ذِكْرُ الْإِلَهِ بِمَسْجِدِ
 وَكُفِّ عَنِ الْعَوْرَا لِسَانَكَ وَالْيَكُنْ
 دَوَامًا بِذِكْرِ اللَّهِ يَا صَاحِبِي نَدِي
 وَحَصِّنْ عَنِ الْفَحْشَا الْجَوَارِحَ كُلَّهَا
 تَكُنْ لَكَ فِي يَوْمِ الْجَزَا خَيْرَ شَهْدِ
 وَحَافِظُ عَلَى فِعْلِ الْفُرُوضِ بِوَقْتِهَا
 وَخُذْ بِنَصِيْبِ فِي الدُّجَا مِنْ تَهْجُدِ
 وَنَادِ إِذَا مَا قُئِمْتَ بِاللَّيْلِ سَامِعًا
 قَرِيْبًا مُجِيْبًا بِالْفَوَاضِلِ يَتِيْدِي
 وَمُدِّ إِلَيْهِ كَفَّ فَقْرَكَ ضَارِعًا
 بِقَلْبٍ مُنِيْبٍ وَادْعُ تُغَطِّ وَتَسْعَدِ
 وَلَا تَسْأَلْ مَنْ الْعِلْمِ وَاسْهَرْ لَيْلِيهِ
 بِلَا ضَجْرٍ تَحْمِدُ سُرَى اللَّيْلِ فِي غَدِ
 وَلَا تَطْلُبَنَّ الْعِلْمَ لِلْمَالِ وَالرِّيَا
 فَإِنَّ مَلَكَ الْأَمْرِ فِي حُسْنِ مَقْصَدِ
 وَكُنْ عَامِلًا بِالْعِلْمِ فِيمَا اسْتَطَعْتَهُ

لِيُهْدَى بِكَ الْمَرْءُ الَّذِي بِكَ يَقْتَدِي
حَرِيصًا عَلَى نَفْعِ الْوَرَى وَهُدَاهُمْ
تَنَلْ كُلَّ خَيْرٍ فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدٍ
وَكُنْ صَابِرًا بِالْفَقْرِ وَادِّعِ الرِّضَا
بِمَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ وَأَشْكُرْهُ تُحْمَدِ
فَمَا الْعِزَّ إِلَّا فِي الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا
بِأَذْنِي كِفَافٍ حَاصِلٍ وَالتَّزَهُدِ
فَمَنْ لَمْ يُفْنِعْهُ الْكَفَافُ فَمَا إِلَى
رِضَاهُ سَبِيلٌ فَافْتِنِ وَتَقَصِّدِ
فَمَنْ يَتَغَنَّى يُغْنِيهِ اللَّهُ وَالْغِنَى
غِنَى النَّفْسِ لَا عَن كَثْرَةِ الْمُتَعَدِّدِ
وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ وَالْكَبَرَ تُحْظَ بِالسَّ
عَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ فَارْشُدْ وَأَرْشِدِ
وَمَا قَدْ بَدَلْتُ النَّصْحَ جُهْدِي وَإِنِّي
مُقَرَّرٌ بِتَقْصِيرِي وَبِاللَّهِ أَهْتَدِي
تَقَصَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ ذَمِيمَةً
وَلَكِنَّهَا كَالدُّرِّ فِي عِقْدِ حُرْدِ
يَحَارُ لَهُ قَلْبُ اللَّيْبِ وَعَارِفِ
كَرِيمَانَ إِنْ جَا لَا بِفِكْرِ مُنْصَدِ
فَمَا رَوْضَةٌ خُفَّتْ بِنُورِ رَبِيعِهَا
بِسَلْسَالِهَا الْعَذْبُ الزُّلَالِ الْمَبْرَدِ

بِأَحْسَنَ مِنْ أَيْتَاهَا وَمَسَائِلِ
 أَحَاطَتْ بِهَا يَوْمًا بَعِيرٍ تَرُدُّ
 فَخُذْهَا بِدَرْسٍ لَيْسَ بِالنَّوْمِ تُدْرِكُنِ
 لِأَهْلِ النَّهْيِ وَالْفُضْلِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
 وَقَدْ كَمَلْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَخُدُّهُ
 عَلَى كُلِّ حَالٍ دَائِمًا لَمْ يُصَدِّدْ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوْهَا وَأَلْهَمْنَا يَا مَوْلَانَا ذِكْرَكَ
 وَشُكْرَكَ وَأَمِنَّا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ
 وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ بَدَعَانَا تَوَجَّهْنَا . وَبِفَنَائِكَ أَنْخُنَا وَإِيَّاكَ أَمَلْنَا وَمَا عِنْدَكَ مِنَ الْكِرْمِ وَالْجُودِ
 وَالْإِحْسَانِ طَلَبْنَا وَمِنْ عَذَابِكَ أَشْفَقْنَا وَلِغْفْرَانِكَ تَعَرَّضْنَا وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ .

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَأَلْبَسْنَا خَلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَخَصَّنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ
 وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَإِتْبَاعِهِ وَخَلَصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرِ عَلَيْنَا يَدًا
 وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تَشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا وَارزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَفَهْمًا
 ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[قصص ومواعظ رائعة ومطالب عالية]

عَنْ عُمَارَةَ بِنِ خُرَيْمَةَ أَنَّ عَمَّهُ حَدَّثَهُ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتِاعَ فَرَسًا مِنْ
 أَعْرَابِيٍّ فَاسْتَبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ .

فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَشْيَ وَأَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ . فَطَفِقَ رِجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الْأَعْرَابِيَّ فَيَسْأَلُونَهُ بِالْفَرَسِ وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَهُ . حَتَّى زَادَ بَعْضُهُمُ الْأَعْرَابِيَّ فِي السَّوْمِ عَلَى ثَمَنِ الْفَرَسِ الَّذِي ابْتَاعَهُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ .

فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعاً هَذَا الْفَرَسَ فابِعْتُهُ وَإِلَّا بِعْتُهُ . فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ نِدَاءَ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ : « أَوْلَيْسَ قَدْ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ » . قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : لَا وَاللَّهِ مَا بَعْتُكَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « بَلَى قَدْ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ » . فَطَفِقَ النَّاسُ يَلُودُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَالْأَعْرَابِيُّ وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ : هَلُمَّ شَهِيداً يَشْهَدُ أَيْ بَايَعْتِكَ .

فَمَنْ جَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ : وَيْلَكَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ لِيَقُولَ إِلَّا حَقًّا . حَتَّى جَاءَ خُزَيْمَةُ فَاسْتَمَعَ لِمُرَاجَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُرَاجَعَةِ الْأَعْرَابِيِّ وَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ : هَلُمَّ شَهِيداً أَيْ بَايَعْتِكَ .

فَقَالَ خُزَيْمَةُ أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ . فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ : « بِمَ تَشْهَدُ ؟ » . قَالَ :

بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ . وقد روي في بعض طرق هذا الحديث أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِحُزَيْمَةَ : بِمَ تَشْهَدُ وَلَمْ تَكُنْ مَعَنَا ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَصْدِيقُكَ بِخَبْرِ السَّمَاءِ أَفَلَا أَصَدَّقُكَ بِمَا تَقُولُ ؟

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَوَجْهَ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَكَمَ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ بِعَلْمِهِ إِذْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ صَادِقاً بَاراً وَجَرَتْ شَهَادَةُ خُزَيْمَةَ فِي ذَلِكَ بِمَجْرَى التَّوَكُّيدِ لِقَوْلِهِ ﷺ وَالِاسْتِظْهَارِ بِهَا عَلَى خَصْمِهِ . فَصَارَتْ فِي التَّقْدِيرِ مَعَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ فِي سَائِرِ الْقَضَايَا . رَحِمَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ وَعَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ) قَالَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ أَشْيَاحٍ لَهُ : إِنَّ شَيْبَةَ بْنَ عَثْمَانَ كَانَ يَحْدُثُ عَنْ إِسْلَامِهِ فَيَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَحَبَّ إِلَيَّ كُنَّا فِيهِ مِنْ لَزُومِ مَا مَضَى عَلَيْهِ أَبَاؤُنَا مِنَ الضَّلَالَاتِ .

فَلَمَّا كَانَ عَامَ الْفَتْحِ وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنُودَةَ قَلْتِ : أَسِيرٌ مَعَ قَرِيشٍ إِلَى هَوَازِنَ بِجَنِينِ فَعَسَى إِنْ ائْتَلَطُوا أَنْ أُصِيبَ مِنْ مُحَمَّدٍ غَرَّةٌ فَأَتَارَ مِنْهُ فَأَكُونَ أَنَا الَّذِي قَمْتُ بِثَأْرِ قَرِيشٍ كُلِّهَا ، وَأَقُولُ :

ولو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمداً ما اتبعته أبداً . فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته وأصلت السيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفي ، فرفعت لي شواظ من نار كالبرق حتى كاد يمحشني فوضعت يدي على بصري خوفاً عليه ، فالتفت إليّ رسول الله ﷺ وناداني : يا شيبه اذن مني . فدنوت منه فمسح صدري وقال : « اللهم أعذه من الشيطان » . فوالله هو كان ساعته أحب إلى من سمعي وبصري ونفسي وأذهب الله عز وجل ما كان بي ثم قال : ادن فقاتل . فتقدمت أمامه أضرب بسيفي ، الله يعلم أنني أحب أن أقيه بنفسي كل شيء ، ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حياً لأوقعت به السيف .

فلما تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد قربت بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها فخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه ، ورجع إلى معسكر فدخل خبائه ، فدخلت عليه فقال : يا شيبه ، الذي أراد الله بك خير مما أردت بنفسك .

ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط . فقلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . ثم قلت : استغفر لي يا رسول الله . فقال : غفر الله لك .

(فصل) وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبر قسمه لأبره منهم البراء بن مالك » . وأن البراء لقي زحفاً من المشركين قد أوجع المشركون في المسلمين . فقالوا له : يا براء إن رسول الله ﷺ قال : إنك لو أقسمت على الله لأبرك فأقسم على الله فقال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم فمنحوا أكتافهم . ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين فقالوا : أقسم على ربك ، فقال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم و ألقني بنبيك ﷺ فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً .

(فصل) أرسل عمر إلى الكوفة من يسأل عن سعد فكان الناس يثنون خيراً حتى سئل عنه رجل من بني عبس .

فَقَالَ : أَمَّا إِذْ أَنْشَدْتُمُونَا ، عَنْ سَعْدٍ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَخْرُجُ فِي السَّرِيَّةِ ، وَلَا يَعْدِلُ بِالرَّعِيَّةِ وَلَا يَتَّقِسِمُ
بِالسَّوِيَّةِ .

فَقَالَ سَعْدٌ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا ، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً ، فَأَطْلُ عُمُرِهِ وَعَظْمُ فَقْرِهِ وَعَرَّضُهُ بِالْفِتَنِ

فَكَانَ يَرَى وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ تَدَلَّى حَاجِبَاهُ مِنَ الْكِبَرِ تَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي يَغْمِرُهُنَّ فِي الطُّرُقَاتِ
يَقُولُ : أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ .

وكذا سعيد بن زيد كان مجاب الدعوة فقد روى أن أروى بنت أوس استعدت مروان على
سعيد وقالت : سرق من أرضي وأدخله في أرضه .

فَقَالَ سعيد : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَذْهَبْ بصرها وأقتلها في أرضها فذهب بصرها
وماتت في أرضها .

(فَصْلٌ) قَالَ إبراهيم بن أدهم : مرض بعض العباد فدخلنا عليه نعوذ به ، فجعل يتنفس
ويتأسف ، فقلت له : على ماذا تتأسف ؟ قَالَ : على ليلة نمتها ، ويوم أفطرت ، وساعة
غفلت فيها عن ذكر الله عز وجل .

وبكى بعض العباد عند موته ، فقيل له ما يبكيك ؟ فَقَالَ أن يصوم الصائمون ولست
فيهم ، ويذكر الذاكرون ولست فيهم ، ويصلي المصلون ولست فيهم . تأمل يا أخي هذه
الأماني لله دره .

عن ابن أبي مليكة قَالَ : لما كان يوم الفتح ركب عكرمة بن أبي جهل البحر هارياً فخب
بهم البحر ، فجعلت الصراري (أي الملاحون) يدعون الله ويوحّدونه .
فَقَالَ : ما هذا ؟ قَالُوا : هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله .

قال : هذا إله مُحَمَّد الَّذِي يدعوننا إليه ، فارجعوا بنا فرجع فأسلم .
 وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَرْحَبًا
 بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ مَرْحَبًا بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ » ، قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَدْعُ نَفَقَةَ أَنْفَقْتُهَا
 عَلَيْكَ إِلَّا أَنْفَقْتُ مِثْلَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وعن عبد الله بن أبي مليكة أن عكرمة بن أبي جهل كان إذا اجتهد في اليمن قَالَ : لَا
 وَالَّذِي نَجَانِي يَوْمَ بَدْرٍ وَكَانَ يَضَعُ الْمِصْحَفَ عَلَى وَجْهِهِ وَيَقُولُ : كِتَابَ رَبِّي كِتَابَ رَبِّي .
 استشهد عكرمة يوم اليرموك في خلافة أبي بكر ، فوجدوا فيه بضعا وسبعين من بين ضربة
 وطعنة ورمية .

(فَصْلٌ) قَالَ الزبير : وَحَدَّثَنِي عَمِي مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : جَاءَ الْإِسْلَامَ وَدَارَ بَيْدِ حَكِيمِ
 بْنِ حَزَامٍ فَبَاعَهَا بَعْدَ مِنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ : بَعْتَ مَكْرَمَةَ قَرِيشٍ ؟ فَقَالَ حَكِيمٌ : ذَهَبْتَ الْمَكَارِمَ ، لَا
 التَّقْوَى ، يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي اشْتَرَيْتُ بِهَا دَارًا فِي الْجَنَّةِ أَشْهَدُكَ إِنِّي قَدْ جَعَلْتُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
 وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ سَلِيمَانَ قَالَ : حَجَّ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ مَعَهُ مِائَةٌ قَدْ أَهْدَاهَا وَجَلَّلَهَا الْحَبْرَةَ
 وَكَفَّهَا عَنْ أَعْجَازِهَا وَوَقَفَ مِائَةَ وَصَيْفَ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي أَعْنَاقِهِمْ أَطُوقَةَ . الْفِضَّةُ قَدْ نَقَشَ فِي
 رُؤُوسِهَا «عَتَقَاءُ اللَّهِ [عَزَّ وَجَلَّ] عَنْ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ » . وَأَعْتَقَهُمْ وَأَهْدَى أَلْفَ شَاةٍ .
 وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ يَرْفَعُهُ : أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ بَكَى يَوْمًا ،

فَقَالَ له ابنه : ما يبكيك ؟ قَالَ : خصال كلها أبكاني : أما أولها فبطؤ إسلامي حتى سبقت في مواطن كلها سالحة ، ونجوت يوم بدر واحد فقلت : لا أخرج أبداً من مكة ولا أوضع مع قريش ما بقيت .

فأقمت بمكة ويأبي الله [عز وجل] إن يشرح صدري للإسلام وذلك إني أنظر إلى بقايا من قريش لهم أسنان متمسكين بما هم عليه من أمر الجاهلية فأقتدي بهم ، ويا ليت أني لم أقتد بهم فما أهلكنا إلا الاقتداء بآبائنا وكبرائنا .

فلما غزا النبي ﷺ مكة جعلت أفكر ، فخرجت أنا وأبو سفيان نستروح الخبر فلقي العباس أبا سفيان فذهب به النبي ورجعت فدخلت بيتي ، فأغلقت علي ودخل النبي ﷺ مكة فآمن الناس ، فحجته فأسلمت وخرجت معه إلى حنين .

وعن عروة أن حكيم بن حزام أعتق في الجاهلية مائة رقبة ، وفي الإسلام مائة رقبة وحمل على مائة بغير .

قَالَ ابن سعد : قَالَ مُحَمَّد بن عمر : قدم حكيم بن حزام المدينة ونزلها وبني بها داراً ، ومات بها سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة رحمه الله والله أعلم وصَلَّى اللهُ عَلَي مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ) عن أبي برزة الأسلمي « أن جليبيبا كان امرءاً من الأنصار ، وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيم (أي لا زوج لها) لم يزوجها حتى يعلم النبي ﷺ هل له فيها حاجة أم لا ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار : « يا فلان زوجني ابنتك » . قَالَ : نعم ونعمة عين قَالَ : « إني لست لنفسني

أريدها « قَالَ : لمن ؟ قَالَ : « جلييب » . قَالَ : يا رسول ρ حتى استأمر (أي أشاورها) وأمها .

فأتاها فقَالَ : إن رسول الله ρ يخطب ابنتك . قالت : نعم ونعمة عين ، زوج رسول الله ρ .

قَالَ : إنه ليس يريدنا لنفسه قالت : فلمن ؟ قَالَ : يريدنا جلييب . قالت : حلقي أجلييب ؟ لا لعمر الله لا . أزوج جلييباً .

فلما قام أبوها ليأتي النبي ρ قالت الفتاة من خدرها لأبويها : من خطبني إليكما ؟ قالوا : رسول الله ρ قالت : أفتردون على رسول الله ρ أمره ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني . فذهب أبوها إلى النبي ρ فقَالَ : شأنك بها . فزوجها جلييباً قَالَ إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت : أتدري ما دعا لها به النبي ρ ؟ قَالَ : وما دعا به النبي عليه السلام ؟ قَالَ : « اللهم صب عليها الخير صباً ولا تجعل عيشهما كدأ كدأ » .

قَالَ ثابت : فزوجها إياه فينا رسول الله ρ في مغزى له قَالَ : « هل تفقدون من أحد » ؟ قَالُوا : نفقد فلاناً ونفقد فلاناً ونفقد فلاناً ثم قَالَ : « هل تفقدون من أحد » ؟ قَالُوا : نفقد فلاناً و نفقد فلاناً ثم قَالَ : « هل تفقدون من أحد » ؟ قَالُوا : لا ، قَالَ : « لكني أفقد جلييباً » فطلب في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه ، فينبغي للإنسان تفقد

أصحابه قَالَ بعضهم :

مَا كَانَ عِيًّا لَوْ تَفَقَّدْتَنِي وَقُلْتَ هَلْ أَتَهُمْ أَوْ أَنْجَدَا
فَعَادَةُ السَّادَةِ مِنْ قَبْلِنَا تَفَقَّدُ الْأَتْبَاعِ وَالْأَعْبَادَا
هَذَا سُلَيْمَانُ عَلَى مُلْكِهِ وَهُوَ بِأَخْبَارٍ لَهُ يُفْتَدِي
تَفَقَّدَ الطَّيْرَ وَأَجْناسَهَا فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدَاهَا
وَالْمُصْطَفَى أَيْضًا كَمَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي قِصَّةِ الْقَتْلَى كَمَا قَدْ أَتَى

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((هذا مني وأنا منه أقتل سبعة ثم قتلوه ، هذا مني وأنا منه أقتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه)) .

فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه ثم حَتَّى حَفَرُوا لَهُ مَا لَهُ سِرِيرٍ إِلَّا سَاعِدِي رَسُولِ ﷺ حَتَّى وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ .

لله در هذه الأنفس فما أعزها وهذه الهمم فما أرفعها ! .

وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضَ الْحَيَاةِ مُدْلَّةً عَلَيْهِمْ وَعِزَّ الْمَوْتِ غَيْرَ مُحَرَّمٍ
أَبَوْا أَنْ يَذُوقُوا الْعَيْشَ وَالِدَّمَ وَقِيعَ عَلَيْهِ وَمَاتُوا مَيْتَةً لَمْ تُدَمِّمْ
وَلَا عَجَبٌ لِلْأَسَدِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
فَحَرْبَةٌ وَخَشِي سَقَتْ حَمَزَةَ الرَّدَى وَحَتَفُ عَلِيٍّ فِي حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ

(فَضْلٌ) روى مسلم في أفراده من حديث أنس بن مالك قَالَ

انطلق رسول الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى بَدْرٍ حَتَّى سَبَّوْا الْمُشْرِكِينَ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُومُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ » .

قَالَ : عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةُ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟! قَالَ : « نَعَمْ » . قَالَ : بَخٍ بَخٍ . يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : « مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ ؟ » . قَالَ [لَا] وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءَهُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا . قَالَ « فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا » .

قَالَ : فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْزِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُهُنَّ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ

أَنَا حَيْثُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا حَيَاةٌ طَوِيلَةٌ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ . ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدَعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَارْزُقْنَا الْإِقْبَالَ عَلَى طَاعَتِكَ وَالْإِنَابَةَ وَبَارِكْ فِي أَعْمَالِنَا وَأَجْزِلْ لَنَا الْأَجْرَ وَالْإِثَابَةَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

قال الواقدي : لما أراد عمرو بن الجموح الخروج إلى أحد منعه بنوه وقالوا : قد عذرك الله . فجاء إلى النبي ﷺ فقال : إن بني يريدون حسبي عن الخروج معك وأني لأرجو أن أطأ بعرجتي [هذه] في الجنة ، فقال : « أما أنت فقد عذرك الله » ثم قال لبنيه لا عليكم أن تنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة فخلوا سبيله .

قالت امرأته هند بنت عمرو بن خزام : كأني أنظر إليه مولياً ، قد أخذ درقته وهو يقول : اللهم لا تردني إلى خربي وهو منازل بني سلمة .

قال أبو طلحة : فنظرت إليه حين انكشف المسلمون ثم تابوا ، وهو في الرعيل الأول ، لكأني أنظر إلى ظلع في رجله وهو يقول : إنا والله مشتاق إلى الجنة !

ثم أنظر إلى ابنه خلاد [وهو] يعدو [معه] في إثره حتى قتلا جميعاً .

وفي الحديث أنه دفن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمر وأبو جابر في قبر واحد ، فحرب السيل قبورهم ، فحفر عنهم بعد ست وأربعين سنة فوجدوا لم يتغيروا كأهم ماتوا بالأمس .

(فَصْلٌ) عن أنس بن مالك ، قَالَ : ρ : فَقَالَ : يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْظِفُ لِحْيَتَهُ مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ الشِّمَالِ .
 فَلَمَّا كَانَ الْعُدُ ، قَالَ النَّبِيُّ ρ : مِثْلَ ذَلِكَ : فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى .
 فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ ، قَالَ النَّبِيُّ ρ : مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا : فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ρ ، تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَحِثُّ أَبِي ، فَأَقْسَمْتُ أَلَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ ، فَعَلْتُ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ أَنَسٌ : فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ الثَّلَاثَ اللَّيَالِي ، فَلَمْ يَرَهُ يَوْمًا مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَى عَلَى فِرَاشِهِ ، ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَبَّرَ حَتَّى لِصَلَاةِ الْفَجْرِ .
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمِعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا : فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ اللَّيَالِي ، وَكَدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ .

قُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ ، وَلَا هَجْرٌ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ρ ، يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ .
 فَأَنْظُرُ مَا عَمَلُكَ ، فَأَقْتَدِي بِكَ ، فَلَمْ أُرَكَ عَمَلْتَ كَبِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ ؟

قَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ ، دَعَانِي ، فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا ، وَلَا أَحْسُدُهُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ ، رواه أحمد بإسناد على شروط البخاري ومسلم والنسائي والله أعلم وصَلَّى اللهُ وَعَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ) عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ « بعث جيشاً فيهم رجل يقال له : حدير ، وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة من قلة الطعام ، فزودهم رسول الله ﷺ ونسي أن يزود حديراً .

فخرج حدير صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول : نعم الزاد هو يا رب فهو يرددها وهو في آخر الركب

قال فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فَقَالَ له : إن ربي أرسلني إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت إن تزود حديراً ، وهو في آخر الركب يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله

فدعا النبي ﷺ رجلاً ، فدفع إليه زاد حدير وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول ، وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول ، ويقول له : إن رَسُولَ اللهِ ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله ، ويخبرك أنه كان نسي أن يزودك ، وأن ربي تبارك وتعالى أرسل إلى جبريل يذكرني بك ، فذكره جبريل وأعلمه مكانك .

فانتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هذا يا رب ؛ فدنا منه ، ثم قَالَ له : إن رَسُولَ اللهِ ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله ، وقد أرسلني إليك بزادٍ معي ، ويقول : إني إنما نسيتك ، فأرسل إلى جبريل من السماء يذكرني بك ؛ فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ .

ثم قَالَ : الحمد لله رب العالمين ، ذكرني ربي من فوق سبع سموات ، ومن فوق عرشه ، ورحم جوعي وضعفي . يا رب كما لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينسك .

قَالَ : فحفظ ما قَالَ ، ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه ، وبما قَالَ حين أخبره ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أما أنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض .

عن مُحَمَّد بن سعد قَالَ : كان ذو البجادين يتيماً لا مال له . فمات أبوه ولم يورثه شيئاً ، وكفله عمه حتى أيسر .

فلما قدم النبي المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه حتى مضت السنون والمشاهد . فَقَالَ لعمه : يا عم إني قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمداً ، فأذن لي في الإسلام .

فَقَالَ : والله لئن اتبعت محمداً لأترك بيدك شيئاً كنت أعطيتكه إلا نزعته منك ، حتى ثوبيك .

قَالَ : فإننا والله متبع محمداً وتارك عبادة الحجر ، وهذا ما بيدي فخذ ما أعطاه حتى جرده من إزاره .

فأتى أمه فقطعت له بجاداً لها بائنتين فاتزر بواحد وارتدى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقان فاضطجع في المسجد في السحر .

وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح ، فنظر إليه فَقَالَ : « من أنت ؟ » فانتسب له وكان اسمه عبد العزي ، فَقَالَ : « بل أنت عبد الله ذو البجادين » .

ثم قَالَ : انزل مني قريباً فكان يكون في أضيافه حتى قرأ قرآناً كثيراً .
 فلما خرج النبي ﷺ إلى تبوك قَالَ : ادع لي بالشهادة . فربط النبي ﷺ على عضده لحي سمرة
 قَالَ : اللهم إني أحرم دمه على الكفار .
 فَقَالَ : ليس هذا أردت .
 قَالَ النبي ﷺ إنك إذا خرجت غازياً فأخذتكم الحمى فقتلتك فأنت شهيد ، أو وقصتك
 دابتك فأنت شهيد ، فأقاموا بتبوك أياماً ثم توفي .
 قَالَ بلال بن الحارث : حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر
 واقفا بها .
 وإذا رسول الله يقول : «أدنيا إليّ أحكما . فلما هياه لشقه في اللحد قَالَ : « اللهم إني
 أمسيت عنه راض فارض عنه » .
 فَقَالَ ابن مسعود : ليتني كنت صاحب اللحد
 وعن أبي وائل ، عن عبد الله قَالَ : والله لكأني أري رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في
 قبر عبد الله ذي البجادين ، وأبو بكر وعمر يقول : أدنيا إليّ أحكما .
 وأخذه من القبلة حتى أسكنه في لحده ثم خرج النبي ﷺ وولياهما العمل .
 فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعاً يديه يقول : « اللهم إني أمسيت عنه راض فارض
 عنه » .
 وكان ذلك ليلاً فوالله لوددت إني مكانه ، ولقد أسلمت قبله بخمس عشر سنة والله أعلم
 وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ) عن مُحَمَّد بن سعد قَالَ : أتى واثلة رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فصلى معه الصبح . وكان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا صلى وانصرف تصفح أصحابه . فلما دنا من واثلة قَالَ : من أنت ؟ فأخبره .

فَقَالَ : ما جاء بك ؟ قَالَ : جئت أبايع . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فيما أحببت وكرهت ؟ قَالَ : نعم . قَالَ فيما أطق ؟ قَالَ : نعم . فأسلم وبايعه

وكان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يتجهز يومئذ إلى تبوك فخرج واثلة إلى أهله فلقي أباه الأسقع فلما رأى حاله قَالَ : قد فعلتها ؟ قَالَ : نعم . قَالَ أبوه : والله لا أكلمك أبداً .

فأتى عمه فسلم عليه فَقَالَ : قد فعلتها ؟ قَالَ : نعم قَالَ : فلامه أيسر من ملامة أبيه وَقَالَ : لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمر .

فسمعت أخت واثلة كلامه فخرجت إليه وسلمت عليه بتحية الإسلام . فَقَالَ واثلة : أني لك هذا يا أخيه ؟ قالت : سمعت كلامك وكلام عمك فأسلمت .

فَقَالَ : جهزي أخاك جهاز غاز فإن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جناح سفر . جهزي فلحق بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قد تحمل إلى تبوك وبقي غبرات من الناس وهم على الشخوص .

فجعل ينادي بسوق بني قينقاع : من يحملني وله سهمي ؟ قَالَ : كنت رجلاً لا رحلة بي .

قَالَ : فدعاني كعب بن عجرة فَقَالَ : أنا أحملك عقبه بالليل وعقبه بالنهار ويدك أسوة يدي وسهمك لي . قَالَ واثلة نعم .

قَالَ واثلة : جزاه الله خيراً لقد كان يملني ويزيدني وأكل معه ويرفع لي حتى إذا بعث رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل .

(فَصْلٌ) خرج كعب في جيش خالد وخرجت معه فأصبنا فيئاً كثيراً فقسمه خالد بيننا فأصابني ست قلائص فأقبلت أسوقها حتى جئت بها خيمة كعب بن عجرة فقلت : اخرج رحمك الله فانظر إلى قلائصك فاقبضها .

فخرج وهو يتسم ويقول : بارك الله فيها ما حملتك وأنا أريد أن آخذ منك شيئاً .

عن بشر بن عبد الله عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قَالَ : كنا أصحاب الصفة في مسجد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وما فينا رجل له ثوب .

ولقد اتخذ العرق في جلودنا طرقاً من الغبار ، إذ خرج علينا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : «لبشر فقراء المهاجرين» ثلاثاً .

(فَصْلٌ) عن نعيم بن ربيعة بن كعب قَالَ : كنت أخدم رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وأقوم له في حوائجه نهارياً أجمع ، حتى يصلي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ العشاء الآخرة .

فأجلس على بابي إذا دخل بيته ، أقول : لعلها أن تحدث لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حاجة . فما أزال أسمع سبحة الله ، سبحان الله وبحمده حتى أمل فأرجع أو تغلبي عيني فأرقد .

فَقَالَ لي يوماً لما رأى من حفتي (أي العناية والخدمة) له وخدمتي إياه ، يا ربيعة سلني أعطك . قَالَ : فقلت : أنظر في أمري يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثم أعلمك ذلك .

فَقَالَ : ففكرت في نفسي فعلمت أن الدنيا منقطعة وزائلة

وأن لي فيها رزقاً سأتييني ، قَالَ : فقلت أسأل رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لآخرتي فإنه من الله عز وجل بالمنزل الَّذِي هو به .

فجئته فَقَالَ : ما فعلت يا ربيعة ؟ فقلت : أسالك يَا رَسُولَ اللَّهِ أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار .

فَقَالَ : من أمرك بهذا يا ربيعة ؟ فقلت : لا وَالَّذِي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ولكنك لما قلت سلني أعطك وكنت من الله بالمنزل الَّذِي أنت به نظرت في أمري فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقاً سيأتييني .

فقلت أسأل رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لآخرتي . قَالَ : فصمت رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طويلاً ثم قَالَ لي : إني فاعل فأعني على نفسك بكثرة السجود .

(فَصَلِّ) وأخرجنا في الصحيحين ، من حديث قَيْسِ بْنِ عِبَادٍ قَالَ : كُنْتُ جَالِساً فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ

فِي نَاسٍ فِيهِمْ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ .

فَجَاءَ رَجُلٌ فِي وَجْهِهِ أَثَرٌ خُشُوعٍ ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ يَتَحَوَّرُ فِيهِمَا : ثُمَّ خَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَدَخَلْتُ فَأَخْبَرْتُهُ .

فَقَالَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ ، وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ ؟ رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ .

رَأَيْتُنِي فِي رَوْضَةٍ ، وَسَطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ ، أَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ ، فِي أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ .

فَقِيلَ لَهُ ارْقَهُ . فَقُلْتُ : لَا أَسْتَطِيعُ . فَجَاءَنِي مِنْصَفٌ ، يَعْنِي خَادِماً فَقَالَ بَشِيَابِي مِنْ خَلْفِي ، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ .

فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « تِلْكَ الرَّوْضَةُ الْإِسْلَامُ ، وَذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الْإِسْلَامِ ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ الْعُرْوَةُ

الوُثْقَى ، وَأَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ » . وَالرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ .

وعن أبي بردة ابن أبي موسى قَالَ : قدمت المدينة فأتيت عبد الله بن سلام ، فإذا رجل متخشع ، فجلس إليه فَقَالَ : يا ابن أخي إنك جلست إلينا وقد حان قيامنا ، أفتأذن ؟ والله أعلم وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمير بن سعد عاملاً على حمص فمكث حولاً لا يأتيه خبر فَقَالَ عمر لكاتبه : أكتب إلى عمير : فو الله ما أراه إلا قد خاننا إذا جاءك كتابي هذا فأقبل و أقبل بما جببت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا
قَالَ : فأخذ عمير جرابه فوضع فيه زاده و قصعته وعلق أدواته وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حمص حَتَّى قدم المدينة .

قَالَ : فقدم وقد شحب لونه واغبر وجهه وطالت شعرته فدخل على عمر فَقَالَ : السلام عَلَيْكَ يا أمير المؤمنين ورحمة الله .

قَالَ عمر : ما شأنك ؟ قَالَ ما ترى شأني أأست تراني صحيح البدن ظاهر الدم ، معي الدنيا أجرها بقرونها ؟

قَالَ عمر : وما معك ؟ وظن عمر أنه قد جاءه ه بمال . قَالَ معي جرابي اجعل فيه زادي ، وقصعتي آكل فيها . وأدواتي أحمل فيها وضوئي وشرابي وعنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواً إن عرض لي ، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي .

قَالَ عمر : فجئت تمشي ؟ قَالَ : نعم قَالَ : أما كان لك أحد يتبرع لك بداية لك تركبها ؟ قَالَ : ما فعلوا وما سألتهم ذلك .

فَقَالَ عمر : بئس المُسْلِمُونَ خرجت من عندهم .

فَقَالَ عمير : اتق الله يا عمر قد نهاك الله عن الغيبة وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة . قَالَ عمر : فأين نصيبك وأي شيء صنعت ؟ قَالَ و ما سؤالك يا أمير المؤمنين ؟ قَالَ عمر : سبحان الله . فَقَالَ عمير : أما أي لولا أي أخشى أن أغمك ما أخبرتك بعثتني حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيعهم حتى إذا جمعوا مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيتك به .

قَالَ : فما جئتنا بشيء ؟ قَالَ لا . قَالَ : جددوا لعمر عهداً . قَالَ إن ذلك شيء لا عمله لك ولا لأحد بعدك ، والله ما سلمت بل لم أسلم ، لقد قلت لنصراني أخزأك الله فهذا ما عرضني له يا عمر ، وإن أشقى أيامي يوم خلفت معك ثم استأذنه فأذن له فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال . فَقَالَ عمر حين انصرف عمير : ما أراه إلا قد خاننا .

فبعث رجلاً يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار وقال: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف فإن رأيت أثر شيء فأقبل . و إن رأيت حالاً شديدة فادفع إليه هذه المائة ديناراً . فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يفلي قميصه إلى جنب الحائط فَقَالَ له عمير : انزل رحمك الله . فنزل ثم سأله فَقَالَ : من أين جئت ؟ فَقَالَ : من المدينة . فَقَالَ كيف تركت أمير المؤمنين ؟ فَقَالَ صالحاً . قَالَ : فكيف تركت المسلمين ؟ قَالَ : صالحين قَالَ أليس يقيم الحدود ؟

قَالَ بلى ضرب ابناً له على فاحشة فمات من ضربه . فَقَالَ عمير : اللهم أعن عمر فاني لا أعلمه إلا شديداً حبه لك .

قَالَ فنزل ثلاثة أيام و ليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها و يطوون حتى أتاهم الجهد . فَقَالَ له عمير إنك قد أجمعتنا فان رأيت أن تتحول عنا فافعل .

قَالَ : فأخرج الدنانير فدفعها إليه فَقَالَ : بعث بها أمير المؤمنين فاستعن بها قَالَ : فصاح وَقَالَ : لا حاجة لي فيها فردها .

فقالت له امرأته إن احتجت إليها وإلا فضعها في مواضعها .

فَقَالَ عمير : و الله مالي شيء أجعلها فيه . فشقت امرأته أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها ثم خرج فقسمها على بين أبناء الشهداء و الفقراء .

ثم رجع و الرسول يظن أنه يعطيه منها شيئاً فَقَالَ له عمير أقرئ مني لأمير المؤمنين السلام .

فرجع الحارث إلى عمر فَقَالَ ما رأيت ؟ فَقَالَ رأيت يا أمير المؤمنين حالاً شديداً . قَالَ : فما صنع بالدنانير ؟ قَالَ : لا أدري

قَالَ : فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل . فأقبل إلى عمر فدخل عليه فَقَالَ له عمر : ما صنعت بالدنانير ؟ قَالَ صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها ؟ قَالَ أنشد عَلَيْكَ لتخبرني ما صنعت بها

قَالَ : قدمتها لنفسي . قَالَ رحمك الله . فأمر له بوسقٍ من طعام وثوبين . فَقَالَ : أما الطعام فلا حاجة لي فيه قد تركت في المنزل صاعين من شعير

إلى أن أكل ذلك قد جاء الله بالرزق ولم يأخذ الطعام . وأما

الثوبان فإن أم فلان عارية . فأخذهما ورجع إلى منزله .
 فلم يلبث أن هلك رحمه الله فبلغ عمر ذلك فشق عليه وترحم عليه وخرج يمشي ومعه
 المشاؤون إلى بقيع الغرقد .
 فَقَالَ لأصحابه : ليتمن كل رجل منكم أمنية . فَقَالَ رجل : يا أمير المؤمنين وددت أن
 عندي مالاً فأعتق لوجه الله كذا وكذا .
 وَقَالَ آخر : وددت أن لي قوة فأميح بدلو زمزم لحجاج بيت الله .
 قَالَ عمر بن الخطاب : وددت أن لي رجلاً مثل عمير بن سعدٍ استعين به في أعمال
 المسلمين . رحمه الله ورضي الله عنه .
 والله أعلم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ آلِهِ وَسَلَّمَ .

[فصل يحتوي على قصص مفيدة]

عن ابن قمارين قَالَ : لم يكن أحد من كبراء قريش ، الَّذِينَ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُمْ فَأَسْلَمُوا يَوْمَ
 فَتْحِ مَكَّةَ ، أَكْثَرَ صَلَاةً وَلَا صَوْمًا وَلَا صَدَقَةً .
 وَلَا أَقْبَلَ عَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ ، مِنْ سَهِيلِ بْنِ عَمْرٍو حَتَّىٰ إِنْ كَانَ لَقَدْ شَحِبَ لَوْنُهُ
 . وَكَانَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ رَقِيقًا عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ .
 لقد رئي يختلف إلى معاذ بن جبل حَتَّىٰ يَقْرَأَهُ الْقُرْآنَ وَهُوَ بِمَكَّةَ ، حَتَّىٰ خَرَجَ مَعَاذٌ مِنْ مَكَّةَ .
 فَقَالَ لَهُ ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ : يَا أَبَا يَزِيدَ ، تَخْتَلِفُ إِلَىٰ هَذَا الْخَزْرَجِيِّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ أَلَا
 يَكُونُ اخْتِلَافُكَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِكَ مِنْ قَرِيشٍ ؟

فَقَالَ : يا ضرار هذا الَّذِي صنع بنا ما صنع (يشير إلى الكبر والعجب) حتَّى سبقنا كل السبق .

أي لعمرى أختلف [إليه] لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية ورفع الله بالإسلام قوماً كانوا لا يذكرون في الجاهلية فليتنا كنا مع أولئك فتقدمنا .

وعن الحسن قَالَ : حضر باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه سهيل بن عمرو ، والحارث وبلال ، وتلك الموالي الَّذِينَ شهدوا بدرًا . فخرج آذن عمر فأذن لهم ، وترك هؤلاء .

فَقَالَ أبو سفيان : لم أر كاليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد ونحن على بابه لا يلتفت إلينا ؟
فَقَالَ سهيل بن عمرو : وكان رجلاً عاقلاً : أيها القوم إني والله لقد أرى الَّذِي في وجوهكم ، إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم .

دعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم ؟
أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل ممَّا لا ترون أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الَّذِي كنتم تنافسونهم عليه . قَالَ : ونفض ثوبه وانطلق .

قَالَ الحسن : وصدق والله سهيل ، لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه .
وعن أبي قدامة السرخسي قَالَ : قام العمري للخليفة على الطريق فَقَالَ له : فعلت وفعلت . فَقَالَ له : ماذا تريد ؟ قَالَ : تعمل بكذا وتعمل بكذا . فَقَالَ له هارون : نعم يا عم ، نعم يا عم .

وعن سعيد بن سليمان قَالَ : كنت بمكة في زقاق الشطوى وإلى جنبي عبد الله بن عبد العزيز العمري وقد حج هارون الرشيد .

فَقَالَ له إنسان : يا أبا عبد الرحمن هو ذا أمير المؤمنين يسعى قد أدخل له المسعى . قَالَ العمري للرجل : لا جزاك الله عني خيراً ، كلفتني أمراً كنت عنه غنياً . ثم تعلق نعليه (أي لبسهما) .

وقام فتبعته وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به : يا هارون ! فلما نظر إليه قَالَ : لبيك يا عم . قَالَ ارق الصفا : فلما رقيه .

قَالَ : ارم بطرفك إلى البيت . قَالَ : قد فعلت . قَالَ : كم هم ؟ قَالَ : ومن يحصيه ؟ قَالَ : فكم في الناس مثلهم ؟ قَالَ : خلق لا يحصيه إلا الله .

قَالَ : اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون ؟ قَالَ : فبكى هارون وجلس وجعلوا يعطونه مندبلاً مندبلاً للدموع .

قَالَ العمري : وأخرى أقولها . قَالَ : قل يا عم . قَالَ والله إن الرجل ليسرف في ماله فيسحق الحجر عليه ، فكيف بمن يسرف في مال المسلمين ؟ ثم مضى وهارون يبكي .

قَالَ مُحَمَّد بن خلف : سمعت مُحَمَّد بن عبد الرحمن يقول : بلغني أن هارون قَالَ : إني لأحب أن أحج كل سنة ما يمنعني إلا رجل من ولد عمر ثم يسمعي ما أكره .

وقد روى لنا من طريق آخر أنه لقيه في المسعى فأخذ بلجام دابته فأهوت إليه الأجناد فكفهم عنه الرشيد فكلمه فإذا دموع الرشيد تسيل على معرفة دابته .

ثم انصرف . وأنه لقيه مرة فَقَالَ : يا هارون فعلت وفعلت . فجعل يسمع منه ويقول : مقبول منك يا عم ، على الرأس والعين . فَقَالَ : يا أمير المؤمنين من حال الناس كيت وكيت فَقَالَ : عن غير علمي وأمري وخرج العمري إلى الرشيد مرة ليعظه فلما نزل الكوفة زحف العسكر حتى لو كان نزل بهم مائة ألف من العدو ما زادوا على هيئته . ثم رجع ولم يصل إليه . وعن أبي يحيى الزهري قَالَ : قَالَ عبد الله بن عبد العزيز العمري عند موته : بنعمة ربي أحدث أني لم أصبح أملك إلا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلته بيدي ، وبنعمة ربي أحدث : لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي ما يمنعني أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ؛ ما أزلتها . استسقى موسى بن نصير في الناس في سنة ٩٣ حين أقحطوا بإفريقية فأمرهم بصيام ثلاثة أيام ثم خرج بهم وميز أهل الذمة عن المسلمين وفرق بين البهائم وأولادها ثم أمر بالبكاء وارتفاع الضجيج وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار ثم نزل فقيل له إلا دعوت لأمر المؤمنين ؟ فَقَالَ : هذا موطن لا يذكر فيه إلا الله عز وجل فسقاهم الله عز وجل لما قَالَ ذلك . كتب زر بن حبيش إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه فيه فكان في آخر : ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك فأنت أعلم بنفسك واذكر ما تكلم به الأولون .

إِذَا الرَّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادَهَا وَبَلِيَتْ مِنْ كِبَرِ أَجْسَادِهَا
وَجَعَلَتْ أَسْقَامَهَا تَعْتَادَهَا فَذِي زَوْجٍ قَدْ دَنَا حَصَادَهَا

فلما قرأ عبد الملك الكتب بكى حتى بل طرف ثوبه بدموعه ثم قَالَ : صدق زر ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق بنا

آخر: إِذَا رَأَيْتَ بُرُوقَ الشَّيْبِ قَدْ بَسَمَتْ بِمَنْفَرِقٍ فَمُحِيَّا الْعَيْشِ قَدْ كَلَحَا
يَلْقَى الْمَشِيبَ بِإِجْلَالٍ وَتَكْرِمَةٍ مِنْ قَدْ أَعَدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا صَلِحَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْعِبَادَ فَضْلُهُ وَنِعْمَاؤُهُ ، وَوَسَّعَ الْبَرِيَّةَ جُودَهُ وَعَطَاؤُهُ نَسْأَلُ مِنْكَ الْجُودَ
وَالْإِحْسَانَ ، وَالْعَفْوَ وَالْغُفْرَانَ ، وَالصَّفْحَ وَالْأَمَانَ . وَالْعَتَقَ مِنَ النَّيْرَانِ ، وَتَوْبَةَ تَجْلُو أَنْوَارَهَا
ظِلْمَاتِ الْإِسَاءَةِ وَالْعَصِيَانَ ، يَا كَرِيمَ يَا مَنَّانَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

(فَصْلٌ)

وعن الفضل بن الربيع قَالَ : حج أمير المؤمنين الرشيد : فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت : يا
أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك . فَقَالَ : ويحك قد حاك في نفسي شيء فانظر لي رجلاً
أسأله . فقلت : ها هنا سفيان بن عيينة .

فَقَالَ : امض بنا إليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فَقَالَ : من ذا ؟ فقلت : أجب أمير
المؤمنين . فخرج مسرعاً فَقَالَ : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك . فَقَالَ له : خذ لما
جئناك له رحمك الله .

فحدثه ساعة ثم قَالَ له : عَلَيْكَ دِينٌ ؟ قَالَ : نعم فَقَالَ : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قَالَ
: ما أغنى عني صاحبك شيئاً انظر لي رجلاً أسأله .

فقلت له : ههنا عبد الرزاق بن همام قَالَ : امض بنا إليه فأتيناه فقرعت الباب فَقَالَ من
هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين .

فخرج مسرعاً فَقَالَ : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك . قَالَ : خذ لما جئناك له .
فحدثه ساعة ثم قَالَ له : عَلَيْكَ دِينٌ ؟ قَالَ : نعم قَالَ :

أيا عباس اقض دينه . فلما خرجنا قَالَ : ما أغنى عني صاحبك شيئاً انظر لي رجلاً أسأله .
قلت : ههنا فضيل بن عياض قَالَ : امض بنا إليه فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددّها . فقال: اقرع الباب ففرعت فَقَالَ : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين .
فَقَالَ : ما لي و لأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أو ما عَلَيْكَ طاعة ؟
أليس قد روى النبي ρ أنه قَالَ « ليس لمؤمن أن يذل نفسه » فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت .
فدخلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف هارون قبلي إليه . فَقَالَ : يا لها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل .
فقلت في نَفْسِي : ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي . فَقَالَ له : خذ لما جئناك له رحمك الله .
فَقَالَ : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ، ومُحَمَّد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فَقَالَ لهم : إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي . فعدت الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة .
فَقَالَ له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت .
وَقَالَ له مُحَمَّد بن كعب القرظي : إن أردت النجاة من عذاب الله ، فليكن كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم أخواً وأصغرهم عندك ولداً فوقر أباك وأكرم أخواك وتحنن على ولدك .

وَقَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ : إِنَّ أَرْدْتَ النِّجَاةَ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَحِبِّ لِلْمُسْلِمِينَ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ وَآكِرِهِ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ثُمَّ مِتْ إِذَا شِئْتَ .
وَإِنِّي أَقُولُ لَكَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَشَدَّ الْخَوْفِ يَوْمَ تَزُلُ فِيهِ الْأَقْدَامُ فَهَلْ مَعَكَ رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ يَشِيرِ عَلَيْكَ بِمِثْلِ هَذَا ؟

فَبَكَى هَارُونَ بِكَاءٍ شَدِيدًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : أَرْفُقْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : يَا ابْنَ أُمِّ الرَّبِيعِ تَقْتُلُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ وَأَرْفُقُ بِهِ أَنَا ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ لَهُ : زِدْنِي رَحْمَةَ اللَّهِ .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلِّغْنِي أَنْ عَامِلًا لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَكَا إِلَيْهِ : فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ :
يَا أَخِي أَذْكَرُكَ طَوْلَ سَهْرِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ مَعَ خُلُودِ الْأَبَدِ وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْصَرِفَ بِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
فَيَكُونُ آخِرَ الْعَهْدِ وَانْقِطَاعِ الرَّجَاءِ .

قَالَ : فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ طَوِيَّ الْبِلَادِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ لَهُ : مَا أَقْدَمَكَ ؟ قَالَ : خَلَعْتُ قَلْبِي بِكِتَابِكَ لَا أَعُودُ إِلَى وِلَايَةِ أَبَدًا حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .
قَالَ : فَبَكَى هَارُونَ بِكَاءٍ شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ لَهُ : زِدْنِي رَحْمَةَ اللَّهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ
الْعَبَّاسَ عَمَّ الْمُصْطَفَى ρ جَاءَ النَّبِيَّ ρ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّرْنِي عَلَى إِمَارَةِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ρ :
« إِنَّ الإِمَارَةَ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَمِيرًا فَافْعَلْ » .

فَبَكَى هَارُونَ بِكَاءٍ شَدِيدًا وَقَالَ لَهُ : زِدْنِي رَحْمَةَ اللَّهِ فَقَالَ : يَا حَسَنَ الْوَجْهِ أَنْتَ الَّذِي
يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ هَذَا الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقَى هَذَا الْوَجْهَ مِنَ النَّارِ
فَافْعَلْ ، وَإِيَّاكَ

أن تصبح وتمسى وفي قلبك غش لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قَالَ : « من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة » .

فبكي هارون وَقَالَ له : عَلَيْكَ دين ؟ قَالَ : نعم دين لربي يحاسبني عليه ، فالويل لي إن سألني ، والويل لي إن ناقشني والويل لي إن لم أهتم بحجتي قَالَ : إنما أعني دين العباد .

قَالَ : إن ربي لم يأمرني بهذا ، أمر ربي أن أوحده وأطيع أمره ، فَقَالَ عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ .

فَقَالَ له : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوِّ بها على عبادتك . فَقَالَ : سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك .

ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قَالَ هارون : أبا عباس إذا دلتني على رجل فدلني على مثل هذا ، وهذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نسائه فَقَالَ : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به . فَقَالَ لها : مثلي ومثلكم كمثلكم قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه .

فلما سمع هارون هذا الكلام قَالَ : ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد أتعبت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله فانصرف . تأمل يا أخي هل يوجد في

زمننا من يرد حطام الدنيا إذ عرض عليه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والله أعلم
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ آلِهِ وَسَلَّمَ .

اللَّهُمَّ اختم بالأعمال الصالحات أعمارنا وحقق بفضلك آمالنا وسهل لبلوغ رضاك سبلنا
وحسن في جميع الأحوال أعمالنا يا منقذ الغرقى ويا منجي الهلكى ويا دائم الإحسان أذقنا برد
عفوك وأنلنا من كرمك وجودك ما تقر به عيوننا من رؤيتك في جنات النعيم وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
(فَصْلٌ)

دخل سليمان بن عبد الملك المدينة فأقام بها ثلاثاً فَقَالَ : أما هاهنا رجل ممن أدرك
أصحاب رسول الله ﷺ يحدثنا ؟ فقيل له ها هنا رجل يقال له أبو حازم .
فبعث إليه فجاء فَقَالَ سليمان : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ فَقَالَ له أبو حازم : وأي
جفاء رأيت مني ؟ فَقَالَ له : أتاني وجوه المدينة كلهم ولم تأتني .
فَقَالَ : ما جرى بيني وبينك معرفة أتيتك عليها ، قَالَ : صدق الشيخ يا أبا حازم ما لنا
نكره الموت ؟ قَالَ : لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم فأنتم تكرهون أن تنقلوا من العمران
إلى الخراب ، قَالَ : صدقت .
يا أبا حازم فكيف القدوم على الله تعالى ؟ قَالَ : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله
فرحاً مسروراً ، وأما المسيء فكالأبق يقدم على مولاه خائفاً محزوناً .
فبكى سليمان وَقَالَ : ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم فَقَالَ أبو حازم : إعرض
نفسك على كتاب الله فإنك تعلم ما لك عند الله .

قَالَ : يا أبا حازم وأبي أصيب تلك المعرفة من كتاب الله قَالَ عند قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ .

قَالَ : يا أبا حازم فأين رحمة الله ، قَالَ : قريب من الحسين .

قَالَ : يا أبا حازم من أعقل الناس ؟ قَالَ : من تعلم الحكمة وعلمها الناس .

قَالَ : فمن أحمق الناس ؟ قَالَ : من حط نفسه في هوى رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا

غيره .

قَالَ : فما أسمع الدعاء ؟ قَالَ : دعاء المحبتين . قَالَ : فما أزكا الصدقة ؟ قَالَ : جهد

المقل .

قَالَ : يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه . قَالَ : أعفني من هذا . قَالَ سليمان : نصيحة

تلقها .

قَالَ أبو حازم : إن ناساً أخذوا هذا الأمر عنوة من غير مشاورة المسلمين ولا إجماع من

رأيهم فسفكوا فيها الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم .

فَقَالَ بعض جلسائهم : بئس ما قلت يا شيخ .

فَقَالَ أبو حازم : كذبت إن الله أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه .

قَالَ سليمان : يا أبا حازم اصحبنا تصب منا ونصب منك قَالَ : أعوذ بالله من ذلك .

قَالَ : ولم . قَالَ : أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقني ضعف الحياة وضعف الممات .

قَالَ : فَأُشِرَ عَلَيَّ . قَالَ : اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ .
قَالَ : يَا أَبَا حَازِمٍ ادْعَ لَنَا بِخَيْرٍ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سَلِيمَانٌ وَلِيكَ فَيَسِرْهُ لِلْخَيْرِ وَإِنْ كَانَ
غَيْرَ ذَلِكَ فَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيئِهِ .

فَقَالَ : يَا غَلَامُ هَاتِ مِائَةَ دِينَارٍ ثُمَّ قَالَ : خُذْ هَذَا يَا أَبَا حَازِمٍ ، قَالَ لَا حَاجَةَ لِي بِهَا لِي
وَلِغَيْرِي فِي هَذَا الْمَالِ أَسْوَأُ فَيَنْ وَاسَيْتَ بَيْنَنَا وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَا
سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِي أَيُّ ثَمَنٍ لَهُ .

فَكَانَ سَلِيمَانٌ أَعْجَبَ بِأَبِي حَازِمٍ فَقَالَ الزَّهْرِيُّ : إِنَّهُ لَجَارِي مَنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا كَلِمَتَهُ قَطُّ

فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : إِنَّكَ نَسِيتَ اللَّهَ فَنَسِيتَنِي ، قَالَ الزَّهْرِيُّ : أَتَشْتَمُنِي ؟
قَالَ سَلِيمَانٌ : بَلْ أَنْتَ شَتَمْتَ نَفْسَكَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لِلجَارِ عَلَى الجَارِ حَقًّا .
قَالَ أَبُو حَازِمٍ : إِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا كَانُوا عَلَى الصَّوَابِ كَانَتِ الْأُمَرَاءُ تَحْتَاجُ إِلَى الْعُلَمَاءِ
وَكَانَتِ الْعُلَمَاءُ تَفِرُّ بِدِينِهَا مِنَ الْأُمَرَاءِ .

فَلَمَّا رَأَى قَوْمٌ مِنْ أَرَاذِلِ النَّاسِ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَأَتَوْا بِهِ الْأُمَرَاءَ اسْتَغْنَتِ الْأُمَرَاءُ عَنِ الْعُلَمَاءِ
وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ فَسَقَطُوا وَهَلَكُوا .

وَلَوْ كَانَ عُلَمَاءُنَا هَؤُلَاءِ يَصُونُونَ عِلْمَهُمْ لَكَانَتِ الْأُمَرَاءُ تَهَابَهُمْ وَتَعْظَمُهُمْ . فَقَالَ الزَّهْرِيُّ :
كَأَنَّكَ إِيَّايَ تَرِيدُ وَبِي تَعْرُضُ ، وَقَالَ : هُوَ مَا تَسْمَعُ « . أ . ه .

أحضر الرشيد رجلاً ليوليه القضاء فَقَالَ له : أني لا أحسن القضاء ولست بفقيه .
 قَالَ الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .
 وفيك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه . وأنت تشاور في أمرك ومن شاور
 كثر صوابه ، وأما الفقه فنظم إليك من تتفقه عليه فولاه فما وجد فيه مطعناً .
 دخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فَقَالَ له : عظمي يا يزيد .
 قَالَ : يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم إلا آب ميت فبكي عمر وَقَالَ : زدني يا يزيد
 قَالَ : يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزلة فسقط عمر مغشياً عليه رحمه الله .
 وَقَالَ الرشيد لابن السماك : عظمي وكان في يد الرشيد شربة من ماء فَقَالَ : يا أمير المؤمنين
 أرايت لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك ؟ قَالَ : نعم . قَالَ : فلو حبس
 عنك خروجها أكنت تفديها بملكك ؟ قَالَ : نعم .
 قَالَ : لا خير في ملك لا يساوي شربة ماء ولا بولة فبكي الرشيد .
 وَقَالَ علي رضي الله عنه لأسقف قد أسلم : عظمي فَقَالَ : يا أمير المؤمنين
 قَالَ : إن كان الله معك فمن تخاف . قَالَ : أحسنت زدني

قَالَ : هب إن الله غفر ذنوب المسيئين أليس قد فاتهم ثواب المحسنين . قَالَ : حسبي حسبي .

وَقَالَ سليمان بن عبد الملك لحميد الطويل : عظمي . قَالَ : يا أمير المؤمنين إن كنت إذا عصيت الله تعالى ظننت أنه يراك فقد اجترأت على رب عظيم وإن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت برب كريم . والله أعلم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قَالَ : « كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله » يعني دمعة مثل رأس الذباب .

قَالَ ابن مسعود رضي الله عنه : أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قَالَ لامرأته (أكرمي مثواه) ، والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ ، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .
قَالَ شقيق البلخي لحاتم الأصم : قد صحبتني مدة فماذا تعلمت مني ؟ قَالَ : ثمان مسائل .

الأولى : نظرت إلى الخلق فإذا كان لشخص محبوب ، عندما يصل إلى القبر يفارقه ، فجعلت محبوبي حسناتي لتكون معي في القبر .

والثانية : نظرت إلى قول الله تعالى ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ فاجتهدت في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى .

وأما الثالثة : فإني رأيت كل من معه شيء له قيمة عنده يحفظه ، فنظرت في قوله تعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ فكلما وقع معي شيء له قيمة وجهته إليه ليبقى عنده .

وأما الرابعة : فإني رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف ، فنظرت إلى قول الله تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ فعملت بالتقوى لأكون عنده كريماً .
وأما الخامسة : فإني رأيت الناس يتحاسدون فنظرت في قول الله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ﴾ فتركت الحسد .

وأما السادسة : فإني رأيتهم يتعادون فنظرت في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ فتركت عداوتهم واتخذت الشيطان عدواً .

والسابعة : رأيتهم يذلون أنفسهم في طلب الرزق فنظرت في قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ فاشتغلت بما له علي وتركت ما لي عنده .
وأما الثامنة : فإني رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم فتوكلت على الله تعالى .

[فائدة]

اعلم أن ذكر الله تارة يكون لعظمته فيتولد منه الهيبة فالإجلال ، وتارة يكون لقدرته فيتولد منه الخوف والحزن ، وتارة لنعمته فيتولد منه الحمد والشكر ولذلك قيل ذكر النعمة شكرها وتارة لأفعاله الباهرة فيتولد منه العبر ، فحق على المؤمن أن لا ينفك أبداً من ذكره على أحد هذه الأوجه .

سأل بعضهم وكيعاً عن مقدمه هو وابن إدريس وحفص على هارون الرشيد فقال : كان أول من دعا به أنا .

فَقَالَ لِي هَارُونَ : يَا وَكَيْعَ إِنَّ أَهْلَ بَلَدِكَ طَلَبُوا مِنِّي قَاضِيًا وَسَمَّوكَ لِي فَيَمَنُ سَمَوْا وَقَدْ رَأَيْتَ أَنَّ أَشْرَكَكَ فِي أَمَانَتِي .

فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ وَإِحْدَى عَيْنِي ذَاهِبَةٌ وَالْأُخْرَى ضَعِيفَةٌ . فَقَالَ هَارُونَ : اللَّهُمَّ غَفِرًا خَذَ عَهْدَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ وَامض .

فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَعَنَ كُنْتُ صَادِقًا إِنَّهُ لَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنِّي وَلَكِنْ كَاذِبًا فَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَوَلِّيَ الْقَضَاءَ كَاذِبًا فَقَالَ : أَخْرَجَ فَخَرَجْتُ .

وَدَخَلَ ابْنُ إِدْرِيسَ فَسَمِعْنَا وَقَعَ رَكْبَتَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ حِينَ بَرَكَ وَمَا سَمِعْنَاهُ يَسْلَمُ إِلَّا سَلَامًا خَفِيًّا .

فَقَالَ لَهُ هَارُونَ : أَتَدْرِي لِمَا دَعَوْتِكَ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : إِنَّ أَهْلَ بَلَدِكَ طَلَبُوا مِنِّي قَاضِيًا وَإِنِّهِمْ سَمَّوكَ لِي فَيَمَنُ سَمَوْا .

وَقَدْ رَأَيْتَ أَنَّ أَشْرَكَكَ فِي أَمَانَتِي وَأَدْخَلْتُكَ فِي صَالِحٍ مَا أَدْخَلَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَخَذَ عَهْدَكَ وَامض .

فَقَالَ لَهُ ابْنُ إِدْرِيسَ : وَأَنَا وَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ رَأَيْتَكَ فَخَرَجَ . ثُمَّ دَخَلَ حَفْصَ فَقَبِلَ عَهْدَهُ فَأَتَى خَادِمًا مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَكْيَاسٍ فِي كُلِّ كَيْسٍ خَمْسَةَ آلَافٍ .

فَقَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرَأُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكُمْ قَدْ لَزِمْتُمْ فِي شَخْصِكُمْ مَوْئِدًا فَاسْتَعِينُوا بِهَذِهِ فِي سَفَرِكُمْ .

قَالَ وَكَيْعَ فَقُلْتُ : أَقْرَأُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَ وَقُلْتُ لَهُ قَدْ وَقَعْتَ مِنِّي بِجَيْثٍ يَجِبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا مُسْتَعْنٍ عَنْهَا .

وَأَمَّا ابْنُ إِدْرِيسَ فَصَاحَ بِهِ مُرًّا مِنْ هَاهُنَا أَيُّ رَدَّهَا وَقَبَلَهَا حَفْصَ .

وَخَرَجَتْ الرِّقْعَةُ إِلَى ابْنِ إِدْرِيسَ مِنْ بَيْنِنَا عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ

سألناك لأن تدخل في أعمالنا فلم تفعل ووصلناك من أموالنا فلم تقبل .
 فإذا جاءك ابني المأمون فحدثه إن شاء الله .
 فَقَالَ للرسول : إذا جاءنا مع الجماعة حدثناه إن شاء الله .
 قام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي ، فَقَالَ : إنه لما سهل علينا ما توعد علي غيرنا
 من الوصول إليك ، قمنا مقام الأداء عنهم ، وعن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
 بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي ، عند انقطاع عذر الكتمان ، ولا سيما حين
 اتسمت بميسم التواضع ووعدت الله وحمله كتابه بإيثار الحق على ما سواه
 فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص ، ليتم مؤدينا على موعود الأداء وقابلنا على
 موعود القبول ، أو يزيدنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ويجلينا حلية الكذابين .
 وقد كان أصحاب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يقولون من حجب الله عنه العلم عذبه الله على الجهل
 وأشد منه من أقبل عليه العلم وأدبر عنه ، ومن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به ، فقد رغب
 عن هدية الله وقصر بها .
 فاقبل ما أهدى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل ، لا قبول سمعة ورياء ، فإنه لا
 يعدمك منا إعلام لما تجهل أو مواظمة على ما تعمل أو تذكير من غفلة .
 فقد وطن الله عز وجل نبيه ﷺ على نزولها تعزية عما فات وتمحيصاً من التماذي ودلالة من
 المخرج فَقَالَ جل وعلا : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ .
 اللَّهُمَّ اجعلنا بتذكيرك منتفعين وكتابك ورسولك متبعين وعلى طاعتك

مجتمعين وتوفنا ربنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(نظم الكبائر لابن عبد القوي)

وَكُنْ عَالِمًا إِنَّ الدُّنُوبَ جَمِيعَهَا بِكُبْرَى وَصُغْرَى قُسِمَتْ فِي الْمَجُودِ
فَمَا فِيهِ حَدٌّ فِي الدُّنَا أَوْ تَوْعُدُ
بِأُخْرَى فَسِمَ كُبْرَى عَلَى نَصِّ أَحْمَدِ
وَزَادَ حَفِيدُ الْمَجْدِ أَوْ جَا وَعِيدُهُ
بِنَفْسِي لِإِيْمَانٍ وَلَعْنٍ لِمُبْعَدِ
كَشْرِكٍ وَقَتْلِ النَّفْسِ إِلَّا بِحَقِّهَا
وَأَكْلِ الرَّبَا وَالسَّحْرِ مَعَ قَذْفِ نُهْدِ
وَأَكْلِكَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى بِبَاطِلِ
تَوْلِيكَ يَوْمَ الرَّحْفِ فِي حَرْبِ جُحَدِ
كَذَاكَ الزَّنَا تَمَّ اللُّوَاطُ وَشُرْنُهُمْ
خُمْورًا وَقَطْعُ اللَّطْرِيقِ الْمَهْدِ
وَسِرْقَةُ مَالِ الْغَيْرِ أَوْ أَكْلُ مَالِهِ
بِبَاطِلِ صُنْعِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْيَدِ
شَهَادَةُ زُورٍ تَمَّ عَقُّ لُؤَالِدِ
وَعَيَّةُ مُغْتَابِ نَمِيمَةٍ مُفْسِدِ
يَمِينِ غُمُوسٍ تَارِكِ لِصَلَاتِهِ
مُصَلِّ بِبِلَا طُهُرٍ لَهُ بِتَعَمُّدِ
مُصَلِّ بِغَيْرِ الْوَقْتِ أَوْ غَيْرِ قِبَلَةٍ

مُصَلِّ بِإِلا قُرْآنِهِ الْمُتَأَكِّدِ
قُنُوطُ الْفَتَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ثُمَّ قُلْ
إِسَاءَةً ظَنَّ بِالْإِلَهِ الْمُوَحِّدِ
وَأَمَّنْ لِمَكْرِ اللَّهِ ثُمَّ قَطِيعَةٌ
لِذِي رَحِمٍ وَالْكَبِيرِ وَالْخَيْلِ اغْدُدِ
كَذَا كَذِبٌ إِنْ كَانَ يَرْمِي بِفِتْنَةٍ
أَوْ الْمُفْتَرِي يَوْمًا عَلَى الْمُصْطَفَى أَحْمَدِ
قِيَادَةٌ دِيُوثٍ نِكَاحٍ مُحَلَّلِ
وَهَجْرَةٌ عَدْلٍ مُسْلِمٍ وَمُوَحِّدِ
وَتَرْكٌ لِحَاجٍ مُسْتَطِيعًا وَمَنْعُهُ
زَكَاةٌ وَحُكْمٌ أَلْحَاكِمِ الْمُتَقَلِّدِ
بِحَقِّ لِحَلْقٍ وَارْتِشَاهُ وَفِطْرُهُ
بِإِلا عُذْرِهِ فِي صَوْمِ شَهْرِ التَّعْبُدِ
وَقَوْلٌ بِإِلا عِلْمٍ عَلَى اللَّهِ رَبَّنَا
وَسَبُّ لَأَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
مُصِرٌّ عَلَى الْعِصْيَانِ تَرْكٌ تَنْزُهُ
مِنْ الْبُولِ فِي نَصِّ الْحَدِيثِ الْمُسَدِّدِ
وَأَيَّانُ مَنْ حَاضَتْ بِفَرْجٍ وَنَشْرُهَا
عَلَى زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ مُهَمِّدِ
وَالْحَاقُّهَا بِالزَّوْجِ مَنْ حَمَلَتْهُ مِنْ
سِوَاهُ وَكَيْتَمَانُ الْعُلُومِ لِمُجْتَدِ

وَتَضَوُّبِرُ ذِي رُوحٍ وَإِتْيَانُ كَاهِنٍ
 وَإِتْيَانُ عَرَّافٍ وَتَضَوُّبِرُ يَدِيهِمْ زِدْ
 سُجُودٌ لِعَيْرِ اللَّهِ دَعْوَةٌ مَن دَعَا
 إِلَى بَدْعَةٍ أَوْ لِلضَّلَالَةِ مَا هُدِيَ
 عُلوٌّ وَنُوحٌ وَالتَّطْيِيرُ بَعْدَهُ
 وَأَكْلٌ وَشُرْبٌ فِي لُجَيْنٍ وَعَسْجِدٌ
 وَجُورٌ لِمُوصٍ فِي الوَصَايَا وَمَنْعُهُ
 لِمِيرَاثٍ وَرَاثٍ إِبْرَاقٍ لِأَعْبُدِ
 وَإِتْيَانَهَا فِي الدُّبُرِ بَيْعٌ لِحُرَّةٍ
 وَمَنْ يَسْتَحِلُّ الْبَيْتَ قَبْلَةَ مَسْجِدِ
 وَمَنْهَا أَكْتَسَابُ لِلرِّبَا وَشَهَادَةٌ
 عَلَيْهِ وَذُو الْوَجْهَيْنِ قَلٌّ لِلتَّوَعُّدِ
 وَمَنْ يَدَّعِي أَضْلًا وَلَيْسَ بِأَصْلِهِ
 يَقُولُ أَنَا ابْنُ الْفَاضِلِ الْمُتَمَجِّدِ
 فَيَرْغَبُ عَنِ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
 وَلَا سِيَّمًا أَنْ يَنْتَسِبَ لِمَحَمَّدٍ
 وَغَشُّ إِمَامٍ لِلرَّعِيَّةِ بَعْدَهُ
 وَقُوعٌ عَلَى الْعَجْمَا الْبَهِيمَةِ يُفْسِدُ
 وَتَرْكُ لِتَجْمِيعِ إِسَاءَةٍ مَالِكٍ
 إِلَى الْقَنْنِ ذَا طَبَعٍ لَهُ فِي الْمُعْبَدِ
 (موعظة) إخواني إنكم في دار هي محل العبر والآفات وأنتم على سفر والطريق

كثيرة المخافات ، فتزودوا من دنياكم قبل الممات ، وتدار هفواتكم قبل الفوات ، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات ، وتفكروا فيما أراكم من الآيات ، وبادروا بالأعمال الصالحات ، واستكثروا في أعماركم القصيرة من الحسنات ، قبل أن ينادي بكم مناد الشتات ، قبل أن يفاجئكم هادم اللذات ، قبل أن يتصاعد منكم الأنين والزفرات قبل أن تنقطع قلوبكم عند فراقكم حسرات قبل أن يغشاكم من غم الموت الغمرات ، قبل أن تزعجوا من هذه الحياة قبل أن تتمنوا رجوعكم إلى الدنيا وهيئات .

شِعْرًا: مَا دَارَ دُنْيَا لِلْمُقِيمِ بِدَارِ
وَبِهَا النُّفُوسُ فَرِيَسَةُ الْأَقْدَارِ
مَا بَيْنَ لَيْلٍ عَاكِفٍ وَنَهَارِهِ
نَفْسَانِ مُرْتَشِفَانِ لِلْأَعْمَارِ
طُولُ الْحَيَاةِ إِذَا مَضَى كَقَصِيرِهَا
وَالْيُسْرُ لِلْإِنْسَانِ كَالْإِعْسَارِ
وَالْعَيْشُ يُعْقَبُ بِالْمَرَارَةِ حُلُوهُ
وَالصَّفْوُ فِيهِ مُخْلَفُ الْأَكْدَارِ
وَكَأَنَّمَا تَقْضِي بُيُوتَ الرَّدَى
لِفَنَائِنَا وَطَرًّا مِنَ الْأَوْطَارِ
وَالْمَرْءُ كَالطِّيفِ الْمُطِيفِ وَعُمُرُهُ
كَالثُّومِ بَيْنَ الْفَجْرِ وَالْأَسْحَارِ
خَطْبٌ تَضَاءَلَتِ الْخُطُوبُ لَهُوْلِهِ
أَخْطَارُهُ تَعْلُو عَلَى الْأَخْطَارِ
نُلْقِي الصَّوَارِمَ وَالرَّمَاخَ لَهُوْلِهِ
وَنَلُودٌ مِنْ حَرْبٍ إِلَى اسْتِشْعَارِ
إِنَّ الَّذِينَ بَنُوا مَشِيدًا وَانْتَبَهَوْا
يَسْعُونَ سَعْيَ الْفَاتِكِ الْجَبَّارِ
سُلبوا النَّصْرَةَ وَالنَّعِيمَ فَأَضْبَحُوا
وَتَوَسَّسُوا مَدْرًا بَغَيْرِ دِثَارِ
خَلَطَ الْحَمَامُ قَوِيَّهُمْ بِضَعِيفِهِمْ
وَالْخَوْفُ يُعْجِلُنَا عَلَى آثَارِهِمْ
وَتَعَاقَبُ الْمَلَوْنِ فِينَا نَائِرٌ
بَاكِرٌ مَا نَظَمْنَا مِنَ الْأَعْمَارِ

ثم اعلم يا أخي أن الدنيا لا تدم لذاتها وكيف يدم ما من الله به على عباده وما هو ضرورة في بقاء الآدمي وسبب في إعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد

يصلني فيه وإنما المذموم أخذ الشيء من غير حِلِّه أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع فالعاقل يجعلها مطية للآخرة فينفقها في سبيل الله في المشاريع الدينية من طباعة مصاحف وكتب دينية وعمارة مساجد وبذل للفقراء الذين لا موارد لهم ونفقات على طلبة العلم الشرعي .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يسب الدنيا فقال له : إنها لدار صدق لمن صدقها ، ودار عافيه لمن فهم عنها ، ودار غني لمن تزود منها .
مسجد أحباب الله ، ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه . اكتسبوا فيها الرحمة ورجحوا فيها الجنة ، فمن ذا يذم الدنيا وقد آذنت بفراقها ، ونادت بعييها ، ونعت نفسها وأهلها ، فمثلت ببلائها وشوقت بسرورها إلى أهل السرور .

فذمها قوم الندامة ومدحها آخرون ، وحدثهم فصدقوا وذكرتهم فذكروا .
فيا أيها المعتر بالدنيا المغتر بغرورها ، متى استلأمت إليك الدنيا ، بل متى غرتك أمضاج آباءك تحت الثرى ، أم بمصارع أمهاتك من البلى . كم قلبت بكفيك ومرضت بيدك تطلب له الشفاء وتسال له الأطباء فلم تظفر بحاجتك ولم تسعف بطلبتك قد مثلت لك الدنيا بمصرعه مصرعك غداً ولا يغني عنك بكاءك ولا ينفحك أحبابك .

وقال ابن رجب رحمه الله على كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فبين أمير المؤمنين رضي الله عنه أن الدنيا لا تدم مطلقاً وأنها تحمد بالنسبة إلى من تزود منها الأعمال الصالحة وأن فيها مساجد ومهبط الوحي .

وهي دار التجارة للمؤمنين اكتسبوا فيها الرحمة ورجحوا بها الجنة فهي نعم الدار لمن كانت هذه صفته .

وأما ما ذكر من أنه تغر وتخدع فإنها تنادي بمواعظها وتنصح بعبورها وتبدي عيوبها بما ترى من أهلها من مصارع الهلكى .

وتقلب الأحوال من الصحة إلى السقم ومن الشيبة إلى الهرم ومن الغنى إلى الفقر ومن العز إلى الذل ولكن محبها قد أعماه وأصمه حبها . انتهى أ هـ .

موعظة

عباد الله لا شيء أغلى عليكم من أعماركم وأنتم تضيعونها فيما لا فائدة فيه . ولا عدو أعدى لكم من إبليس وأنتم تطيعونه ، ولا أضر عليكم من موافقة النفس الأمارة بالسوء ، وأنتم تصادقونها لقد مضى من أعماركم الأطايب ، فما بقي بعد شيب الذوائب .

يا حاضر الجسم والقلب غائب ، اجتماع العيب مع الشيب من أعظم المصائب ، يمضي زمن الصبا في لعب وسهو وغفلة ، يا لها من مصائب ، كفى زاجراً واعظاً تشيب منه الذوائب ، يا غافلاً فاته الأرباح وأفضل المناقب ، أين البكاء والحزن والقلق لخوف العظيم الطالب أين الزمان الذي فرطت فيه ولم تحش العواقب ، أين البكاء دماً على أوقات قتلت عند التلفزيون والمذياع والكرة والسينما والفيديو والخمر والدخان والملاعب .

كم في يوم الحسرة والندامة من دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب ، من لك يوم ينكشف عنك غطاؤك في موقف المحاسب ، إذا قيل لك ما صنعت في كل واجب ، كيف ترجو النجاة وأنت تلهو بأسر الملاعب ، لقد ضيعتكم الأماني بالظن الكاذب ، أما علمت أن الموت صعب شديد المشارب ، يلقي شره بكأس صدور من النوائب فقد بنيت كنسج العنكبوت بيتاً أين الذين علوا فوق السفن والمراكب أين الذين علو على متون النجائب ، هجمت عليهم المنايا فأصبحوا تحت النصائب وأنت في أثرهم عن قريب عاطب ، فانظر وتفكر واعتبر وتدبر قبل هجوم من لا يمنع عنه حرس ولا باب ولا يفوته هرب هارب .
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

إخواني إن في مواعظ الأيام والليالي لعبرة لذوي البصائر ركائب أموات تزعج عن مقصورات القصور ثم تحمل إلى مضائق القبور ، فكم قد شاهدتم من شخصيات في الأرض ، قد وضعت ، وكم قد عانيتم من أبدان ناعمة في الأكفان قد لفت وإلى مضيق الإلحاد قد زفت فيا لها من غاية يستبق إليها العباد ويا له من مضمار يتناوبه جواد بعد جواد ويا له من هول شديد يعقبه أهوال شداد فتنة قبور وحشر في موقف مهيل موقف فيه تنقطع الأنساب وتخضع فيه الرقاب وتنسكب فيه العبرات وتتصاعد فيه الزفرات ذلك موقف تنشر فيه الدواوين ، وتنصب فيه الموازين ، ويمد فيه الصراط ، وحينئذ يقع الامتياز فجاج مسلم ومكردس في النار .

شِعْرًا: مَا لِي أَرَاكَ عَلَى الذُّنُوبِ مُوَظِّبًا أَخَذْتَ مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ أَمَانًا
 لَا تَغْفَلَنَّ كَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَتَى وَلَعَلَّ عُمْرَكَ قَدْ دَنَا أَوْ حَانَ
 وَمَضَى الْحَيِّبُ لِحَفْرِ قَبْرِكَ مُسْرِعًا وَآتَى الصَّادِقُ فَأَنْذَرَ الْجِيرَانَ
 وَأَتُوا بِغَسَّالٍ وَجَاءُوا نَحْوَهُ وَبَدَا بِغَسْلِكَ مِيًّا غُرْيَانَا
 فَعَسَّلتَ ثُمَّ كُسِيتَ ثَوْبًا لِلْبَلَى وَدَعَا لِحَمَلِ سَرِيرِكَ الْإِخْوَانَا
 وَأَتَاكَ أَهْلُكَ لِلْوَدَاعِ فَوَدَّعُوا وَجَرَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُمْ غُدْرَانَا
 فَخَفِ الْإِلَهَ فَإِنَّهُ مِنْ خَافِهِ سَكَنَ الْجِنَانِ مُجَاوِرًا رِضْوَانَا
 جَنَاتٍ عَدْنٍ لَا يَبْدُ نَعِيمُهَا أَبَدًا يُخَالِطُ رُوحَهُ رِيحَانَا
 وَلَمَنْ عَصَى نَارًا يُقَالُ لَهَا لَطَى تَشْوِي الْوُجُوهَ وَتَحْرِقُ الْأَبْدَانَا
 نَبْكِ وَحَقَّ لَنَا الْبُكَى يَا قَوْمًا كَيْ لَا يُؤَاخِذَنَا بِمَا قَدْ كَانَا

موعظة

عباد الله مضى رجال من هذه الأمة كانوا يخشون ربهم خشية العارفين

الموقنين لذلك كانت أقوالهم وأفعالهم موزونة بما للشرع من موازين كانوا يزنون كلامهم قبل أن يلفظوا به لأنهم يوقنون أن خالقهم سمعها وشهد عليها وهو تعالى خير شاهد .

كانوا إذا أظلم الليل يقفون في محاريبهم باكين متضرعين لهم أنين كأنين المرضى ولهم حنين كحنين الثكلى وكانوا ربما مروا بالآية من كتاب الله فجعلوا يرددونها بقلب حزين فأثرت عليهم ومرضوا بعدها مات أولئك السلف الصالح الَّذِينَ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً .

وماتت تلك الخشية وأعقبها قسوة أذهلت العباد عن طاعة الله فصاروا يأتون ويدرون دون سؤال عن سخط الله ورضاه .

وغدت جوارحهم مطلقة في كل ما يغضب الله وصارت أفعالهم فوضى ليس لها ضوابط ولا قيود العين تجول في المناظر المحرمة من نساء سافرات إلى سينما إلى تلفزيون إلى الفيديو معلم الفساد إلى كوره إلى مجلات في طيها الشرور إلى صورة مجسدة وغير مجسدة إلى كتب هدامة للأحلاق إلى غير ذلك من المحرمات التي تجرح القلوب .

والفرج يسرح كما شاء إلى الفواحش الدين ضعيف والخلق فاسد والأذن لا تشيع من سماع ما يسخط ربها والبطن يستزيد من سحت الأقوات .

وأما اليد فحدث ولا حرج في تعدي الحدود وأما اللسان فليله ونهاره يتحرك ويتقلب في منكر القول وزوره ولا كأن ربه السميع البصير العليم موجود وتراه يطعن في أعراض الغوافل ويمزق جلودهم في السب والغيبة والبهت والكذب ولا ولا يعف عن عرض أي بشر .

ويحلف بالله العلي العظيم كل يوم مرات ولا يهمه أبر في يمينه أم فجر وأما وعوده وعهوده وعقوده فتهمل ولا كأنه مكلف باحترامها فهذا وأمثاله قد

انهمكوا في المعاصي وتوغلوا فيها فصارت عندهم عادات وشيء طَبَعِي مألوف لهم .
ولذلك إذا مررت بهم أو مررت حول بيوتهم استوحشت من سماع الأغاني والرقص والمطربين
والسبب واللعن والقذف والاستهزاء بالدين وأخذت في العجب بين هؤلاء وأولئك الَّذِينَ فِي
أوقات الجليات في حنادس الظلم يناجون ربهم راغبين في رضوان العزيز الجبار خائفين من
سخط المنتقم القهار متفكرين في سرعة حلول المنايا التي تسارع الأيام والليالي في اقترابها
وموقنين بأنهم محاسبون على الفتيل والنقير والقطمير عاملين بأنهم مكلفون بواجبات عبودية ما
قاموا بالقليل منها وهم عنها مسؤولون وعلى ما قدموه من خير وشر قادمون .

وهل حال هؤلاء السعداء في جانب أولئك التعساء الأشقياء الإكحال المصاب بالجنود في
جانب أوفر الناس عقلاً وأكملهم وقاراً فأكثر يا أخي من قولك الحمد لله الَّذِي عَافَانَا بِمَا
ابْتَلَاهُمْ اللهُ يَعَافِيهِمْ وَلَا يَبْلَانَا قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ .

وَكُلْ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيهِ

وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ

فتنبه أيها المؤمن واعلم أنك مسؤل عن كل ما تعمل لا مهمل كالأنعام فأنهج الاستقامة وراقب
ربك في مصادرك ومواردك لتقف عند الحدود قَالَ بعض المرشدين إلى معالم الرشد ضارباً لذلك
مثلاً .

واعلم أن الإنسان في تقلبه في أطوار حياته كمثل غريب ألقته به المقادير إلى قوم استقبلوه
بترحاب وتكريم وكان ذلك النازل فاقد القوى غير عالم بما عليه القوم من الشؤون ولا يدري من
أين أتى ولا إلى أين يذهب .

فَقَامَ القوم بواجبات خدمته وإكرامه حتى قويت حواسه وجوارحه ومداركه وأخذ يعمل كما يعمل القوم فجاء رجل من عقلائهم قائلاً يا هذا إن هذه الدار توطنها مكرموك ما هي دار إقامة ولا هي مملوكة لأحد من الخلق ولكنهم أمثالك نزلاء من كانوا يعمرن هذه الدار قبلهم ثم رحلوا وتركوها وما كان رحيلهم إلى مكان بعيد ولكنه كان إلى سجن ضيق ومكان مظلم لو أرسلت ببصرك لرأيتته وقد فقدوا تلك القوى وتناسوا ذلك النعيم .

ثم أخذ بيده إلى مكان قفر وأعني المقبرة وَقَالَ له هذا مراح القوم ومستقط رؤسهم وإن الطريق التي توصلك إلى هؤلاء القوم هي الطريق التي سلكها مكرموك وإنما لطريق ذات عقبات مهلكة ولها أحوال من تورطها هلك ولا مخلص من تلك الأحوال إلا بتجنب تلك العقبات أو تجاوزها عدواً .

فإن رمت السلامة فسر فريداً متحفظاً من تخاصم القوم وتنازعهم ومن ملاهيهم وألعابهم ولا تصغ لمن يناديك من خلفك فإن الذي يناديك من خلفك في طريق النجاة هو أجهل منك بها ولا تخالف من ناداك من الأمام فإنهم أدرى منك بمفاوز الطريق .

وإياك أن تشتهه عَيْنُكَ الطريق وأصوات المنادين فإن طريق السلامة لها أعلام ومصاييح نيرة على رأس كل مرحلة من مراحلها وأما باقي الطريق فإنها مظلمة موحشة مهلكة وما هي إلا طريق واحدة ولكنها ذات شعب ومسارب كثيرة .

فاحذر إن تتهاون بنفسك كما تتهاون القوم بنفوسهم فهلكوا وهم لا يشعرون فإن كان النازل الغريب على استعداد لتعقل النصائح وذا قابلية تقبل

الإرشاد وقف على أفواه الطريق وفتح عينيه واستعمل فكره وتبصر في أمره وتدبر عواقب ما عليه القوم وأخذ لنفسه بأحوط الأحوال وأقربها إلى السلامة وجعل عينه متجهة للنظر إلى منازل الراحلين التي لا أنيس بها ولا جليس .

وتأمل سرعة الرحيل وقصر أوقات الإقامة وتجنب الألعاب والملاهي وسلك سبيل المهتمدين وإن كان ضيق الحاضرة قاصر النظر ضعيف الهمة ضائع العقل سيئ التصور فاقد الفكر خبيث الاستعداد لئيم الطبع لا يجد بداً من منازعة اللاعبين ومسابقة اللاهين وتعافل عن عاقبة أمره وسوء مصيره وتباعد عن صياح الناصحين وأصغى إلى مدهانة الغاوين أصبح من النادمين .

وما ضربنا لك هذا المثل إلا لتعلم أنك أنت الغريب الذي نزلت يوم ولدتك أمك بقومك وأنت ضعيف القوى لا تعلم شيئاً كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ففرح بك قومك وأكرموك إلى أن قويت الآت أعمالك وصرت تحسن الرحيل وحدك .

ونريد بالرحيل هنا سلوك إحدى الطريقتين إما طريق الكمالات وأما طريق النقائص لأنهما مسارب المكلفين الذين لا بد لهم من السير فيها للوصول إلى أحد الغايتين فإنه ما من طريق إلا ولها غاية ينتهي إليها مسير سالكيها .

وما نريد بالرجل العاقل المرشد إلا صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام أو النائب عنه في تبليغها وما نريد بناديك من الأمام إلا السلف

الصالح الَّذِينَ سبقونا بالإيمان وبينوا لنا طريق النجاة أو الأتقياء المقتفون لآثارهم الَّذِينَ ثبتت استقامتهم .

وما نريد بِالَّذِينَ ينادونك من خلفك إلا الَّذِينَ لا قدم لهم في طريق النبوة فلم يسلكوا سبيل المهتدين بل اعتمدوا في إرشادهم على مقال لا حال معه ولا عمل وهذا لا تصلح متابعتهم لأنهم أجهل الناس بطريق الاستقامة .

وما أهل الاستقامة إلا الَّذِينَ راقبوا قلوبهم وأمسكوا ألسنتهم وطهروا أفلامهم فلا عزم لهم إلا على أعمال البر والمواساة ولا يقولون إلا الحق المنجي ولا يكتبون إلا ما لو سئلوا عنه يوم القيامة لأحسنوا الإجابة وَالَّذِينَ يذكرون الله كثيراً وإذا ذكر الله وجلت قلوبهم والبكؤون من خشية الله المقتفون لآثاره ρ المخلصون لله في جميع أعمالهم .

شِعْرٌ: لَعْمَرِي إِنَّ الْمَجْدَ وَالْفَخْرَ وَالْعُلَا
وَنَيْلَ الْأَمَانِي وَأَكْسَابَ الْفَضَائِلِ
لِمَنْ يُخْلِصُ الْأَعْمَالَ لِلَّهِ وَخَدَهُ
وَيَدْعُو إِلَيْهِ بِالصُّحَى وَالْأَصَائِلِ

اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك المحبتين ، والغر المحجلين الوفد المتقبلين .

اللَّهُمَّ إنا نسألك حياة طيبة ، ونفساً تقية ، وعيشة نقيه ، وميتة سوية ، ومرداً غير مخزٍ ولا فاضح .

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأيدك ورضاك يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ افتح لدعائنا باب القبول والإجابة وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عباد الله يجب عليكم أن تعلموا أنكم ما دمتم في هذه الدار فأنتم في دار

المعاملات ، وأن لكم دار أخرى أبدية ، فيها تستوفون ما لكم على هذه المعاملات من جزاءات ، فإن أحسنتم هنا أو أسأتم ، كان جزاؤكم هناك إحساناً أو إساءات ، هكذا وعدكم ربكم ، وهو عليم بكل الأعمال ، وعلى جزائكم عليها قدير ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَمْىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِلٍ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ من هذا قطعاً تعلم أن شأن هذه المعاملات عظيم ، عظماً لا يعرف قدره إلا الرجل العاقل ، البعيد النظر الحكيم ، فإن عليها يترتب غضب الله ، وعقابه أو رضاه ، والنعيم المقيم ، وشيء هذا قدره لا يتوقف ولا يتردد في بذل العناية به رجل بصير ، وهذه المعاملات تارة تكون بينكم وبين الله ، وتارة تكون مع عباد الله ، فأما المعاملة مع الله جل وعلا فبأن تسمع وتطيع فيما أمر ونهى ، وأما معاملتك مع عباد الله المؤمنين ، فبأن تحب لهم ما تحب لنفسك ، وذلك بأن تجعل نفسك ميزاناً في معاملة كبيرهم وصغيرهم ، أنت تكره إساءتهم لك وتحب إحسانهم ، فاحذر إساءتهم ، وعاملهم بالإحسان ، وكما تكره أن يمسوا ما بسوء ، فلتكن أموالهم منك في أمان ، وكما تكره أن يتعرضوا لأولادك وأهلك وشخصك بشر فكن لهم خير حفيظ ونصر ، وكما تحب أن يريحوك إذا جاوروك فأرحهم عند مجاورتك لهم ، وكما تحب أن ينصحوك ويصدقوك في وعودهم وعقودهم وأخبارهم ، فاسبقهم أنت إلى ذلك ، وكما تحب أن يفرحوا لفرحك ، ويحزنوا لحزنك ، فكن أنت كذلك معهم ، وكما تحب أن لا يتكلموا فيك إلا بخير ، فلا تكن أنت معهم بضد ذلك ، وقس على ذلك ما يتعلق بالموضوع وأما معاملتك مع نفسك فهي أن تعودها دائماً على الخير بلا ضجر .

وعنها قالت : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا شاة ولا درهماً ولا بعيراً ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبدٍ إلا شطر شعير في رَفِّ لي .
 وَقَالَ لي : إني عَرَضَ عَلَيَّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلتُ : لا يا رب أجوعُ يوماً وأشبعُ يوماً ، فأما اليومُ الَّذِي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليومُ الَّذِي أشبعُ فيه فأحمدُكَ وأثني عَلَيتِكَ .

وعنها قالت : إن كُنَّا آلُ مُحَمَّدٍ لنمكُثُ شهراً ما نستوقدُ ناراً ، إن هو إلا التمرُ والماء .
 وعنها قالت : لم يمتل جوفُ النبي ﷺ شبعاً قط ، ولم يئث إلى أحدٍ شكوى .
 وكانت الفاقة أحبَّ إليه من الغنى ، وإن كان ليظَلُّ جائعاً يَلْتَوِي طُولَ ليلته من الجوع ، فلا يَمْنَعُهُ من صيام يوم ولو شاء لَسَأَلَ ربه جميعَ كُنُوزِ الأرضِ وثمارِها ورغد عيشها .
 ولقد كنتُ أبكي له رحمةً ممَّا أرى به وأمسح بيدي على بطنه ممَّا به من الجوع ، وأقول :
 نفسي لك الفداء ، لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك .

فيقول : « يا عائشة ما لي وللدنيا إخواني أولو العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم وأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم .
 وأجدني استحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصرني غداً دونهم .
 وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي » . قالت : فما أقام بعد إلا شهراً ثم توفي ﷺ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رفع رسول الله ﷺ قط غداً لعشاء ولا عشاء قط لغداً .

ولا اتخذ من شيء زوجين لا قميصين ولا ردائين ولا إزارين ، ومن النعال ولا رئي قط فارغاً في بيته إما يخصف نعلًا لرجل مسكين أو يخيط ثوباً لأرملة .

وعن أنس بن مالك أن فاطمة عليها السلام جاءت بكسرة خبز إلى النبي ﷺ فقَالَ : « ما هذه الكسرة يا فاطمة » ؟

قالت : قرص خبزته فلم تطلب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقَالَ : « أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام » .

وروى مسلم عن النعمان قَالَ : ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا فقَالَ : لقد رأيت رسول الله يظل يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ : إن كان ليمر بآل رسول الله ﷺ الأهله ما يسرج في بيت أحد منهم سراج ولا يوقد فيه نار إن وجدوا زيتاً ادهنوا به وإن وجدوا ودكاً أكلوه . رواه أبو يعلى ورواته ثقات .

عن عبد الله بن مسعود قَالَ : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا : يا رَسُولَ اللَّهِ لو اتخذنا لك وطاء .

فقَالَ : « مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » . رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه .

قَالَ عمر بن الخطاب : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه .

وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية الغرفة وإذا إهاب معلق (الإهاب : الجلد) فابتدرت عيناى .

فقَالَ : « ما يبكيك يا ابن الخطاب » ؟ فقلت : يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى إلا ما أرى .

وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأثمار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانته .
 قَالَ : « يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا » . رواه ابن ماجه
 بإسناد صحيح والحاكم وَقَالَ : على شرط مسلم .
 روى مسلم في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : تُؤَيِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي رَأْيِي
 مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكَلْتُهُ فَفَنِي .
 عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان
 عامة خبزهم الشعير .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يشد صلبه بالحجر من الغرث أي الجوع .
 بينما عائشة رضي الله عنها تحدث ذات يوم إذ بكت قِيلَ لها : ما يبكيك يا أم المؤمنين ؟
 قالت : ما ملأت بطني من طعام ، فشئت أبكي إلا بكييت أذكر رسول الله ﷺ وما كان فيه
 من الجهد .

وعنها أيضاً أن رسول الله ﷺ كانت تأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز برّ .
 وعنها أيضاً قالت : ما شبع آل مُحَمَّدٍ ثلاثاً من خبز برّ حتى قبض ، وما رفع عن مائدته
 كسرة فضلاً حتى قبض .

عن الحسن (البصري) قَالَ : خطب رسول الله ﷺ فَقَالَ : « والله ما أمسى في آل مُحَمَّدٍ
 صاعٌ من طعام وإنما لتسعة أبيات » . (بيوت زوجاته) . والله ما قالها استقلالاً لرزق الله ،
 ولكن أَرَادَ أن تتأسى به أمته .

عن ابن عباس قَالَ : والله لقد كان يأتي على آل مُحَمَّد ﷺ الليالي ما يجدون فيها عشاء .
 عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع رسول الله ﷺ في يوم مرتين حتى لحق بالله ، ولا عرفنا له فضل طعام عن شبع حتى لحق بالله ، إلا أن نرفعه لغائب فقيل لها : ما كانت معيشتكم ؟ قالت : الأسودان : الماء والتمر . وقالت : وكان لنا جيران من الأنصار لهم ربائب يسقوننا من لبنها ، جزاهم الله خيراً .

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ لم يجمع غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف .
 عن أنس بن مالك قَالَ : شهدت للنبي ﷺ وليمة ما فيها خبز ولا لحم .
 عن أنس بن مالك قَالَ : ما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفاً مرققاً بعينه حتى لحق بربه ، ولا شاة سميطاً قط .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما اجتمع في بطن النبي ﷺ طعامان في يوم قط ، إن أكل لحماً لم يزد عليه ، وإن كان تمرأ لم يزد عليه ، وإن أكل خبزاً لم يزد عليه . وكان رجلاً مسقاماً ، وكانت العرب تنعت له فيتداوى بما تنعت له العرب ، وكانت العجم تنعت له فيتداوى .

عن أبي نضر قَالَ : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : إني لجالسة مع رسول الله ﷺ في البيت فأهدى لنا أبو بكر رجل شاة فإني لأقطعها مع رسول الله ﷺ في ظلمة البيت . فقَالَ لها قائل : أما كان لكم سراج ؟ فقالت : لو كان لنا ما يسرج به أكلناه .

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم مرتين .

عن عائشة قالت : بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواءً يمرئه . فذكرت نبيكم ﷺ فذاك الذي أبكاني خرج من الدنيا ولم يملاً بطنه في يوم من طعامين كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز وإذا شبع من الخبز لم يشبع من التمر .
عن أنس بن مالك قال : ما يرفع بين يدي رسول الله ﷺ شيء قط ، ولا حملت معه طنفسة يجلس عليها .

أخبرني الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يجوع . قلت لأبي هريرة : وكيف ذلك الجوع ؟ قال : لكثرة من يغشاه وأضيافه ، وقوم يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاماً أبداً إلا ومعه أصحابه ، وأهل الحاجة يتبعونه من المسجد . فلما فتح الله خيبر اتسع الناس بعض الاتساع وفي الأمر بعد ضيق والمعاش شديد . هي بلاد ظلف لا زرع فيها وإنما طعام أهلها التمر وعلى ذلك قاموا .

وروي عن جابر رضي الله عنه قال : حضرنا عرس علي وفاطمة فما كان عرساً كان أحسن منه حشونا الفراش يعني من الليف .
وأوتينا بتمر وزيت فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش . رواه البزار . الإهاب : الجلد .

عن عامر الشعبي قال : قال علي رضي الله عنه : لقد تزوجت فاطمة وما لها ولي فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار ، وما لي ولها خادم غيرها .
وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف روحين وسقاء وجرتين .

فَقَالَ علي لفاطمة ذات يوم : والله سنوت حتى اشتكيت صدري

(المعنى تعبت من إخراج الماء من البئر) وقد جاء الله بسبي فاذهي فاستخدميه (أي اطلبي منه خادماً) .

فَقَالَتْ : وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يدي من العمل فأنت النبي ﷺ : « ما جاء بك وما حاجتك أي بنية » . قالت : جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله فرجعت .

فَقَالَ علي : ما فعلت ؟ قالت : استحيت أن أسأله فأتيه جميعاً فَقَالَ علي : يَا رَسُولَ اللَّهِ والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري .

وقالت فاطمة : لقد طحنت حتى مجلت يداي ، وقد جاءك الله عز وجل بسبي وسعة فأخدمنا .

فَقَالَ : «والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم» .

فرجعا وأتاهما النبي ﷺ ، وقد دخلا في قطينتهما إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما فثارا فَقَالَ : « مكانكما » .

ثم قَالَ : « ألا أخبركم بخير مما سألتماني » ؟ قالا : بلى . قَالَ : « كلمات علمنيهن جبريل تسبحان في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدان عشراً ، وتكبران عشراً .

وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمداً ثلاثاً وثلاثين وكبراً أربعاً وثلاثين » . قَالَ : فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ .

عن بريدة قَالَ : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » . أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَعَا رَجُلٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » . أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ .

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دُعِيَ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .

فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

وَعَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ دَعَا بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

وَعَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ : يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَقَالَ : « قَدْ اسْتَجِيبَ لَكَ فَسَلْ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

اللَّهُمَّ اجعلنا مكثرين لذكرك مؤدين لحقك حافظين لأجرك راجين لوعدك راضين في جميع حالاتنا عنك .

راغبين في كل أمورنا إليك مؤملين لفضلك شاكرين لنعمك .
يا من يحب العفو والإحسان ، ويأمر بهما أعف عنا ، وأحسن إلينا .
فإنك بالذي أنت له أهل من عفوك أحق منا بالذي نحن له أهل من عقوبتك .
اللَّهُمَّ ثبت رجاءك في قلوبنا ، واقطعه عن سواك ، حتى لا نرجوا غيرك ولا نستعين إلا
إياك ، يا أرحم الراحمين ، يا أكرم الأكرمين .

اللَّهُمَّ هب لنا اليقين والعافية ، وإخلاص التوكل عَلَيْكَ ، والاستغناء عن خلقك .
واجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا .
اللَّهُمَّ أعنا بما وفقتنا له من العلم ، وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية .
اللَّهُمَّ افتح مسامع قلوبنا لذكرك وارزقنا طاعتك وطاعة رسولك ووفقنا للعمل بكتابك وسنة
رسولك .

اللَّهُمَّ إنا نسألك الهدى ، والتقى والعافية والغنى ، ونعوذ بك من درك الشقاء ، ومن جهد
البلاء ومن سوء القضاء ومن شماتة الأعداء .
اللَّهُمَّ لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله
وعلايته وسره ، أهل الحمد والثناء أنت ، لا إله إلا أنت سبحانك إنك على كل شيء قدير .

اللَّهُمَّ اغفر لنا جميع ما سلف منا من الذنوب ، واعصمنا فيما بقى من أعمارنا ، ووقفنا لعمل صالح ترضى به عنا .

اللَّهُمَّ سامع كل صوت ، ويا بارئ النفوس بعد الموت ، يا من لا تشبه عليه الأصوات ، يا عظيم الشأن ، يا واضح البرهان ، يا من هو كل يوم في شأن ، اغفر ذنوبنا إنك أنت الغفور الرحيم .

اللَّهُمَّ يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ، يا ذا الجلال والإكرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .

اللَّهُمَّ يا حي ويا قيوم فرغنا لما خلقتنا له ، ولا تشغلنا بما تكلفت لنا به ، واجعلنا ممن يؤمن بلفائك ، ويرضى بقضائك ، ويقنع بعطائك ، ويخشاك حق خشيتك .
اللَّهُمَّ اجعل رزقنا رغداً ، ولا تشمت بنا أحداً .

اللَّهُمَّ رغبتنا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يفنى ، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يعول في الدين إلا عليه .

اللَّهُمَّ إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيننا شر ما أهملنا وما لا نهتم به وأن تعيدنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .
اللَّهُمَّ يا عليم يا حلیم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز والكبرياء يا من تعنوا له الوجوه وتخضع له الأصوات .

وقفنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير .

اللَّهُمَّ إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع بها

شمنا ، وتلم بما شعنا ، وترفع بما شاهدنا ، وتحفظ بما غائبنا ، وتزكى بما أعمالنا ، وتلهمنا بما
رشدنا ، وتعصمنا بما من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ ارزقنا من فضلك ، واكفنا شر خلقك ، واحفظ علينا ديننا وصحة أبداننا .

اللَّهُمَّ يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومقيل عثرات العاثرين ، نسألك أن تلحقنا
بعبادك الصالحين الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ آمِينَ يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تديقنا برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك ، يا أرحم الراحمين وأرأف الرائفين وأكرم
الأكرمين .

اللَّهُمَّ اعتقنا من رق الذنوب ، وخلصنا من أسر النفوس ، وأذهب عنا وحشة الإساءة ،
وطهرنا من دنس الذنوب ، وباعد بيننا وبين الخطايا وأجرنا من الشيطان الرجيم .

اللَّهُمَّ طَبِّعْنَا لِلْقَائِلِ ، وَأَهْلْنَا لَوْلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ
وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وتلاوة كتابك ، واجعلنا من حزبك
المفلحين ، وأيدنا بجندك المنصورين ، وارزقنا مرافقة الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ
وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ يا فائق الحب والنوى ، يا منشئ الأجساد بعد البلى يا مؤي المنقطعين إليه ، يا كافي
المتوكلين عليه ، انقطع الرجاء إلا منك ، وخابت

الظنون إلا فيك ، وضعف الاعتماد إلا عَلَيْكَ نسألك أن تمطر محل قلوبنا من سحائب يرك وإحسانك وأن توفقنا لموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك إنك جواد كريم رؤوف غفور رحيم .
اللَّهُمَّ نسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً ، وعملاً متقبلاً ، ونسألك بركة الحياة وخير الحياة ،
ونعوذ بِكَ من شر الحياة ، وشر الوفاة .

اللَّهُمَّ إنا نسألك نفساً مطمئنةً ، وتؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقعن بعطائك ، يا
أرف الرائفين ، وأرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ إنا نسألك التوفيق لما تحبه من الأعمال ، ونسألك صدق التوكيل عَلَيْكَ ، وحسن
الظن بِكَ يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك المحبتين ، الغر المحجلين الوفد المتقبلين .

اللَّهُمَّ إنا نسألك حياة طيبة ، ونفساً تقية ، وعيشة نقية ، وميتة سوية ومرداً غير مخزٍ ولا
فاضح .

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأيدك ورضاك .
موعظة

قَالَ ابن الجوزي رحمة الله : الحذر الحذر من المعاصي فإنها سيئة العواقب ، والحذر الحذر
من الذنوب خصوصاً ذنوب الخلوات ، فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه سبحانه ولا
ينال لذة المعاصي إلا دائم الغفلة ، فأما المؤمن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عند التذاذه
يقف بإزائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها ، فإن قويت معرفته رأى بعين علمه الناهي وهو
الله فيتغنص عيشه في حال التذاذه فإن غلبه

سكر الهوى كان القلب متنغضاً بهذه المراقبات وإن كان الطبع في شهوته فما هي إلا لحظة ثم خزي دائم وندم ملازم وبكاء متواصل وأسف على ما كان مع طول الزمان حتى إنه لو تيقن العفو وقف بإزائه حذار العتاب فأف للذنوب ما أقيح آثارها وأساء أخبارها انتهى .
 فيا أيها المسلمون اتقوا الله ربكم وحافظوا على صلاتكم وقوموا لله خاضعين خاشعين لتفوزوا برضوان الله وتكونوا من المفلحين .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرِسْلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .
 اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوِّهَا وَأَهْلِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنِ الْمَعَاصِي وَوَفَّقْنَا بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

اعْلَمْ وَفَّقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْتَرْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ تَعْظِيمٍ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُؤَلِّينَ لِأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُنَادِينَ بِمُؤَالَاتِهِمْ ، لِأَنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ مَرْضَى قُلُوبٍ ، وَيُخْشَى عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ أَوْ اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَا بِهِ ِمِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ ، لِأَنَّ الْمَرِيضَ يُعْذِي الصَّحِيحَ وَلَا عَكْسَ ، فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْبِدْعِ ، وَمِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الَّذِينَ يَجِبُ الْبُعْدُ عَنْهُمْ وَهَجْرَانُهُمْ : الْجَهْمِيَّةُ ، وَالرَّافِضَةُ ، وَالْمُعْتَرِلَةُ ، وَالْمَأْتُرِيْدِيَّةُ ، وَالْحَوَارِجُ ، وَالصُّوْفِيَّةُ ، وَالْأَشَاعِرَةُ ، وَمَنْ عَلَيَّ طَرِيقَتِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنِ طَرِيقَةِ السَّلَفِ ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهُمْ وَيُحَذِّرَ عَنْهُمْ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

عبد العزيز بن محمد بن سلمان

فائدة عظيمة النفع

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّكَ يَا أُخِي بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ وَقَهْرِهِ ، وَذَلِكَ لِحَصْلَتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ مَظْلُومٌ ، لَا مَطْمَعُ فِيهِ بِمُصَالِحَةٍ وَاتِّقَاءِ شَرِّهِ أَبَدًا ، لِأَنَّهُ لَا يَرْضِيهِ وَيَقْنَعُهُ إِلَّا هَلَاكُكَ أَصْلًا فَلَا وَجْهَ إِذَا لِلْأَمْنِ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ وَالْغَفْلَةِ عَنْهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ وَالْحَصْلَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى عِدَاوَتِكَ وَمُنْتَصِبٌ لِمُحَارَبَتِكَ ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَرْمِيكَ بِسَهَامِهِ ، وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهُ ، ثُمَّ هُوَ لَهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ عِدَاوَةٌ عَامَةٌ ، وَمَعَ الْمُجْتَهِدِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ عِدَاوَةٌ خَاصَّةٌ ، وَمَعَهُ عَلَيْكَ أَعْوَانُ نَفْسِكَ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ ، وَالْهَوَى ، وَالدُّنْيَا وَهُوَ فَارِغٌ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ ، وَهُوَ يِرَاكُ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ ، وَأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهُوَ لَا يَنْسَاكَ ، فِإِذَا لَا بَدَّ مِنْ مُحَارَبَتِهِ ، وَقَهْرِهِ ، وَإِلَّا فَلَا تَأْمَنُ الْفَسَادَ وَالْهَلَاكَ وَالذَّمَّ ، وَمُحَارَبَتَهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ وَالْإِكْتِسَابِ مِنْ ذِكْرِهِ .

شِعْرًا: مَا لِي أَرَكَ عَلَى الدُّنُوبِ مُوَاطِبًا
لَا تَغْفَلَنَّ كَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَتَى
وَمَضَى الْحَبِيبُ لِحَفْرِ قَبْرِكَ مُسْرِعًا
وَأَتَوْا بِغَسَّالٍ وَجَاءُوا نَحْوَهُ
فَغَسَّالَتْ ثُمَّ كَسَيْتِ ثَوْبًا لِلْبَلَى
وَأَتَاكَ أَهْلُكَ لِلْوَدَاعِ فَوَدَّعُوا
فَخَفِيَ إِلَهُهُ فَإِنَّهُ مِنْ خَافِهِ
جَنَاتٍ عَدْنٍ لَا يَبْدُ نَعِيمُهَا
وَلَمَنْ عَصَى نَارًا يُقَالُ لَهَا لَطَى
نَبْكِي وَحَقِّقْ لَنَا الْبُكْيَ يَا قَوْمَنَا
أَأَخَذْتَ مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ أَمَانًا
وَلَعَلَّ عُمْرَكَ قَدْ دَنَا أَوْ حَانَ
وَأَتَى الصَّادِقُ فَأَنْذَرَ الْجِيرَانَ
وَبَدَا بِغُسْلِكَ مِيًّا عُرْيَانًا
وَدَعَوْا لِحَمَلِ سَرِيرِكَ الْإِخْوَانَ
وَجَرَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُمْ غُدْرَانًا
سَكَنَ الْجَنَانَ مُجَاوِرًا رِضْوَانًا
أَبَدًا يُخَالِطُ رُوحَهُ رِيحَانًا
تَشْوِي الْوُجُوهَ وَتَحْرِقُ الْأَبْدَانَ
كَيْ لَا يُؤَاخِذْنَا بِمَا قَدْ كَانَا

موعظة

عباد الله إن طاعة الله صلاح في الأرض لهذا أمر عز وجل بالطاعات ، وهذه الطاعات ترضي الله سبحانه لأنها شكر له على نعمه المتواليات ، فينبغي لنا أن نحث عليها وأن نأمر من ترك الطاعة أن يعود إليها إذا كانت من فرائض الدين كالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وأن ننكر على من رأيناه يقترف معصية من المعاصي ، لأن المعاصي بكل أنواعها شرور وأضرار وفساد ولها شؤم قد يعم الدنيا ويفعل الأفاعيل العظام في بني الإنسان ومن آثارها المضرة بالقلب والبدن : أنها إفساد للعقل فإن العقل نور والمعصية تطفى نور العقل ومنها أن المعاصي مدد من الإنسان يمد بها عدوه عليه وجيش يقويه به على حربه ومنها أنها توهن القلب والبدن ومنها أنها تزرع أمثالها من المعاصي ومنها أنها تحقق بركة العمر ومنها أنها تسبب شماتة الأعداء ، ومنها أنها تعسر على الإنسان أموره ، ومنها أنها تسبب الوحشة بين العاصي وبين أهل الخير ومنها أنها تذهب الحياء ومنها أن تستدعي نسيان الله لعبده وتركه ، ومنها أنها تطفى من القلب نار الغيرة ومنها أنها تضعف في القلب تعظيم الرب ومنها أنها تعمي بصيرة القلب وتطمس نوره ومنها أنها تسقط الجاه والمنزلة عند الله إلا مالا نهاية له من الأضرار لهذا يجب علينا أن ننهي عن المعاصي لاسيما إذا كانت من كبار المعاصي ، ولا تنس أن بني إسرائيل لعنهم الله لما فقدوا الغيرة على انتهاك الحرمات ولا تناهوا عن المنكر وتأمل أحوال الأمم وما حل بها من العقوبات بأسباب الذنوب قال تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

موعظة

عباد الله سرور المؤمنين يوم يعبرون القناطر ويأمنون العواثر فذلك يوم عيدهم وما داموا في دار الغرور فلا غبطة ولا سرور .
 وأي سرور لمن الموت معقود بناصيته والذنوب راسحة في آنيته والنفس تقوده إلى هواها والدينا تترين في عينه بمشتهاها .
 والشيطان مستبطن فقار ظهره لا يفتر عن الوسوسة في صدره ونفسه وماله بعرضه للحوادث ولا يدري في كل نفس ما عليه حادث .
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنِّي بُلِيْتُ بِأَرْبَعٍ مَا سُلِّطُوا إِلَّا لِأَجْلِ شِقَاوَتِي وَعَنَائِي
 إِنِّ لَيْسَ وَالِدُنِيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

ومن ورائه المغير ومسأله منكر ونكير ويتوسد التراب إلى يوم النشور ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يوم لا يبلغ وصف أهواله ولا شرح أحواله ما لا يسع المؤمن به أن يستقر له قرار ولا يخلد إلى هذه الدار ولا يكون له في هذه الدنيا إلا التقرب بأنواع القرب واجتناب الفواحش والريب وإقامة الدين الذي في إقامته النجاة وفي تضييعه العطب العظيم .

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ أَوْطَانِ
 يَوْمٌ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُوْلَهُ وَتَشَيَّبُ فِيهِ مَفَارِقُ الْوُلْدَانِ
 يَوْمٌ عَبُوسٌ قَمَطَرِيْرٌ شَرُّهُ فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
 يَوْمٌ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ وَفَدَا عَلَى نُجْبٍ مِنَ الْعَقِيَاتِ
 وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لَطْيِ يَتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الْعَطْشَانِ
 وَالْجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمَ دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ

اللَّهُمَّ اختم بالأعمال الصالحات أعمارنا وحقق بفضلك آمالنا وسهل لبلوغ رضاك سبلنا وحسن في جميع الأحوال أعمالنا يا منقذ الغرقى ويا منجي

الهللكى ويا دائم الإحسان أذقنا برد عفوك من كرمك وجودك ما تقر به عيوننا من رؤيتك في جنات النعيم وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

موعظة

عباد الله طلب الرزق الحلال فريضة على كل مسلم فالتمس الرزق أيها المسلم من حله وإياك وما نهاك الله عنه وحرمه فمتاع الدنيا قليل ؛ أيها المسلم إن جمعك للمال من حله عبادة إذا كنت تريد به إعفاف نفسك ، والقيام بما أوجبه الله عليك من الحقوق ، واحذر من ترك العمل ، وافعل الأسباب التي بها يحصل الرزق بإذن الله ، واعلم أن من ترك العمل وغلب عليه الكسل حتى صار كلاً على الخلق يعده أهله ثقلاً ويراها صاحبه بغيضاً ولا يلقاه أحد إلا وكره لقياه قال تعالى حاثاً على طلب الرزق ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ والمؤمن المحترف الكسوب الذي يأكل من عمل يده مكرم محبوب محترم عند أهله ، والأولاد ، وكان نوح وداود يحترفان التجارة ومحمد صلى الله عليه وسلم رعى الغنم ، وموسى كان أجيراً عند صاحب مدين وكان إدريس خياطاً ، وما أبعد هذه الأعمال الشريفة عن الكسل والبطالة وكان السلف رضي الله عنهم عمالاً مكتسبين فكلهم ما بين غني شريف وفقير شريف عفيف ، لا تشغلهم الدنيا عن الآخرة ولا يمنهم الدين عن طلب الكسب والقيام بالواجبات وهم مع هذا من أقوى الناس توكلاً على الله ورضى بما قدر الله وقضاه والله در القائل :

وَكُنْ بِالَّذِي قَدْ خَطَّ بِاللُّوحِ رَاضِيًا فَلَا مَهْرَبَ مِمَّا قَضَاهُ وَخَطَّهُ
وَأَنَّ مَعَ الرَّزْقِ اشْتِرَاطُ التَّمَاسِهِ وَقَدْ يَتَعَدَّى إِنْ تَعَدَّيْتَ شَرْطَهُ
فَلَوْ شَاءَ أَلْقَى فِي فَمِ الطَّيْرِ قُوَّتَهُ وَلَكِنَّهُ أَوْحَى إِلَى الطَّيْرِ لِقَطْعَهُ

موعظة : إخواني تفكروا في مصارع الَّذِينَ سبقوا ، وتدبروا مصيرهم أين انطلقوا ؟ واعلموا أن القوم انقسموا وافترقوا ، قوم منهم سعدوا ومنهم قوم شقوا .

إخواني : إلى كم هذه الغفلة وأنتم مطالبون بغير مهلة فبالله عليكم تعاهدوا أيامكم بتحصيل العدد وأصلحوا من أعمالكم ما فسد ، وكونوا من آجالكم على رصدٍ فقد آذنتكم الدنيا بالذهاب ، وأنتم تلعبون بالآجل وبين أيديكم يوم الحساب .

شِعْرًا :

وَالْمَرْءُ مِثْلُ هَالٍ عِنْدَ طَلْعِهِ يَبْدُو ضَيْلًا لَطِيفًا ثُمَّ يَتَسِقُ
يَزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ أَغْبَهُ كِرُّ الْجَدِيدِينَ نَقْصًا ثُمَّ يَنْمَحِقُ
كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بُهَجَتْ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرَ مِنْهُ لِلْبَلَى خِرْقُ
وَبَاتَ مُنْشَمِرًا يَحْدُو الْمَشِيبُ بِهِ كَاللَّيْلِ يَنْهَضُ فِي أَعْجَازِهِ الْفَلْقُ
عَجِبْتُ وَالِدَهُرُ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ لِلرَّاكِبِينَ إِلَى الدُّنْيَا وَقَدْ صَدَقُوا
وَطَالَ مَا نَغَّصُوا بِالْفَجْعِ ضَاحِيَةً وَطَالَ بِالْفَجْعِ وَالتَّنْغِصِ مَا طُرِقُوا
دَارٌ تَعْرُبُ بِهَا الْأَمَالُ مُهْلِكَةٌ وَذُو التَّجَارِبِ فِيهَا خَائِفٌ فَرِقُ
يَا لِرَجَالٍ لِمَخْدُوعٍ بِرُخْرِفِهَا بَعْدَ الْبَيَانِ وَمَعْرُورٍ بِهَا يَثِقُ
أَقُولُ وَالنَّفْسُ تَدْعُونِي لِبَاطِلِهَا أَيْنَ الْمُلُوكُ مُلُوكُ النَّاسِ وَالسُّوقُ
أَيْنَ الَّذِينَ إِلَى لَدَاتِهَا رَكُنُوا قَدْ كَانَ فِيهَا لَهُمْ عَيْشٌ وَمُرْتَفَقُ
أَمْسَتْ مَسَاكِينُهُمْ قَفْرًا مُعْطَلَةٌ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا قَبْلَهَا خُلُقُوا

يَا أَهْلَ لَدَاتِ دَارٍ لَا بَقَاءَ لَهَا إِنَّ اغْتِرَارًا بِظَلِّ زَائِلٍ حُمُقٌ

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولا تعذبنا ووقفنا ولا تحذلنا ولا تسلب الإيمان منا لا ملجأ لنا إلا إليك ولا معول لنا إلا عليك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ يا من فتح بابه للطالبيين ، وأظهر غناه للراغبين نسألك أن تسلك بنا سبيل عبادك الصادقين ، وأن تلحقنا بعبادك الصالحين ، اللَّهُمَّ أحي قلوباً أماتها البعد عن بابك ، ولا تعذبها بأليم عقابك ، يا كريم يا منان ، يا من جاد على عباده بالأنعام والأفضال ، اللَّهُمَّ أيقظنا من غفلتنا بلطفك وإحسانك وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وعفوانك ، وازرقتنا ما رزقت أوليائك ، من نعيم قربك ، ولذة مناجاتك ، وصدق حبك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

خاتمة ، وصية ، نصيحة

اعلم ووقفنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه الله ويرضاه أن مما يجب الاعتناء به حفظاً وعملاً كلام الله جل وعلا وكلام رسوله ﷺ .

وأنه ينبغي لمن وفقه الله تعالى أن يحث أولاده على حفظ القرآن وما تيسر من أحاديث النبي ﷺ المتفق على صحتها عنه كالبخاري ومسلم .

ومن الفقه مختصر المقنع ليتيسر له استخراج المسائل ويجعل لأولاده ما يحثهم على ذلك .
فمثلاً يجعل لمن يحفظ القرآن على صدره حفظاً صحيحاً عشرة آلاف أو أزيد أو أقل حسب حاله في الغنى .

ومن الأحاديث عقود اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الإمامان البخاري ومسلم ، يجعل لمن يحفظ ذلك ستة آلاف (٦٠٠٠) .

فإن عجزوا عن حفظها فالعمدة في الحديث يجعل لمن حفظها ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) أو الأربعين النووية ويجعل لمن يحفظها ألفاً (١٠٠٠) .

ويجعل لمن يحفظ مختصر المقنع في الفقه ألفين (٢٠٠٠) من الريالات فالغيب سبب لحفظ المسائل وسبب لسرعة استخراج ما أريد من ذلك وما أشكل معناه أو يدخلهم في مدارس تحفيظ القرآن في بيوت الله أو البيوت المعدة لذلك فمدارس تعليم القرآن والسنة هي مدارس التعليم العالي الممتاز الباقي النافع في الدنيا والآخرة أو يدخلهم في حلقات تحفيظ القرآن الكريم الموجودة في المساجد .

فمن وفقه الله لذلك وعمل أولاده بذلك كان سبباً لحصول الأجر من الله وسبباً لبرهم به ودعائهم له إذا ذكروا ذلك منه ولعله أن يكون سبباً مباركاً يعمل به أولاده مع أولادهم فيزيد الأجر له ولهم . نسأل الله أن يوفق الجميع لحسن النية .

وَلَمْ أَرَى لِلْخَلَائِقِ مِنْ مُرَبِّ
كَعْلَمِ الشَّيْءِ يُؤَخِّدُ عَنْ ثَقَاتِ
بَيْتِ اللَّهِ مَدْرَسَةَ الْأَوْلِيَاءِ
لِمَنْ يَهْوَى الْعُلُومَ الرَّاقِيَاتِ

آخر :

أَيَقِظُ جُفُونَكَ يَا مُسْكِينُ مِنْ سِنَةٍ
بِالْأَمْسِ كُنْتُ مَعَ الصَّبِيَانِ فِي لَعِبِ
وَقَدْ كَبِرْتَ وَحَانَ الشَّيْبُ مِنْكَ وَلَا
تَبِعْتَ وَبِحَاكَ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا
أَمَّا اعْتَبَرْتَ بِمَا شَيَّعْتَ مِنْ سَلَفِ
وَأَنْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ زَائِدًا أَمَلًا
يَا مَنْ مَضَى عُمُرُهُ الْمَكُونُ فِي سَفَهٍ
أَيْنَ الشَّبَابِ الَّذِي قَدْ كُنْتَ تَحْمِدُهُ
وَقَدْ أَتَى لَكَ شَيْبٌ لَا زَوَالَ لَهُ
وَأَنْظُرُ بِعُقْلِكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ عِبَرِ
غَضُّ الشَّيَابِ قَلِيلُ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ
أَرَاكَ تَنْظُرُ يَا مَغْرُورُ فِي الْكِبَرِ
تُمْسِي وَتُصْبِحُ مَسْرُورًا عَلَى النُّكْرِ
إِلَى الْقُبُورِ مِنَ الْأَشْيَاخِ وَالصَّغْرِ
وَالدَّهْرِ يَهْدِمُ مِنْكَ الْعُمَرَ فَاثْبَدِرِ
وَفِي الْمَحَالِ وَفِي اللَّذَاتِ وَالْبَطْرِ
مَضَى سَرِيعًا كَمِثْلِ اللَّمْحِ فِي الْبَصْرِ
إِلَّا بِمَوْتِكَ يَا مَغْرُورُ فَاثْبَدِرِ

إِنَّ الرَّحِيلَ حَقِيقٌ فَاسْتَعِدَّ لَهُ
 بَادِرٌ مَتَابِكَ يَا مَسْكِينُ فِي عَجَلٍ
 حَافِظٌ عَلَى الْخَمْسِ فِي الْأَوْقَاتِ إِنَّ
 طُوبَى لِعَبْدٍ تَقِيَّ خَائِفٍ وَجَلٍ
 وَقَامَ بِاللَّيْلِ لِلرَّحْمَنِ مُبْتَهَلًا
 إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَانَ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا
 تُسْقَى بِهَا سَلْسِيلًا طَابَ شَارِبُهَا
 فِي قُبَّةٍ مِنْ لُجَيْنٍ جَلَّ صَانِعُهَا
 وَالطَّيْرُ فِيهَا عَلَى الْأَغْصَانِ عَاكِفَةٌ
 وَالْحُورُ يَمْشِينَ فِي حُلِيِّ وَفِي حُلَلٍ
 وَأَعْكَفٌ عَلَى سُنَّةِ الْهَادِي وَتَابِعِهِ
 وَعَلِمَ بِأَنَّكَ عَنْ أَهْلِكَ مُرْتَحِلٌ
 لَا تَأْمَنَنَّ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا
 أَيْنَ الْأَجْبَةُ وَالْجِيرَانُ مَا صَنَعُوا
 أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّذِي عَاشَرْتَهُمْ زَمْنَا
 أَيْنَ الْقُصُورُ الَّتِي كَانَتْ مُعَمَّرَةً
 أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنَعَّمَةً
 صَارُوا جَمِيعًا إِلَى ضَيْقِ الْقُبُورِ وَقَدْ
 وَنَحْنُ عَمَّا قَلِيلٍ لَاحِقُونَ بِهِمْ
 يَا مُحِبَّ الدُّنْيَا الْغُرُورِ اغْتِرَارًا
 يَبْتَغِي وَصْلَهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ

آخر:

وَقَدْ أَتَاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ فَازْدَجِرْ
 قَبْلَ الْمُنُونِ وَبَادِرِ فُسْحَةَ الْعُمُرِ
 فَضْلًا وَقُلْ يَا إِلَهِي نَحْ مِنْ سَقَرِ
 خَافَ الدُّنُوبَ وَبَاعَ النَّوْمَ بِالسَّهْرِ
 يَتْلُو الْكِتَابَ وَدَمْعُ الْعَيْنِ كَالْمَطَرِ
 مَعَ الْحِسَانِ ذَوَاتِ الْغُنْجِ وَالْحَوْرِ
 مِنْ كَفِّ غَانِيَةٍ أَضْوَى مِنَ الْقَمَرِ
 قَدْ حَصَّهَا بِاخْتِلَالِ النَّخْلِ وَالتَّهْرِ
 أَصْوَاتُهَا كَحَنِينِ الْعُودِ وَالْوَتْرِ
 كَمَا أَتَى فِي بَيَانَ الذِّكْرِ وَالسُّورِ
 وَاتَّبَعَ طَرِيقَتَهُمْ تَقْفُوا عَلَى الْأَثْرِ
 عَمَّا قَلِيلٍ لَبِيتِ الدُّودِ وَالْمَدْرِ
 لِأَنَّهَا كَسِرَاجٍ لَاحَ لِلْبَصْرِ
 صَارُوا لَنَا خَبْرًا مِنْ أَعْظَمِ الْخَبْرِ
 صَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْأَجْدَاثِ وَالْحُفْرِ
 حُصُونُهَا مَلَأَتْ بِالْبَسْطِ وَالسُّرْرِ
 أَيْنَ الْخُدُودُ الَّتِي تَسْبِي أُولِي النَّظْرِ
 صَارَتْ مَحَاسِنُهُمْ مِنْ أَقْبَحِ الصُّورِ
 فَانظُرْ لِنَفْسِكَ وَاحْذَرْ غَايَةَ الْحَذْرِ
 رَاكِبًا فِي طِلَابِهَا الْأَخْطَارَا
 وَتَرَى أُنْسَهُ فِتْيَدِي نَفَارَا

خَابَ مَنْ يَبْتَغِي الْوَصَالَ لَدَيْهَا جَارَةٌ تَنْزِلُ تُسِيءُ الْجَوَارَا
 كَمْ مُحِبِّ أَرْتَهُ أَنْسَا فَلَمَّا حَاوَلَ الزُّورَ صَيَّرْتَهُ أَزُورَارَا
 شَيْبَ حُلُو اللَّذَاتِ مِنْهَا بِمُرٍّ إِنَّ حَلَّتْ مَرَّةً أَمَرَتْ مِرَارَا
 فِي اكْتِسَابِ الْحَلَالِ مِنْهَا حِسَابٌ وَاكْتِسَابِ الْحَرَامِ يُضْلِي النَّارَا
 وَلِبَاغِي الْأَوْطَارِ مِنْهَا عَنَاءٌ سَوْفَ يَقْضِي وَمَا قَضَى الْأَوْطَارَا
 كُلُّ لَذَاتِهَا مُنْعَصَةُ الْعَيْشِ وَأَرْبَاحُهَا تَعُودُ خَسَارَا
 وَلِيَالِي الْهُمُومِ فِيهَا طَوَالٌ وَلِيَالِي الشُّرُورِ تَمْضِي قِصَارَا
 وَكَفَى أَنَّهَا تَطُنُّ وَإِنْ جَادَتْ بِتَرَرٍ أَفْتَتْ بِهِ الْأَعْمَارَا
 وَإِذَا مَا سَقَا حُمُورَ الْأَمَانِي صَبَّرَتْ بَعْدَهَا الْمَنَايَا خِمَارَا
 كَمْ مَلِيكَ مُسَلِّطٍ ذَلَّلْتَهُ بَعْدَ عِزٍّ فَمَا أَطَاقَ انْتِصَارَا
 وَنَعِيمٍ قَدْ أَعْقَبْتَهُ بِبُؤْسِ وَمَعَانٍ قَدْ غَادَرْتَهَا قِفَارَا
 أَيُّهَا الْمُسْتَعِيرُ مِنْهَا مَتَاعَا عَنِ قَلِيلٍ تَسْتَرْجِعُ الْمُسْتِعَارَا
 عَدُّ عَنْ وَصَلٍ مَنْ يُعِيرُكَ مَا يَفْنَى وَيَبْقَى إِثْمًا وَيَكْسِبُ عَارَا
 قَدْ أَرْتَكَ الْأَمْثَالَ فِي سَالِفِ الدِّ هُرٍ وَمَا قُدْرَاتُكَ فِيكَ اعْتِبَارَا
 وَجَدِيدٍ بِالْعُذْرِ مَنْ قَدَّمَ الْأَ غَدَارَ فِيمَا جَاءَهُ وَالْإِنْذَارَا
 فَتَعَرَّضَ مِنْهَا بِخُلَّةِ صِدْقٍ وَالْتَمَسَ غَيْرَ هَذِهِ الدَّارِ دَارَا
 وَالْبِدَارَ الْبِدَارَ بِالْعَمَلِ الصَّ لِحِ مَا دُمْتَ تَسْتَطِيعُ الْبِدَارَا

اللَّهُمَّ نور قلوبنا بنور الإيمان وثبتها على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة واجعلنا
 هداة مهتدين وتوفنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين يا أكرم الأكرمين وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
 وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فهرس الجزء السادس من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٧	فضل في الجهاد في سبيل الله والحث عليه والأدلة على ذلك
١٣	قصيدة ترغيب في إقامة الدعوة والنصيحة في الدين
١٤	آيات وأحاديث في الحث على الجهاد والترغيب فيه
٢٢	موعظة بليغة في توجيه الأولاد توجيهها صالحاً
٢٦	قصة النفر اللذين أرسلهم النبي ﷺ إلى بئر معونة وقتلهم عامر بن الطفيل ويليها نظم لابن القيم
٣٠	قصة عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح وأنس بن النضر....
٣٢	رثاء للنبي ﷺ
٣٥	وقعة بدر وذكر سببها وماذا عمل ﷺ فيها
٣٧	قصيدة في مدح الصحابة رضي الله عنهم
٣٩	تنظيمه ﷺ أصحابه في تشكيل حربي يلائم ظروف السير في أرض العدو وتوجيهه عيونه تأتية بالخبر
٤١	أبو سفیان يتشمم أخبار المسلمين في طريقه انقسام الناس إلى قسمين
٤٢	النبي ﷺ يستشير أصحابه عندما بلغه خروج قريش وأجوبة الصحابة على ذلك
٤٤	موعظة بليغة تتضمن الحث على إيقاظ القلوب من رقدتها وأبيات زهدية
٤٥	قصيدة زهدية وعظيمة فيها حكم وعبر
٤٨	حرص النبي ﷺ على كتمان أمره عن قريش وسؤاله عنهم وبعثه ﷺ علي بن أبي طالب
٥٠	والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص إلى ماء يلتمسون الخبر وبناء الحوض

- والعریش ٥٢
- إرسال المشركين عمير بن وهب يحرز لهم عدد المسلمين ورجوع عمير ممتلئاً
من الرعب والذعر والخوف والتعظيم لأصحاب النبي ﷺ بعد ما رجع عمير
من المسلمين وأخبر المشركين بما رأى دب الخلاف بهم ٥٤
- موعظة في التزهيد في الدنيا والحث على الرغبة في الآخرة وبعدها قصيدة
مثلها تتضمن ما تضمنته تلك ٦٠
- النبي ﷺ يعيب جيشه أحسن تعبية..... ٦٢
- الدعاء إلى المبارزة وتقدم الأكفاء لها من الصحابة وتنافسهم فيها
وشجاعتهم وتعالكهم على الشهادة وإمدادهم بالملائكة لتؤيدهم..... ٦٣
- إبليس يقود المشركين ويشجعهم ويورطهم ثم يهرب..... ٦٤
- متابعة النبي ﷺ المعركة واستنهاضه هم أصحابه ، وعدد القتلى والأسرى
قصة قتل أبي جهل لعنه الله وبيان من قتله وتحديد وقت المعركة ابتداء
وانتهاء..... ٦٦
- من موعظة النبي ﷺ ووصاياه..... ٦٦
- مقتل أمية بن خلف وابنه وقسم النفل..... ٦٩
- مقتل عقبة بن أبي معيط لعنه الله والنضر بن الحارث..... ٧٠
- موعظة بليغة في الزجر عن التعليق بالدنيا وترك الآخرة..... ٧٣
- غزوة أحد وذكر سببها وإعداد قريش لها..... ٧٧
- أبو عامر الفاسق وظنه الفاشل لعنه الله..... ٧٨
- خروج جيش الكفرة والمنافقين يقوده أبو سفيان..... ٨٠
- استشارة النبي ﷺ أصحابه عندما بات الخطر جاثماً على أبواب المدينة.... ٨٢
- موعظة بليغة مقارنة بيننا معشر العجزة والكسلا وبين السلف المجدون ٨٦

- المجتهدون الحافظون لأوقاتهم.....
- ٨٨ قصيدة زهدية وعظمية في غربة الإسلام والولاء والبراء.....
- ٩٥ استعراض النبي ﷺ لجيشه في مكان يُقال له الشيخين وانشقاق الجيش بسب
عبد الله ابن أبي رئيس المنافقين.....
- ٩٨ إخفاق خطط الكفرة والمشركين عندما التقى الجمعان.....
- ٩٩ قتل حاملي لواء المشركين وكسر شوكتهم وتوليهم الأدبار.....
- ١٠٠ مخالفة أهل الثفر لأمر النبي ﷺ أوقعتهم في مفاجئة الكفار يحاصرونهم كارين
راجعين.....
- ١٠٢ إبليس لعنه الله يصرخ وسط المعركة بأعلى صوته أن محمداً قد قتل.....
- ١٠٢ ذكر جرح أعداء الإسلام الكفرة وجه النبي ﷺ وقتاله ﷺ لهم قتالاً شديداً
ودافع عنه ﷺ عدة من الصحابة منهم أبو دجانة وطلحة وشماس بن عثمان
وأبو طلحة وأم عمارة ودعا لهم ولابنها وزوجها.....
- ١١٠ قصيدة زهدية وعظمية تثير عزائم أهل الطاعة.....
- ١١٥ خيوب ظن أبي سفيان وخجله حيث ظهر ﷺ سالماً خلافاً لأمله الفاسد..
- ١١٦ دفن الشهداء وجواب المسلمين لأبي سفيان حينما استعز واستنصر
بالأصنام.....
- ١٢٢ قصيدة فيها حكم وحث على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ١٢٤ موعظة بليغة في الزجر عن المعاصي والملاهي والحث على صيانة الوقت..
- ١٢٦ ذكر بعض الحكم التي وقعت في أحد ونظم لابن القيم رحمه الله.....
- ١٤٤ موعظة لابن الجوزي.....
- ١٤٦ غزوة حنين ويليها قصيدة.....
- ١٥٠ صفات المنافقين لابن القيم.....

- ١٦٤ غزوة الأحزاب.....
- ١٦٨ منظومة للشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي في السير إلى الله والدار الآخرة
وفائدة جلييلة في المصطفين الذين أورثهم الله الكتاب له أيضاً.....
- ١٧٣ قصة لعمير بن سعد الأنصاري.....
- ١٧٧ قصة أخرى له أيضاً.....
- ١٨١ قصيدة زهدية وعظية.....
- ١٨٥ نبذة عن حياة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.....
- ١٨٩ قصيدة زهدية وعظية ويليهها موعظة.....
- ١٩٣ قصة لثابت بن قيس الأنصاري.....
- ١٩٩ قصة للنعمان بن مقرون ويليهها قصيدة (وداع راحل).....
- ٢٠٦ قصة لصهيب الرومي.....
- ٢١١ موعظة ويليهها قصيدة في التحذير من الدنيا.....
- ٢١٦ نبذة عن زيد بن حارثة وبعدها موعظة.....
- ٢٢٦ قصيدة رثى أهل الذريعة بعدما هدمها الظالم الطاغية وجنوده إبراهيم
باشا.....
- ٢٢٩ نبذة من حياة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.....
- ٢٣٧ قصة لأسيد بن الحضير رضي الله عنه.....
- ٢٤٢ أبيات للشيخ عبد الرحمن الناصري السعدي في الحث على ذكر الله ويليهها
قصة لأبي الدرداء.....
- ٢٥١ نظم بعضهم ما ذكره ابن القيم رحمه الله من مفاتيح الخير والشر.....
- ٢٥٥ صور من حياة الرسول ع في مقدمة غزوة الفتح.....
- ٢٨٥ كلام لابن القيم في مقدمة غزوة فتح مكة شرفها الله.....

٢٧٩	قصيدة في الحث على تدبر كتاب الله وتفهمه والعمل به.....
٢٨٤	قصة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه.....
٢٩٠	قصيدة فيما جرى على الإسلام وأهله من الظلمة والطغاة والمجرمين.....
٢٩٥	قصة لعبد الله بن عباس رضي الله عنه.....
٣٠٣	قصة لسلمان الفارسي رضي الله عنه.....
٣١١	قصة لطاووس.....
٣١٥	قصة أخرى لطاووس.....
٣٣٢	غزوة تبوك أو العسرة.....
٣٢٩	موعظة.....
٣٣٣	قصيدة في الحث على الأخذ بالحديث وتقديمه على الآراء.....
٣٣٥	فصل.....
٣٤٣	فصل.....
٣٤٩	قصة هرقل ملك الروم.....
٣٥٣	قصة أصحاب الأخدود.....
٣٥٦	قصة أصحاب الغار.....
٣٥٧	قصة الثلاثة الذين ابتلاهم الله.....
٣٦٢	قصيدة في التحذير من الدنيا والحث على الإقبال على الآخرة.....
٣٦٦	من محاسن الدين الإسلامي.....
٤٢٥	من معجزة النبي ﷺ وفي أثنائها قصيدة وعظية.....
٥٥٠	كلام شيخ الإسلام حول سيرة الرسول ﷺ.....
٥٥٥	قصيدة زهدية.....
٥٥٨	ذكر خصائص الرسول ﷺ للماوردي.....

٥٧١ قصيدة في غربة الإسلام
٥٨٣ ما قاله ابن حزم حول سيرة الرسول ρ
٥٨٧ قصائد تتضمن معجزات للرسول ρ
٥٩٦	كلام صاحب البرهان القاطع ويليه ما قاله في كتاب الأربعين في أصول الدين
٦٠٦ فوائد متنوعة ومواعظ نافعة
٦١٢ قصيدة زهدية
٦١٣ فصلٌ يحتوي على حكم وفوائد
٦١٥ موعظة
٦١٧ قصيدة في مدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
٦١٩ موعظة
٦٢٢ موعظة
٦٢٣ فصلٌ يحتوي على وصايا نافعة
٦٢٧ موعظة ويليهما فصلٌ حث على الاستعداد ليوم المعاد ويليهما فصلٌ يحتوي على مواعظ
٦٤٢ قصيدة زهدية
٦٤٥ قصائد تحتوي على بعض معجزات الرسول
٦٧٧ قصيدة وعظية فيها حكم
٦٧٩ منظومة الآداب
٧٠٢ قصص رائعة ويليهما فصول